

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

وهو شرح على شواهد شرح الكافية للرضى

* تاليف الأديب العلامة عبد القادر بن عمر البغدادى نزيل القاهرة المولود سنة ١٠٣٠ هـ المتوفى بالقاهرة سنة ١٠٩٣ هـ

بدأ فى تأليفها بمصر فى غرة شعبان سنة ١٠٧٣ هـ وفرغ منها ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٠٧٩ هـ

الجزء الأول

صححه وعلق عليه جماعة من أفاضل العلماء

(أشرف على طبعه ووضع فهارسه محمد محيي الدين عبد الحميد المدرس بالقسم الثانوى بالجامع الأزهر)

طبع على نفقة و
يطلب من مكتبة
عيسى البابى الحلبى وشركاه
صندوق بوستة الغورية نمرة ٢٦
مصر

دار النصر للطبع والنشر — شارع الخليج المصرى بالظاهر بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يامن شواهد آياته غنية عن الشرح والبيان ، ودلائل توحيده متلوة بكل لسان ، صل وسلم على رسولك محمد المؤيد بقواطع الحجج والبرهان وعلى آله وصحبه الباذلين مهجهم فى نصر دينه على سائر الاديان : صلاة وسلاما دائمين على مر الازمان

(أما بعد) فيقول المفتقر الى معونة ربه الهادى ، عبد القادر بن عمر البغدادى : هذا شرح شواهد شرح الكافية لنجم الأئمة ، وفاضل هذه الامة ، المحقق محمد بن الحسن الشهير بالرضى الاستراباذى عفا الله عنه ورحمه ، وهو كتاب عكف عليه نحارير العلماء ، ودقق النظر فيه أماثل الفضلاء ، وكفاه من الشرف والمجد ، ما اعترف به السيد والسعد ، لما فيه من ابحاث أنيقة ، وانظار دقيقة ، وتقريرات رائقة ، وتوجيهات فائقة ، حتى صارت بعده كتب النحو كالشريعة المنسوخة ، أو كالامة الممسوخة ، إلا أن أبياته التى استشهد بها — وهى زهاء ألف بيت — كانت محلولة العقال ، ظاهرة الاشكال ، لغموض معناها ، وخفاء مغزاها ، وقد انضم اليها التحريف ، وبان عليها أثر التصحيف ، وكنت ممن مرن فى علم الادب ، حتى صار يلبيه من كثب ، وأفرغ فى تحصيله جهده ، وبذل فيه وكده (١) وكده ، وجمع دواوينه ، وعرف قوانينه ، واجتمع عنده بفضل الله من الاسفار ، مالم يجتمع عند أحد فى هذه الاعصار ، فشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد ، وشرعت فى شرحها على وفق المنى والمراد ، فجاء بحمد الله حائزا المفاخر والمحامد ، فائقا على جميع شروح الشواهد ، فهو جدير بأن يسمى :

(خزانة الادب ، ولب لباب لسان العرب)

وقد عرضت فيه بضاعتى للامتحان ، وعنده يكرم المرء أو يهان

---

(١) الوكد — بالضم — السعى والجهد

على أننى راض بان أحمل الهوى ... وأخلص منـه لا على ولاليا

وقد جعلته هدية لسدة هى مقبل شفاه الأقيال، ومخيم سرادق المجـد والاقبال، حضرة سيد ملوك بنى آدم، وواسطة عقد سلاطين العالم، ملك ألبس الدنيا خلع الجمال والكمال، وأدى لاهلها دائر الامانى والآمال، حامى بيضة الاسلام، بالصارم الصمصام، وناشر أعلام الشريعة الغراء، والملة الحنيفية البيضاء، ومرغم أنوف الفراعين، ومعفر تيجان الخواقين، خليفة رب السموات والارضين، ظل الله على العـالمين، وقطب الخلافة فى الدنيـا والدين، خادم الحرمين الشريفين، وسلطان المشرقين، الغازى فى سبيل الله، والمجاهد لاعلاء كلمة الله، الاوهو السلطان بن السلطان، السلطان الغازى (محمد خان) ابن السلطان ابراهيم خان، نخبة آل عثمان، خـلد الله ظلال خلافته السابغة الوارفة، وأفاض على العالمين سجال رأفته المترادفة، ويسر له النصر المتين، وسهل له الفتح المبين، بجاه حبيبه ورسوله محمد الامين، آمين:

(وههنا) مقدمة تشتمل على أمور ثلاثة ينبغى ذكرها أمام الشروع فى المقصود. فنقول بعون الله المعبود:

الأمر الأول

فى الكلام الذى يصح الاستشهاد به فى اللغة والنحو والصرف

قال الاندلسى فى شرح بديعية رفيقه ابن جابر: علوم الادب ستة، اللغة، والصرف، والنحو، والمعانى، والبيان، والبديع، والثلاثة الأول لا يستشهد عليها الا بـكلام العرب دون الثلاثة الاخيرة، فانه يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولدين لأنها راجعة إلى المعانى، ولا فرق فى ذلك بين العرب وغيرهم، اذ هو أمر راجع الى العقل، ولذلك قبل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحترى وأبى تمـام وأبى الطيب وهلم جرا: اه

وأقول الكلام الذى يستشهد به نوعان: شعر، وغيره

فقائل الاول قد قسمه العلماء على طبقات أربع

(الطبقة الاولى): الشعراء الجاهليون وهم قبل الاسلام كامرىء القيس والاعشى

(الثانية) المخضرمون وهم الذين أدركوا الجاهلية والاسلام كلبيد وحسان

(الثالثة) المتقدمون ـ ويقال لهم الاسلاميون ـ وهم الذين كانوا فى صدر الاسلام كجرير والفرزدق

(الرابعة) المولدون ـ ويقال لهم المحدثون ـ وهم من بعدهم الى زماننا كبشار ابن برد وابى نواس

فالطبقتان الاوليان يستشهد بشعرهما اجماعا

وأما الثالثة فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها ، وقد كان أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبى اسحق والحسن البصرى وعبد الله بن شبرمة يلحنون الفرزدق والكميت وذا الرمة وأضرابهم ، كما سيأتى النقل عنهم فى هذا الشرح ان شاء الله فى عدة أبيات أخذت عليهم ظاهرا ، وكانوا يعدونهم من المولدين لأنهم كانوا فى عصرهم والمعاصرة حجاب ، قال ابن رشيق فى العمدة : كل قديم من الشعراء محدث فى زمانه بالاضافة الى من كان قبله ، وكان أبو عمرو يقول لقد حسن هذا المولد حتى لقد هممت أن آمر صبياننا برواية شعره ، يعنى بذلك شعر جرير والفرزدق ، فجعله مولدا بالاضافة الى شعر الجاهلية والمخضرمين . وكان لايعد الشعر الا ما كان للمتقدمين ، قال الاصمعى : جلست اليه عشر (١) حجج فما سمعته يحتج ببيت اسلامى (٢)

وأما الرابعة فالصحيح انه لايستشهد بكلامها مطلقا ، وقيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم ، واختاره الزمخشرى ، وتبعه الشارح المحقق فانه استشهد بشعر أبى تمام فى عدة مواضع من هذا الشرح ، واستشهد الزمخشري أيضا فى تفسير أوائل البقرة من الكشاف ببيت من شعره ، وقال : وهو وان كان محدثا لايستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية فأجعل مايقوله بمنزلة مايرويه ألاترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه اه واعترض عليه بأن قبول الرواية مبنى على الضبط والوثوق ، واعتبار القول مبنى على معرفة اوضاع اللغة العربية والاحاطة بقوانينها ، ومن البين أن اتقان الرواية يستلزم اتقان الدراية ، وفى الكشف : أن القول دراية خاصة فهى كنقل الحديث بالمعنى ،

(١) فى العمدة لابن رشيق : ثمانى حجج

(٢) الى هنا كلام صاحب العمدة ج ١ ص ٥٧ طبع مصر سنة ١٩٠٧

وقال المحقق التفتازانى — فى القول بأنه بمنزلة نقل الحديث بالمعنى — ليس بسديد بل هو بعمل الراوى أشبه ، وهو لايوجب السماع إلا من كان من علماء العربية الموثوق بهم ، فالظاهر أنه لايخالف مقتضاها ، فان استؤنس به ولم يجعل دليلا لم يرد عليه ماذكر ولاماقيل من أنه لوفتح هذا الباب لزم الاستدلال بكل ماوقع فى كلام علماء المحدثين كالحريرى وأضرابه والحجة فيما رووه لافيما رأوه . وقد خطؤا المتنبي وأباتمام والبحتري فى أشياء كثيرة كما هو مسطور فى شروح تلك الدواوين . وفى الاقتراح للجلال السيوطى : أجمعوا على أنه لايحتج بكلام المولدين والمحدثين فى اللغة والعربية ، وفى الكشاف مايقتضى تخصيص ذلك بغير أئمة اللغة ورواتها ، فانه استشهد على مسئلة بقول أبى تمام الطائى . وأول الشعراء المحدثين بشار بن برد وقد احتج سيبويه ببعض شعره تقربا اليه ، لانه كان هجاه لتركه الاحتجاج بشعره ، ذكره المرزبانى وغيره ، ونقل ثعلب عن الاصمعى أنه قال : ختم الشعر بابراهيم بن هرمة وهو آخر الحجج اهـ وكذا عد ابن رشيق فى العمدة طبقات الشعراء أربعا قال : هم جاهلى قديم ، ومخضرم ، واسلامى ، ومحدث ، قال : ثم صار المحدثون طبقات أولى وثانية على التدريج هكذا فى الهبوط الى وقتنا هذا (١) وجعل الطبقات بعضهم ستا وقال : الرابعة المولدون وهم من بعد المتقدمين كمن ذكر ، والخامسة المحدثون وهم من بعدهم كأبى تمام والبحترى ، والسادسة المتأخرون وهم من بعدهم كأبى الطيب المتنبي ، والجيد هو الاول إذ مابعد المتقدمين لايجوز الاستدلال بكلامهم فهم طبقة واحدة ولافائدة فى تقسيمهم

(وأما قائل الثانى) فهو إما ربنا تبارك وتعالى فكلامه عز اسمه أفصح كلام وأبلغه ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه كما بينه ابن جنى فى أول كتابه المحتسب وأجاد القول فيه ، وإما بعض أحد الطبقات الثلاث الاول من طبقات الشعراء التي قدمناها

وأما الاستدلال بحديث النبي صلى الله عليه وسلم فقد جوزه ابن مالك ، وتبعه الشارح المحقق فى ذلك ؛ وزاد عليه بالاحتجاج بكلام أهل البيت رضى الله عنهم . وقد منعه ابن الضائع وأبو حيان وسندهما أمران : أحدهما أن الاحاديث لم تنقل كما سمعت

(١) العمدة ص ٧٢

من النبي صلى الله عليه وسلم وإنما رويت بالمعني ، وثانيهما أن أئمة النحو المتقدمين من المصرين (١) لم يحتجوا بشئ منه

ورد الاول — على تقدير تسليمه — بان النقل بالمعنى انما كان فى الصدر الاول قبل تدوينه فى الكتب وقبل فساد اللغة وغايته تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج ، به فلا فرق . على أن اليقين غير شرط بل الظن كاف

ورد الثانى بأنه لايلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال به ، والصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحوى فى ضبط ألفاظه . ويلحق به ماروى عن الصحابة وأهل البيت كما صنع الشارح المحقق

وان شئت تفصيل ماقيل فى المنع والجواز فاستمع لما ألقيه باطناب دون ايجاز :

قال أبو الحسن بن الضائع فى شرح الجمل : تجويز الرواية بالمعني هو السبب عندى فى ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على اثبات اللغة بالحديث واعتمدوا فى ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى فى الحديث لكان الاولى فى اثبات فصيح اللغة كلام النبي صلى الله عليه وسلم لانه أفصح العرب . قال : وابن خروف يستشهد بالحديث كثيرا . فان كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمروى فحسن : وان كان يرى أن من قبله أغفل شيئا وجب عليه استدراكه فليس كما رأى . اه

وقال أبو حيان فى شرح التسهيل : قد أكثر المصنف من الاستدلال بما وقع فى الاحاديث على اثبات القواعد الكلية فى لسان العرب . وما رأيت أحدا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره . على أن الواضعين الاولين لعلم النحو المستقرئين للاحكام من لسان العرب كأبى عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر . والخليل وسيبويه . من أئمة البصريين؛ والكسائى . والفراء وعلى ابن المبارك الاحمر ، وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الاقاليم كنحاة بغداد وأهل الاندلس . وقد جرى الكلام فى ذلك مع بعض المتأخرين الاذكياء فقال : انما ذكر العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك

(١) المصران : هما البصرة والكوفة

لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم اذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم فى اثبات القواعد الكلية وانما كان كذلك لامرين: أحدهما أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى فتجد قصة واحدة قد جرت فى زمانه صلى الله عليه وسلم لم يقل بتلك الالفاظ جميعها نحو ماروى من قوله: «زوجتكها بما معك من القرآن، ملكتها بما معك من القرآن، خذها بما معك من القرآن» وغير ذلك من الالفاظ الواردة. فتعلم يقينا أنه صلى الله عليه وسلم لم يلفظ بجميع هذه الالفاظ بل لا يجزم بانه قال بعضها، إذ يحتمل انه قال لفظا مرادفا لهذه الالفاظ، فأتت الرواة بالمرادف ولم تأت بلفظه اذ المعنى هو المطلوب ولاسيما تقادم السماع وعدم ضبطها بالكتابة والاتكال على الحفظ والضابط منهم من ضبط المعنى وأما من ضبط اللفظ فبعيد جدا لا سيما فى الاحاديث الطوال، وقد قال سفيان الثورى: ان قلت لكم انى احدثكم كما سمعت فلا تصدقونى، انما هو المعنى، ومن نظر فى الحديث أدنى نظر علم العلم اليقين انهم يروون بالمعنى، الامر الثانى أنه وقع اللحن كثيرا فيما روى من الحديث لان كثيرا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ويتعلمون لسان العرب بصناعة النحو فوقع اللحن فى كلامهم وهم لا يعلمون ودخل فى كلامهم وروايتهم غير الفصيح من لسان العرب، ونعلم قطعا من غير شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح فلم يكن يتكلم الا بأفصح اللغات وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها واذا تكلم بلغة غير لغته فانما يتكلم بذلك مع أهل تلك اللغة على طريق الاعجاز وتعليم ذلك له من غير معلم والمصنف قد أكثر من الاستدلال بما ورد فى الاثر متعقبا — بزعمه — على النحويين وما أمعن النظر فى ذلك ولا صحب من له التمييز، وقد قال لنا بدر الدين بن جماعة وكان ممن أخذ عن ابن مالك —: قلت له ياسيدى هذا الحديث رواية الاعاجم ووقع فيه من روايتهم مانعلم انه ليس من لفظ الرسول، فلم يجب بشىء، قال أبو حيان: وانما امعنت الكلام فى هذه المسئلة لئلا يقول مبتدىء: مابال النحويين يستدلون بقول العرب وفيهم المسلم والكافر ولا يستدلون بما روى فى الحديث بنقل العدول كالبخارى ومسلم واضرابهما؟ فمن طالع ماذكرناه أدرك السبب الذى لاجله لم تستدل النحاة بالحديث اهـ

وتوسط الشاطبى فجوز الاحتجاج بالاحاديث التى اعتنى بنقل ألفاظها، قال فى شرح الالفية: لم نجد أحدا من النحويين استشهد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم،

وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم الذين يبولون على أعقابهم ، واشعارهم التى فيها الفحش والخنى ، ويتركون الاحاديث الصحيحة لانها تنقل بالمعنى وتختلف رواياتها وألفاظها بخلاف كلام العرب وشعرهم فان رواته اعتنوا بالفاظها لما ينبنى عليه من النحو ولو وقفت على اجتهادهم قضيت منه العجب وكذا القرآن ووجوه القراءات ، وأما الحديث فعلى قسمين : قسم يعتنى ناقله بمعناه دون لفظه فهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان . وقسم عرف اعتناء ناقله بلفظه لمقصود خاص كالاحاديث التى قصد بها بيان فصاحته صلى الله عليه وسلم ككتابه لهمدان وكتابه لوائل بن حجر والامثال النبوية فهذا يصح الاستشهاد به فى العربية وابن مالك لم يفصل هذا التفصيل الضرورى الذى لابد منه وبنى الكلام على الحديث مطلقا ولا أعرف له سلفا الا ابن خروف فانه أتى باحاديث فى بعض المسائل حتى قال ابن الضائع : لا أعرف هل يأتى بها مستدلا بها أم هى لمجرد التمثيل والحق ان ابن مالك غير مصيب فى هذا فكأنه بناه على امتناع نقل الحديث بالمعنى وهو قول ضعيف اه

وقد تبعه السيوطي فى الاقتراح قال فيه : وأما كلامه صلى الله عليه وسلم فيستدل منه بما أثبت انه قاله على اللفظ المروى وذلك نادر جداً انما يوجد فى الاحاديث القصار على قلة أيضا فان غالب الاحاديث مروي بالمعنى وقد تداولتها الاعاجم والمولدون قبل تدوينها فرووها بما أدت اليه عباراتهم فزادوا ونقصوا وقدموا وأخروا وأبدلوا الفاظا بألفاظ ، ولهذا تري الحديث الواحد مرويا على أوجه شتى بعبارات مختلفة . ومن ثم أنكر على ابن مالك اثباته القواعد النحوية بالالفاظ الواردة فى الحديث، ثم نقل كلام ابن الضائع وأبى حيان وقال : ومما يدل على صحة ماذهبا اليه أن ابن مالك استشهد على لغة أكلونى البراغيث بحديث الصحيحين « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » وأكثر من ذلك حتى صار يسميها لغة يتعاقبون وقد استشهد به السهيلي ثم قال : لكنى أنا أقول : إن الواو فيه علامة إضمار لانه حديث مختصر رواه البزار مطولا فقال فيه: «إن لله تعالى ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » وقال ابن الانبارى فى الانصاف — فى منع أن فى خبر كاد — : وأما حديث « كاد الفقر أن يكون كفرا » فانه من تعبير الرواة لانه صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد اه

وقد رد هذا المنهب الذى ذهبوا اليه البدر الدمامينى فى شرح التسهيل ولله

دره فانه قد أجاد فى الرد قال : قد أكثر المصنف من الاستدلال بالاحاديث النبوية وشنع أبو حيان عليه ، وقال : إن ماالستند اليه من ذلك لايتم له لتطرق احتمال الرواية بالمعنى فلا يوثق بأن ذلك المحتج به لفظه عليه الصلاة والسلام حتى تقوم به الحجة وقد أجريت ذلك لبعض مشايخنا فصوب رأى ابن مالك فيما فعله بناء على أن اليقين ليس بمطلوب فى هذا الباب وانما المطلوب غلبة الظن الذى هو مناط الأحكام الشرعية وكذا مايتوقف عليه من نقل مفردات الالفاظ وقوانين الأعراب فالظن فى ذلك كله كاف ولا يخفي انه يغلب على الظن ان ذلك المنقول المحتج به لم يبدل لان الأصل عدم التبديل لاسيما والتشديد فى الضبط والتحرى فى نقل الأحاديث شائع بين النقلة والمحدثين ومن يقول منهم بجواز النقل بالمعنى فانما هو عنده بمعنى التجويز العقلى الذى لاينافى وقوع نقيضه فلذلك تراهم يتحرون فى الضبط ويتشددون مع قولهم بجواز النقل بالمعنى ، فيغلب على الظن من هذا كله أنها لم تبدل ويكون احتمال التبديل فيها مرجوحا فيلغى ولا يقدح فى صحة الاستدلال بها ، ثم إن الخلاف فى جواز النقل بالمعنى انما هو فيما لم يدون ولا كتب . وأما مادون وحصل فى بطون الكتب فلا يجوز تبديل ألفاظه من غير خلاف بينهم . قال ابن الصلاح — بعد أن ذكر اختلافهم فى نقل الحديث بالمعنى — : أن هذا الخلاف لانراه جاريا ولا أجراه الناس — فيما نعلم — فيما تضمنته بطون الكتب . فليس لأحد أن يغير لفظ شيء من كتاب مصنف ويثبت فيه لفظا آخر اه وتدوين الأحاديث والاخبار - بل وكثير من المرويات - وقع فى الصدر الأول قبل فساد اللغة العربية حين كان كلام أولئك المبدلين — على تقدير تبديلهم — يسوغ الاحتجاج به ، وغايته يومئذ تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به ، فلا فرق بين الجميع فى صحة الاستدلال ، ثم دون ذلك المبدل على تقدير التبديل ومنع من تغييره ونقله بالمعنى ، كما قال ابن الصلاح ، فبقى حجة فى بابه . ولا يضر توهم ذلك السابق فى شيء من استدلالهم المتأخر . والله أعلم بالصواب اه كلام الدمامينى

وعلم مما ذكرنا - من تبيين الطبقات التى يصح الاحتجاج بكلامها — : انه لايجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لايعرف قائله ، صرح بذلك ابن الانبارى فى كتاب الانصاف فى مسائل الخلاف . وعلة ذلك مخافة أن يكون ذلك الكلام مصنوعا أو لمولد أو لمن لايوثق بكلامه

ولهذا اجتهدنا فى تخريج أبيات الشرح ، وفحصنا عن قائليها حتى عزونا كل بيت الى قائله — إن أمكننا ذلك — ونسبناه إلى قبيلته أو فصيلته ، وميزنا الاسلامى عن الجاهلى والصحابى عن التابعى وهلم جرا . وضممنا الى البيت مايتوقف عليه معناه وإن كان من قطعة نادرة أو قصيدة عزيزة أوردناها كاملة وشرحنا غريبها ومشكلها وأوردنا سببها ومنشأها كل ذلك بالضبط والتقييد ليعم النفع ويؤمن التحريف والتصحيف وليوثق بالشاهد لمعرفة قائله ويدفع احتمال ضعفه ، قال ابن النحاس — فى التعليقة — أجاز الكوفيون إظهار أن بعد كى واستشهدوا بقول الشاعر :

أردت لكيما أن تطير بقربتى * فتتركها شنًّا ببيداء بلقع

قال : والجواب ان هذا البيت لا يعرف قائله ولو عرف لجاز أن يكون ضرورة. وقال أيضاً : ذهب الكوفيون إلى جواز دخول اللام فى خبر لكن واحتجوا بقوله :

* ولكننى من حبها لعميد *

والجواب أن هذا البيت لايعرف قائله ، ولا أوله ، ولم يذكر منه إلا هذا ، ولم ينشده أحد ممن وثق فى اللغة ، ولا عزى إلى مشهور بالضبط والاتقان اه

ويؤخذ من هذا أن الشاهد المجهول قائله وتتمته إن صدر من ثقة يعتمد عليه قبل ، وإلا فلا ، ولهذا كانت أبيات سيبويه أصح الشواهد : اعتمد عليها خلف بعد سلف مع أن فيها أبياتاً عديدة جهل قائلوها ، وماعيب بها ناقلوها ، وقد خرج كتابه إلى الناس والعلماء كثير والعناية بالعلم وتهذيبه وكيدة ونظر فيه وفتش فما طعن أحد من المتقدمين عليه ولا ادعى انه أتى بشعر منكر ، وقد روى فى كتابه قطعة من اللغة غريبة لم يدرك أهل اللغة معرفة جميع مافيها ولاردوا حرفا منها ، قال الجرمى : نظرت فى كتاب سيبويه فاذا فيه ألف وخمسون بيتاً فأما الألف فقد عرفت أسماء قائليها فأثبتها ، وأما الخمسون فلم أعرف أسماء قائليها ، فاعترف بعجزه ولم يطعن عليه بشىء ، وقد روى هذا الكلام لابى عثمان المازنى أيضا ، ولكون أبياته أصح الشواهد التزمنا فى هذا الشرح أن ننص على ماوجد فيه منها بيتاً بيتاً ، ونميزها عن غيرها ليرتفع شأنها ويظهر رجحانها ، وربما روى البيت الواحد من أبياته أو غيرها على أوجه مختلفة ربما لايكون موضع الشاهد فى بعضها أو جميعها ، ولا ضير فى ذلك لان العرب كان بعضهم ينشد شعره للآخر فيرويه على مقتضى لغته التى فطره الله عليها ، وبسببه

تكثر الروايات فى بعض الأبيات . فلا يوجب ذلك قدحا فيه ولاغضاً منه ، فاذا وقع فى هذا الشرح من ذلك شيء نبهنا عليه . والتزمنا فى شرح هذه الشواهد عدها واحداً بعد واحد ليسهل موضع الحوالة فيه ويزول التعب عن متعاطيه.

(الأمر الثانى)

فى ذكر المواد التى اعتمدنا عليها وانتقينا منها

وهى ضروب وأجناس

(فمنها) ما يرجع الى علم النحو وهو : كتاب سيبويه والاصول لابن السراج . ومعانى القرآن للفراء . ومعانى القرآن للزجاج . وتأليف أبى على الفارسى : كالتذكرة القصرية . والمسائل البغدادية ، والمسائل العسكرية ، والمسائل البصرية . والمسائل المنثورة ونقض الهاذور على ابن خالويه ؛ وكتاب الشعر . وتأليف تلميذه ابن جنى : كالخصائص . والمحتسب . وشرح تصريف المازنى ، وسر الصناعة ، واعراب الحماسة ، والمبهج فى شرح أسمائها . وشرح ديوان المتنبى . والانصاف فى مسائل الخلاف لابن الانبارى وتذكرة أبى حيان وارتشاف الضرب له أيضا والضرائر الشعرية لابن عصفور والامالى لابن الحاجب . والامالى لابن الشجرى وشروح الكافية وشروح التسهيل ومغنى اللبيب وشروحه . وغير ذلك من المتداول.

(ومنها) مايرجع الى شروح الشواهد وهو : شرح أبيات الكتاب لابى جعفر النحاس ، وللأعلم الشنتمرى ، ولابن خلف ، ولأبى محمد الاعرابى المسمى فرحة الأديب . وشرح أبيات الجمل لابن السيد البطليوسى ، ولابن هشام اللخمى ولغيرهما ، وشرح أبيات المفصل لابن المستوفى الاربلى ، ولبعض علماء العجم المسمى بالتخمير ، وشرح أبيات شروح ألفية ابن مالك للعينى وشرح أبيات ابن الناظم لابن هشام الأنصارى ولم يكمل ، وشرح أبيات الكشاف للحموى ، وشرح أبيات التفسيرين لخضر الموصلى . وشرح أبيات الايضاح والمفتاح فى علم المعانى ، وشرح أبيات التلخيص للعباسى ، وشرح أبيات اصلاح المنطق ليوسف بن السيرافى ، وشرح أبيات الغريب المصنف

له أيضا ، وشرح أبيات أدب الكاتب للجواليقي ولابن السيد البطليوسي وللبلى(١) وشرح أبيات الآداب المسمى بالعباب وغير ذلك

(ومنها) مايرجع الى تفسير أبيات المعانى المشكلة وهو : أبيات المعانى للاخفش الجاشعي ، وأبيات المعانى للاشناندانى بخط ابن جنى وعليها اجازة أبى على له . وأبيات المعانى لابن السكيت . وأبيات المعانى لابن قتيبة فى مجلدين ضخمين . و أبيات المعانى لابن السيد البطليوسي وغير ذلك

(ومنها) مايرجع الى دفاتر أشعار العرب ، وهو قسمان : دواوين ، ومجاميع (فالاول) ديوان امرىء القيس الكندى . وديوان أعشى ميمون . وديوان علقمة الفحل ، وديوان ابن حلزة . وديوان أبى دواد الأيادى ، وديوان طرفة بن العبد ، وديوان عمرو بن قميئة، وديوان طفيل الغنوى، وديوان عامر بن الطفيل، وديوان بشر ابن أبى خازم . وديوان أوس بن حجر . وديوان أعشى باهلة . وديوان عوف بن عطية ابن الخرع، وديوان مطير بن الاشيم، وديوان الحادرة . وديوان المثقب العبدى، وديوان لقيط بن يعمر الايادى، وديوان نابغة بنى شيبان، وديوان النابغة الذبيانى، وديوان زهير ابن أبى سلمى . وديوان أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم

(ومن شعر الصحابة) ديوان حسان بن ثابت . وديوان لبيد بن ربيعة العامرى . وديوان كعب بن زهير ؛ وديوان حميد بن ثور ، وديوان أبى محجن الثقفى، وديوان النمر بن تولب . وديوان عمرو بن معديكرب ؛ وديوان خفاف بن ندبة. وديوان الخنساء أخت صخر وغير ذلك

(ومن شعر الاسلاميين) ديوان رافع بن هريم اليربوعى، وديوان القطامى، وديوان جران العود . وديوان محمد بشير الخارجي ، وديوان ابن همام السلولى، وديوان الشماخ ،

---

(١) كتب بهامش النسخة المطبوعة فى بولاق : « بهامش الأصل لعله للنيلى اه مصححه » وهو خطأ والذى فى الأصل صحيح وهو نسبة الى لبلة ــ بفتح أوله ثم السكون ولام أخرى ــ وهى قصبة كورة بالاندلس كبيرة يتصل عملها بعمل أكشونية وهى شرق أكشونية وغربى قرطبة بينها وبين قرطبة على طريق أشبيلية أربعة وأربعون فرسخا ذكره ياقوت فى معجم البلدان (ج ٧ ص ٣١٩ طبع مصر سنة ١٩٠٦ م)

وديوان عدى بن الرقاع ، وديوان عروة بن حزام العذرى ، وديوان عبيدالله الهذلى، وديوان أبى دهبل الجمحى ، وديوان الحطيئة ، وديوان عمرو بن الاهتم المنقرى، وديوان ابن قيس الرقيات ، وديوان الفرزدق ، وديوان جرير ، وديوان الاخطل النصرانى وديوان ذى الرمة ، وديوان جميل العذرى ، وديوان المغيرة بن حبناء ، وديوان رجز رؤبة بن العجاج وديوان رجز الزفيان السعدى، وديوان رجز أبى الاخزر الحمانى، وغير ذلك

(ومن ديوان المولدين والمحدثين) ديوان مسلم بن الوليد . وديوان ابن الوكيع، وديوان العباس بن الاحنف ، وديوان على بن جبلة الطوسى ، وديوان أبى نواس ، وديوان بن المعتز . وديوان ابن الرومى ، وديوان أبى تمام الطائى . وديوان البحترى ، وديوان الشريف المرتضى (١) وديوان المتنبى ،وديوان أبى فراس الحمدانى ،وغير ذلك

(والمجاميع) منها أشعار بنى محارب للشيبانى ، والمفضليات للمفضل الضبى ، واشعار الهذليين للسكرى ، وشرحها له وللامام المرزوقى ، واشعار لصوص العرب للسكرى أيضا ، والنقائض لابى حبيب ، ومختار شعر الشعراء الست : امرىء القيس، والنابغة ، وعلقمة وزهير ، وطرفة ، وعنترة ، وشرحها للاعلم الشنتمرى ، واشعار تغلب لابى عمرو الشيبانى ومختار شعراء القبائل لابى تمام ، والحماسة أيضا ،وشرحها للنمرى ، وأبى محمد الاعرابى ، وللامام المرزوقى ، وللخطيب التبريزى ولابى الفضل الطبرسى ، والحماسة البصرية ، وحماسة الشريف الحسينى ، وحماسة الاعلم الشنتمرى ، وأشعار النساء للمرزبانى ، وشروح المعلقات لابن النحاس ، وللزوزنى ، وللخطيب التبريزى ، وجمهرة اشعار العرب ، ومنتهى الطلب من أشعار العرب ، فيه أكثر من ألف قصيدة ، واليتيمة للثعالبى ، وكتاب المغربين ، وكتاب النساء الفوارك وكتاب النساء النواشز ، والثلاثة للمدائنى ، والمجتبى لابن حديد ، وشروح لامية العرب : للخطيب التبريزى ، وللزمخشرى ، ولغيرهما، وشرح بانت سعاد لابن الانبارى، ولأبى العباس الاحول ولابن خالويه ، ولابن هشام الانصاري ، ولابن كتيلة البغدادى ، وشرح البردة للمرزوقى (٢) وغير ذلك

---

(١) المعروف لنا ديوان الشريف الرضى وهو أخو المرتضى

(٢) لعله لابن مرزوق فان المرزوقى أسبق من صاحب البردة

(ومن المجاميع)النوادر والامالى أما النوادر فهى : نوادر أبى زيد الانصارى ، وشرحها لابى الحسن الاخفش ، ولغيره ، ونوادر ابن الاعرابى ، وشرحها لابى محمد الاعرابى ، ونوادر أبى على القالى ، وشرحها لابى عبيد البكرى ، وأما الامالى فهى: أمالى ثعلب ، وأمالى الزجاجى الصغرى ، والكبرى ، وأمالى أبى على القالى وشرحها لابى عبيد البكرى ، وذيل أمالى القالى للقالى أيضا ، وصلة ذيل الامالى له أيضا، وأمالى الصولى وأمالى السيد المرتضى المسماة بالغرر والدرر فى مجلدين ضخمين، وأمالى شيخنا الشهاب الخفاجى

(ومنها) ما يرجع الى فن الادب وهى :البيان(والتبيين) للجاحظ، والمحاسن والاضداد له أيضا ، وكتاب الشعر والشعراء له أيضا، والكامل للمبرد، وشرحه لابن السيد البطليوسى ولابى الوليد الوقشى ، ولغيرهما ، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وزهر الآداب للحصرى وجواهر النكت والملح له أيضاً ، وديوان المعانى لابى هلال العسكرى ؛ والاغانى للاصفهانى فى عشرين مجلداً : والعمدة لابن رشيق فى مجلدين ، والمثل السائر لابن الاثير ، وتحرير التحبير لابن أبى الاصبع ؛ ومساوى الخمر لابن الحباب السعدى ، والاوائل لابن هبة الله الموصلى فى مجلدين ، ومدرج البلاغة لابن فضالة المجاشعى ، ونقد الشعراء لقدامة الكاتب ، وشرحه لعبد اللطيف البغدادى ، وسفر السعادة للسخاوى

(ومنها) مايرجع الى كتب السير وكتب الصحابة وانساب العرب وهو : سيرة ابن هشام ، وشرحه الروض الأنف للسهيلى ، وسيرة الكلاعى ؛ وسيرة ابن سيد الناس ؛ وسيرة الشامى ، والاستيعاب لابن عبد البر ، والاصابة لابن حجر ، وجمهرة الانساب لابن الكلبى ، ومختصرها لياقوت الحموى ، وانساب قريش للزبير بن بكار ، ومقدمة الاستيعاب لابن عبد البر ، والمعارف لابن قتيبة ، وتنكيس الاصنام لابن الكلبى

(ومنها) مايرجع الى طبقات الشعراء وغيرهم وهو :كتاب الشعراء لابن قتيبة ؛ والمؤتلف والمختلف للآمدى ، والموشح لابى عبد الله المرزبانى ، وكتاب المعمرين لابى حاتم السجستانى ، وكتاب المقتولين غيلة لابن حبيب ، وكتاب من نسب الى امه من الشعراء له أيضا ، وكتاب المنسوبين الى أمهاتهم للحلوانى بخطه ، وطبقات النحويين للتاريخى ، وطبقاتهم أيضا لابى عبدالله اليمنى ، ومعجم الادباء لياقوت الحموى فى عدة مجلدات

(ومنها) مايرجع الى كتب اللغة وهو : الجمهرة لابن دريد ، والصحاح للجوهرى ،

و العباب للصاغانى ؛ والقاموس لمجد الدين ، واليواقيت لابى عمرو المطرزى ، وكتاب ليس لابن خالويه ، والنهاية لابن الاثير؛ والزاهر لابن الانبارى والمصباح لخطيب الدهشة ، والتقريب فى علم الغريب لولده ، وكتاب النبات فى مجلدات كبار ستة لأبى حنيفة الدينورى ، واصلاح المنطق لابن السكيت ، وشرحه للبلى ؛ ومختصره للخطيب التبريزى ، وكتاب الالفاظ لابن السكيت ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وشرحه للجواليقى ولابن السيد البطليوسى ، وللزجاجى ، وللبلى ، ولابن برى ، والفصيح لثعلب ، وشروحه لابن درستويه ، وللهروى ؛ وللمرزوقى ، وللبلى ، ولابن هشام اللخمى ، ولغيرهم ، وذيل الفصيح لعبد اللطيف البغدادى ، وكتاب الاضداد لابن السكيت ، ولعبد الواحد اللغوى ، ولغيره ، وكتاب الفروق لابى هلال العسكرى ، وكتاب البيضة والدرع لابى عبيدة ، وخلق الانسان للزجاج ، والمعربات للجواليقى ، والمثلثات لابن السيد البطليوسى ، وكتاب التفسح فى اللغة لأبى الحسين النحوى ، والمرصع لابن الاثير ، والمزهر للجلال السيوطى ، وكتاب القلب والادغام لابن السكيت ، وكتاب المذكر والمؤنث له أيضا ، ولغيره ، وكتاب الايام والليالى للفراء ، وكتاب اليوم والليلة والشهر والسنة والدهر لابى عمرو المطرزى ، وكتاب الأنواء وأسماء الشهور للزجاج ، والانواء لابى العلاء المعرى ، وغيره ، والمقصور والممدود لابن الانبارى ، وللقالى ، ولابن ولاد ، ولغيرهم ، وغير ذلك

(ومنها) مايتعلق باغلاط اللغوين وهو : التنبيهات على اغلاط الرواة لعلى بن حمزة البصرى ، وفيه اغلاط نوادر أبى زياد الكلابى ، واغلاط نوادر أبى عمرو الشيبانى ، واغلاط النبات لأبى حنيفة الدينورى ، واغلاط الغريب المصنف لأبى عبيد ، واغلاط إصلاح المنطق لابن السكيت ، واغلاط الجمهرة لابن دريد ، واغلاط المجاز لأبى عبيد ، واغلاط الفصيح لثعلب ، واغلاط الكامل للمبرد ، وغير ذلك ، وكتاب التصحيف للحسن العسكرى ، وكتاب التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الاصفهانى ، ولحن العامة للجواليقى ، ولابى بكر الزبيدى ، وحاشية ابن برى على صحاح الجوهرى ، وأغلاط الجوهرى للصلاح الصفدى ، ودرة الغواص للحريرى ، وشرحها لابن برى ، ولابن الحنبلى ، ولشيخنا الشهاب الخفاجى

(ومنها) كتب الامثال وهي : أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام ؛ وشرحها التلميذه وأمثال أبي فيد مؤرج السدوسى ، والفاخر للمفضل الضبي ، والامثال التى على أفعل لحزة الاصفهانى ، ومجمع الامثال للميدانى ، ومستقصى الامثال للزمخشرى ، وغير ذلك

(ومنها) كتب الاماكن والبلاد وهى : المعجم فيما استعجم لابى عبيد البكرى فى ثلاث مجلدات كبار ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى فى عشر مجلدات كبار وغير ذلك مما لو سردته لطال وأورث السأم والملال

(الامر الثالث)

يتعلق بترجمة الشارح المحقق والحبر المدقق

رحمه الله و تجاوز عنه

ولم أطلع على ترجمة له وافية بالمراد ، وقد رأيت فى آخر نسخة قديمة من هذا الشرح ما نصه : هو المولى الامام العالم العلامة ملك العلماء : صدر الفضلاء ، مفتى الطوائف ، الفقيه المعظم ، نجم الملة والدين محمد بن الحسن الأستراباذى (١) وقد أملى هذا الشرح بالحضرة الشريفة الغروية فى ربيع الآخر من سنة ثمان وثمانين وستمائة ، هذا صورة ما رأيته ، وهذا التاريخ غير موافق لما أرخه هو فى آخر شرحه قبل أحكام هاء السكت ، قال فيه : هذا آخر شرح المقدمة ، والحمد لله على انعامه وافضاله ، بتوفيق إكماله ، وصلواته على محمد وكرام آله ، وقد تم تمامه ، وختم اختتامه ، فى الحضرة المقدسة الغروية على مشرفها أفضل تحية رب العزة وسلامه ، فى شوال سنة ست وثمانين وستمائة

وقد أورده الجلال السيوطى فى معجم النحويين ولم يعرف اسمه ، قال : الرضى الامام المشهور صاحب شرح الكافية لابن الحاجب الذى لم يؤلف عليها — بل ولا فى غالب كتب النحو — مثله جمعاً وتحقيقا وحسن تعليل وقد أكب الناس عليه ، وتداولوه واعتمده شيوخ العصر فمن قبلهم فى مصنفاتهم ودروسهم ، وله فيه ابحاث كثيرة واختيارات

(١) نسبة ألى أستراباذ - بفتح الهمزة وسكون السين وفتح التاء بعدها راء مهملة - وهى بلدة كبيرة مشهورة أخرجت خلقا كثيرا من أهل العلم فى كل فن وهى من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان أنظر ياقوت (ج ١ ص ٢٢٤)

جمة ومذاهب ينفرد بها ، ولقبه نجم الأئمة ولم أقف على اسمه ولا على شيء من ترجمته إلا أنه فرغ من تأليفه هذا الشرح سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، وأخبرني صاحبنا شمس الدين بن عزم - بمكة - أن وفاته سنة أربع وثمانين أو ست وستمائة ، الشك مني ، وله شرح على الشافية ، هذا ماذكره السيوطي والتاريخان غير موافقين لما ذكرناه

وقد ذكر البقاعي في مناسبات القرآن تاريخ هذا الشرح كما نقلنا قال : هو محمد بن الحسن الأستراباذي العلامة نجم الدين ، وتمم شرح الكافية في سنة ست وثمانين وستمائة ، ولم ينقل الشرح من العجم الى الديار المصرية إلا بعد أبي حيان وابن هشام اه

وعلى هذا لايمكن أن يكون تاريخ وفاته ماذكره السيوطي فانه عاش مدة يحرر شرحه ولهذا تختلف نسخه اختلافا كثيرا ، كما نقله السيد الجرجاني في إجازته الآتية ، وشرحه للشافية متأخر عن شرحه للكافية فلا يصح ذلك التاريخ ، وعصره قريب من عصر ابن الحاجب ، فان وفاة ابن الحاجب كانت في سنة ست وأربعين وستمائة

وقد رأيت أن أكتب هنا صورة إجازة الشريف الجرجاني لمن قرأ عليه هذا الشرح فانه بالغ في تقريظه وأطرى ، ومدح الشارح بما هو اللائق والاحرى :
(وهي هذه) :

أحمده على جزيل نواله ، وأصلي على نبيه محمد وصحبه وآله (وبعد) فان صناعة الاعراب لايخفى شأنها ، في رفعة مكانها ، تجرى من علوم الادب مجرى الاساس وتتنزل منها منزلة البرهان من القياس ، وبها يتم ارتشاف الضرب ، من تراكيب كلام العرب ، بل هي مرقاة منصوبة الى علم البيان ، المطلع على نكت نظم القرآن ، وان شرح الكافية للعالم الكامل نجم الأئمة ، وفاضل الامة ، محمد بن الحسن الرضى الاستراباذي ، تغمده الله بغفرانه ، وأسكنه بحبوحة جنانه ، كتاب جليل الخطر ، محمود الأثر ، يحتوى من أصول هذا الفن على أمهاتها ، ومن فروعه على نكاتها ، قد جمع بين الدلائل والمباني وتقريرها ، وبين تكثير المسائل والمعاني وتحريرها ، وبالغ في توضيح المناسبات ، وتوجيه المباحثات ، حتى فاق ببيانه ، على أقرانه ، وجاء كتابه هذا كعقد نظم فيه جواهر الحكم ، بزواهر الكلم ، لكن وقع فيه تغييرات ، وشيء كثير من المحو والاثبات ، وبدل بذلك صور نسخه تبديلا ، بحيث لاتجد الى سيرتها سبيلا ، وإني مع

مامنيت به من الاشغال، واختلال الحال، وانتكاس سوق الفضل و الكمال، وانقراض عصر الرجال، الذين كانوا محط الرحال، ومنبع الافضال، و مدن الاقبال، ومجمع الآمال. وتلاطم أمواج الوسواس، من غلبة أفواج الشوكة و ظهور الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس، قد بذلت وسعى فى تصحيحه، بقدر ما وفى به حسى مع تلك العوائق. ووسعه مقدرتى مع موانع العلائق، فتصحح إلا ماندر، أوطغى به القلم أو زاغ البصر، وقد قرأه على من أوله الى آخره المولى الامام والفاضل الهمام زبدة أقرانه فى زمانه وأسوة الأفاضل فى أوانه محمد حاجى ابن الشيخ المرحوم السعيد عمر بن محمد زيدت فضائله كما طابت شمائله، قراءة بحث واتقان، وكشف وايقان، وقد نقر فيها عن معضلاته، وكشف عن وجوه مخدراته. هذا وقد أجزته أن يرويه عنى مع سائر ماسمعه على من الاحاديث وفنون الادب والاصولين، راجيا منه أن لاينسانى فى خلواته، و فى دعواته، عقيب صلواته لعل الله يجمعنا فى جناته ويتغمدنا بمرضاته. إنه على مايشاء قدير، وبالاجابة جدير، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، كتبه الفقير الجانى على بن محمد الحسينى الجرجانى، وذلك بمحروسة سمرقند سنة اثنتين وثمانمائة .. وهذا آخر الاجازة

وقد حان أن نشرع فيما انتوينا وتتوجه الى ماانتحينا راجين من الله إخلاص العمل والعصمة عن الزيغ والخطل ومن هنا نقول وعلى الله القبول:

أنشد فى خواص الاسم:

(١) يقول الخنى وأَبْغَضُ العُجْمِ ناطِقاً إلى ربنا صَوْتُ الحمارِ اليُجَدَّعُ

أورده الشارح وابن هشام فى مغنى اللبيب على أن أل فى « اليجدع » اسم موصول دخل على صريح الفعل لمشابهته لاسم المفعول وهو مع ذلك شاذ قبيح لايجىء إلا فى ضرورة

وقال الاخفش: « أراد الذى يجدع كما تقول هو اليضربك تريد الذى يضربك » وقال ابن السراج فى كتاب الاصول « لما احتاج الى رفع القافية قلب الاسم فعلا وهو من أقبح ضرورات الشعر » قيل: لاضرورة فيه فانه يمكن أن يقول يجدع بدون أل لاستقامة الوزن وأن يقول المتقصع

أقول : هذا مبنى على أن معنى الضرورة عند هذا القائل ماليس للشاعر عنه مندوحة وهو فاسد كما يأتى بيانه والصحيح تفسيرها بما وقع فى الشعر دون النثر سواء كان عنه مندوحه أولا قال شارح شواهد الالفية : « ذاك مسلم فى يجدع دون المتقصع فانه يلزمه الاقواء وهو عيب » أقول : لايلزمه الاقواء فان اليربوع مرفوع والمتقصع وصفه كما يأتى بيانه

وقيل أل فيه زائدة والجملة صفة الحمار أو حال منه ، لأن أل فى الحمار جنسية وهذا لايتمشى فى أخواته

وقول الشارح المحقق : «لمشابهته لاسم المفعول» يريد أنها اذا دخلت على مضارع مبنى للمفعول إنما تدخل عليه لمشابهته لاسم المفعول نحو اليجدع واليتقصع وقول الفرزدق :

ما أنت بالْحَكَمِ التُرْضَى حُكومتُهُ ولا الأَصيل ولاذى الرَّأْى والْجَدَلِ

واذا دخلت على مضارع مبنى للفاعل إنما تدخل عليه لمشابهته لاسم الفاعل كقوله :

ولَيْسَ الْيَرَى للخل مِثْلَ الذى يرى له الخلُّ أهلاً أن يُعَدَّ خليلا

وقوله :

مَا كَالْيَرُوحُ ويَغْدُو لاهيا فَرِحاً مُشَمِّرٌ يَستَديمِ الْحَزْمَ ذو رَشَدِ

وقوله :

لاتَبْعَثَنّ الْحَرْبَ إنّى لكَ الْيُنْذِرُ مِنْ نيرانها فَاتّقِ

وقوله :

فذوالمال يؤتى ماله دون عرضه لما نابه والطارق اليتعمل

وقوله :

أحين اصطبانى ان سكت واننى لفى شغل عن دخلى اليتتبع

وقول أبي على الفارسى فى المسائل العسكرية : « إن دخول أل على الفعل المضارع لم يوجد إلا فى اليجدع واليتقصع، وأظن حرفا أو حرفين آخرين» ليس كذلك كما ذكرنا، وسكت عن دخولها على الظرف نحو :

مَنْ لاَ يَزال شاكرا على الْمَعَهْ فَهْوَ حَرٍ بعيشة ذَاتِ سَعَهْ

وقوله :

وغَيَّرَنى ماغال قَيْساً ومالكاً وعَمْراً وحُجْرا بالْمُشَقَّرِ ألمعا

يريد اللذين معاً، وقال الكسائى : أراد معاً وأل زائدة ، وعن دخولها على الجملة الاسمية نحو :

بل القوم الرسول الله فيهم هم أهل الحكومة من قصى

لأنه لايرد النقض بها وإن كانت موصولة اسمية شاذة كشذوذها مع الفعل ، والكل خاص بالشعر

قال الشاطبي فى شرح ألفية ابن مالك « وأما أل فمختصة بالاسماء ، على جميع وجوهها من كونها لتعريف العهد أو الجنس أو زائدة أو موصولة أو غير ذلك من أقسامها »

واعلم أن صريح مذهب الشارح المحقق فى الضرورة هو المذهب الثانى وهو ماوقع فى الشعر ، وهو مذهب الجمهور

وذهب ابن مالك إلى أنها ماليس للشاعر عنه مندوحة فوصل أل بالمضارع وغيره عنده جائز اختياراً لكنه قليل ، وقد صرح به فى شرح التسهيل فقال : « وعندى أن مثل هذا غير مخصوص بالضرورة لأمكان أن يقول الشاعر : صوت الحمار يجدع ، ومامن يرى للخل ، والمتقصع ، وإذ لم يفعلوا ذلك مع الاستطاعة ففى ذلك إشعار بالاختيار وعدم الاضطرار »

وماذهب اليه باطل من وجوه : أحدها إجماع النحاة على عدم اعتبار هذا المنزع وعلى إهماله فى النظر القياسى جملة ، ولوكان معتبرا لنبهوا عليه ، الثانى أن الضرورة عند النحاة ليس معناها أنه لايمكن فى الموضع غير ماذكر إذ مامن ضرورة إلا ويمكن أن يعوض من لفظها غيره ، ولاينكر هذا الاجاحد لضرورة العقل ، هذه الراء فى كلام العرب من الشياع فى الاستعمال بمكان لايجهل ، ولاتكاد تنطق بجملتين تعريان عنها ، وقدهجرها واصل بن عطاء لمكان لثغته فيها ، حتى كان يناظر الخصوم ويخطب على المنبر فلايسمع فى نطقه راء فكان إحدي الأعاجيب ، حتى صار مثلا ، ولامرية فى أن اجتناب الضرورة الشعرية أسهل من هذا بكثير ، وإذا وصل الأمر الى هذا الحد

أدى أن لاضرورة فى شعر عربى ، وذلك خلاف الاجماع ، وإنمامعنى الضرورة أن الشاعر قد لايخطر بباله إلا لفظة ماتضمنته ضرورة النطق به فى ذلك الموضع الى زيادة أونقص أوغيرذلك ، بحيث قد يتنبه غيره إلى أن يحتال فى شىء يزيل تلك الضرورة (الثالث) أنه قد يكون للمعنى عبارتان أو أكثر : واحدة يلزم فيها ضرورة إلا أنها مطابقة لمقتضى الحال ولا شك أنهم فى هذه الحال يرجعون إلى الضرورة لان اعتناءهم بالمعانى أشد من اعتنائهم بالالفاظ ، وإذا ظهر لنا فى موضع أن مالا ضرورة فيه يصلح هنالك فمن أين يعلم أنه مطابق لمقتضى الحال ؟ (الرابع) أن العرب قد تأبى الكلام القياسى لعارض زحاف فتستطيب المزاحف دون غيره أو بالعكس فتركب الضرورة لذلك

وقد بسط الرد عليه الشاطبى فى شرح الالفية وهذا أنموذج منه ثم قال: « وقد بينت هذه المسئلة بما هو أوسع من هذا فى باب الضرائر من أصول العربية »

وهذا البيت ثانى أبيات سبعة أوردها أبو زيد فى نوادره(١) لذى الخرق الطهوى وهى:

أَتَانِى كلامُ الثَّعْلَبِىِّ بْنِ دَيْسَقٍ ... ففى أىِّ هذا وَيْلَه يَتَتَرَّعُ

يقولُ الخنى، وأَبْغَضُ العُجْمِ ناطقاً ... إلى ربنا صوتُ الحمار اليُجَدَّعُ

فهلاَّ تمناها إذِ الحَرْبُ لاقِحٌ ... وذو النَّبَوَانِ قَبرُه يَتَصَدَّعُ

يَأْتِك (٢) حيًّا دارِمٍ وهما معا ... ويَأْتِك ألفٌ من طُهَيَّةَ أقْرَعُ

فيُسْتَخْرَجُ اليَربوعُ من نافِقائه ... ومن جُحْرِه بالشيحة اليَتَقَصَّعُ

ونحن أخذنا الفارسَ الخَيْرَ منكمُ ... فظَلَّ وأَعْيَاذ والقَفار يُكَرَّعُ

ونحن أخذنا، قدعلمتم، أسيرَكُمْ ... يَساراً فتَحْذى من يَسارٍ وتَنْقَعُ

---

(١) أنظر نوادر أبى زيد سعيد بن أوس بن ثابت الانصارى: ص: ٦٦: ٦٧ طبع المطبعة الكاثوليكية فى بيروت ١٨٩٤ م وتاج العروس شرح القاموس فى مادة (ج د ع)

(٢) هكذا روى هذا البيت أبو زيد ، وفيه — على هذه الرواية — الخرم ، ورواه المرتضى : فيأتك ألخ ، ولا شىء فيه من هذه الجهة ، ولكن يسأل عن مكان الفاء ومعناها ،

قوله : أتانى كلام الثعلبي ، وهو ـ بفتح المثلثة وسكون العين المهملة ، كما فى نوادر أبى زيد فى نسخة قديمة صحيحة ـ نسبة إلى ثعلب بن يربوع ، أبى قبيلة ، لا بمثناة فوقية فغين معجمة نسبة الى تغلب بن وائل ، أبى قبيلة كما ضبطه بعضهم ، فان ابن ديسق هو أبو مذعور طارق بن ديسق بن عوف بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع كذا سرد نسبه الأسود أبو محمد الأعرابى الفندجانى فى شرحه نوادر ابن الاعرابى ، وأورد له شعراً جيداً ، وديسق علم منقول قال الصاغانى فى العباب، قال الليث : الديسق خوان من فضة والطريق المستعمل و الحوض الملآن والشيخ والنور وكل حلى من فضة بيضاء صافية ووعاء من أوعيتهم مأخوذ من الدسق بفتحتين وهو امتلاء الحوض يقال : ملأت الحوض حتى دسق أى ساح ماؤه وقيل هو بياض الحوض وبريقه

وقوله يتترع . الترع بفتحتى التاء المثناة فوق و الراء، فى العباب ترع الرجل كفرح اذا اقتحم الأمور مرحا و نشاطا ، وقيل ترع سارع الى الشر والغضب ، وتترع اليه بالشر أى تسرع . وكانه توعده بالقتل والسبي والنهب وما أشبه ذلك ، يقول : الى أى هذه الأمور يسابق بشره و يلاله

وقوله يقول الخنى (البيت) .قال الجوهرى وتبعه الصاغانى : « هذا من أبيات الكتاب » و هذا لا أصل له . وقد تصفحت شواهد سيبويه فى عدة نسخ ولم أجده فيها قال الصاغانى: « لم أجد هذا البيت فى شعر ذى الخرق وقد قرأت شعره فى أشعار بنى طهية » وساق له أبياتا لم يكن هذا البيت فيها و ذكر له بيتا بدل ما قبل البيت الاخير وهو

ونحن حبسنا الدُّهْمَ وسْط بيوتكم فلم تقربوها والرماح تزعزع

والخنى بالمعجمة والنون الفحش من الكلام ، وألفه منقلبة عن ياء ولهذا كتبت بالياء يقال : كلام خن و كلمة خنية وقد خنى عليه بالكسر وأخنى عليه فى منطقه إذا أفحش وهو منصوب بالقول لتضمنه معنى الجملة كقلت قصيدة فلا حاجة لتأويل يقول بيفوه ويتكلم . وجملة يقول الخنى تفسير لقوله أتانى كلام الثعلبي ، وأبغض اسم تفضيل على غير قياس لأنه بمعنى اسم المفعول من أبغضته إبغاضا فهو مبغض أى مقته وكرهته ، ولانه من غير الثلاثى ، أو هو من بغض الشيء بالضم بغاضة بمعنى صار بغيضا فلا شذوذ ، قال السخاوى فى شرح المفصل: « قالوا هو أبغض لى من زيد وأمقت لى منه، أى يبغضنى أكثر مما

يبغضنى زيد، وقالوا إنه مردود الى بغض ومقت ، يقال بغض بغاضة اذا صار بغيضاً قال ابن برى : انما جعل شاذاً لأنه جعل من أبغض والتعجب لا يكون من أفعل إلا بأشد ، وليس كما ظن الجوهرى ، بل هو من بغض فلان إلى ، وحكى اللغويون والنحويون ما أبغضنى له ، إذا كنت أنت المبغض له ، وما أبغضنى اليه ، إذا كان هو المبغض لك» انتهى ، و إلى فى التفضيل غير ماذكر فى التعجب ، فان إلى هنا بمعنى عند ومجرورها فاعل معنى ، والعجم جمع أعجم وعجماء وهو الحيوان الذى لاينطق والأعجم — أيضا — الانسان الذى فى لسانه عجمة وان كان بدويا لشبهه بالحيوان . وناطقا فاعل من النطق قال الراغب : النطق فى التعارف الأصوات المقطعة التى يظهرها اللسان وتعيها الآذان ولا يقال للحيوانات ناطق إلا مقيدا أو على طريق التشبيه كقول الشاعر :

عجبت لها أَنّى يكون غِناؤها * فصيحا ولم تَفْغَرْ بمنطقها فما

انتهى ، وهو هنا مجاز عن الصوت من اطلاق الخاص وارادة العام ، وهو منصوب على التمييز للنسبة ، وأصله وأبغض نطق العجم أى تصويتها فلما حذف صارت نسبة البغض الى العجم مبهمة فقسرت بالتمييز ، ولابد من هذا المحذوف ليصح الاخبار ؛ أراد الشاعر تشبيه صوته — إذ يقول الخنى — فى بشاعته بصوت الحمار اذ تقطع أذناه . وصوت الحمار شنيع فى غير تلك الحال فما الظن به فيها ، وزعم جماعة ان ناطقا حال ، ثم اختلفوا فقال بعضهم : هو حال من العجم ويرد عليه أنه مفرد وصاحب الحال جمع ، ومن صححه — بانابة المفرد مناب الجمع أو أن ناطقا بمعنى ذات نطق — فقد تكلف ، وقال بعضهم هو حال من أبغض ، ويرد عليه أن الأصح أن المبتدأ لا يتقيد بالحال ، وجوز هذا القائل أن يكون حالا من ضمير يقول مع اعترافه بأنه يلزم الفصل بين المبتدأ والخبر بالأجنبى ، وذهب بعضهم إلى أنه حال من ضمير أبغض ، وهذا سهو إذ ليس فيه ضمير ولو كان خبرا لتحمله

وقوله «إلى ربنا» متعلق بأبغض ، وروى ابن جنى فى سر الصناعة « الى ربه » فالضمير يرجع إلى ابن ديسق

وقوله «اليجدع» قال الصغانى « الجدع — بالدال المهملة — قطع الانف وقطع الاذن وقطع اليد وقطع الشفة وجدعته أى سجنته وحبسته ، ثم قال : وحمار مجدع مقطوع

الأذنين ، وأنشد هذا البيت عن نوادر أبي زيد ، وزعم شارح مغنى اللبيب — وهو الحق — أنه من جدعت الحمار سجنته ، قال : لان الحمار اذا حبس كثر تصويته ، واذا جعل من الجدع الذى هو قطع الاذن لم يظهر له معنى ، قال السيوطى : وليس كما قال ، لأن صوت الحمار حالة تقطيع أذنه أكثر وأقبح ، وكأنه ظن أن المراد صوته بعد التجديع ، وليس كذلك ، بل المراد وقت التجديع ، هذا كلامه وفيه نظر ، فانه قيل لا يصوت عند قطع أذنه أصلا ، وقيل أن الحمار اذا كان مقطوع الاذن يكون صوته أرفع ، وانما كان صوت الحمار مستكرها لأن أوله زفير وآخره شهيق ، وهذه حالة تنفر منها الطباع ، وقد ورد تمثيل الصوت المرتفع بصوت الحمار فى القرآن قال تعالى فى وصية لقمان لابنه — : « واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » أى أوحش الأصوات وأقبحها ، قال القاضى : وفى تمثيل الصوت المرتفع به ثم إخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة ، وقال معين الدين الصفوى : شبه الرافعين صوتهم بالحمير — من غير أداة التشبيه — مبالغة فى التنفير ، ولما كان صوته لايكاد يختلف وأصوات سائر الحيوانات مختلفة جدا أفرد وجمعت والحمير بمنزلة أسماء الاجناس على الأصح والظاهر أن أنكر الأصوات الخ كلام لقمان ، وقيل هذا من كلام الله ، انتهى ، وهذا القول الأخير يناسبه قول الشاعر « الى ربنا » فان إلى بمعنى عند ، وقال النسفى : ولو كان فى ارتفاع الصوت فضيلة لم يستشنع صوت الحمار الذى هو أرفع الاصوات

وقوله « فهلا تمناها » الضمير راجع الى معهود فى الذهن أى فهلا تمنى الحرب حين كانت حبلى بمنايا الرجال ومقارعة الابطال ، ولاقح : من لقحت الناقة لقحا — من باب تعب — فهى لاقح مطاوع ألقح الفحل الناقة إلقاحا أحبلها كذا فى المصباح

وقوله « وذو النبوان » فى شرح نوادر أبى زيد والنبوان لم يعرفه أبو زيد ، والنبوان — بفتح النون والباء الموحدة — اسم ماء بنجد لبنى أسد وقيل لبنى السيد من ضبة ، كذا فى معجم البلدان لياقوت الحموى ، (١) ويقال له نبوان أيضا بلا لام ، قال أبو صخر الهذلى :

ولها بذى نبوان منزلة . قفر سوى الازواح والرِّمم

(١) انظر معجم البلدان (ج ٨ ص ٢٤٧)

أى . لها بأراضى نبوان منزلة ، و المراد بذى النبوان هنا رجل ، وهو إما صاحب هـذا الماء أو لأنه دفن فى أرضها ، والتصدع التشقق ، يقال صدعته صدعا — من باب نفع — شققته ، وصدعت القوم صدعافتصدعوا فرقتهم فتفرقوا ، والمراد به هنا الحفر والنبش ، أى : هلا تمنيت الحرب إذ قتلنا منكم ذا النبوان فحفرت لهقبرا وواريته فيه وأنت شديد الحزن عليه ولم تقدر على الاخذ بثأره

وقوله « يأتك حيا دارم » فيه التفات من الغيبة الى الخطاب، جزم يأت فى جواب شرط مقدر أى : إن تمنيت حربنا يأتك الحيان من دارم دفعة، ودارم أبو قبيلتين من تميم ، وطهية حى من تميم سموا باسم أمهم وهى طهيةبنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهى أم أبى سود وعوف بن مالك بن حنظلة ، والنسبة اليها طهوى بسكون الهاء ، وبعضهم يفتحها على القياس ، وأقرع بالقاف تام يقال ألف اقرع ودرهم أقرع ومائة قرعاء

وقوله«فيستخرج اليربوع» الخ الفاء للسببية ويستخرج منصوب بأن مضمرة وجوبا وهو مبنى للمفعول ويجوز بالبناء للفاعل نسبة إلى الالف واليربوع دويبة تحفر الارض ، والياء زائدة لانه ليس فى كلام العرب فعلول سوى صعفوق على مافيه وله جحران أحدهما القاصعاء وهو الذى يدخل فيه وأما قول الفرزدق يهجو جريرا :

وإذا أَخذْتَ بقاصعائك لم تجد أحدا يُعينك غيرَ من يتقصّعُ

فعناه انما أنت — فى ضعفك إذا قصدت لك — كاولاد اليرابيع لا يعينك إلا ضعيف مثلك ، والآخر النافقاء وهو الجحر الذى يكتمه ويظهر غيره وهو موضع يرققه فاذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق أى خرج وجمعهما قواصع ونوافق ونافق اليربوع أخذ فى نافقائه ، ومنه المنافق شبه باليربوع لانه يخرج من الايمان من غير الوجه الذى دخل فيه؛ وقيل : لانه يستر كفره فشبه بالذى يدخل النفق وهو السرب يستتر فيه ، والجحر يكون للضب واليربوع والحية ، والجمع جحرة كعنبة ، وانجحر الضب على انفعل أوى الى جحره

وقوله « بالشيحة» رواه أبو عمر الزاهد وغيره — تبعاً لابن الاعرابى — ذى الشيحة وقال : لكل يربوع شيحة عند جحره ، ورد الاسود أبو محمد الاعرابى الغندجانى على

ابن الاعرابى ، وقال ما أكثر مايصحف فى أبيات المتقدمين ، وذلك أنه توهم أن ذا الشيحة موضع ينبت الشيح ، وإنما الصحيح ومن جحره بالشيخة ـ بالخاء المعجمة ـ وقال هى رملة بيضاء فى بلاد بني أسد وحنظلة ، وكذا رواه الجرمى أيضا ؛ والشين فى الروايتين مكسورة

وقوله : « اليتقصع » رواه أبو محمد الخوارزمى عن الرياشي بالبناء للمفعول ، يقال تقصع اليربوع دخل فى قاصعائه . فتكون صفة للجحر . وصلته محذوفة أى من جحره الذى يتقصع فيه كما قدره ابن جنى فى سر الصناعة . وروى بالبناء للفاعل فيكون صفة اليربوع ولاحذف ؛ ورواه أبو زيد المتقصع ـــ بصيغة اسم المفعول ـــ وقال : والمتقصع متفعل من القاصعاء فيكون صفة اليربوع أيضا لكن فيه حذف الصلة قال أبو الحسن الاخفش ـــ فى شرح نوادر أبى زيد ـــ رواه لنا أبو العباس ثعلب اليتقصع واليجدع قال : هكذا رواه أبو زيد قال : والرواية الجيدة عنده المتقصع والمجدع . وقال : لايجوز إدخال أل على الافعال . فان أريد بها الذى كان أفسد فى العربية ، وكان لايلتفت الى شىء من هذه الروايات التي تشذ عن الاجماع والمقاييس(١) ومعنى البيت : أنكم ان حاربتمونا جئناكم بجيش لهام يحيطون بكم فيوسعونكم قتلا وأسرا . ولانجاة لكم ولو احتلتم بكل حيلة : كاليربوع الذى يجعل النافقاء حيلة لخلاصه من الحارش فاذا كثر عليه الحارش أخذوا عليه من نافقائه وقاصعائه فلايبقى له مهرب البتة . وروى بعض شراح الشواهد هذا البيت بعد البيتين الأولين ، ولم يزد على الثلاثة ، وظن أن قوله « يستخرج اليربوع » بالبناء للمعلوم ـــ معطوف على قوله « يقول الخنى » فقال : ووصفه أخيرا بالخديعة والمكر

ثم أخذ الشاعر فى الفخر عليه بمافعل قومه فيهم من القتل والاسر فى الحروب السابقة فقال « ونحن أخذنا» الخ الخير هنا إما أفعل تفضيل أى أفضلكم . وإما مخفف خير ـــ بالتشديد ـــ أى الجيد الفاضل ، ومنكم على التقديرين متعلق باخذنا

وقوله فظل أى استمر فى أسرنا ، وقوله وأعيا ذو الفقار هو بفتح الفاء قال الصغانى : هو معشر بن عمرو الهمدانى وهو فاعل أعيا ، من أعيا فى مشيه أى كل بمعنى لم يقدر على

(١) أنظر نوادر أبى زيد وشروحها فان المؤلف هنا روى كلام أبى الحسن مع بعض الاختصار

شيء ، وجملة يكرع بالبناء للمفعول — حال من الفاعل ، ومعناه تقطع أكارعه جمع كراع — بالضم — وهو كما قال ابن فارس : من الانسان مادون الركبة ومن الدواب مادون الكعب ، وروى الصاغاني : « وأضحى ذوالفقار يكرع » فجملة يكرع إما خبر أضحى أوحال أيضا ان كانت تامة

وقوله « ونحن أخذناقد علمتم » الخ يقول نحن قد فككنا يساراً الذى أسرتموه من أسركم بأموالنا فنحن نعطى ونضيف من ثروة وأنتم صعاليك لاتقدرون على شيء من ذلك ،ويسار الاول اسم رجل والثانى بمعنى الغنى والثروة،ونحذى ـ بضم النون وسكون المهملة والذال المعجمة ـ بمعنى نعطى من الاحذاء،وهو الاعطاء ، وننقع بالنون والقاف يقال نقع الجزور ينقع بفتحتين نقوعا اذانحرها للضيافة ، قال الصغانى:وفى كلام العرب اذالقى الرجل منهم قوما يقول ميلوا ينقع لكم ، أى يجزر لكم، كأنه يدعوهم الى دعوته والنقيعة الجزور التى تجزر للضيافة ، وفسر بعض من كتب على نوادر أبى زيد ننقع بقوله نروى وهذا غير مناسب ، وقال الرياشي : حفظى ونمنع ومصدره المنع : إما مقابل الاعطاء واما بمعني الحياطة والنصرة ، يقال فلان فى عز ومنعة ـ بالتحريك وقد تسكن النون ـ وكلاهما مناسب لنحذى ، قال الصغانى والمانع من صفات الله تعالى له معنيان احدهما مقابل الاعطاء والثانى انه يمنع اهل دينه اى يحوطهم وينصرهم

(تتمة) نسب ابو زيد فى نوادره هذا الشعر لذى الخرق الطهوى قال : وهو جاهلى ومن لقب من الشعراء من بنى طهية ذا الخرق ثلاثة :

(أحدهم) خليفة بن حمل بن عامر بن حميرى بن وقدان بن سبيع بن عوف بن مالك بن حنظلة بن طهية ولقب ذا الخرق بقوله :

مابال أم حُبَيْش لا تكلمنا … لما افتقرنا وقد نثرى فَنَتَّفِق
تُقَطِّع الطَّرْف دونى وَهْى عابسة … كما تشاوس فيك الثائر الحنق
لما رأت إبلى جاءت حمولتها … غَرْثى عجافا عليها الريش والخِرَق
قالت : ألا تبتغى مالاً تعيش به … عما تلاقى وشر العيشة الرَّمَق
فيئى إليك فانا معشر صُبُرٌ … فى الجدب لا خِفّة فينا ولا مَلَق
انا اذا حطمة حتت لنا ورقا … نمارس العيش حتى ينبت الورق

الثاني قرط ، ويقال له ذو الخرق بن قرط أخو بني سعيدة بن عوف بن مالك بن حنظلة ابن طهية وهو فارس أيضاً

الثالث شمير بن عبد الله بن هلال بن قرط بن سعيدة. كذا في المؤتلف والمختلف للآمدي ، ولم يذكر هذا صاحب العباب

ولم أر من قيد أحد هذه الثلاثة بكونه جاهليا فلا يظهر أن هذا الشعر لمن هو من هؤلاء الثلاثة

وقال العيني : ان ذا الخرق الطهوي صاحب الشعر اسمه دينار بن هلال ، ولا أدرى من أين نقله

وقال شارح شواهد المغني : وفي المؤتلف والمختلف للآمدي أن اسمه قرط شاعر جاهلي سمي بذلك لقوله « جاءت عجافا عليها الريش والخرق » وفيه ثلاثة أمور : الاول أن الآمدي لم يذكر هذا الشعر فكيف ينسبه الى قرط . الثاني أنه لم يقيد قرطا بكونه جاهليا الثالث أن هذا الشعر ليس لقرط وانما هو لخليفة بن حمل ، كما تقدم آنفا . وفيه أيضا أن الرواية « غرثى عجافا » لا « جاءت عجافا »

بقي من يقلب بذي الخرق من الشعراء من غير طهية وهم اثنان : أحدهما ذو الخرق اليربوعي احد بني صبير بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، والثاني ذو الخرق ابن شريح بن سيف بن أبان بن دارم وهذا والذي قبله من شعراء الجاهلية ، ومن غير الشعراء ذو الخرق النعمان بن راشد بن معاوية بن عمرو بن وهب بن مرة ، كان يعلم نفسه في الحرب بخرق حمر وصفر ، وذو الخرق أيضاً فرس عباد بن الحرث بن عدي بن الأسود ، كان يقاتل عليه يوم اليمامة

والخرق جمع خرقة وهي القطعة من الثوب

والأسود الغندجاني ، ترجمه ياقوت الحموي في معجم الأدباء المسمى : إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، قال : هو الحسن بن أحمد أبو محمد الاعرابي المعروف بالأسود الغندجاني اللغوي النسابة ، وغندجان بلد قليل الماء لا يخرج منه الا أديب أو حامل سلاح ، في القاموس : « غندجان بالفتح بلد بفارس (١) بمفازة معطشة » وكان الأسود

---

(١) قال ياقوت (ج٦ ص٣١٠) : غندجان بالضم ثم السكون وكسر الدال وجيم ، وآخره نون ـ بليدة بأرض فارس في مفازة قليلة الماء معطشة ، اخرجت جماعة من

صاحب دنيا وثروة، وكان عارفا بايام العرب وأشعارها قيما بمعرفة أحوالها، كان مستنده فيما يرويه عن محمد بن احمد أبي الندى(١) وكان قد رزق في أيامه سعادة، وذلك انه كان في كنف الوزير العادل أبي منصور بهرام بن مافنه، وزير الملك أبي كالنجار ابن بهاء الدولة بن بويه صاحب شيراز وقد خطب له ببغداد بالسلطنة، وكان الأسود إذا صنف له كتابا جعله باسمه، وكان يفضل عليه افضالا جماً فاثرى من جهته، ومات أبو منصور الوزير في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، قال ياقوت: وقرأت في بعض تصانيفه أنه صنفه في شهور سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، وقرىء عليه في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، وله من التصانيف: فرحة الأديب في الرد على يوسف بن أبي سعيد السيرافي في شرح أبيات سيبويه، وكتاب قيد الأوابد في الرد على ابن السيرافي أيضا في شرح أبيات اصلاح المنطق، وكتاب ضالة الأديب في الرد على ابن الاعرابي في النوادر التي رواها ثعلب عنه، وكتاب الرد على النمري في شرح مشكل أبيات الحماسة، وكتاب نزهة الأديب في الرد على أبي علي في التذكرة، وكتاب السل والسرقة، وكتاب الخيل مرتب على حروف المعجم، وكتاب في أسماء الاماكن، وأكثرها عندي ولله الحمد والمنة.

(وأنشد بعده، وهو الشاهد الثاني، وهو من شواهد سيبويه)

(٢) وَلاَ أَرْضَ أَبْقَلَ إبْقَالَهَا

اوله: فلامزنة ودقت ودقها

أورده نظيرا لعرفات في كونها مؤنثة لايجوز فيها التذكير الا بتأويل بعيد وهو أن يراد بهما المكان، وأورده أيضا في باب المذكر والمؤنث على أنه لا يحذف علامة التأنيث من المسند إلى ضمير المؤنث المجازي إلا لضرورة الشعر، وهو من شواهد الكتاب(٢) ومغنى اللبيب.

أهل الأدب والعلم: منهم أبو محمد الاعرابي، واسمه الحسن بن احمد المعروف بالأسود صاحب التصانيف في الأدب، وأبو الندى محمد بن أحمد شيخه وغيرهما. اه

(١) في بغية الوعاة (ص ٢١٧) نقلا عن ياقوت: «محمد بن أحمد بن الندي» ولعل الذي هنا أصح فان السيوطي نفسه يذكره في الموضع الذي أشرنا اليه باسم أبي الندى

(٢) أنظر كتاب سيبويه (ج ١ ص ٢٤٠)

قال ابن خلف : الشاهد فيه انه ذكر أبقل وهو صفة للأرض ضرورة حملا على معنى المكان فاعاد الضمير على المعنى وهو قبيح ، والصحيح أنه ترك فيه علامة التأنيث للضرورة واستغنى عنه بما علم من تأنيث الارض وإلى هذا الوجه أشار أبو على . وقال غيره وانما قبح ذلك لاتصال الفاعل المضمر بفعله فكأنه كالجزء منه حتى لا يمكن الفصل بينهما بما يسد مسد علامة التأنيث ، ولا يخفى مافيه ، وعند ابن كيسان والجوهرى أن الفعل إذا كان مسنداً لضمير المؤنث المجازى لايجب الحاق علامة التأنيث ؛ وقول بعضهم وهذا ليس بضرورة لأنه كان يمكنه أن يقول ولا أرض أبقلت ابقالها بنقل حركة الهمزة إلى ماقبلها واسقاطها ـ :ليس بجيد ، لأن الصحيح أن الضرورة ما وقع فى الشعر؛ سواء كان للشاعر عنه فسيحة أم لا ، واجاب السيرافى بانه يجوز أن يكون هذا الشاعر ليس من لغته تخفيف الهمزة وحينئذ لايمكنه ماذكره ، وذكر ابن يسعون أن بعضهم رواه بالتاء بالنقل المذكور ، وقال ابن هشام : فان صحت الرواية وصح أن القائل ذلك هو الذى قال «ولا أرض أبقل» بالتذكير صح لابن كيسان مدعاه وإلا فقد كانت العرب ينشد بعضهم بعضا وكل يتكلم على مقتضى لغته التى فطر عليها ومن هنا كثرت الروايات فى بعض الأبيات ، وزعم جماعة أنه لاشاهد فيه فقال ابن القواس فى شرح ألفية ابن معطى : أنه روى إبقالها بالرفع مسندا إلى المصدر ، ويرده أن إبقالها منصوب على المصدر التشبيهى ؛ أى ولا أرض أبقلت كابقال هذه الارض ولو كان كما زعم كان معناه نفى الابقال وهو نقيض مراد الشاعر ، وزعم بعضهم أن ضمير أبقل عائد على مذكر محذوف أى ولا مكان أرض فقال أبقل باعتبار المحذوف وقال ابقالها باعتبار المذكور ، وهذا فاسد أيضا لأن ضمير ابقالها ليس عائدا على الارض المذكورة هنا فتذكير أبقل باعتبار المحذوف لادليل عليه ، ولو قال أن الارض مما يذكر ويؤنث كما قال أبو حنيفة الدينورى فى كتاب النبات عند ما أنشد هذا البيت : أن الارض تذكر وتؤنث وكذلك السماء ولهذا قال أبقل أبقالها ـ : لكان وجها ، قال ابن الحاجب فى أماليه : الضمير فى ودقها وابقالها راجع الى غير المزنة والارض المذكورتين ولا يستقيم أن يعود اليهما لئلا يصير مخبرا انه ليس مزنة تدق مثل ودق نفسها وهو فاسد وان لم تقدر محذوفا كان أفسد إذ يصير المعنى انه ليس مزنة تدق ودق نفسها والأمر على خلافه إذ لاتدق مزنة الا ودق نفسها فوجب أن يكون التقدير فلا مزنة

ودقت ودقا مثل هذه المزنة المحذوفة ، وزعم الصاغانى فى العباب أن الرواية « ولا روض أبقل إبقالها » وهذا لا يصادم نقل سيبويه ، لأنه ثقة والاعتماد عليه أكثر

فقوله « فلا مزنة » الخ لا الأولى نافية للجنس على سبيل الظهور عاملة عمل ليس أو ملغاة ، والثانية نافية للجنس على سبيل التنصيص ، ومزنة اسم لا إن كانت عاملة عمل ليس أومبتدأ إن كانت غير عاملة ، وصح الابتداء بالنكرة : إما للعموم وإما للوصف ، وجملة ودقت محلها نصب خبر لا أو رفع خبر المبتدأ أو نعت لمزنة والخبر محذوف أى موجودة أومعهودة ، وجملة أبقل خبر لا فقط ولا يجوز كونها صفة لاسم لا كما جوز شراح الشواهد لانه يجب حينئذ تنوين اسم لا لكونه مضارعا للمضاف والمزنة واحدة المزن السحابة . وقال العينى : « المزنة السحابة البيضاء ويقال المطرة والمعنى هنا على الأول » انتهى وكلاهما غير صحيح : أما الاول فلان السحابة البيضاء لا ودق لها ، وأما الثانى فيرده قوله : « أأنتم أنزلتموه من المزن » والودق المطر قال المبرد فى الكامل : يقال ودقت السماء يا فتى تدق ودقا : قال تعالى : « فترى الودق يخرج من خلاله » وأنشد هذا البيت ، وأبقل قال الدينورى فى كتاب النبات يقال بقل المكان يبقل بقولا اذا نبت بقله وأبقل يبقل ابقالا ، وهذا أكثر اللغتين وأعرفهما وأكثر العلماء يرد بقل المكان ، وقال بعض الرواة أبقلت الارض وأبقلها الله وبقل وجه الغلام اذا خرج وجهه ، وقال بعض علماء العربية : أبقل المكان ، ثم يقولون مكان باقل قال ولا نعلمهم يقولون بقل المكان ومثله قولهم أدرست الارض ونبت دارس ولا يقولون غيرها ، وقال أيضا : أعشب البلد ثم قال بلد عاشب ، وكذا قال أبو عبيدة والاصمعى وتبعهما ابن السكيت وغيره ، قالوا : يقال بلد عاشب ولا يقال الا أعشب ، وباقل الرمث وهو نبت وقد أبقل ، ودارس الرمث وقد أدرس ، فيقولون فى النعت على فاعل وفى الفعل على أفعل كذا تكلمت به العرب قال الدينورى وتبعه على بن حمزة البصرى فى كتاب التنبيهات على اغلاط الرواة وقد جاء عن العرب ما يرد عليهم ، قال رؤبة :

* يملحن من كل غميس مبقل *

وقال ابن هرمة :

لرعت بصفراء السحالة حرة . لها مرتع بين النبيطين مبقل

وقال آخر :

ولا أرض أبقل ابقالها

فجاء به على ابقل يبقل فهو مبقل ، وقال النابغة الجعدى :

على جانبي حائر مفرط * ببرث تبوأنه معشب

وقال الدينورى فى موضع آخر : النبات كله ثلاثة أصناف : شيء باق على الشتاء أصله وفرعه ، وشيء آخر يبيد الشتاء فرعه ويبقى أصله فيكون نباته فى أرومته الباقية ، وشيء ثالث يبيد الشتاء أصله وفرعه فيكون نباته من بزره ، وكل ذلك يتفرق ثلاثة أصناف أخر : فصنف يسمو صعدا على ساقه مستغنيا بنفسه عن غيره ، وصنف يسمو أيضا صعدا لا يستغنى بنفسه ويحتاج الى ما يتعلق به ويرتقى فيه ، وصنف ثالث لا يسمو ولكن يتسطح على الارض فينبت مفترشا ، فيقال لكل ما سما بنفسه شجر ـ دق أو جل قاوم أو عجز عنه ـ وقيل له شجر لانه شجر فسما فكل ما سمكته ورفعته فقد شجرته وما كان منه ينبت فى بزره ولا ينبت فى أرومته فاسمه البقل وكل نابتة بقلة فى أول ما تنبت ولذلك قيل لوجه الغلام أول ما يخرج بقل وما نبت فى أرومة وكان مما يهلك فرعه فاسمه الجنبة لانه فارق الذى يبقى فرعه وأصله وفارق البقل الذى يبيد أصله وفرعه فكان جنبة بينهما، وما تعلق بالشجر فرقى فيه وعصب به فهو فى طريقة العصبة، وما افترش ولم يسم فهو فى طريقة السطاح ، وقد زعم أبو عبيدة أنه النجم ، على أن كل ما طلع من الارض فقد نجم فهو نجم الى ان تتبين وجوهه ، انتهى ، وقال الجواليقى فى لحن العامة : يذهب العامة الى ان البقل ما يأكله الناس خاصة دون البهائم من النبات الناجم الذى لا يحتاج فى أكله الى طبخ وليس كذلك إنما البقل العشب وما ينبت الربيع مما تأكله البهائم قال الشاعر :

ولا أرض أبقل ابقالها

وقال آخر :

قوم اذا نبت الربيع لهم * نبتت عداتهم مع البقل

وقال زهير :

رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا أنبت البقل

يقال منه : بقلت الارض وأبقلت لغتان فصيحتان اذا أنبتت البقل ، قال أبو النجم ـ يصف الابل ـ

تبقلت فى أول التبقل

والفرق بين البقل ودق الشجر ان البقل اذا رعى لم يبق له ساق والشجر يبقى له . (تتمة) . قال شراح شواهد الكتاب : هذا البيت لعامر بن جوين الطائى وهو احد الخلعاء الفتاك قد تبرأ قومه من جرائره وله حكاية مع امرىء القيس ، وستأتى فى ترجمته إن شاء الله وصف به أرضا مخصبة بكثرة ما نزل بها من الغيث ، ولم يذكروا مما قبله ولا مما بعده شيئا وقال شارح شواهد المغنى قال الزمخشرى أوله

وجارية من بنات الملو ك قعقعت بالرمح خلخالها

ككرفئة الغيث ذات الصبير ترمى السحاب ويرمى لها

تواعدتها بعد مر النجو م كلفاء تكثر تهطالها

فلا مزنة ودقت ودقها (البيت) انتهى

وقد رأيت البيتين الاولين فى شعر الخنساء من قصيدة ترثى بها أخاها صخرا ـ وهو صخر بن عمرو بن الشريد بن رياح السلمى ـ (١) أولها :

أَلاَ ما لِعَيْنِى أَلاَ مَا لَهَا لَقَدْ أَخْضَلَ الدَّمْعُ سِرْبَالَهَا

ثم وصفت جيشا فقالت (٢) :

ورَجْراجَةٍ فَوْقَهَا بِيضُهَا عَلَيْهَا المُضَاعَفُ زِفْنَا لَهَا

---

١ فى الاصل المطبوع فى بولاق : « وهو جرم بن عمرو بن الغوث بن طيء » وهو خلط من النساخ الذين تمتد أيديهم الى مالا يدركون

٢ انظر كتاب أنيس الجلساء فى شرح ديوان الخنساء طبع المطبعة الكاثوليكية فى بيروت سنة ١٨٩٦ « ص ٢٠١ — ٢١٨ »

كَكِرْفِئَةِ الغَيْثِ ذَاتِ الصَّبِيرِ (البيت المذكور)

وقال شارح ديوانها الاخفش: الرجراجة الكتيبة كأنها تتحرك وتتمخض من كثرتها، والمضاعف من الدروع التى تنسج حلقتين حلقتين، و زفنالها مشينا إليها باختيال وهى بالزاى المعجمة والفاء، زاف يزيف زيفا وزيفانا تبختر فى مشيته، وشبه الرجراجة - فى كثرتها وحركتها وتمخضها - بالكرفئة وهى السحابة العظيمة التى يركب بعضها على بعض حملا للماء، والحمل بالفتح ما كان فى الجوف مستكنا والحمل بالكسر ظاهر، مثل الوقر على الظهر، شبه الكرفئة بالناقة يكثر لحمها وشحمها، يقال ان عليه لكرافىء من اللحم والشحم، والصبير سحاب أبيض، ترى السحاب هذه الكرفئة أى تنضم إليه وتتصل به، ويرى لها - بالبناء للمفعول - أى يضم اليها حتى يستوى ويحلولق، قال ابن الاعرابى: هذا البيت لعامر بن جوين الطائى وقال الاصمعى الكرفئة وجمعه كرافىء قطع من السحاب بعضها فوق بعض، والصبير السحاب الابيض. ثم قالت تخاطب أخاها:

وَبِيضٍ مَنَعْتَ غداةَ الصباحِ وقَدْ كَفَتَ الرَّوْعُ أَذْيالَها
وهاجِرةٍ حَرُّها واقِدٌ جعلتَ رداءكَ أَظلالَها
وجامعة الجمع قد سقتها وأَعلمتَ بالرمح أَغفالَها (١)
ورُعْبُوبَةٍ من بنات الملو كِ قَعْقَعْتَ بالرمح خلخالَها

بيض: تعنى جوارسبين. كفت: كشفت. والروع: الفزع وروى ابن الاعرابى

تكشف للروع أذيالها

واقد: شديد الحر. وجعلت رداءك أظلالها أى استظللت فيها بالرداء: وتعنى بجامعة الجمع ابلا كثيرة قد سقتها إما لتزويج وإما لسباء تفكه، وروى ابن الأعرابى

ومعلمة سقتها قاعدا

معلمة: ابل. قاعدا أى قاعدا على فرسك. والأغفال: التى لاسمات عليها ولا

---

١ وروى صاحب الأغانى ومعملة سقتها قاعدا

علامات . تقول أعلمت منها ما كان أغفالا . والرعبوبة: الناعمة الرخصة اللينة . فعقعت خلخالها أى تزوجت بها أو سبيتها فهو سالبها . ولا يخفى أن هذه الأبيات غير مرتبطة ببيت الشاهد ولا مناسبة لها به والله أعلم

وقد نسب أبو محمد الأعرابى فى فرحة الاديب الابيات التى نقلت عن الزمخشري الى عامر المذكور

وقال المظهرى فى شرح المفصل كلا ما يشبه كلام المبرسمين وهذيان المحمومين وهو قوله : قصة هذا البيت أن جارية هربت من غارة وفى رجلها خلخال يقول الشاعر إن هذه الجارية تعدو ويصوت خلخالها كصوت الرعد فليس مزنة تمطر مطرا مثل السحاب الذى يشبه هذه الجارية وليس أرض تخرج النبات مثل أرض أصابها ذلك السحاب . هذا كلامه

وعامر بن جوين صاحب الشاهد هو كما قال محمد بن حبيب فى أسماء المغتالين من الاشراف فى الجاهلية أو الاسلام هو عامر بن جوين بن عبد رضاء بن قمران الطائى أحد بنى جرم بن عمرو بن الغوث بن طيء . كان سيدا شاعرا فارسا شريفا . وهو الذى نزل به امرؤ القيس بن حجر وكان سبب قتله أن كلبا غزت بنى جرم فأسر بشر بن حارثة وهبيرة ابن صخر الكلبي عامر بن جوين وهو شيخ فجعلوا يتدافعونه لكبره . فقال عامر بن جوين : لا يكن لعامر بن جوين الهوان ، فقالوا له : وانك لهو؟ قال : نعم ، فذبحوه ومضوا ، فأقبل الأسود بن عامر فلما رأى أباه قتيلا تتبعهم فأخذ منهم ثمانية نفر وكانوا قتلوا عامرا وقد هبت الصبا فكعمهم ووضع أيديهم فى جفان فيها ماء وجعل كلما هبت الصبا ذبح واحدا حتى أتى عليهم

قال أبو حاتم السجستانى فى كتاب المعمرين عاش عامر بن جوين مائتى سنة.. ورضاء - بضم الراء والمد - قال ابن الكلبي فى كتاب الاصنام : وقد كانت العرب تسمى باسماء يعبدونها لا أدرى أعبدوها للاصنام أم لا منها عبد رضاء كان بيتا لبنى ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وهدمه المستوغر فى الاسلام وقال : (١)

(١) الذى فى كتاب الأصنام : رضى - بضم الراء مقصورا - قال : « وذكر الرواة أن رضى كان بيتا لبنى ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة فهدمه المستوغر

ولقد شددت على رضاء شدة فتركتها تلا تنازع أسحما

وقران ـ بفتح القاف وسكون الميم و بعد هاراء مهملة ـ وجرم : اسمه ثعلبة حضنته أمة يقال لها جرم فسمي بها ، وابنه الاسود كان شريفا شاعرا ، وقبيصة بن الاسود وفد الى النبي صلى الله عليه وسلم

وهذه نسبة عامر بن جوين من الجمهرة : عامر بن جوين بن عبد رضاء بن قران ابن ثعلبة بن عمرو بن ثعلبة بن حيان ، وهو جرم بن عمرو بن الغوث بن طي

وأبو حنيفة الدينورى هو أحمد بن داود بن ونند أخذ عن البصريين والكوفيين وأكثر أخذه عن ابن السكيت وكان نحويا لغويا مهندسا منجما حاسبا راوية ثقة فيما يرويه ويحكيه . مات فى جمادى الاولى (١) سنة اثنتين وثمانين ومائتين . قال أبو حيان التوحيدى : أبو حنيفة الدينورى من نوادر الرجال جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب له فى كل فن ساق وقدم وهذا كلامه فى الانواء يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك وأما كتابه فى النبات فكلامه فيه فى عروض كلام أبدى بدوى : وعلى طباع أفصح عربى ، ولقد قيل لى إن له فى القرآن كتابا يبلغ ثلاثة عشر مجلدا وما رأيته وانه ماسبق الى ذلك النمط مع ورعه وزهده وجلالة قدره ، وله من الكتب الباءة (٢) كتاب ما تلحن فيه العامة ، كتاب الشعر والشعراء ، كتاب الفصاحة ، كتاب الانواء ، كتاب فى حساب الدور ، كتاب البحث فى حساب الهند ، كتاب الجبر والمقابلة ، كتاب البلدان كبير ، كتاب النبات لم يصنف مثله فى معناه ، كتاب الجمع والتفريق ، كتاب الاخبار الطوال ، كتاب الوصايا ، كتاب نوادر الجبر ، كتاب اصلاح المنطق ، كتاب القبلة والزوال ، كتاب الكسوف وله غير ذلك

روى أن أبا العباس المبرد ورد الدينور زائرا لعيسى بن ماهان فأول مادخل عليه

وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وأنما سمى المستوغر لانه قال :

ينش الماء فى الربلات منها ۞ نشيش الرضف فى اللبن الوغير اهـ

وكتب سعادة أحمد زكى باشا وفى هامش نسختنا مانصه: رضى صوابه رضاء بلا تنوين» اهـ

(١) وقيل سنة تسعين ومائتين

(٢) فى طبقات ابن الأنبارى (الباه) وفى البغية للسيوطى (والباه)

وقضى سلامه قال له عيسى :أيها الشيخ ماالشاة المجثمة التى نهى النبي صلى الله عليه سلم عن أكل لحمها ؟ فقال : هي الشاة القليلة اللبن مثل اللجبة ، فقال : هل من شاهد؟ قال : نعم قول الراجز :

لم يبق من آل الحميد نسمه   الا عنيز لجبة مجثمه

فاذا الحاجب يستأذن لابى حنيفة الدينورى فلما دخل عليه قال:أيها الشيخ ماالشاة المجثمة التى نهينا عن أكل لحمها ؟ فقال : هى التى جثمت على ركبها وذبحت من خلف قفاها ، فقال : كيف تقول وهـذا شيخ أهل العراق يقول هى مثل اللجبة ، وأنشده الشعر ، فقال أبو حنيفة : أيمان البيعة تلزم أبا حنيفة إن كان هذاالتفسير سمعه هذا الشيخ أو قرأه وان كان الشعر الا لساعته هذه ، فقال أبو العباس : صدق الشيخ ، فانى أنفت أن أرد عليك من العراق وذكرى ماقد شاع فاول ماتسألنى عنه لاأعرفه ، فاستحسن منه هذا الاقرار

(وأنشد بعده لامرىء القيس — وهو الشاهد الثالث ، وهو من شواهدس) :

(٣) تَنَوَّرتها من أَذْرِعات ، وأهلها   بيثرب ، ادْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِى

وقال الشارح : « يروى بكسر التاء بلاتنوين وبعضهم يفتح التاء فى مثله مع حذف التنوين ، ويروى من أذرعات كسائر مالا ينصرف ، فعلى هذين الوجهين التنوين للصرف بلاخلاف والأشهر بقاء التنوين فى مثله مع العلمية » أقول أراد بهذا الكلام تقرير ماذهب اليه — تبعا للربعى والزمخشرى ، وان خالفهما فى الدليل — من أن تنوين جمع المؤنث السالم تنوين صرف لاتنوين مقابلة فان حذف التنوين فى بعض اللغات مما سمى بهذا الجمع دليل على أن تنوينه قبل التسمية تنوين صرف ، فاستند أولا إلى تجويز المبرد والزجاج حذف التنوين منه مع العلمية وثانيا إلى رواية منع الصرف فيه مع العلمية بوجهين سماعى وقياسى . فالاول نقله ابن جنى فى سر الصناعة عن بعض العرب فقال : واعلم أن من العرب من يشبه التاء فى مسلمات — معرفة — بتاء التأنيث فى طلحة وحمزة ويشبه الألف التى قبلها بالفتحة التى قبل هاء التأنيث فيمنعها حينئذ الصرف فيقول : هذه مسلمات مقبلة ، وعلى هـذا بيت امرىء القيس « تنورتها من أذرعات » وقد أنشدوه من أذرعات — بالتنوين — وقال الاعشى : .

تخيّرها أخو عانات شهرا ورجّي خيرَها عاماً فعاما

وعلى هذا ما حكاه سيبويه من قولهم :هذه قرشيات ـ غير منصرفة ـ انتهى

والثاني أن بعضهم ـ أى بعض النحاة ـ يفتح التاء فى مثله ـ أى فى مثل أذرعات ـ مما سمي بجمع مؤنث سالم، مع حذف التنوين، أى يفتح التاء و يحذف التنوين منه ، و يروى ذلك البعض من أذرعات ـ بفتح التاء ـ قياسا على سائر مالا ينصرف ، فعلى هذين الوجهين أى حذف التنوين مع كسر التاء ، وحذف التنوين مع فتح التاء ـ التنوين للصرف ، أى التنوين الذى كان قبل التسمية ، فان النحاة اتفقوا على أن التنوين الذى يحذف فيما لا ينصرف إنما هو تنوين الصرف

وأذرعات قال ياقوت فى معجم البلدان : هى بلد فى أطراف الشام يجاور البلقاء وعمان وينسب اليه الخمر وقد ذكرتها العرب فى أشعارها لانها لم تزل من بلادها والنسبة اليها أذرعى

ويثرب زاد الصغانى و يثرب اسم مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم قال ياقوت نقلا عن الزجاجي : سميت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك لان أول من سكنها ـ عند التفرق ـ يثرب (١) بن عوص بن إرم بن سام بن نوح صلى الله عليه وسلم ، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها طيبة وطابة كراهية للتثريب ، وسميت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لنزوله بها ثم اختلفوا فقيل : إن يثرب اسم للناحية التى منها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال آخرون : بل يثرب من ناحية (٢) مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل : هى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال ابن عباس : من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله ثلاثا انما هى طيبة ، وقال فى المصباح ثرب عليه ـ من باب ضرب ـ عتب ولام ، و بالمضارع بياء الغائب سمى رجل من العمالقة وهو الذى بنى المدينة سميت باسمه قاله السهيلى ، وأما يترب ـ بالمثناة الفوقية بدل

---

١ الذى فى ياقوت (ج ٨ ص ٤٩٨) : « يثرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم سميت بذلك لأن أول من سكنها ـ عند التفرق ـ يثرب بن قانية بن مهلائيل ابن إرم بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام »

٢ فى ياقوت بل يثرب ناحية من مدينة النبى »

المثلثة ـ فقال ياقوت : هى بفتح الراء قيل قرية باليمامة عند جبل وشم (١) وقيل : اسم موضع فى بلاد بني سعد ، وقال الحسن بن أحمد الهمدانى اليمنى : هى مدينة بحضرموت نزلها كندة واياها عني الاعشى بقوله :

بسهام يترب أو سهام الوادى

و يقال إن عرقوبا صاحب المواعيد كان بها ، ثم قال : والصحيح أنه من قدماء يهود يثرب ، وأما قول ابن عبيد الاشجعى :

وعدت وكان الخلف منك سجية   مواعيد عرقوب أخاه بيترب

فهكذا أجمعوا على روايته بالتاء المثناة ، قال ابن الكلبي : وكان من حديثه أنه كان رجلا من العماليق يقال له عرقوب فأتاه أخ له يسأله شيئا ، فقال له عرقوب : اذا أطلعت النخلة فلك طلعها ، فلما أتاه للعدة قال : دعها تصر بلحا ، فلما أبلحت قال : دعها تصر زهوا ، ثم حتى تصير بسرا ، ثم حتى تصير رطبا ، ثم تمرا ، فلما أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجدها (٢) ولم يعطه شيئا ، فصار مثلا فى الخلف

والتنور قال المبرد فى الكامل : المتنور الذى يلتمس ما يلوح له من النار ، ورد عليه أبو الوليد الوقشى فى شرحه عليه بان المتنور انما هو الناظر الى النار من بعد أراد قصدها أو لم يرد كما قال امرؤ القيس : « تنورتها من أذرعات » ولم يرد أن يأتيها كما لم يرد القائل :

وأُشْرِفُ بالنور اليفاع لعلّني   أرى نار لَيْلَى أَوْ يرانى بَصِيرُها

والنظر الى نارها انما هو بنظر قلبه تشوقا إليها كما قال ابن قتيبة فى أبيات المعانى هذا تحزن وتمن منه ، ليس أنه رأى بعينه شيأ ، إنما أراد رؤية القلب ، ومثله قول الآخر :

أليس بَصيراً مَنْ رأى وَهْوَ قَاعِدٌ   بمكة أَهلَ الشام يختبزُونا

وقال الاعشى :

(١) وشم ـ بفتح فسكون ـ موضع باليمامة يشتمل على أربع قرى ، وكلمة (جبل) زائدة هنا عما فى ياقوت فانظره .

(٢) فى ياقوت : « فجرها »

أريت القوم نارك لم أغمض   بواقصة ومشربنا زرود
فلم أر موقدا منها ولكن   لأية نظرة زهر الوقود

وجوز أرباب البديع فى الأغراق من المبالغة أن يكون نظرا بالعين حقيقة قالوا : لايمتنع عقلا أن يرى من أذرعات من الشام نار أحبته وكانت بيثرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم على بعد هذه المسافة على تقدير استواء الارض وأن لا يكون ثم حائل : من جبل أو غيره مع عظم جرم النار وان كان ذلك ممتنعا عادة

وجملة تنورتها استئنافية ، وأدنى دارها مبتدأ ونظر عالى خبره بتقدير مضاف ، قال أبو على فى الايضاح الشعرى : ولا يجوز ان يكون نظر خبر أدنى لانه ليس به لان أدنى أفعل تفضيل وأفعل لايضاف إلا إلى ما هو بعض له فوجب أن يكون بعض الدار وبعض الدار لا يكون النظر ، فاما أن يحذف المضاف من النظر أى أدنى دارها ذو نظر ، وإما أن يحذف من الاول أى نظر أدنى دارها نظر عالى ، ليكون الثانى الاول

فى المصباح علا علوا ـ من باب قعد ـ ارتفع ، فهو عال ، يريد أن أقرب مكان من دارها بعيد فكيف بها ودونها نظر عال ؟ والجملتان الاسميتان حال من ضمير المؤنث فى تنورتها ، وجاءت الثانية بلاواو كقوله :

والله يبقيك لنا سالما   برداك تعظيم وتبجيل

وهذا البيت من قصيدة طويلة لامرىء القيس عدتها ستة وخمسون بيتا ، وهى من عيون شعره وأكثرها وقعت شواهد فى كتب المؤلفين هنا وفى مغنى اللبيب وفى كتب النحو والمعانى ، فينبغى شرحها تتميما للفائدة ، وإن شرحت هنا بأجمعها طال الكلام ، فلنوزعها مع الابيات التى ذكرت منها فى هذا الكتاب متفرقة فنذكر هنا من أول القصيدة الى البيت الذى شرحناه :

أَلاَ عِمْ صَباحاً أيُّها الطَّلَلُ البالى   وهل يعمنْ من كان فى العصُرُ الخالى
وهل يعمَنْ إلاَّ سعيدٌ مخلَّدٌ   قَليلُ الهُمُوم ما يَبيت بأَوْجالِ

قوله عم صباحا هذه الكلمة تحية عند العرب يقال عم صباحا وعم مساء وعم ظلاما والصباح من نصف الليل الثانى الى الزوال والمساء من الزوال الى نصف الليل الاول . قال ابن السيد فى شرح شواهد أدب الكاتب : يقال وعم يعم كوعد يعد ، ومق يمق

وذهب قوم الى أن يعم محذوف من ينعم واجازوا عم صباحا بفتح العين وكسرها كما يقال انعم صباحا وانعم وزعموا أن بعض العرب أنشأ

ألا عم صباحا أيها الطلل البالى

بفتح العين، وحكى يونس ان أبا عمرو بن العلاء سئل عن قول عنترة *

وعمى صباحا دار عبلة واسلمى * فقال: هو من نعم المطر اذا كثر ونعم البحر اذا كثر زبده كانه يدعو لها بالسقيا وكثرة الخير وقال الاصمعي والفراء انما هو دعاء بالنعيم والاهل وهو المعروف وما حكاه يونس نادر غريب. ولم يذكر صاحب الصحاح مادة وعم قال: وقولهم عم صباحا كأنه محذوف من نعم ينعم بالكسر. وزعم ابن مالك فى التسهيل أن عم فعل أمر غير متصرف، قال أبو حيان: ليس الأمر كما زعم، بل هو فعل متصرف، وقد حكى يونس وعمت الدار أعم أى قلت لها انعمى، قال الأصمعى: عم فى كلام العرب أكثر من انعم وقد روى: «الا انعم صباحا الخ» ونعم الشىء نعومة صار ناعما لينا من باب كرم وحذر وحسب ويقال: انعم صباحك أيضا من النعومة

وصباحا ظرف أو تمييز محول عن الفاعل

والطلل ما شخص من آثار الدار والرسم مطلق الاثر

والبالى من بلى الثوب من باب تعب بلى بالكسر والقصر وبلاء بالفتح والمد خلق أو من بلى الميت أفنته الارض

وقوله: وهل يعمن هو استفهام إنكارى استشهد به ابن هشام فى شرح الألفية على أن من يستعمل فى غير العقلاء وقال العسكرى فى كتاب التصحيف: اختلفوا فى معناه لا فى لفظه فقال الأصمعى: اللفظ على مذهب أنت ياطلل قد تفرق أهلك وذهبوا فكيف تنعم بعدهم. والمعنى كيف أنعم انا فكانه يعنى أهل الطلل

والعصر ــ بضمتين ــ لغة فى العصر وهو الدهر

والخالى الماضى قال تعالى: (وان من أمة إلا خلا فيها نذير)

وقوله: وهل يعمن الا سعيد الخ قال العسكرى: المخلد الطويل العمر الرخى البال ومخلد إذا لم يشب، وقيل المخلد المقرط والقرط الخلدة ورواه بعضهم:

وهل ينعمن الا خليّ مخلد

وقال : يعنى غلاما حدثا خليا من العشق

والأوجال جمع وجل وهو الخوف ، وفعله من باب تعب

وهل يعمن من كن أحدث عهده   ثلاثين شهرا في ثلاثة أحوال

قال العسكرى نقلاعن الاصمعى وابن السكيت: يقول كيف ينعم من كان أقرب عهده بالرفاهية ثلاثين شهرا من ثلاثة أحوال على أن فى بمعنى من ، ثم قالا : وقد تكون بمعنى مع ، قال ابن السيد : وكونها بمعنى مع أشبه من ونها بمعنى من ، و رواه الطوسى « أو ثلاثة أحوال » وكل من فسره ذهب إلى أن الاحوال هنا السنون جمع سنة ، والقول فيه عندى أن الأحوال هنا جمع حال لا جمع حول ، وإنما أراد كيف ينعم من كان أقرب عهده بالنعيم ثلاثين شهرا . وقد تعاقبت عليه ثلاثة أحوال ، وهى : اختلاف الرياح عليه وملازمة الأمطار له و القدم المغير لرسومه . فتكون فى هنا هي التى تقع بمعنى واو الحال فى نحو قولك : مرت عليه ثلاثة أشهر فى نعيم .أى وهذه حاله

ديارٌ لِسَلْمى عَافياتٌ بذى الخَالْ   أَلَحَّ عَلَيْها كُلُّ أَسْحَمَ هَطَّال

عافيات من عفا المنزل يعفو عفوا وعفوا وعفاء — بالفتح والمد — درس ، وذو الخال قال ابن الاثير فى المرصع : جبل مما يلى نجد وقيل موضع . وأنشد هذا البيت ، ولم يذكره ياقوت فى معجم البلدان . والاسحم الاسود أراد به السحاب لكثرة مائه وهذا البيت مصرع . وديار مبتدا ولسلمى وصفه . وعافيات خبره و بذى الخال حال من ضمير عافيات . وجملة ألح خبر بعد خبر

وتَحْسبُ سَلْمى لا تزال كَعَهْدنا   بوادى الخُزامى أو عَلَى رأسِ أوعَال

العهد الحال والعلم ، يقال هو قريب العهد بكذا أى قريب العلم والحال ، والخزامى — بالضم والقصر — خيرى البر ، ووادى الخزامى و رأس أوعال موضعان، ويروى « ذات أوعال » قال ابن الاثير فى المرصع : هى هضبة فيها بئر ، وقيل هى جبل بين علمين فى نجد ، والاوعال : جمع وعل، وانشد هذا البيت ، أى إن سلمي تظن أنها تبقى على الحالة التى كنا عليها فى ذينك المكانين

وَتَحسبُ سَلْمى لا تَزَالُ تَرَى طَلا　　مِنَ الْوَحْشِ أَو بَيْضاً بِمَيْثاءَ مِحْلالِ

سلمى : فاعل تحسب ، والمفعول الاول من ترى محذوف أى نفسها . وجملة ترى خبر لاتزال وهذا الاعراب جار فى السابق على هذا الترتيب ، والرؤية علمية وطلا مفعولها الثانى ، والطلا — بالفتح — ولد الظبية ومن الوحش صفة طلا ، و بيضا معطوف على طلا أراد بيض النعام فى البياض والملاسة والنعومة والميثاء قال فى العباب : هو بالفتح الارض السهلة وانشد هذا البيت وقال العسكرى فى التصحيف هو — بفتح الميم — طريق للماء عظيم مرتفع من الوادى ، فاذا كان صغيرا فهى شعبة وهو نحو من ثلث الوادى وأقل ، فاذا كان أكثر من ذلك فهو تلعة فاذا كان مثل نصف الوادى أو ثلثيه فهو ميثاء والميث مالان وسهل من الارض . وروى المئثاء — بالكسر — وهى الارض اللينة وروى الميتاء — بالكسر وبالتاء المثناة فوق — وهو الطريق المأتى أى المسلوك والمحلال — بالكسر — من حللت بالمكان اذا نزلت به ، قال الصغانى : وأرض محلال إذا أكثر القوم النزول فيها وكذلك روضة محلال وأنشد هذا البيت وقال العينى : أى تحسبها ظبية لاتزال تنظر الى ولدها وتحسبها بيض نعام ، وقال بعض شراح القصيدة أى بالبادية حيث يكون بيض النعام أو ولد الوحش اه وهذا لايخفى مافيه

لَيالىَ سَلْمى إِذْ تُرِيكَ مُنصَّباً　　وَجيدًا كجيد الرِيم ليْسَ بِمِعْطالِ

ليالى منصوب بتقدير اذكر ونحوه وإذ بدل من ليالى ومنصبا قال العسكرى : من رواه بالنون أراد ثغرها والمنصب المستوى من الارض المتسق ومن روى مقصبا — بالقاف — أراد شعرها قصبته جعلته ذوائب وشعر مقصب أى قصابة ، وقال الاصمعى قصبه قصبة وقال غيره قصيبة وقصائب . انتهى . وفى الصحاح الذوائب المقصبة تلوى ليا حتى تترجل ولا تضفر واحدتها قصيبة وقصابة بالضم والتشديد ، والمعطال : المرأة التى خلا جيدها من القلائد والفعل من باب قتل وعطلا بالتحريك وعطولا بالضم

أَلا زَعَمَتْ بَسْباسَةُ الْيَوْمَ أَنَّنى　　كَبِرْتُ وَأَنْ لاَ يَشْهَدَ اللَّهوَ أَمْثَالى

بسباسة : امرأة من بنى أسد ، وكبْر شاخ ، يقال : كبر الصبى وغيره من باب تعب مكبرا كمسجد وكبر كعنب وشهده بالكسر يشهده بالفتح شهودا حضره ، واللهو مصدر

لهوت بالشيء اذا لعبت به ، قال فى الصحاح : وقد يكنى باللهو عن الجماع ،وقوله تعالى (لو أردنا أن نتخذ لهوا) قالوا امرأة و يقال

بلى رُبَّ يَوْم قد لَهَوْتُ ولَيْلَة ٭ بآنسَةٍ كأنها خَطُّ تِمْثَال

بلى : حرف إيجاب يختص بالنفى و يفيد إثباته وأثبت به هنا الشهود المنفى فى البيت السابق . ورواه ابن هشام فى مغنى اللبيب « فيارب يوم الخ » و أورده شاهدا على ورود رب للتكثير .و جملة« قد لهوت »صفة يوم والعائد محذوف أى فيه ، وصفة ليلة مع العائد محذوف أى لهوت فيها ، ولا يجوز أن يكون الوصف لهما .والآنسة :المرأة التى تأنس بحديثك . و الخط الكتابة ، قال فى العباب : يقال خطه فلان كما يقال كتبه، و أنشد هذا البيت .وقال فى مادة مثل: و التمثال الصورة . و الجمع التماثيل.وقوله تعالى (ماهذه التماثيل) أى الأصنام و قوله تعالى(يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل) و هى صور الانبياء عليهم السلام . وكان التصوير مباحا فى ذلك الوقت

يُضىءُ الْفِرَاشَ وجْهُها لضجيعها ٭ كمِصْبَاحِ زَيْتٍ فى قَنَاديلِ ذُبَّال

الفراش :مفعول مقدم ووجهها الفاعل . و المصباح : السراج ، و الذبال بضم الذال وتشديد الموحدة جمع ذبالة و هى الفتيلة لغة فى الذبال بتخفيف الباء و يروى فى قناديل آبال . جمع أبيل كشريف و أشراف و هو الراهب ، قال عدى بن زيد العبادى :

إننى والله ، فاقبل حِلْفَتى ٭ بأبيل كلما صلّى جأرْ (١)

و فى بمعنى مع

كأنّ على لبَّاتها جَمْرَ مُصْطَلٍ ٭ أصَابَ غَضًاجَزْلًا وكُفَّ بأَجْذَالِ

(١) هكذا رواه المؤلف : وفيه زيادة الباء فى خبر إن ، ورواية غيره « لأبيل كلما صلى جأر » وهى أحسن عربية، هذا و البيت من كلمة لعدى بن زيد العبادى يقولها للنعمان حين حبسه وأولها:

طال ذا الليل علينا واعتكر ٭ وكأنى ناذر الصبح سمر

وقبل البيت المستشهد به هنا:

أبلغ النعمان عنى مألكا ٭ قول من قد خاف ظنا فاعتذر

وهَبَّتْ له ريحٌ بمُخْتَلَف الصُّوَى صباً وشمالا فى مَنَازِلِ قُفَّال

اللبة المنحر وموضع القلادة من الصدر و المراد هنا هو الثانى :والمصطلى . اسم فاعل من اصطلى بالنار وصلى بها و صليها من باب تعب : و جد حرها ،وجملة ،أصاب غضاء صفة لمصطل ، والغضا شجر خشبه من أصلب الخشب . و لهذا يكون فى فحمه صلابة و أصاب : وجد . و الجزل الغليظ . وجزل الحطب بالضم جزالة إذا عظم وغلظ فهو جزل . و كف بالبناء للمفعول من كففت الثوب أى خطت حاشيته و هى الخياطة الثانية أراد جعل حول الجمر أجذال وهى أصول الحطب العظام جمع جذل بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة و المختلف بفتح اللام موضع الإختلاف أى التردد وهو أن تذهب ريح و تجىء ريح والصوى : جمع صوة كقوى جمع قوة : والصوة قال فى الصحاح : هى مختلف الريح وأنشد هذا البيت والصوة أيضا حجر يكون علامة فى الطريق وليس بمراد هنا خلافا لبعضهم ، والقفال: جمع قافل كعباد وعابد ، والقافل الراجع من سفره ، و فعله من باب قعد ويكون القفول فى المبتدىء للسفر تفاؤلا بالرجوع ، بالغ فى سخونة هذه المرأة فى الشتاء حيث وصف الحلى الذى على لباتها بما ذكر فى البيتين ، وهذا مدح فى النساء كما اذا بردت فى الصيف قال الاعشى :

وتسخن ليلة لا يستطيع نباحا بها الكلب إلا هريرا

وتبرد برد رداء العرو س بالصيف رقرقت فيه العبيرا

كَذبْتِ لقَدْ أُصْبِي على الْمَرْءِ عِرْسَهُ وأَمْنَعُ عِرْسِي أَنْ يُزَنَّ بها الْخَالِي

صرح بتكذيب بسباسة حيث زعمت أنه لايلهو بالنساء فقال انى أشوق النساء الى مع وجود أزواجهن ولا أدع أحداً يتهم بامرأتى لأنها لاتميل إلى أحد مع وجودى لأنى محبب عند النساء ، و أصبى : مضارع أصبيت المرأة بمعنى شوقتها وجعلتها ذات صبوة و هى الشوق ، و العرس بالكسر الزوجة ، و يزن : يتهم بالبناء للمفعول يقال أزننته بشىء اتهمته به و هو يزن بكذا وأزنه بالأمر اذا اتهمه به . والخالى قال فى الصحاح قال الأصمعى هو من الرجال الذى لازوجة له. وأنشد هذا البيت

ومِثْلكِ بيضاء العوارض طَفْلَة لَعُوب تُنَسِّينى اذا قمتُ سِرْبالى

الواو واو رب، وهو خطاب لبساسة ، في القاموس : العارض والعارضة صفحة الخد وصفحتا العنق و جانبا الوجه والعارضة أيضا مايستقبلك من الشيء ومن الوجه مايبدو عند الضحك . والطفلة بفتح الطاء الناعمة البدن ، والطفل الناعم ، واللعوب : الحسنة الدل ، والنسيان : خلاف الذكر وأنسانيه الله ونسايه تنسية بمعنى ور واه الجوهري عن أبي عبيدة

لعوب تناساني اذا قمت سربالي

وقال معناه تنسيني . والسربال : القميص

لطيفةُ طَيِّ الكَشْحِ غيرُ مُفاضةٍ اذا انفَتَلَتْ مُرْتَجَّةً غَيْرَ مِتفالِ

لطف لطفا ولطافة ككرم صغر ودق وهو لطيف و الكشح بالفتح مابين الخاصرة الى الضلع الخلف وطى الكشح هنا جدلها وفتلها يريد أنها مجدولة الكشح جدلا لطيفا فان هيف الكشح والخصر ممدوح ، والمفاضة من النساء الضخمة البطن وهذا ذم فيهن ومن الدروع الواسعة وهما من الفيض ، وانفتلت انصرفت ، ومرتجة : من الارتجاج وهو التحرك والاضطراب أراد عظم كفلها ، وهي خبر تكون محذوفة ، والمتفال بالكسر من تفل بالمثناة الفوقية و الفاء قال في العباب : التفل بالتحريك مصدر قولك تفل الرجل بالكسر إذا ترك الطيب فهو تفل وامرأة تفلة وفي الحديث (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن اذا خرجن تفلات) أي تاركات للطيب ، وامرأة متفال اذا كانت كذلك وأتفله غيره ، ومنه حديث علي رضي الله عنه لرجل رآه نائما في الشمس (قم عنها فانها تتفل الريح ، وتبلي الثوب ، وتظهر الداء الدفين) وصفها بثلاثة أمور : ضم الخصر ، وضخامة الكفل ، والطيب

اذا ما الضجيع ابتزَّها من ثيابها تميل عليه هُونَةً غيرَ مِعْطَالِ

ابتزها نزع بزها أي ثيابها ، وأراد مطلق النزع والسلب ، والهونة والهونة - بالفتح والضم - المتئدة والهون السكينة والوقار ، والمعطال : تقدم تفسيره ، ويروى مجبال ، قال الاصمعي : معناه هي الغليظة

كدِعْص النَّقا يمشي الوليدانِ فوقه بما احتسبا من لين مَسٍّ وتسهالِ

الدعص - بالكسر - قطعة من الرمل مستديرة ، والنقا : الكثيب من الرمل ، أراد

تشبيه عجزها بالدعص لعظمه حتى إن ولدين يمكنهما أن يلعبا فوقه من غير ضرر عليهما للينه وسهولته والوليدان : الصبيان . واحتسب : اكتفى . والتسهال : السهولة

اذا ما استحمت كان فَيْضُ حميمها على مَتْنَتَيْهَا كالجُمان لدى الحال

استحمت : اغتسلت بالحميم وهو الماء الحار . ومتنتا الظهر : مكتنفا الصلب عن يمين وشمال من عصب ولحم والمفرد متن ومتنة . والجمان ـ بالضم ـ اللؤلؤ . والحال وسط الظهر ومن الفرس موضع اللبد . أراد أن الماء الذى ينفصل من ظهرها عند الاغتسال يشبه اللؤلؤ المتناثر

تنورتها من أذرعات (البيت)

الضمير راجع الى بسباسة . وقد شرح البيت

نظرت اليها والنجوم كأنها مصابيح رُهبان تشب لقُفّال

ضمير إليها راجع إلى النار المفهوم من تنورتها . وجملة والنجوم الخ حال من الفاعل وجملة تشب حال من ضمير النار

قال ابن رشيق فى العمدة : ومن أبيات المبالغة قول امرىء القيس يصف ناراً ـ وأن كان فيه اغراب (١) : نظرت اليها والنجوم (البيت) يقول : نظرت إلى نار هذه المرأة تشب لقفال والنجوم كأنها مصابيح رهبان ، وقد قال تنورتها من أذرعات (البيت) و بين المكانين بعد أيام . وإنما ترجع القفال من الغزو والغارات وجه الصباح . فاذا رأوها من مسيرة أيام وجه الصباح ـ وقد خمد سناها وكل موقدها ـ فكيف كانت أول الليل ، وشبه النجوم بمصابيح الرهبان ، لانها ـ فى السحر ـ يضعف نورها كما يضعف نور المصابيح الموقدة ليلها أجمع . لا سيما مصابيح الرهبان لانهم يكلون من سهر الليل فربما نعسوا فى ذلك الوقت (٢)

وقال بعضهم : ومن التشبيه الصادق هذا البيت فانه شبه النجوم بمصابيح رهبان لفرط ضيائها وتعهد الرهبان لمصابيحهم . وقيامهم عليها لتزهر الى الصبح . فكذلك النجوم زاهرة طول الليل وتتضاءل الى الصبح كتضاؤل المصابيح له ، وقال : تشب لقفال ، لان أحياء العرب بالبادية إذا قفلت إلى مواضعها التى تأوى اليها : من مصيف

(١) فى العمدة : أغراق

(٢) العمدة (ج ٢ ص ٤٥)

الى مشتى الى مربع : ـ أوقدت لها نيران على قدر كثرة منازلها وقلتها ليهتدوا بها، فشبه النجوم ومواقعها من السماء بتفرق تلك النيران واجتماعها من مكان بعد مكان ،على حسب منازل القفال بالنيران الموقدة لهم.

وقد طال الكلام هنا و لم يمكننا أن نترجم امرأ القيس ونترجمه ان شاء الله فى الشاهد الثانى من شواهد شعره.

(٤) وأنشد بعده ـ وفى آخر الشرح فى التنوين ـ وهو الشاهد الرابع

أقلى اللوم عاذل والعتابا وقولى ـ ان أصبتُ ـ لقد أصابا

على أن تنوين الترنم يلحق الفعل والمعرف باللام .وقد اجتمعا فى هذا البيت. والفعل سواء كان ماضيا كما ذكر أو مضارعا كقوله :

داينت أروى والديون تقضين

وقد لحقت المضمر أيضا كقوله :

ياأبتاعلك أوعساكن

قال الشارح : « ولم يسمع دخولها الحرف ، ولا يمتنع ذلك فى القياس »

أقول : قد سمع فى الحرف أيضا كما مثل له شراح الالفية بقول النابغة :

أفِدَ الترحُّلُ غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأنْ قدن

ولحاق هذا التنوين لما ذكر إنما هو عند بنى تميم كما قال الشارح ، وعند قيس أيضا كما قاله ابن جنى فى سر الصناعة

وأقلى : فعل أمر مسند إلى ضمير العاذلة ، يقال : أقللته وقللته بمعنى جعلته قليلا بتعدية قل بالهمزة والتضعيف ، وهذا المعني ليس بمراد ، بل المقصود : اترك اللوم ، فأن القلة يعبر بها عن العدم كما هو مستفيض ، واللوم : مفعول أقلى ، وهو مصدر لام يلوم ومعناه العذل والتوبيخ ، وعاذل : منادى محذوف منه حرف النداء ومرخم عاذلة من عذل . يعذل ـ من بابى ضرب وقتل ـ بمعنى لام ؛ والعتاب : معطوف على اللوم ، مصدر عاتب معاتبة وعتابا ، قال الخليل : العتاب مخاطبة الأدلال ومذاكرة الموجدة أى الغضب ، وهذا ليس بمقصود إذ هو بهذا المعنى لا يكون إلا بين متحابين، و إنما المراد

مصدر عتب عليه عتبا ـ من بابى ضرب وقتل ـ بمعنى لامه فى تسخط . وقوله : قولى فعل أمر أيضا معطوف على أقلى ، وقوله لقدأصابن مقول القول . وجملة « ان أصبت» معترضة بينهما . وجواب الشرط محذوف وجوبا يفسره جملة القول

وهذا البيت مطلع قصيدة طويلة عدد أبياتها مائة وتسعة لجرير يهجو عبيدا الراعى النميرى والفرزدق

وسبب هجوه إياهما ـ على ما حكى فى شرح المناقضات ـ أن عرادة النميرى كان نديما للفرزدق فقدم الراعي البصرة فقدم عرادة طعاما وشرابا فدعا الراعي فلما أخذت الـكأس منهما قال عرادة للراعى : ياأبا جندل قل شعرا تفضل الفرزدق على جرير ، فلم يزل يزين له ذلك حتى قال :

يا صاحبىّ دنا الاصيل فسيرا غَلَبَ الفرزدق فى الهجاء جريرا

فغدابه عرادة على الفرزدق فانشده إياه ، وكان عبيد الراعي شاعرمضر وذاسنها، فحسب جرير أنه مغلب الفرزدق عليه فلقيه يوم الجمعة فقال : ياأبا جندل إنى أتيتك بخبر أتانى ، انى وابن عمى هذا ـ يعنى الفرزدق ـ نستب صباحا مساء وما عليك غلبة المغلوب ولاعليك غلبة الغالب ، فاما أن تدعنيوصاحبى ، وإما انتغلبنيعليه لانقطاعى إلى قيس وحطبى فى حبلهم ، فقال له الراعي : صدقت لا أبعدك من خير ، ميعادك المربد فصبحه جرير فبينما هما يستخرج كل منهما مقالة صاحبه رآهما جندل بن عبيد فأقبل يركض على فرس له فضرب بغلة أبيه الراعيوقال : مالكيراك الناس واقفا على كلب بنى كليب فصرفه عنه ، فقال جرير : أما والله لأثقلن رواحلك ، ثم أقبل إلى منزله فقال للحسين راويته : زد فى دهن سراجك الليلة وأعدد لوحا ودواة ، ثم أقبل على هجاءبنى نمير ،فلم يزل يملىحتىوردعليهقوله :

فغضّ الطرْفَ إنك من نُمَيْرٍ فلا كَعْباً بلغت ولا كلابا

فقال : حسبك أطفىء سراجك ونم فرغت منه ، ثم إنجريرا أتم هذه بعدوكان يسميها الدامغة أو الدماغة وكانيسمىهذه القافية المنصورة لانه قال قصائد فيها كلهن أجاد فيها ، وبعد أن أتمها أدخل طرف ثوبه بين رجليه ثم هدر فقال : أخزيت ابن

يربوع ، حتى إذا أصبح غدا و رأى الراعى فى سوق الأبل فأتاه وأنشده إياها حتى وصل إلى قوله :

أجندل ما تقول بنو نمير إذا ماالايرفى است أبيك غابا

فقال الراعى : شرا والله تقول

علوت عليك ذروة خندفىّ ترى من دونها رتبا صعابا
لنا حوض النبى وساقياه ومن ورث النبوة والكتابا
إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
فغض الطرف إنك من نمير (البيت)

فقال الراعى — وهو يريد نقضها — :

أتانى أن جحش بنى كليب تعرّض حَوْل دِجْلة ثم هابا
فأولى أن يظل البحر يطفو بحيث ينازع الماء السحابا
أتاك البحر يضرب جانبيه أغرّ ترى لجريته حبابا

ثم كف ورأى أن لا يجيبه فأجاب عنه الفرزدق على روى قوله

أنا ابن العاصمين بنى تميم اذاما أعْظَمُ الحدثان نابا

ثم إن الراعى قال لابنه: ياغلام بئسما كسبنا قومنا ثم قام من ساعته وقال لاصحابه : ركابكم فليس لكم ههنا مقام فضحكم جرير. فقال له بعض القوم : ذلك بشؤمك وشؤم ابنك . وسار الى أهله فلما وصل إليهم سمع عند القدوم :

فغض الطرف إنك من نمير (البيت)

وأقسم بالله مابلغها إنسى . وإن لجرير لأشياعا من الجن فتشاءمت به بنو نمير وسبوه وسبوا ابنه وهم يتشاءمون به الى الآن

قال ابن رشيق فى العمدة : وممن وضعه ما قيل فيه من الشعر حتى أنكر نسبه وسقط عن رتبته وعيب بفضيلته بنو نمير : كانوا جمرة من جمرات العرب ، إذا سئل أحدهم ممن الرجل فخم لفظه ومد صوته وقال : من بني نمير ، إلى أن صنع جرير قصيدته التى هجابها عبيد بن حصين الراعى فسهر لها فطالت ليلته الى أن قال :

فغض الطرف إنك من نمير (البيت)

فأطفأ سراجه ونام ، وقال : والله قد أخزيتهم آخر الدهر . فلم يرفعوا رأسا بعدها إلا نكس بهذا البيت ، حتى إن مولى لباهلة كان يرد سوق البصرة ممتارا فيصيح به بنو نمير : ياجوذاب باهلة ، فقص الخبر على مواليه — وقد ضجر من ذلك — فقالوا له : اذا نبزوك فقل لهم :

فغض الطرف إنك من نمير (البيت)

ومر بهم بعد ذلك فنبزوه وأراد البيت فنسيه فقال: غمض وإلا جاءك ماتكره، فكفوا عنه ولم يعرضوا له بعدها . ومرت امرأة ببعض مجالس بني نمير فأداموا النظر إليها فقالت : قبحكم الله يابنى نمير ما قبلتم قول الله عز وجل « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » ولا قول الشاعر :

فغض الطرف إنك من نمير (البيت)

وهذه القصيدة تسميها العرب الفاضحة وقيل سماها جرير الدماغة . تركت بنى نمير بالبصرة ينتسبون إلى عامر بن صعصعة ويتجاوزون أباهم نميراً الى أبيه هربا من ذكر نمير وفرارا مما وسم به من الفضيحة والوصمة (١)

واعلم أن جمرات العرب ثلاث ، وهم : بنو نمير بن عامر بن صعصعة ، وبنو الحرث بن كعب، وبنو ضبة بن أد . فطفئت جمرتان ، وهما : بنو ضبة — لانها حالفت الرباب — وبنو الحرث بن كعب — لانها حالفت مذحج — وبقيت نمير لم تحالف فهى على كثرتها ومنعتها ، وكان الرجل منهم إذا قيل له من أنت قال نميرى إدلالا بنسبه وافتخارا بمنصبه حتى قال جرير :

فغض الطرف إنك من نمير (البيت)

وكعب وكلاب ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة ، والتجمير فى كلام العرب التجميع وانما سموا بذلك لانهم متوافرون فى أنفسهم لم يدخلوا معهم غيرهم ، وفى القاموس : الجمرة النار المتقدة وألف فارس والقبيلة لاتنضم الى أحد أو التى فيها ثلثمائة

(١) العمدة (ج ١ ص ٢٦)

فارس وجمرات العرب بنوضبة بن أد و بنو الحرث بن كعب و بنو نمير بن عامر أو عبس والحرث وضبة لان أمهم رأت فى المنام أنه خرج من فرجها ثلاث جمرات فتزوجها كعب بن المدان فولدت له الحرث وهم أشراف اليمن ثم تزوجها بغيض بن ريث فولدت له عبسا وهم فرسان العرب ثم تزوجها أد فولدت له ضبة فجمرتان فى مضر وجمرة فى اليمن

وجرير بن عطية بن الخطفى بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وجرير من الأسماء المنقولة لأن الجرير حبل — يكون فى عنق الدابة أو الناقة — من أدم كذا فى أدب الكاتب ، وسمى جريرا لأن أمه كانت رأت فى نومها — وهى حاملة به — أنها تلد جريرا فكان يلتوى على عنق رجل فيخنقه ثم فى عنق آخر ثم فى عنق آخر حتى كاد يقتل عدة من الناس، ففزعت من رؤياها. وقصتها على معبر فقال لها : إن صدقت رؤياك ولدت ولدا يكون بلاء على الناس. فلما ولدته سمته جريرا . وكان تأويل رؤياها أنه هجا ثمانين شاعرا فغلبهم كلهم إلا الفرزدق ، وكانت أمه ترقصه وهو قصير وتقول :

قصصت رؤياى على ذاك الرجل فقال لى قولا وليت لم يقل
لتلدنّ عضلة من العضل ذا منطق جزل اذا قال فصل
مثل الحسام العضب مامس فصل يعدل ذا الميل ولما يعتدل
ينهل سما من يعادى و يعل

والخطفى لقب جده واسمه حذيفة مصغر حذفة وهى الرمية بالعصا ولقب بالخطفى لقوله

يرفعن بالليل اذا ما أسدفا أعناق جنان وهاما رجفا
وعنقا (١) باقى الرسيم خطفا

ويروى خيطفا وهو السريع

ويكنى جرير أبا حزرة - بفتح المهملة وسكون المعجمة - بابن كان له ، والحزرة فعلة من حزرت الشىء إذا خرصته وخمنته ، والحزرة أيضاً خيار المال وحموضة اللبن قال ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء : وكان له عشرة من الولد ثمانية ذكور

(١) فى كتاب الشعر والشعراء «وعنقا بعد الرسيم خيطفا» والعنق والرسيم نوعان من السير

منهم بلال وكان أفضلهم وأشعرهم ، ولهم (١) عقب منهم عمارة بن عقيل بن بلال ، ومن ولد جرير نوح وعكرمة وكانا شاعرين أيضاً

وكان جرير من فحول شعراء الاسلام . وكان يشبه بالأعشى ميمون . وكان من أحسن الناس تشبيها

قال الاصمعي : سمعت الحي يتحدثون عن جرير أنه قال : لولا ما شغلني من هذه الكلاب لشببت تشبيباً تحن منه العجوز إلى شبابها حنين الناقة إلى سقبها

وكان من أشد الناس هجاء . وقد أجمع علماء الشعر على أن جريراً والفرزدق والاخطل مقدمون على سائر شعراء الاسلام . واختلفوا في أيهم أفضل . وقد حكم مروان بن أبي حفصة بين الثلاثة بقوله

ذهب الفرزدق بالفَخار وإنما حُلْوُ الكلام ومُرُّه لجرير
ولقد هجا فأمضَّ أخطلُ تغلب وحوى اللُّهى بمديحه المشهور

فحكم للفرزدق بالفخار ، وللأخطل بالمدح والهجو ، ولجرير بجميع فنون الشعر قال المدائني : كان جرير أعق الناس لأبيه ، وكان ابنه بلال أعق الناس به ، فراجع جرير بلالا في الكلام ، فقال بلال : الكاذب من ناك أمه ، فاقبلت عليه وقالت له : ياعدو الله أتقول هذا لأبيك ؟ قال جرير : فوالله لكأني أسمعها وأنا أقولها لأبي

ولما بلغ موت الفرزدق جريراً قال :

هلك الفرزدق بعد ما جدعته ليت الفرزدق كان عاش قليلا

ثم أطرق طويلا وبكى، فقيل له : ما أبكاك ؟ قال : بكيت على نفسي. والله إني لأعلم أني عن قليل لاحقه فلقد كان نجمنا واحدا وكل واحد منا مشغول بصاحبه وقلما مات ضد أو صديق إلا تبعه الآخر . ثم أنشأ يرثيه :

فجعنا بحمال الديات ابن غالب وحامي تميم عرضها والبراجم
بكيناك حدثان الفراق وإنما بكيناك إذ نابت أمور العظائم
فلا حملت بعد ابن ليلى مهيرة ولا شد أنساع المطي الرواسم

ثم لم يلبث أن مات بعد قليل باليمامة

(١) الذي في كتاب الشعر والشعراء : ولبلال عقب الخ

وذكر الآمدي في المؤتلف والمختلف من اسمه جرير من الشعراء سبعة: أحدهم هذا وتوفى فى سنة عشر وقيل احدى عشرة ومائة وعمره قد قارب التسعين . والثانى جرير العجلي وهو عصرى الأول وقد رد على الفرزدق . والثالث جرير بن عبدالله أحد بنى عامر بن عقيل فارس شاعر . والرابع جرير بن عبد المسيح الضبعى وهو المتلمس صاحب طرفة بن العبد . والخامس جرير بن كليب بن نوفل وهو إسلامى. والسادس جرير بن الغوث أخو بنى كنانة بن القين . والسابع جرير وهذا مصغر وهو أبو مالك المدلجى

وأنشد بعده. وهو الشاهد الخامس

وهو من شواهد سيبويه : أنشده فى باب وجوه القوافى .واستشهد به لما يلزم من إثبات الواو والياء اذا كانتا قافيتين كما يلزم إثبات القاف فى المخترق لانها حرف الروي :

(٥) (وقاتم الاعماق خاوى المخترقن)

على أن تنوين الترنم قد يلحق الروى المقيد فيختص باسم الغالى

تبع الشارح المحقق فى جعل تنوين الغالى نوعا من تنوين الترنم لابن جنى . فانه قال فى سر الصناعة : الرابع من وجوه التنوين وهو أن يلحق أواخر القوافى معاقبا لما فيه من الغنة لحرف الميم . وهو على ضربين : أحدهما أن يلحق متمما للبناء . والآخر أن يلحق زيادة بعد استيفاء البيت جميع أجزائه نيفا من آخره بمنزلة الزيادة المسماة خزما فى أوله . ثم قال : وانما زادوا هذا التنوين فى هذا الموضع ونحوه بعد تمام الوزن لأن من عادتهم أن يلحقوه فيما يحتاج اليه الوزن نحو:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلن

وقوله :

الحمد لله الوهوب المجزلن

فلما اعتادوه ـ فيما يكمل وزنه ـ ألحقوه أيضا بما هو مستغنى عنه

وهذا معنى قول الشارح : وإنما ألحق بالروى المقيد تشبيها له بالمطلق. وزعم ابن يعيش أن فائدة هذا التنوين التطريب والتغني ، وجعله ضربا من تنوين الترنم، وزعم أن تنوين الترنم يراد به ذلك . وهو غلط كما بينه الشارح المحقق

وقال عبد القاهر: فائدته الايذان بأن المتكلم واقف. لأنه إذا أنشد عجلا - والقوافى ساكنة صحيحة - لم يعلم أواصل هو أم واقف

وأنكر هذا التنوين الزجاج والسيرافى. وزعما أن رؤبة كان يزيد فى أواخر الابيات أن. فلما ضعف صوته بالهمزة - لسرعة الايراد - ظن السامع أنه نون. وفى هذا توهيم الرواة الثقات بمجرد الاحتمال! وقول الشارح: فتح ما قبل النون تشبيها لها بالخفيفة أو يكسر للساكنين كما فى حينئذ. قال ابن هشام فى شرح الشواهد والاخفش يسمى هذا التنوين غاليا. والحركة التى قبل التنوين غلوا. وهى الكسرة لأنها الأصل فى التقاء الساكنين كقولهم يومئذ ومه. وزعم ابن الحاجب أن الأولى أن تكون الحركة قبل فتحة كما فى نحو اضربن وان هذا أولى من أن يقاس على يومئذ لان ذالك له أصل فى المعنى وهو عوض من المضاف إليه. ولنا أن قياس التنوين على التنوين أولى لاتحاد جنسهما ولانهما يكونان فى الاسم والنون لا تكون إلا فى الفعل. ثم إن فتحة اضربا للتركيب كما فى خمسة عشر لا لالتقاء الساكنين

والروى هو الحرف الذى تنسب اليه القصيدة. مأخوذ من الرواء - بالكسر والمد - وهو الحبل. والمقيد: الساكن الذي ليس حرف علة

وهذا البيت مطلع قصيدة مرجزة مشهورة لرؤبة بن العجاج

وقال ابن قتيبة فى أول كتاب الشعر والشعراء: حدثنى أبو حاتم عن الاصمعى قال كان ثلاثة إخوة من بنى سعد لم يأتوا الامصار ذهب رجزهم يقال لهم نذير ومنيذر ومنذر. يقال إن قصيدة رؤبة التى أولها وقاتم الاعماق: لنذير

وهذه القصيدة طويلة لا فائدة فى إيراد جميعها. لكن فيها بيت من شواهد التفسير ومغنى اللبيب لا يتضح معناه إلا بشرح الابيات التى قبله فلهذا شرحت

فقوله: وقاتم الواو واو رب وهى عاطفة لاجارة. وقاتم مجرور برب لا بالواو على الصحيح. وقد أنشد الشارح هذا البيت فى رب من حروف الجر أيضا على أن رب محذوفة بعد الواو وذكر أنه يجوز حذفها فى الشعر بعد الواو والفاء وبل. ولم أر من قيد حذفها فى الشعر وغيره. وهذا هو مذهب البصريين. وزعم الكوفيون والمبرد أن الجر بالواو لا برب. واستدلوا فى افتتاح القصائد بها كهذا البيت. وأجيب بجواز العطف

على كلام تقدم : ملفوظ به لم ينقل ، أو مقدر حكم له ـ منويا فى النفس ـ بحكم المنطوق به، ورد مذهبهم بوجوه أيضا :

أحدها: أنها مع ذكر رب عاطفة باتفاق فكذلك مع حذفها ، ولاتنقل عن ذلك إلا بدليل . والأصل عدمه قال ابن خالويه : الواو اذا كانت فى اوائل القصائد نحو وقاتم الاعماق فانها تدل على رب فقط ولاتكون للعطف لانه لم يتقدم مايعطف عليه بالواو قال أبو على الفارسى فى نقض الهاذور : هذا شىء لم نعلم أحدا ممن حكينا قوله فى ذلك ذهب اليه ولا قال به . وليس هذا الذى تظناه ـ من الفصل بين الاوائل وغيرها ـ بشىء . وذلك أن أوائل القصائد يدخل عليها حروف العطف على جهة الخزم نحو ماررووا من قوله :

بل ما هاج أحزانا وشجوا قد شجا

وكأنه جعله عطفا على كلام قد كانوا يقولونه وقصة خاضوا فيها فعطف الشعر بحرف العطف على ذلك الكلام الذى كانوا فيه

الثانى : لوكانت الواو عوضا من رب لما جاز ظهورها معها ، لانه لايجوز أن يجمع بين العوض والمعوض عنه

الثالث : أنها لو كانت نائبة عن رب لجامعها واو العطف كما تجامعها واو القسم كقوله:

ووالله لولا تمره ما حببته

الرابع : ان رب تضمر بعد الفاء وبل ، ولم يقل أحد إنهما حرفا جر ، فكذلك ينبغى ان يكون الحكم مع الواو

وقال الشاطبى : وفى هذ الأدلة كلها نظر وأقربها الرابع ، إن ثبت الاتفاق من الفريقين على ان الفاء وبل ليستا جارتين عند حذف رب . فان الفرق بينهما وبين الواو فيه بعد

وبعد فهذه المسئلة لا ثمرة لها فى النحو وانما البحث فيها مظهر للمرتكب الاولى فى ضبط القوانين خاصة ، وإذا كان كذلك فما قاله أهل البصرة له وجه صحيح وما قاله الآخرون كذلك والله أعلم

وقاتم . قال الاصمعى فى شرح ديوان رؤبة : القتمة الغبرة الى الحمرة والقتمة مصدر الأقتم . وقال ابن السكيت ـ فى كتاب القلب والابدال ـ : يقال أسود قاتم وقاتن

ـ بالميم والنون ـ وفعله من بابى ضرب وعلم، وهو صفة لموصوف محذوف أى رب بلد قاتم

والاعماق جمع عمق ـ بفتح العين وضمها ـ وهو ما بعد من أطراف المفاوز مستعار من عمق البئر يقال عمقت البئر عمقا ـ من باب قرب ـ وعماقة ـ بالفتح ـ أيضا بعد قعرها . وتعديته بالهمزة والتضعيف

والخاوى من خوى المنزل اذا خلا

والمخترق ـ بفتح الراء ـ مكان الاختراق من الخرق ـ بالفتح ـ وأصله من خرقت القميص ـ من باب ضرب ـ اذا قطعته وقد استعمل فى قطع المفازة فقيل خرقت الأرض اذا جبتها. ومخترق الرياح ممرها

مُشْتَبِهِ الأَعلام لَمَّاعِ الْخَفَقْ

الاعلام : جمع علم وهى الجبال التى يهتدى بها. يريد أن أعلام هذا البلد يشبه بعضها بعضا فتشتبه عليك الهداية

والخفق ـ بفتح الخاء وسكون الفاء ـ مصدر خفق السراب وخفقت الراية ـ من بابى نصر وضرب ـ خفقا وخفقانا اذا تحركت واضطربت وتحريك الفاء ضرورة يريد أنه يلمع فيه السراب . ومشتبه ولماع صفتان لقاتم

يكلُّ وفد الريح من حيث انْخَرَق

يكل : مضارع كل ـ من باب ضرب ـ كلالة تعب وأعيا و يتعدى بالألف، وروى بضم الياء مضارع أكله فالوفد مفعوله وضميره المستتر راجع لقاتم والجملة على الوجهين صفة لقاتم إلا أن الرابط فى الوجه الاول محذوف أى يكل فيه، والوفد : جمع وافد من وفد على القوم ـ من باب وعد ـ ووفودا بمعنى قدم ، ووفد الريح أولها، وهذا مثل، وقوله حيث انخرق أى حيث صار خرقا والخرق الواسع يريد اتسع فاذا اتسع الموضع فترت الريح واذا ضاق اشتد مرورها فيه

شأز بمن عَوَّه جَدْب المنطَلق

قال أبو زيد : شئز مكاننا شأزا غلظ واشتد ويقال قلق، وأشأزه أقلقه ومثله شأس تصرفا ومعنى ؛ وهو هنا وصف كصعب بمعنى الغليظ والشديد وعوه ـ بالعين المهملة ـ

مصدره التعوية بمعنى التعريس وهو النزول فى آخر الليل وكل من احتبس فى مكان فقدعوه . والجدب ـ بالفتح ـ نقيض الخصب وهو هنا وصف كالاول فانه يقال مكان جدب وأرض جدبة ويقال أيضا مكان جديب وأرض جدوب أى بين الجدوبة فيهما، وشأز وجدب وصفان لقاتم . والمنطلق ـ بفتح اللام محل الانطلاق . يعنى ان هذا البلد شديد على من تلبث فيه غير خصيب على المار والسالك

ناءٍ من التصبيح نَاْئِىَ المغتبق

يقول : هو بعيد من أن يصبحه الراكب فيصطبح فيه أو يأتيه ليلا فيغتبق وهو وصف لقاتم أيضا

تبدو لنا أعلامُه بعد الغَرَق

يعنى تظهر جباله بعد أن تغرق فى الآل وضمير أعلامه لقاتم . ومثله :

ترى قورها يغرقن فى الآل مرة وآونة يخرجن من غامر ضحل

في قطع الآل وهبْوات الدُّقَقْ

متعلق بالغرق قبله . قال الاصمعى : قطع الآل غدران من الآل جمع قطعة . والآل قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب : الفرق بين الآل والسراب : أن الآل يكون أول النهار وآخره وسمى آلا لأن الشخص هو الآل فلما رفع الشخص قيل هذا آل قد بدا وتبين وأما السراب فهو الذى تراه نصف النهار كأنه ماء . ورد عليه ابن السيد فى شرحه فقال : إنكار أن يكون الآل هو السراب من أعجب شىء يسمع به . وذكر أبياتا تدل على أن الآل هو السراب . والهبوة الغبرة والدقق بضم الدال وفتح القاف الاولى جمع دقة وهو التراب الذى كسحته الريح من الارض

خارجةً أعناقُها من مُعتنق

خارجة : حال سببية من الأعلام . وأعناقها فاعل خارجة . والضمير للاعلام ، والمعتنق مخرج أعناق الجبال من السراب.

تنشَّطته كل مغلاة الوهق

هذا جواب رب وقد غفل عنه العينى مع أنه شرح القصيدة جميعها فقال : وجواب

وقاتم الأعماق محذوف والتقدير ورب قاتم الأعماق الخ قد قطعته أوجبته أو نحو ذلك، انتهى، وتنشطته تجاوزته بنشاط، قال أبو حاتم: هو أن تمديدها ثم تسرع ردها، والضمير للقاتم، وكل فاعل، والمغلاة من النوق التي تبعد الخطو وتغلو فيه أي تفرط، والوهق المباراة في السير. وقال الليث: المواهقة المواظبة في السير ومد الاعناق وتواهقت الركاب تسايرت

مضبورةٌ قرواء هِرْجابٌ فُنُق

المضبورة المجموعة الخلق المكتنزة. والقرواء الطويلة القرى- بالفتح والقصر- وهو الظهر وفي الصحاح وناقة قرواء طويلة السنام ويقال للشديدة الظهر بينة القرى والهرجاب- بالكسر والجيم- الطويلة الضخمة من النوق. والفنق- بضم الفاء والنون- الناقة الفتية ولا يقال لشيء من الذكور فنق وقيل المنعمة في عيشها وقال الاصمعي: هي الفتية الضخمة وهذه الكلمات الأربع صفات للمغلاة

مائرة العَضْدين مِصْلاة العُنُق

مار الشيء يمور مورا تحرك وجاء وذهب، أي يمور ضبعاها لسعة إبطيها وليست بكنزة فرجعهما سريع، والعضدان- بسكون الضاد مخفف من ضمها- ويروى «الضبعين» بفتح المعجمة وسكون الموحدة، وهو كالعضدين وزنا ومعنى والمصلاة- بالكسر- ومثله الصلتة- بالفتح- وهي التي انحسر الشعر عن عنقها والهجينة تكون شعراء العنق. وقيل هي التي تنصلت في السير أي تتقدم

مُسْوَدَّة الأعطاف من وشم العرق

مسودة مجرور كالمائرة والمصلاة صفات للمغلاة يقول: قد جهدت حتى عرقت وتراكب عليها العرق واسود حتى صار وسما يقال وسما وسمة إذا أثرفيه بسمة وكي، وروي «من وشم» بالمعجمة يقال وشم يده وشما اذا غزها بابرة ثم ذر عليها النور وهو النيل والاسم الوشم أيضا

اذا الدليل اَستاف أَخلاقَ الطرق

اذا هنا ظرف وليست شرطية، والعامل فيها ما في كان من معنى التشبيه، واستاف شم يقال ساف يسوف سوفا اذا شم، وذلك بالليل يشم الدليل التراب: واخلاق الطرق

الدارس منها التى قد اختلقت واحدها خلق - بفتحتين - شبهها بالثوب الخلق لان الاستدلال بشم التراب إنما يكون فى الطرق القديمة التى كثر المشى فيها فيوجد رائحة الأرواث والابوال

كأنها حَقْباء بلقاء الزّلق

ضمير كأنها للناقة المغلاة . والحقباء مؤنث الأحقب وهو حمار الوحش سمى بذلك لبياض فى حقوبه . شبه الناقة بالاتان الوحشية وهى فى الجلادة والسرعة مثلها . والبلقاء مؤنث الابلق والزلق عجز الدابة أى المكان الذى تزلق اليد عن كفلها أبيض وأسود

أو جادر الليتين مطوى الحنق

فى العباب وجدر ليته إذا بقى فيها جدر بالتحريك أى أثر الكدم والعض وجادر بمعنى ذو جدر . والليت - بالكسر - صفحة العنق وهما ليتان . يقول : عضته الفحول فصار فى عنقه أثر . ومطوى الحنق قال الأصمعى فى شرحه : يقول طوى بالحنق أى بالضمر يقال أحنق اذا ضمر وإبل محانيق أى ضوامر . وفى الصحاح : حمار محنق ضمر من كثرة الضراب . شبه الناقة التى سلكت به هذا البلد الهائل ممره فى الوقت الذى يحار الدليل فى الطرق القديمة التى لا علم بها و ذلك آية الهلاك بالاتان الوحشية أو بالحمار الوحشى الموصوفين بهذه الأوصاف . وانما خصهما بالتشبيه لكونهما أجلد الوحوش وأسرع وجادر معطوف على حقباء

محملَج أُدرج إدراج الطَّلَق

هذا وصف للحمار الوحشى . والمحملج اسم مفعول من حملج الحبل فتله فتلا شديدا وأوله مهملة وآخره معجمة . وأدرج بالبناء للمفعول أيضا بمعنى فتل وطوى . وادراج - بكسر الهمزة - مصدر تشبيهى أى كادراج الطلق . والطلق - بفتحتين - قيد من جلود . وصف هذا الحمار بالضمر واكتناز الخلق وذلك أشد لعدوه

لوّحَ منه بعد بدْن وسَنَق

يقال لاحه السفر ولوحه غيره وأضمره : وضمير منه لجادر الليتين . وفاعل لوح قود ثمان فى البيت الثالث بعد هذا ومن للتبعيض . وبدن - بضم فسكون و بضمتين - السمن والاكتناز تقول منه بدن الرجل - بالفتح - يبدن بدنا - بالضم فيهما - إذا ضخم

وكذلك بدن بدانة فهو بادن وامرأة بادن أيضا. فى الصحاح : والسنق ـ بفتحتين ـ البشم يقال شرب الفصيل حتى سنق بالكسر يسنق بالفتح وهو كالتخمة . قال الاصمعى والسنق كراهة الطعام من كثرته على الانسان حتى لا يشتهيه . قيل لأعرابية أترين أحدا لا يشتهى الخبيص ؟ قالت : ومن لا يشتهيه الا من سنق منه ؟

من طول تعداء الربيع فى الأنق

هذا علة للسنق ، و الانق بفتحتين الاعجاب بالشىء تقول أنقت به من باب فرح فانابه أنق أى معجب ، وقال الاصمعى : الانق المنظر المعجب و منه أنيق يعنى أنه سنق من طول ماعدا فى الربيع فى مكان أنيق

تلويحك الضَّامرَ يُطْوى للسبَّق

تلويحك مصدر تشبيهى منصوب بلوح المذكور قبل وهو مضاف الى الفاعل والضامر مفعول به ، يقول : كما تلوح انت الفرس الضامر تريد أن تسابق عليه ، ويطوى يجوع ويضمر بالبناء للمفعول ـ والسبق ـ بفتحتين ـ والسبقة ـ بالضم مثله ـ الخطر والرهن الذى يوضع بين أهل السباق والجمع اسباق

قُودٌ ثمانٍ مثل أمراس الأَبَق

قود فاعل لوح المتقدم وهو جمع قوداء بمعنى الطويلة العنق والظهر ، والأمراس جمع مرس وهو جمع مرسة بمعنى الحبل والابق ـ بفتح الهمزة والموحدة ـ القنب وقيل قشر القنب وقال الاصمعى : هو الكتان يفتل ، يقول : هذه الاتن كانها حبال من شدة طيها وهذه الأوصاف مما تزيد فى نشاط الحمار وجريه فاذا كانت الناقة تشبهه فلا شىء أسرع منها

فيها خطوط من سواد وبَلَقْ كأنه فى الجلد تَوْليعُ الْبَهَق

البلق بفتحتين والبلقة بالضم مثله وهو سواد و بياض والتوليع استطالة البلق ، قال الاصمعى : اذا كان فى الدابة ضروب من الالوان من غير بلق فذلك التوليع يقال برذون مولع، واللمع الذى يكون فى جسده بقع تخالف سائر لونه فاذا كان فيه استطالة فهو مولع والبهق كما فى المصباح بياض مخالف للون الجسد وليس ببرص، وقال بن فارس سواد يعترى الجلد أولون يخالف لونه وفعله من باب تعب وهو ابهق وهى بهقاء ، وجملة

« فيها خطوط » إما صفة ثالثة لقود وإما حال منها والرابط الضمير وبه علم سقوط ماقله شارح شواهد التفسيرين خضر الموصلي من أن الضمير راجع إما الى بقرة يصفها كما فى بعض الحواشى أو الى أفراس كما قال جماعة أو الى أتان كما قاله ابن دريد مع أنه لم يتقدم ذكر شىء من بقر وأفراس والعجب منه أنه سطر الارجوزة برمتها ولم يتأمل مرجع الضمير وقوله « من سواد وبلق » بيان للخطوط يريد أن بعض الخطوط من سواد بحت وبعضها من سواد يخالطه بياض فالتقابل بين سوادين وجملة « كأنه فى الجلد الخ » صفة للخطوط أو للسواد والبلق والرابط الضمير بتأويله باسم الاشارة واسم الاشارة مؤول بالمذكور ونحوه وانما لم يؤول بالمذكور ابتداء لان التأويل قد كثر فى اسم الاشارة كما نقلوا عن أبى عبيدة أنه قال لرؤبة ان كنت أردت الخطوط فقل كانها وان أردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال رؤبة : أردت كأن ذلك ويلك

وتأويل اسم الاشارة بالمذكور — إذا خالف المشار اليه — جعله علماء التفسير والعربية قانونا يرجع إليه عند الاحتياج وخرجوا عليه آيات : منها قوله تعالى « ذلك بما عصوا » بأفراد اسم الاشارة مع أن المشار اليه شيآن الكفر والقتل وأورد هذا البيت نظيراً له وزعم ابن جنى فى المحتسب أنه لو قال قائل أن الهاء فى كأنه عائدة على البلق وحده لكان مصيباً لان فى البلق مايحتاج اليه من تشبيهه بالبهق فلاضرورة الى ادخال السواد معه انتهى . وفيه أن المحدث عنه هو الخطوط وهى المشبهة بالبهق فاما أن يرجع الضمير إلى المبين الذى هو المحدث عنه أو الى البيان بتمامه وأما إرجاعه إلى بعض البيان فيلزم تشبيه بعضه دون بعض وهذا ليس بمقصود بل المراد تشبيه الخطوط — التى بعضها من سواد بحت وبعضها من سواد فيه بياض — بالبهق المستطيل ، والبهق فيه سواد وبياض أيضاً فتأمل وروى الاصمعى كانها أيضاً بضمير المؤنث وعليها فلا إشكال وفى هذه الارجوزة بيت وهو :

لواحق الاقراب فيها كالمقق

أورده الشارح فى حرف الكاف من حروف الجر على أن الكاف فيه زائدة ونشرحه هناك إن شاء الله تعالى

ورؤبة هو : أبو الجحاف بن العجاج عبدالله بن رؤبة بن لبيد بن صخر من بنى

مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم هو وأبوه شاعران كل منهما له ديوان رجز وهما مجيدان فيه عارفان باللغة : وحشيها وغريبها، وهو أكثر شعراً من أبيه ، أفصح منه ؛ روى أنه قال لابيه أنا أشعر منك لانى شاعر وابن شاعر وأنت شاعر فقط ! وقيل ليونس النحوى : من أكثر الناس قال العجاج ورؤبة فقيل له : لم نعن الرجاز قال : هما أشعر أهل القصيد وانما الشعر كلام فأجوده أشعره . قال أبو عوف : ماشبهت لهجة الحسن البصرى إلا بلهجة رؤبة . وحكى ابن حبيب عن يونس النحوى أنه قال : كنت عند أبي عمرو بن العلاء فجاءه شبل بن عمرو الضبعى فقام اليه أبو عمرو والقى اليه لبدة بغلته فجلس اليها ثم أقبل عليه يجذبه فقال شبل : يا أبا عمرو سألت رؤبتكم عن اشتقاق اسمه فما عرفه . قال يونس : فلم أملك نفسى عند ذكر رؤبة فقلت لعلك تظن أن معد بن عدنان أفصح منه ومن أبيه ؟! أفتعرف أنت ماالرؤبة وكررها خمساً فلم يحر جوابا وقام مغضباً فقال لى أبو عمرو هذا رجل شريف يزور مجلسنا ويقضى حقوقنا وقد أسأت بما فعلت مماواجهته به فقلت لم أملك نفسى عند ذكر رؤبة فقال أو قد سلطت على تقويم الناس وحكى المدائنى قال: قدم البصرة راجز من رجاز العرب فجاس الى حلقة فيها الشعراء وجعل يقول: أنا أرجز العرب أنا الذى أقول:

مَرْوان يُعطِي وسعيدٌ يَمنع   مروان نَبْعٌ وسعيد خروع

والله أنا أرجز من العجاج فليت البصرة جمعت بيني وبينه ورؤبة والعجاج حاضرا المجلس فقال رؤبة لابيه: قد انصفك الرجل فقم اليه فاقبل عليه وقال ها أنا العجاج وزحف اليه قال : أى العجاجين أنت قال: ماخلتك تعني غيري أنا عبدالله الطويل وكان يعرف بذلك فقال ماعنيتك وماقصدتك! قال : كيف وقد هتفت باسمي وتمنيت أن تلقاني قال أو ما في الدنيا عجاج سواك قال فهذا ابني رؤبة قال اللهم غفرا انما مرادى غيركما فضحك الناس وكفا عنه

قال ابن قتيبة فى كتابه الشعر والشعراء قال أبو عبيدة دخلت على رؤبة وهو يجبل جرذانا فى النار فقلت أتأكلها قال : نعم أنها خير من دجاجكم التى تأكل العذرة أنها تأكل البر والتمرة

وكان رؤبة مقيما بالبصرة ولحق الدولة العباسية كبيرا ومدح المنصور وأبا مسلم

ولما ظهر بها ابراهيم بن الحسن بن علي رضي الله عنه، خرج على المنصور خاف على نفسه من الفتنة فخرج الي البادية فمات بها في سنة خمس وأربعين و مائة .. كذا قيل

وهذا يخالف ماروى عن يعقوب قال لقيت الخليل بن أحمد يوماً بالبصرة فقال لي ياأبا عبدالله دفنا الشعر واللغة والفصاحة اليوم. فقلت له: وكيف ذاك فقال: هذا حين انصرفنا من دفن رؤبة بن العجاج. ولم أر له في ديوانه من غير الرجز إلا هذين البيتين

أيها الشامت المعير بالشيـ ... ـب اقلن بالشباب افتخارا

قد لبست الشباب غضا طريا ... فوجدت الشباب ثوبا معارا

و بيتين آخرين وهما :

اذا ما الموت أقبل قبل قوم ... أكب الحظ وانتقص العديد

أرانا لا يفيق الموت عنا ... كأن الموت إيانا يكيد

وذكر الآمدي في المؤتلف والمختلف من اسمه رؤبة ثلاثة: أحدهم هذا. والثاني رؤبة ابن العجاج بن شدقم الباهلي هو وأبوه شاعران وكنية هذا أبو بهيس ومن شعره

قالت لنا وقولها أحزان ... ذروه والقول له بيان

يا أبتا أرقني القذان ... فالنوم لا تطعمه العينان

من وخز برغوث له أسنان ... وللبعوض فوقه دندان

الدندنة الكلام الذي لا يفهم والقذان جمع قذن وهو البرغوث..والثالث رؤبة بن عمرو ابن ظهير الثعلبي أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض

(تتمة) رؤبة اسم منقول امامن رؤبة بالهمز وهي قطعة ترأب بها الشيء أي تشده بها قال صاحب أدب الكاتب في باب مايغير من أسماء الناس: ان رؤبة بن العجاج بالهمز لا غير وهذا الحصر باطل لان المهموز في مثله يجوز تخفيف همزه بلا خلاف، وقد نقض قوله هذا بما ذكره في أوائل الكتاب في باب المسمين بالصفات وغيرها فجوز أن يكون مهموزا وغير مهموز فانه قال: روبة اللبن خميرة تلقى فيه من الحامض ليروب، وروبة الليل ساعة منه ويقال فلان لا يقوم بروبة أهله أي بما أسندوا إليه من حوائجهم غير مهموز، ورؤبة بالهمز قطعة ترأب بها الشيء وإنما سمي رؤبة بواحدة من هذه، فذكر لغير المهموز ثلاثة معان،

وبقي له معان أخر: رابعها روبة الفرس وهي طرقه في جماحه، خامسها يقال أرض روبة أي كريمة، سادسها شجر الزعرور، سابعها روبة الرجل عقله، ثامنها الفترة والكسل من كثرة شرب اللبن، تاسعها اللبن الذي فيه زبده والذي نزع زبده فهو من الاضداد، وله معان أخر قال ابن خلف في شرح شواهد سيبويه قيل سمي روبة لأنه ولد نصف الليل والله أعلم

(وأنشد بعده: وهو من شواهد مغني اللبيب وهو الشاهد السادس)

(٦) ياما أُميلح غزلانا شدنّ لنا ... من هؤليائكن الضّال والسمر

أورده على أن التصغير في فعل التعجب راجع إلى المفعول المتعجب منه أي هن مليحات والتصغير للشفقة

وأنشده في باب التعجب أيضاً على أن الكوفيين ـ غير الكسائي ـ زعموا اسميته واستدلوا عليها بتصغيره في نحو البيت

وهذا جواب س قال الشاطبي: وعلل ذلك سيبويه بأنهم أرادوا تصغير الموصوف بالملاحة، كأنك قلت مليح لكنهم عدلوا عن ذلك وهم يعنون الاول، ومن عادتهم أن يلفظوا بالشئ وهم يريدون شيئاً آخر

وقد ذكر ابن الانباري في كتابه الانصاف في مسائل الخلاف جميع أدلة الكوفيين مع أجوبة البصريين عنها فقال: ومن جملة أدلتهم أنهم استدلوا على اسميته بالتصغير، وأجاب عنه بثلاثة أوجه (أحدها) أن التصغير في هذا الفعل ليس على حد التصغير في الاسماء فأنه على اختلاف ضروبه: من التحقير، والتقليل، والتقريب، والتحزن، والتعطف كقوله عليه الصلاة والسلام: «أصيحابي أصيحابي» والتعظيم كقوله:

دويهية تصفر منها الانامل

والتمدح كقوله «أنا جذيلها المحكك» ـ فانه يتناول الاسم لفظا ومعنى. والتصغير اللاحق فعل التعجب انما يتناوله لفظا لا معنى من حيث كان متوجها الى المصدر، وانما رفضوا ذكر المصدر ههنا لان الفعل اذا أزيل عن التصرف لا يؤكد بذكر المصدر لانه خرج عن مذهب الافعال، فلما رفضوا المصدر وآثروا تصغيره صغروا الفعل لفظا ووجهوا التصغير إلى المصدر، وجاز تصغير المصدر بتصغير فعله لان الفعل يقوم في الذكر مقام مصدره لانه يدل عليه بلفظه ولهذا يعود الضمير إلى المصدر بذكر فعله

وان لم يجر لهذ كر فكما يجوز عودالضمير إلى المصدر وان لم يجر له ذكر استغناء بذكر فعله فكذلك يجوز أن يتوجه التصغير اللاحق لفظ الفعل إلى مصدره وان لم يجر له ذكر ونظيره إضافة أسماء الزمان الى الفعل نحو « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم » وإنما جاز لان المقصود بالاضافة إلى الفعل مصدره من حيث كان ذكر الفعل يقوم مقام ذكر مصدره . فكما أن هذه الاضافة لفظية لااعتداد بها فكذلك التصغير لفظي لااعتداد به (الوجه الثاني) : انما دخله التصغير حملا على باب أفعل التفضيل لاشتراك اللفظين في التفضيل والمبالغة : ألا ترى أنك تقول ما أحسن زيداً لمن بلغ الغاية في الحسن كما تقول زيد أحسن القوم فتجمع بينه وبينهم في أصل الحسن وتفضله عليهم . (والثالث) : انما دخله التصغير لأنه ألزم طريقة واحدة فاشبه بذلك الاسماء فدخله بعض أحكامها ،وحمل الشيء على الشيء في بعض أحكامه لا يخرجه عن أصله . ألا ترى أن اسم الفاعل محمول على الفعل في العمل ولم يخرج بذلك عن كونه اسما . وكذلك المضارع محمول على الاسم في الاعراب ولم يخرج بذلك عن كونه فعلا اه

ويا حرف نداء والمنادى محذوف أي ياصاحبي ونحوه .والملاحة البهجة وحسن المنظر وفعله ملح الشيء ـ بالضم ـ ملاحة وملح الرجل وغيره ملحا ـ من باب تعب ـ اشتدت زرقته وهو يضرب إلى البياض فهو أملح وهي ملحاء، الاسم الملحة ـ كغرفة ـ والغزلان جمع غزال وهو ولد الظبية : قال أبو حاتم : الظبي أول ما يولد هو طلا ، ثم هو غزال والانثى غزالة .فاذا قوى وتحرك فهو شادن ، فاذا بلغ شهرا فهو شصر ـ بمعجمة ومهملة مفتوحتين ـ فاذا بلغ ستة أشهر أو سبعة فهو جداية بفتح الجيم للذكر والانثى، وهو خشف أيضا والرشأ الفتى من الظباء فاذا أثنى فهو ظبي ولا يزال ثنيا حتى يموت والانثى ثنية وظبية والثنى الذى يلقي ثنيته أى سنه ـ من ذوات الظلف والحافر ـ في السنة الثالثة ،يقال : أثنى فهو ثني فعيل بمعنى فاعل ،وشدن ماضي شدن الغزال ـ بالفتح ـ يشدن ـ بالضم ـ شدونا قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه وربما قالوا شدن المهر، وأشدنت الظبية فهي مشدن إذا شدن ولدها . والنون الثانية ضمير الغزلان ،وجملة شدن صفة غزلان ولنا ومن متعلقان بشدن . وقوله من هؤلياءكن هو مصغر هؤلاء شذوذا وأصله أولاء ـ بالمد والقصر ـ وها للتنبيه وهو اسم اشارة يشار به الى جمع سواء كان مذكرا أم مؤنثا عاقلا

أم غير عاقل والكاف حرف خطاب و النون حرف أيضا لجمع الاناث وقد استشهد به النحاة على دخوهاء التنبيه عليه وعلى تصغيره شذوذا وقد رواه الجوهرى

من هؤلياء بين الضال والسمر

وقال : ولم يصغروا من الفعل غير هذا وغير قولهم ما أحيسنه .والضال صفة اسم الاشارة أو عطف بيان والضال السدر البرى جمع ضالة ولهذا صح إتباعه لاسم الاشارة الى الجمع وألفه منقلبة من الياء والسدر شجر النبق الواحدة سدرة . وما نبت منه على شطوط الانهار فهو العبرى نسبة الى العبر — بالضم — وهو شط النهر وجانبه والسمر — بفتح السين وضم الميم — جمع سمرة وهو شجر الطلح والطلح نوع من العضاه وهو شجر عظام والعضاء بكسر العين جمع عضاهة وهو كل شجر عظيم وله شوك

وهذا البيت من جملة أبيات ذكرها ابن هشام فى شرح شواهده وهى

حوراء لو نظرت يوما الى حَجَرٍ — لاثَّرت سَقَمًا في ذلك الحجر

يزداد توريد خدها اذا لحظت — كما يزيد نبات الارض بالمطر

فالوَرْدُ وجنتها ، والخمر ريقتها — وضَوْءُ بهجتها أضوا من القمر

يامن رأى الخمر فى غير الكروم ومن — رأى (١) نبت ورد في سوى الشجر

كادت تَرِفُّ عليها الطير من طَرَب — لما تغنت بتغريد على وَتَر

بالله ياظبيات القاع قلن لنا — ليلاى منكن أم ايلى من البشر

ياما أميلح غزلانا شدن لنا (البيت)

وروى العباسى فى معاهد التنصيص عن بعضهم انه من أبيات لبعض الاعراب ، وذكرها فى الدمية للباخرزى انه أول أبيات ثلاثة لبدوى اسمه كاهل الثقفى ثانيها :

بالله ياظبيات القاع قلن لنا (البيت)

وثالثها :

إنسانة الحى أم أدمانة السمر — بالنَّهْيِ رقصها لحن من الوتر

وقال العينى : انه من قصيدة للعَرجى ومنها

(١) هكذا بالاصل ولعل الشطر الثانى من البيت : منكم رأى نبت ورد فى سوى الشجر

بالله ياظبيات القاع (البيت)

وهذا البيت قد روى للمجنون ولذى الرمة وللحسين بن عبد الله ، والله أعلم

ثم رأيت الصاغانى قال فى العباب : يقولون ما أميلح زيداولم يصغروا من الفعل غيره وغير قولهم ما أحيسنه قال الحسين بن عبد الرحمن العرينى :

بالله ياظبيات القاع قلن لنا (البيت)

بانت لنا بعيون من براقعها مملوأة مقل الغزلان والبقر

ياما أميلح غزلانا شدن لنا اه

والادمانة قال الجوهرى : والادم من الظباء بيض تعلوهن جدد فيهن غبرة تسكن الجبال يقال ظبية أدماء وقد جاء فى شعرذى الرمة أدمانة قال

أقول للركب لما عارضت أصلا أدمانة لم تُرَبيها الاجاليد

وأنكره الاصمعى ، والنهى ـ بكسر النون وسكون الهاء ـ الغدير فى لغة نجد وغيرهم يقول بالفتح كذا فى الصحاح

وقال السخاوى فى شرح المفصل : والنحاة ينشدون

ياما أميلح غزلانا (البيت)

ظنا منهم انه شعر قديم ، وإنما هو لعلى بن محمد العرينى وهو متأخر وكان يروم التشبه بطريقة العرب فى الشعر وله مدح فى على بن عيسى وزير المقتدر وقتل المقتدر فى شوال سنة عشرين وثلاثمائة ونسبه قوم من النحاة الى مجنون بنى عامر وأنشدوامعه

بالله ياظبيات القاع(البيت)

والصحيح ما قدمته اه

والعرجى اسمه عبد الله وهو أموى وانما لقب العرجى لانه كان يسكن العرج . قال فى الصحاح : والعرج منزل بطريق مكة وإليه ينسب العرجى الشاعر ولم يكن له نباهة فى أهله مات فى حبس محمد بن هشام بن إسمعيل المخزومى ـ وهو خال هشام بن عبد الملك ؛ وكان واليا بمكة ـ بعد ضرب كثير وتشهير فى الاسواق لانه شبب بأمه ليفضحه لا لمحبة كانت بينه وبينها وقال فى حبسه قصيدته التى منها :

كأنى لم أكن فيهم وسيطا ولم تك نسبتى من آل عمرو

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

وكان من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك بأرض الروم . وترجمته مع أحواله مفصلة فى الاغانى والمعاهد

(وأنشد فى باب المعرب، وهو من شواهد سيبويه ، وهو البيت السابع)

(٧) تكتبان فى الطريق لام الف

على أن مقصود الشاعر اللام والهمزة لاصورة « لا » فيكون معناه إنه تارة يمشى مستقيما فتخط رجلاه خطا شبيها بالألف وتارة يمشى معوجا فتخط رجلاه خطا شبيها باللام . وعليه فالظاهر أن يقول لاما وألفا ؛ ووجهه أنه حذف التنوين من الأول من باب الوصل بنية الوقف وحذف العاطف ووقف على الثانى على لغة ربيعة وليس فى واحد من هذه الثلاثة ضرورة ، ووجه هذا البيت ابن جنى فى سر الصناعة بوجهين آخرين فقال : إنما أراد كانهما تخطان حروف المعجم لا يريد بعضها دون بعض وقد يمكن انه أراد بقوله لام الف شكل « لا » فأنه تلقاه من أفواه العامة لان الخط ليس له تعلق بالعرب ولا عنهم يؤخذ وقول من لا خبرة له بحروف المعجم كالمعلمين لام الف خطأ وصواب النطق به لا فانه اسم الالف اللينة التى تكون قبل الياء فى آخر حروف المعجم . وفيما قاله نظر من وجهين : (الاول) قال الدماميني فى شرح المغنى : نسبة العربى الفصيح إلى أنه اعتمد فى النطق على العامة أمر بعيد لايلتفت اليه : وقوله لأن الخط لا تعلق له بالفصاحة ساقط لان ما صدر عنه لفظ لاخط . (والثانى) أن قوله لام الف خطأ ممنوع فانه قد ورد فى الشعر : أنشد أبو زيد فى نوادره لراجز يصف جندبا وقيل غرابا

يخط لام ألِفٍ موصول والزاء وارا ايما تهليل

وسيأتى شرحه فى الشاهد الثانى بعد هذا

وأما ما أورده أبو بكر الشنوانى فى جواب اسئلة السيوطى السبع بقوله : قال : روى أبو ذر الغفارى رضى الله عنه أنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله كل نبى يرسل بم يرسل ؟ قال : بكتاب منزل : قلت : يارسول الله أى كتاب أنزله الله على آدم ؟ قال : كتاب المعجم : ألف باتاثا إلى آخرها . قلت: يارسول

الله كم حرف ؟ قال : تسعة وعشرون . قلت : يارسول الله عددت ثمانية وعشرين ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرت عيناه ثم قال : ياأباذر والذى بعثنى بالحق نبيا ما أنزل الله على آدم الا تسعة وعشرين حرفا . قلت : أليس فيها ألف ولام فقال صلى الله عليه وسلم : لام ألف حرف واحد . قال : أنزله الله تعالى على آدم فى صحيفة واحدة ومعه سبعون ألف ملك من خالف لام ألف فقد كفر بما أنزل على من لم يعد لام ألف فهو برىء منى وأنا برىء منه ومن لم يؤمن بالحروف وهى تسعة وعشرون لا يخرج من النار أبدا اهـ فهو موضوع قال ابن عراق : سئل عنه ابن تيمية فقال: لاأصل له ولوائح الوضع عليه ظاهرة ولا سيما فى آخره فهو كذب قطعا اهـ

وعلى هذا فالفرق بين لا وبين لام ألف ان لا اسم الالف اللينة ولام ألف اسم لا لأنها على صورة اللام والهمزة اذا كتبتا معا

وعلم مما تقدم أن بيت الشاهد إنما هو باضافة لام إلى ألف بكون أصل لام ألف مركبا مزجيا فأعرب باضافة أحد الجزءين إلى الآخر على أحد الوجوه :لا كما زعمه الشارح وتبعه الدماميني فى شرح المغنى . ثم قال ابن جنى : وانما لم يجز أن تفرد الألف اللينة من اللام وتقام بنفسها كما أقيم سائر حروف المعجم سواها بأنفسها من قبل أنها لا تكون إلا ساكنة تابعة للفتحة والساكن لا يمكن ابتداؤه فدعمت باللام ليقع الابتداء بها . ويؤيد هذا أن واضع حروف المعجم إنما رسمها منثورة غير منظومة . فلو كان غرضه فى لا أن يرينا كيفية تركب اللام مع الألف للزمه أيضا أن يرينا كيف تركب الجيم مع الطاء والقاف مع التاء وغير ذلك مما يطول تعداده . وإنما غرضه التوصل إلى النطق بالالف فدعم باللام ليمكن الابتداء به . فان قيل : ما بالهم دعموه باللام دون سائر الحروف أجيب بأنهم خصوا اللام من قبل أنهم لما احتاجوا لسكون لام التعريف إلى حرف يقع الابتداء به قبلها أتوا بالهمزة فقالوا الغلام . فكما أدخلوا الألف قبل اللام كذلك أدخلوا اللام قبل الألف ليكون ذلك ضربا من التقارض اهـ

واعترض عليه الدماميني بأن الذى توصل به إلى النطق بلام التعريف هو الهمزة لا الألف : والذى توصل باللام إلى النطق به هو الالف الهوائى لا الهمزة فلا تقارض اهـ

وفيه أنهما أخوان يبدل كل منهما إلى الآخر : فتبدل الهمزة ألفا فى نحو رأس ،

وتبدل الألف همزة فى نحو دابة وشابة وحبلا فى الوقف . وفى هذا القدر من الاشتراك يتحقق التقارض

واستشهد به سيبويه (١) على انه ألقى حركة ألف على ميم لام . وكذلك أورده الشارح فى شرح الشافية أيضا فى باب التقاء الساكنين على أنه نقل حركة همزة ألف الى ميم لام كما نقلت حركة همزة أربعة الى الهاء فى قولك ثلاثة اربعة إذا وصلت ثلاثة بما بعدها

وهذا البيت ثالث أبيات ثلاثة لابى النجم العجلي وهى :

خَرَجْتُ من عند زياد كالخرف ... تَخُطُّ رِجْلاىَ بخَطٍّ مختلفْ

تُكتِّبانِ في الطَّريق لام الفْ

قال المرزبانى فى الموشح ـ وهو طبقات الشعراء فى الجاهلية والاسلام ـ أخبرنى الصولى قال حدثنا القاسم بن اسمعيل : قال أنشدنا محمد بن سلام لأبى النجم العجلى وكان له صديق يسقيه الشراب فينصرف من عنده ثملا . أخرج من عند زياد كالخرف (الابيات) قال الصولى : وقد عيب أبو النجم بهذا فقيل: لولا انه كان يكتب ماعرف صورة لام الف وعناقها (٢) اه

وقد عرفت ما فيه . و روى أيضا : أقبلت من عند زياد الخ

والخرف : صفة مشبهة من خرف الرجل خرفا ـ من باب تعب ـ فسد عقله لكبره وخط على الأرض خطا أعلم علامة وخط بيده خطا كتب . وكتب يقال بالتخفيف والتثقيل والتثقيل هنا لتكثير الفعل

وأبو النجم هو الفضل بن قدامة بن عبيد الله بن عبدالله بن الحرث بن عبدة بن الحرث ابن إلياس ابن العوف بن ربيعة بن مالك بن عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر ابن وائل ، وهو أحد رجاز الاسلام المتقدمين فى الطبقة الاولى ، قال أبو عمرو بن العلاء هو أبلغ من العجاج فى النعت ، قال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء : كان أبو النجم ينزل سواد الكوفة ، وراجز العجاج فخرج إليه العجاج على ناقة له كوماء وعليه ثياب حسان

---

١ أنظر الكتاب (ج٢ ص٣٤م)

٢ أنظر كتاب الموشح للمرزبانى (ص ١٧٧) طبع مصر سنة ١٣٤٣ اه

وخرج أبو النجم على جمل مهنوء وعليه عباءة فانشد العجاج :

قد جَبرَ الدِّينَ الإلهُ فجبر

وأنشد أبو النجم :

تَذكّر القلبُ وجَهْلاً ما ذَكَر

حتى بلغ قوله :

إنِّى وكل شاعرٍ من البشرْ   شيْطانُه أنثى وشَيطانى ذَكَرْ
فما رآنى شاعر إلا استتَرْ   فِعْلَ نجومِ اللَّيل عاينَّ القَمَرْ (١)

فبينما هو ينشد إذ وثب جمله على ناقة العجاج فضحك الناس وانصرفوا يقولون :

شيطانه أنثى وشيطانى ذكر

وقال له هشام بن عبد الملك يوما : ياأبا النجم حدثنى . قال : عنى أو عن غيرى ؟ قال : بل عنك قال: إنى لما كبرت عرض لى البول فوضعت عند رجلى شيأ أبول فيه فقمت من الليل أبول فخرج منى صوت فتشددت ثم عدت فخرج منى صوت آخر فأويت إلى فراشى فقلت : ياأم الخيار هل سمعت شيئاً قالت : لا ولا واحدة منهما . فضحك هشام وأحسن اليه بصلة وله معه نوادر مضحكات مذكورة فى الأغانى وغيرها وسنورد له إن شاء الله منها إذا ورد شاهد من شعره

وأنشد بعده وهو الشاهد الثامن

(٨) تَدَاعَيْنَ باسمِ الشِّيبِ فى مُتثلِّمِ

على أن اسم الصوت إنما أعرب فى هذا للتركيب وإن كان بناؤه أصليا . يريد أن أسماء الأصوات إذا ركبت جاز إعرابها اعتبارا بالتركيب العارض بشرط إرادة اللفظ لا المعنى كما يجوز إعراب الحروف إذا قصد ألفاظها . والاعراب مع اللام أكثر من البناء لكونه علامة الاسم الذى أصله الاعراب لكنها لا توجبه بدليل الآن والذى والخمسة عشر . كذا فصله الشارح فى باب الصوت . وعجز هذا المصراع

١) فى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة بعد هذه الأبيات :

عيشى تميم واصفرى فيمن صفر   وباشرى الذل وأعطى من عشر
وأمرى الأنثى عليك والذكر

جوانبُه من بَصْرَةٍ و سِلاَمِ

وهو من قصيدة لذى الرمة يمدح بها إبراهيم بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم . وقبل بيت الشاهد

وكم عَسَفَتْ من مَنْهَلٍ مُتَخَطًّأٍ أفلَّ وأَقْوَى فالجِمام طوامى

اذا ما وَرَدْنا لم نُصادف بجَوِّه سِوى واردات من قَطاً وحمام

اذا ساقيانا أفرغا في إزائه على قُلُص بالمقفرات حِيام

تَداعَيْن باسم الشّيب (البيت)

يصف قطعه القفار على إبله . والعسف الأخذ على غير هدى والضمير المستتر راجع الى الأبل العيس . والمنهل المورد وهو عين ماء ترده الأبل والمنهل المتخطأ الذى تخطأه الناس فلم ينزلوه . وأفل ـ بالفاء ـ فعل ماض بمعنى لم يصبه مطر وهو مع ضميره صفة لمنهل وهذا سبب كون الناس لم ينزلوا فيه . يقال أرض فل ـ بالكسر ـ لانبات فيها لعدم المطر . وأقوى بمعنى خلا . يقال أقوت الدار وقويت أيضا أى خلت والجمام بكسر الجيم ـ جمع جمة ـ بضمها ـ وهو المكان الذى اجتمع فيه ماؤه . وطوامى مملوأة . جمع طام اسم فاعل من طما الماء يطمو طموا كسمو اذا ارتفع وملأ النهر . وساقيانا تثنية ساق وهو من يستقى الماء من البئر . والازاء ـ بكسر الهمزة والزاى معجمة ـ مصب الماء فى الحوض قال أبو زيد : هو صخرة وماجعلت وقاية عن مصب الماء حين يفرغ الماء يقال أزيت الحوض تأزية وآزيته بالمد أزاء وعلى قلص متعلق بافرغا والقلص بضمتين جمع قلوص وهى الناقة الشابة والحيام بكسر المهملة (١) ـ جمع حوم والحوم ـ بالفتح ـ القطيع الضخم من الابل وبالمقفرات صفة لقاص من أقفرت الدار اذا خلت وتداعين دعا بعض القاص بعضا وروى تنادين من النداء والجملة جواب إذا والشيب بالكسر حكاية أصوات مشافر الابل عند الشرب والصوت شيب شيب ، جعل

(١) الذى فى القاموس : أن جمع الحوم ـ بضم فسكون . وهو القطيع من الابل . إلى الالف أولا يحد ـ إنما هو الحوم ـ بفتح الحاء وتشديد الواو مفتوحة ، ولم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة حياماً جمعاً لحوم

هذا الصوت مما يدعوهن الى الشرب و يأتى — إن شاء الله تعالى — فى باب الاضافة الكلام على إضافة اسم الى الشيب والمتثلم المتكسر والمتهدم أراد فى حوض متثلم فحذف الموصوف لدلالة مصب الحوض عليه يقال ثلمته من باب ضرب كسرته فانثلم وتثلم والبصرة — بفتح الباء — حجارة رخوة فيها بياض و به سميت البصرة والسلام ـ بكسر المهملة ـ جمع سلمة ـ بفتحها وكسر اللام ـ وهى الحجارة

وذو الرمة هو غيلان — بالمعجمة — ابن عقبة من بنى صعب بن مالك بن عدى ابن عبد مناة ويكنى أبا الحرث وسمى ذا الرمة بقوله :

لم يَبْق فيها أبد الأَبيد غير ثلاث مائلات سود
وغير موضوح القفا موتود أشْعَثَ باقى رُمَّة التقليد

والرمة — بضم الراء وتشديد الميم — قطعة من الحبل الخلق و يجوز كسرها و قال ثعلب إن مية لقبته بذلك و ذلك أنه مر بخبائها قبل أن يتشبب بها فرآها فأعجبته فأحب الكلام معها فخرق دلوه وأقبل إليها و قال : يافتاة اخرزى لى هذا الدلو فقالت : إننى خرقاء و الخرقاء التى لاتحسن عملا فخجل غيلان و وضع دلوه على عنقه و هى مشدودة بقطعة حبل بال و ولى راجعا فعلمت مية ماأراد فقالت ياذا الرمة انصرف فانصرف فقالت له : إن كنت أنا خرقاء فان أمتى صناع فاجلس حتى تخرز دلوك ثم دعت أمتها قالت اخرزى له هذا الدلو وكان ذو الرمة يسمى مية خرقاء لقولها إنى خرقاء وغلب عليه ذو الرمة لقولها ياذا الرمة اه

و هذا خلاف مانقله ابن قتيبة فى كتاب الشعراء أن مية بنت فلان بن طلبة بن قيس وهى غير الخرقاء فان الخرقاء من بني البكاء بن عامر وكان سبب تشبيبه بها أنه مر فى بعض أسفاره ببعض البوادى وإذا خرقاء خارجة من خباء لها فنظر اليها فوقعت فى قلبه فخرق أداوته ودنا منها و قال : إنى رجل على ظهر سفر وقد تخرقت أداوتى فأصلحيها — يستطعم بذلك كلامها — فقالت والله إنى ماأحسن العمل و إنى لخرقاء والخرقاء التى لاتعمل بيدها شيئا لكرامتها على أهلها تشبب بها وسماها خرقاء(١)

(١) الى هنا انتهى كلام ابن قتيبة

وقال أبو العباس الاحول : سمى ذا الرمة لانه خشى عليه العين و هو غلام فأتى به الى شيخ من الحى وصنع له معاذة وشدت فى عضده بحبل

والمشهور القول الاول قال حماد الراوية : امرؤ القيس أحسن الجاهلية تشبيهاً وذو الرمة أحسن الاسلام تشبيها وماأخر القوم ذكره إلا لحداثة سنه وأنهم حسدوه . وكان الفرزدق وجرير يحسدانه على شعره . ولقيه جرير فقال : هل لك فى المهاجاة ؟ قال لا : قال كأنك هبتنى، قال : لاو الله ولكن حرمك قد هتكهن السفل وماأرى فى نسوتك مرتعا ! قال أبو المطرف : لم يكن أحد من القوم فى زمانه أبلغ منه ولا أحسن جوابا ولقد عارضه رجل بسوق الابل فى البصرة يهزأ به فقال : يا أعرابى أتشهد بما لاترى ؟ قال : نعم أشهد بأن أباك ناك أمك وقال أبو عمرو بن العلاء مرة : ختم الشعر بذى الرمة والرجز برؤبة وقال أخرى — كما فى الموشح للمرزبانى — شعر ذى الرمة نقط عروس يضمحل عن قليل و أبعار ظباء لها مشم فى أول شمها ثم يعود الى أرواح البعر . و إنما وضع منه لانه كان لايحسن الهجاء والمدح . قال المبرد : معنى قوله نقط عروس أنها تبقى أول يوم ثم تذهب وبعر الظباء إذا شممته من ساعته وجدت فيه كرائحة المسك فاذا غب ذهب ذلك منه وقد أسند هذا التعبير فى حقه الى جماعة منهم الفرزذق وجرير قال الاصمعى : إن شعر ذى الرمة حلو أول ماتسمعه فاذا كثر إنشاده ضعف ولم يكن له حسن لان أبعار الظباء أول ماتشم توجد لها رائحة ما أكلت من الشيح والقيصوم والجثجاث والنبت الطيب الريح . فاذا أدمت شمه ذهبت تلك الرائحة ونقط العروس إذا غسلتها ذهبت

وقال ابن قتيبة : وقف ذو الرمة فى سوق الابل ينشد شعره الذى يذكر فيه ناقته صيدح فوقف عليه الفرزدق فقال : كيف ترى ماتسمع ياأبا فراس ؟ قال : ما أحسن ماتقول ! قال : فمالى لاأذكر مع الفحول ؟ قال : قصر بك عن غاياتهم بكاؤك فى الدمن ونعتك الابعار والعطن !

ومات بالبادية ، ولما حضرته الوفاة قال : أنا ابن نصف الهرم ، أى ابن الاربعين

وقال المفضل الضبى : كنت أنزل على بعض الاعراب إذا حججت فقال لى يوما هل لك فى خرقاء صاحبة ذى الرمة قلت بلى فتوجهنا نريدها فعدل بى عن الطريق بقدر

ميل فاذا أبيات فقرع بابامنها فخرجت إلينا امرأة حسنة بها قوة فتحدثنا طويلافقالت أحججت قبل هذه ؟ قلت : بلى قالت : فامنعك من زيارتى . أماعلمت أنى منسك من مناسك الحج ؟ قلت : وكيف ذلك؟ قالت: أماسمعت قول ذى الرمة :

تمامُ الحجِّ أن تقفَ المطايا على خَرْقاء واضعة اللثام

وفى الاغانى عن ابن قتيبة أن مية جعلت لله عليها أن تنحر بدنة يوم تراه ، فلما رأته رجلادميما أسود وكانت من أجمل الناس فقالت : واسوءتاه واضيعة بدنتاه فقال ذوالرمة

على وَجْه ميٍّ مسحةٌ من مَلاحة وتحت الثياب الشَّينُ لوكان باديا

قال : فكشفت ثوبها عن بدنها وقالت أشينا ترى لاأم لك فقال :

ألم ترَ أنَّ الماء يَخبُث طَعْمُه وإن كان لونُ الماء أبيضَ صافيا

فقالت أما ماتحت الثياب فقد رأيته وعلمت أن لاشين فيه و لم يبق إلاأن أقول لك هلم حتى تذوق ماوراءه !! والله لاذقت ذلك أبداً . فقال

فيا ضَيْعةَ الشِّعر الذى لجَّ وانقضى بمىٍّ ولم أمْلِك ضَلالَ فؤاديا

قال ثم صلح الامر بينهما بعد ذلك فعاد إلى ما كان عليه من حبها ثم قال صاحب الاغانى : إن مية كان لها بنت قالت على لسان ذى الرمة :

على وَجْه مىٍّ مسْحَةٌ من ملاحة

(الابيات) فكان ذو الرمة إذ اذكر ذلك له يتمعض منه و يحلف أنه ماقاله قط

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع)

(٩) إذَا اجْتَمَعوا على ألِفٍ وواوٍ وياء هاجَ بَيْنَهُم جِدالُ

على أن أسماء حروف المعجم تعرب إذا ركبت وإن كان بناؤها أصليا قبل حيث كانت معربة لأجل التركيب علم أنها قبل التركيب غير معربة، وهذا حكم جميع الاسماء سواء قلنا إنها قبل التركيب موقوفة أم مبنية فما الفرق بينها وبين سائر الاسماء، أقول: الفرق أن أسماء حروف الهجاء إنما وضعت لسردها مفردة للتعليم لا لأن تكون مركبة مع عامل ، فالتركيب فيها عارض بخلاف سائر الأسماء فانها إنما وضعت للتركيب وسردها منثورة أمر عارض، ثم رأيت الشارح المحقق قد ذكر ماقلته فى مواضع أخر

من شرحه فقال : إن أسماء حروف المعجم لم توضع إلا لتستعمل مفردات لتعليم الصبيان ومن يجرى مجراهم موقوفا عليها فاذا استعملت مركبة مع عاملها فقد خرجت عن حالها الموضوعة لها

وهذا مذهب ابن جنى فى سر الصناعة حيث قال : اعلم أن هذه الحروف ما دامت حروف هجاء فانها سواكن الأواخر فى الدرج والوقف لانها أصوات بمنزلة صه ومه فان وقعت موقع الأسماء أعربت

وأراد الشارح بأعرابها عند التركيب وجوب إعرابها كما نص عليه فى موضع آخر فقال : اذا أردت إعراب أسماء حروف المعجم الكائنة على حرفين ضعفت الألف وقلبتها همزة ولا تجوز الحكاية فى أسماء حروف المعجم مع التركيب مع عاملها.

وأغرب السيوطى فى جمع الجوامع وشرحه فقال : « وأسماء الحروف ألف با تا ثا إلى آخرها وقف الا مع عامل فالأجود حينئذ فيها الاعراب ومد المقصور منها، ويجوز فيها الحكاية كهيئتها بلا عامل ، ويجوز ترك المد بأن يعرب مقصورا منونا كما اذا تعاطفت فأن الاجود فيها الاعراب والمد وان لم يكن عامل » انتهى

فجوز مع العامل الحكاية والقصر كما إذا لم تكن مع عامل وجوز ايضا اعرابها مع القصر ، وجوز فى التعاطف مع عدم العامل الأعراب والمد

أما الأول فصرح بمنعه ابن جنى والشارح

وأما الثانى فمنعه ابن جنى أيضا فقال « فأما ما كان من نحو با تا فأنك متى أعربته لزمك أن تمده وذلك أنه على حرفين الثانى منهما حرف لين والتنوين يدرك الكلمة فتحذف الألف لالتقاء الساكنين فيلزمك أن تقول بن وتن يافتى فيبقى الاسم على حرف واحد فأن ابتدأته وجب أن يكون متحركا وإن وقفت عليه وجب أن يكون ساكنا وهذا ظاهر الاستحالة فأما ماروى شربت مأ يريد ماء فحكاية شاذة لانظير لها ولايسوغ قياس غيرها عليها واذا كان الامر كذلك زدت على ألف با تا ألفا أخرى كما رأيت العرب فعلت حين أعربت لوا فقالوا :

إنَّ لوًّا وإنَّ لَيْتًا عَناء

وأما قول الشاعر : «

بخط لام ألف موصول والزاى والرا أيما تهليل

إنما أرادوا الراء ممدودة — فلم يمكنه ذلك لئلا يكسر الوزن فخفف الهمز من الراء وجاء بذلك على قراءة أبى عمرو وتحقيقه الأولى من الهمزتين إذا التقتا من كلمتين وكانتا جميعا متفقتى الحركتين نحو « فقد جاء أشراطها ، وشاء أنشره » وكذلك كان أصل هذا والزاى والراء أيما تهليل فلما اتفقت الحركتان حذف الأولى من الهمزتين.

وأما الثالث فلا وجه للاعراب والمد جميعا مع عدم العامل

وأظن أن السيوطى لخص كلامه من الارتشاف لابى حيان ، وأصله من المقصور والممدود لابن الانبارى وتبعه أبو على القالى فى المنصور والممدود له أيضا حرفا بحرف فقالا : « وما كان من حروف الهجاء على حرفين فالعرب تمده وتقصره فيقولون باء وتاء ، ومنهم من يقصر فيقول با وتا ، ومنهم من ينون فيقول باً وتاً ، قال يزيد بن الحكم ، يذكر النحويين :

اذا اجتمعوا على ألف وواو ويا (البيت) والزاى فيها خمسة أوجه : من العرب من يمدها فيقول زاء فاعلم . ومنهم من يقول زاى ومنهم من يقول هذه زا فيقصرها ومنهم من ينون فيقول زاً ومنهم من يقول زى فيشدد ، وأنشد الفراء

يخط لام أَلِف موصول والزّاى والرّا أيما تهليل

انتهى ، فأنت تراهما كيف أطلقا ولم يفصلا ، وهو مخالف لكلام الناس ، ومراد الشارح بالتركيب أن تقع مع عامل نحو: أول الجيم جيم ، وأوسط السين ياء ، وكتبت باء حسنة ، وكذلك العطف فيقال ماهجاء بكر فتقول باء وكاف وراء ، وكبيت الشاهد فأن لم تعطف تبن فتقول : باء كاف راء باسكان الاواخر

وبيت الشاهد ليزيد بن الحكم كما نسبه اليه الزجاج فى أول تفسيره وابن الأنبارى وأبو على القالى ، وروى الحريرى فى درة الغواص عن الاصمعى أنه قال أنشدنى عيسى بن عمر بيتا هجا به النحويين ، يعنى أنهم إذا اجتمعوا للبحث عن إعلال حروف العلة ثار بينهم جدال

والجدال : مصدر جادل إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب وهذا أصله ، ثم استعمل فى لسان حملة الشرع فى مقابلة الأدلة لظهور أرجحها ، وهو محمود إن كان للوقوف على الحق وإلا فمذموم

يقال ان أول من دون الجدل أبو على الطبرى ، و يروى بدله : « قتال »

أما يزيد بن الحكم : فهو يزيد بن الحكم بن أبى العاص الثقفى البصرى الشاعر المشهور ومن قال : يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبى العاص فقد وهم ، فأن عثمان جده أو عم أبيه أحد من أسلم من ثقيف يوم الطائف ، حدث عن عمه عثمان المذكور ، وروى عنه معاوية بن قرة وعبد الرحمن بن إسحق

حكى أن الفرزدق مر على يزيد هذا وهو ينشد فى المسجد فقال: من هذا الذى ينشد شعرا كأنه شعرنا ؟ قالوا : يزيد بن الحكم ، فقال : أشهد بالله أن عمتى ولدته

وأم يزيد بكرة بنت الزبرقان بن بدر ، وأمها هنيدة بنت صعصعة بن ناجية ، وكانت بكرة أول عربية ركبت البحر

وروى الزجاجى فى أماليه الصغري قال : ورد يزيد بن الحكم الثقفى من الطائف على الحجاج بن يوسف بالعراق وكان شريفا شاعرا فولاه الحجاج فارس فلما جاء لأخذ عهده قال له : يا يزيد أنشدنا من شعرك ، يريد أن ينشده مديحا له فأنشده :

من يك سائلا عنّى فأنى ... أنا ابن الصيد من سَلَفى ثقيف
وفى وَسَط البطاح محَلّ بيتى ... محلّ اللَّيْثِ من وسط الغَرِيف
وفى كعب ، ومن كالحىّ كعب ؟ ... حَلَلْتُ ذُؤابة الجبل المنيف
حويت فخارها ثَوْراً ونَجْداً ... وذلك مُنتهى شَرَف الشريف
نَمانى كلُّ أصْيدَ لاضعيفٍ ... بحَمْل المُعْضلات ولا عنيف

فوجم الحجاج وأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله أحمده و أشكره إذ لم يأت علينا زمان إلا وفينا أشعر العرب ، ثم قال : أنشدنا يا يزيد فأنشأ يقول:

وأَبى الذى فتح البلاد بسَيْفه ... فأذلها لبنى الزمان الغابر
وأبى الذى سَلَب ابن كِسْرى رايةً ... فى الملك تخفق كالعُقاب الكاسر
وإذا فخرت فَخرتُ غير مكَذّبٍ ... فخرا أدق به فَخارَ الفاخر

فقام الحجاج مغضبا ودخل القصر ، وانصرف يزيد والعهد فى يده فقال الحجاج

لخادمه : اتبعه وقل له أردد علينا عهدنا فاذا أخذته فقل له هل ورثك أبوك مثل هذا العهد ؟ ففعل الخادم وأبلغه الرسالة ، فرد عليه العهد فقال : قل للحجاج أورثني أبي مجده وفعاله وأورثك أبوك أعنزا ترعاها ، ثم سار تحت الليل فلحق بسليمان وهو ولى عهد الوليد فضمه اليه وجعله فى خاصته ومدحه بقصائد فقال له : سليمان كم كان أجرى لك فى عمالة فارس؟ قال: عشرين الفا قال هى لك على مادمت حيا

وبما مدحه به هذه القصيدة ومطلعها

أمسي بأسماء هذا القلب معمودا إذا أقول صحا يعتاده عيدا

كأن أحور من غزلان ذى بقر أهدى لنا شبه العينين والجيدا

أجرى على موعد منها فتخلفنى فلا أمل ولا توفي المواعيد

كأننى يوم أمسي لا تكلمنى ذو بغية يشتهى ما ليس موجودا

ومنها

سميت باسم امرىء أشبهت شيمته فضلا وعدلا سليمان بن داودا

أحمد به في الورى الماضين من ملك وأنت أصبحت فى الباقين محمودا

لا يبرأ الناس من أن يحمدوا ملكا أولاهم فى الامور الحلم والجودا

ومن الناس من ينسب هذه الابيات لعمر بن أبي ربيعة وذلك خطأ

وفى الأغانى بسنده إلى ابن عائشة قال : دخل يزيد بن الحكم على يزيد بن المهلب فى سجن الحجاج وهو يعذب وقد حل عليه نجم كان قد نجم عليه وكانت نجومه فى كل أسبوع ستة عشر ألف درهم فقال له :

أصبح فى قيدك السماحة والجـ ـود وفضل الصلاح والحسب

لا بطر إن تتابعت نعم وصابر في البلاء محتسب

برزت سبق الجياد فى مهل وقصرت دون سعيك العرب

قال : فالتفت يزيد إلى مولى له وقال : أعطه نجم هذا الأسبوع ونصبر على العذاب الى السبت الآخر

وليزيد بن الحكم عدة قصائد يعاتب فيها أخاه عبد ربه بن الحكم وابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاصي ، ومما قال في ابن عمه :

ومولى كذئب السوء لو يستطيعني أصاب دمي يوما بغير قتيل
وأعرضُ عمّا ساءه وكأنما يقاد إلى ما ساءني بدليل
مجاملةً مني وإكرام غيره بلا حَسَنٍ منه ولا بجميل
ولو شِئْتُ لولا الحلم جَدّعْتُ أنفه بإيعاب جدع بادىء وعليل
حِفاظاً على أحلام قوم رُزِئْتهم رزان يزينون النَدِيّ كهول

وقال في أخيه عبد ربه :

أخي يَسُرُّ لِيَ الشَّحْناء يضمرها حتى روى جوفه من غمرة الداء
حَرّانُ ذو غصّة جرّعت غصته وقد تَعرّضَ دون الغُصّة الماء
حتى إذا ما أساغ الريقَ أنزلني منه كما يُنزل الأعداءَ أعداء
أَسْعى فيكفر سعيي ما سعيت له إنّي كذاك من الأخوان لقّاء
وكم يدٍ ويدٍ لي عنده ويدٍ يعدّهنّ تِراتٍ وَهْيَ آلاء

والغريف ـ بفتح الغين المعجمة ـ هو الأجمة والغابة

وأما عيسى بن عمر : فهو عيسى بن عمر الثقفي مولى خالد بن الوليد ،أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وعبدالله بن أبي إسحق ، وروى عن الحسن البصري والعجاج ورؤبة وجماعة ، وعنه أخذ الاصمعي وغيره ،وكان يتقعر في كلامه ، حكى عنه الجوهري في الصحاح أنه سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس فقال :«مالي أراكم تكأكأتم على تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني» واتهمه عمر بن هبيرة بوديعة فضربه نحو ألف سوط فجعل يقول : « والله إن كانت إلا أثيابا في أسيفاط قبضها عشاروك »

مات سنة تسع وأربعين وقيل سنة خمسين ومائة كذا في معجم النحويين للسيوطي

والبيت الذي مثل به ابن جنيّ وعدنا بشرحه هو من أبيات رواها أبو زيد في نوادره قال انها لراجز يصف بها جندبا وهي

يحجل فيها مِقْلَزُ الحَجُولُ بَغْياً على شِقَّيْهِ كالمشْكُولِ
بِخَطّ لام أَلِفٍ مَوصُولِ والزايَ والرا أيَّمَا تَهْلِيل
خطّ يدِ المُستطرَقِ المَسْؤُلِ

الجندب ـ بفتح الدال وضمها ـ ضرب من الجراد

وقال أبو الحسن الأخفش فى شرح نوادر أبي زيد : قال أبو العباس ثعلب: أنه عنى غرابا يحجل. قال فى العبـاب : الحجلان مشية المقيد يقال حجل الطائر يحجل ـ بضم الجيم وكسرها ـ اذا نزا فى مشيه . والحجول ـ بفتح المهملة وضم الجيم صفة الجندب أو الغراب و ضمير فيها للأرض، والمقلز بكسر الميم وفتح اللام أراد به رجل الجندب أو الغراب لانه اسم آلة من قلز الغراب والعصفور فى مشيهما وكل من لا يمشى مشيا فهو يقلز ـ بضم اللام و كسرها ـ قلزا ـ بسكون اللام ـ ورواه ابو حاتم بفتح الميم وكسر اللام فيكون مصدرا ميميا . وزعم الأخفش فى شرح النوادر أنه مقلوب مقزل من القزل ـ بفتحتين ـ وهو أسوأ العرج وقد قزله ـ بالكسر ـ فهو أقزل والقزلان العرجان وقد قزل ـ بالفتح ـ قزلانا إذا مشى مشية العرجان، ولا حاجة إلى ادعاء القلب لان مادة قلز ثابتة مذكورة فى العباب والقاموس ولم يقل أحد إنها مقلوبة من قزله . ثم قال الأخفش : روى لى ثعلب مقلز الحجول بكسر الميم ، ولا وجه له عند أهل العربية لأن المقلز هو الحجول ولا يضاف الشىء الى نفسه ، والرفع فى الحجول أجود وان كان الشعر يصير مقوى . وقد روى بالرفع وفيه مع هذا عيب وهو أنه حذف التنوين من مقلز لسكونها وسكون اللام ، وحذف التنوين هو الذى شجع من رواه مخفوضا ولم يتأمل المعنى والأقواء أصلح من الأحالة ، انتهى

(أقول) : هذا تطويل بلا طائل يعلم فساده بما قدمنا ، على ان المقلز لم يقل أحد إنه بمعنى الحجول ، والبغى هنا الاختيال والمرح ؛ والمشكول الذى فى رجليه شكال ، يقال : شكلته شكلا ـ من باب قتل ـ قيدته بالشكال ، وشكلت الكتاب شكلا أعلمته بعلامات الاعراب ، وقوله بخط الباء متعلقة بيحجل ، ويجوز : أن يكون بمثناة تحتية مضارع خط فيكون ضميره المستتر للمقلز ، ولام ألف مفعوله ، وموصول وصف اللام والصلة محذوفة أى موصول بها أى بالألف ، والزاى والرا منصوبان بالعطف على

محل لام ألف ، وقوله أيما تهليل منصوب بفعل محذوف وما زائدة أى هلل تهليلا أى تهليل وهو مصدر هلل بمعنى نكص وجبن وفر ، وخط منصوب على المصدر التشبيهى : أى بخط لام ألف كخط يد الكاهن المسؤل منه التكهن ، والمستطرق الكاهن الذى يطرق الحصا بعضه ببعض والطرق ضرب الكاهن الحصا وقد استطرقته أنا ، روى بكسر الراء وفتحها

وقد أورد هذه الابيات ابن الاعرابى أيضا فى نوادره ، قال : أنشدنيها المفضل وذكر داراً خلت من أهلها فصار فيها الغربان والظباء والوحش ، ثم قال : المستطرق الذى يتكهن فاذا سئل عن الشيء خط فى التراب ونظر ، وحكى عن أعرابى قال: عالجت جارية شابة فاذا قلزة كأنها أتان وحش ، قال : القلزة الشديدة والقلز النحاس الذى لا يعمل فيه الحديد وقال أبو المنهال : هو القلز ولم يعرف القلز اه

وروى الحجول ـ بضمتين ـ على أنه مصدر وروى « نعباً » بدل بغيا ـ بفتح النون وسكون العين المهملة بعدها موحدة ـ وهو صوت الغراب وروى « تفصيل » بدل تهليل

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر ، وهو من شواهد سيبويه

(١٠) أَحْضُرَ الْوَغَى

وهو قطعة من بيت وهو :

أَلا أَيُّهذا اللائمى أَحْضُرَ الوغا وأنْ أَشْهَدَ اللَّذَّات هَل أَنْتَ مُخْلِدِى

على أن نصب أن المقدرة فى مثل هذا ضعيف ، وقال فى باب نواصب الفعل: نصبها فى مثله شاذ والكوفيون يجوزون النصب فى مثله قياسا

(أقول) : ذهب الكوفيون إلى أنها تعمل محذوفة فى غير المواضع المعدودة واستدلوا بهذا البيت فقالوا : الدليل على صحة هذا التقدير أنه عطف عليه قوله : «وأن أشهد » فدل على أنها تنصب مع الحذف ومنع البصريون ذلك بأن عوامل الأفعال ضعيفة لا تعمل مع الحذف ، وإذا حذفت ارتفع الفعل ، ومنه عند سيبويه قوله تعالى « قل أفغير الله تأمرونى أعبد » وقالوا : رواية البيت عندنا إنما هى بالرفع فقال سيبويه أصله أن أحضر فلما حذفت أن ارتفع ، وأن أحضر مجرور بفى مقدرة وأن أشهد

معطوف عليه ، وقال المبرد : جملة أحضر حال من الياء وأن أشهد معطوف على المعنى لأنه لما قال أحضر دل على الحضور كما تقول من كذب كان شرا له أى كان الكذب كذا نقلوا عنه ولئن صحت رواية النصب فهو محمول على أنه توهم أنه أتى بأن فنصب كقوله

بَدَا لِيَ أَنِّي لَسْتُ مُدْرِكَ مامضي ولا سابقٍ شَيْئاً إِذَا كانَ جائيا

بجر سابق على توهم أنه قال : لست بمدرك ما مضى . وهذا لا يجوز القياس عليه . وروى : « ألا أيهذا الزاجرى » وروى أيضا : « الا أيها اللاحى » بتشديد الياء : والوغى الحرب وأصله الأصوات التي تكون فيها . وقال ابن جنى : الوغى بالمهملة الصوت وبالمعجمة الحرب نفسها ، والشهود الحضور يقال شهدت المجلس بمعنى حضرته ، وأخلده أبقاه

ومعنى البيت : يامن يلومنى فى حضور الحرب لئلا أقتل وفى أن أنفق مالى لئلا أفتقر ما أنت مخلدى ان قبلت منك فدعنى أنفق مالى فى الفتوة ولا أخفله لغيرى

وهذا البيت من قصيدة لطرفة بن العبد وهى إحدى المعلقات السبع ونذكر ترجمته وأخباره فى موضع آخر إن شاء الله تعالى وبعد هذا البيت :

فَإِنْ كُنْتَ لا تَسْطِيعُ دَفْعَ منيتى فذرنى أُبَادِرْهَا بما مَلَكَتْ يَدِى

يقول : إن كنت لا تقدر أن تدفع موتى فذرنى أسبق الموت بالتمتع بأنفاق مالى ، يريد أن الموت لابد منه فلا معنى للبخل وترك اللذات

﴿ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر ﴾

(١١) أَدْنُو فَأَنْظُورُ

وهو قطعة من بيت ثان ، أنشدهما الفراء وهما :

اللهُ يَعْلَمُ أَنَّا فى تَلَفُّتِنَا يَوم الفِرَاقِ إلى أَحْبَابِنا صُورُ
وأَنَّنِي حَوْثُمَا يَثْنِي الهَوَى بَصَرِى مِنْ حَوْثُما سَلَكُوا أَدْنُو فَأَنْظُورُ

على أن الواو حاصلة من إشباع الضمة وأصله أنظر ويروى « إلى اخواننا » بدل أحبابنا والصور بصاد مهملة جمع أصور وهو المائل من الشوق من صار يصور صورا ـ بالتحريك ـ مال وأصاره فانصار أماله فمال ، ويجوز أن يكون جمع صورة أى إذا

تلفتنا الى الاحباب عند رحيلهم فكأننا أشكال وأشباح ليس فيها أرواح ، وأنى بفتح الهمزة وحوث ظرف مكان لغة فى حيث بتثليث الثاء فيهما ، وهو خبر أن وما زائدة ، وثناه أماله والهوى العشق وهو فاعل ، و بصرى مفعوله أى أنا فى الجهة التى يميل الهوى بصرى اليها ، وقوله « من حوثما » روى فى الموضعين « حيثما » متعلق بأدنو و بانظر أى أدنو فأنظر اليهم من الجهة التى سلكوا فيها ، وروى ابن جنى فى سر الصناعة وفى الخصائص وفى المبهج « يسرى » بدل يثنى و زاد فى المحتسب فقال : هكذا روى أبو على « يسرى » من سريت ورواه ابن الاعرابى : « يشرى » بالشين معجمة أى يعلق ويحرك الهوى بصرى وما أحسن هذه الرواية وأظرفها . انتهى . أما الأول فهو مضارع سريت الثوب عنى سريا لغة فى سروته عنى سروا بمعنى ألقيته . وأما الثانى فهو مضارع أشريته متعدى شرى البرق شرى ـ من باب فرح ـ إذا كثر لمعانه . وشرى زمام الناقة اذا كثر اضطرابه . وشرى الرجل واستشرى اذا لج فى الأمر ، وقوله « أدنو فانظور » روى ابن جنى موضعه « أثنى فانظور » أى أثنى عنقى فانظر نحوهم من ثناه بمعنى لواه . قال أبو على وتبعه ابن جنى : لو سميت رجلا بأنظر لمنعته الصرف للتعريف ووزن الفعل ولو سميته بأنظور من قول الشاعر « أدنو ا فانظور » لصرفته لزوال لفظ الفعل وان كنا نعلم أن الواو انما تولدت من إشباع ضمة الظاء وأن المراد عند الجميع أنظر

(وأنشد بعده . وهو الشاهد الثانى عشر)

(١٢) يَنْبَاعُ من ذِفْرى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ

تمامه : زيّافة مِثْلِ الْفَنِيق الْمُكْدَمِ

على أن الألف تولدت من اشباع الفتحة والأصل ينبع ، كذا قال جماعة ، وقال ابن الاعرابى : ينباع ينفعل من باع يبوع إذا مر مرا لينا فيه تلو ، وأنكر أن يكون الأصل فيه ينبع . وقال : ينبع يخرج كما ينبع الماء من الارض ولم يرد هذا إنما أراد السيلان و تلويه على رقبتها ، وفى العباب : وانباع العرق سال وأنشد هذا البيت ، وقال ويروى « ينبع » وقيل ينبع فتولدت الألف من اشباع الفتحة ويروى « ينهم » أى يذوب يقال همه المرض إذا أذابه وأنهم الشحم والبرد ذابا . وانكار ابن الأعرابى رواية ينبع مردود برواية الثقات ، وقوله ليس المراد ينبع الخ مردود أيضا فان الذفرى

هو الموضع الذى يعرق من الابل خلف الأذن وفاعل ينباع ضمير عائد على الرب أو الكحيل فى البيت السابق . وجملة ينباع خبر كأن ، وهو

وكأن رُبًّا أو كُحَيْلاً مُعْقَداً حش الوَقود به جوانبَ قُمْقُمِ

الرب بضم المهملة معروف وهو شبيه الدبس . و الكحيل بضم الكاف وفتح الحاء المهملة . القطران . شبه عرق الناقة بهما وقال الخطيب التبريزى : وقيل الكحيل هنا تهنأ به الابل من الجرب شبيه بالنفط يقال له الخضخاض . وقال أبو جعفر النحوى هو ردىء القطران يضرب إلى الحمرة ثم يسود إذا عقد . وفى العباب: الكحيل مصغراً الذى يطلى به الابل للجرب وهو النفط قاله الأصمعى قال: و القطران انما يطلى به للدبر والقراد وشبه ذلك وأنشد هذا البيت. ومعقد اسم مفعول من أعقد وهو الذى أوقد تحته النار حتى انعقد وغلظ . قال فى الصحاح : وعقد الرب وغيره أى غلظ فهو عقيد وأعقدته أنا وعقدته تعقيدا قال الكسائى : يقال للقطران و الرب ونحوه أعقدته حتى تعقد . وهو وصف الثانى لا الأول فان الرب يكون معقدا . وحش بالحاء المهملة يقال: حششت النار إذا أوقدتها والوقود ـ بفتح الواو ـ الحطب والوقود ـ بالضم ـ المصدر وهو فاعل حش. وجوانب مفعوله و يجوز أن يكون حش بمعنى احتش أى اتقد كما يقال هذا لايخلطه شىء بمعنى لايختلط به فيكون جوانب منصوبا على الظرف كذا فى شرح أبى جعفر النحوى ، والقمقم ـ كهدهد ـ الجرة و آنية معروفة . قال القاضى أبو الحسين الزوزنى فى شرحه: شبه العرق السائل من رأسها وعنقها برب أو قطران جعل فى قمقم أوقدت عليه النار فهو يترشح به عند الغليان وعرق الابل شبهه بهما وشبه رأسها بالقمقم فى الصلابة وتقدير البيت وكأن ربا أو كحيلا حش الوقود بأغلائه فى جوانب قمقم عرقها الذى يترشح منها اهـ

والذفرى ـ بكسر الذال المعجمة وسكون الفاء ـ من القفا الموضع الذى يعرق من الابل خلف الأذن يقال هذه ذفرى أسيلة لاتنون لأن ألفها للتأنيث وبعضهم ينون و يجعل ألفها للالحاق وهى مأخوذة من ذفر العرق لأنها أول مايعرق من الابل الذفريان و أول مايبدو فيه السمن لسانه وكرشه وآخر مايبقى فيه السمن عينه وسلاماه وعظام أخفافه ، والغضوب ـ بالغين والضاد المعجمتين ـ قالوا هى الناقة العبوس والمراد الناقة الصعبة الشديدة المراس ، قال الخطيب فى شرحه تبعا لأبى جعفر : الغضوب و الغضبى

واحد وغضوب للتكثير كما يقال ظلوم و غشوم ، ورروى شارح شواهد التفسيرين: «من ذفرى أسيل » قال : والأسيل من كل شىء المسترسل الطويل السهل ، وهذه الرواية غير صحيحة لأنه ان كان باضافة ذفرى اليه فكان يجب أن يقول أسيلة لأن كلامه فى الناقة بدليل مابعده وان كان الأسيل وصفا للذفري وان صح بتقدير ألفها للالحاق لكن تبقى الذفرى غير مقيدة، والجسرة بفتح الجيم وسكون السين المهملة قال فى الصحاح الجسر العظيم من الابل والانثى جسرة، وفى الشروح الجسرة الماضية فى سيرها.ومنه جسر فلان على كذا وقيل هى الضخمة القوية وروى بدله « حرة » والحر الجيد الأصيل والخالص من كل شيء . والزيافة ـ بفتح الزاى المعجمة وتشديد المثناة التحتية والفاء ـ مبالغة زائف وهو من زاف يزيف زيفا و زيفانا اذا تبختر فى مشيته كذا فى العباب وقال الخطيب هي المسرعة، والفنيق ـ بفتح الفاء وكسر النون ـ الفحل المكدم الذى لايؤذى ولا يركب لكرامته على أهله، والمكدم ـ بضم الميم وسكون الكاف ـ اسم مفعول قياسه أن يكون من أكدمه لكونهم(١) لم ينقلوا إلا كدمه ثلاثيا من الباب الأول والثانى قالوا الكدم العض بأدنى الفم كما يكدم الحمار والمكدم بالتشديد المعضض ، وروى موضعه «المقرم» على وزنه وهو البعير الذى لايحمل عليه ولا يذلل وانما هو للفحلة ـ بكسر الفاء وسكون الحاء المهملة ـ قال الزوزنى : يقول ينبع هذا العرق من خلف أذن ناقة غضوب موثقة الخلق شديدة التبختر فى سيرها مثل فحل من الابل قد كدمته الفحول . شبهها بالفحل فى تبخترها ووثاقة خلقها وضخمها

وهذان البيتان من معلقة عنترة وهى من أجود شعره وكانت العرب تسميها المذهبة ـ بصيغة اسم المفعول ـ من الاذهاب أو التذهيب وهما بمعنى التمويه والتطلية بالذهب

ومعنى المعلقة أن العرب كانت فى الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر فى أقصى الارض فلا يعبأ به ولا ينشده أحد حتى يأتى مكة فى موسم الحج فيعرضه على أندية قريش : فأن استحسنوه روى وكان فخراً لقائله وعلق على ركن من أركان الكعبة حتى ينظر إليه وإن لم يستحسنوه طرح ولم يعبأ به وأول من علق شعره فى الكعبة امرؤ القيس وبعده علقت الشعراء وعدد من علق شعره سبعة : ثانيهم طرفة بن العبد ، ثالثهم زهير بن أبى

(١) كذا بالاصل ولعل الانسب : « لكنهم الخ »

سلمى ، رابعهم لبيد بن ربيعة ، خامسهم عنترة ، سادسهم الحرث بن حلزة ، سابعهم عمرو ابن كلثوم التغلبي ، هذا هو المشهور

وفي العمدة لابن رشيق : وقال محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب : إن أبا عبيدة قال : أصحاب السبع — التي تسمى السمط — امرؤ القيس وزهير والنابغة والاعشى ولبيد وعمرو وطرفة قال وقال المفضل : من زعم أن في السبع التي تسمى السمط لأحد غير هؤلاء فقد أبطل ، فأسقطا من أصحاب المعلقات عنترة والحرث ابن حلزة وأثبتا الاعشى والنابغة ، وكانت المعلقات تسمى المذهبات وذلك أنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة فلذلك يقال مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره ، ذكر ذلك غير واحد من العلماء ، وقيل بل كان الملك إذا استجيدت قصيدة يقول علقوا لنا هذه لتكون في خزانته

ونذكر إن شاء الله خبر كل واحد من أصحاب القصائد وأنسابهم والسبب الذي دعاهم إلى قول تلك القصائد عندما يأتي شعر كل منهم

وقد طرح عبد الملك بن مروان شعر أربعة منهم وأثبت مكانهم أربعة

وروى أن بعض أمراء بني أمية أمر من اختار له سبعة أشعار فسماها المعلقات

والسبب الذي حمل عنترة على نظم هذه القصيدة أنه كان لا يقول من الشعر إلا البيتين والثلاثة حتى سابه رجل من قومه فعابه بسواده وسواد أمه وأنه لا يقول الشعر فاجابه عنترة أبلغ جواب — نقله ابن قتيبة في طبقات الشعراء — وقال : أما الشعر فستعلم فقال هذه القصيدة ويستحسن منها قوله في وصف روضة :

وَخَلا الذُّبابُ بها فليس ببارحٍ غَرِداً كفِعْلِ الشّارِبِ المترنِّمِ
هَزِجاً يَحُكُّ ذراعَهُ بذراعه فِعْلَ المُكِبِّ على الزِّنادِ الأَجْذَمِ

البراح الزوال ، والغرد وصف من غرد من باب فرح إذا تغنى ، يقول خلا الذباب بهذه الروضة فلا زال يرجع صوته بالغناء كشارب الخمر ، والهزج تراكب الصوت ومعنى يحك ذراعه بذراعه يمر إحداهما على الاخرى ، والاجذم — بالمعجمتين — صفة المكب وهو المقطوع اليد ، شبه الذباب اذا سن إحدى ذراعيه بالاخرى بأجذم يقدح نارا بذراعيه وهذا من عجيب التشبيه يقال إنه لم يقل أحد في معناه مثله وقد عده أرباب الادب من

التشبيهات العقم وهي التى لم يسبق اليها ولا يقدر أحد عليها مشتق من الريح العقيم وهى التى لا تلقح شجرة ولا تنتج ثمرة . . وقد شبه بعضهم من يفرك يديه ندامة بفعل الذباب وزاده للطم فقال :

فعل الأديب اذا خلا بهمومه   فعل الذباب يزنّ عند فراغه

فتراه يفرك راحتيه ندامة   منه ويتبعها بلطم دماغه

(وعنترة) هو عنترة العبسى ابن شداد بن عمرو بن قرادة قال الكلبي : شداد جده غلب على اسم أبيه وانما هو عنترة بن عمرو بن شداد . وقال غيره شداد عمه تكفله بعد موت أبيه فنسب اليه. ويقال أن أباه ادعاه بعد الكبر وذلك أنه كان لامة سوداء يقال لها زبيبة وكانت العرب فى الجاهلية اذا كان لاحدهم ولد من أمة استعبده وكان لعنترة اخوة من أمه عبيد وكان سبب ادعاء أبى عنترة اياه أن بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من بنى عبس فأصابوا منهم فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم وفيهم عنترة فقال له أبوه كر ياعنترة فقال العبد لا يحسن الكر إنما يحسن الحلاب والصر قال كر وأنت حر فقاتلهم واستنقذ امافى أيدى القوم من الغنيمة فادعاه أبوه بعد ذلك

وهو أحد أغربة العرب وهم ثلاثة، والثانى خفاف كغراب واسم أمه ندبة كتمرة، والثالث السليك بالتصغير واسم أمه السلكة بضم ففتح وأم ، الثلاثة سود

وكان عنترة أشجع أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده وكان شهد حرب داحس والغبراء وحمدت مشاهده فيها وقتل فيها ضمضما المرى أبا الحصين بن ضمضم وأبا أخيه هرم ولذلك قال فى هذه القصيده :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدُر   للحرب دائرة على ابنى ضمضم

الشاتمى عرضى ولم أشتمهما   والناذرين إذا لم القهما دمى

إن يفعلا فلقد تركت أباهما   جزر السباع وكل نسر قشعم

وهذا آخر المعلقة

قال أبو عبيدة : أن عنترة بعد ما لهوت عبس الى غطفان بعد يوم جبلة وحمل الدماء احتاج وكان صاحب غارات فكبر وعجز عنها وكان له يد على رجل من غطفان فخرج

يتجاوزه فمات فى الطريق ، و نقل عن أبى عبيدة أيضا أن طيئا تدعى قتل عنترة و يزعمون أن الذى قتله الاسد الرهيص وهو القائل :

أنا الاسد الرهيص قتلت عمرا وعنترة الفوارس قد قتلت

والله أعلم ، و العنترة فى اللغة الذباب الازرق الواحد عنترة قال سيبويه نونه ليست بزائدة

{ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر }

(١٣) في كِلْتِ رجليها سُلاَمى زائدة كلاهما قد قُرِنَتْ بواحده

على أن كلتا أصلها كلت حذفت ألفها ضرورة و فتحة التاء دليل عليها

رأيت فى حاشية الصحاح أن هذا البيت من رجز يصف به نعامة فضمير رجليها عائد على النعامة و السلامى على وزن حبارى عظم فى فرسن البعير وعظام صغار طول إصبع أو أقل فى اليد والرجل والجمع سلاميات والفرسن بكسر أوله وثالثه هو للبعير بمنزلة الحافر للفرس ، والضمير فى كلتاهما للرجلين ، وقوله « فى كلت » خبر مقدم والكسرة مقدرة على الالف المحذوفة وسلامى مبتدأ مؤخر وزائدة وصفه . وكلتاهما مبتدأ وما بعده الخبر . وهذا المصراع تأكيد للأول وفيه قلب بجعل المجرور والمرفوع فى الأول مرفوعا ومجرورا فى الثانى أى قرنت بواحدة من السلاميات

وأورده الشارح مرة ثانية هنا على أن الكوفيين زعموا أن كلت مفرد كلتا لكن هذا المفرد لم يستعمل ويجوز استعماله للضرورة كما فى هذا البيت

(أقول) : الكوفيون ذهبوا إلى أن كلا وكلتا فيهما تثنية لفظية ومعنوية وأصلهما كل فكسرت الكاف وخففت اللام و زيدت الألف للتثنية والتاء للتأنيث ، وقد بين الشارح مذهبهم ، واستدلوا على أنهما مثنيان لفظا ومعنى وأن ألفهما للتثنية بالسماع والقياس : أما السماع فنحو هذا البيت فأفرد كلت وهى بمعنى إحدى فدل على أن كلتا تثنية ، وأما القياس فقالوا : الدليل على أن ألفهما للتثنية أنها تنقلب إلى الياء فى النصب والجر إذا أضيفا إلى المضمر و لو كانت ألف قصر لم تنقلب

وذهب البصريون إلى أنهما ليستا بمأخوذتين من كل لأن كلا للإحاطة وهما لمعنى مخصوص ليس أحد القبيلين مأخوذا من الآخر ، بل مادتهما الكاف واللام والواو ، وهما مفردان لفظا مثنيان معنى والألف فى كلا كألف عصا وفى كلتا للتأنيث ، و يدل لما قالوا

عود الضمير إليهما تارة مفردا حملا على اللفظ وتارة مثنى حملا على المعنى، وقد اجتمعا فى قوله

كلاهما حين جدّ الجرى بينهما قد أقلعا وكلا أنفيهما رابى

ولو كانا مثنيين حقيقة للزمهم أمران : الاول كان يجب عود الضمير إليهما مثنى مع أن الحمل على اللفظ فيهما أكثر من الحمل على المعنى . ونظيرهما كل : فانه يجوز عود الضمير إليها مفرداً بالنسبة إلى لفظها نحو كل القوم ضربته وعوده جمعا بالنسبة إلى معناها نحو كل القوم ضربتهم لكن الحمل على المعنى فيه أكثر من الحمل على اللفظ عكس كلا وكلتا . الثانى كان يمتنع نحو كلا أخويك لأنه يلزم إضافة الشىء إلى نفسه : ويدل على أن ألفهما ألف مقصورة إمالتها كما قرأ حمزة والكسائى وخلف بامالة قوله تعالى «إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما » وقوله تعالى « كلتا الجنتين آتت أكلها » فلو كانت للتثنية لما جاز إمالتها

وأجابوا عن الدليل الأول بأنه لا حجة فى البيت فأن أصله كلتا حذفت الألف ضرورة واكتفى عنها بفتحة التاء كما قال الشاعر :

وصّانِىَ العَجّاجُ فيما وَصّـنِى

أراد وصانى . وقال الآخر :

فلست بمدرك مافات منى بِلَهْفَ ولا بَلَيْتَ ولا لَوَ انى

أراد بلهفى فحذفت الألف منهما ضرورة ومثله كثير

(أقول) : استدلالهم بهذا البيت على الأفراد يرده معناه فان المعنى على التثنية بدليل تأكيده بالمصراع الثانى فتأمل

وأجابوا عن الدليل الثانى بأنها إنما قلبت فى حال الأضافة إلى المضمر لوجهين : (أحدهما) أنه لما كان فيهما إفراد لفظى وتثنية معنوية وكانا تارة يضافان إلى المظهر وتارة إلى المضمر جعلوا لهما حظا من حالة الأفراد وحظا من حالة التثنية وإنما جعلوهما مع الأضافة إلى المظهر بمنزلة المفرد لأن المفرد هو الأصل وجعلوهما مع الاضافة إلى المضمر بمنزلة التثنية لأن المضمر فرع والتثنية فرع فكان الفرع أولى بالفرع ، (والثانى) أنه إنما لم تقلب ألفهما مع المظهر لأنهما لزمتا الأضافة وجر الاسم بعدهما فاشبهتا لدى وإلى وعلى وكما أن هذه الثلاثة لاتقلب ألفها مع المظهر وتقلب مع المضمر

كان كلا وكلتا كذلك ويدل على صحة ذلك أن القلب فيهما يختص بحالة النصب والجر دون الرفع لان لديك إنما تستعمل فى حالة النصب والجر دون الرفع فلهذا المعنى كان القلب مختصا بهما دون حالة الرفع ، قال ابن الانبارى فى كتاب الانصاف : وهذا الوجه أوجه الوجهين وبه علل أكثر المتقدمين ؛ قال : والدليل على أن الألف فيهما ليست للتثنية أنها لو كانت للتثنية لانقلبت فى حالة النصب والجر إذا أضيفتا الى المظهر لأن الاصل هو المظهر والمضمر فرعه فلما لم تنقلب دل على أنها ألف مقصورة لا أنها للتثنية ، والله أعلم

هذا وقد قال أبو حيان فى تذكرته : هذا البيت من اضطرار الشعراء ، وكلت ليس بواحد كلتا بل هو جاء بمعنى كلا غير أنه أسقط الألف اعتمادا على الكسرة التى قبلها وعملا على أنها تكفى من الألف الممالة الى الياء وما من الكوفيين أحد يقول كلت واحدة كلتا ولا يدعى أن لكلا وكلتا واحدا منفردا فى النطق مستعملا فان ادعاه عليه مدع فهو تشنيع وتفحيش من الخصوم على قول خصومهم ، انتهى

ويؤيده على ما رأيته فى معانى القرآن للفراء عند تفسير قوله تعالى : «كلتا الجنتين آتت أكلها» ، وهذه عبارته : «وقد تفرد العرب إحدى كلتى بالأمالة ، وهم يذهبون بافرادها الى اثنينيتها وأنشدنى بعضهم :

فى كلت رجليها سلامى واحده كلتاهما قد قرنت بزائده

يعنى الظليم ، يريد بكلت كلتا

(وأنشد بعده . وهو الشاهد الرابع عشر)

(١٤) كلتُ كَفّيه تُوالى دائما بجُيوشٍ من عِقابٍ ونِعَمْ

على أن كلت مفرد كلتا عند الكوفيين . والكلام عليه كالكلام على البيت الذى قبله . ووالى بين الامرين موالاة وولاء تابع . والجيش الجند وقيل الجند السائر لحرب أو غيرها . والعقاب النكال والنعم جمع نعمة وهو المال هنا . والظاهر أن مراد الشاعر أن إحدى يديه تفيد النعم لاوليائه والأخرى توقع النقم بأعدائه . كما قال آخر :

يداك يدٌ خيرُها يُرتَجى وأُخرى لأَعدائها غائظَة

وحينئذ فلا يتأتى قول الكوفيين : إن كلت هنا بمعنى إحدى فوجب أن يكون أصله كلتا حذفت الألف ضرورة كما تقدم بيانه فى البيت السابق وفيه أيضا ما نقلناه.

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر)

(١٥) كِلانا إذا ما نال شيئاً أفاتَه

تمـامه :

ومن يَحْتَرِثْ حَرْثِى وحَرْثك يهزِل

على أن كلا وكلتا لو كانتا مثنيين حقيقة لم يجز عود ضمير المفرد إليهما ، كما عاد ضمير نال المفرد إلى كلا فى هذا البيت ، فلما عاد إليها ضمير المفرد علم أنها مفردة لفظا مثناة معنى ، فعاد إليها باعتبار اللفظ ، وهو الكثير ، ويجوز أن يثنى الضمير العائد اليها باعتبار المعنى

وهذا البيت من أبيات أربعة رواها الرواة لتأبط شرا : منهم الاصمعى ، وأبو حنيفة الدينورى فى كتاب النبات ، وابن قتيبة فى أبيات المعانى ، وخالفهم أبو سعيد السكرى ، وزعم أنها لامرئ القيس ورواها فى معلقته المشهورة بعد قوله .

كأن الثُّريّا عُلِّقت فى مَصامها ... بأمْراسِ كِتّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَل

والأبيات هذه :

وقِرْبَةِ أقوام جَعَلْتُ عصامها ... على كاهِلٍ منى ذَلُولٍ مُرَحّل

وَوادٍ كجَوْف العيرِ قَفْرٍ قطعته ... به الذئب يَعْوى كالخليع المُعَيّل

فقلتُ له لمَّا عوى إنّ شأننا ... قليلُ الغنى إن كنتَ لما تَموّل

كِلانا اذا ما نال شيئا أفاته ... ومن يَحْتَرِثْ حرثى وحَرْثَكَ يهزل

وهذا الشعر أشبه بكلام اللص والصعلوك ، لا بكلام الملوك

الواو واو رب ، والعصام الحبل الذى تحمل به القربة ويضعه الرجل على عاتقه وعلى صدره ، والكاهل موصل العنق والظهر ، والذلول فعول من ذلت الدابة ذلا بالكسر سهلت وانقادت فهى ذلول ، والمرحل اسم مفعول من رحلته ترحيلا إذا أظعنته من مكانه وأرسلته ، يصف نفسه بانه يخدم أصحابه

قوله : « ووادٍ كجوف العير الخ » الواو حرف عطف عطفت على مجرور واو رب وجوف العير فيه قولان :

أحدهما : أنه مثل لما لا ينتفع منه بشيء ، قال أبو نصر : والعير عند الأصمعى الحمار يذهب به إلى أنه ليس فى جوف الحمار شيء يؤكل وينتفع به إذا صيد ، فجوف الحمار عندهم بمنزلة الوادى القفر ، وفى كتاب العشرات للتميمى : فى المثل « تركه جوف حمار » أى ليس فيه ما ينتفع به

الثانى : أن العير رجل من العمالقة ، وقيل من عاد كان له بنون وواد خصيب ، وكان حسن الطريقة فخرج بنوه يتصيدون فأصابتهم صاعقة فأحرقتهم فكفر بالله وقال لا أعبد ربا أحرق بنى . وأخذ فى عبادة الأصنام ودعا قومه إليها فمن أبى قتله ، فسلط الله على واديه نارا فأهلكه وأخرب واديه

والوادى بلغة اليمن الجوف قال حمزة الأصبهانى فى أمثاله : قال أبو نصر : قال الاصمعى : حدثني ابن الكلبي عن فروة بن سعيد عن عفيف الكندى : أن هذا الذى ذكرته العرب كان رجلا من بقايا عاد يقال له حمار بن مويلع فعدلت العرب عن ذكر الحمار إلى ذكر العير لأنه فى الشعر أخف وأسهل مخرجا اه

وقد ضربت العرب المثل به فى الخراب والخلاء فقالوا « أخرب من جوف حمار » . وأخلى من جوف حمار » قال الشاعر :

وبشؤم البغى والغشم قديما   ماخلا جوف ولم يبق حمار

وقالوا أيضا : « أكفر من حمار » وقال بعضهم : أراد بجوف العير وسط السيف والعير وسط السيف

والخليع . قال ابن قتيبة فى أبيات المعانى : هو الذى قد خلعه أهله لجناياته ، والمعيل الذى ترك يذهب ويجيء حيث شاء . وقال الخطيب التبريزى : الخليع المقامر ويقال هو الذى قد خلع عذاره فلا يبالى ما ارتكب ، والمعيل الكثير العيال ، وأراد يعوى عواء مثل عواء الخليع . وقوله « إن كنت لما تمول » لما نافية ، وتمول مضارع محذوف منه التاء ماضى (١) تمول إذا صار ذا مال ، ومثله مال الرجل يمول ويمال مولا ومؤولا ، يقول : إن كنت لم تصب من الغنى ما يكفيك فان شأننا قليل الغني أى انا لا أغني عنك وأنت لا تغنى عنى شيئا أى أنا أطلب وأنت تطلب فكلانا لا غنى له ومن رواه « طويل الغني» أراد همتى تطول فى طلب الغنى . وروى ابن قتيبة

(١) لعل الأنسب أن يقال : « ماضيه » الخ

« وقلت له لما عوى ان شأننا . قليل» الخ

وقوله« كلانا إذا مانال الخ » نال ينال نيلا أصابه ، وأفاته فوته ولم يدخره ، ورواه ابن قتيبة :

كلانا مضيع لاخزانة عنده

والمضيع من أضاع المال بمعنى أهلكه ، وروى الدينورى :

كلانا مقل لاخزانة عنده

وقال : يقال للعمل فى الحرث لزرع كان أو لغرس الحراثة والفلاحة والاكارة ثم قيل للعمل فى كل شيء حرث فقيل : فلان يحرث لآخرته ، يقول من يكسب كسبي وكسبك لايستغني لأنه يعيش من الخلس ولا يقتنى ، وقال الخطيب التبريزى : أى من طلب منى ومنك شيئا لم يدرك مراده . وقال قوم : معناه من كانت صناعته وطلبته مثل طلبتى وطلبتك فىهذا الموضع مات هزالا لانهما كانا بواد لانبات فيه ولاصيد

(وتأبط شرا) اسمه ثابت وكنيته أبو زهير بن جابر بن سفيان بن عميثل بن عدى بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان ، وأمه أميمة من قين : بطن من فهم ، وفى تلقيبه بتأبط شرا أربعة أقوال :

أحدها : وهو المشهور أنه تأبط سيفا وخرج فقيل لأمه : أين هو ؟ فقالت : لا أدرى تأبط شرا وخرج

الثانى : أن أمه قالت له فى زمن الكمأة : ألا ترى غلمان الحى يجتنون لأهلهم الكمأة فيروحون بها فقال لها أعطنى جرابك حتى أجتنى لك فيه . فأعطته فملأه لها أفاعى من أكبر ما قدر عليه وأتى به متأبطا له ، فألقاه بين يديها ففتحته فسعين بين يديها فى بيتها فوثبت وخرجت منه ، فقال لها نساء الحى : ماذا كان الذى تأبطه ثابت اليوم ؟ قالت : تأبط شرا

الثالث : أنه رأى كبشا فى الصحراء فاحتمله تحت إبطه فجعل يبول طول الطريق عليه فلما قرب من الحى ثقل عليه حتى لم يقله فرمى به فاذا هو الغول . فقال له قومه بم تأبطت ياثابت؟ فاخبرهم فقالوا : لقد تأبط شرا

الرابع : انه أتى بالغول فألقاها بين يديها ، فسئلت أمه عما كان متأبطا فقالت ذلك فلزمه

. وكان أحد لصوص العرب يغزو على رجليه وحده، وكان اذا جاع نظر إلى الظباء فينتقي على نظره أسمنها ثم يجرى خلفه فلا يفوته حتى يأخذه

وترجمته مذكورة فى الأغانى بحكايات كثيرة يتعجب منها العقل لغرابتها

وقيس عيلان تركيب إضافى لان عيلان اسم فرس قيس لا أبيه كما ظنه بعض الناس، كذا فى القاموس وغيره، وهو بفتح العين المهملة . وليس عيلان فى لغة العرب غيره وما عداه غيلان بالمعجمة . وقيس أبو قبيلة من مضر واسمه الناس بن مضر بن نزار وقيس لقبه : يقال : تقيس فلان إذا تشبه بهم أو تمسك منهم بسبب : إما بحلف ، أو جوار أو ولاء . قال رؤبة :

وقَيْس عَيْلان ومَنْ تَقَيَّسا

ثم رأيت فى شرح أدب الكاتب للجواليقي قال ـ عند بيت رؤبة هذا ـ : قيس عيلان بن مضر ويقال قيس بن عيلان واسمه الناس بالنون وأخوه الياس بالياء وفيه العدد . وكان الناس متلافا ، وكان إذا نفد ما عنده أتى أخاه الياس فيناصفه ماله أحيانا ويواسيه أحيانا فلما طال ذلك عليه وأتاه كما كان يأتيه قال له الياس :غلبت عليك العيلة فأنت عيلان فسمي لذلك عيلان وجهل الناس . ومن قال قيس بن عيلان فان عيلان كان عبداً لمضر حضن ابنه الناس فغلب على نسبه اه

ومثله فى الانساب للكلبي قال : كان عيلان عبداً لمضر فحضن ابنه الناس

﴿ وأنشد بعده . وهو الشاهد السادس عشر ، وهو من شواهد سيبويه ﴾

(١٦) فَلاَ أَعْنى بذلك أَسْفَلِيكُمْ ولٰكِنِّى أُرِيد به الذَّوِينا

على أن الذوين داخل فى حد الجمع المذكور على أى وجه كان لأن واحده ذو وأنشده أيضا فى آخر باب الأضافة على أن قطع ذو وإدخال اللام عليه شاذ وذلك لأجرائه مجرى صاحب، وأنشده أيضا فى باب جمع المذكر السالم على أنه لو اعتبر اللام ـ أى لام الفعل ـ لقال الذوين كالأعلين فان ذو مفتوح العين عند سيبويه قال أبو على الفارسى فى الايضاح الشعرى : كسر العين من الذوين وكان حقها أن تفتح لان ذوين جمع ذوا وقد ثبت « بذواتا أفنان » أن العين مفتوحة اه قال فى الصحاح : ولو سميت رجلا

ذو لقلت هذا ذوا قد أقبل فترد ما ذهب منه لأنه لا يكون اسم على حرفين أحدهما حرف لين لان التنوين يذهبه فيبقى على حرف واحد

وأنشده سيبويه أيضا فى باب تغيير الأسماء المشبهة إذا صارت أعلاما خاصة فأنه جمع ذو جمعا سالما وأفرده من الأضافة وأدخل عليه اللام وجعله اسما على حياله

قال فى الصحاح : ولو جمعت ذو مال لقلت هؤلاء ذوون فأن الاضافة قد زالت وأنشد بيت الكميت وقال : أراد أذواء اليمن

وكذلك قال أبو البقاء فى شرح الأيضاح النحوى للفارسى : انما جاز هذا لأنه أراد ملوك اليمن فقد أخرجه إلى باب المفرد ولذلك قالوا الأذواء فى هؤلاء

لكن قال أبو بكر الزبيدي فى كتاب لحن العامة : لا يجوز أن تدخل اللام على ذو ولا على ذات فى حال إفراد ولا تثنية ولا جمع ولا تضاف إلى المضمرات وإنما تقع مضافة إلى الظاهر وقد غلط فى ذلك أهل الكلام وأكثر النحويين من الشعراء والكتاب والفقهاء .فأما قولهم فى ذى رعين وذى أصبح وذى كلاع الأذواء وقوله :

ولكنى أريد به الذوينا

فليس من كلامهم المعروف ألا ترى أنك لا تقول هؤلاء أذواء الدار ولا مررت بأذواء المال وإنما أحدث ذلك بعض أهل النظر كأنه ذهب إلى جمعه على الأصل لأن أصل ذو ذو فجمعه على أذواء مثل قفا وأقفاء وكذلك الذوون كأنه جمعه مفردا وأخرجه مخرج الأذواء فى الانفراد ، وذلك غير مقول لأن ذو لا تكون إلا مضافة وكما لا يجوز أن تقول هذا الذو و الذوان فتفرد فكذلك لا تقول الأذواء ولا الذوون لأن ذو لا تكون إلا مضافة وكذلك جمعها اه

والصحيح عند سيبويه ومن تبعه جواز جمع ذو فى نحو ذى رعين مما هو جزء علم على الأذواء والذوين كما فى شعر الكميت وهو عربى فصيح ، ومراد الزبيدى بتغليط من ذكر أنهم يقولون الذات وذاته ، فيدخلون اللام عليه ويضيفونه إلى الضمير وهو مؤنث ذو ، وهذا جائز أيضا وإن توقف فيه أكثر الناس ، فأن الذات قد أجرى مجرى الاسماء الجامدة فان المراد به حقيقة الشيء ونفسه من غير ملاحظة موصوف يجرى عليه

قال الزركشي فى تذكرته : سئل الزمخشرى عن إطلاق الذات على الله عز وجل

فأجاب بأنها تأنيث ذو بمعنى صاحب وهى موضوعة ليوصف به ما تلبس بما يلزمها الاضافة إليه من الأجناس فى نحو قولهم رجل ذو مال وامرأة ذات جمال ثم قطعت عن مقتضاها وأجريت مجرى الأسماء الجوامد فلا تلزم الأضافة ولا الأجراء على موصوف . وعنى بها نفس البارى وحقيقته وأصلها فى التقدير نفس ذات علم وغيره من الصفات ثم استغنى بالصفة عن الموصوف ، ومثله كثير وحذف المضاف إليه لأرادة التعميم كما تحذف المفاعيل . فان قلت : كيف جاز إطلاقه على الله مع ما فيه من التأنيث وهم يمنعون إطلاق العلامة عليه مع أن تاءه للمبالغة لما فيه من الايهام . قلت : ساغ من حيث ساغ النفس والحقيقة ووجهه أن امتناع علامة لأنه صفة حذي بها حذو الفعل فى التفصلة بين المذكر والمؤنث بخلاف الأسماء التى لاتجرى على مجرى الأفعال فى الفرق فلما انسلكت الذات فى مسلك الأسماء جرت مجرى النفس والحقيقة فان صح ما حكى عن العرب من قولهم : جعل الله ما بيننا فى ذاته . وعليه بنى خبيب قوله :

ويضرب فى ذات الإله فيوجع

فالكلمة إذن عربية وعلى ذلك استعمال المتكلمين اه

واعلم أن استشهادهم بشعر خبيب وبما وقع فى الحديث من قوله « ثلاث كذبات فى ذات الله » لتصحيح هذه اللفظة فيه أن بعض المحققين قال : ليس معناه ماذكروه وانما معنى ذات فيه أمور تستند إلى الله مما أراده وأوجبه على عباده من طاعته وعبادته والإيمان به ونحو ذلك وهو المتبادر منه بشهادة السياق والتأمل الصادق

وهذا البيت من قصيدة للكميت بن زيد هجا بها أهل اليمن تعصباً لمضر وسيأتى فى الشاهد الرابع والعشرين سبب عصبيته لمضر ونظمه لهذه القصيدة . يقول لا أعنى بهجوى إياكم أراذلكم وانما أعنى عليتكم وملوككم وروى :

لم أقصد بذلك أسفليكم ولكنى عَنَيْتُ به الذَّوِينا

يقال : عنيته عنيا ـ من باب رمى ـ قصدته فمفعوله أسفليكم وهو جمع مذكر سالم واعتنيت بأمرى اهتممت واحتفلت وعنيت به أعنى ـ من باب رمى أيضاً ـ عناية كذلك وأما المبنى للمفعول نحو عنيت بأمر فلان عناية وعنيا فهو بمعنى شغلت به ولتعن بحاجتى أى لتكن

حاجتي شاغلة لسرك ، وربما قيل عنيت بأمره بالبناء للفاعل، كذا في المصباح . والأسفلون جمع أسفل وهو خلاف الأعلى يقال : سفل سفولا — من باب قعد — وسفل — من باب قرب — لغة صار أسفل من غيره وسفل في خلقه وعمله سفلا — من باب قتل — وسفالاً : والاسم السفل — بالضم — ومنه قيل للأراذل سفلة — بفتح السين وكسر الفاء — ويجوز التخفيف بنقل الكسرة الى ما قبلها ، وأراد بالذوين الأذواء وهم ملوك اليمن المسمون بذى يزن وذى جدن وذى نواس وهم التبابعة

قال ابن الشجرى فى أماليه : وأذواء اليمن منهم ملوك ومنهم أقيال والقيل دون الملك . ثم سرد من سمى بذى كذا من ملوك اليمن وبالغ فى جمعها وشرحها فمن أرادها فلينظر ثمة

ومن يقال له الكميت من الشعراء — كذا فى المؤتلف والمختلف للآمدى — ثلاثة من بنى أسد بن خزيمة

أولهم الكميت الأكبر بن ثعلبة بن نوفل بن فضلة بن الأشتر بن جحوان - بتقديم المعجمة - ابن فقعس

والثانى الكميت بن معروف بن الكميت الأكبر

الثالث هو صاحب الشاهد وهو الكميت بن زيد بن الأخنس بن مجالد بن ربيعة ابن قيس بن الحرث بن عامر بن دويبة بن عمرو بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دودان ابن أسد . وهو كوفى شاعر مقدم عالم بلغات العرب خبير بأيامها ومن شعراء مضر وألسنتها المتعصبين على القحطانية المقارعين العالمين بالمثالب . يقال ماجمع أحد من علم العرب ومناقبها ومعرفة أنسابها ما جمع الكميت فمن صحح الكميت نسبه صح ومن طعن فيه وهن

وسئل معاذ الهراء عن أشعر الناس فقال : من الجاهليين امرؤ القيس وزهير وعبيد ابن الأبرص، ومن الاسلاميين الفرزدق وجرير والاخطل فقيل له: يا أبا محمد مارأيناك ذكرت الكميت قال : ذاك أشعر الأولين والآخرين

وقال أبو عكرمة الضبى : لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان ولا للبيان لسان

يقال إن شعره بلغ أكثر من خمسة آلاف بيت ، وقال أبو عبيدة : لو لم يكن لبنى أسد منقبة غير الكميت لكفاهم ، حببهم إلى الناس وأبقى لهم ذكرا ، وقال بعضهم :

فى الكميت خصال لم تكن فى شاعر: كان خطيب بنى أسد ، وفقيه الشيعة ، وحافظ القرآن : وكان ثبت الجنان ، وكان كاتبا حسن الخط وكان نسابة وكان جدليا ، وهو أول من ناظر فى التشيع مجاهرا بذلك ، وله فى أهل البيت القصائد المشهورة وهى أجود شعره . وكان فى صغره ذكيا لو ذعيا . يقال : إنه وقف وهو صبى على الفرزدق وهو ينشد فأعجبه سماعه فلما فرغ قال : ياغلام كيف ترى ماتسمع قال حسن ياعم ، قال أيسرك أنى أبوك قال أما أبى فلا أبغى به بدلا ولكن يسرنى أنك أمى . فحصر الفرزدق وقال ما مر بنا مثلها

وحكى صاعد مولى الكميت قال : دخلت مع الكميت على على بن الحسين رضى الله عنه فقال : إنى قد مدحتك بما أرجو أن يكون لي وسيلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أنشده قصيدته التى أولها :

مَنْ لقلب مُتَيَّمٍ مُسْتَهَامِ غَيْرِ ما صَبْوَةٍ ولا أحلامِ

فلما أتى على آخرها قال له ثوابك نعجز عنه ، ولكن ما عجزنا عنه فأن الله لا يعجز عن مكافأتك . اللهم اغفر للكميت اللهم اغفر للكميت ، ثم قسط له : على نفسه وعلى أهله أربعمائة ألف درهم وقال له : خذ يا أبا المستهل فقال له: لو وصلتنى بدانق لكان شرفا لى ولكن إن أحببت أن تحسن إلى فادفع إلى بعض ثيابك التى تلى جسدك أتبرك بها فقام فنزع ثيابه ودفعها إليه كلها ثم قال : اللهم إن الكميت جاد فى آل رسولك وذرية نبيك بنفسه حين ضن الناس وأظهر ما كتمه غيره من الحق فأحيه سعيدا وأمته شهيدا وأره الجزاء عاجلا وأجزل له جزيل المثوبة آجلا فأنا قد عجزنا عن مكافأته . قال الكميت : ما زلت أعرف بركة دعائه

وحدث محمد بن سهل قال : دخلت مع الكميت على جعفر الصادق فى أيام التشريق فقال له : جعلت فداءك ألا أنشدك قال : إنها أيام عظام قال : إنها فيكم . قال : هات فأنشده قصيدته التى أولها :

ألا هَلْ عَمٍ فى رأيه مُتَأَمّل وهَلْ مُدْبِر بعد الإساءةِ مقبلُ
وهل أُمّة مستيقظون لدينهم فيكشف عنه النعمة المترتل
فقد طال هذا النَّوْمُ واستخرج الكرى مساويهم لو أن ذا الميل يعْدلُ

وعطلت الأحكام حتى كأننا على ملة غير التى نتنحل
كلام النبيين الهداة كلامنا وأفعال أهل الجاهلية نفعل
رضينا بدنيا لا نريد فراقها على أننا فيها نموت ونقتل
ونحن بها مستمسكون كأنها لنا جنة مما نخاف ومعقل

فكثر البكاء وارتفعت الأصوات فلما مر على قوله فى الحسين رضى الله عنه :

كأن حسيناً والبهاليل حوله لأسيافهم ما يختلى المتبتل
وغاب نبى الله عنهم وفقده على الناس رزء ما هناك مجلل
فلم أر مخذولا لأجل مصيبة وأوجب منه نصرة حين يخذل

فرفع جعفر الصادق رضى الله عنه يديه وقال : اللهم اغفر للكميت ما قدم وما أخر وما أسر وما أعلن وأعطه حتى يرضى . ثم أعطاه ألف دينار وكسوة . فقال له الكميت : والله ما أحببتكم للدنيا ولو أردتها لأتيت من هى فى يديه ولكننى أحببتكم للآخرة فأما الثياب التى أصابت أجسادكم فأنى أقبلها لبركتها وأما المال فلا أقبله

وكانت ولادة الكميت سنة ستين وهى أيام مقتل الحسين رضى الله عنه وكانت وفاته سنة ست وعشرين ومائة فى خلافة مروان بن محمد

وكان السبب فى موته أنه مدح يوسف بن عمر بعد عزل خالد القسري عن العراق فلما دخل عليه أنشده مديحه معرضا بخالد وكان الجند على رأس يوسف متعصبين لخالد فوضعوا سيوفهم فى بطنه وقالوا : أتنشد الامير ولم تستأمره ، فلم يزل ينزف الدم منه حتى مات رحمه الله تعالى

والكميت مشتق من الكمتة يقال للذكر والأنثى ولا يستعمل إلا مصغرا وهو تصغير أكمت على غير قياس (١) والاسم الكمتة وهو من الخيل بين الأسود والأحمر قال أبو عبيد : ويفرق بين الكميت والأشقر بالعرف والذنب فأن كانا أحمرين فهو أشقر، وإن كانا أسودين فهو الكميت .ووجه تصغيره سيبويه بما يستحسن فقال : لأنه لم يخلص له لون بعينه فينفرد به مكبرا ، والله أعلم

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر)

(١) هو تصغير الترخيم كما يقولون فى تصغير أحمد ومحمد وحامد ومحمود : حميد

(١٧) وما كانَ حِصْنٌ ولا حابِسٌ يفوقان مِرْداسَ في مَجْمَعِ

على أن الكوفيين وبعض البصريين جوزوا للضرورة ترك صرف المنصرف بشرط العلمية . وأنشده أيضا هنا فى آخر الكلام على منتهى الجموع على أن الكوفيين يمنعون الصرف بالعلمية وحدها لأنها سبب قوى فى باب منع الصرف

أراد ببعض البصريين أبا الحسن الأخفش وأبا على الفارسى وابن برهان

واشتراط العلمية لمنع الصرف إنما هو مذهب السهيلى لاغير وأما الكوفيون فهم يجيزون ترك الصرف للضرورة مطلقا فى الأعلام وغيرها ومن جملة شواهدهم قول الشاعر:

فأوفض منها وهى ترغو حشاشة بذى نفسها والسيف عريان أحمر

قالوا ترك صرف عريان وهو منصرف لأن مؤنثه عريانة لاعربى وسيأتى مثله للشارح فى هذا الباب . وقول الفرزدق ، وقيل هو لابن أحمر :

اذا قال غاوٍ من من تنوخ قصيدة بها جرب عدت علىّ بزوبرا

قالوا ترك صرف زوبر وهو منصرف ، ومعناه نسبت إلى بكمالها من قولهم أخذ الشىء بزوبره إذا أخذه كله . وقيل بزوبرا أى كذبا وزورا و إن كان زوبر عند البصريين معرفة قال ابن جني فى المبهج ، وهو تفسير أسامى شعراء الحماسة : سألت أبا على عن ترك صرف زوبر فقال جعلها علما لما تضمنته القصيدة من المعنى . وقال الزمخشرى فى المفصل هو علم للكلية كسبحان علم للتسبيح وكذا ذكره الشارح فى باب العلم . نعم أكثر شواهدهم جاءت فى الأعلام وكأنهم راعوا بحسب الأغلبية العلمية فى منع الصرف وحدها للضرورة كما أهملوها أيضا للضرورة فالمسئلة ثلاثية . الجواز مطلقا وهو مذهب الكوفيين والمنع مطلقا وهو مذهب البصريين . والجواز مع العلمية وهو مذهب السهيلى ، وقد حكى هذه المذاهب الثلاثة الشاطبي فى شرح الألفية ، وقال المبرد : الرواية :

يفوقان شَيخَيَ فى مجمع

قال ابن مالك فى شرح التسهيل : وللمبرد إقدام فى رد ما لم يرو مع أن البيت بذكر مرداس ثابت بنقل العدل عن العدل فى صحيح البخارى ومسلم وذكر شيخى لايعرف له سند صحيح ولا سبب يدنيه من التسوية فكيف من الترجيح

وقال ابن جنى فى سر الصناعة بعد أن عارض الرواية المشهورة برواية المبرد : على

أن المبرد قد حكى عنهم سلام عليكم غير ممنون والقول فيه إن اللفظة كثرت فى كلامهم فحذف تنوينها تخفيفا كما قالوا لم يك ولاتبل ولا أدر ، انتهى

يريد إن سلمنا رواية الكوفيين فهو من باب حذف التنوين لا من باب منع الصرف وهذا ظاهر فى المنصوب وليت شعرى مايقول فى المجرور اذا جر بالفتحة كقول الشاعر :

قالت أُمَيْمَةُ ما لثابتَ شاخصا عارى الأَشاجع ناحلا بالمفصل

فثابت علم جر بالفتحة ، وقول الآخر :

وإلى ابن أم أُناسَ تعمد ناقتى عمرو لتنجح ناقتى أو تتلف

فجر أناس بالفتحة . وأم أناس بنت ذهل من بنى شيبان . وعمرو : هو عمرو بن حجر الكندى ، وقوله :

وقائلة مابال دَوْسَرَ بعدنا صحا قلبُه عن آل لَيْلى وعن هند

ونحو هذا من أبيات أخر

واستدل الكوفيون على جواز ترك الصرف ضرورة بالسماع والقياس

أما السماع فكثرة الشواهد وهى تزيد على عشرين بيتا ، ذكرها ابن الأنبارى فى كتاب الانصاف ، وأثبتها البصريون بروايات ليس فيها ترك الصرف فقالوا فى قوله :

وقائلة مابال دوسر بعدنا

الرواية

وقائلة ما للقريعىّ بعدنا

وقالوا فى قوله :

ومصعب حين جد الأمـ ـر أكثرها وأطيبها

الرواية

وأنتم حين جد الأمر

وهكذا رووا فى سائر الأبيات فقال الكوفيون : الرواية الصحيحة المشهورة مارويناه ، ولو سلمنا صحة روايتكم فما جوابكم عما رويناه مع صحته وشهرته

وأما القياس فانه لما جاز صرف مالا ينصرف اتفاقا وهو خلاف القياس ، جاز

العكس أيضا إذ لا فرق بينهما ، وأيضا فأنه إذا جاز حذف الواو المتحركة ضرورة من قوله :

فبيناه يَشْرى رَحْلَه قال قائل لمن جَمَلٌ رخو الملاط نجيب

وأصله فبينا هو لجواز حذف التنوين ضرورة من باب أولَى لأنَ الواو من هو متحركة والتنوين ساكن ولا خلاف أن حذف الحرف الساكن أسهل من حذف المتحرك

وأما البصريون فقالوا لا يجوز ترك الصرف لأن الأصل فى الأسماء الصرف فلو أنا جوزنا ذلك أدى إلى رده عن الأصل إلى الفرع ، ولالتبس ما ينصرف بما لا ينصرف وعلى هذا يخرج حذف الواو من هو فى نحو قوله

فبيناه يشرى رحله

فانه لا يؤدى إلى لبس . وإنما جاز فى الضرورة صرف مالا ينصرف لأنه من أصل الاسم فأذا اضطروا ردوه إلى أصله وإن لم ينطقوا به فى السعة كما لم ينطقوا بنحو « ضننوا(١) » فى السعة بخلاف منع الصرف لأنه ليس من أصل المنصرف أن لا ينصرف

وقد ذهب ابن الانبارى فى كتاب الأنصاف مذهب الكوفيين لكثرة النقل الذى خرج عن هذا الشذوذ والقلة فقال : ولما صحت الرواية عند الأخفش والفارسى وابن برهان من البصريين صاروا إلى جواز ترك الصرف ضرورة تبعا للكوفيين وهم من أكابر أئمة البصريين والمشار اليهم من المحققين .

وأجاب عن كلمات البصريين فقال : أما قولهم يؤدى ترك الصرف إلى الفرع ، قلنا هذا يبطل بحذف الواو من هو فى قوله « فبيناه يشرى » خصوصا على أصل البصريين ، فأن الواو عندهم أصلية وقولهم « لالتباس بحذفها » غير مسلم فأنك إذا قلت غزا هو بتأكيد الضمير المتصل بالمنفصل – فاذا حذفت الواو حصل اللبس وكذلك يحصل اللبس بصرف ما لا ينصرف فأنه يوقع لبسا بين المنصرف وغيره ومع هذا وقع الأجماع على جوازه ، فان قالوا : الكلام هو الذى يتحصل القانون بهدون الشعر وصرف ما لا ينصرف لا يوقع لبسا بين ما ينصرف وبين مالا ينصرف لأنه لا يلتبس ذلك فى اختيار الكلام ، قلنا : وهنا هو جوابنا عما ذكرتموه فأنه إذا كان الكلام هو الذى يتحصل به القانون فترك

(١) يشير بهذه الكلمة ألى قول قعنب بن أم صاحب :

مهلا أعاذل قد جربت من خلقى أنى أجود لأقوام وإن ضننوا

صرف مالا ينصرف فى الضرورة لا يوجب لبسا بينهما إذ لا يلتبس ماينصرف وما لاينصرف فى اختيار الكلام . وأطال الكلام فى الرد على البصريين

وقد أورد الفارسى فى تذكرته على أصل البصريين سؤالا لم يجب عنه ، فقال : أفيجوز فى الضرورة أن لا يعرب الفعل المضارع لأن الأصل كان فيه أن لا يعرب كما كان الأصل فى الاسم أن لا يصرف فأذا لم تعربه رددته إلى الأصل فى الضرورة كما رددت الاسم إلى الصرف فى الضرورة واستشهد على ذلك بقوله :

« فاليوم أشرب » (١)

ونحو ذلك . قيل : أما الابيات فليست بدليل قاطع لأنه يجوز أن يكون أجريت فى الوصل مجرى الوقف، وبقي النظر فى هل يجوز أن لا يعرب .هذا ما قاله ولم يجب عنه

قال الشاطبى : وكأنه إشكال على مذهب البصريين . لكن الجواب يظهر عنه بأدنى نظر . انتهى

وهذا البيت من أبيات سبعة للعباس بن مرداس الصحابى رضى الله عنه ابن أبى عامر بن حارثة بن عبد بن عبس بن رفاعة بن الحرث بن بهثة بن سليم ، أسلم قبل فتح مكة بيسير . وأمه الخنساء الصحابية الشاعرة كما يأتى بيانه فى ترجمتها ، وكان عباس هذا من المؤلفة قلوبهم . ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد سبايا حنين إلى أهلها أعطى المؤلفة قلوبهم — وكانوا أشرافا يتألفهم ويتألف بهم قومهم — فأعطى أبا سفيان وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحرث بن الحرث بن كلدة ؛ والحرث بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، وصفوان بن أمية ، وكل هؤلاء من أشراف قريش ، والأقرع بن حابس بن عنان بن محمد بن سفيان المجاشعى التميمى ، وعيينة ابن حصن الفزارى ، ومالك بن عوف النصرى ، أعطى كل واحد من هؤلاء مائة بعير وأعطى دون المائة رجالا من قريش ، وأعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها وقال يعاتب النبى صلى الله عليه وسلم :

أتجعل نهبِي ونهبَ العُبَيـ ... ـدِ بين عُيَيْنَةَ والأقْرع؟
وما كان حصن ولا حابس ... يفوقان مِرْدَاسَ فى مَجمع!

---

(١) هذه الكلمة إشارة الى قول امرىء القيس :

فاليوم أشرب غير مستحقب ... إثما من الله ولا واغل

وما كنت دون امرىء منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع

وقد كنت في الحرب ذا تدرأ ... فلم أعط شيئاً ولم أمنع

ألا أفائل من حربة ... عديد قوائمه الأربع

وكانت نهابا تلافيتها ... بكرّى على المهر في الأجرع

وإيقاظى القوم أن يرقدوا ... إذا هجع الناس لم أهجع

النهب الغنيمة والعبيد ـ بالتصغير ـ اسم فرس العباس وكان يدعى فارس العبيد وتدرأ تفعل ـ بضم التاء وفتح العين ـ مهموز من الدرء وهو الدفع قال فى الصحاح : وقولهم السلطان ذو تدرأ أى ذو عدة وقوة على دفع أعدائه عن نفسه وهذا اسم موضوع للدفع وقوله : « فلم أعط شيئا الخ » أى لم أعط شيئا طائلا أو لم أعط شيئا أستحقه وهو المائة ولم أمنع من الأعطاء لأنى أعطيت بعضا قيل كان أعطى خمسين واستشهد به النحاة على حذف الصفة لئلا يلزم التناقض والأفائل جمع أفيل ـ بالفاء ـ كالفصيل وزنا ومعنى وقال الاصمعى : هو ابن سبعة أشهر أو ثمانية ويجمع على إفال أيضا ـ بكسر الهمزة ـ وهذه رواية سفيان بن عيينة وروى ابن عقبة وابن اسحق « الا أفائل أعطيتها » كذا فى الاستيعاب لابن عبد البر.

فلما أنشد هذه الأبيات بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اقطعوا عنى لسانه » فأعطى حتى رضى وقال سفيان بن عيينة أتمهاله مائة وقال ابن أبي الاصبع فى تحرير التحبير قال لعلى : « ياعلى اقطع لسانه عنى » فقبض على يده وخرج به فقال أقاطع أنت لسانى ياأبا الحسن؟ فقال : إنى لممض فيك ما أمرت ثم مضى به إلى إبل الصدقة فقال: خذ ما أحببت قال : وقول على رضى الله عنه أحسن مواربة سمعتها فى كلام العرب وفيه روايات أخر حكاها السيوطى فى شواهد المغنى . والمرداس الحصاة التى يرمى بها فى البئر لينظر هل فيها ماء أم لا ، وأخطأ شارح اللب حيث قال : إن مرداسا هذا هو رأس الخوارج وكنيته أبو بلال وحكى رواية الأبيات للصحابى بقيل

﴿ وأنشد بعده وهو الشاهد الثامن عشر ﴾

(١٨) أرّقنى الليلةَ برقٌ بالتَّهَمْ ... يالَكَ برقاً من يَشقه لا يَنَمْ

قال الشارح : « وكذا تهام بفتح التاء فى المنسوب إلى التهم بمعنى تهامة» يريد أن

الألف فى تهام ـ بالفتح ـ عوض من إحدى ياءى النسب كما فى يمان إذ هو منسوب إلى يمن وإنما قيد بفتح التاء لأنك إذا كسرتها قلت تهامى ـ بتشديد الياء ـ لأنه منسوب إلى تهامة ـ بالكسر ـ فالألف من لفظها وليست بدلا

قال المرزوقى فى شرح فصيح ثعلب : رجل تهام أى من أهل تهامة والأصل تهمى لأن تهما قد وضع موضع تهامة لكنهم حذفوا احدى ياءى النسبة وأبدلوا منها ألفا وأنشد هذا البيت عن أبى على الفارسى

وقال ابن جنى فى الخصائص : فأن قلت فأن فى تهامة ألفا فلم ذهبت إلى أن هذه الألف فى تهام عوض من إحدى الياءين للاضافة قيل قال الخليل فى هذا : كانهم نسبوه إلى فعل أو فعل وكانهم كفوا صيغة تهامة وأصاروها إلى تهم أو تهم ثم أضافوا إليه فقالوا تهام وإنما مثل الخليل بين فعل وفعل ولم يقطع بأحدهما لانه قد جاء هذا العمل فى هذين المثالين جميعا وهو الشام واليمن وهذا الترخيم الذي أشرف عليه الخليل ظنا قد جاء به السماع نصا أنشدنا أبو على قال أنشد أحمد بن يحي

أرّقنى الليلة بَرقٌ بالتهم (البيت)

وقال أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم :التهم بفتح أوله وثانيه، قاله ابن الاعرابى . وأنشد :

أرقنى الليلة برْق بالتَّهَمْ (البيت)

ثم قال : تهامة بكسر أوله أرض : طرفها من قبل الحجاز مدارج العرج، وأولها من قبل نجد مدارج ذات عرق ، وسميت تهامة لتغير هوائها من قولهم : تهم الدهن وتمه إذا تغيرت رائحته اه

وقال ابن حجر فى شرح البخارى : وتهامة اسم لكل مانزل من بلاد الحجاز سميت بذلك من التهم ـ بفتح المثناة والهاء ـ وهو شدة الحرور كود الريح ، وقيل تغير الهواء

لكن صاحب الصحاح والقاموس قالا : أن التهم مصدر من تهامة وبينه صاحب القاموس فقال : وتهامة بالكسر مكة شرفها الله تعالى وأرض لابلد ووهم الجوهري ، ثم قال : والتهمة بالفتح البلدة ولغة فى تهامة وبالتحريك الأرض المتصوبة إلى البحر كالتهم كأنهما مصدران من تهامة لأن التهائم متصوبة إلى البحر اه

وأرقني أسهرني من الأرق ـ بالتحريك ـ وهو السهر بالليل ، وفعله من باب فرح وتعديته بالتضعيف ، ويالك برقا تعجب من البرق واستعظام له ، وقد شرح الشارح فى باب الاستغاثة نحو هذا التركيب ، وبرقا تمييز ، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب والشوق إلى الشئ نزاع النفس إليه يقال شاقنى الشىء أى جعلنى مشتاقا وإنما جعله البرق مشتاقا لأن حبيبته فى تلك الأرض ، تذكر بالبرق وميض ثناياها فلم تأخذه سنة . كما قال الشاعر :

جارية في رَمَضانَ الماضى تُقَطِّعُ الحديث بالإيماض

وقال المتنبي :

أذا الغُصْنُ أم ذا الدِّعْصُ أم أنت فتنة؟ وذَيّا الذى قبلتُه البرق أم ثغر؟

وأستحسن قول ابن نباتة المصرى :

تذكرت لما أن رأيت جبينها هلال الدجي والشيء بالشيء يذكر

وفاعل يشقه ضمير البرق ، والهاء مفعول وهو ضمير من الشرطية ، و لايلم بالبناء للمفعول من اللوم وهو العذل جواب من ووجود لا النافية لايمنع الجزم فان المضارع المنفى بلا إذا وقع جزاء يجوز جزمه كقوله تعالى « إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم » ويجوز رفعه لكن يجب اقترانه حينئذ بالفاء نحو قوله تعالى « فمن يؤمن بربه فلايخاف بخسا » وأورد ابن الاعرابى فى نوادره بعد هذين البيتين ثلاثة أبيات أخر ولم يعز الشعر لأحد وهى :

مازال يَسْرِى مُنْجداً حتى عَتَمْ كأنْ فى رَيِّقه إذا ابْتَسَمْ
بَلْقاء تَنْفِى الخيلَ عن طفل مُتَمّْ

ومنجد من أنجد إذا ذهب إلى النجد والنجد كل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد ، وعتم دخل فى العتمة والمشهور أعتم بالألف والعتمة بالتحريك الثلث الأول من الليل بعد غيوبة الشفق ، والريق بالتشديد وريق كل شئ أوله ، والبلقاء الفرس التى فيها البلق وهو بياض وسواد ، وتنفى تطرد والخيل مفعوله ، وعن متعلق بتنفى ، والمتم بفتح التاء الولد الذى يولد لتمام مدته

وهذا البيت مثل بيت أوس بن حجر فى وصف البرق وهو :

كأنّ ريقه لما علا شطبا   أقرابُ أبلق ينفى الخيل رَمّاح

قال شارحه ابن السكيت : ريقه مسترقه ليس بمعظمه والأقراب جمع القرب وهو الكشح يقول ينكشف البرق كما يرمح الأبلق فيبدو بياضه اه

﴿ وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر . وهو من شواهد سيبويه ﴾ :

(١٩)   يحدُو ثمانىَ مولعاً بلقاحِها

على أن ثمانى لم يصرف فى الشعر شذوذا لما توهم الشاعر أن فيه معنى الجمع ولفظه يشبه لفظ الجمع ، وكان القياس أن يقول ثمانيا

قال ابن السيد : فى ثمانى لغتان : الصرف لأنه اسم عدد وليس بجمع . ومنع الصرف لأنه جمع من جهة معناه لانه عدد يقع للجمع بخلاف يمان وشآم لانه غير جمع . وفيه جمع (١) فان سيبويه وغيره قالوا إنه شاذ توهم الشاعر فيه معنى الجمع فلم يصرفه ولم يقل أحد إنه لغة ، وفى شرح شواهد الكتاب للنحاس « قال سيبويه وقد جعل بعض الشعراء ثمانى بمنزلة حذارى ، حدثنى أبو الخطاب أنه سمع العرب ينشدون هذا البيت غير منون ، وسمعت أبا الحسن يقول إن هذا الأعرابى غلط وتوهم أن ثمانى جمع على الواحد وتوهم أنه من الثمن اه أى توهم أنه الجزء الذى صير السبعة ثمانية فهو ثمنها

وقال الأعلم الشنتمرى : كأنه توهم أن واحده ثمنية كحذرية ثم جمع فقال ثمانى كما يقال حذارى فى جمع حذرية والمعروف صرفها على أنها اسم واحد أى بلفظ المنسوب نحو يمان ، والحذرية - بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة وتخفيف المثناة التحتية - قطعة غليظة من الأرض

وهذا المصراع صدر وعجزه :

حتى هَمَمْنَ بزيغة الإرْتاج

وقبل هذا البيت :

وكأنّ أصلَ رحالها وحبالها   عُلّقن فوق قُوَيْرح شحّاج

(١) هكذا بالاصل وفى العبارة ركة ولعل صوابها : « وفيه أنه غير جمع الخ »

وهذا ان البيتان من قصيدة لابن ميادة كما قال السيرافى . شبه ناقته بسرعتها بحمار وحش قارح يحدو ثمانى أتن أى يسوقها مولعا بلقاحها حتى تحمل وهى لاتمكنه فتهرب منه لأن الأنثى من الحيوان غير الانسان لا تمكن الفحل إذا حملت . والرحال جمع رحل وهو كل شيء يعد للرحيل من وعاء للمتاع ومركب للبعير وحلس ورسن . وضمير رحالها للناقة وعلقن ـ بالبناء للمفعول ـ والنون ضمير الرحال والحبال واكتسب المضاف الجمعية من المضاف إليه لأنه يصح سقوطه . والقويرح مصغر قارح وهو من ذى الحافر الذى انتهت أسنانه وإنما ينتهى أسنانه فى خمس سنين والتصغير للتعظيم . والشحاج بفتح الشين المعجمة وتشديد الحاء المهملة قال فى الصحاح : هو الحمار الوحشى وهو بدل من قويرح أو عطف بيان. ويحدو بمعنى يسوق وفاعله ضمير الشحاج والجملة صفة له . وأراد بالثمانى أتنه ولهذا حذف التاء منه أو لان المعدود محذوف . والمولع من أولع بالشيء بالبناء للمفعول فهو مولع به بفتح اللام أى أغرى به وعلق به. واللقاح كسحاب ماء الفحل فى رحم الناقة وفى المصباح اللقاح بفتح اللام وبكسرها اسم من ألقح الذكر الأنثى أى أحبلها . وحتى غاية لقوله يحدو. وهم بالشيء من باب قتل اذا أراده ولم يفعله والزيغة بفتح الزاى المعجمة وسكون المثناة التحتية وبالغين المعجمة مصدر زاغ يزيغ أى مال والارتاج بالكسر مصدر أرتجت الناقة إذا أغلقت رحمها على ماء الفحل يريد أن هذا الحمار عدا خلف أتنه ليلحقها ويركبها حتى تحبل فهربت منه فكأنه ساقها سوقا عنيفا حتى همت بأسقاط ما أرتجت عليه أرحامها من الأجنة وإزلاقه وكأن زمام هذه الناقة مرتبط بهذا الحمار الشديد الحرص على اللقاح بأتنه فهى تعدو بعدوه وهذا غاية فى سرعة الناقة وروى « بربقة الارتاج » والربقة بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة وبالقاف أراد به العقد لأنها اذا أغلقت فم الرحم على ماء الفحل فكأنها عقدته ومنه الحديث : « فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » أي عقد الاسلام وأصل الربقة واحد الربق بالكسر وهو حبل فيه عدة عرا تشد به البهم الواحدة من العرا ربقة ولابد من تقدير مضاف على هذه الرواية أى حتى هممن بحل ربقة الارتاج يعنى أرتجت هذه الأتن وانحلت من شدة الجرى حتى لم تقدر أن تضبط ما فى أرحامها

ولم يقف الأعلم الشنتمرى على البيت الأول فظن أنه فى وصف راع فقال :

وصف إبلا أولع راعيها بلقاحها حتى لقحت ثم حداها أشد الحداء حتى همت بأسقاط مافى بطونها من الأجنة

وابن ميادة هو أبو شراحيل وقيل أبو شرحبيل واسمه الرماح كشداد بن يزيد وهو من بنى مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان رهط الحرث بن ظالم، كذا فى كتاب الشعراء لابن قتيبة وميادة أمه وهى أم ولد بربرية وقيل صقلبية وكان هو يزعم أنها فارسية وفى ذلك يقول:

أنا ابن أبى سلمى وجدى ظالم وأمى حَصَانٌ حصَّنتْها الأعاجمُ
أليس غلامٌ بين كسرى وظالم بأكرم من نيطَتْ عليه التمائم

وسبب تسميتها أنه لما أقبلوا بها من الشام نظر إليها رجل وهى ناعسة تمايل على بعيرها فقال . انها لميادة فسميت به وغلب عليها

وابن ميادة شاعر مقدم فصيح لكنه كان متعرضا للشر طالبا لمهاجاة الناس ومسابة الشعراء وله مع الحكم الحضرمى مهاجاة ومناقضات كثيرة وأراجيز طويلة وقد أدرك الدولتين: كان فى أيام هشام بن عبد الملك وبقى الى زمن المنصور ومدح من بنى أمية الوليد بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان ومن بنى هاشم أبا جعفر المنصور وجعفر بن سليمان ولما قال من قصيدة

فضلنا قريشا غير رهط محمد وغير بنى مروان أهل القبائل

قال له ابراهيم بن هشام: أأنت فضلت قريشا؟ وجرده وضربه أسواطا ولما سمع البيت الوليد بن يزيد قال له: قدمت آل محمد علينا قال ماكنت ياأمير المؤمنين أظنه يكون غير ذلك فلما أفضت الخلافة الى بنى العباس قدم على المنصور فمدحه فقال له لما دخل عليه: كيف قال لك الوليد؟ فأخبره فجعل يتعجب ولم يعد إلى المنصور بعدها لما رأى قلة رغبته فى مدائح الشعراء ونزارة ثوابه لهم وتوفى فى صدر خلافته فى حدود الست والثلاثين بعد المائة وبنو ذبيان تزعم أن ابن ميادة آخر الشعراء الذين يستشهد بأشعارهم روى أبو داود الفزارى أن ابن ميادة وقف يوما فى الموسم ينشد:

لو ان جميع الناس كانوا بتَلْعَةٍ وجئتُ بجدى ظالم وابن ظالم
لظلّتْ رقاب الناس خاضعة لنا سُجوداً على أقدامنا بالجماجم

والفرزدق واقف عليه متلثم فقال له : يا ابن يزيد أنت صاحب هذه الصفة كذبت والله وكذب سامع ذلك منك فلم يكذبك !! قال : فمن يا أبا فراس، قال: أنا أولى بها منك وقال :

لو أن جميع النـاس كانوا بتلعـة وجئت بجـدِّى دارم وابن دارم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا سجودا على أقدامنا بالجماجم

فاطرق ابن ميادة ولم يجبه ، ومضى الفرزدق وانتحلها

(وأنشد بعده وهو الشاهد العشرون)

(٢٠) بلَغْتُها واجتمعت أَشُدّى

على أن أشد جمع شدة على غير قياس أو جمع لاواحد له بدليل تأنيث الفعل له . وفى الصحاح كان سيبويه يقول : واحده شدة وهو حسن فى المعنى لأنه يقال بلغ الغلام شدته ولكن لايجمع فعلة على أفعل وأما أنعم فأنما هو جمع نعم بالضم ضد البؤس وقيل هو جمع شد بالفتح نحو كلب وأكلب وقيل جمع شد بالكسر مثل ذئب وأذؤب وكلا هذين القولين قياس وليسا بمسموعين وقيل هو جمع لا واحد له من لفظه مثل محاسن ومشابه وقيل : هو ليس بجمع وانمـا هو مفرد جاء على صيغة الجمع مثل آنك وهو الاسرب ولا نظير لهما وهذا قول أبى زيد وحكى فى همزته الضمة لغة فى فتحها ومعنى الأشد القوة وهو مابين ثمانى عشرة سنة الى ثلاثين وقيل الى أربعين أو الى خمسين قال سحيم بن وثيل :

أخو خمسين مجتمع أشدى ونجذنى مداورة الشئون

وفى عمدة الحفاظ للسمين هو جمع شدة بمعنى القوة والجلادة فى البدن والعقل . وقد شد يشد شدة اذا كان قويا وأصل الشدة العقد القوى وشددت الشيء قويت عقده وأشد يستعمل فى العقل وفى البدن وفى قوى النفس

هذا واستدلال الشارح المحقق تبعا لابن الحاجب فى شرح المفصل بتأنيث الفعل لكون أشد جمعا : محل بحث فأن أهل التفسير واللغة أجمعوا على تفسيره بالقوة فيحتمل أن يكون تأنيث الفعل له باعتبار معناه لالكونه جمعا وكان ينبغي أن يستدل بمادة الفعل

وصيغته فأن الجمع معناه تأليف المتفرق و الاجتماع مطاوعه وهو تألف المتفرق فلا يتصور معناه الا بين متعدد ولا يكون الاجتماع من شيء واحد على أن الرواية

بلغتها مجتمع الاشد

بالخطاب لا بالتكلم

وهو من أرجوزة لأبي نخيلة مدح بها هشام بن عبد الملك منها :

وقلت للعيس اعتلى وجدى فهى تخدّى أحسن التخدّى
قد ادّرعن في مسير سَمْد ليلاً كلون الطّيلَسَانِ الجرد
إلى أمير المؤمنين المُجْدى رَبّ مَعَدّ وسوى مَعَدّ
ممّنْ دعا من أصيدٍ وعبد ذى المجدوالتّشريف بعدالمجْدِ
في وجهه بدر بدا بالسعد أنت الهمام القَرْمُ عند الجد
بلغتَها مُجْتَمِعَ الأشدّ فاهتَلّ لما قمت صَوْبُ الرعد

والعيس الأبل البيض يخالط بياضها شقرة مفرده المذكر أعيس والمؤنث عيساء واعتلى ارتفعى ، والجد ـ بالكسر ـ الاجتهاد في الأمور تقول : جد في الامر يجد بالضم ـ وتخدى ـ بالخاء المعجمة وفتح الدال المهملة ـ أصله تتخدى أى تسرع حذفت منه التاء من خدى البعير يخدى خديا أسرع وزج بقوائمه ، والسمد ـ بفتح السين المهملة وسكون الميم ـ في الصحاح وسمدت الأبل في سيرها جدت . وفي القاموس هو السرمد أى الطويل الدائم يقال هو لك سمداً أى سرمدا . والادراع افتعال لبس الدرع وهو قميص المرأة ، والطيلسان من لباس العجم لونه أسود للمهابة ، والجرد الخلق يقال ثوب جرد ، و المجدى اسم فاعل من أجدى عليه بمعنى أعطاه عطاء كثيرا من الجداء والجدوى ـ بفتح الجيم فيهما ـ وهو المطر الذى لا يعرف أقصاه وقيل المطر العام ، ورب كل شيء مالكه ومستحقه ، ومعد أبو العرب وهو معد بن عدنان ، وقوله « ممن دعا » بيان لقوله « سوى معد » وقوله « من أصيد » الخ بيان لمن دعا أى هو سيد من دعا لنفسه من ملك وسوقة والاصيد الملك ، وقوله « أنت الهمام » التفات من الغيبة الى الخطاب ، والهمام الملك العظيم الهمة والسيد الشجاع ، والقرم بالفتح السيد وأصله الفحل المكرم لا يركب ولا يرحل ، والجد ـ بالكسر ـ ضد الهزل تقول جد يجد ـ بالكسر ـ وقوله « بلغتها »

بالبناء للفاعل وروى بلغتها بالبناء للمفعول والتشديد أيضا ، وروى أيضا « طوقتها » بالبناء للمفعول والتشديد أيضا ، والطوق على العنق وكل مااستدار بشيء وتطوقه لبسه وضمير بلغتها للخلافة المعهودة ذهنا . ومجتمع اسم فاعل حال من ضمير المخاطب ولا تضر الاضافة لأنها لفظية

وظهر بهذا أن بيت الشاهد على غير وجهه . ويحتمل أن يكون من أرجوزة أخرى والله أعلم

وانهل بمعنى سال ان كان الصوب بالباء الموحدة وبمعنى ارتفع ان كان الصوت بالمثناة الفوقية . يريد أنك لما قمت بأمر الخلافة انفتح أبواب الخير

وفى الاغانى أن أبانخيلة قال : قرأتها حتى أتيت إلى آخرها وهممت أن أسأله فيها ثم تذكرت أن الناس نصحونى على أن لا أسأله شيأ فأنه يحرم من يسأله فلما فرغت أقبل على جلسائه فقال : الغلام السعدى أشعر من الشيخ أبي النجم العجلى وخرجت فلما كان بعد أيام أتتنى جائزته . ولما أفضت الخلافة الى السفاح نقل هذه الأرجوزة الدالية اليه فهى الى الآن فى ديوانه منسوبة الى السفاح

وأبو نخيلة ـ بضم النون وفتح الخاء المعجمة ـ اسم الشاعر لا كنيته ،كذا فى الأغانى وقال ابن قتيبة : اسمه يعمر وكنى أبانخيلة لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة، ويكنى أباالجنيد وأبا العرماس . وهو من بنى حمار بن كعب بن سعد ـ بكسر المهملة وتشديد الميم ـ وكان عاقا بأبيه فنفاه أبوه عن نفسه فخرج إلى الشأم فأقام هناك الى أن مات أبوه ثم عاد و بقى مشكوكا فى نسبه مطعونا عليه . وكان الأغلب على شعره الرجز . وله قصيد ليس بالكثير ومن شعره :

وانّ بقوم سَوّدُوكَ لحاجةً الى سَيِّدٍ لو يظفَرونَ بسَيِّدِ

ولما خرج الى الشأم اتصل بمسلمة بن عبد الملك فاصطنعه وأحسن اليه وأوصله الى الخلفاء واحدا بعد واحد واستماحهم له فأغنوه . وكان بعد ذلك قليل الوفاء انقطع إلى بنى العباس ولقب نفسه بشاعر بني هاشم فمدح الخلفاء من بنى العباس وهجا بنى أمية وكان طامعاً فحمله طمعه على أن قال فى المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى ويعقد العهد لابنه محمد المهدى فوصله أبو جعفر بألفى درهم وأمره أن ينشدها بحضرة

عيسى ففعل فطلبه عيسى فهرب منه وبعث فى طلبه مولى له فأدركه فى طريق خراسان فذبحه وسلخ وجهه

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون

(٢١) جذب الصراريين بالكرور

على أن الصرارى جمع صراء وهو جمع صار بمعنى الملاح وهو السفان الذى يجرى السفينة والصارى ـ بالصاد والراء المهملتين ـ على وزن القاضى معتل اللام بالياء وجمعه على صوار قياس مطرد لأنه جمع فاعل اسما لا وصفا بخلاف جمعه على صراء إذ جمع فاعل المعتل اللام على فعال نادر نحو جان وجناء وغاز وغزاء وقار وقراء . ولما شابه صراء وزن المفرد نحو زنار وكلاب جاز جمعه على فعاعيل نحو صرارى كما تقول زنانير وكلاليب ثم جمع الصرارى جمع تصحيح فقيل الصراريون. هذا تقرير كلام الشارح

وقال أبو على الفارسى فى الايضاح الشعرى : الأشبه أن يكون صراء مفردا جمعه صرارى ألا ترى أن فعالا جمعا كشهاد ولم نعلمه جاء مكسرا كما جاء تكسير فعال نحو جمال وجمائل

وعلى هذا يكون الصراء كالصارى . وكلا هذين القولين خلاف المنقول والمسموع

أما الاول فقد نقل الثقات كابن السيرافى فى شرح شواهد إصلاح المنطق والجواليقى وابن السيد فى شرح شواهد أدب الكاتب وصاحب الصحاح والعباب والقاموس أن الصرارى مفرد مثل الصارى وأن جمعه الصراريون ، وأنشدوا له هذا البيت . وأن جمع الصارى الصراء كقوله

إشراف مردى على صرائه

فيكون الصرارى من مادة الثلاثى المضعف والصارى من مادة الثلاثى المعتل إلاأن صاحب القاموس أساء حيث أورد الصرارى فى المعتل أيضا جمعا للصارى مع أن فاعلا لا يجمع على فعاعيل وإنما الذى يجمع عليه فعال ـ بالضم والتشديد ـ كرمان أو فعال ـ بالفتح والتشديد ـ نحو جبار وجبابير؛ وزنه فعالى غير موجودة فى أوزان المفردات من أبنية سيبويه وغيرها فيكون فى الأصل منسوبا إلى صرارة وهو اسم نهر والذى لم يحج

و الذى لم يتزوج او الى صرار — بدون هاء — وهو كسحاب و كتاب اسم واد بالحجاز

وأما الثانى فقد قال الفرزدق :

ترى الصرارىّ والأمواج تضربه — لو يستطيع إلى برية عبرا

وقال خليفة بن حمل الطهوى أيضاً :

ترى الصرارى فى غبراء مظلمة — تعلوه طَوْراً ويعلو فوقه تِيَراً

فقد رجع الضمير اليه فى البيت الأول مفردا ثلاث مرات وفى البيت الثانى رجع إليه مفرداً مرتين . وقال القطامى فى وصف غواص درة شبه حبيبته بها من قصيدة :

حتى اذا السُّفْن كانت فوق مُعْتَلِج — ألقى المعاوزَ عنه ثُمَّتَ انكتما

فى ذى جلول يقضى الموت صاحبه — اذا الصَّرارىّ من اهواله ارتسما

فلو كان جمعا كما زعم لقال ارتسموا

قال شارح ديوانه ابو سعيد السكرى : والصرارى الملاح و الصراء الملاحون والواحد صار

وأورد الحريرى فى درة الغواص البيت الثانى وزعم أنه يصف فلكا

والمعتلج اسم فاعل من اعتلجت الامواج التطمت واضطربت، والمعاوز — بالفتح — جمع معوز — بالكسر — وهو الثوب الخلق الذى لايتبدل لأنه لباس المعوزين والمعاوز مفعول ألقى وفاعله ضمير الغواص فى بيت قبله ، وانكتم معطوف على ألقى وضميره كضميره . وقوله فى ذى جلول متعلق بانكتم أى توارى فى ماء كثير عظيم والجلول جمع جل وهو معظم الشىء وقيل الجلول جمع جل — بفتح الجيم — بمعنى الشراع يعنى ماء فيه سفن لها شرع ، والارتسام — بالسين المهملة — التكبير والتعوذ والدعاء ، يقول : إن الملاح دعا وعوذ حين شاهد عظم الأهوال بتلاطم الأمواج

وبيت الشاهد من أرجوزة للعجاج يصف فيها سفينة وقبله :

لَأْياً يناثيها من الجُؤُور — جَذْبُ الصراريين بالكرور

إذ لفَحَتْ فى جَلّها المسجور — حدوْاءُ جاءت من حِيالِ الطور

اللأى — بفتح اللام وسكون الهمزة — البطء والشدة وهو منصوب على نزع

الخافض أى بلأى ، و يناثيها يباعدها من النأى ، وروى « يثّانيها » بالمثلثة والنون من ثناء إذا عطفه . والجؤور مصدر جأر إذا عدل عن القصد وهو مصدر سماعى جاء على فعول — بالضم — لكن همز عينه على مقتضى القاعدة . ولم أر من نبه على هذا المصدر غير ابن السيرافى فى شرح شواهد إصلاح المنطق وابن السيد البطليوسى فى شرح شواهد ادب الكاتب وكلاهما نبها عليه فى هذا البيت وكذلك الجواليقى فى شرح ادب الكاتب أيضا . والكرور الحبال واحدها كر — بالفتح — قال أبو حنفية فى كتاب النبات : قال أبو حيرة : الكر الغليظ من الحبال وقال الطوسى : هو حبل من جلود وغيرها : وأنشد هذا البيت . وجذب فاعل يناثيها . يقول : إذا عدلت هذه السفينة وجارت عن القصد لم يصرفها الملاحون عن ذلك إلا بعد بطء ومشقة ، ولفحت بالحاء المهملة هبت . والجل — بفتح الجيم — الشراع كما تقدم . والمسجور — بالسين المهملة والجيم — الذى شد بالحبال . قال فى العباب : اللؤلؤ المسجور المنظوم المسترسل قاله أبو عبيد وأنشد للمخبل السعدى :

وإذا ألمّ خيالُها طرفت عَيْنى فماء شؤونها سجم
كاللؤلؤ المسجور أُغفل فى سلك النظام فخانه النظم

والحدواء فاعل لفحت — بالحاء والدال المهملتين — وهى الريح التى تحدو السحاب أى تسوقها وهى ريح الشمال . والطور جبل ، والريح التى تجىء من قبله هى الشمال . وحيال الطور ناحيته و إزاؤه وهى — بكسر الحاء المهملة و بالمثناة التحتية — يقال : قعد حياله وبحياله أى بإزائه وروى « من بلاد الطور »

والعجاج اسمه عبد الله وكنيته أبو الشعثاء وتقدم نسبه فى ترجمة ولده رؤبة فى الشاهد الخامس ، وكان يقال له عبد الله الطويل ولقب بالعجاج لقوله :

حتى يعج عندها من عجعجا

وهو أول من رفع الرجز وجعل له أوائل وشبهه بالقصيد

وأنشد بعده للكميت وهو الشاهد الثانى والعشرون

(٢٢) ولم يَسْتَرَيثُوكَ حتى رَمَيْـ ـتَ فَوْقَ الرِّجالِ خِصالاً عشارا

على أن عشار المعدول عن عشرة قدجاء فى قول الكميت ، والمسئلة مفصلة فى الشرح

قال الحريرى فى درة الغواص : روى خلف الأحمر أنهم صاغوا هذا البناء متسقاً إلى عشار وأنشد عليه ماعزى إلى أنه مصنوع ، منه .

قل لعمرو يا ابن هند　　لو رأيت اليوم شنا
لرأت عيناك منهم　　كل ما كنت تمنى
إذ أتتنا فيلق شهبـ　　ـاء من هنا وهنا
وأتت دوسر والملـ　　ـحاء سيرا مطمئنا
ومشى القوم إلى القو　　م أحادى ومثنى
وثلاثا ورباعا　　وخماسا فأطعنا
وسداسا وسباعا　　وثمانا فاجتلدنا
وتساعا وعشارا　　فأصبنا وأصبنا
لاترى إلا كميا　　قاتلا منهم ومنا

ودلائل الوضع فى هذه الابيات ظاهرة . وكان خلف الأحمر متهما بالوضع ، وشن قبيلة . والفيلق الجيش وأنثه باعتبار الكتيبة ، وهنا — بالفتح — اسم إشارة للقريب ودوسر كتيبة للنعمان بن المنذر . والملحاء كتيبة أيضا لآل المنذر

وترجمة الكميت قد مضت فى الشاهد السادس عشر

قال ابن السيد فى شرح شواهد أدب الكاتب : ومعنى يستريثوك يجدونك رائثاً أى بطيئا من الريث وهو البطء و رميت زدت يقال رمى على الخمسين وأرمى أى زاد يقول . لما نشأت نشء الرجال أسرعت فى بلوغ الغاية التى يطلبها طلاب المعالى ولم يقنعك ذلك حتى زدت عليهم بعشر خصال فقت السابقين وأيأست الذين راموا أن يكونوا لك لاحقين، انتهى

ووقع فى رواية ابن جنى فى الخصائص « علوت » موضع « رميت » و روى

أبو جعفر النحاس : « حتى أتيت فوق الرجال خلالا عشارا » وروى الحريرى فى الدرة « نصالا » بدل « خصالا » والأول هو الصحيح

وهذا البيت من قصيدة للكميت يمدح بها أبان بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وقبله :

رجوك ولم يبلغ العمر سنـ ـنك عشراً ولا نَبْتَ فيك اتّغارا

لأدنى خَساً او زَكاً من سنيك إلى أربع فبقون انتظارا

وبعده بيت الشاهد . يقول : تبينوا فيك السؤدد لسنة أو سنتين من مولدك فرجوا أن تكون سيدا أميرا مطاعا رفيع الذكر ولم تبلغ عشر سنين . وقوله « ولانبت فيك اتغارا » أى أثغرت ولم تنبت أسنانك بعد . فى الصحاح وإذا سقطت رواضع الصبي قيل ثغر فهو مثغور فاذا نبتت قيل أثغر وأصله اثتغر فقلبت الثاء تاء ثم أدغمت وان شئت قلت اثغر بجعل الحرف الأصلى هو الظاهر ، وقوله « لأدنى خسا أو زكا » الخسا بفتح الخاء المعجمة الفرد والزكا بفتح الزاى المعجمة الزوج وخسا وزكا ينون ولا ينون . والمعنى أنهم رجوك أن تكون كذلك لأقل مايعبر عنه بخسا وزكا وهو سنة أو سنتان إلى أن صار لك أربع سنين فظهر للناس مادلهم على ما رجوه منك وتفرسوك عند كمال سنك وقوله « فبقون» أى انتظروك ، يقال : بقوت الشىء إذا انتظرته ومنه يقال للمؤذنين بقاة لأنهم ينتظرون أوقات الصلاة . وانتظارا منصوب بقوله بقون لأنه فى معني انتظروك انتظارا

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثالث والعشرون ، وهو من أبيات سيبويه

(٢٣) إلا عُلالَةَ أَوْ بُداهَةَ سابحٍ نَهْدِ الجُزارَةْ

على أن المضاف يحذف مع دلالة ما أضيف إليه تابع ذلك المضاف عليه

ذكر الشارح المحقق فى باب الاضافة أن هذا مذهب المبرد وأيده بما ذكره هناك على مذهب سيبويه وهو أن علالة مضاف الى المجرور الظاهر وبداهة فى الأصل مضاف الى ضميره والتقدير الا علالة سابح أو بداهته ثم حذف الضمير وجعل بداهة بين المتضايفين الى آخر ماذكره ، وسيأتى الكلام عليه هناك ان شاء الله تعالى

وهذا البيت من قصيدة للأعشى يخاطب بها شيبان بن شهاب منها :

وهناكَ يكذِبُ ظنُّكم أنْ لا اجتماعَ ولا زيارَهْ
ولا براءة للبرى ءولا عَطَاء ولا خِفارة
إلا علالة أو بدا هة سابح نهد الجزارة

إلى أن قال :

ولا نُقاتل بالعصِيِّ ولا نرامى بالحجارة

يقول : إذا غزوناكم علمتم أن ظنكم بأنا لانغزوكم كذب وهو زعمكم أنا لانجتمع ولا نزوركم بالخيل والسلاح غازين لكم ومن كان بريئا منكم لم تنفعه براءته لأن الحرب إذا عظمت لحق شرها البرىء كما يلحق المسىء . يريد أنا ننال منكم من المسىء والبرىء بما تكرهون ولا نقبل منكم عطاء ولا نعطيكم خفارة تعتدون بهما منا . والخفارة بالضم والكسر الذمة قال فى المصباح : خفر بالعهد — من باب ضرب . وفى لغة من باب قتل إذا وفى به وخفرت الرجل حميته وأجرته من طالبه والاسم الخفارة بضم الخاء وكسرها وقوله « إلا علالة » استثناء منقطع من قوله « لا أجتلى » أى لكن نزوركم بالخيل . والعلالة بضم العين المهملة بقية جرى الفرس وبقية كل شىء أيضا وهو من التعلل بمعنى التلهى والبداهة بضم الموحدة أول جرى الفرس . وأو للاضراب ووقع فى رواية ابن جنى فى سر الصناعة والخصائص تقديم بداهة فأو على هذا لأحد الشيئين . والسابح الفرس الذى يدحو الأرض بيديه فى العدو ويروى بدله « القارح » وهو من الخيل الذى بلغ أقصى أسنانه يقال قرح ذو الحافر يقرح بفتحهما قروحا انتهت أسنانه وذلك عند إكمال خمس سنين والنهد بفتح النون المرتفع . والجزارة بضم الجيم الرأس واليدان والرجلان وهذا فى الأصل فيما يذبح . وسميت بذلك لأن الجزار يأخذها فى مقابلة ذبحها كما يقال أخذ العامل عمالته بالضم فبقى هذا الاسم عليها . يريد أن فى عنقه وقوائمه طولا وارتفاعا فأنه يستحب فى عنق الخيل الطول واللين . وقد فرق سليمان بن ربيعة بين العتاق والهجن بالأعناق فدعا بطست من ماء فوضعت بالأرض ثم قدمت الخيل إليها واحداً واحداً فما ثنى سنبكه وهو مقدم الحافر ثم شرب هجنه . وما شرب ولم يثن سنبكه جعله عتيقا . وذلك لأن فى أعناق الهجن قصراً فهى لاتنال الماء على تلك الحالة

حتى تثنى سنابكها ويستحب أيضاً أن يكون مافوق الساقين من الفخذين طويلا فيوصف حينئذ بطول القوائم قال الشاعر :

شَرْحَبٌ سَلْهَبٌ كأنّ رِماحاً حملته وفي السَّراةِ دموج

والشرحب والسلهب كلاهما على وزن جعفر بمعنى الطويل .والسراة بفتح المهملة أعلى الظهر والدموج دخول بعض الشيء فى بعضه من شدته واكتنازه. وأما الساقان فيستحب قصرهما قال الشاعر

له متن عير وساقا ظليم

العير الحمار الوحشى والظليم ذكر النعام

كذا فى أدب الكاتب لابن قتيبة . وبه يعلم سقوط قول الشنتمرى النهد الغليظ . والجزارة الرأس والقوائم ويستحب غلظهما مع قلة لحمهما .وأوهى منه قول الجوهرى وتبعه صاحب العباب ونقله العينى إذ قالوا : فرس نهد أو عبل الجزارة فأنما يراد غلظ اليدين والرجلين وكثرة عصبهما ولا يدخل الرأس فى هذا لأن عظم الرأس هجنة فى الخيل . وخبط المطرزى فى شرح المفصل خبط عشواء فقال : يعنى كنا فى سفر أو حرب انقطع فيها جميع الأفراس عن السير ولم يبق لها جرى إلا علالة أو بداهة فرس سابح . هذا كلامه وكأنه لم يقف على ماقبله من الأبيات

وقوله « ولا نقاتل بالعصى الخ» يصف قومه بأنهم أصحاب حروب يقاتلون على الخيل لا أصحاب إبل يرعونها فيقاتل بعضهم بعضاً بالعصى والحجارة

(والأعشى) كنيته أبو بصير واسمه ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف ابن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل، وكان أبوه قيس يدعى قتيل الجوع . وذلك أنه كان فى جبل فدخل غاراً فوقعت صخرة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعا

وكان الأعشى من فحول شعراء الجاهلية وممن قدم على سائرهم سلك فى شعره كل مسلك وقال فى أكثر أعاريض العرب وليس ممن تقدم من الفحول أكثر شعرا منه . وسئل ابن أبى حفصة من أشعر العرب؟ قال : شيخا وائل الأعشى فى الجاهلية، والأخطل فى الاسلام . وسئل يونس النحوى من أشعر الناس ؟ قال :لا أومىء إلى رجل بعينه ولكنى

أقول : امرؤ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، و زهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب وهو أول من سأل بشعره . وكانوا يسمونه صناجة العرب لجودة شعره ، وكان أبو عمرو بن العلاء يفخم منه و يعظم محله و يقول: شاعر مجيد كثير الأعاريض والافتنان واذا سئل عنه وعن لبيد قال لبيد : رجل صالح . والاعشى رجل شاعر

وروى المفضل بسنده عن الشعبي : قال عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده : أدبهم برواية شعر الاعشى فأنه — قاتله الله — ما كان أعذب بحره وأصلب صخره . قال المفضل : من زعم أن احدا أشعر من الاعشى فليس يعرف الشعر

وكان الأعشى يفد على الملوك لاسيما ملوك فارس ولذلك كثرت الألفاظ الفارسية في شعره

قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء . وكان الأعشى جاهليا قديما وأدرك الاسلام في آخر عمره و رحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية فسأله أبو سفيان ابن حرب عن وجهه الذى يريد فقال : أردت محمدا . قال : إنه يحرم عليك الخمر والزنا والقمار . قال : أما الزنا فقد تركني ولم أتركه ، وأما الخمر فقد قضيت منها وطرا . وأما القمار فلعلي أصيب منه عوضا . قال: فهل لك إلى خير من هذا قال : بيننا وبينه هدنة فترجع عامك هذا وتأخذ مائة ناقة حمراء فان ظفر بعد ذلك أتيته وإن ظفرنا كنت قد أصبت من رحلتك عوضاً فقال : لا أبالي. فاخذه أبو سفيان الى منزله وجمع عليه أصحابه وقال : يامعاشر قريش هذا أعشى قيس ولئن وصل إلى محمد ليضربن عليكم العرب قاطبة فجمعوا له مائة ناقة حمراء فانصرف فلما صار بناحية اليمامة ألقاه بعيره فقتله . انتهى

وقال شارح ديوانه محمد بن حبيب : وكان الاعشى — فيما روى — عند ظهور النبي صلى الله عليه وسلم . حتى أتى مكة وكان قد سمع قراءة الكتب فنزل عند عتبة بن ربيعة فسمع به أبو جهل فأتاه في فتية من قريش وأهدى له هدية ثم سأله ماجاء بك ؟ قال : جئت الى محمد إني كنت سمعت مبعثه في الكتب لأنظر ماذا يقول وماذا يدعو اليه ، فقال أبو جهل : إنه يحرم الزنا فقال : لقد كبرت ومالي في الزنا حاجة. قال : فانه يحرم عليك الخمر، قال: فما أحل؟ فجعلوا يحدثونه بأسوأ مايقدرون عليه ، فقالوا : أنشدنا ماقلت فيه فأنشد

ألم تغتَمِضْ عيناك ليلة أَرْمَدَا   وعادك ما عاد السليمَ المسهَّدا

— وهى قصيدة جيدة عدتها أربعة وعشرون بيتاً — فلما أنشدهم قالوا : هذا رجل لايمدح أحداً إلارفعه ولايهجوأحد ا إلاوضعه فمن لنايصرفه‌عن‌هذا الوجه ؟ فقال أبو جهل للاعشى : أما أنت فلوأنشدته هذه لم يقبلها فلم يزالوا به لشقاوته حتى صدوه وخرج من فورته حتي وصل‌اليمامة فمكث بها قليلا ثم مات

وروى ابن دأب وغيره أن الاعشى خرج يريد النبى صلى الله عليه وسلم وقال شعرا حتى‌إذا كان ببعض‌الطريق نفرت‌به راحلته‌فقتلته فلما أنشد شعره‌الذى يقول‌فيه :

وآليت لا أرثى لها من كَلاَلةٍ ولا مِنْ حَفىً حتى تلاقى محمدا

متى ماتُناخي عندباب ابن‌هاشم تُراحي وتَلْقَى من فواضله ندى

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كاد ينجو ولما »

وترد هذه القصيدة إن‌شاء الله مشروحة فى‌شرح‌شواهد مغنى‌اللبيب فأنه استشهد بغالب أبياتها ولم يقع منها شيء فى‌هذه‌الشواهد . وللأعشى أخبار أخر تأتى متفرقة فى شرح شواهد من شعره

والأعشى فى اللغة الذى لايبصر بالليل ويبصر بالنهار، والمرأة عشواء وعشى الرجل — بالكسر — عشا — بالقصر — إذاضعف‌بصره

وكان هذا الأعشى عمى فى أواخر عمره

وعدة من‌هوأعشى‌من‌الشعراء سبعة‌عشرشاعرا ذكرهم‌الآمدى فى‌المؤتلف‌والمختلف

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون

(٢٤) حلائلَ أسْودِينَ وأَحْمرينا

وأوله: فما وجدت بنات بنى‌نزار

على أن جمع أسود وأحمر جمع تصحيح شاذ كما يجىء فى باب الجمع ، وقال فى باب الجمع : فكل صفة لاتلحقها التاء فكأنها من‌قبيل الأسماء فلذا لم يجمع‌هذا الجمع‌أفعل‌فعلاء وفعلان فعلى ، وأجاز ابن كيسان أحمرون وسكرانون واستدل بهذا البيت وهو عند غيره شاذ، انتهى

وبنات فاعل‌وجدت ، وحلائل‌مفعوله ؛ ونزار — بكسر النون — هووالد مضر ابن‌نزار بن معد بن عدنان ، والحلائل جمع‌حليل — بالحاءالمهملة — وهوالزوج‌والحليلة

الزوجة سميا بذلك لأن كلامنهما يحل للآخر ولايحرم أو لأن كلامنهما يحل من صاحبه محلا لايحله غيره وأسودين صفة حلائل

وهذا البيت من قصيدة لحكيم الاعور بن عياش الكلبي من شعراء الشام هجا بها مضر و رمى فيها امرأة الكميت بن زيد بأهل الحبس لما فر منه بثياب امرأته

وسبب حبس الكميت — على وجه الاختصار — أن حكيما الأعور هذا كان ولعا بهجاء مضر فكانت شعراء مضر تهجوه وتجيبه وكان الكميت يقول: هو والله أشعر منكم. قالوا فأجب الرجل قال إن خالد بن عبدالله القسري محسن إلى فلاأقدر أن أرد عليه قالوا: فاسمع بأذنك مايقول فى بنات عمك و بنات خالك من الهجاء فأنشدوه ذلك فحمي الكميت لعشيرته فقال المذهبة التى أولها

ألا حُيِّيتِ عنا يا مدينا

وأحسن فيها وهى زها ثلاثمائة بيت لم يترك فيها حيا من أحياء اليمن إلا هجاهم ومنها

ولا أعنى بذلك أسفليكم ولكنى أريد به الذوينا

وتقدم شرحه وهو الشاهد السادس عشر. وعرض الكميت فيها بأخذ الفرس والحبشة وغيرهما نساء اليمن بقوله:

لنا قمر السماء وكلُّ نجم تشير إليه أيدى المُهْتدينا

وما ضربت بنات بنى نزار هوائج من فحول الأعجمينا

وما حملوا الحمير على عتاق مطهمة فيُلْفوا منغلينا

والهوائج جمع هائج وهو الفحل الذى يشتهى الضراب. وبلغ خالد القسرى خبر هذه القصيدة فقال: والله لأقتلنه. ثم اشتري ثلاثين جارية فى نهاية الحسن فرواهن القصائد الهاشميات للكميت ودسهن مع نخاس إلى هشام بن عبد الملك فاشتراهن فأنشدنه يوما القصائد المذكورة فكتب إلى خالد وكان يومئذ عامله بالعراق: أن ابعث إلى برأس الكميت فأخذه خالد وحبسه فوجه الكميت إلى امرأته ولبس ثيابها وتركها فى موضعه وهرب من الحبس. فلما علم خالد أراد أن ينكل بالمرأة فاجتمعت بنو أسد إليه وقالوا: ما سبيلك على امرأة لنا خدعت؟ فخافهم وخلى سبيلها ثم إن الكميت اتصل بمسلمة بن هشام فشفع فيه عند والده فشفعه

وقيل: إن سبب هجاء الكميت أهل اليمن أن حكيما الأعور هذا كان يهجو على بن أبي طالب رضى الله عنه وبنى هاشم جميعا وكان منقطعا إلى بني أمية فانتدب له الكميت رحمه الله تعالى فهجاه وسبه وأجابه ولج الهجاء بينهما وكان الكميت يخاف أن يفصح بشعره عن على رضى الله عنه لما وقع بينه وبين هشام وكان يظهر أن هجاءه إياه للعصبية التى بين عدنان جد مضر وبين قحطان أبى اليمن

وقال المستهل ابن الكميت يوما لوالده لما افتخر فى قصيدة بائية موحدة ببنى أمية هاجيا بها قحطان: كيف فخرت ببنى أمية وأنت تشهد عليها بالكفر. فهلا فخرت بعلى وبنى هاشم الذين تتولاهم؟ فقال يا بني أنت تعلم انقطاع الكلبي إلى بنى أمية وهم أعداء على رضى الله عنه فلو ذكرت عليا لترك ذكرى وأقبل على هجائه فأكون قد عرضت عليا له ولا أجد له ناصرا من بنى أمية ففخرت عليه ببني أمية وقلت إن نقضها على قتلوه وإن أمسك عن ذكرهم ثنيته عن الذى هو عليه فكان كما قال أمسك الأعور الكلبي عن جوابه فغلب عليه وأفحم الكلبى

وقال الاعور الكلبى يوما: ما سرنى أن أمى من بنى أسد وأن ربى نجانى من النار وأنهم زوجونى من بناتهم وأن لى كل يوم الف دينار. فأجابه الكميت:

يا كلب مالك أمٌّ من بنى أسد   معروفةٌ فاحترق يا كلب بالنار

فأجابه الكلبي:

لن يبرح اللؤم هذا الحى من أسد   حتى يفرّق بين السبت والاحد

(وأنشد بعده، وهو الشاهد الخامس والعشرون)

(٢٥) قد صرت البكرة يوما أجمعا

على أن الكوفيين جوزوا تأكيد النكرة المحدودة وقد أورده الشارح فى باب التوكيد أيضاً ويأتى الكلام عليه هناك إن شاء الله تعالى

وهذا البيت مجهول لايعرف قائله حتى قال جماعة من البصريين: إنه مصنوع

والبكرة — بفتح الموحدة وسكون الكاف — إن كانت البكرة التى يستقى عليها الماء من البئر فصرت بمعنى صوتت من صر الباب يصر صريرا أى صوت فيكون المعنى ما انقطع استقاء الماء من البئر يوما كاملا، وإن كانت الفتية من الأبل مؤنث

البكر وهو الفتى منها — قال أبو عبيدة : البكر من الآبل بمنزلة الفتى من الانسان والبكرة بمنزلة الفتاة والقلوص بمنزلة الجارية والبعير بمنزلة الانسان والجمل بمنزلة الرجل والناقة بمنزلة المرأة — فصرت بالبناء للمفعول يقال صررت الناقة شددت عليها الصرار وهو خيط يشد فوق الخلف والتودية لئلا يرضعها ولدها والفتى — بفتح الفاء وكسر المثناة وتشديد الياء — هو من الدواب خلاف المسن وهو كالشاب من الناس والأنثى فتية : والفتى — بالقصر — الشاب والانثى فتاة . والخلف — بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام — هو لنوات الخلف كالثدى للانسان . والتودية — بفتح المثناة الفوقية وسكون الواو وكسر الدال وتخفيف المثناة التحتية — هي خشبة تشد على خلف الناقة إذا صرت وجمعها توادى كمساجد

قال العينى بعد أن شرحه على الوجه الاول : صدره :

إنا اذا خطافنا تقعقعا

وفيه نظر من الوجهين (الاول) أن بيت الشاهد بيت من الرجز وليس مصراعا من بيت حتى يكون ماذكره صدره (والثانى) أنه غير مرتبط ببيت الشاهد فان بيت الشاهد لا يصح أن يكون خبرا لقوله إنا ولا جوابا لاذا اللهم إلا أن قدر الرابط أى صرت البكرة فيه وتكون حينئذ الجملة الشرطية خبرا لأنا فافهم :والخطاف — بالضم والتشديد — حديدة معوجة تكون فى جانبى البكرة فيها المحور وكل حديدة معطوفة خطاف . والقعقعة تحريك الشىء اليابس الصلب مع صوت . والتقعقع مطاوعه

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس العشرون ، وهو من شواهد المفصل)

(٢٦) أتانى وعيدُ الحوص من آل جعفر فيا عَبْد عمرو لو نهيت الأحاوصا

على أن الأحوص بالنظر إلى الوصفية جمع على الحوص و بالنظر إلى نقله إلى الاسمية بالغلبة جمع على الأحاوص

وهنا البيت أورده الزمخشرى فى المفصل على أن الأحوص يجمع على هذين الجمعين : أحدهما فعل ولا يجمع على هذا إلا أفعل صفة وشرطه أن يكون مؤنثه على فعلاء كما هومبين فى جمع التكسير . والثانى أفاعلُ ولا يجمع على هذا إلا أفعل أسما أو أفعل التفضيل

والبيت من قصيدة للأعشى قيس نفر فيها عامر بن الطفيل — قاتله الله تعالى — ابن مالك بن جعفر على ابن عمه علقمة الصحابى رضى الله عنه بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الكلابى العامرى قال فى الاستيعاب : وكان سيدا فى قومه حليما عاقلا ولم يكن فيه ذاك الكرم

والوعيد التهديد والتخويف . وأراد بالحوص والأحاوص أولاد الأحوص بن جعفر ، وهم : عوف بن الاحوص ، وعمرو بن الاحوص . وشريح بن الاحوص . والاحوص اسمه ربيعة ، سمى أحوص لضيق كان فى عينه . قال فى الصحاح : والحوص أى بمهملتين ضيق فى مؤخر العين والرجل أحوص ويقال بل هو الضيق فى إحدى العينين والمرأة حوصاء . وعبد عمرو قال ابن السيرا فى شرحه لشواهد إصلاح المنطق هو عبد عمرو بن الاحوص . وقال فى الصحاح عبد عمرو وهو ابن شريح بن الاحوص وجه اب لو محذوف أى لو نهيتهم لكان خيرا لهم ويجوز أن تكون للتمنى على سبيل التهكم . وإنما وجه الخطاب اليه لانه كان رئيسهم حينئذ . وإنما قال الأعشى هذا الكلام لأن علقمة بن علاثة كان أوعده بالقتل . ويدل عليه قوله بعد هذا بأبيات :

فان تَتَعَدْنى اتعِدكَ بمثلها وسوف أزيدُ الباقيات القوارصا

والقوارص الكلمات المؤذية . يريد : إنى أزيدك على الأيعاد بقصائد الهجو . ولولا أنها فى صحابى لاوردت منها أبياتا

وكان سبب تهديد علقمة بالقتل للأعشى هو أن علقمة بن علاثة كان نافر ابن عمه عامر بن الطفيل ، وكان علقمة كريما رئيسا وكان عامر عاهرا سفيها ، وساقا إبلا جمة لينحرها المنفر . فهاب حكام العرب أن يحكموا بينهما بشىء . وأتوا هرم بن قطبة بن سنان فقال : أنتما كركبتى البعير يقعان معا وينهضان معا ، قالا : فأينا اليمنى ؟ قال : كلا كما يمين ، وأقاما سنة لا يجسر أحد أن يحكم بينهما بشىء إلى أن جاء الأعشى علقمة مستجيرا به فقال : أجيرك من الأسود والأحمر ، قال : ومن الموت ، قال : لا فأتى عامرا فقال له مثل ذلك فقال : ومن الموت قال : نعم قال : وكيف قال : إن مت فى جوارى وديتك فقال علقمة : لو علمت أن ذلك مراده لهان على ، ثم إن الأعشى ركب ناقته ووقف فى نادى القوم وأنشدهم قصيدة نفر فيها عامرا على علقمة منها :

أقول لما جاءنى فخره سبحان من علقمة الفاخر

ومنها

ولست بالأكثر منهم حصًا وإنما العزة للكاثر

وهما شاهدان من شواهد هذا الكتاب وسيأتى شرحهما إن شاء الله تعالى فى محلهما وبعد أن أنشد القصيدة نادى الناس : نفر عامر على علقمة ورووا الشعر وأمضوا حكم الأعشى . ودعواه أنهما حكماه باطلة كما يعلمه الناس . وكان رأى هرم خلاف ذلك فلما سمع علقمة بهذا هدده بالقتل فقال الأعشى هذه القصيدة الصادية

ومعنى المنافرة كما فى الصحاح المحاكمة فى الحسب . يقال نافره فنفره -بالضم لاغير- أي غلبه والمنفور المغلوب والنافر الغالب ونفره عليه تنفيرا أى قضى عليه بالغلبة وكذلك أنفره . والحسب هو من الحسبان وهو مايعده الأنسان من مفاخر آبائه ويقال حسبه دينه ويقال ماله . وقال ابن السكيت : الحسب والكرم يكونان فى الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف . والمجد لايكون إلا بالآباء

وترجمة الأعشى مرت فى الشاهد الثالث والعشرين

(وأنشد بعده وهو الشاهد السابع والعشرون)

(٢٧) يا أُبَى الظلامة منه النَّوْفَلُ الزُّفَرُ

وأوله :

أخو رغائب يعطيها ويسئلها

على أن الزفر بمعنى السيد . قال الشارح المحقق فى فعل بضم الفاء اذا كان علما يشترط لمنع صرفه جمع شرطين : ثبوت فاعل ، وعدم فعل قبل العلمية . أما عمر وزفر علمين فكان الواجب صرفهما لأنه لما جاء لهما فاعل قبل العلمية جاء فعل أيضا نحو عمر جمع عمرة والزفر السيد قال الاعشى : وأنشد الشعر ، ثم قال . لكنهما لما سمعا غير منصرفين حكمنا بأنهما علمان غير منقولين عن فعل الجنسى بل هما معدولان عن فاعل ، انتهى

يفهم منه ، انه لم يسمع صرف زفر فى العلمية لكن يجوز صرفه باعتبار كونه معدولا

من الزفر كما صرح به ابن جنى ناقلا عن أبى على فى كتابه المبهج وهو شرح أسماء شعراء الحماسة وعبارته: زفر معدول عن زافر ولذلك لم يصرف لاجتماع التعريف والعدل فيه ويدل على أنه معدول أنك لا تجده فى الأجناس كما تجد نحو صرد ونغر وأما قوله

يأبى الظلامة منه النوفل الزفر

فقال أبو على : إنك لو سميت بهذا صرفته كما تصرفه إذا سميته صردا وجرذا وحطما ولبدا . وقال فى مواضع أخر من هذا الكتاب «الزفر الناهض بحمله وليس زفر هذا الاسم منقولا من هذا الوصف ولو كان كذلك لوجب صرفه ألا تعلم أن فعلا المعدول عن فاعل لا يجوز دخول اللام عليه وذلك نحو زحل وقثم وقد قال :

يأبى الظلامة منه النَّوْفل الزفر

فدخول اللام عليه يعرفك أن زفر الذى ليس مصروفا ليس بهذا لداخلية اللام ولو سميت رجلا بزفر هذا بعد خلعك اللام عنه لوجب صرفه لأنه حينئذ كصرد ونغر وهذا واضح وهو رأى أبى على وتفسيره .. انتهى

والأخ هنا بمعنى الملابس والملازم للشىء فأن العرب استعملت الأخ على أربعة أوجه (أحدها) هذا كقولهم أخو الحرب (والثانى) المجانس والمشابه كقولهم هذا الثوب أخو هذا (والثالث) الصديق (والرابع) أخو النسب . وهو قسمان نسب قرابة وهو المشهور ، ونسب قبيلة وقوم كقولهم يا أخا تميم يا أخا فزارة لمن هو منهم وبه فسر قوله تعالى « يا أخت هرون » والرغائب جمع رغيبة وهى العطايا الكثيرة كذا فى الصحاح وفى شرح شواهد الغريب المصنف لابن السيرافى : « والرغائب الأشياء التى يرغب فيها » يريد يعطى ما يرغب الرجال فى ادخاره ويحرصون على التمسك به لنفاسته . وأخو خبر مبتدأ محذوف أى هو أخو رغائب ، وجملة يعطيها ويسئلها مفسرة لوجه الملابسة فى قوله أخو رغائب ، ويسئلها ـ بالبناء للمجهول ـ من السؤال ويروى موضعه « ويسلبها » بالبناء للمعلوم من السلب ،والظلامة ـ بالضم ـ ومثلها الظليمة والمظلمة ـ بكسر اللام وضمها ـ وهو ما تطلبه عند الظالم وهو اسم ما أخذ منك، والنوفل البحر والكثير العطاء . وقال ثعلب : النوفل العزيز الذى ينفل عنه الضيم أى يدفعه ، والزفر الكثير الناصر والأهل والعدة ، وقال فى الصحاح ، هو السيد لأنه يزدفر أى

يتحمل بالأموال فى الحالات من دين ودية مطيقا لها ، وأنشد هذا البيت ثم قال : وإنما يريده بعينه كقولك لئن لقيت فلانا ليلقينك منه الأسد. ومحصل كلامهم أن من تجريدية والتجريد كما فى الكشف هو تجريد المعنى المراد عما قام به تصويرا له بصورة المستقل مع إثبات ملابسة بينه وبين القائم به بأداة أو سياق

وهذا البيت من قصيدة عدة أبياتها أربعة وثلاثون بيتا لأعشى باهلة رثى بها المنتشر بن وهب الباهلى . قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : أعشى باهلة يكنى أبا قحفان جاهلى واسمه عامر بن الحرث أحد بني عامر بن عوف بن وائل بن معن ، ومعن أبو باهلة وباهلة امرأة من همدان وهو الشاعر المشهور صاحب القصيدة المرثية فى أخيه لأمه المنتشر . انتهى

والمنتشر هو ـ كما قال أبو عبيدة ـ ابن وهب بن سلمة بن كرائة بن هلال بن عمرو ابن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن بن مالك بن أعصر بن قيس بن عيلان . وكان المنتشر رئيسا فارسا وكان رئيس الانباء يوم أرمام ـ وهو أحد يومى مضر فى اليمن : كان يوما عظيما قتل فيه مرة بن عاهان وصلاءة بن العنبر والجموح ومعارك ـ وقال الاصمعى : المنتشر هو ابن هبيرة ابن وهب بن عوف بن حرث بن ورقة بن مالك ، قال السيد المرتضى فى أماليه المسماة غرر الفرائد ودرر القلائد : وهذه القصيدة من المراثى المفضلة المشهورة بالبراعة والبلاغة . قال : وقد رويت أنها للدعجاء أخت المنتشر . وقيل لليلى أخته : قال : ومن هنا اشتبه الأمر على عبد الملك بن مروان فظن أنها لليلى الاخيلية

وينبغى أن نورد هذه القصيدة مشروحة لأمور (منها) أنها نادرة قلما توجد (ومنها) أنها جيدة فى بابها (ومنها) أن كثيرا من أبياتها شواهد فى كتب العلماء

ونورد أولا خبر المنتشر حتى يظهر بناء القصيدة عليه

وكان من حديثه ـ على ما رواه أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب فى روايته ديوان الاعشى ـ قال : خرج المنتشر بن وهب الباهلى يريد حج ذى الخلصة ومعه غلمة من قومه والاقيصر بن جابر أخو بنى فراص . وكان بنو نفيل بن عمرو بن كلاب أعداءه فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحرث بن كعب وطريقه عليهم وكان من

حج ذا الخلصة أهدى له هديا يتحرم به ممن لقيه فلم يكن مع المنتشر هدى فسار حتى إذا كان بهضب النباع انكسر له بعض غلمته الذين كانوا معه فصعدوا فى شعب من النباع فقالوا فى غار فيه وكان الاقيصر يتكهن وأنذر بنو نفيل بالمنتشر بنى الحرث بن كعب فقال الاقيصر : النجاء يامنتشر فقد أتيت : فقال : لا أبرح حتى أبرد . فمضى الاقيصر وأقام المنتشر وأتاه غلمته بسلاحه وأراد قتالهم فأمنوه وكان قد أسر رجلا من بنى الحرث بن كعب يقال له هند بن أسماء بن زنباع فسأله أن يفدى نفسه فأبطأ عليه فقطع أنملة ثم أبطأ فقطع منه أخرى وقد أمنه القوم ووضع سلاحه فقال : أتؤمنون مقطعا وإ آلهى لا أؤمنه، ثم قتله وقتل غلمته . انتهى

وذو الخلصة ـ بفتحات الخاء المعجمة واللام والصاد المهملة ـ الكعبة اليمانية التى كانت باليمن أنفذ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله فخربها . وقيل هو بيت كان فيه صنم لدوس وخثعم وبجيلة وغيرهم . كذا فى النهاية لابن الاثير . وفى الصحاح هو بيت لخثعم كان يدعى الكعبة اليمانية وكان فيه صنم يدعى الخلصة فهدم . وفى شرح البخارى لابن حجر : ذو الخلصة ـ بفتح الخاء المعجمة واللام بعدها مهملة ـ وحكى ابن دريد فتح أوله وإسكان ثانيه وحكى ابن هشام ضمهما وقيل بفتح أوله وضم ثانيه والأول أشهر . والخلصة نبات له حب أحمر كخرز العقيق . وذو الخلصة اسم البيت الذى كان فيه الصنم وقيل اسم البيت الخلصة واسم الصنم ذو الخلصة . وحكى المبرد أن موضع ذى الخلصة صار مسجدا جامعا لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم ، ووهم من قال إنه كان فى بلاد فارس ، انتهى .. ورأيت فى كتاب الأصنام لابن الكلبي أن ذا الخلصة كان مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة له بين مكة واليمن مسيرة سبع ليال من مكة وكان سدنتها بنو أمامة من باهلة بن أعصر وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة بوادى الصراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن وفيها يقول خداش بن زهير العامرى لعثبة بن وحشى فى عهد كان بينهم فغدر بهم :

وذكَّرته بالله بَيْنى وبينه وما بيْنَنا من هذه لو تذكرا
وبالمَروة البيضاء يوم تْبالة ومحبسة النعمان حيث تَنَصّرا

فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلمت العرب، وفدت عليه وفودها

قدم عليه جرير بن عبد الله مسلما فقال له : ياجرير ألا تكفيني ذا الخلصة ؟ فقال : بلى، فوجهه إليه فخرج حتى أتى أحمس من بجيلة فسار بهم إليه فقاتلته خثعم و باهلة دونه فقتل من سدنته من باهلة يومئذ مائة رجل وأكثر القتل فى خثعم وقتل مائتين من بني قحافة بن عامر بن خثعم فظفر بهم وهزمهم وهدم بنيان ذى الخلصة وأضرم فيه النارفاحترق . وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة ، و بلغناأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تذهب الدنيا حتى تصطك أليات نساء دوس على ذى الخلصة يعبدونه كما كانوا يعبدونه » انتهى . والقصيدة هذه :

إنى أتتنى لسانٌ لا أُسَرّ بها من علو (١) لاعجبٌ منهاولاسَخَرُ

هذا البيت أورده الشارح المحقق فى الظروف على أن علوروى بضم الواو وكسرها وفتحها واستشهد به صاحب الكشاف على أن اللسان فى قوله تعالى « وجعلنا لهم لسان صدق عليا » أطلق على ما يوجد بها من العطية . واللسان هنا بمعنى الرسالة وأراد بها نعى المنتشر ولهذا أنث له الفعل فأنه إذا أريد به الكلمة أو الرسالة يؤنث ويجمع على ألسن وإذا كان بمعنى جارحة الكلام فهو مذكر ويجمع على ألسنة وروى ثعلب :

إنى أتيت بشىء لا أسر به من علولا عجب فيه ولاسخر

وروى أبو زيد فى نوادره :

إنى أتانىَ شىءٌ لاأُسرُّ به من علِ لاعجب فيه ولاسخر

قال ويروى « من علو » وسخر ـ بضمتين ـ قال فى الصحاح : وعلو مثلث الواو أى أتانى خبر من أعلى نجد ، وقال أبو عبيدة : أراد العالية وقال ثعلب : أى من أعالى البلاد ويقال من علو بتثليث الواو ومن عل بكسر اللام وضمها ومن علا ومن أعلى ومن معال . وقوله لاعجب الخ أى لا أعجب منها وإن كانت عظيمة لأن مصائب الدنيا كثيرة ولا سخر بالموت وقيل معناه لا أقول ذلك سخرية وهو بفتحتين وبضمتين مصدر سخر منه كفرح وسخرا بضمتين ومسخرا استهزأ به

(١) روى المبرد : « من علِ لا عجب منها ولا سخر » وانظر الكامل (ج ٢ ص ٢٩١ وما بعدها) طبع مصر سنة ٣٠٨ اه

فظلت مكتئبا حَرّان أندبه وكنت أحذره لو يَنْفَع الحَذَرُ

وروى «وكنت ذا حذر»

فجاشتِ النفس لما جاء جمعهم وراكب جاء من تَثْلِيثُ مُعْتَمِرُ

فى الصحاح: جاشت نفسه أي غثت ويقال دارت للغثيان فان أردت أنها ارتفعت من حزن أو فزع قلت جشأت بالهمز. وروى بدل جمعهم أي الذين شهدوا مقتله «فلهم» بفتح الفاء وتشديد اللام. يقال جاء فل القوم أى منهزموهم يستوى فيه الواحد والجمع وربما قالوا فلول وفلال: وتثليث بالمثلثة اسم موضع. ومعتمر صفة راكب بمعني زائر ويقال من عمرة الحج

يأتى على الناس لايلوى على أحد حتى التقينا وكانت دوننا مُضَرُ

فاعل يأتى ضمير الراكب. ويلوى مضارع لوى بمعنى توقف وعرج. أى يمر هذا الراكب على الناس ولم يعرج على أحد حتى أتانى لأنى كنت صديقه. ودون بمعنى قدام

إنّ الذى جئت من تثليث تندبه منه السماح ومنه النَّهْىُ والغِيَرُ

أى: فقلت لهذا الراكب: إن الذى جئت الخ يقال ندب الميت من باب نصر بكى عليه وعدد محاسنه. وجملة «منه السماح» الخ خبر إن. والنهى خلاف الأمر. والغير بكسر المعجمة وفتح المثناة التحتية اسم من غيرت الشيء فتغير أقامه مقام الأمر

ينعى امرأ لاتغب الحىّ جفنته إذا الكواكب أخطا نوءها المَطَرَ

النعى خبر الموت يقال نعاه ينعاه قال الأصمعى: كانت العرب إذا مات ميت له قدر ركب راكب فرسا وجعل يسير فى الناس ويقول نعاء فلانا أى انعه وأظهر خبر وفاته. وهى مبنية على الكسر. ولا يغب هو من قولهم «فلان لايغبنا عطاؤه» أى لايأتينا يوما دون يوم بل يأتينا كل يوم. والجفنة القصعة. وأخطاه كتخطأه تجاوزه. والنوء سقوط نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته فى كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوما وهكذا كل نجم إلى انقضاء السنة، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها. يريد أن جفانه لاتنقطع فى القحط والشدة

وراحت الشَّوْل مغبرا مناكبها شعثا تغير منها النِّىُّ والوَبَرُ

معطوف على مدخول إذا ، فى القاموس : الشائلة من الابل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها والجمع شول على غير قياس ، وفى النهاية :الشول مصدر شال لبن الناقة أى ارتفع وتسمى الناقة الشول أى ذات شول لأنه لم يبق فى ضرعها إلا شول من لبن أى بقية ويكون ذلك من بعد سبعة أشهر من حملها وروى «مباءتها» أى مراحها بدل مناكبها . ومغبرا يعنى من الرياح والعجاج ، والنى بفتح النون الشحم ومصدر نوت الناقة تنوى نواية ونيا إذا سمنت . يريد أن الجدب وقلة المرعى خشن لحمها وغيره

وألجأ الكلب مبيض الصقيع به وألجأ الحى من تنفاحه الحجر

معطوف أيضا على مدخول إذا وألجأ اضطر ، ويروى « أجحر » يقال : أجحرته أى ألجأته إلى أن دخل جحره . والصقيع الجليد . وتنفاحه ضربه وهو مصدر نفحت الريح إذا هبت باردة والضمير للصقيع ، والباء فى «به» بمعنى على . والضمير للكلب والحجر بضم الحاء وفتح الجيم جمع حجرة بالضم الغرفة وحظيرة الابل من شجر ، يقول : هو فى مثل هذه الأيام الشديدة يطعم الناس الطعام

عليه أول زاد القوم قد علموا ثم المطى إذا ما أرملوا جُزُرُ

يعني أنه يرتب على نفسه زاد أصحابه أولا وإذا فني الزاد نحر لهم . وأرمل الرجل نفد زاده . والمطى جمع مطية وهى الناقة والجزر بضمتين جمع جزور وهى الناقة التي تنحر وروى بفتحتين جمع جزرة وهى الناقة والشاة تذبح

قد تكظم البزل منه حين تبصره حتى تقطع فى أعناقها الجِرَرُ

ويروى :

وتفزع الشول منه حين يفجؤها

يقال كظم البعير بالفتح يكظم بالكسر كظوما إذا أمسك عن الجرة ، وقيل الكظم أن لا تجتر لشدة الفزع إذا رأت السيف ، والبزل جمع بازل وهو الداخل فى السنة التاسعة ، والجرر جمع جرة بكسر الجيم فيهما وهى ما يخرجه البعير للاجترار ، يقول تعودت الأبل أنه يعقر منها فاذا رأته كظمت على جرتها فزعا منه وتقطع فعل مضارع منصوب بأن

أخو رغائب يُعطيها ويُسئَلُها يَأْبِى الظُّلامَةَ منه النَّوْفلُ الزُّفر

لم تر أرضا ولم تسمع بساكنها إلا بها من نوادى وَقْعه أَثَرُ

نوادى كل شيء -بالنون- أوائله وما ندر منه واحده نادية ومنه قولهم «لا ينداك منى سوء أبدا» أى لا ينذر اليك ، والوقع النزول

وليس فيه إذا استنظرته عجل   وليس فيه إذا ياسرته عسر

وان يصبك عدوّ فى مناوأة   يوما فقد كنت تستعلى وتنتصر

ويروى : «فقد كان يستعلى وينتصر» المناوأة المعاداة يقال : ناوأت الرجل مناوأة وقيل هى المحاربة ناوأته أى حاربته قال الشاعر

إذا أنت ناوأت القرون فلم تنؤ   بقرنين غرتك القرون الكوامل

من ليس فى خَيْره منٌّ يُكدِّره   على الصديق ولافي صَفْوه كَدَرُ

أخو شُروب ومكساب إذا عدموا   وفي المخافة منه الجدّ والحَذَرُ

الشروب جمع شرب وهو جمع شارب كصحب جمع صاحب ويروى «أخو حروب» والمكساب مبالغة كاسب والعدم الفقر وفعله من باب فرح

مِرْدَى حُروبٍ ونورٌ يُستضاء به   كما أضاء سوادَ الظُّلمة القَمَرُ

المردى بكسر الميم قال فى الصحاح :هو حجر يرمى به ومنه قيل للشجاع «انه لمردى حروب» ومعناه انه يقذف فى الحروب ويرجم فيها وروي :

كما أضاء سواء الطُّخية القمر

الطخيه بضم المهملة وسكون المعجمة الظلمة، والطخياء بالمد الليلة المظلمة، يريد أنه كامل شجاعة وعقلا فشجاعته كونه يرمى فى الحروب وعقله كون رأيه نورا يستضاء به وهما وصفان متضادان غالبا

مُهَفْهَفٌ أهْضَم الكَشْحَيْن منخرق   عنه القميص لسير الليل محتقر

المهفهف الخميص البطن الدقيق الخصر، والأهضم المنضم الجنبين، والكشح ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف ،وهذا مدح عند العرب فانها تمدح الهزال والضمر وتذم السمن، وفى العباب :ورجل منخرق السربال إذا طال سفره فشققت ثيابه ولسير الليل متعلق بما بعده وهذا يدل على الجلادة وتحمل الشدائد

طاوى المَصير على العزاءِ مُنْجرد   بالقوم ليْلَةَ لا ماءٌ ولاشَجَرُ

الطوى الجوع وفعله من باب فرح وطوى بالفتح يطوى بالكسر طيا إذا تعمد الجوع والمصير المعا الرقيق جمعه مصران كرغيف ورغفان وجمع هذا مصارين ، أراد طاوى البطن . والعزاء بفتح العين المهملة وتشديد الزاى المعجمة الشدة والجهد ، وقال فى الصحاح هى السنة الشديدة . والمنجرد المتشمر . وقوله « ليلة لا ماء ولاشجر » أى يرعى

لا يُصعِبُ الأمْرَ الا رَيثَ يركبه ... وكلّ أمْرٍ سوى الفَحشاءِ يأتمر

أصعب الأمر وجده صعبا . وكل مفعول مقدم ليأتمر . أى يفعل كل خير ولايدنو من الفاحشة

لا يَهتِكُ السِّترَ عن أُنثى يُطالعها ... ولا يشد الى جاراته النظر

لايتأرّى لما فى القدر يرقبه ... ولا يعض على شرسوفه الصَّفر

لايتأري لايتحبس ويتلبث يقال تأرى بالمكان إذا أقام فيه أى لايلبث لإدراك طعام القدر ، وجملة يرقبه حال من المستتر فى يتأرى . يمدحه بأن همته ليست فى المطعم والمشرب وإنما همته فى طلب المعالى فليس يرقب نضج ما فى القدر إذا هم بأمر له شرف بل يتركها ويمضى والشرسوف طرف الضلع والصفر دويبة مثل الحية تكون فى البطن تعترى من به شدة الجوع قال فى النهاية فى حديث « لاعدوى ولا هامة ولا صفر » ان العرب كانت تزعم أن فى البطن حية يقال لها الصفر تصيب الأنسان إذا جاع وتؤذيه فأبطل الأسلام ذلك وقيل : أراد به النبي صلى الله عليه وسلم النسىء الذي كانوا يفعلونه فى الجاهلية وهو تأخير المحرم إلى صفر ويجعلون صفر هو الشهر الحرام فأبطله ، أنتهى ، ولم يرد الشاعر أن فى جوفه صفرا لا يعض شراسيفه وإنما أراد أنه لاصفر فى جوفه فيعض يصفه بشدة الخلق وصحة البنية

لايغمز الساق من أينٍ ولاوَصَبٍ ... ولا يزال أمام القوم يقتفر

« لايغمز الساق » لايجيبها يصف جلده وتحمله للشاق والأين الأعياء والوصب الوجع والاقتفار بتقديم القاف على الفاء اتباع الآثار فى الصحاح وقفرت أثره أقفره بالضم أى قفوته واقتفرت مثله وأنشد هذا البيت ورواه أبو العباس فى شرح نوادر أبى زيد يقتفر بالبناء للمجهول ومعناه أنه بفوت الناس فيتبع ولا يلحق

لا يأمَنُ الناسُ ممساه ومصبحه   فى كل فج وإن لم يَغز يُنتَظَرُ

أى لا يأمنه الناس على كل حال سواء كان غازيا أم لا فأن كان غازيا يخافون أن يغير عليهم وإن لم يكن غازيا فأنهم فى قلق أيضا لأنهم يترقبون غزوه وينتظرونه

تكفيه حُزَّةُ فِلْذانٍ ألَمَّ بها   من الشِّواء ويروى شربه الغُمَرُ

الحزة بضم الحاء المهملة وتشديدا الزاى المعجمة قطعة من اللحم قطعت طولا ، والفلذان جمع فلذة بكسر الفاء فيهما القطعة من الكبد واللحم وألم بها أصابها . يعنى أكلها والغمر بضم الغين المعجمة وفتح الميم قدح صغير لا يروى

لاتأمن البازلُ الكوماء عدوته   ولا الأمون إذاما اخْرَوَّطَ السفر

البازل البعير الذى فطر نابه بدخوله فى السنة التاسعة ويقال للناقة بازل أيضا يستوى فيه الذكر والأنثى . والكوماء بالفتح الناقة العظيمة السنام ، والعدوة التعدي فانه ينحرها لمن معه سواء كانت المطية مسنة كالبازل أو شابة كالأمون وهى الناقة الموثقة الخلق يؤمن عثارها وضعفها . واخروط امتد وطال

كأنه بعد صدق القوم أنفسهم   باليأس تلمع من قدامه البُشُر

لمع أضاء ، والبشر بضمتين جمع بشير ،يقول إذا فزع القوم وأيقنوا بالهلاك عند الحروب أو الشدائد فكأنه من ثقته بنفسه قدامه بشير يبشره بالظفر والنجاح فهو منطلق الوجه نشيط غير كسلان ، قال السيد المرتضى فى أماليه : قال المبرد : لا نعلم بيتا فى يمن النقيبة وبركة الطلعة أسرع من هذا البيت

لا يُعْجِلُ القومَ أن تغلى مراجلهم   ويدلج الليل حتى يفسح البصر

يريد أنه رابط الجاش عند الفزع لايستخفه الفزع فيعجل أصحابه عن الاطباخ . وقوله « حتى يفسح البصر » أى يجد متسعا من الصبح ، وقيل معناه ليس هو شرها يتعجل بما يؤكل ، والمراجل القدور جمع مرجل

عشنا به حِقْبَةً حيًّا ففارقنا   كذلك الرُّمح ذوالنَّصلين ينكسر

وروي «عشنا بذلك دهرا ثم ودعنا» والنصلان هما السنان وهي الحديدة العليا من الرمح والزج وهي الحديدة السفلى ويقال لهما الزجان أيضا، وهذا مثل ، أى كل شيء يهلك ويذهب.

(فان جزعنا فقد هدت مُصابتُنا وان صبرنا فانا مَعْشَرٌ صُبُرُ)

المصابة بضم الميم بمعنى المصيبة ، يقال جبر الله مصابه وهو فاعل والمفعول محذوف، أى قوانا والصبر بضمتين جمع صبور مبالغة صابر

(أصبت فى حَرَمٍ مِنَّا أخاثقة هندَ بْنَ اسماء لا يهنى لك الظفر)

خاطب قاتل المنتشر هند بن اسماء، وأراد بالحرم ذا الخلصة ثم دعا عليه، والتهنئة خلاف التعزية

(لو لم تَخُنْهُ نفيل وهى خائنة لصَبَّح القومَ وِرْداً ماله صَدَرُ)

صبحه سقاه الصبوح ، وهو الشرب بالغداة أراد أنه كان يقتلهم

(وأقبل الخيل من تثليث مصغية وضم أعينها رغوان أوحضر)

أقبل الخيل جعلها مقبلة . ومصغية مائلة نحوكم ، ورغوان وحضر موضعان أى كانت تأتى خيله عليكم فى هذين الموضعين وما كانت تنام فى منزل إلا فيهما

(إذا سَلَكْتَ سبيلا أنتَ سالكُه
فاذْهَبْ فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ مُنْتَشِرُ)

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون)

٢٨ (شُمسِ بن مالكٍ)

وهو قطعة من بيت وهو

إنى لمُهْدٍ منْ ثنائى وقاصد به لابْنِ عَمِّ الصِّدْقِ شُمْسِ بْنِ مالك

على أنه مصروف مع أنه معدول عن شمس بالفتح وعليه اقتصر فى باب العلم وانما صرف لكونه لم يلزم الضم فانه سمع فيه الفتح أيضا فلما لم يلزم الضم لم يعتبر عدله ولو لزم الضم لصرف أيضا لأنه يكون حينئذ منقولا من جمع شموس لا معدولا من شمس بالفتح

وقد تبع الشارح المحقق فى رواية الضم والفتح شراح الحماسة منهم ابن جنى فى إعرابها فانه قال : أما من روى شمس ــ بفتح الشين ــ فأمره واضح كما يسمى ببدر ونحوه ومن رواه شمس ــ بضم الشين ــ فيحتمل أن يكون جمع شموس سمى به من قول الاخطل ·

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا

ويجوز أن يكون ضم الشين على وجه تغيير الأعلام نحو معديكرب وتهلل وموهب وموظب ومكوزة وغير ذلك مما غير فى حال نظائره لأجل العلمية الحادثة فيه وليس فى كلام العرب شمس إلا هذا الموضع ، اه

وفيه نظر، فان شمسا فى هذا البيت مضموم الشين لا غير وإن المضموم غير المفتوح كما فصله الحسن العسكرى فى كتاب التصحيف فانه قال بعد ما أورد هذا البيت : شمس — مضموم الشين — بطن من الأزد من مالك بن فهم وكل ما جاء فى أنساب اليمن فهو شمس — بالضم — وكل ماجاء فى قريش فهو شمس بالفتح اه

وهذا البيت أول أبيات عشرة لتأبط شرا أثبتها أبو تمام فى أول الحماسة ، قال ابن جنى : ضمير به عندى راجع إلى موصوف محذوف ، أى ثناء من ثنائى وراجع — عند الاخفش — إلى نفس ثنائى ، ومن عنده زائدة وسيبويه لا يرى زيادتها فى الواجب اه

فعلى الاول يكون ما أهدى محذوفا ، وعلى الثانى مذكورا واللام فى قوله « لابن عم » متعلقة بقاصد عند البصريين ، يقال : قصدته بكذا وقصدت له به قال فى العباب كل ما نسب إلى الصلاح والخير أضيف إلى الصدق فقيل رجل صدق وصديق صدق

وتأبط شرا تقدمت ترجمته فى الشاهد الخامس عشر

وأما مصنف كتاب التصحيف فهو أبو أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد بن اسمعيل العسكرى ، ولد يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث وتسعين ومائتين ومات يوم الجمعة لسبع خلون من ذى الحجة من سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة ، قال أبو طاهر السلفى : إن أبا أحمد هذا كان من الأئمة المذكورين بالتصرف فى أنواع العلوم والتبحر فى فنون الفهوم ، ومن المشهورين بجودة التأليف ، وحسن التصنيف ، ومن جملته : كتاب صناعة الشعر، كتاب الحكم والامثال ، كتاب التصحيف ، كتاب راحة الأرواح : كتاب الزواجر والمواعظ ، كتاب تصحيح الوجوه والنظائر ، وكان قد سمع ببغداد والبصرة واصبهان وغيرها من شيوخ منهم أبو القاسم البغوى ، وابن أبى داود السجستانى وأكثر عنهم وبالغ فى الكتابة وبقى حتى علا به السن واشتهر فى الآفاق بالرواية والاتقان وانتهت اليه رياسة التحديث والاملاء والتدريس بقطر خورستان

و رحل الاجلاء إليه للاخذ عنه والقراءة عليه ، نقلته مختصرا من معجم الادباء

﴿وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون﴾

(٢٩) وهم قُرَيْشَ الأَكرمون إذا انْتَمَوْا
طابوا فُروعاً فى العُلا وعُرُوقا)

على أن الاب ربما جعل مؤولا بالقبيلة فمنع الصرف كما منع قريش الصرف لتأويله بالقبيلة. والأكرمون صفة قريش ، ومثله لعدى بن زيد بن الرقاع العاملى يمدح الوليد ابن عبد الملك :

غَلَب المساميحَ الوليدُ سماحةً وكفى قُرَيْشَ المعضلات وسادَها

والمساميح جمع سمح على خلاف القياس ،وقوله «إذا انتموا » يقال : انتمى إلى أبيه انتسب ونميته إلى أبيه نميا نسبته

فى العباب قال ابن دريد : كثر الكلام فى قريش (فقال) قوم : سميت قريش بقريش بن مخلد بن غالب بن فهر وكان صاحب عيرهم فكانوا يقولون قدمت عير قريش وخرجت عير قريش ، (وقال) قوم : سميت قريشا لأن قصيا قرشها أى جمعها فلذلك سمى قصى مجمعا قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب :

أبو ناقصى كان يدعى مُجَمِّعاً به جمع الله القبائلَ من فِهْر

(وقال) الليث : قريش قبيلة أبوهم النضر بن كنانه بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر فكل من كان من ولد النضر فهو قرشى دون ولد كنانة و من فوقه

وقال صاحب العباب : و ينقض هذين القولين قول ابن الكلبى لانه المرجوع إليه فى هذا الشأن وهو: أن قريشا اسمه فهر بن مالك بن النضر وفى تسميته قريشا سبعة أقوال :

أحدها : سموا قريشا لتجمعهم الى الحرم

ثانيها: أنهم كانوا يتقرشون البياعات فيشترونها

ثالثها: أنه جاء النضر بن كنانة فى ثوب له يعني اجتمع فى ثوبه فقالوا قد تقرش فى ثوبه

رابعها: قالوا جاء الى قومه فقالوا كأنه جمل قريش أى شديد

خامسها: قول ابن عباس لما سأله عمرو بن العاص بم سميت قريش قال بدابة فى البحر تسمى قريشا لاتدع دابة إلا أكلتها فدواب البحر كلها تخافها قال المشمرخ بن عمرو الحميرى

وقريش هى التى تسكن البحر بها سميت قريش قريشاً

سادسها : قال عبدالملك بن مروان : سمعت أن قصيا كان يقال له القرشى لم يسم قرشى قبله

سابعها : أنهم يفتشون الحاج عن خلتهم فيسدونها اه

ويعلم من هذه الأقوال أن كون قريش أبا إنما هو على القول الثالث والرابع والسادس وأنشد بعده :

جذبَ الصراريين بالكرور

على أن جمع التكسير لا يمتنع جمعه جمع سلامة فأن الصرارى جمع صراء وهو جمع تكسير وقد جمع على الصراريين جمع سلامة

وتقدم مافيه مشروحا فى الشاهد الحادى والعشرين فراجعه

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون ، وهو من شواهد سيبويه

(٣٠) وإذَا الرِّجالُ رَأَوْا يزيدَ رأيتَهم

خُضعَ الرقاب نواكسِي الأَبْصارِ)

على أن جمع التكسير نحو نواكس لا يمتنع جمعه جمع سلامة كنواكسين كما ذكره أبو على فى الحجة

(أقول) ذكره أبو على فى إعراب الشعر أيضا ، واعلم أن الكلام على هذه الكلمة من ثلاثة وجوه :

(أحدها) أن نواكس جمع ناكس وهو المطأطىء رأسه وفاعل إذا كان اسما نحو كاهل أو صفة مؤنث سواء كان ممن يعقل نحو حائض أو ممن لا يعقل نحو ناقة حاسر إذا أعيت أو صفة مذكر غير عاقل نحو صاهل يجمع قياسا على فواعل ، تقول : كواهل وحوائض وحواسر وصواهل ، أما إذا كان صفة لمذكر عاقل لا يجمع على فواعل وقد شذت ألفاظ خمسة وهي: ناكس ونواكس وفارس وفوارس نحو :

(لولا فوارس من نعم وأسرتهم)

وهالك وهوالك قالوا هالك فى الهوالك وغائب وغوائب وشاهد وشواهد قال عتبة بن الحرث لجزء بن سعد :

أحامى عن ديار بنى أبيكم ومِثْلى فى غَوائبكم قَليلُ

فقال له جزء : نعم وفى شواهدنا ، فجمع عتبة غائبا على غوائب وجمع جزء شاهدا على شواهد وقد وجهت بتوجيهات (أما الأول) فقد حمله سيبويه على اعتبار التأنيت فى الرجال قال : لأنك تقول هى الرجال كما تقول هى الجمال فشبهه بالجمال ، ومنه أخذ أبو الوليد فقال فى شرح كامل المبرد : هذا مخرج على غير الضرورة وهو أن تريد بالرجال جماعات الرجال فكأنه جماعات نواكس وواحده جماعة ناكسة فيكون مقيسا جاريا على بابه كقائلة وقوائل، ووجهه ابن الصائغ على أنه صفة للأبصار من جهة المعنى لأن الأصل قبل النقل نواكس أبصارهم والجمع فى هذا قبل النقل سائغ لأنه غير عاقل فلما نقل تركوا الأمر على ما كان عليه لأن المعنى لم ينتقل (وأما الثانى) فقالوا انه من الصفات التى استعملت استعمال الأسماء فقرب بذلك منها ولانه لا لبس فيه لما ذكر سيبويه من أن الفارس فى كلامهم لا يقع إلا للرجال (وأما الثالث) فوجهه أنه جرى عندهم مجرى المثل ومن شأن الأمثال أن لا تغير عن أصلها (وأما الرابع والخامس) فوجههما يعلم مما وجه به الشلوبين هوالك ونواكس فأنه يجرى فى جميع ما جاء من هذا وهو قوله : قد عرف بقولهم أولا هالك أنه إنما يريد المذكر وكذلك بقوله « وإذا الرجال رأوا يزيد » قال : فصار ذلك مما تقدم ذكره من قولهم فارس فى الفوارس وإن لم يكن مثله فى الجملة لأن المعنى الذي يتضمنه نواكس يصلح للمذكر والمؤنث والمعنى الذى يتضمنه الفوارس لا يصلح إلا للمذكر ، هذا قوله ، وهو جار فى الأخيرين لأنه إنما يريد فيمن غاب من رجالكم ولم يرد أن مثله فى نسائهم قليل فعين أنه يريد المذكر من جهة قصده فصار كالفوارس

قال الشاطبى فى شرح الالفية : وطريقة المبرد فى جميع ماجاء شاذا من هذا النوع أن فواعل هو الأصل فى الجميع وإنما منع منه خوف اللبس فأذا اضطروا راجعوا الأصل كما يراجعونه فى سائر الضرورات وكذلك حيث أمنوا الالباس اه

قال المبرد فى الكامل بعد ماأورد بيت الشاهد : وفى هذا البيت شىء يستطرفه النحويون وهو أنهم لايجمعون ما كان من فاعل نعتا على فواعل لئلا يلتبس بالمؤنث لايقولون ضارب وضوارب لأنهم قالوا ضاربة وضوارب ولم يأت هذا الافى حرفين

أحدهما فارس لأن هذا مما لايستعمل فى النساء فأمنوا الالتباس ويقولون فى المثل هو: « هالك فى الهوالك » فأجروه على أصله لكثرة الاستعمال لأنه مثل فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله فقال نواكسى الأبصار ولا يكون مثل هذا أبدا إلا ضرورة اه

وفيه أنه كان ينبغى أن يقيد النعت بمن يعقل ولكنه أطلق لشهرته . وفيه أيضاً ان المسموع خمسة لاثلاثة كما تقدم ، ثم رأيت فى شرح أدب الكاتب للجواليقى زيادة على هذه الخمسة وهى : حارس وحوارس ، وحاجب وحواجب . من الحجابة نقلهما عن ابن الاعرابى ، ثم قال : ومن ذلك ماجاء فى المثل « مع الخواطىء سهم صائب » وقولهم : « انا وحواج بيت الله ودواجه » جمع حاج وداج والداج الأعوان والمكارون. وحكى المفضل رافد و روافد وأنشد :

إذاقل في الحيِّ الجميع الرَّوافِد

فالجميع إحدى عشرة كلمة

والوجه الثانى : أن المشهور فى رواية هذه الكلمة نواكس بدون جمعها جمع سلامة وبه استشهد سيبويه وصاحب الجمل وقالا :كان القياس أن يجمع ناكس على أنكاس أونكس وكأنه حمله على تأنيث الجمع . وقد رواها جماعة جمعها بجمع السلامة

قال ابن السيد فى شرح كامل المبرد : وهذا أطرف وأغرب من جمع ناكس على نواكس فأنه غريب جداً لأن الخليل يرى أن هذا البناء نهاية الجمع ،وقال فى شرح أبيات الجمل : ولما كان الجمع الذى ثالثه ألف وبعده حرفان أوثلاثة لايتهيأ تكسيره لأنه نهاية التكسير وأريد جمعه لم يمكن ذلك إلا بأن يجمع جمع سلامة لأنه لايغير الاسم عن لفظه

قال الجاربردى فى شرح الشافية بعد ماقال ابن الحاجب وقد يجمع الجمع : أى جمع تكسير وجمع تصحيح بالألف والتاء وأفاد بقد أنه لايطرد قياسا لكنه كثير فى جمع القلة قليل فى جمع الكثرة إلا بالألف والتاء

الوجه الثالث : أنه يتراءى فى ظاهر الأمر تدافع بين هذا الوزن من جمع التكسير وبين جمع التصحيح فأن الأول موضوع للكثرة والثانى للقلة

وقد سأل ابن جنى فى إعراب الحماسة عن هذا فقال : فان قلت فقد قالوا :

فهن يعلكن حدائدانها

وقالوا

قد جرت الطير أيامينا

وقالوا « صواحبات يوسف ، ومواليات العرب » وقال الفرزدق :

(خضع الرقات نوا كسى الأبصار)

فيمن رواه بالياء ، ففي هذا على قولك اجتماع الضدين وهو دلالة المثال على الكثرة مع جمعه بالواو والنون والألف والتاء وكل واحد منهما على ماقدمت موضوع للقلة وأجاب عنه بقوله : قيل لايكون مفيد القلة فى القلة كأن لا يوجد ألبتة ألا ترى أن نفس نواكس وصواحب يفيد بنفسه مفرداً الكثرة ؟ أفتراه إذا جمع جمع القلة يصيره ذلك أن يكون أقل من أن لا يجمع أصلا ؟ قد كفاه موضوعه للكثرة من احتياجه إلى تثنية فضلا عن جمع قلة أو تجاوز به إلى مثال كثرة كما ان المضمر المجرور وان ضعف عن عطف المظهر عليه بغير إعادة حرف جر معه فانه لايضعف عن توكيده كمررت به نفسه وذلك أنه لا يبلغ به الضعف أن يكون أقل من لا شيء ، وأنت لو قلت مررت بنفسه لكان قولا جائزا فاعرف هذا النحو ... انتهى كلامه

وهذه عبارة قلقة يتعسر فهم المراد منها فينبغى شرحها

فقوله « ففى هذا على قولك اجتماع الضدين الخ » أقول : لايخفى عليك أن هذا ليس على ظاهره بل إنما هو فى الحقيقة اعتراض بالترديد بين المحذورين ذكر أحدهما لظهوره وترك الآخر اعتمادا على فهم من له حظ من قانون المناظرة وإلا فلا يتم التقريب أصلا كما لايخفى ، وتقريره أن هذا الجمع لو جمع جمع القلة يلزم أحد المحذورين إما اجتماع الضدين ، على تقدير أن يكون القلة والكثرة موجودتين معا ، أو كون مفيد القلة كأن لا يوجد ، على تقدير إعدام القلة ، ولم يتعرض لكون مفيد الكثرة كأن لا يوجد لأنه لاخفاء فى امتناعه، ضرورة بقاء الكثرة على حالها بعد أن جمع جمع القلة

وقوله « قيل لايكون مفيد القلة فى القلة كأن لا يوجد البتة الخ » ظاهره جواب باختيار الشك الثانى لكن يحصل منه الجواب باختيار الشق الأول أيضا ، وتقريره أنا لانسلم لزوم كون مفيد القلة كأن لا يوجد على تقدير إعدام القلة بل إنما يلزم ذلك أن

لوكانت القلة منتفية بجميع أنواعها وذلك ممنوع لان وضع لفظ التكسير للكثرة يقتضى انتفاء القلة المباينة لها لا القلة المجامعة معها ولا يلزم من انتفاء الاول انتفاء الثانى حتى يكون مفيد القلة كأن لا يوجد، ولا نسلم أيضا لزوم اجتماع الضدين على تقدير وجودهما معا بل إنما يلزم ذلك أن لو كانت القلة الباقية — بعد أن جمع جمع القلة — هى القلة المباينة للكثرة المذكورة وذلك أيضا ممنوع بل مقتضاه اجتماع الكثرة مع القلة المجامعة معها ضرورة أن لفظ القلة يفيد تقليل أفراد مدخولها لا غير وهما ليسا بضدين حتى يلزم من وجودهما معا اجتماع الضدين

وقوله : « ألا ترى الخ » مع قوله « افتراه الخ » تنوير لعدم كون مفيد القلة كأن لا يوجد وتقريره أنك تعرف قطعا أن نفس صواحب وأمثالها يفيد الكثرة بنفسه مفردا وتعرف أيضا أن جمعه جمع القلة لا يصيره إلى أقل من أن لا يجمع ذلك الجمع أى لا يغيره إلى حكم المفرد حتى يكون جمع القلة مفيدا للقلة فى المفردات المباينة لتلك الكثرة كيف لا ولو كان كذلك يلزم انتفاء الكثرة مع أن وصفه كاف فى ذلك من غير احتياج إلى تثنية أو جمع قلة أو جمع كثرة فظهر لك أن ذلك الجمع لافادة أمر آخر زائد عليه وهو تعليل تلك الكثرة فقط فلما كانت القلة المجامعة مع تلك الكثرة باقية على حالها لم يكن مفيد القلة كأن لا يوجد البتة

وقوله « كما أن المضمر المجرور الخ » تنظير لعدم تغيير جمع القلة مع الكثرة وتقريره أن امتناع اجتماع الضدين نظير ضعف عطف المظهر على المضمر بغير إعادة الجار وجمع القلة فيما نحن فيه نظير تأكيد المضمر بغير إعادة الجار فكما أن ضعف العطف المذكور لكونه كالعطف على بعض حروف الكلمة لا ينافى جواز التأكيد بغير إعادة الجار لانه كنفسه بناء على تغاير المادتين كذلك امتناع اجتماع الضدين لا ينافى جواز جمع التكسير جمع القلة لتغاير المادتين وكما أن التأكيد لا يجعل المضمر أقل من أن لا يؤكد بل يفيد أمرا زائدا عليه وهو التأكيد كذلك الجمع — فيما نحن فيه — لا يجعل لفظ التكسير أقل من أن لا يجمع بل يفيد أمرا زائدا عليه وهو تقليل الكثرة الحاصلة من المجامعة معه والحاصل أن ماهو لازم ليس بمحذور وماهو محذور ليس بلازم هكذا ينبغى أن يفهم هذا المقام

وقوله « خضع الرقاب » حال من مفعول رأيتهم والرؤية بصرية فى الموضعين ولا تضر الاضافة فانها لفظية وكذلك « نواكسى الابصار » لأن المعنى خضعا رقابهم نواكس أبصارهم

وخضع – بضمتين – جمع خضوع مبالغة خاضع من الخضوع وهو التطامن والتواضع يقال خضع لغريمه يخضع –بفتحهما– خضوعا ذل واستكان وهو قريب من الخشوع الا أن الخشوع أكثر ما يستعمل فى الصوت والخضوع فى الاعناق ولهذا أضافه إلى الرقاب ويحتمل أن يكون خضع – بضمة فسكون – جمع أخضع وهو الذى فى عنقه تطامن من خلقه وهذا أبلغ من الاول أى ترى أعناقهم إذا رأوه كأنها خلقت متطامنة من شدة تذللهم وفعل قياس فى جمع أفعل وفعلاء صفة غير تفضيل نحو أحمر وحمراء وجمعهما حمر

وهذا البيت من قصيدة للفرزدق يمدح بها آل المهلب وخص من بينهم ابنه يزيد أولها :

فلأمدحنّ بنى المهلب مِدْحة   غرّاء ظاهرةً على الأشعار
مثل النجوم أمامها قمر لها   يجلو الدجى ويضيء ليل السارى
وَرِثوا الطعّان عن المهلّب والقِرى   وخلائقا كتدفق الأنهار
أما البنونَ فأنهم لم يورثوا   كتراثه لبنيه يوم فخار

إلى أن قال :

* أما يزيد فأنه تأبى له   نفسٌ موطّنةٌ على المقدار
وردّادة شعب المنية بالقنا   فتُدرّ كلّ معاند نعار
وإذا النفوس جَشَأْنَ طأْمَنَ جأشها   ثقةٌ به لحماية الأدبار
ملك عليه مهابة الملك التقى   قمر التمام به وشمس نهار
واذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم   (البيت) الى أن قال :
مازال مذ عقدت يداه إزاره   وسما فأدرك خمسة الأشبار
يدنى خوافق من خوافق للتقى   في كل معتبط الغبار مثار

قوله « تأبى له نفس » مفعول تأبى محذوف أى القعود عن الحروب ونحوه ، وقوله « موطنة على المقدار » أى تقول نفسه عند اقتحام المهالك : لا يصيبنى إلا ماقدرالله، والمقدار بمعنى القدر . ووردادة مبالغة واردة صفة نفس ، وشعب مفعول ورادة بمعنى فروع المنية وأنواعها مستعار من الشعب التى هى أغصان الشجرة جمع شعبة ، والقنا

جمع قناة وهى الرمح ، وتدر فاعله ضمير القنا من أدرت الريح السحاب واستدرته أى استجلبته ، وكل مفعوله . والمعاند العرق الذى يسيل ولا يرقأ ويقال له عاند أيضاً وفعله من باب نصر ، والنعار — بالعين المهملة — من نعر العرق ينعر — بالفتح فيهما — أى فار منه الدم فهو عرق نعار ونعور . وجشأن يقال : جشأت نفسه إذا ارتفعت من حزن أو فزع ، والجأش — بالهمز — جأش القلب وهو رواعه إذا اضطرب عند الفزع يقال : فلان رابط الجأش أى يربط نفسه عن الفرار لشجاعته . وطأمن مقلوب طمأن — بالهمزة فيهما — بمعنى سكن . وثقة فاعله . والتقى فعل ماض : وقمر التمام فاعله يقال : قمر تمام — بفتح التاء وكسرها — إذا تم ليلة البدر وأما ليل التمام فمكسور لاغير وهو أطول ليلة فى السنة ؛ وقوله « مازال مذ عقدت يداه إلى آخره » هذا البيت استشهد به النحاة فى عدة مواضع ، منهم ابن هشام أورده فى المغنى شاهداً لأيلاء الجملة الفعلية لمذ كما يليها الجملة الأسمية وأورده أيضاً فى شرح الألفية لقوله « خمسة الأشبار » حيث جرد المضاف من أداة التعريف ، وهو حجة على الكوفيين فى جوازهم الجمع بين تعريف المضاف باللام والأضافة إلى المعرفة مستدلين بقول عرب غير فصحاء : الثلاثة الأبواب والمسموع تجريد الأول من أداة التعريف كما قال ذو الرمة أيضاً :

وهل يرجع التسليم أو يكشف العمى ثلاث الأثافى والديار البلاقع

وسما ارتفع وشب من السمو وهو العلو ، وأدرك بمعنى بلغ ووصل وفاعلهما ضمير يزيد . وقوله « خمسة الأشبار » أراد طول خمسة أشبار بشبر الرجال وهى ثلثا قامة الرجل . وينسب إليها فيقال غلام خماسى ، قال ابن دريد : غلام خماسى قد أيفع . فى الصحاح والعباب : وغلام رباعى وخماسى أى طوله أربعة أشبار وخمسة أشبار ولا يقال سداسى ولا سباعى لأنه إذا بلغ ستة أشبار أو سبعة أشبار صار رجلا ، والغلام إذا بلغ خمسة أشبار عندهم تخيلوا فيه الخير والشر ولهذا قال بعض العرب : أيما غلام بلغ خمسة أشبار فاتهمته قتلته، هذا ماعندى ،وأما الناس فقد اختلفوا فى تفسيره على اقوال

أحدها:قال ابن السيد فى شرح شواهد الجمل : ومعنى فأدرك خمسة الأشبار ارتفع وتجاوز حد الصبا لأن الفلاسفة زعموا أن المولود إذا ولد لتمام مدة الحمل ولم تغيره آفة فى الرحم فأنه يكون فى قده ثمانية أشبار من شبر نفسه وتكون سرته بمنزلة المركز

له فيكون منها إلى نهاية شقه الأعلى أربعة أشبار بشبره ، ومنها إلى نهاية شقه الأسفل أربعة أشبار ومنها إلى أطراف أصابعه من يده معا أربعة أشبار ، حتى إنه لو رقد على صلبه وفتح ذراعيه ووضع ضابط فى سرته وأدير لكان شبه الدائرة ، قالوا : فما زاد على هذا أو نقص فلآفة عرضت له فى الرحم فأنك تجد من نصفه الأعلى أطول من نصفه الأسفل ، ومن نصفه الأسفل أطول من نصفه الأعلى ، ومن يداه قصيرتان ، ومن يده الواحدة أقصر من الثانية ، فاذا تجاوز الصبي أربعة أشبار فقد أخذ فى الترقى الى غاية الكمال اهـ وقوله أولا «ارتفع وتجاوز حد الصبا» شرح به المعنى المراد ولا حاجة بعده إلى نقل كلام الفلاسفه لأنه خارج عن المقام بل مفسد لأنه رتب بعده قوله « فاذا تجاوز الصبي أربعة أشبار فقد أخذ فى الترقى الى غاية الكمال » وهذا غير متصور ، لأن الطفل الذى تجاوز أربعة أشبار بشبر نفسه لا يحسن عقد إزاره فضلا عن الأخذ فى الترقى إلى غاية الكمال وإنما المعنى تجاوز خمسة أشبار بشبر الرجال وهى ثلثا قامة الرجل كما ذكرنا

ثانيها : أنه أراد بخمسة الأشبار السيف قال ابن هشام اللخمى فى شرح شواهد الجمل : هذا هو الصحيح لأنه منتهى طول السيف فى الأكثر كما أن منتهى طول القوس ثلاث أذرع وإصبع قال الراجز :

أرمى عليها وهى فرع أجمع وهى ثلاث أذرع وإصبع

وإنما زاد إصبعاً لاختلاف أذرع الناس فى الطول والقصر وربما زادوا شبراً كما قال آخر

وهى ثلاث أذرع وشبر

وكما أن منتهى طول القناة أحد عشر ذراعا قال عتبة بن مرادس :

وأسمر خطيا كأن كعوبه نوى القسب قد أرمى ذراعا على العشر

وقال البحترى أيضاً :

كالرمح أذرعه عشرٌ وواحدةٌ فليس يُزْرى به طولٌ ولا قِصَرُ

ثالثها : أنه أراد عصا الخطبة ، وهذا غير مناسب لما قبله ولما بعده

رابعها : أنه أراد الخيزرانة التى كان الخلفاء يحبسونها بأيديهم ، وهذا أيضاً غير

مناسب كالذى قبله على أن يزيد ليس خليفة ولا من نسل الخلفاء وأراد هـذا القائل الخلفاء الامويين

خامسها: أنه أراد خلال المجد الخمسة : العقل، والعفة، والعدل ،والشجاعة ، والوفاء ، وكانت عندهم معروفة بهذا العدد ،كذا نقلوه ولا يخفى أنه لوكان المراد هذا لبقيت ذكر الأشبار لغواً

سادسها: أنه أراد بخمسة الأشبار القبر لأن البيت من مرثية : وهذا باطل لا أصل له فأنه من قصيدة فى مدح يزيد بن المهلب وكان حياً

واسم زال ضمير يزيد وخبرها البيت الذى بعده وهو « يدنى خوافق الخ » وأراد بالخوافق الرايات وهو جمع خافقة يقال خفقت الراية — بالفتح — تخفق — بالكسر والضم — خفقا وخفقانا إذا تحركت واضطربت ، ومعتبط الغبار — بالعين والطاء المهملتين ـ هو الموضع الذى لم يقاتل عليه ولم يثر فيه غبار قبل ما أثاره هـذا الممدوح يقال : أعبطت الأرض إذا حفرت منها موضعا لم يحفر فيها قبل ذلك،والمثار المهيج والمحرك وروي بدله

يدنى كتائب من كتائب تلتقى فى ظل معترك العجاج مثار

والكتائب جمع كتيبة وهو الجيش ، والمعترك موضع الاعتراك وهو المحاربة وأراد بظله الغبار الثائر فى المعركة فأنه إذا اشتد لا يرى معه ضوء فيصير كالظل الكثيف . ومذ اسم فقيل إنها ظرف مضاف إلى الجملة وقيل إلى زمن مضاف إلى الجملة وقيل مبتدأ فيجب تقدير زمان للجملة يكون هو الخبر ، والأزار معروف وقيل كنى بعقد الأزار عن شده لما يحتوى عليه من كساءى المجد ، وهذا يناسب تفسيره خمسة الاشبار بخلال المجد الخمسة ، وخمسه الأشبار مفعول أدرك بتقدير مضاف كما تقدم، وقال الاعلم على مانقله اللخمى : فاعل سما مضمر لدلالة المعنى عليه والتقدير وسما جسمه أو طوله وفاعل أدرك مضمر أيضا عائد على الجسم الذى دل عليه المعنى . ومعنى أدرك انتهى والأفعال يحمل بعضها على بعض إذا اشتركت فى المعنى والتقدير انتهى طوله أو جسمه خمسة أشبار و يكون انتصاب خمسة أشبار على أنه مفعول على إسقاط حرف الجر أى انتهى إلى خمسة أشبار اه (أقول) : هذا كله تعسف لا ضرورة تدعو إليه ، ومثل هذا

قول ابن يسعون في شرح شواهد الأيضاح : ويجوز نصبه نصب الظروف بقوله «سما» أي فعلا مقدار خمسة الأشبار اه فأنه تعسف أيضا لأنه يكون المدرك غير معلوم ماهو وبقي قوله «أدرك» غير مفيد شيئاً . ومن فسر الخمسة بالسيف والعصا والخيزرانة فهو على حذف مضاف أي فأدرك أخذ خمسة الأشبار للقتال به أو للجس باليد أو للخطبة وقال ابن يسعون بعد جعل الخمسة مفعولا لأدرك على تقدير معناها السيف أو خلال المجد الخمسة مانصه : ويجوز نصب خمسة نعتا لأزاره أو بدلا منه أو عطف بيان اه فتأمل

وأما يزيد فهو ابن المهلب بن أبي صفرة أحد شجعان العرب وكرمائهم . وشهرته في الشجاعة والكرم غنية عن الوصف . كان في دولة الأمويين واليا على خراسان وافتتح جرجان ودهستان وطبرستان . وبعد الحجاج صار أمير العراقين . وأجمع علماء التاريخ على أنه لم يكن في دولة بني أمية أكرم من بني المهلب كما لم يكن في دولة بني العباس أكرم من البرامكة . وولد يزيد سنة ثلاث وخمسين من الهجرة وتوفى مقتولا يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة . وقد ترجمه ابن خلكان وترجم والده بما لامزيد عليه . وستأتي ترجمة والده في رب من حروف الجر في شرح قوله :

فلقد يكون أخادم وذبائح

والفرزدق هو أبو فراس ، واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم البصري . وهمام بصيغة المبالغة من الهمة . وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء بعد أن قال اسمه همام : وكان للفرزدق إخوة : منهم هميم ابن غالب وبه سمي الفرزدق ، والاخطل وكان أسن منه . وأخت يقال لها جعثن كانت امرأة صدق وكان جرير في مهاجاته للفرزدق يذكرها بسوء . قال اليربوعي : وكذب عليها جرير . وكان يقول : أستغفر الله فيما قلت لجعثن . قال وكانت إحدى الصالحات . والفرزدق قال صاحب العباب : قال الليث : الفرزدق الرغيف الذي يسقط في التنور ويقولون أيضا الفرزدقة . قال : وقال بعضهم : هو فتات الخبز . وقال غيره : الفرزدق للقطعة من العجين وأصلها بالفارسية برازده . وقال ابن فارس : هذه كلمة منحوتة من كلمتين من فرز ومن دق لأنه دقيق عجن

ثم أفرزت منه قطعة فهي من الأفراز والدقيق اه فلقب بأحد هذه المعانى ويشهد للاول ماروى أنه كان أصابه جدري وبقى أثره فى وجهه ، ويروى أن رجلا قال له : يا أبا فراس كأن وجهك أحراح مجموعة ، فقال : تأمل هل ترى فيها حر أمك والاحراح جمع حر بالكسر وحذف لام الفعل هو فرج المرأة . وأخذ الفرزدق هذا الجواب من كلام أبي الاسود الديلي فانه كما فى الاغانى قال كان طريق أبي الاسود إلى المسجد والسوق فى بنى تيم الله بن ثعلبة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمن يمر به فمر به أبو الاسود يوما فلما رآه قال لقومه كأن وجه أبي الاسود وجه عجوز راحت الى أهلها بطلاق ، فضحك القوم وأعرض عنه أبو الاسود ثم مر بهم فقال لهم : كأن غضون قفا أبي الاسود غضون الفقاح فأقبل عليه أبو الاسود فقال : هل تعرف فقحة أبيك فيهن فأفحمه وضحك القوم منه وقاموا إلى أبي الاسود فاعتذروا اليه ولم يعاوده الرجل بعد ذلك . ويحتمل أنه لقب بالمعنى الثالث وبه صرح ابن قتيبة فى أدب الكاتب فقال : والفرزدق قطع العجين واحدها فرزدقة ومنه سمي الرجل وهو لقب له لأنه كان جهم الوجه . ويحتمل أنه لقب بالمعنى الثانى بأن شبه غضون وجهه بفتات الخبز . وقال ابن السيد فى شرح شواهد الجمل وتبعه فيها ابن هشام اللخمي وابن خلف وغيرهما : قال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء انما سمي الفرزدق لغلظه وقصره شبه بالفتيتة التى تشرب بها النساء وهو الفرزدقة اه (أقول) لم أر الفرزدقة بهذا المعني فى اللغة ولا الفتيتة بمعنى ماذكره على أن ابن قتيبة لم يذكر فى الطبقات شيئا فى تلقيبه بالفرزدق ، ثم رأيت فى الأغانى فى ترجمته أن الفرزدق الرغيف الضخم الذى يجففه النساء للفتوت ، وروى أن الجهم بن سويد بن المنذر الجرمى قال له : ماوجدت أمك اسما لك الا الفرزدق الذى تكسره النساء فى سويقها قال : والعرب تسمى خبز الفتوت الفرزدق ، فقال له الفرزدق : أحق الناس بأن لايتكلم فى هذا أنت لأن اسمك اسم متاع المرأة واسم أبيك اسم الحمار واسم جدك اسم الكلب ، وروى بسنده عن أبي عمرو بن العلاء قال : أخبرت عن هشام العنزى أنه قال : جمعني والفرزدق مجلس فتجاهلت عليه فقلت : من أنت . قال أما تعرفني . قلت لا قال : فانا أبو فراس قلت ومن أبو فراس قال أنا الفرزدق قلت ومن الفرزدق قال أو ماتعرف الفرزدق قلت أعرف الفرزدق إنه شيء تتخذه النساء عندنا بالمدينة تتسمن به وهو الفتوت ، فضحك

وقال : الحمد لله الذى جعلنى فى بطون نسائكم ، وقال السيد المرتضى فى أماليه : والفرزدق لقب و إنما لقب به لجهامة وجهه وغلظه لأن الفرزدقة هى القطعة الضخمة من العجين وقيل إنها الخبزة الغليظة التى يتخذ منها النساء الفتوت . وفى الأغانى بسنده إلى محمد ابن وهيب الشاعر قال : جلست بالبصرة إلى جنب عطار فأذا أعرابية سوداء قد جاءت فاشترت من العطار خلوقا فقلت له : تجدها اشترته لابنتها وما ابنتها إلا الخنفساء فالتفتت إلى متضاحكة وقالت : لا والله إلا امهاة جيداء ، إن قامت فقناة . وإن قعدت فحصاة . وإن مشت فقطاة . أسفلها كثيب ، وأعلاها قضيب . لا كفتياتكم اللواتى تسمونهن بالفتوت ، ثم انصرفت وهى تقول :

إن الفتوت للفتاة مضرطة   يكربها فى البطن حتى تثلطه

فلا أعلنى ذكرتها إلا أضحكنى ذكرها

وبالجملة هو وجرير والأخطل النصرانى فى الطبقة الأولى من الشعراء الاسلاميين واختلف العلماء بالشعر فيه وفى جرير فى المفاضلة . وكان يونس يفضل الفرزدق ويقول : لولا الفرزدق لذهب شعر العرب ، وقال ابن شبرمة : الفرزدق أشعر الناس وقال أبو عمرو بن العلاء : لم أر بدويا أقام فى الحضر إلا فسد لسانه غير رؤبة والفرزدق . وفى العمدة لابن رشيق : كتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر شعراء الجاهلية وأشعر شعراء وقته فقال : أشعر الجاهلية امرؤ القيس وأضربهم مثلا طرفة . وأما شعراء الوقت فالفرزدق أفخرهم وجرير أهجاهم والأخطل أوصفهم وقد طبق المفصل الأصبهانى فى قوله حين سئل عنهما : من كان يميل إلى جودة الشعر وفخامته وشدة أسره فليقدم الفرزدق . ومن كان يميل إلى أشعار المطبوعين والكلام السمح الجزل فليقدم جريراً . قال أبو عبيدة : وكان الفرزدق يشبه من شعراء الجاهلية بزهير . وكان صعصعة جد الفرزدق — كما قال ابن قتيبة فى الطبقات — عظيم القدر فى الجاهلية . وكان اشترى ثلاثين موءودة ثم أسلم وصار صحابيا وأم صعصعة قفيرة — بتقديم القاف على الفاء وبالتصغير — بنت مسكين الدارمى وكانت أمها أمة وهبها كسرى لزرارة فوهبها زرارة لهند بنت يثربى فوثب أخو زوجها وهو مسكين بن حارثة بن زيد بن عبد الله بن دارم على الأمة فأحبلها فولدت له قفيرة فكان جرير يعير الفرزدق

بها وكان لصعصعة قيون — والقين الحداد — منهم جبير ووقبان وديسم فلذلك جعل جرير مجاشعا قيونا ؛ وكان جرير ينسب غالب بن صعصعة الى جبير فقال :

وَجَدْنا جبيرا أبا غالبٍ بعيدَ القرابة من مَعْبد

يعني معبد بن زرارة . وكان يعيبهم بالخزيرة : وذلك أن ركبا من مجاشع مروا بشهاب التغلبي فسألهم أن ينزلوا فحمل إليهم خزيرة فجعلوا يأكلون وهي تسيل على لحاهم وهم على رواحلهم . والخزيرة — بفتح الخاء وكسر الزاى المعجمتين وبالراء المهملة — قطع لحم صغار توضع في القدر بماء كثير فأذا نضج ذر عليه الدقيق . فأن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة ويقال خزير أيضا بدون تاء تأنيث

وأما غالب أبو الفرزدق فأنه كان يكنى أبا الأخطل واستجير بقبره بكاظمة فاحتملها عنه الفرزدق

وفي نهج البلاغة : وقال علي رضي الله عنه لغالب بن صعصعة أبي الفرزدق في كلام دار بينهما : مافعلت أبلك الكثيرة قال : ذعذعتها الحقوق ياأمير المؤمنين ، فقال رضي الله عنه : ذاك أحمد سبيلها . قوله « ذعذعتها » بذالين معجمتين وعينين مهملتين بمعنى فرقتها يقال ذعذعته فتذعذع وذعذعة السر إذاعته . قال شارح نهج البلاغة ابن أبي الحديد : دخل غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعي على أمير المؤمنين رضي الله عنه أيام خلافته وغالب شيخ كبير ومعه ابنه همام الفرزدق وهو غلام يومئذ فقال له علي رضي الله عنه : من الشيخ قال : أنا غالب بن صعصعة قال : ذو الأبل الكثيرة قال : نعم قال : مافعلت إبلك قال : ذعذعتها الحقوق وأذهبتها الحمالات والنوائب . قال : ذاك أحمد سبيلها ، من هذا الغلام معك قال : هذا ابني قال : مااسمه قال : همام وقد رويته الشعر ياأمير المؤمنين وكلام العرب ويوشك أن يكون شاعراً مجيداً فقال : أقرئه القرآن فهو خير له ، فكان الفرزدق بعد يروى هذا الحديث ويقول : مازالت كلمته في نفسي حتى قيد نفسه بقيد وآلى أن لايفكه حتى يحفظ القرآن فما فكه حتى حفظه اهـ

وقد روى عنه عليه السلام أحاديث وعن غيره من الصحابة وعاش حتى قارب المائة ومات بعلة الدبيلة رحمه الله تعالى ، قال النويري في تاريخه : مات الفرزدق في سنة عشرة ومائة وله إحدى وتسعون سنة ، ومات فيها جرير أيضاً ، وقال السيد المرتضى

قدس الله سره في أماليه : الفرزدق — مع تقدمه في الشعر و بلوغه فيه إلى الذروة العليا والغاية القصوى — شريف الآباء كريم البيت له ولآبائه مآثر لا تدفع ومفاخر لا تجحد وكان مائلا إلى بني هاشم ونزع في آخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق وراجع طريقة الدين . على أنه لم يكن في خلال فسقه منسلخا من الدين جملة ولا مهملا لأمره أصلا . روى أنه تعلق بأستار الكعبة وعاهد الله على ترك الهجاء والقذف وقال :

أَلَمْ ترني عاهَدْتُ رَبي وإنني لبين رتاج قائم ومقام
على حِلْفة لا أشتم الدهرَ مُسْلماً ولا خارجا من فيّ زور كلام
أطعتك يا إبليس تسعين حجة فلما انقضى عمري وتم تمامي
فَزِعْتُ إلى ربي وأيقنت أنني ملاق لأيام الحُتُوف حِمامي

(وأنشد بعده . وهو الشاهد الحادي والثلاثون)

٣١ وشق له من اسمه ليُجله فذو العرش محمود وهذا محمد

على أنه يمكن لمح الوصف مع العلمية ، أي يمكن أن يلاحظ بعد العلمية الوصف الذي كان قبلها وبملاحظته يوضع علما ، فأن محمداً وضع علما لنبينا صلى الله عليه وسلم بملاحظة معناه ، فأن معناه في اللغة كما قال صاحب العباب وغيره الذي كثرت خصاله المحمودة كما قال الأعشى في مدح النعمان بن المنذر :

اليك أَبَيْتَ اللَّعْن كان كلالها إلى الماجد الْفَرْع الجوادِ المحمد

و بعد أن صار علما يجوز أن يلحظ معناه اللغوي كما لحظه حسان في هذا البيت ، وهو أول أبيات ثمانية مدح بها نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، والصواب في روايته «شق له من اسمه» بدون واو فأنها للعطف ولم يتقدم شيء يعطف عليه لكن يبقى الشعر مخروما . والخرم جائز عندهم وهو — بالخاء المعجمة والراء المهملة — عبارة عن حذف أول الوتد المجموع في أول البيت وذلك نحو فعو لن ومفا عيلن ومفاعلتن ، كما أن ضمير له راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومفعوله محذوف أي شق له اسما من اسمه واسم الله تعالى المشقوق منه محمود بمعنى أن الحمد لا يكون إلا له ولا يقع إلا عليه فأراد تبارك و تعالى أن يشرك نبيه في اسم من هذا الوصف تعظيما له صلى الله عليه وسلم فسماه محمدا كما

سيأتى بيانه ، وقوله « من اسمه » بهمزة الوصل وسمعت بعضهم يقرؤه بهمزة القطع وهو لحن ، وقوله « ليجله » روى بدله « كى يجله » وبقية الأبيات هذه :

نبيّ أتانا بعد يأس وفترة ... من الرسْل، والأوثانُ فى الارض تعبد
فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا ... يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنذرنا ناراً وبشّر جنّة ... وعلمنا الأسلام فالله نحمد
وأنت إلهَ العرش ربى وخالقى ... بذلك ماعُمِّرتُ فى الناس أشهد
تعاليت رب الناس عن قول من دعا ... سواك إلهًا أنت أعلى وأمجد
لك الخلق والنعماء والأمر كله ... فإياك نستهدى و إياك نعبد
لأن ثواب اللهِ كلَّ موحد ... جنانٌ من الفردوس فيها يخلّد

كذا فى ديوانه من رواية أبى سعيد السكرى ، ورأيت فى المواهب اللدنية قال مؤلفه : ثم إن فى اسمه محمد خصائص منها أنه تعالى شقه من اسمه المحمود كما قال حسان ابن ثابت :

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله من نور يلوح و يشهد
وضم الأله اسم النبيّ إلى اسمه ... إذا قال فى الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وعلى هذه الرواية فالواو للعطف ، وفاعل شق ضمير الا له والضمير فى له راجع للنبى ثم قال صاحب المواهب : وأخرج البخارى فى تاريخه الصغير من طريق على بن زيد قال : كان أبو طالب يقول :

وشق له من اسمه ليجله (البيت)

و قد سماه الله تعالى بهذا الاسم قبل الخلق بألفى ألف عام كما و رد من حديث أنس ابن مالك من طريق أبى نعيم فى مناجاة موسى و روى ابن عساكر عن كعب الأحبار قال « ان الله أنزل على آدم عصيا بعدد الأنبياء والمرسلين ثم أقبل على ابنه شيث فقال أى بنى أنت خليفتى من بعدى فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى وكلما ذكرت الله فاذكر إلى جنبه اسم محمد فانى رأيت اسمه مكتوبا على ساق العرش وأنا بين الروح والطين

ثم إنى طفت السموات فلم أر فى السموات موضعا إلا رأيت اسم محمد مكتوبا عليه وإن ربى أسكننى الجنة فلم أر فى الجنة قصرا ولا غرفة إلا اسم محمد مكتوبا عليها ولقد رأيت اسم محمد مكتوبا على نحور الحور العين وعلى ورق قصب آجام الجنة وعلى ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة فأكثر ذكره فأن الملائكة تذكره فى كل ساعاتها،

ولما سماه جده عبد المطلب بمحمد قيل له: كيف سميته باسم ليس لاحد من آبائك وقومك! فقال: لأنى أرجو أن يحمده أهل الارض كلهم. وذلك لرؤيا كان رآها عبد المطلب كما ذكر حديثها على القيروانى العابر فى كتاب البستان قال: كان عبد المطلب قد رأى فى المنام كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها، فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق وأهل المغرب ويحمده أهل السماء والأرض فلذلك سماه محمداً مع ماحدثته به أمه آمنة حين قيل لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فأذا وضعته فسميه محمدا. قال السهيلى: محمد منقول من صفة فى معني محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار لأن المحمد الذى حمد مرة بعد مرة كما أن المكرم من أكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه سماه به قبل أن يسمى به علم من أعلام نبوته عليه السلام إذ كان اسمه صادقا عليه فهو صلى الله عليه وسلم محمود فى الدنيا بما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود فى الآخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد. ومحمود أيضا من أسمائه صلى الله عليه وسلم قال صاحب المواهب: اعلم أن من أسماء الله تعالى الحميد ومعناه المحمود لأنه تعالى حمد نفسه وحمده عباده وقد سمى الرسول صلى الله عليه وسلم بمحمود وكذا وقع اسمه فى زبور داود. وقال الشامى فى سيرته: ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم المحمود وهو المستحق لأن يحمد لكثرة خصاله الحميدة قال حسان بن ثابت رضى الله عنه:

فأصبح محمودا الى الله راجعاً يبكيه حق المرسلات ويحمد

وهو من أسمائه تعالى قال حسان أيضا :

وشق له من اسمه ليجله (البيت)اه

وعليه فهو اسم مشترك بين الله وبين نبيه ولم أر من صرح به غير الشامى ، وأما أحمد فهو اسمه عليه الصلاة والسلام الذى سمى به على لسان عيسى وموسى ، قال السهيلى هو منقول من الصفة التى معناها التفضيل فمعنى أحمد أحمد الحامدين لربه وكذلك هو فى المعنى لأنه يفتح عليه فى المقام المحمود محامد لم تفتح على أحد قبله فيحمد بها ربه ولذلك يعقد له لواء الحمد وقال السخاوى فى سفر السعادة : أحمد هو مأخوذ من الحمد كما أخذ من الحمرة أحمر ومن الصفرة أصفر وأحمد أبلغ من محمد كما أن أحمر وأصفر أبلغ من محمر ومصفر لأنه فى أحمر وأصفر ألزم وليس أحمد بمنقول من الفعل المضارع ولاهو أفعل فتقول كأكرم ومن هذا الله أكبر

وحسان هو أبو الوليد بن ثابت بن المنذر الأنصارى من بنى النجار ، وأمه الفريعة بنت خنس من بني الخزرج ، والفريعة — بالفاء والعين المهملة — مصغر فرعة بالتحريك — وهي القملة الكبيرة ، قال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء : وهو جاهلى إسلامى متقدم الاسلام إلا أنه لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهداً لأنه كان يرمى بالجبن لعلة أصابته ، وكانت له ناصية يسدلها بين عينيه . وكان يضرب بلسانه روثة أنفه من طوله ويقول : والله لو وضعته على شعر لحلقه ، أو على صخر لفلقه، وعاش فى الجاهلية ستين سنة وفى الاسلام ستين سنة ، فهو من المخضرمين ، ومات فى زمن معاوية ، وكف بصره فى آخر عمره

(وأنشد بعده وهو الشاهد الثانى والثلاثون)

(٣٢) فتىً فارسىٌّ فى سَرَاويل رامح

وصدره :

أتى دُونَهاذبٌ الرياد كأنه

على أن سراويل غير منصرف عند الأكثرين كما هنا

وهذا البيت من قصيدة لتميم بن أبي بن مقبل يصف الثور الوحشى ، وضمير دونها

لأتاه ، ودون بمعنى قدام وروى « يمشي بها ذب الرياد » وروى أيضاً « يرودبها » والذب ـــ بفتح الذال المعجمة وتشديد الموحدة ـــ قال فى الصحاح : هو الثور الوحشي ويقال له ذب الرياد لانه يرود أى يذهب ويجيء ولا يثبت فى موضع ، قال النابغة الذبيانى يصف ناقته :

كأنما الرحل منها فوق ذى جدد ذبُّ الرياد الى الأَشْباح نظّار

وزاد فى العباب فقال : ورجل ذب الرياد إذا كان زوارا للنساء قال عبد مس عبيد بجيلة :

قد كنت فتاح أبواب مغلّقة ذب الرياد إذا ماخُولِسَ النظر

وقال القالى فى أماليه : يقال فلان ذب إذا كان لايستقر فى موضع ومنه قيل للثور الوحشي ذب الرياد . وأنشد بيت الشاهد . وقد خالف أبو هلال العسكرى فى ديوان المعانى فزعم أن ذب الرياد اسم للوعل ونسب البيت إلى الراعى فقال : وقد أحسن الراعى فى وصف الوعل : ثم قال : وذب الرياد علم على الوعل . والصواب ما قدمناه فيهما ، شبه الشاعر ما على قوائم الثور الوحشي من الشعر بالسراويل وهو من لباس الفرس ولهذا شبهه بفتى فارسي ، وشبه قرنه بالرمح ولهذا قال رامح أى ذو رمح فقوله « فتى » خبر كأن و « فارسي » صفة فتى و « فى سراويل » حال من ضمير فارسي إذ هو بمعنى منسوب إلى الفرس أو صفة الفارسي و « رامح » صفة ثانية لفتى والسراويل يذكر ويؤنث كما فى العباب وجر بالفتحة لأنه غير منصرف

قال الشارح المحقق : واختلف فى تعليله فعند سيبويه وتبعه أبو علي أنه اسم أعجمى مفرد أعرب كما أعرب الآجر ولكنه أشبه من كلامهم ما لا ينصرف قطعا نحو قناديل فحمل على ماشابهه فمنع الصرف

(أقول) : الذى رأيته فى تذكرة أبي علي مخالفة سيبويه فأنه بعد أن نقل كلام سيبويه قال : سراويل وإن كان واحدا فهو على مثال الجمع الذى لا يكون الواحد على مثاله فأنت مالم تسم به فهو منصرف كآجر الذى ليس فى الواحد ولا غيره على مثاله فاذا سميت به صار مثل شراحيل اه

وكأن أبا علي فهم من قول سيبويه إنه أعجمى أعرب كما أعرب الآجر أنه يريد يصرف كما يصرف الآجر وليس كذلك بل مراده أنه معرب لا مبنى كما أن الآجر

معرب بدليل قول سيبويه بعده إلا أن سراويل أشبه من كلامهم ما لا ينصرف فى نكرة ولا معرفة

وأبو هلال العسكرى هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيي بن مهران اللغوى العسكرى وكان تلميذ أبى أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى وافق اسمه اسم شيخه واسم أبيه اسم أبيه وهو عسكرى أيضا فربما اشتبه ذكره بذكره إذا قيل الحسن ابن عبد الله العسكرى . وقد ترجمنا أبا أحمد العسكرى فى الشاهد الثامن والعشرين . قال أبو طاهر السلفى : سألت الرئيس أبا المظفر الأبيوردى بهمذان عنه فأثنى عليه ووصفه بالعلم والعفة معا قال : كان يبرز احترازا من الطمع والدناءة والتبذل وكان الغالب عليه الأدب والشعر . وله كتاب فى اللغة سماه التلخيص وهو كتاب مفيد . وكتاب صناعتى النظم والنثر وهو أيضا كتاب مفيد جدا . قال ياقوت فى معجم الادباء — وذكره غيره — إن أبا هلال كان ابن اخت أبى أحمد وله من الكتب بعد ما ذكره السلفى كتاب جمهرة الامثال . كتاب معانى الادب . كتاب أعلام المعانى فى معانى الشعر . كتاب شرح الحماسة . كتاب الاوائل . كتاب الفرق بين المعانى . كتاب نوادر الواحد والجمع . كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة . كتاب التبصرة وهو كتاب مفيد كتاب الدرهم والدينار . كتاب العمدة . كتاب فضل الغنى على العسر . كتاب ما تلحن فيه الخاصة . كتاب المحاسن فى تفسير القرآن خمس مجلدات . وكتاب ديوان شعره . قال ياقوت : وأما وفاته فلم يبلغنى فيها شيء غير أنى وجدت فى آخر كتاب الاوائل من تصنيفه « وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الاربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة » هذا ما ذكره ياقوت وله عندى كتاب الفروق فى اللغة . وكتاب ديوان المعانى : وهما دالان على غزارة علمه . ومن شعره :

إذا كان مالى مال من يلقط العجم ... وحالى فيكم حال من حاك أو حجم
فأين انتفاعى بالأصالة والحجا ... وما ربحت كفى على العلم والحكم
ومن ذا الذى فى الناس يبصر حالتى ... ولا يلعن القرطاس والحبر والقلم

وله أيضاً :

جلوسىَ فى سوق أبيع وأشترى ... دليل على أن الأنام قرود

ولا خير في قوم يذل كرامهم ويعظم فيهم نذلهم ويسود
ويهجوهمُ عني رثاثة كسوتي هجاءً قبيحا ما عليه مزيد

وأما تميم صاحب الشاهد فهو ابن أبي بن مقبل ، وأبي — بالتصغير وتشديد الياء — ابن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والأسلام ، وكان يبكي أهل الجاهلية . وبلغ مائة وعشرين سنة ، وكان يهاجي النجاشي الشاعر فهجاه النجاشي فاستعدى عليه عمر رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين هجاني فقال عمر : يانجاشي ماقلت قال : يا أمير المؤمنين قلت مالا أرى فيه عليه بأسا وأنشده :

إذا اللهُ جَازَى أهْــلَ لؤم بذمة فجازى بني العَجْلانِ رَهْطَ ابن مقبل

فقال عمر : ان كان مظلوما استجيب له وإن لم يكن مظلوما لم يستجب له قالوا : وقد قال أيضا :

قبيلتُه لا يغْـدرونـ بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر : ليت آل الخطاب كذلك ، قالوا : فانه قال :

ولا يردون الماء إلا عَشيّة إذا صَدَرَ الوُرّاد عن كل مَنْهَل

فقال عمر : ذلك أقل للزحام ، قالوا : فانه قال :

تعاف الـكلاب الضاريات لحومهم وتأكُل من كَعْب بن عَوْف ونَهْشَل

فقال عمر : يكفي ضياعا من تأكل الـكلاب لحمه ، قالوا . فانه قال :

وما سمي العجلان إلاّ لقَوْله خُذ القَعْبَ واحْلبْ أيُّها العبد واعْجَل

فقال عمر : كلنا عبد وخير القوم خادمهم قال تميم : فسله يا أمير المؤمنين عن قوله :

أولئك إخْوانُ اللّعين وأسوة الـ ـهجين ورهـط الواهن المتذلل

فقال عمر : أما هذا فلا أعذرك عليه فحبسه ، وقيل جلده

قال صاحب زهر الآداب : كان بنو العجلان يفخرون بهذا الاسم إذ كان عبدالله ابن كعب جـدهم إنما سمي العجلان لتعجيله القرى للضيفان ، وذلك أن حيا من طيء نزلوا به فبعث إليهم بقراهم عبداً له وقال له : أعجل عليهم ففعل العبد فأعتقه لعجلته ،

فقال القوم : ماينبغى أن يسمى إلاالعجلان فسمى بذلك فكان شرفا لهم حتى قال النجاشي هذا الشعر فصار الرجل إذا سئل عن نسبه قال : كعبي و يرغب عن العجلان قال : وزعمت الرواة أن بنى العجلان استعدوا على النجاشي وذكر هذه الحكاية

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون)

(٣٣) عليه من اللؤم سروالة فليس يرق لمستعطف

على أن السراويل عند المبرد عربى وهو جمع سروالة : والسروالة قطعة خرقة

أقول : هذا البيت قيل مصنوع وقيل قائله مجهول ، والذى أثبته قال إن سروالة واحدة السراويل وكيف تكون سروالة بمعنى قطعة خرقة مع الحكم بأنها واحدة السراويل هذا لايكون

وقال السيرافى : سروالة لغة فى السراويل إذ ليس مرادالشاعر عليه من اللؤم قطعة من جزء السراويل

وسروالة فى البيت مبتدأ مؤخر وعليه خبر مقدم ، وقوله : « من اللؤم » كان فى الأصل صفة لسروالة فلما قدم عليه صار حالا منه ، هذا هو المقرر ، وقال العينى : ومن اللؤم صفة لسروالة فيكون محلها الرفع ، وهذا خطأ . واللؤم — بالهمزة — شح النفس ودناءة الآباء

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون)

(٣٤) جاءَ الشتاء وقميصى أَخْلاقْ شراذم يَعْجَبُ منه التَّوّاقْ

على أن شراذم لفظة جمع بالاتفاق

أقول:نسب أبو حنيفة الدينورى فى كتاب النبات هذا البيت إلى بعض الأعراب وقال : الاخلاق والأرمام والأرمات لاتكون إلا فى الخلقان وقال : إنما نعت الواحد بالجمع لكثرته فيه كما قالوا برمة أعشار إذا انكسرت أريد أن كسرها كثير

وفى العباب : وقد خلق الثوب — بالضم — خلوقة أى بلى وثوب أخلاق إذا كانت الخلوقة فيه كله كما قالوا برمة أعشار وأرض سباسب

وفى الزاهر لابن الأنبارى وقال الفراء : من العرب من يقول قميص أخلاق وجبة أخلاق فيصف الواحد بالجمع لأن الخلوقة فى الثوب تتسع فيسمى كل موضع منها خلقا

ثم يجمع على هذا المعنى ومن قال جبة خلق قالوا فى التثنية جبتان خلقان و فى الجمع جباب أخلاق

والشراذم — بالشين والذال المعجمتين — جمع شرذمة — بكسر الاول والثانى (١). قال فى الصحاح: الشرذمة الطائفة من الناس والقطعة من الشيء وثوب شراذم أى قطع ، والتواق — بفتح التاء المثناة الفوقية و تشديد الواو — اسم ابن الشاعر قاله الفراء وغيره ، وأصله مبالغة تائق من تاقت نفسه إلى الشيء بمعنى اشتاقت قال الشاعر :

الْمَـرْءُ تواق إِلَى مَا لَمْ يَنَلْ

وقال صاحب العباب : وروى النواق — بالنون — وقال فى نوق : والنواق من الرجال الذى يرود الأمور ويصلحها وعلى هذا فيجوز أن يراد به أيضا الرفاء ونحوه

٭(وأنشد بعده : وهو الشاهد الخامس والثلاثون ، وهو من شواهد سيبويه)٭

(٣٥) ولو كان عَبْدُ الله مَوْلًى هَجَوْتُه ولٰـكنَّ عبدَ اللهِ مولَى مَوَالِيَا

على أن بعض العرب يجر نحو جوار بالفتحة فيقول : مررت بجوارى ، كما قال الفرزدق « مولى موالى » بإضافة موالى إلى مولى والألف للاطلاق ، وجمهور العرب يقول : مررت بجوار ومولى موال بحذف الياء والتنوين فى الجر والرفع ؛ وأما فى النصب عندهما فلا تحذف الياء بل تظهر الفتحة عليها نحو رأيت جوارى

والمراد بجوار ما كان جمعاً على هذا الوزن معتل اللام وهذا خلاف ما قاله سيبويه

قال الأعلم فى شرح أبياته : الشاهد فى إجرائه موالى على الأصل ضرورة وكان الوجه موال كجوار ونحوه من الجمع المنقوص فاضطر إلى الاتمام والاجراء على الأصل كراهة للزحاف اه

وكذا قال صاحب الصحاح قال: وإنما قال مواليا لأنه رده إلى أصله للضرورة وإنما لم ينون لأنه جعله بمنزلة غير المعتل الذى لا ينصرف، وصاحب اللباب وغيره جعله قولا للنحويين لا لغة لبعض العرب وقال : ونحو جوار حكمه حكم قاض رفعا وجرا على الأعرف وحكم ضوارب نصبا وقيل نصبا وجرا وبهذا سقط اعتراض ابن أبى اسحق على الفرزدق فى قوله

---

(١) الصواب بكسر الاول والثالث وأما الثانى فساكن

ولو كان عبد الله مولى هجوته « البيت »

والمولى الحليف وهو الذى يقال له مولى الموالاة والحليف المعاهد يقال منه تحالفا إذا تعاهدا وتعاقدا على أن يكون أمرهما واحدا فى النصرة والحماية وبينهما حلف وحلفة بالكسرة فيهما أى عهد ، والرجل إذا كان ذليلا يوالى قبيلة وينضم اليهم ليعتز بهم وإذا والى مولى كان أذل ذليل ، وكذلك القبيلة توالى ، وأراد بالموالى الحضرميين وكانوا موالى بنى عبد شمس بن عبد مناف ، يقول : لو كان عبد الله ذليلا لهجوته ولكنه أذل من الذليل لأنه حليف الحضرميين وهم حلفاء بنى عبد شمس وهذا مبالغة فى الهجو ، والحضرمى منسوب إلى حضرموت ، وحضرموت بلد وقبيلة والصواب فى رواية البيت

لو كان عبد الله مولى هجوته

بحذف الواو وجعل البيت مخروما فأنه بيت واحد ولم يتقدمه شيء حتى تكون الواو عاطفة

وعبدالله هذا هو عبدالله بن أبى اسحق الزيادى الحضرمى ، قال الواحدى فى كتاب الاغراب فى علم الاعراب : كان عبدالله من تلامذة عنبسة بن معدان وهو من تلامذة أبى الأسود الدؤلى واضع النحو وليس فى أصحاب عنبسة مثل عبد الله واسمه ميمون الأقرن وهو الذى كان يرد على الفرزدق قوله :

وعض زمان يابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلف

فهجاه الفرزدق بقوله :

فلو كان عبد الله مولى هجوته « البيت »

وكان يقال عبدالله أعلم أهل البصرة وأعقلهم وفرع النحو وقاسه ، وكان أبو عمرو ابن العلاء قد أخذ عنه النحو ومن أصحاب عبدالله الذين أخذوا عنه النحو عيسى بن عمر الثقفى ، ويونس بن حبيب ، وأبو الخطاب الأخفش اهـ

وقال أبو بكر محمد بن عبدالملك بن السراج المعروف بالتاريخى فى تاريخ النحاة وتوفى عبدالله هذا سنة سبع عشرة ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة وصلى عليه بلال بن أبى بردة

واعلم أنهم قد ذكروا فى سبب هجو الفرزدق لعبدالله أن عبدالله لحنه فى قوله « إلا مسحتا أو مجلف » فانه عطف المرفوع على المنصوب كما نقله الواحدى وغيره وسيأتى إن

شاء الله شرح هذا البيت مستوفى فى باب العطف ، فلما بلغ الفرزدق تلحين عبدالله إياه هجاه بهذه البيت فلما بلغ هجو الفرزدق لعبد الله قال : قولوا للفرزدق لحنت فى هذا البيت أيضا حيث حركت موالى فى الخفض ، هكذا رووا هذه الحكاية ، والذى رأيته فى تاريخ النحاة للتاريخى المذكور آنفا قال حدثنى ابن الفهم عن محمد بن سلام قال أخبرنا يونس أن ابن أبى اسحق قال للفرزدق فى مديحه يزيد بن عبدالملك بن مروان

مستقبلين شمال الشام تَضْرِبُنا على زَوَاحِفَ تزجى مخهـا رير

فقال له ابن أبى اسحق : أسأت موضعها رفع وإن رفعت أقويت ، وألح الناس على الفرزدق فى ذلك فقلبها فقال :

على زواحف تُزْجيها مَحَاسِيرِ

ثم ترك الرواة هذا ورجعوا إلى القول الأول قال يونس : وهذا جيد ، فلما أكثر ابن أبى اسحق على الفرزدق هجاه فقال

لو كان عبد الله مولى هجوته « البيت »

وقد حكى مثل حكاية التاريخى أبو القاسم على بن حمزة البصرى اللغوى فى كتاب التنبيهات على اغلاط الرواة قال : وقد حكى أبو أحمد عبد العزيز بن يحى الجلودى فى إسناد ذكره فى أخبار الفرزدق أن عبدالله بن أبى إسحق النحوى : قال ان الفرزدق لحن فى قوله:

على زواحف تزجي مخها رير

وان ذلك بلغ الفرزدق فقال . أما وجد هذا المنتفخ الخصيين لبيتى مخرجا فى العربية أما انى لو أشاء لقلت « على زواحف تزجيها محاسير » ولكننى والله لاأقوله ثم قال

فلو كان عبد الله مولى هجوته « البيت »

فبلغ ذلك عبدالله فقال : عذره شر من ذنبه ، والخفض فى رير جيد وتقديره على واحف ريرمخها تزجى اه كلامه

وهذا البيت مركب من بيتين وهما :

مستقبلين شمال الشأم تضربنا بحاصب كنديف القُطْن مَنْثُور

على عمائمنا يلقى وأرحلنا على زواحف نزجيها محاسيرِ

والشمال هى الريح المعروفة وهى مفعولة ، وجملة تضربنا حال منها ، والحاصب بمهملتين الريح التى تثير الحصباء ، والزواحف جمع زاحفة بالزاى المعجمة والحاء المهملة وهى الابل التى أعيت فجرت فراسنها يقال زحف البعير إذا أعيا فجر فرسنه أى خفه ، ونزجيها نسوقها والازجاء السوق ، ومحاسير جمع محسور من حسرت البعير حسرا إذا أتعبته فهو حسير أيضا ويقال أحسرته بالالف أيضا ويكون لازما أيضا يقال: حسر البعير يحسر حسوراً إذا أعيا والرير على ما فى الرواية الاخرى هو باهمال الراءين قال الفراء مخ رير بفتح الراء وكسر ها ورار أيضا أى فاسد ذائب من الهزال ، ومن الامثال « اسمح من مخة الرير » قال الزمخشرى فى أمثاله : الرير والرار المخ الذى قد ذاب فى العظم حتى كانه ماء وسماحه ذوبه وجريانه

وترجمة الفرزدق ذكرت فى الشاهد الثلاثين

(تتمة) قد تكلم ابن جنى فى شرح تصريف أبى عثمان المازنى المسمى بالتصريف الملوكى بتفصيل جيد فى الكلام على تنوين جوار أحببت أن أذكره هنا قال: فاما جوار وغواش ونحوهما فللسائل أن يقول لم صرف هذا الوزن وبعد ألفه حرفان وقد قال أبو إسحق الزجاج فى هذا ما أذكره لك وهو أنه ذهب إلى أن التنوين إنما دخل فى هذا الوزن لأنه عوض من ذهاب حركة الياء فلما جاء التنوين وهو ساكن والياء قبله ساكنة التقى ساكنان فحذفت الياء فقيل هؤلاء جوار كما قيل هذا قاض ومررت بقاض يريد أن أصله هؤلاء جوارى ثم أسكنت الياء استثقالا للضمة عليها فبقيت جوارى ثم عوض من الحركة التنوين فالتقى ساكنان فوجب حذف الياء ألا ترى أن الحركة لما ثبتت فى موضع النصب فى قولك رأيت جوارى لم يؤت بالتنوين لانه إنما كان يجىء عوضا من الحركة فاذا كانت الحركة ثابتة لم يلزم أن يعوض منها شىء وأنكر أبو على هذا القول على أبى إسحق وقال : ليس التنوين عوضا من حركة الياء وقال : لأنه لو كان كذلك لوجب أن يعوض التنوين من حركة الياء فى يرمى ألا ترى أن أصله يرمى بوزن يضرب فلما لم نرهم عوضوا من حركة هذه الياء كذلك لا يجوز أن يكون التنوين فى جوار عوضا من ذهاب حركة الياء ، فأن انتصر منتصر لأبى إسحق فقال : إلزام أبى على إياه لا يلزمه لأن له أن يقول إن جوار ونحوه اسم والتنوين بابه الأسماء ويرمى فعل والتنوين لا مدخل له فيه

فلذلك لم يلزم أن يعوض من حركته قيل له : ومثال مفاعل أيضا لا يدخله التنوين ، فأن قال : مفاعل اسم والاسم مما يصح فيه التنوين قيل له : لوكان الأمر كذلك لوجب أن يعوض من حركة الألف فى حبلى ونحوها تنوينا ، فأن قال : لو عوض لدخل التنوين مالا ينصرف على وجه من الوجوه ، قيل : وكذلك مثال مفاعل لا ينصرف معرفة ولا نكرة ، فأن قال : مفاعل قد ينصرف فى بعض المواضع فى ضرورة الشعر وحبلى وبابها لم يصرف قط لضرورة ، قيل : إنما لم يصرفوا حبلى للضرورة لأن التنوين كان يذهب الألف من اللفظ فيحصل على ساكن هو التنوين وقد كانت الألف قبله ساكنة فلا يزدادون أكثر مما كان قبل الصرف فتركوا الصرف فى نحو حبلى لذلك ألا ترى أنهم يصرفون نحو حمراء فيقولون مررت بحمراء للضرورة لأنهم قد ازدادوا حرفا يقوم به وزن البيت وهمزة حمراء كألف سكرى وحبلى ، والقول فى هذا ما ذهب إليه الخليل وسيبويه من أن الياء حذفت حذفا لا لالتقاء الساكنين فلما حذفت الياء صار فى التقدير جوار بوزن جناح فلما نقص عن وزن فواعل دخله التنوين كما يدخل جناحا فدل على أن التنوين إنما دخله لما نقص عن وزن ضوارب ولذا إذا تم الوزن فى النصب وظهرت الياء امتنع التنوين أن يدخل لأنه قد تم فى وزن ضوارب فالتنوين على هذا معاقب للياء لا الحركة إذ لو كان معاقبا للحركة لوجب أن يدخل فى يرمى لأن الحركة قد حذفت من الياء فى موضع الرفع . وشىء آخر يدل عندى على أن التنوين ليس بدلا من الحركة ، وذلك أن الياء فى جوار قد عاقبت الحركة فى الرفع والجر فى الغالب وإذا كان كذلك فقد صارت الياء لمعاقبتها الحركة تجرى مجراها فكما لا يجوز أن يعوض من الحركة وهى ثابتة كذلك لا يجوز أن يعوض منها وفى الكلمة ماهو معاقب لها وجار مجراها وقد دللت فى هذا الكتاب على أن الحركة قد تعاقب الحرف وتقوم مقامه فى كثير من كلام العرب ، فان قال قائل : فلم ذهب الخليل وسيبويه إلى أن الياء قد حذفت حذفا حتى إنه لما نقص وزن الكلمة عن بناء فواعل دخلها التنوين ، قيل : لأن الياء قد حذفت فى مواضع لا تبلغ أن تكون فى الثقل مثل هذا كقوله تعالى «الكبير المتعال» «ويوم يدع الداع» «ويوم التناد» وقال الشاعر :

وأخو الغوان متى يشب يصرمنه (١)

وقال آخر:

دوامى الأيد يخبطن السريحا (٢)

فاكتفى فى جميع هذا بالكسرة من الياء وهو كثير جدا ، فلما كان الاكتفاء بالكسرة جائزا مستحسنا فى هذه الاسماء الآحاد والآحاد أخف من الجموع كان باب جوار جديرا بأن يلزم الحذف لثقله، ألا ترى أنه جمع وهو مع ذلك الجمع الأكبر الذى تنتهي إليه الجموع فلما اجتمع فيه ذلك وكانوا قد حذفوا الياء مما هو أخف منه ألزموه الحذف ألبتة حتى لم يجز غيره، وقد حذفت الياء من الفعل أيضا فى موضع الرفع حذفا كالمطرد كقوله تعالى « ما كنا نبغ ، والليل اذا يسر » وهو كثير فهذا يدلك على اطراد حذف الياء ، فأن قال قائل : الفعل أثقل من الاسم فكيف ألزم باب جوار الحذف ولم يلزموه الفعل ، قيل له : لم يلزم فى الفعل لأن الياء قد تحذف للجزم حذفا مطردا فلو ألزموها الحذف فى موضع الرفع أيضا لالتبس الرفع بالجزم وأجازوا الحذف فى بعض المواضع لاستخفافا فان قيل : هلا فصلت بين الرفع والجر أيضا فى جوار كما فصلت بين الرفع والجزم ، قيل له : الضمة والكسرة وإن اختلفتا فى الصورة فقد اتفقتا فى أن كل واحدة منهما حركة وانهما كلتيهما مستثقلتان فى الياء فكذلك لم يفصلوا بينهما فى باب جوار واعتمدوا على ما يصحب الكلام من أوله الى آخره وليس كذلك فى الرفع والجزم لأنهما لم يتفقا فى حال كما اتفقت الضمة والكسرة فافهم

* (وأنشد بعده وهو الشاهد السادس والثلاثون وهو من شواهد سيبويه) *

(٣٦) سَمَاءُ الاٰلهِ فَوْقَ سَبْعٍ سَمَائِيَا

وصدره :

لهُ ما رأت عَيْنُ البَصيرِ وفَوْقَه

أنشده لما تقدم فى البيت قبله

قال أبو جعفر النحاس فى شرح شواهد سيبويه نقلا عن الأخفش ومثله ابن جنى

---

(١) هذا صدر بيت للاعشى وعجزه « ويكن أعداء بعيد وداد »

(٢) هذا عجز بيت وصدره « فطرت بمنصلى فى يعملات » وقد استشهد به سيبويه (ج ١ ص ٩) ولم ينسبه كما لم ينسبه الأعلم

فى شرح تصريف المازنى واللفظ له قال : قد خرج هذا الشاعر عما عليه الاستعمال من ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه جمع سماء على فعائل فشبهها بشمال وشمائل والجمع المعروف فيها إنما هو سمى على فعول ونظيره عناق وعنوق ، ألا ترى أن سماء مؤنثة كما أن عناقا كذلك (والثانى) أنه أقر الهمزة العارضة فى الجمع مع أن اللام معتلة وهذا غير معروف ألا ترى أن ماتعرض الهمزة فى جمعه ولامه واو أو ياء أوهمزة فالهمزة العارضة فيه مغيرة مبدلة نحو خطيئة وخطايا ومطية ومطايا و لم يقولوا خطائى ولا مطائى (والثالث) أنه أجرى الياء فى سمائى مجرى الباء فى ضوارب ففتحها فى موضع الجر والمعروف عندهم أن تقول هؤلاء جوار ومررت بجوار فتحذف الياء وتدخل التنوين . وللنحوين فى ذلك احتجاج لما يذهبون إليه من أن أصل مطايا مطائى ألا ترى أن الشاعر لما اضطر جاء به على أصله فقال سمائيا كما أنه لما اضطر إلى اظهار أصل ضن قال :

انى أجود لأقوام وان ضننوا

وكما قال الآخر :

صددت فاطولت الصدود (١)

يريد أطلت فهذه الأشياء الشاذة فيها حجج فى أن يقولوا إن أصل هذا كذا ، وكذلك ما حكى عنهم من أنهم يقولون « غفر الله خطائئه » بوزن خطاعع فيه دلالة على أن أصل رزايا رزائى بوزن رزافع ، ألا ترى أن رزيئة كخطيئة فلا بد لهم فى جميع مايدعونه من قياس يرجعون إليه أو مسموع يحملون ما غير عليه ، انتهى

وهذا كله من الأصول لابن السيرافى إلا أن ابن جنى بسط ما أجمله ابن السراج

وهذا البيت من قصيدة طويلة لأمية بن أبى الصلت مطلعها

أَلاَ كل شىء هالك غير ربنا ولله ميراثُ الّذى كان فانيًا
ولىٌّ له من دون كل ولاية إذا شاء لم يُمْسُوا جميعاً مواليا
و إنْ يك شىء خالداً ومُعَمَّرا تأمّلْ تجدْ من فوقه اللهَ باقيا

(١) هذه قطعة من بيت ينسب لعمر ابن أبى ربيعة ، وهو بتمامه :

صددت فأطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

له ما رأت عين البصير وفوقه سماء الألَه فَوْقَ سَبع سمائِيا

وهذه قصيدة عظيمة تشتمل على توحيد الله وقصص بعض الأنبياء كنوح ويوسف وموسى وداود وسليمان ، ويعجبنى منها قوله :

ألا أَنْ يفوت المرء رحمة ربه ولو كان تحت الأرض سبعين واديا
يعالى وتُدْرِكْهُ من الله رَحْمَةٌ ويضحى ثَنَاه فى البَرِيَّةِ زاكيا

وقوله فى آخرها :

وأنت الذى من فضل سَيْب ونِعْمَةٍ بعثتَ إلى موسى رَسُولاً مناديا
فقال أعنى يا ابن أمى فاننى كثيرٌ به يارب صِلْ لى جناحيا
وقلت لهارون اذهبا فتظاهرا على المرء فِرْعَوْنَ الذى كان طاغيا
وقولا له أأنت سَوَّيت هذه بلا وَتدٍ حتى اطمأنت كما هيا ؟
وقولا له أأنت رفَّعت هذه بلا عمدٍ أرفق اذا بك بانيا؟
وقولا له أأنت سَوَّيت وسْطها منيرا إذا ما جَنَّه الليل ساريا؟
وقولا له من أخرج الشمس بكرة فأصبح ما مَسَّتْ من الأرض ضاحيا؟
وقولا له من أنبتَ الحبَّ فى الثرى فأصبح منه البقل يهتز رابيا؟
فأصبح منه حبه فى رءوسه ففى ذاك آيات لمن كان واعيا؟!

وقوله « ولى له من دون كل ولاية الخ » هو خبر مبتدأ محذوف . أى ربنا ولى . وهو فعيل بمعنى فاعل من وليه إذا أقام به وكل من ولى أمر أحد فهو وليه ، والضمير فى له راجع لقوله « الذى كان فانيا » والولاية قال أبو عمرو هى - بالكسر - فى العمل - وبالفتح - فى الدين وقوله « اذا شاء الخ » يقول : إذا شاء أماتهم وفرقهم ، والموالى الورثة جمع مولى قال تعالى « ولكل جعلنا موالى » أى ورثة وقوله « له ما رأت عين البصير الخ » له خبر مقدم وضميره لربنا ، وما موصولة مبتدأ مؤخر ، وتقديم الخبر للحصر أى الذى رأته الأعين ملك لربنا ليس لأحد شىء منه ، وضمير فوقه عائد لما الموصولة ، وسماء الآله أراد به العرش مبتدأ وخبره الظرف قبله . وقوله « فوق سبع سمائيا » حال من الضمير المستتر فى فوقه ، ومن رفع سماء الآله بالظرف قبله كما

فوق سبع سمائيا ، حالا من سماء الآله كنا فى إيضاح الشعر لابى على ، قال ابن جنى فى الخصائص : وكان أبو على ينشدنا « فوق ست سمائيا » وكذلك رأيته أنا قد أثبته فى الايضاح ، وكذلك رأيته أنا أيضا فى ديوان أمية فيكون المراد بسماء الآله السماء السابعة.

(وأمية) هو أمية بن أبى الصلت واسمه عبد الله بن أبى ربيعة بن عوف الثقفى قال الاصمعى : ذهب أمية فى شعره بعامة ذكر الآخرة ، وعنترة بعامة ذكر الحرب وقد صدقه النبي صلى الله عليه وسلم فى بعض شعره ، وفى صحيح مسلم عن الرشيد بن سويد قال : ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شىء قلت : نعم قال : هيه ، فأنشدته بيتا فقال : هيه ثم أنشدته بيتا فقال : هيه حتي أنشدته مائة بيت فقال : « كاد ليسلم » وفى رواية : « كاد ليسلم فى شعره » وفى رواية « آمن شعره وكفر قلبه » وفى الاصابة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم أنشد قول أمية :

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد

فقال : صدق وهذه صفة حملة العرش ، وفى شرح ديوانه لمحمد بن حبيب : يقال إن حملة العرش ثمانية رجل وثور ونسر وأسد هذه أربعة وأربعة أخرى فأما اليوم فهم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدوا بأربعة أخرى فذلك قوله تعالى : « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » كذلك بلغنى والله أعلم ، ويقال : إن الذى فى صورة رجل هو الذى يشفع لبنى آدم فى أرزاقهم ، وأما الذى فى صورة نسر فهو الذى يشفع للطير فى أرزاقهم وبلغنى أيضا أن لكل ملك منهم أربعة وجوه وجه رجل ووجه ثور ووجه أسد ووجه نسر اه

وفى الاغانى بسنده لما أنشد النبي صلى الله عليه وسلم قول أمية :

الحمد لله مُمسانا ومُصبحنا بالخير صَبَّحنا ربى ومَسَّانا
رب الحنيفة لم تنفد خزائنها مملوءة طبق الآفاق أشطانا
ألا نبىٌّ لنا منّا فيُخبرَنا ما بعد غايتنا من رأس مجرانا
بَينا يُرَبِّينا آباؤنا هَلَكُوا وبينما نقتنى الأولادَ أبلانا
وقد علمنا لو ان العِلمَ ينفعنا أنْ سوفَ تَلحقُ أُخرانا بأولانا

وقد عَجِبْتُ وما بالموت من عَجَبٍ ... ما بال أحيائنا يَبْكُونَ مَوْتَانا

إلى أن قال

يارب لا تجعلنى كافراً أبدا ... واجعل سريرة قلبى الدهر إيمانا

واخلط به بنيتى واخلط به بشرى ... واللحم والدم ما عمرت إنسانا

إنى أعوذ بمن حج الحجيج له ... والرافعون لدين الله أركانا

مسلمين إليه عند حجهم ... لم يبتغوا بثواب الله أثمانا

فقال صلى الله عليه وسلم : « آمن شعره وكفر قلبه »

وقال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء: وكان أمية يخبر أن نبيا يخرج قد أظل زمانه وكان يؤمل أن يكون ذلك النبي ، فلما بلغه خروج النبي صلى الله عليه وسلم كفر به حسدا، ولما أنشد النبي صلى الله عليه وسلم شعره قال : « آمن لسانه وكفر قلبه »

وأتى بالفاظ كثيرة لا تعرفها العرب، وكان يأخذها من الكتب ، منها قوله :

بآية قامَ يَنْطِقُ كُلُّ شَيْءٍ ... وخان أَمَانَةَ الدِّيكِ الغُرَابُ

وزعم ان الديك كان نديما للغراب فرهنه على الخمر وغدر به وتركه عند الخمار فجعله الخمار حارسا ومنها قوله :

قمر وساهور يُسَل ويُغمد

وزعم أهل الكتاب أن الساهور غلاف القمر يدخل فيه إذا انكسف وقوله فى الشمس

ليست بطالعة لهم فى رسلها ... إلا معـــــــذبة وإلا تجلد

وكان يسمى السموات صاقورة وحاقورة وعلماؤنا لا يرون شعره حجة على الكتاب ولما حضرته الوفاة قال

كل عيش وإن تطاول يوماً ... صائر مرة إلى أن يزولا(١)

ليتنى كنت قبل ماقد بدا لى ... فى رؤوس الجبال أرعى الوعولا

قال شارح ديوانه فى شرح بيت الشمس : قال أبو عمر : وقال أبو بكر الهذلى قلت

---

(١) ويروى :

كل عيش وإن تطاول دهرا ... منتهى أمره إلى أن يزولا

لعكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما أرأيت مابلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لأمية بن أبي الصلت آمن شعره وكفر قلبه فقال: هوحق وما أنكرتم من ذلك قال. قلنا أنكرنا قوله

والشمس تصبح كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد
ليست بطالعة لهم في رسلها « البيت »

فما شأن الشمس تجلد . قال : والذى نفسى بيده ماطلعت الشمس حتى ينخسها سبعون ألف ملك يقال لها اطلعي فتقول لاأطلع على قوم يعبدونني من دون الله فيأتيها ملكان حتي تستقل لضياء العباد فيأتيها شيطان يريد أن يصدها عن الطلوع. فتطلع على قرنيه فيحرقه الله تحتها وما غربت قط إلاخرت لله ساجدة فيأتيها شيطان. يريد أن يصدها عن سجودها فتغرب على قرنيه فيحرقه الله تحتها فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم « تطلع بين قرني شيطان وتغرب بين قرني شيطان »

وفى الأغاني عن الزبير بن بكار قال : حدثني عمي قال : كان أمية فى الجاهلية نظر الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبدا وكان ممن ذكر ابراهيم واسمعيل والحنيفية وحرم الخمر وتجنب الأوثان وصام والتمس الدين طمعا فى النبوة لانه كان قد قرأ فى الكتب أن نبيا يبعث فى الحجاز من العرب وكان يرجو أن يكون هو فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكان يحرض قريشا بعد وقعة بدر ويرثى من قتل فيها ، فمن ذلك قصيدته الحائية التى نهى النبي صلى الله عليه سلم عن روايتها التي يقول فيها :

ماذا ببدر والعقنقل من مرازبة جحاجح

لان رؤس من قتل بها عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس وهما ابنا خاله لان أمه رقية بنت عبد شمس

وفى الاصابة ذكر صاحب المرآة فى ترجمته عن ابن هشام قال: كان أمية آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم فقدم الحجاز ليأخذ ماله من الطائف ويهاجر فلما نزل بدرا قيل له الى أين ياأبا عثمان فقال أريد أن أتبع محمدا فقيل له هل تدرى مافى هذا القليب قال. لاقال : فيه شيبة وربيعة وفلان وفلان فجدع أنف ناقته وشق ثوبه وبكى وذهب إلى الطائف فمات بها، ذكر ذلك فى حوادث السنة الثامنة ، والمعروف أنه مات فى التاسعة

ولم يختلف أصحاب الأخبار أنه مات كافرا وصح أنه عاش حتى رثى أهل بدر وقيل : إنه الذى نزل فيه قوله تعالى : « الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » وقيل : انه مات سنة تسع من الهجرة فى الطائف كافرا قبل أن يسلم الثقفيون

ورأيت فى ديوانه قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم أولها :

لك الحمـد والمنُّ ربَّ العبا　　د أنت المليك وأنت الحَكَمْ

الى أن قال :

ودن دين ربك حتى التقىّ　　واجتنبن الهوى والضَّجم
محمـد ارسـلـه بالهدى　　فعـاش غنيـاً ولم يهتضم
عطاء من الله أعطيته　　وخص به الله أهل الحَرَم
وقد علموا أنه خيرهم　　وفى بيتهم ذى الندى والكرم
يعيبون ما قال لما دَعا　　وقد فرج الله إحدى البهم
به وهو يدعو بصدق الحديث　　إلى الله من قبل زيغ القدم
أطيعوا الرسول عباد الأله　　تنجون من شر يوم ألم
تُنجوَّن من ظلمات العذاب　　ومن حر نار على من ظلم
دعانا النبى به خاتم　　فمن لم يجبه أَسرَّ الندم
نبى هدى صادق طيب　　رحيم رؤوف بوصل الرَّحم
به ختم الله من قبـله　　ومن بعـده من نبى ختم
يموت كما مات من قد مضى　　يرد إلى الله بارى النسم
مع الأنبيا فى جنان الخلود　　همُ أهلها غير حل القسم
وقدس فينا بحب الصلاة　　جميعاوعـلم خط القلم
كتابا من الله نقرا به　　فمن يعتديه فقَدْ ما أثم

مازائدة وأثم فعل ماض *

﴿ تتمة ﴾ تتبعت من اسمه أمية فوجدتهم خمسة أحدهم هذا والثانى أمية بن كعب المحاربى ، والثالث أمية بن خلف الخزاعى ، والرابع أمية بن أبى عائذ الهذلى ، والخامس

أمية بن الاسكر الكنانى ، ولم يذكر واحدا منهم الآمدى فى كتابه المؤتلف والمختلف مع أن هذا من شرط كتابه . ونترجم إن شاء الله من هؤلاء من يأتى له شعر فى هذه الشواهد بعون الله تعالى وحسن توفيقه

﴿ وأنشد بعده ﴾

يفوقان مرداسَ فى مجمع

تقدم الكلام عليه مستوفى فى الشاهد السابع عشر

﴿ وأنشد بعده وهو الشاهد السابع والثلاثون ﴾

٣٧ كم دون مية من خرق ومن عَلَمٍ كأنه لامع عريانُ مسلوب

على أن عريان جاء فى ضرورة الشعر ممنوع الصرف تشبيها بباب سكران

قد تقدم فى الشاهد السابع عشر أن الكوفيين يجيزون ترك الصرف للضرورة فى الأعلام وغيرها ومن جملة شواهدهم « والسيف عريان أحمر » وتقدم ، وكم هنا للتكثير ودون بمعنى قدام ، ومية اسم محبوبة ذى الرمة ولقبها الخرقاء كما تقدم بيانه فى الشاهد الثامن ، وفى أكثر نسخ هذا الشرح بيشة بدل مية ، وهو موضع باليمن وهو مأسدة . وفى كتاب النبات للدينورى : بيشة واد عظيم من أودية نجد - وهو تحريف من الكتاب . والخرق - بفتح المعجمة وسكون الراء المهملة وبالقاف - هو الأرض الواسعة التى تنخرق فيها الرياح والعلم الجبل والمنار الذى يهتدى به فى الطرق ، وجملة كأنه صفة للعلم ، والرابط ضمير كأنه شبهه برجل عريان سلب ثوبه فهو يشير الى القوم واللامع من لمع الرجل بيده إذا أشار والموصوف محذوف أى رجل لامع

وهذا البيت من أبيات عشرة لذى الرمة وقبل هذا البيت :

هيهات خرقاء إلا أن يقربها ذو العرش والشَّعْشَعانات الهَرَاجيب

يستبعد الوصول إليها لبعد ما بينهما إلا أن يقربها الله اليه والجمال والشعشعانات الناقة الخفيفة الطويلة ، والهراجيب جمع هرجاب وهى الناقة الطويلة الضخمة

ثم بعد أن وصف الناقة فى أبيات ثلاثة قال -

كم دون مية من خرق ومن علم « البيت »

وبعده :

ومن مُلَمّعةٍ غبراء مظلمة ترابها بالشِّعاف الغبر معصوب

هذا معطوف على قوله « من خرق ومن علم » والملمعة اسم فاعل وهى الفلاة التى يلمع فيها السراب ويقال لها اللماعة أيضا ،قال ابن احمر :

كم دون ليلى من تنوفية لماعة يُنذر فيها النذر

والسراب يقال له يلمع و يشبه به الكذوب والشعاف رءوس الجبال والمعصوب الملفوف عليه كالعصابة وبعده وهو آخر الأبيات

كأن حرباءها في كل هاجرة ذو شيبة من رجال الهند مصلوب

الهاجرة نصف النهار عند اشتداد الحر ، والحرباء دويبة تستقبل الشمس على أغصان الشجر وتدور معها كيف دارت ويتلون ألوانا بحر الشمس ويخضر كأنه شيخ هندى مصلوب على عود

و ترجمة ذى الرمه تقدمت فى الشاهد الثامن

(وأنشد بعده وهو الشاهد الثامن والثلاثون وهو من شواهد سيبويه)

٣٨ أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العِمَامة تعرفونى

على أن جلا غير منصرف عند عيسى بن عمر لأنه منقول من الفعل ولم يشترط غلبة الوزن بالفعل ، وأجاب عنه الشارح المحقق تبعا لغيره بوجهين

الاول وهو جواب سيبويه : ان العلم أنما هو الفعل مع ضميره المستتر ، فهو جملة محكية وليس العلم هو الفعل بدون ضميره ويرد عليه أن جلا ليس اسما لابى الشاعر ولا لقباله كما يعلم من ترجمته الآتية ، وانما ابن جلا فى اللغة المنكشف الامر كما قاله المبرد فى الكامل . وقال القالى فى أماليه : يقال هو ابن جلا أى المنكشف المشهور الامر وأنشد الاصمعى

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا الخ

قال : وابن أجلى مثله وأنشد للعجاج

لاقوا به الحجاج والأصحارا به ابن أجلى وَافق الأسفار

قال ولم أسمع بابن أجلى ألا فى بيت العجاج وقوله «لاقوابه» أى بذلك المكان وقوله والاصحارا أى وجدوا به ابن اجلى، كما تقول لقيت به الاسد أى كأنى لقيت بلقائى وقوله وافق الأسفار أى واضحا مثل الصبح، وقال ابن الاثير فى المرصع: ابن جلا وابن أجلى هو الرجل المعروف المشهور والامر الواضح المكشوف، وزعم بعضهم أن ابن جلا اسم رجل كان فاتكا صاحب غارات مشهورا بذلك وأنشد هذا البيت. وقوله بعد هذا «وهو فى الاصل فعل ماض سمى به وانما لم يصرف لانه أراد به الحكاية» فاسد لانه رك‍ب من القولين قولا. وقال البلوى فى كتاب الف باء: ابن جلا وابن أجلى هما بمعنى التجلى والأمر المنكشف وهو أول النهار. وقال صاحب القاموس: وابن جلا الواضح الأمر كابن أجلى وقال ابن الانبارى والقالى - فى المقصور والممدود لهما - : وقولهم أنا ابن جلا أنا ابن البارز الامر انا ابن من لا ينكر فهذا كله يدل على عدم اختصاصه بأحد بل يجوز لكل احد ان يقول للتمدح انا ابن جلا كما قال اللعين المنقرى يهجو رؤبة بن العجاج:

انى أنا ابن جلا إن كنت تعرفنى ... يارؤب والحية الصماء والجبل

أبا لأراجيز يا ابن اللؤم توعدنى ... وفي الاراجيز خلت اللؤم والفشل

وهذا البيت ينشده النحويون.

وفي الاراجيز خلت اللؤم والخور

والصواب ماذكرناه فان القصيدة لامية إلا أن يكون من قصيدة أخرى رائية. وقال الآخر

أنا القُلاخ بن جَنَاب بن جلا (١)

قال العسكرى فى التصحيف جناب جد القلاخ انتسب اليه وابن جلا ليس بجد إنما أراد انا ابن الامر المكشوف مثل قول سحيم

---

(١) هو صدر بيت، وعجزه:

أبو خناثير أقود الجملا

ونسبه صاحب القاموس للقلاخ السعدى.

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا   انتهى

الثانى وهو جواب الزمخشرى فى المفصل : ان جلا ليس بعلم وانما هو فعل ماض مع ضميره صفة لموصوف محذوف ، وبهذا الوجه أورده الشارح فى باب النعت . وفى باب افعال المدح والذم ايضا وضعفه فى الابواب الثلاثة بأن الجملة اذا كانت صفة لمحذوف فشرط موصوفها ان يكون بعضا من متقدم مجرور بمن أو فى كما بين

ويبقى وجه ثالث ذكره ابن الحاجب فى أماليه وهو أن يكون جلا اسما لا فعلا وان يكون بتقدير ذى أى أنا ابن ذى جلا والجلا هو انحسار الشعر عن مقدم الرأس

(أقول) فى القاموس وغيره الجلا بالقصر انحسار مقدم الرأس من الشعر أو نصف الرأس أو هو دون الصلع جلى كرضي جلا انتهى ، وفى المقصور والممدود لابن الانبارى والقالى الجلا انحسار الشعر من مقدم الرأس من جانبى الجبهة مقصور يكتب بالألف لانه يقال رجل أجلى وامرأة جلواء . وعلى هذا الوجه لا يحتاج الى تقدير ذى فانه يقال : فلان ابن كذا بمعنى أنه ملازم له . كما يقال : أخو حروب ، والصلع ونحوه مخايل الشجاعة وأماراتها . وقيل : من دلائل الكرم لان العرب تقول : الذى ولد أصلع يكون كريما بحسب الغالب . والمراد من وضع العمامة إزالتها عن الرأس ، إما لان الذى يعرفه انما رآه مكشوف الرأس فى الحروب لكثرة مباشرته إياها ، فاذا رأى العمامة جهله ، وإما لان الذى يعرفه إنما رآه لابسا آلات الحرب وعلى رأسه البيضة لكثرة حروبه فينحي عمامته ويلبس البيضة . وهذا محصل كلام ابن الحاجب فى أماليه وعبارته : قوله « متى أضع العمامة تعرفونى » الخ إما أن يريد كثرة مباشرته الحروب فلا يراه الاكثر إلا بغير عمامة ، فقال : متى أضع العمامة يعرفنى الذى ما رآنى الا غير متعمم . أو يريد إننى بكثرة مباشرتى الحروب ولباسى بيضة الحرب فمتي أضع العمامة وألبس آلة الحرب يعرفونى يعني اذا حاربت عرفت باقدامى وشجاعتى انتهى . والوجه هو الأول ، وقد لحظه ضياء الدين موسى بن ملهم الكاتب ، فأخذه وضمنه ببعض تغيير فى الرشيد عمر الغوى ، وكان به داء الثعلب وهو من نوادر ماقيل فى أقرع وقال :

عجبت لمعشر غلطوا وغضوا   من الشيخ الرشيد وأنكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا   متى يضع العمامة يعرفوه

وقال أبو العباس أحمد اللخمى المالكى وتوفى فى سنة ثلاث وستمائة :

يُسَرّ بالعيد أقوام لهم سعة من الثراء وأما المقترون فلا
هل سرنى وثيابى فيه قوم سبا أو راقنى وعلى رأسى به ابن جلا

يعنى بقوم سبا قوله تعالى « مزقناهم كل ممزق » وابن جلا ماله عمامة . وقال ثعلب فى أماليه فى الكلام على هذا البيت : والعمامة تلبس فى الحروب ، وتوضع فى السلم . وهذا خلاف الواقع وضد معنى البيت ، وقال الكرمانى شارح شواهد الموشح شرح الكافية الحاجبية للخبيصى : قوله متى أضع العمامة يحتمل معنيين بحسب اختلاف التقدير (الأول) أن يقدر على فيكون التقدير متى أضع العمامة على رأسى تعرفونى انى أهل للسيادة والامارة (والثانى) أن يقدر عن أى متى أضع العمامة عن رأسى تعرفوا شجاعتى بواسطة صلع رأسى لأنه أحد مخايل الشجاعة هذا كلامه ، ولم يتعرض لمعنى وضع العمامة العينى ولا السيوطى ولا صاحب المعاهد فى شروح شواهدهم . وطلاع مبالغة طالع يقال طلعت الجبل طلوعا أى علوته يتعدى بنفسه وطلعت فيه رقيته قال ثعلب فى أماليه من رفع طلاع (١) الثنايا جمع ثنية قال المبرد فى الكامل هى الطريق فى الجبل والطريق فى الرمل. وانما أراد أنه جلد يطلع الثنايا فى ارتفاعها وصعوبتها قال دريد بن الصمة يعنى عبد الله أخاه.

كميش الإزار خارج نصف ساقه بعيد من السوآت طلاع أنجدِ

والنجد ما ارتفع من الأرض. وقال ابن قتيبة فى أبيات المعانى : قوله طلاع الثنا أى يطلع على الثنايا وهى ماعلا من الأرض وغلظ ومثله قولهم «طلاع أنجد » وقال العينى: والثنايا جمع ثنية وهى السن المشهورة . وهذا غير لائق به . وهذا البيت مطلع قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحى ، وليس هو للعرجى كما توهمه التفتازانى فى المطول وبعده

وإن مكاننا من حميرىّ مكان الليث من وسط العرين
وانى لن يعود الىّ قرنى غداة الغِب الاّ فى قرين
بذى لِبَد يصد الركب عنه ولا تؤتى فريسته لحين
عذرت البزل إذ هى خاطرتنى فما بالى وبال ابنى لَبون

(١) كذا بالأصل وفيه نقص

وماذا يبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربعين
أخو خمسين مجتمع أشدي ونجذني مداورة الشؤون
فان علالتي وجراء حولي لذو شق على الضرع الظنون
كريم الخال من سلفي رياح كنصل السيف وضاح الجبين
متى أحلل الى قطن وزيد وسلمى تكثر الاصوات دوني
وهمام متى أحلل اليه محل الليث في عيص أمين
ألف الجانبين به أسود منطقة باصلاب الجفون
وان قناتنا مشظ شظاها شديد مدها عنق القرين

روى صاحب المعاهد وغيره أن السبب في هذه الابيات أن رجلا أتى الابيرد الرياحي وابن عمه الأحوص وهما من ردف الملوك من بني رياح يطلب منهما هناء لابله أي قطرانا فقالا له: إذا أنت أبلغت سحيم بن وثيل الرياحي هذا الشعر أعطيناك، فقال قولا فقالا اذهب وقل له:

فان بداهتي وجراء حولي لذو شق على الحطم الحرون

فلما أتاه وأنشده الشعر أخذ حصا وانحدر في الوادي يقبل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر ثم قال اذهب وقل لهما وأنشد هذه الأبيات قال فأتياه واعتذرا له فقال ان أحدكما ليرى انه صنع شيئا حتى يقيس شعره بشعرنا وحسبه بحسبنا ويستطيف بنا استطافة البعير الازب انتهى

وفي العمدة لابن رشيق، أن الأحوص والأبيرد ابني المعذر وهما شاعران مفلقان وقال عبد الكريم الأبيرد ابن أخي الأحوص انتهى

والردف بضمتين جمع ردف بكسر فسكون والردف هو الذي يجلس على يمين الملك فاذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس، واذا غزا الملك قعد الردف في موضعه وكان خليفته على الناس حتى ينصرف وإذا عادت كتيبة الملك أخذ الردف ربع الغنيمة والبداهة بضم الموحدة أول جرى الفرس والجراء بكسر الجيم مصدر جاراه مجاراة وجراء أي جرى معه والحول العام والشق بالكسر المشقة والحطم بفتح الحاء وكسر الطاء المهملتين الفرس الهرم، قال في

الصحاح الحطم المتكسر فى نفسه ، ويقال للفرس إذا تهدم لطول عمره حطم ويقال حطمت الدابة بالكسر اذا أسنت ، وحطمته السن بالفتح حطما ، والحرون الفرس الذى لا يقاد واذا اشتد به الجرى وقف . وهذا البيت تعريض لسحيم بأنه لا يبلغ غايتهما لكبره وعجزه . والأزب بالزاى المعجمة . والزبب هو طول الشعر ، ويقال : بعير أزب ، ولا يكاد يكون الأزب إلا نفوراً لانه ينبت على حاجبيه شعرات فاذا ضربته الريح نفر . وقول سحيم « وإن مكاننا من حميرى » يأتى فى نسبه أن حميريا أحد أجداده . والليث الأسد . والعرين بفتح المهملة الأجمة والغابة وفيها يكون مأوى الأسد ، يريد أنه فى بحبوحة النسب الى حميرى لا فى أطرافه . والقرن بكسر القاف الكفء فى الشجاعة ، وقيل عام . والغب بالكسر ورود الابل الماء فى اليوم الثانى ، وغداة الغب اليوم الذى يسوقون إبلهم فيه . والقرين المقارن والمصاحب ، وفى بمعنى مع . وقوله « بذى لبد » بدل من قوله فى قرين . وفاعل يصد ضمير ذى لبد ، وضمير عنه وفريسته للقرن وذو اللبد هو الأسد بكسر اللام وفتح الباء جمع لبدة كقرب جمع قربة واللبدة هى الشعر المتلبد بين كتفى الاسد والقرينة النفس يقول إن قرنى لا يقدر أن يقابلنى من خوفه إلا مع رفيق كالأسد يقدر أن يدفع ركباعنه حتى تسلم نفسه منى لحين من الاحيان. وقوله « عذرت البزل الخ » هو جمع بازل وهو البعير المسن . وخاطرتنى راهنتنى من الخطر بالتحريك وهو الشيء الذى يتراهن عليه وقد أخطر المال جعله خطرا بين المتراهنين وخاطره على كذا راهنه . وابن اللبون ولد الناقة إذا استكمل السنة الثانية ودخل فى الثالثة يقول : اذا راهننى الشيوخ على شيء عذرتهم لأنهم أقرانى وأما الشبان فلا مناسبة بينى وبينهم ، وأراد بابنى لبون الأبيرد وابن عمه فانهما طلبا مجاراته فى الشعر وقوله « وماذا يبتغى الشعراء منى الخ » رواه الجوهرى « وماذا يدرى الشعراء » قال : ادراه افتعله بمعنى ختله من درى الصيد اذا ختله ، واستشهد النحاة بهذا البيت على كسر نون الجمع . وقوله أخو خمسين أي أنا أخو خمسين سنة ؛ واجتماع الأشد عبارة عن كمال القوى فى البدن والعقل ، وقال صاحب العباب والرجـــل المجتمع الذى بلغ أشده ، واستوت لحيته ، ولا يقال ذلك للنساء ، وأنشد هذا البيت لسحيم وفيه نظر . وقوله « ونجذنى » بالذال المعجمة أي هذبنى قال فى الصحاح : ورجل منجذ أى مجرب أحكمته الأمور وهو من الناجذ وهو آخر الأضراس ويسمى ضرس الحلم بكسر الحاء لانه

ينبت بعد البلوغ وكمال العقل والمداورة مفاعلة من دار يدور بمعنى المعالجة والمزاولة والشؤون الأمور والأحوال جمع شأن . وقوله «فان علالتى الخ» : العلالة بضم العين المهملة بقية جرى الفرس والضرع بفتح الضاد المعجمة والراء المهملة الضعيف وفى القاموس وضرع ككرم ضعف فهو ضرع محركة من قوم ضرع محركة أيضا . ومهر ضرع محركة لم يقو على العدو . والظنون بالمعجمة كصبور الرجل الضعيف والقليل الحيلة، وهذا تعريض بأن فيهما ضعفا لا يقدر ان على مجاراته وان كان شيخا وقوله «كريم الخال» أى أنا كريم الخال ورياح بكسر الراء المهملة وبالمثناة التحتية هو ابن يربوع أبو قبيلة سحيم . وأحلل أنزل. وقطن وزيدهما خالاه . وسلمى خالته . وكثرة أصواتهم للترحيب والتهنئة . وهمام هو عمه . والعيص بكسر العين وبالصاد المهملتين الشجر الكثير الملتف . وبين بهذين البيتين سلفيه من رياح . والألف الموضع الملتف الكثير الأهل . والمنطقة المحزمة بالمنطقة وهى الحزام يقال : انتطق الرجل وتنطق شد وسطه بالمنطقة كمكنسة وهى ما ينتطق به . والجفون جمع جفن بالفتح وهو قراب السيف ، وأراد بالجفون السيوف وبالاصلاب سيورها . وقوله «وان قناتنا مشظ الخ» مشظ بفتح الميم وكسر الشين المعجمة وإعجام الظاء هو الذى يدخل فى اليد من الشوك إذا مس يقال مشظ من باب فرح مس الشوك أو الجذع فدخل فى يده منه شىء . والشظى بفتح الشين والظاء المعجمتين بمعنى الشظية وهى الفلقة والقطعة من الشىء والشديد من الشدة ومدها فاعل شديد . وعنق القرين منصوب بمدها . والقرين القرن المقام والبيت على طريق التشبيه يقول من تعرض لنا بسوء ناله مكروه يتأذى به كالذى يمس جلده قناة مشظة فتدخل فى جلده من شظاها وهى مع ذاك صلبة من قرن بها مدت عنقه اليها و لم تنثن اليه كذا فى شرح أبيات الاصلاح لابن السيرافى

* وسحيم مصغر أسحم تصغير ترخيم من السحمة — بالضم — وهى السواد . ابن وثيل — بفتح الواو وكسر الثاء المثلثة — وهو فى اللغة كما فى القاموس : الليف والرشاء الضعيف والحبل من القنب والضعيف . وفى الاصابة لابن حجر وتبعه السيوطى فى شواهد المغنى . أنه بالتصغير وهو غير منقول — ابن أعيفر — مصغر أعفر بالعين المهملة والفاء وهو الرمل الأحمر والأبيض وليس بالشديد البياض ، وأعيفر بن أبى عمرو ابن إهاب — بكسر الهمزة — ابن حميرى بلفظ النسبة إلى حمير وهو أبو قبيلة من اليمن وهو

حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان قال ابن الكلبي في جمهرة الأنساب : حميرى بن رياح يقال فيه : حمرى أيضاأى بفتح الحاء وتشديد الميم ، و زعم الدمامينى فى الحاشية الهندية أن الياء فى حميرى زائدة أو للنسبةبتقدير من نسب حميرى : وهذا من عدم اطلاعه على نسب الشاعر . وتقدم فى شرح أول بيت من الشواهدان حميريا أحد آباء ذى الخرق الطهوى أيضا. وحميرى بن رياح وتقدم ضبطه ، و رياح بن يربوع إثنان (أحدهما) يربوع أبو حى من تميم وهو يربوع بن حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم ابن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . (والثانى) أبو بطن من مرة وهو يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث ابن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار . و سحيم بن وثيل يتصل نسبه بيربوع بن حنظلة كما قال ابن الكلبي فى الجمهرة فمن بني حميرى بن رياح بن يربوع بن حنظلة سحيم بن وثيل بن عمرو بن جوين بن أهيب بن حميرى الشاعر القائل :

« أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... البيت »

و هو الذى نافر غالبا أبا الفرزدق فى الاسلام انتهى .

وليس فى آباء سحيم من اسمه جلا، وسحيم شاعر معروف فى الجاهلية والاسلام عده الجمحى فى الطبقة الثانية من شعراء الاسلام وقال سحيم بن وثيل شاعر خنذيذ شريف مشهور الذكر فى الجاهلية والاسلام جيد الموضع فى قومه

وقال ابن دريد : عاش سحيم فى الجاهلية أربعين سنة ، وفى الاسلام ستين سنة فهو من الشعراء المخضرمين وله أخبار مع زياد بن أبيه ، وهو الذى افتخر مع غالب بن صعصعة والد الفرزدق فى نحر الابل فبلغ عليا رضى الله عنه فافتي بحرمة مانحره سحيم . . وسيأتى إن شاء الله تعالى هذه القصة مشروحة فى باب الاشتغال فى قول جرير :

تَعُدون عَقْر النيب أفضل مجدكم بنى ضَوْطَرى لولا الكَمِىَّ المقنعا

وله سميان من الشعراء (أحدهما) سحيم بن الاعرف وهو من بنى الهجيم ، وكان فى الدولة الأموية ولم يذكر ابن قتيبة فى طبقات الشعراء غير هذا وأورد طرفا من شعره (والثانى) سحيم عبد بنى الحسحاس وكان عبدا حبشيا وهو صاحب القصيدة التي أولها :

عميرة ودع إن تجهزت غاديا كفى الشيبُ والإسلام للمرء ناهيا

وهو من شواهد مغنى اللبيب وسنذكر إن شاء الله ترجمته بتوفيق الله تعالى ، ولم يذكر الآمدى فى الشاهد الثانى والتسعين فى كتابه المؤتلف والمختلف واحدا من هؤلاء الثلاثة مع أنه من شرط كتابه . وقد حصل اللبس للعينى فى باب المعرب والمبنى من اتفاق أسماء هؤلاء فزعم أن الأول هو الثالث فقال سحيم بن وثيل الرياحى كان عبدا حبشيا وكان عبد بنى الحسحاس : هذا فيما قاله الجوهرى انتهى — مع أن الجوهرى لم يذكر لفظ سحيم فى صحاحه — وأغرب من هذا كله انه أورد أبياتا قبل بيت «أنا ابن جلا» ، وأكثرها من قصيدة المثقب العبدى التى أولها:

أفاطم قبـل بينك متعينى ومنعك ما سألت كأن تبينى

وفيها بيت لعلى بن بدال من بنى سليم وهو:

فلو أنا على حجر ذبحنـا جرَى الدميـان بالخبر اليقين

وهذا ثالث أبيات ثلاثة يأتى شرحها إن شاء الله فى باب المثنى ، وفيها ثلاثة أبيات لسحيم بن وثيل من الابيات التى شرحناها وهى قوله «أنا ابن جلا» البيت

والثانى

وماذا يبتغى الشعراء منى البيت

والثالث

«أخو خمسين مجتمع أشدى... البيت»

فما أورده مجموع من شعر شعراء ثلاثة وقال فى باب مالا ينصرف عند شرح بيت أنا ابن جلا : قائله سحيم بن وثيل الرياحى وقيل المثقب العبدى وقيل أبو زبيد وقيل انه من قصيدة سحيم التى أولها

أفاطم قبل بينك متعينى

(تتمة) * المخضرم — بالخاء والضاد المعجمتين — على صيغة اسم المفعول ونقل السيوطى فى شرح تقريب النووى عن بعض أهل اللغة كسر الراء أيضاً قال صاحب القاموس : هو الماضى نصف عمره فى الجاهلية ونصفه فى الاسلام ، وقيل من أدركهما ، وهذان القولان يعمان الشاعر الذى أدركهما . وهذا هو المشهور وعليه اقتصر صاحب الصحاح ، ثم توسع حتى أطلق على من ادرك دولتين كرؤبة بن العجاج وحماد عجرد فانهما ادركا دولة بنى أمية ودولة بنى العباس . وقال السيوطى فى شرح التقريب: المخضرم

فى اصطلاح أهل الحديث هو الذى أدرك الجاهلية وزمن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره وفى اصطلاح أهل اللغة هو الذى عاش نصف عمره فى الجاهلية ونصفه فى الاسلام سواء أدرك الصحبة أم لا، فبين الاصطلاحين عموم وخصوص من وجه. فحكيم بن حزام مخضرم باصطلاح اللغة لا الحديث، وبشر بن عمرو مخضرم باصطلاح الحديث لا اللغة انتهى — وفى تعريفه اصطلاح اللغة نظروتأمل — ثم قال: والمراد بادراك الجاهلية ماقبل البعثة كما قال النووى فى شرح مسلم. قال العراقى وفيه نظر والظاهر إدراك قومه أو غيرهم على الكفر قبل فتح مكة فان العرب بعده بادروا إلى الاسلام وزال أمر الجاهلية وخطب صلى الله عليه وسلم فى الفتح بابطال أمرها، وقد ذكر مسلم فى المخضرمين بشير بن عمرو وانما ولد بعد الهجرة؛ قال ابن رشيق فى العمدة: قال أبو الحسن الأخفش: ماء خضرم — كزبرج — إذا تناهى فى الكثرة والسعة فمنه سمى الرجل الذى شهد الجاهلية والأسلام مخضرماً كأنه استوفى الأمرين قال: ويقال أذن مخضرمة اذا كانت مقطوعة فكأنه انقطع عن الجاهلية إلى الاسلام: وحكى ابن قتيبة عن عبد الرحمن عن عمه قال أسلم قوم فى الجاهلية على إبل قطعوا آذانها فسمى كل من أدرك الجاهلية والاسلام مخضرما. وزعم أنه لايكون مخضرما حتى يكون إسلامه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم، وهذا عندى خطأ لان النابغةالجعدىولبيداً قد وقع عليهما هذا الاسم. وحكى على بن الحسن كراع يقال: شاعر محضرم — بحاء غير معجمة — مأخوذ من الحضرمقوهي الخلط لانه خلط الجاهلية والاسلام. وحكى ابن خلكان مع الحاء المهملة كسر الراء أيضا.

واعلم أن الشعراء أربع طبقات: الأولى جاهلى قديم، الثانية المخضرم، الثالثة إسلامى، الرابعة محدث وهم أربعة أقسام شاعر: خنذيذ — بالخاء والنون والذالين المعجمات على وزن ابريق — وهو الذى يجمع إلى جيد شعره رواية الجيد من شعر غيره: وشاعر مفلق وهو الذىلارواية له إلا أنه مجودكالخنذيذفىشعره، والمفلق معناه الذى يأتى فى شعره بالفلق — بالكسر — وهو العجبوقيل: هواسم الداهية: وشاعر فقط وهو الذى فوقالردىءبدرجة: وشعرور وهو لاشىء.وقيلبلهم: شاعرمفلقوشاعر مطلق وشويعر وشعرور، وسمى الشاعر شاعراً لانه يشعر لما لايشعرله غيره فاذا لم يكن عند الشاعرتوليد معنىواختراعه واستطراف لفظ وابتداعه أو زيادة فيماأجحف به غيره من المعانى أونقص مما أطاله سواء من الالفاظ وصرف معنى الى وجه آخر كان اسم الشاعر عليه مجازا لاحقيقة

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون)

٣٩ نبئْتُ أخوالي بني يزيدُ ظلما علينا لهم فديد

على أن يزيد علم محكي لكونه سمي بالفعل مع ضميره المستتر من قولك المال يزيد ، ولو كان من قولك يزيد المال لوجب منعه من الصرف ، وكان هنا مجرورا بالفتحة ونبئت مجهول نبأ بالتشديد من النبأ وهو الخبر ، وقال الراغب : النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم او غلبة ظن ولا يقال للخبر فى الاصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة وحقه أن يتعرى عن الكذب كالتواتر وخبر الله وخبر الرسول . ولتضمن النبأ معنى الخبر يقال أنبأته بكذا أخبرته به ، ولتضمنه معنى العلم قيل أنبأته كذا كقولك علمته كذا . قال السمين أنبأ ونبأ وأخبر وخبر متى تضمنت معنى أعلم تعدت لثلاثة مفاعيل وهو نهاية التعدى ، وأما أعلمته بكذا فلتضمنه معنى الاحاطة قيل ونبأته أبلغ من أنبأته ولذلك قال تعالى : « من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير » ولم يقل أنباني لانه من قبل الله تعالى ، والمفعول الأول هنا ضمير المتكلم فى نبئت والثانى أخوالى والثالث جملة لهم فديد ، وأصل المفعولين الأخيرين المبتدأ والخبر . والفديد الصوت وهو مصدر فد يفد بالكسر أى ان اصواتهم تعلو علينا ولا يوقروننا فى الخطاب ، ورجل فداد بالتشديد شديد الصوت وفى الحديث « إن الجفاء والقسوة فى الفدادين » وهم الذين تعلو أصواتهم فى حروثهم ومواشيهم . وبنى يزيد وهم تجار كانوا بمكة حرسها الله تعالى وإليهم تنسب البرود اليزيدية كما يأتى آنفا نعت لاخوالى أو بيان له أو بدل منه

وقال ابن الحاجب فى الايضاح : لايحسن أن يكون بدلا لان البدل هو المقصود بالذكر ولو جعلته بدلا لاحتاج إلى موصوف مقدر وهم الاخوال أو ما يقوم مقامهم ولا حاجة إلى هذا التقدير مع الاستغناء عنه فيتعين أن يكون صفة وقد يجوز البدل على قبحه انتهى ، وفيه نظر فانه على تقدير كونه بدلا لايحتاج إلى موصوف مقدر فانه مذكور وهو أخوالى وليس معني الابدال أن يكون المبدل منه لغوا ساقطا عن الاعتبار كيف وقد يعود الضمير عليه فى نحو قطع زيد أصبعه فلو كان فى حكم الساقط بالكلية لجهل مرجع الضمير ، ولم يقل أحد إنه راجع إلى زيد مقدر مع وجوده وإنما المقصود بالذكر فى بدل الكل المبدل منه والبدل جميعا كما حققه الشارح المحقق ويؤيده أنهم جعلوا الجن

بدلا من شركاء فى قوله تعالى « وجعلوا لله شركاء الجن » فلولا اعتبارهما ما كان معنى لقولنا : وجعلوا لله الجن وقد تبع ابن الحاجب الزمخشرى فى هذا فانه منع فى كشافه أن يكون « أن اعبدوا الله » بدلا من ضميربه من قوله تعالى « ماقلت لهم الا ماأمرتنى به أن اعبدوا الله » ظنا منه أن المبدل منه فى قوة الساقط فتبقى الصلة بلا عائد ، ووهمه صاحب المغنى بأن العائد موجود حسا فلا مانع ، وقد نقض ابن الحاجب ماعده قبيحا هنا بقوله فى أماليه: والأحسن أن يكون بنى يزيد بدلا من أخوالى لان البدل انما يكون بالاسماء الموضوعة للذوات بخلاف ابن فانه موضوع لذات باعتبار معنى هو المقصود وهو البنوة ، قال الشارح المحقق :الاغلب فى البدل أن يكون جامدا بحيث لو حذف الاول لاستقل الثانى ولم يحتج الى متبوع قبله فى المعنى انتهى

ولا يجوز أن يكون بنى يزيد المفعول الثالث لانه لم يرد الاخبار عن أخواله بانهم بنو يزيد ولان قوله لهم فديد يبقى غير مرتبط بما قبله وقوله ظلما عندى أنه تمييز محول عن المفعول أى نبئت ظلم اخوالى وقال ابن الحاجب فى الايضاح واختاره ابن هشام فى شواهده : وقد أجيز أن يكون ظلما مفعولا ثالثا يعنى ظالمين أو ذوى ظلم ويكون مابعده كالتفسير له ولا يخفى مافى هذا وقال فى أماليه: لايجوز أن يكون حالا أى بالتأويل المذكور من اخوالى لان المبتدأ لايتقيد ولا من ضمير لهم لانها لاتتقدم على عاملها المعنوى ، وفيه أنه حال من المفعول لامن المبتدأ لانه انفسخ حكمه

وقوله ولان المبتدأ لايتقيد فيه مسامحة ، لان الحال انما هى قيد فى عاملها لافى صاحبها ولما كان العامل فى المبتدأ الابتداء وهو ليس معنى فعليا ليصح تقييده امتنع مجيء الحال منه لذلك ، ومن جوزه كسيبويه لم يلتزم اتحاد العامل فيهما فجوز أن يكون العامل فى المبتدأ الابتداء وفى الحال منه الانتساب واعترض بأن الانتساب عامل ضعيف لا يتحقق الا بتقدم الطرفين عليه وأجيب بأن قوة طلب المبتدا للخبر جعلته فى حكم المتقدم ولا يجوز أيضا أن يكون مفعولا لاجله كما اختاره العينى سواء كان علة لنبئت لانه لم ينبأ لاجل ظلمهم أو للاستقرار لانه تقدم على عامله المعنوى أو للفديد لانه يلزم تقدم معمول المصدر عليه وقيل تمييز من لهم فديد أى يصيحون ظلما لاعدلا وفيه أن التمييز لايتقدم على عامله وقيل هو مفعول مطلق عامله من لفظه محذوفا

وقال العيني: ويجوز أن يكون حالا بتقدير جملة أى فى حال كونهم يظلمون علينا ظلما فحذفت الجملة التي وقعت حالا وأقيم المصدر مقامه . ولا يخفى أن هذه الوجوه كلها ظاهر فيها التعسف

وقوله علينا أما متعلق بظلما أو بقوله لهم فديد ولا حاجة حينئذ الى تضمين الفديد معنى الجور خلافا للعيني لانه يتعدى بعلي وقوله لهم خبر مقدم لقوله فديد وهو باشباع ضمة الميم واسكانها خطأ لانه يؤدى الى جعل كل مصراع من بحر وذلك لايجوز كما بينه الدماميني فى الحاشية الهندية

واعلم أن الرواية يزيد بالمثناة التحتية ورواه ابن يعيش بالمثناة الفوقية قال ابن الحاجب فى الايضاح ومن رواه بالفوقية فقد تنطع وتبجح بانه قد علم أن فى العرب: تزيد بالتاء الفوقية واليه تنسب البرود التزيدية وهو مردود من وجهين (أحدهما) أن الرواية هنا بالتحتية (والثانى) ان تزيد بالفوقية فى كلامهم مفرد لاجملة قال :

يعثرن في حد الظبات كأنما كسيت برود بنى تزيد الأذرع

فاستعماله كالجملة خطأ انتهى

وفيما قاله أمران : (الاول) قوله واليه تنسب البرود التزيدية وإيراده البيت أعني كسيت برود بني تزيد الاذرع مأخوذ من الصحاح فانه قال فيه وتزيد أى بالمثناة الفوقية وهو تزيد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة واليه تنسب البرود التزيدية قال علقمة:

رد القيان جمال الحى فاحتملوا فكلها بالتزيديات معكوم

وهى برود فيها خطوط حمر يشبه بها طرائق الدم قال أبو ذؤيب :

يعثرن فى حد الظبات كأنما كسيت برود بنى تزيد الاذرع..انتهى

وفيه أمور:

(الاول) انه قصر فى تعديد من اسمه تزيدوهم على ماذكره العسكرى فى التصحيف ثلاثة (أحدهم) تزيد قضاعة وهو ماذكره (والثانى) تزيد الانصار وهو تزيد

ابن جشم بن الخزرج بن حارثة منهم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضى الله عنه ، (و الثالث) تزيد تنوخ كانت الترك أغارت عليهم فأفنتهم فقال عمرو ابن مالك التزيدى :

واَيلتنا بآمد لم ننمها كلياتنا بمَـيًّا فارقينا (١)

(الثانى) قوله تزيد بن حلوان — بالضم — وتبعه صاحب العباب والقاموس وغيرهما — صوابه تزيد بن حيدان نبه عليه العسكرى فى التصحيف فيما تلحن فيه الخاصة

(الثالث) قوله و إليه تنسب البرود التزيدية — صوابه الهوادج التزيدية كما قال العسكرى قال والبرود اليزيدية انما هو — بالمثناة التحتية — منسوبة الى بنى يزيد بالتحتية . و بنو يزيد تجار كانوا بمكة حرسها الله تعالى ، وهى برود حمر ،

وأما قول أبى ذؤيب

كسيت برود بنى يزيد الأذرع

فليس الا يزيد بالياء تحتها نقطتان — ومن قال فى هذا البيت بنى تزيد — بالتاء — فقد أخطأ وقد ادعى الجهمى النسابة على الأصمعى أنه صحف تزيد — بالتاء منقوطة فوقها — ولا أدرى أصدق الجهمى أم كذب : لأن الاصمعى ينكر فى تفسير أشعار هذيل من يقول تزيد بتاء منقوطة فيها . . . انتهى كلام العسكرى

و رأيت فى شرح أشعار هذيل للسكرى فى نسخة بخط أبى بكر القناوى — وقد قرأها ابن فارس على ابن العميد وعليها خطهما — قال فى تفسير هذا البيت : العامة تقول بنى تزيد — أى بنقطتين من فوق — ولم أسمعها هكذا ، ورأيت فى شرحها أيضا للامام المرزوقى فى هذا البيت . روى الاصمعى بنى يزيد — أى بالتحتية — وقال : هم تجار كانوا بمكة وروى أبو عمرو بنى تزيد — أى بالفوقية — وقال هو تزيد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة واحتج ببيت علقمة

فـكلها بالتزيديات معكوم

والظبة حد السهم والسيف ومعني البيت أن الحمر تعثر والسهام فيها وأذرعها مما

(١) مدينة بديار بكر

سالت من الدماء عليها كأنها كسيت بردا حمرا ، شبه طرائق الدم بطرائق البرد انتهى

وفى العباب للصاغانى قال ابن حبيب : تزيد — بالمثناة فوق — هو تزيد بن حلوان الى آخر ما ذكره صاحب الصحاح . وقال غير ابن حبيب يزيد — بالمثناة من تحت — وهم تجار كانوا بمكة وروى أبو عبيدة برود أبى يزيد وقال كان يبيع العصب بمكة وهو ضرب من البرود وصاحب القاموس قد أخل باختصاره حيث لم يقيد بالفوقية أو بالتحتية فانه قال : تزيد بن حلوان أبو قبيلة ومنه البرود التزيدية وبها خطوط حمر فلا يعلم هو بالتاء أم بالياء . ورأيت فى معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى فى الكلام على جزيرة العرب عند ما ذكر تفرق كلمة العرب ووقوع الحروب بينهم وتشتتهم إلا تزيد تنوخ هى تزيد قضاعة قال وخرجت فرقة من بنى حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة ورئيسهم عمرو بن مالك التزيدى فنزلوا عبقر من أرض الجزيرة فنسج نساؤهم الصوف وعملوا منه الزرابى فهى التى يقال لها العبقرية وعملوا البرود وهى التى يقال لها التزيدية وأغارت عليهم الترك فأصابتهم وسبت منهم فذلك قول عمرو بن مالك بن زهير

ألا لله ليل لم ننمه على ذات الحصاب مجنبينا
وليلتنا بآمد لم ننمها كليلتنا بميا فارقينا

وأقبل الحرث بن قراد البهرائى ومضت بهراء حتى لحقت بالترك فهزموهم واستنقذوا ما بأيديهم من بنى تزيد انتهى

الأمر الثانى فى كلام ابن الحاجب أن قوله تزيد بالفوقية فى كلامهم مفرد لا جملة الخ

(أقول) لا مانع من استعماله مفردا وجملة باعتبار نقله مع الضمير وبدونه كما استعمل يزيد بالوجهين مع الاعتبارين فى قوله

«ليبك يزيد ضارع لخصومة»

فانهم قالوا : روى ليبك — بالبناء للفاعل — ويزيد مفعوله وهو منصوب بالفتحة وضارع فاعله وروى بالبناء للمفعول ويزيد نائب فاعل وأى فرق بينهما تأمل *

(تتمة) * هذا البيت فى غالب كتب النحو ولم أظفر بقائله ولم يعزه أحد لقائله غير العينى فانه قال هو لرؤبة بن العجاج وقد تصفحت ديوانه فلم أجده فيه والله أعلم

باب الفاعل

(أنشد فيه وهو الشاهد الاربعون)

٤٠ جزى ربُّه عنى عدىَّ ابنَ حاتم جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

على أن الاخفش وابن جنى قد أجازا اتصال ضمير المفعول به بالفاعل مع تقدم الفاعل لشدة اقتضاء الفعل للمفعول به كاقتضائه للفاعل

(أقول) وممن ذهب مذهبهما أبو عبدالله الطوال من الكوفيين ، وابن مالك فى التسهيل وشرحه وأطال فى الرد عليه الشاطبى فى شرح الالفية ونصر الامام عبد القاهر الجرجانى مذهب الأخفش فى المسائل المشكلة قال الفنارى فى حاشية المطول : وذهب بعضهم الى عدم إخلال الاضمار قبل الذكر بالفصاحة مستندا بأن عبد القاهر قدوة فى فن البلاغة وهو المرجع فيهما وكلامه حجة مطلقا ، وقد بين ابن جنى مذهبه فى الخصائص فقال : وأجمعوا على أن ليس بجائز ضرب غلامه زيداً لتقدم المضمر على مظهره لفظا ومعنى وقال فى قول النابغة :

جزى ربه عنى عدى بن حاتم

إن الهاء عائدة على عدى ـ خلافا للجماعة ـ فان قيل الفاعل رتبته التقدم والمفعول رتبته التأخر فقد وقع كل منهما الموقع الذى هو أولى به فليس لك أن تعتقد فى الفاعل اذا وقع مؤخرا أن موضعه التقديم فاذا وقع مقدما فقد أخذ مأخذه وإذا كان كذلك فقد وقع المضمر قبل مظهره لفظا ومعنى ، وهذا مالا يجوزه القياس . قيل الأمر وإن كان ظاهره ما تقوله فان هنا طريقا آخر يسوغك غيره وذلك أن المفعول قد شاع واطرد كثرة تقدمه على الفاعل حتى دعا ذاك أبا على الى أن قال إن تقديم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه كما أن تقديم الفاعل قسم أيضا قائم برأسه وإن كان تقديم الفاعل أكثر ، وقد جاء به الاستعمال مجيئا واسعا فلما كثر وشاع تقديم المفعول صار كأن الموضع له حتى إنه إذا أخر فموضعه التقديم فعلى ذلك كأنه قال: «جزى عدى بن حاتم ربه» ثم قدم الفاعل على أنه قد قدره مقدما عليه مفعوله فجاز لذلك ، ولا تستنكر هذا الذى صورته لك فانه مما تقبله هذه اللغة ألا ترى أن سيبويه أجاز فى جر الوجه من قولك «هذا

الحسن الوجه، أن يكون من موضعين أحدهما باضافة الحسن اليه والآخر تشبيهه له بالضارب الرجل مع أنا نعلم أن الجر فى الرجل انما جاءه من تشبيههم إياه بالحسن الوجه ، لكن لما اطرد الجر فى الضارب الرجل صار كأنه أصل فى بابه حتى دعا ذلك سيبويه الى أن عاد فشبه الحسن الوجه به ، وهذا يدلك على تمكن الفروع عندهم حتى إن الأصول التى أعطت فروعها حكما قد حارت فاستعارت من فروعها ذلك الحكم. فكذلك تصيير تقديم المفعول لما استمر وكثر كانه هو الاصل وتأخير الفاعل كأنه أيضا هو الاصل ؛ ويؤكد أن الهاء فى ربه لعدى بن حاتم من جهة المعنى عادة العرب فى الدعاء لاتكاد تقول : جزي رب زيد عمرا ، وانما يقال جزاك ربك خيراً أوشراً ، وذلك أوفق لأنه إذا كان مجازيه ربه كان أقدر على جزائه وايلامه ولذلك جرى العرف بذلك فاعرفه انتهى

وملخص كلامه أن المفعول فى هذه الصورة متقدم فى الرتبة لكن تأخر لضرورة الشعر ، فالضمير المتصل بالفاعل عائد على متقدم حكما . وهذا غير قول الشارح المحقق لشدة اقتضاء الفعل للمفعول به ، على أن حفيد السعد قال فى حاشية المطول فيه أن ذلك لايدفع الاضمار قبل الذكر ، نعم لو كان اقتضاء المفعول أشد تم الكلام انتهى.

وتبع التفتازانى فى المطول الشارح فيما ذكرناه وأورد بيت الشاهد وقوله

لما عصي أصحابُه مُصعبا أدى اليه الكيلَ صاعا بصاع

ثم قال: ورد بأن الضمير للمصدر المدلول عليه بالفعل أى رب الجزاء وأصحاب العصيان كقوله تعالى « اعدلوا هو أقرب للتقوى » أى العدل وأما قوله :

جزى بنوه أبا الغيلان عن كِبَرَ وحسن فعل كما يجزى سنّمارُ

وقوله :

ألا ليت شِعْرى هل يلومنّ قومه زهيراً على ماجر من كل جانب

فشاذ لايقاس عليه انتهى

قال الفنارى : و يمكن أن يقال الضمير فى ربه راجع الى المتكلم على طريقة الالتفات عند السكاكى على قول امرىء القيس :

تطاول ليلك بالأثمد

انتهى

ولا يخفى بطلانه لسماجته . فان الالتفات انما وقع من المتكلم الى خطاب النفس لا الى الغيبة فتأمل . والجزاء المكافأة ، وعن هنا للبدل كقوله تعالى « واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيأ » وقوله جزاء الكلاب مصدر تشبيهى أى جزاء كجزاء الكلاب العاويات وهو الضرب والاهانة قيل : هذا ليس بشيء وانما المراد الكلاب التى تتداعى للسفاد . يقال عاوت الكلبة الكلاب فهى معاوية أى دعتهم للسفاد ، ولا يكاد يستعمل العواء للكلاب الا عند السفاد ، والمستعمل فى ذلك النباح وانما العواء للسباع . وقيل انه يعنى بالعاويات المسعورة ومن شأنها اذا أريد برؤها أن يؤخذ سفود فيدخل فى ادبارها والسعر — بضمة وبضمتين — والسعار — بضم أوله — الجنون والسعر — ككتف — المجنون وروى « الكلاب العاديات » جمع العادى من العدو .. دعا عليه بأحد هذه المعانى ثم حققها عليه فقال وقد فعل أى استجاب الله مادعوت عليه وحققه ... ومثله للمتنبي :

وهذا دعاء لو سكت كفيته لأنى سألت الله فيك وقد فعل

وجملة وقد فعل حال من ربه

وهذا البيت لأبي الاسود الديلى يهجو به عدى بن حاتم الطائى ، و زعم ابن جنى وغيره أنه للنابغة الذبيانى ، وهو وان عاصر عديا لكن الذى روى له انما هو:

جزى الله عبساعبس آل بغيض جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

وليس فيه مانحن فيه ، وسيأتى الكلام عليه

وقال العينى : قيل : ان قائله لم يعلم حتى قال ابن كيسان أحسبه مولدا مصنوعا قال: والضمير لغير عدى فكأنه وصف رجلا أحسن اليه ثم قال جزاه ربه خيرا وجزى عنى عدي بن حاتم شرا ، فحينئذ لاشذوذ فى البيت ... ولا يخفى ركاكته

أما ابو الاسود الديلي فاسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حليس بن نفاثة ابن عدى بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ابن نزار وهم اخوة قريش لان قريشا تختلف فى الموضع الذى افترقت فيه مع بنى أبيها والنسابون يقولون ان من لم يلده فهر بن مالك بن النضر فليس قرشيا ، وهو واضع علم النحو بتعليم على — رضى الله عنه — وكان من وجوه شيعته واستعمله على البصرة بعد ابن عباس ، وقبل هذا كان استعمله عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما وتوفى فيما ذكره المدائنى فى طاعون الجارف فى سنة تسع وستين ، وله خمس وثمانون سنة وقيل مات قبل ذلك قال الجاحظ : أبو الاسود الديلى معدود فى طبقات من الناس وهو فيها كلها مقدم ومأثور عنه الفضل فى جميعها : كان معدوداً فى التابعين والفقهاء والمحدثين والشعراء والأشراف والفرسان والامراء والدهاة والنحويين والحاضرين الجواب والشيعة والبخلاء والصلع الاشراف والبخلاء الاشراف وقال ابو عبيدة معمر بن المثنى : كان أبو الاسود كاتبا لابن عباس على البصرة وهو الذى يقول

وإذا طلبتَ من الخلائق حاجةً ... فادع الإلهَ وأَحسِنِ الأعمالا
فليعطينَّك ما أراد بقدرةٍ ... وهو اللطيف إذا أراد فعالا
إن العباد وشأنهم وأمورهم ... بيد الإله يقلب الاحوالا
فدع العباد ولا تكن بطلابهم ... لهجاً تضعضع للعباد سؤالا

وفى الاغانى بسنده الى ابن عباس قال : خطب أبو الاسود امرأة من عبد القيس يقال لها : أسماء بنت زياد ، فاسر أمرها الى صديق له من الازد يقال له: الهيثم بن زياد، فحدث به ابن عم له كان يخطبها وكان لها مال عند أهلها ، فمشى ابن عمها الخاطب لها إلى أهلها الذين مالها فى أيديهم فأخبرهم خبر أبى الاسود وسألهم أن يمنعوها من نكاحه ومن مالها الذى فى أيديهم؛ ففعلوا ذلك وضاروها حتى تزوجت ابن عمها فقال ابو الاسود فى ذلك :

لعمرى لقد أفشيت يوما فخاننى ... إلى بعض من لم يخش سرا ممنعا
فمزقه مزق العمى وهو غافل ... ونادى بما أخفيت منه فأسمعا

فقلت ولم أفحش لعالك (١) عاثراً ... وقد يعثر الساعي اذا كان مُسرعا
ولست بجـازيك الملامة إنني ... أرى العفوَ أدنى للرشاد وأوسعا
ولكن تعلم أنه عهد بيننا ... فبن غَير مذموم ولكن مودعا
حديث أضعناه كلانا فلن أرى ... وأنت نجيا آخر الدهر أجمعا
وكنت إذا ضيعت سرك لم تجد ... سواك له إلا أشت وأضيعا

وقال فيه أيضا :

أمنت امرأً في السر لم يك حازماً ... ولكنه في النصح غير مريب
أذاع به في الناس حتى كأنه ... بعلياء نارٍ أوقدت بثقوب
وكنت متى لم ترع سرك ينتشر ... قوارعه من مخطىء ومصيب
فما كل ذى لبٍّ بمؤتيك نصحه ... وما كل مؤت نصحه بلبيب
ولكن إذا ما استجمعا عندواحد ... فحق له من طاعة بنصيب

وفى الأغانى أيضا بسنده عن عوانة قال : كان أبو الأسود يجلس الى فناء امرأة بالبصرة فيتحدث إليها وكانت جميلة فقالت له: ياأبا الأسود هل لك أن أتزوجك فانى صناع الكف حسنة التدبير قانعة بالميسور قال:نعم فجمعت أهلها و تزوجته فوجد عندها خلاف ماقدره . وأسرعت فى ماله ومدت يدها إلى خيانته و أفشت سره فغدا على من كان حضر تزويجه إياها فسألهم أن يجتمعوا عنده ففعلوا فقال لهم:

أريت امرأً كنت لم أبله ... فقال اتخذنى صديقا خليلا
فخاللته ثم أكرمته ... فلم أستفد من لديه فتيلا
وألفيته حين جربته ... كذوب الحديث سروقا بخيلا
فذكرته ثم عاتبته ... عتاباً رفيقا وقولا جميلا

(١) كذا رواه البغدادى ولعا، كفتى، كلمة تقال للعاثر دعاء له بالانتعاش وفى رواية «لعالك عاثر» والذى نراه أن رواية البغدادى أنسب معنى

فألفيتــه غيرَ مستعتب ولا ذاكرِ اللهَ إلا قليلا
ألست حقيقا بتوديعه واتبــاع ذلك صرما طويلا

فقالوا له: بلى والله ياأبا الأسود فقال: تلك صاحبتكم وقد طلقتها وأنا أحب أن أستر ما أنكرته من أمرها. فانصرفت معهم

وفيه أيضا بسنده الى ابن عباس قال: كان المنذر بن الجارود العبدى صديقا لأبى الأسود يعجبه مجالسته وحديثه وكان كل منهما يغشى صاحبه وكانت لأبى الأسود مقطعة من برود يكثر لبسها. فقال له المنذر: لقد أدمنت لبس هذه المقطعة. فقال أبو الأسود: رب مملول لايستطاع فراقه. فعلم المنذر أنه قد احتاج إلى كسوة فأهدى له ثيابا فقال أبو الأسود يمدحه:

كساك ولم تستكسه فحمدته أخٌ لك يعطيك الجزيل وياصر
وان أحق الناس إن كنت حامداً بحمدك من أعطاك والعرض وافر

وروى الحريري فى دره الغواص عن عبيدالله بن عبدالله بن طاهر قال: اجتمع عندنا ابو نصر أحمد بن حاتم وابن الاعرابى. فتجاريا الحديث إلى أن حكى أبو نصر ان أبا الأسود دخل على عبيدالله بن زياد وعليه ثياب رثة فكساه ثيابا جددا من غير أن عرض له بسؤال فخرج وهويقول وأنشد البيتين، ثم قال وأنشد أبو نصر وياصر يريد به ويعطف فقال له ابن الأعرابى: بل هو وناصر بالنون فقال له أبو نصر: دعنى ياهذا وياصرى، وعليك بناصرك

وفى الأغانى أيضا بسنده إلى أبى عبيدة قال: كان أبو حرب بن أبى الأسود قد لزم منزل أبيه بالبصرة ولا ينتجع أرضا ولا يطلب الرزق فى تجارة ولا غيرها، فعاتبه أبوه على ذلك فقال أبو حرب: إن كان لى رزق فسيأتينى فقال له أبوه:

وما طلب المعيشة بالتمنى ولـكن ألق دلوك فى الدِّلاء
تجيء بملئها يوماً ويوماً تجيء بحمأة وقليل ماء

وفيه أيضا بسنده الى عبد الملك بن عمير قال: كان ابن عباس رضى الله عنهما يكرم

أبا الأسود لما كان عاملا بالبصرة لعلى رضى الله عنه و يقضى حوائجه ،فلما ولى ابن عامر جفاه وأبعده ومنعه حوائجه لما كان يعلمه من هواه فى على رضى الله عنه فقال فيه أبو الأسود :

ذكرت ابن عباس بباب ابن عامر — وما مر من عيشى ذكرت وما فضل
أميرين كانا صاحبى كلاهما — فكلا جزاه الله عنى بما فعل
فان كان شرا كان شرا جزاؤه — وان كان خيراً كان خيرا إذا عدل

(وفيه أيضا) بسنده الى العتبي قال : كان لأبى الأسود جار فى ظهر داره له باب الى قبيلة أخرى ، وكان بين داره ودار أبى الأسود باب مفتوح يخرج منه كل واحد إلى قبيلة صاحبه اذا أرادها ، وكان الرجل ابن عم أبى الأسود دنية ، وكان شرسا سيء الخلق فأراد سد ذلك الباب فقال له قومه لاتفعل فتضر بأبى الأسود وهو شيخ وليس عليك فى هذا الباب ضرر ولا مؤنة فأبى إلا سده ثم ندم على ذلك لأنه أضر به فكان إذا أراد سلوك الطريق التى يسلكها منه بعد عليه فعزم على فتحه و بلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال فيه :

بليت بصاحب إن أدن شبرا — يزدنى فى مباعدة ذراعا
وان أمددله فى الوصل ذرعى — يزدنى فوق قيس الذرع باعا
أبت نفسى له إلا اتباعا — وتأبى نفسه إلا امتناعا
كلانا جاهد أدنو و ينأى — فذلك ما استطعت وما استطاعا

وقال فيه أيضا :

أعصيت أمر ذوى النهى — وأطعت أمر ذوى الجهاله
أخطأت حين صرمتنى — والمرء يعجز لامحاله
والعبد يقرع بالعصا — والحر تكفيه المقاله

وقد أطلنا فى إيراد شعره لكنا أطنبنا فان حكمه شفاء الصدور ودرر قلائد النحو

وأما عدى بن حاتم: فنسبته عدى بن حاتم الطائى بن عبدالله بن سعد بن حشرج بن امرىء القيس بن عدى بن أخزم بن أبى أخزم، واسمه هزومة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طىء بن أدد بن زيد بن كهلان. إلا أنهم يختلفون فى بعض الأسماء إلى طىء وكنية عدى أبو طريف، قال أبو حاتم السجستانى فى كتاب المعمرين عاش عدى مائة وثمانين سنة اه

قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فى شعبان من سنة سبع. وقال الواقدى: من سنة عشر. وخبره فى قدومه خبر عجيب. وحديث صحيح. ثم قدم على أبى بكر رضى الله عنه بصدقات قومه فى حين الردة ومنع قومه وطائفة معهم من الردة بثبوته على الاسلام وحسن رأيه وكان سريا شريفا فى قومه خطيبا حاضر الجواب فاضلا كريما: روى عنه أنه قال: مادخل وقت صلاة قط إلا وأنا أشتاق اليها. وروى عنه أنه قال: مادخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قط إلا وسع لى أو تحرك: ودخلت عليه يوما فى بيته وقد امتلأ من أصحابه فوسع لى حتى جلست الى جنبه. وفى حديث الشعبى أن عدى بن حاتم قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ قدم عليه: ما أظنك تعرفنى فقال: وكيف لا أعرفك وأول صدقة بيضت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة طىء أعرفك آمنت اذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ غدروا، ثم نزل عدى الكوفة وسكنها وشهد مع على رضى الله عنه الجمل وفقئت عينه يومئذ ثم شهد مع على رضى الله عنه صفين والنهروان. ومات بالكوفة وهو ابن مائة وعشرين فى سنة سبع وستين كذا فى الاستيعاب لابن عبد البر ... وأما شعر النابغة الذبيانى فهو:

جزى الله عبسا عبس آل بغيض جزاء الكلاب العاويات وقد فعل
بما انتهكوا من رب عدنان جهرةً وعوف يناجيهم وذلكم جلل
فأصبحتم والله يفعـ ـل ذا كمُ يعزكمُ مولى مواليكمُ شـ ـكل

وروى
يبوك النساء المرضعات بنو شكل

اذا شاء منهم ناشىء دَرْبَخَتْ له لطيفة طى الـ ـكشح رابية الـكفل
قال المفضل بن سلمة فى الفاخر: روى هذا الشعر للنابغة الذبيانى وقيل إنه لعبد الله

ابن همارق ــ بضم الهاء وآخره قاف ــ وهو أحد بنى عبد الله بن غطفان ، وليس فى هذا الشعر شاهد لما نحن فيه . والسبب فيه أن بنى عبس لحقت ببنى ضبة بعد يوم الفروق ثم وقع بينهما دم ففارقتهم عبس . فمرت تريد الشام وبلغ بنى عامر ارتفاعهم فخافوا انقطاعهم من قيس بن زهير رئيس بنى عبس ، فخرجت وفود بنى عامر إليهم فدعتهم إلى أن يرجعوا ويحالفوهم فقال قيس بن زهير: حالفوا قوما فى صيابة بنى عامر ليس لهم عدد فيبغوا عليكم بعددهم وان احتجتم أن يقوموا بنصرتكم قامت بنو عامر فحالفوا معاوية بن شكل بن كعب بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فمكثوا فيهم الى أن قال الشاعر هذه الأبيات يعير بنى عبس . فلما بلغت قيسا قال : ماله قاتله الله أفسد علينا حلفنا فخرجوا عنهم : ويبوك مضارع باك المرأة بمعنى جامعها ــ بالباء الموحدة وآخره كاف ــ ودربخت ــ بالدال والراء المهملتين وبالباء الموحدة والخاء المعجمة ــ يقال : دربخت الحمامة لذكرها طاوعته للسفاد . والصيابة ــ بضم الصاد المهملة وتشديد المثناة التحتية ــ الخالص والصميم والاصل والخيار من كل شىء والسيد . وصيابة القوم لبابهم

وأنشد بعده وهو الشاهد الحادى والاربعون

(٤١) لما عصى أصحابُهُ مُصعبا أدى إليهِ الكيلَ صاعاً بصاع

لما تقدم فى البيت الذى قبله . قال حفيد السعد فى حاشية المطول : أفرد ضمير إليه مع أنه راجع إلى الاصحاب . قصدا إلى كل واحد منهم وقال الفنارى : قيل الضمير فى أدى راجع الى شخص مذكور فيما سبق . وفى إليه راجع الى مصعب ؛ وقيل الضمير فى أدى راجع الى مصعب وفى إليه راجع الى أصحابه قصدا الى كل واحد منهم ، أو تقول لمشابهة لفظ أفعال للمفرد ولهذا يجىء فى كثير من المواضع وصف المفرد به نحو ثوب أسمال ونطفة أمشاج ونظيره قوله تعالى « وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه » فان الضمير فى بطونه راجع للانعام اه

وهذا الكلام برمته من شرح اللب فى باب المفعول المطلق

وقوله « أدى إليه الكيل الخ » قال الميدانى فى مجمع الامثال : جزاه كيل الصاع بالصاع ى كافأ إحسانه بمثله واساءته بمثلها

وقوله «صاعا» قال الحفيد هو فى موضع الحال مثل بايعته يدا بيد ، وهو فى الاصل جملة أى صاع منه بصاع . كذا كتب قدس سره بخطه فى الحاشيه اه

وقال الفنارى : وقوله صاعا بصاع حال من ضمير أدى . والاصل مقابلا صاعا بصاع ثم طرح مقابلا وأقيم صاعا مقامه ثم الحال ليست هى صاعا وحده بل هو مع قوله بصاع لأن معنى المنوب عنه يحصل بالمجموع . كذا ذكره صاحب الاقليد فى « كلمته فاه الى فى » اه

ومرجع الضميرين على ما تقدم ناشىء عن عدم الاطلاع عليه

والبيت من قصيدة للسفاح بن بكير بن معدان اليربوعى رثى بها يحيى بن شداد بن ثعلبة بن بشر أحد بني ثعلبة بن يربوع وقال أبو عبيدة هى لرجل من بنى قريع رثى بها يحيى بن ميسرة صاحب مصعب بن الزبير وكان وفى له حتى قتل معه وهذه أبيات من مطلعها

صلى على يَحيي وأشياعه ... رب رحيمٌ وشفيع مطاع

لما عصى أصحابُه مصعبا ... أدى اليه الكيلَ صاعا بصاع

ياسيدا ما أنت من سيِّد ... موطأ البيت رحيب الذراع

نقلته من المفضليات وشرحها لابن الانبارى . فالضمير فى أدى راجع الى يحيي وضمير إليه راجع الى مصعب وروى البيت أيضاً كذا :

لما جَلاَ الخُلاّن عن مصعب ... أدى اليه القرضَ صاعاً بصاع

فلا شاهد فى البيت على هذه الرواية . وهى رواية المفضل الضبى فى المفضليات وجلا — بالجيم — بمعنى تفرق من الجلاء — بالفتح والمد — وهو الخروج من الوطن يقال قد جلوا عن أوطانهم وجلوتهم أنا لازم ومتعد ، ويقال أيضا أجلوا عن البلد وأجليتهم انا كلاهما بالألف، والخلان جمع خليل وقوله « ياسيداً ما أنت من سيد الخ » يأتى ان شاء الله تعالى فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد الاربعمائة .

﴿ وانشد بعده وهو الشاهد الثانى والاربعون ﴾

(٤٢) ألاليت شِعْرى هل يلومَنَّ قومه ... زهيراً على ما جَرَّ من كل جانب

لما تقدم فى البيت الذى قبله قال الفنارى : إنما لم يجزهنا رجوع الضمير الى المصدر المدلول عليه وهو اللوم أو الى الشاعر على سنن الالتفات لان مقصود الشاعر قوم زهير

فان الذوق السليم يفهم من هذا البيت تحريض أقربائه على لومه ولومهم على ترك لومه ولعل قوم زهير غير قوم الشاعر والله أعلم اه

وقوله «على ماجر» في القاموس: الجريرة الذنب والجناية جر على نفسه وغيره جريرة يجر بالضم والفتح جرا. وقال حفيد السعد: قوله على ماجر أي على العار الذي جره ومده من كل جانب وناحية بسبب الظلم والعداوة لكنه قدس سره قد كتب في الحاشية: يقال جر عليهم جريرة أي جنى جناية وقال الفناري: وقد يروى بالحاء المهملة والزاي المعجمة من الحز وهو القطع اه

وهذا لا وجه له هنا والرواية انما هي الاولى كما يأتي ... وبعده:

بكفي زهير عصبة العَرْج منهم ومن بيع في الركبين لحم وغالب

والبيتان من شعر أبي جندب بن مرة القردي، قال السكري في شرح أشعار هذيل: زهير من بني لحيان. وجر جنى أي جر على نفسه جرائر من كل جانب وروى «قومه زهير» اه

يعني بنصب قومه ورفع زهير وعليه لا شاهد فيه

وقوله «بكفي زهير الخ» عصبة مبتدا والظرف قبله خبره ومن بيع معطوف على المبتدا والعصبة الجماعة والعرج بفتح العين المهملة وسكون الراء بعدها جيم قرية جامعة بين مكة والمدينة بها قتل قوم زهير وسبي نساؤهم وذراريهم. وضمير منهم لقوم زهير، والظرف حال من عصبة بتقدير مضاف له وللمعطوف أي قتل العصبة في العرج وسبي من بيع في الركبين حال كونهم من قوم زهير بسبب جناية كفي زهير. ولحم وغالب بدل من الركبين، ولحم حي من اليمن وغالب قبيلة من قريش. ويقدر منهم أيضا بعد قوله ومن بيع *

وسبب هذا الشعر ما رواه السكري قال: مرض أبو جندب وكان له جار من خزاعة اسمه خاطم فقتله زهير اللحياني وقتلوا امرأته فلما برىء أبو جندب من مرضه خرج من أهله حتى قدم مكة فاستلم الركن وكشف عن استه وطاف فعرف الناس أنه يريد شرا فقال:

اني امرؤ أبكي على جاريه أبكي على الكعبيّ والكعبيه

ولو هلكت بَكَيا عليه كانا مكان الثوب من حَقويه

يقال عذت بحقويك تريد كانا في موضع المعاذ أي كانا مني بمكان من أجرت، فلما فرغ من طوافه وقضى من مكة حاجته خرج في الخلعاء من بكر وخزاعة فاستجاشهم على

بنى لحيان فخرجوا معه حتى صبحهم بنى لحيان فى العرج فقتل فيهم وسبى من نسائهم وذراريهم وباعهم فاشترتهم هاتان القبيلتان فقال أبو جندب فى ذلك :

ألا ليت شعرى هل يلومن قومه... البيتين

والقردى نسبة الى قرد بكسر القاف على لفظ الحيوان المعروف وهو بطن من هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ، ولحيان بكسر اللام وسكون المهملة بعدها مثناة تحتية بطن من هذيل أيضا وأبو جندب شاعر جاهلى

(تتمة) . البيت الذى فى المطول وهو قوله «جزى بنوه الخ» رواه الاصبهانى فى الاغانى فى ترجمة عدى بن زيد كذا :

جزى بنوه أبا الغيلان من كِبَرٍ وحسن فعل كما يجزى سِنّمار

وذكر فيه جزاء سنمار قال : وأما صاحب الخورنق فهو النعمان بن الشقيقة وهو الذى ساح على وجهه فلم يعرف له خبر والشقيقة أمه بنت أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان وهو النعمان ابن امرىء القيس بن عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمى فذكر ابن الكلبى انه كان سبب بنائه الخورنق أن يزد جرد بن سابور كان لا يبقى له ولد فسأل عن منزل مرىء صحيح من الادواء والاسقام فدل على ظهر الحيرة فدفع ابنه بهرام جور بن يزد جرد إلى النعمان بن الشقيقة ، وكان عامله على أرض العرب ، وأمره بان يبنى الخورنق مسكنا له ولابنه وينزله اياه معه وأمره باخراجه الى بوادى العرب . وكان الذى بنى الخورنق رجلا يقال له سنمار فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله فقال لو علمت أنكم توفون أجرتى وتصنعون بى ما أستحقه لبنيته بناء يدور مع الشمس حيثما دارت فقالوا وانك لتبنى ما هو أفضل منه ولم تبنه ثم أمر به فطرح من رأس الجوسق وفى بعض الروايات انه قال : انى لأعرف فى هذا القصر موضع عيب اذا هدم تداعى القصر ، فقال : اما والله لا تدل عليه أحداً أبداثم رمى به من أعلى القصر فقالت الشعراء فى ذلك أشعارا كثيرة ، منها قول أبى الطمحان القينى :

جزاء سِنِمّار جزوها وربِّها وباللات والعزى جزاء المُكَفّر

ومنها قول سليط بن سعد:

جزى بنوه أبا الغيلان من كبر وحُسنِ فعل كما يُجْزى سنمار

وقال عبد العزى بن امرىء القيس الكلبى وكان أهدى الى الحرث بن مارية الغسانى افراسا و وفد إليه فاعجب به واختصه وكان للملك ابن مسترضع فى بنى عبد ود من كلب فنهشته حية فظن الملك انهم اغتالوه ، فقال لعبد العزى جئنى بهؤلاء القوم ، فقال هم قوم أحرار ليس لى عليهم فضل فى نسب ولا فعل . فقال لتأتينى بهم أو لافعلن وافعلن ، فقال له رجونا من جنابك أمرا حال دونه عقابك ، ودعا ابنيه شراحيل وعبد الحرث فكتب معهما الى قومه:

جزانى جـزاهُ اللهُ شرَّ جزائه جزاء سِنِّمار وما كان ذا ذنب

سوى رصه البنيان عشرين حجة يعل عليه بالقراميد والسكب

وهى أبيات . . .قال فقتله النعمان اه

(وأنشد بعده وهو الشاهد الثالث و الاربعون)

(٤٣) كأن لم يمت حى سواك ولم تقم على أحد إلا عليك النوائح

على أنه اذا وقع مرفوع بعد المستثنى فى الشعر أضمروا له عاملا من جنس الأول ، أى قامت النوائح ... والمسئلة مفصلة فى الشرح وهذا البيتُ من أبيات مذكورة فى الحماسة لاشجع السلمى وهى :

مَضَى ابن سعيد حين لم يبق مَشرقٌ ولا مغرب إلا له فيـه مادحُ

وما كنت أدرى ما فواضل كفِّه على الناس حتى غيبته الصّفائحُ

فأصبح فى لحدٍ من الارض ميتا وكانت به حياً تضيق الصحاصح

سأبكيك ما فاضت دموعى فان تغض فحَسبُك منى ما تجنّ الجوانحُ

وما أنا من رزءٍ وان جَلّ جازع ولا اسرور بعد موتكَ فارحُ

لئن حسُنت فيك المراثى وذكرها لقد حسنت من قبل فيك المدائح

كأن لم يمت حى سواك البيت

والصفائح أحجار عراض يسقف بها القبر ، والصحاصح جمع صحصح وهى الارض المستوية الواسعة ، وتغيض تنقص يقال غاض الماء وغضته

وقوله «كأن لم يمت» كأن مخففة واسمها ضمير شأن . يقول أفرط الحزن عليك حتى كأن الموت لم يعهد قبل موتك وكأن النياحة لم تقم على من سواك .

وأشجع هو ابن عمرو السلمى ويكنى أبا الوليد من ولد الشريد بن مطرود السلمى، تزوج أبوه امرأة من أهل اليمامة فشخص معها إلى بلدها فولدت له هناك أشجع ونشأ باليمامة ثم مات أبوه فقدمت به أمه البصرة فطلبت ميراث أبيه وكان له هناك مال فماتت بها . وربى أشجع ونشأ بالبصرة فكان من لا يعرفه يدفع نسبته . ثم كبر وقال الشعر فأجاد وعد فى الفحول ؛ وكان الشعر يومئذ فى ربيعة واليمن ولم يكن لقيس عيلان شاعر فلما نجم أشجع افتخرت به قيس وأثبتت نسبه ثم خرج أشجع إلى الرقة والرشيد بها فنزل على بنى سليم ومدح البرامكة وانقطع إلى جعفر خاصة فوصله الرشيد فأثرى وحسنت حاله . ولما ولى الرشيد جعفر بن يحي خراسان جلس لتهنئة الناس وأنشده الشعراء ودخل فى آخرهم أشجع فقال : لتأذن فى انشاد شعر قضيت به حق سؤددك وكالك وخففت به ثقل أياديك عندى فقال : هات يا أبا الوليد فأنشده :

أَتصبِرُ يا قلب أَمْ تجزع فان الديار غـداً تَبْلَقع ؟
غداً يتفرق أهـل الهوى ويكثر باكٍ ومسـترجع

الى أن بلغ قوله :

ودَوِّيّة بَينَ أقطارها مقاطع أرضين لا تُقْطَع
تجاوزتهـا فوق عَـيْرانةٍ من الريح فى سيرها أسرع
إلى جعفـرٍ نزعت رغبـةٌ وأى فتى نحـوَه تَنْزع
فما دونه لامرىء مطمَع ولا لامرىءٍ غيره مقنع
ولا يرفع الناس ما حطه ولا يَضَعون الذى يرفع
يريد الملوك مدى جعفرٍ ولا يَصنَعون كما يصنع
وليس بأوسعهم فى الغنى ولـكنّ معروفه أوسـع
يَلُوذ الملوك بآرائه (١) اذا نالها الحدث الأفظع

(١) يروى (بأبوابه) وهو أحسن

بديهته مثـلُ تدبيرهِ متى رمته فهو مُستجمع
وكم قائل اذ رأى ثروتى وما فى فُضول الغنى أصنع
غدا في ظلال ندى جعفر يجر ثياب الغنى أشجعُ
فقل لخراسان تحيا فقد أتاها ابن يحيا الفتى الأروع

فأقبل عليه جعفر يخاطبه مخاطبة الأخ أخاه ثم أمر له بألف دينار

(قال الصولى) فى الورقات : قال لى يوما عبد الله بن المعتز : من أين أخذ أشجع قوله

وليس بأوسعهم فى الغنى « البيت »

فقلت : من قول موسى شهوات لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه :

ولم يك أوسع الفتيان مالاً ولكن كان أرحبهم ذراعا

فقال : أصبت هكذا هو اه

ورأيت فى الحماسة فى باب الأضياف : وقال أبو زياد الأعرابى الكلابى :

له نار تشب على يفاع إذا النيران ألبست القناعا

ولم يك أكثر الفتيان مالا (البيت)

وانما لقب موسى بشهوات لأن عبد الله بن جعفر كان يشتهى عليه الشهوات فيشتريها له موسى ويتربح عليه ، وهو مولى لبنى سهم وأصله من أذربيجان . كذا فى كتاب الشعراء لابن قتيبة وقال أبو عبيد البكرى فى شرح أمالى القالى : موسى شهوات هو موسى بن يسار مولى قريش ويقال مولى بنى سهم ويقال مولى بنى تيم ،

كان يجلب إلى المدينة القند والسكر من أذربيجان ، فقالت امرأة : ما يزال موسى يجلب الينا الشهوات فغلب عليه . وقال ابن شبة كان موسى سؤولا ملحفاً فاذا رأى مع أحد شيئاً يعجبه من ثوب أو متاع او دابة تباكى فاذا قيل له مالك ، قال اشتهي هذا فسمى موسى شهوات وقال ابن الكلبي: سمى بذلك لقوله فى يزيد بن معاوية :

لست منا وليس خالك منا يامضيع الصلاة بالشهوات

يقال : موسى شهوات على الصفة وعلى الاضافة وهو أصح ، ويكنى أبا محمد وهو أخو اسمعيل بن يسار اه

وبيت موسى شهوات نسبه السعد فى المطول وصاحب المعاهد فى شواهد التلخيص إلى أبى زياد الأعرابى الكلابى كما فى الحماسة

قال الصولى بعد أن تصرف جعفر بالأمر والنهى والتولية والعزل بدا للرشيد عزله فعزله عن خراسان فاغتم لذلك جعفر فدخل عليه أشجع فقال :

أمست خراسان تعزى بما أخطأها من جعفر المرتجى
كان الرشيد المعتلى أمره ولى على مشرقها الأبلجا
ثم أراه رأيه أنه أمسى إليه منهم أحوجا
كم فرق الدهر بأسبابه من محصن أهلا وكم زوجا
وكم به الرحمن من كربة في مدة تقصر قد فرجا

فقال له جعفر : قمت والله بالعذر لأمير المؤمنين وأصبت الحق وخففت على العزل فأمر له بألف دينار أخرى

ولما دخل أشجع على الرشيد بالرقة ، كان قد فرغ من قصره الابيض فأنشده

قصر عليه تحية وسلام فيه لأعلام الهدى أعلام
نشرت عليه الأرض كسوتها التى نسج الربيع و زخرف الأوهام

الى أن قال :

وعلى عدوك ياابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والاظلام
فإذا تنبه رعته وإذا غفا سلت عليه سيوفك الأحلام

قال الصولى فى الورقات بسنده إلى أشجع : إن الرشيد قال لى من أين أخذت قولك « وعلى عدوك » البيتين فقلت : لا أكذب والله من قول النابغة :

فإنك كالليل الذى هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

فقال : صه هو عندى من كلام الأخطل لعبد الملك بن مروان ، وقد قال له : أنا مجيرك من الجحاف ، فقال : من يجيرنى منه إذا نمت ، وترجمة أشجع مطولة فى

الورقات للصولى ، وفى الاغانى للاصبهانى ، وأشجع ليس ممن يستشهد بكلامه فكان ينبغي تأخيره عن البيت الذى بعده

﴿ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والاربعون ﴾

(٤٤) لا أشتهي ياقومُ إلا كارهاً　　　باب الامير ولادفاع الحاجب

على أن باب الأمير منصوب بلا أشتهى مقدرا والمسئلة مفصلةفى الشرح أيضا . قال أمين الدين الطبرسى فى شرح الحماسة هنا: كارها حال يقول : لاأعلق شهوتى بورود باب الامير ومدافعة الحاجب إلاعلى كره . يصف ميله إلى البدو وأهله و إلفه إياهم

وقال السيد فى حاشيته على المطول : قصر فيه الشاعر نفسه فى زمان اشتهائه باب الامير على صفة الكراهة له ، فهو من قصر الموصوف على الصفة . و يمكن أن يقال : قصر فيه اشتهاء باب الامير عليه موصوفا بالكراهية له لايتعداه اليه موصوفا بصفة الارادة له فهو من قصر الصفة على الموصوف ، ولك أن تقول : قصر اشتهاءه الباب على أنه مجتمع مع كراهيته له دون إرادته إياه فيكون أيضا من قصر الموصوف على الصفة ، ثم اشتهاء الشيء إن لم يكن مستلزماً لارادته لم يناف كراهته ، فجاز أن يكون الشيء مشتهى مكروها كاللذات المحرمة عند الزهاد ، كما جاز أن يكون الشيء مرادامنفوراً عنه كشرب الادوية المرة عند المرضى . فان قيل : الاشتهاء يستلزم الارادة فالجمع بينه و بين الكراهية باختلاف الجهة فيشتهى الدخول على الامير لما فيه من التقرب و يكرهه لما فيه من المذلة و دفاع الحاجب فبالحقيقة المشتهى هو التقرب والمكروه تلك المذلة اه

و بهذا يعرف سقوط قول بعض شراح الحماسة هنا فأنه قال : ليس قوله « كارها » حالا من أشتهى لانه لا يكون كارها للشيء مشتهيا له فى حال من أجل أن الشهوة منافية للكراهة ، ولكنه حال من فعل مقدر ، والمعنى لاأشتهى باب الامير ولا آتيه إلا كارها أو ولكن آتيه كارها اه

وهذا البيت أول أبيات ثلاثة مذكورة فى الحماسة لموسى بن جابر الحنفى والبيتان بعده :

ومن الرجال أسنة مَذْرُوبةٌ　　　ومُزندون شهودهم كالغائب

منهم أسود لاترام و بعضهم　　　مما قمشت وضم حبل الحاطب

يشبه الرجل فى مضائه و صرامته وفى دقته اذا هزل بالسيف والسنان ، ومذر و بة محددة وكذلك مذربة وكل شيء حددته فقد ذربته . يقول : من الرجال رجال كالاسنة المطرورة مضاء ونفاذا فى الامور . والمزند وكذلك الزند الضيق . وقولهم « فلان زند متين » أى زند شديد الضيق متين شديد بخيل ، أى إن نالهم خطب ضاقوا عنه ولم يتجهوا فيه لرشد . وكان من حقه أن يقول ومنهم مزندون لكنه اكتفى بالاول كقوله تعالى : « منها قائم وحصيد » قال المرزوقى : سمعت أبا على الفارسى يقول كل صفتين تتنافيان فلا يصح اجتماعهما لموصوف واحد فلابد من إضمار من معهما إذا فصل جملة بهما متى لم يجيء ظاهرا فان أمكن اجتماع صفتين لموصوف واحد استغنى عن اضمار من كقولك : « صاحباك منهما ظريف وكريم » و قوله « شهودهم الى آخره » يروى بدله « حضورهم » يريد أنه لاغناء عندهم فحضورهم كغيبتهم كقول الشاعر

شهدت جسيمات العلا وهو غائبٌ ولو كانَ أيضا شاهداً كان غائبا

قال الطبرسى : يجوز أن يريد بالشهود جمع شاهد وهو الحاضر وأراد بالغائب الكثرة فتكون جنساً وإن كان الشهود مصدرا فالغائب يجوز أن يكون جنسا كالأول أى شهودهم كغيبة الغائب بحذف المضاف : ويجوز أن يكون مصدرا كالباطل ، وقوله « منهم ليوث الخ » يقول من الرجال رجال كالأسود فى العزة والمنعة لايطلب اهتضامهم ولا يطمع فيهم ومنهم متفاوتون كقماش البيت وهو رديء متاعه جمع من ههنا ومن ههنا وقوله : « وضم حبل الحاطب » هو كقول الآخر :

وكلهم يجمعهم بيت الادم

قال الأصمعى بيت الأدم يجمع الجيد والرديء ففيه من كل جلد رقعة وكذلك الحاطب يجمع فى حبله الرطب واليابس والجزل والشختور بما احتطب ليلا فضم فى حبله أفعى وهو لايدرى ، ونحوه قول العامة فى الشيء المتفاوت والقوم المختلطين هم خرق البرنس » استأنف بهذا البيت تلك القسمة على وجه آخر فهو من باب البيان ، وهو أن يجمل الشاعر معني ويفسره بما يليه .

وصاحب هذه الابيات موسى بن جابر الحنفى أحد شعراء بنى حنيفة المكثرين

يقال له ابن الفريعة وهى أمه كما أن حسان بن ثابت رضى الله عنه يقال له ابن الفريعة وتقدم فى ترجمته ،ويقال كان نصرانيا.وهو القائل

وجدنا أبانا كان حل ببلدة سوًى بين قيس قيس عيلان والفزر
برايتــه أما العــدوّ فحولنــا مطيف بنا فى مثل دائرة المهر
فلمــا نأت عنــا العشــيرة كلهــا أقمنا وحالفنا السيوف على الدهر

كذا فى المؤتلف والمختلف للآمدى ، وسوى بمعنى متوسطة صفة بلدة. والفزر لقب لسعد بن زيد مناة.وجدنا أبانا حل ببلدة متوسطة لديار قيس بن عيلان وسعد بن زيد مناة يريد حل بين مضر ونأى عن ربيعة لأن قيسا و الفزر من مضر وقوله فلما نأت الخ يقول : لما خذلتنا عشيرتنا وهم ربيعة اكتفينا بأنفسنا فأقمنا بدار الحفاظ و الصبر واتخذنا سيوفنا حلفاء على الدهر وهذا مثل ضربه لاستقلالهم فيما نهضوا فيه بعددهم وعدتهم و بلائهم وصبرهم واستغنائهم عن القاعدين

(وأنشد بعده . وهو الشاهد الخامس والأربعون . وهو من شواهد سيبويه)

(٤٥) لِيُبْكَ يزيدُ ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح

على أن الفعل المسند إلى ضارع حذف جوازاً . أى يبكيه ضارع وهذا على رواية ليبك بالبناء للمفعول و يزيد نائب فاعل . وأما على روايته بالبناء للفاعل ففاعله ضارع و يزيد مفعوله و لا حذف و لا شاهد

وهذه الرواية هى الثابتة عند العسكرى ، وعد الرواية الاولى غلطا فانه قال فى كتاب التصحيف فيما غلط فيه النحويون: ومما قلبوه وخالفهم الرواة قول الشاعر:

« ليبك يزيد ضارع » البيت

وقد رواه خالد والأصمعى وغيرهما بالبناء للفاعل من البكاء ونصب يزيد ومثله فى كتاب فعلت وأفعلت لأبى حاتم السجستانى قال أنشد الاصمعى:

ليبك يزيد ضارع

أى بالبناء للفاعل ولم يعرف « ليبك يزيد » أى بالبناء للمفعول وقال:هذا من عمل النحويين، و زعم بعضهم أنه لا حذف فى البيت على الرواية الاولى أيضا لجواز أن يكون يزيد منادى وضارع نائب الفاعل

قال ابن هشام فى شرح الشواهد:والتوجيه الأول أولى لأنه قد روى ليبك يزيد — بفتح ياء يبك وكسر كافه ونصب يزيد — فلما ظهر ضارع فاعلا فى هذه الرواية استحق أن يقدر فاعلا فى الاخرى ليستويا.وتوهم الدمامينى فى الحاشية الهندية وتبعه الفنارى فى حاشية المطول أن القائل بنداء يزيد يزعم أنه منادى فى الروايتين . واستشكله بأنه لم يثبت رفع يزيد فى رواية البناء للفاعل . وليس كما توهم ،فان الذى خرجه على النداء إنما هو على رواية ليبك — بالبناء للمفعول — كما نقل ابن هشام . والرواية الاولى أبلغ بتكرار الاسناد إجمالا ثم تفصيلا كما بينه السعد فى المطول : وقال ابن خلف : لما قال ليبك يزيد عم المأمورين بالتفجع على هذا الميت والبكاء عليه من كثرة الغناء ثم خص هذين الصنفين من جملة الباكين عليه لشدة احتياجهما اليه ثم قال نقلا عن بعضهم:ان الابهام على المخاطب فى مثل هذا النحو الذي يقصد به العموم تعظيم للمقصود ومدح عميم . ويزيد على رواية البناء للفاعل غير منصرف للعلمية ووزن الفعل لأنه منقول من الفعل دون ضميره المستتر . وعلى الرواية الاخرى يحتمل أن يكون كالأول وهو الظاهر . ويحتمل أن يكون منقولا من الفعل مع فاعله المستتر ويكون حينئذ جملة محكية .

واعلم أن هذا البيت لوقوعه فى المتن شرحه الشارح المحقق ، ونحن نذكر مايتعلق به فقوله الضارع الذليل من قولهم ضرع ضراعة فعله — من الباب الثالث — وورد فى لغة أيضا — من باب تعب — ويقال أيضا ضرع ضرعا — كشرف شرفا — بمعني ضعف فهو ضرع أيضا تسمية بالمصدر ، كذا فى المصباح . وقوله لخصومة متعلق بضارع وإن لم يعتمد على شيء الخ (أقول) ظاهره أنه لم يعتمد على شيء مما ذكر من شروط عمل اسم الفاعل النصب ، وفيه أنه معتمد على موصوف مقدر قال ابن مالك فى الخلاصة :

وقَدْ يكون نعت محذوفٍ عرف   فيستحق العَمَل الذى وصف

ويحتمل أن يكون معناه : إنه متعلق بضارع ، وإن فرض أنه لم يعتمد على شيء ، لأنه يكفيه رائحة الفعل ، وكيف لا يتعلق به ، مع اعتماده على موصوف مقدر ، لكنه بعيد عن السياق

قال الفنارى فى حاشية المطول : فان قلت بل قد اعتمد على الموصوف المقدر أى شخص ضارع فعلى تقدير اشتراط الاعتماد فى تعلق الجار به لا محذور أيضا قلت إن كفى فى عمله الاعتماد على موصوف مقدر لا يتصور الالغاء لعدم الاعتماد حينئذ لتصريح الشارح - يعنى السعد - فى شرح الكشاف بأن ذكر الموصوف مع اسم الفاعل ملتزم لفظا أو تقديراً تعيينا للذات التى قام بها المعنى ، وهو مخالف لتصريحهم ، اللهم إلا أن يقال الاعتماد على موصوف مقدر إنما يكفى لعمله إذا قوى المقتضى لتقديره . كما فى ياطالعا جبلا ويارا كبا فرساً لانضمام اقتضاء حرف النداء إلى اقتضاء نفس اسم الفاعل . لكن تأتى اعتبار مثل هذا المقتضى فى كل موضع محل نظر اه وهذا كلام جيد

وقوله : لأجل الخصومة أشار إلى أن اللام فى لخصومة لام التعليل ويحتمل أن يكون فى بمعنى عند أيضا

وقوله : فان يزيد كان ملجأ للأذلاء والضعفاء . . الاولى ملجا للأذلاء والفقراء فان المختبط بمعنى السائل كما فسره الشارح به

وقوله : وتعليقه بيبك ليس بقوى فى المعنى . قال الفنارى : لأن مطلق الخصومة ليس سببا للبكاء بل هى بوصف المغلوبية

وقوله : والمختبط الذى يأتيك للمعروف من غير وسيلة . وقع فى بعض النسخ (الذى يأتى بالليل للمعروف) والظاهر أن قيد الليل تحريف من النساخ ، وكون الاختباط الاتيان للمعروف من غير وسيلة هو قول أبى عبيدة فانه قال : المختبط الرجل يسألك من غير معرفة كانت بينكما ولا يد سلفت منه اليك . وعليه فيكون الاختباط متعديا لمفعول واحد . كما مثل الشارح المحقق بقوله : يقال : اختبطنى فلان . وقال ابن خلف الاختباط بمعنى السؤال والطلب فهو بمنزلة الاقتضاء تقول اختبطنى معروفى فخبطته — أى أنعمت عليه — ومثله اقتضيته مالا أى سألته إياه ، وحكى بعضهم : اختبط فلان فلانا ورقا اذا أصاب منه خيرا . فعلى تفسير أبى عبيدة فى البيت حذف مفعول واحد ، أى ومختبط ورقا أو رزقا أو نحو ذلك . ويجوز أن يكون هذا المفعول ضمير يزيد أى ومختبط اياه ، وعلى التفسير الثانى فيه حذف مفعولين أى ومختبط الناس أموالهم . ومثله « اذا سألت فاسأل الله » أى اذا سألت أحدا معروفه فاسأل الله معروفه ، وروى

ومستمنح بدل ومختبط ، أى من استمنحه أى طلب منحته وهى العطية والرفد . والاصل فى المنحة هى الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلا يشرب لبنها ثم يردها إذا انقطع اللبن ثم كثر استعماله حتى أطلق على كل عطاء، ومنحته ـ من باب نفع وضرب ـ إذا أعطيته، وصف الشاعر يزيد بالنصر والكرم للذليل وطلب المعروف فيقصده الضارع للخصومة ويلتجىء إليه المختبط إذا أصابته شدة السنين

وقوله: وأصله من خبطت الشجرة الخ . الخبط بسكون الباء إسقاط الورق من الشجر بالعصا لعلف الابل والخبط ـ بفتحتين ـ هو الورق الساقط والمخبط ـ بكسر الميم ـ هى العصا التى يخبط بها والفعل ـ من باب ضرب ـ وقال ابن مالك : الأصل فيه أن السارى والسائر لا بد من أن يختبط الارض . ثم اختصر الكلام فقيل للآتى طالبا للجدوى : مختبط ، وخبطت الرجل إذا أنعمت عليه من غير معرفة وخبطته إذا سألته أيضا فهو ضد

وقوله: وهو إما على حذف الزوائد الخ أشار إلى أن الطوائح جمع على غير قياس لأن فعله رباعى يقال أطاحته الطوائح وطوحته فقياس الجمع أن يكون المطيحات والمطاوح فان تكسير مفعل مفاعل ـ بحذف إحدى العينين وابقاء الميم ـ وتخريج الجمع على حذف الزوائد هو لأبى على الفارسى . وتخريجه على النسب هو لأبى عمرو الشيبانى فان تقديره عنده مما تطيحه الحادثات ذوات الطوائح ، ونقل ابن خلف عن الأصمعى : أن العرب تقول : طاح الشىء فى نفسه وطاحه غيره بمعنى طوحه وأبعده . فعلى هذا يكون الطوائح جمع طائحة من المتعدى قياسا ولا شذوذ ، ولم أر هذا النقل فى الكتب المدونة فى اللغة ولا فى غيرها

وقوله : يقال : طاح يطوح الخ ، طاح بمعنى هلك وكل شىء ذهب وفنى فقد طاح

وقوله: وطاح يطيح وهو واوى الخ ، فيكون أصلهما طوح يطوح ـ بكسر الواو فيهما ـ فأعلا . وجعله صاحب العباب مما عينه جاء معتلا بالواو تارة وبالياء أخرى . ولم يعتبر أن الواو صارت ياء بالاعلال ، وسبقه ابن جنى فى إعراب الحماسة فانه قال: ومن قال طاح يطيح فكان عنده كباع يبيع فقياسه أن يقول المطايح فيصحح الياء لانها عين مفعل.

وقوله: مما تطيح متعلق بمختبط الخ هذا هو الظاهر المتبادر اليه . وقال ابن خلف

وقوله: مما تطيح موضعه رفع على النعت لمختبط أوله ولضارع جميعا، أى كائن أو كائنان، فتكون ما للجنس، ويؤيد هذا التأويل رواية من روى «ممن تطيح» أى من الذي تطيحه الطوائح. فحذف العائد، وروى أبو على «قد طوحته الطوائح» وهذا يؤيد كون هذه الجملة نعتا لمختبط لرجوع الضمير اليه مفردا، وقوله: أى يسأل من أجل أشار الى أن من تعليلية وقال ابن الحاجب فى ايضاحه وأماليه: ومن للابتداء، أو بمعنى السببية فالأول على أن ابتداء الاختباط من الأطاحة، او سبب الاختباط الأطاحة، فان قلت: ما الفرق بينهما؟ قلت: فيه خلاف، قال أبو حيان: كأن التعليل والسبب عندهم شيء واحد. قال السيوطى: هذا هو الحق، وفى شرح جمع الجوامع للمحلى مايصرح به لانه قال: المعبر عنه هنا بالسبب هو المعبر عنه فى القياس بالعلة، وخالفهم ابن السبكى فى الاشباه والنظائر فقال: إن الفرق بينهما ثابت لغة ونحوا وشرعا، قال اللغويون: السبب كل شيء يتوصل به إلى غيره ومن ثم سموا الحبل سببا، وذكروا أن العلة المرض وكلمات يدور معناها على أن العلة أمر يكون عنه أمر آخر، وذكر النحاة أن اللام للتعليل ولم يقولوا للسببية. وقال أكثرهم: الباء للسببية ولم يقولوا للتعليل، وذكر ابن مالك السببية والتعليل، وهذا تصريح بأنهما غيران، وقال أهل الشرع: السبب مايحصل الشيء عنده لابه والعلة ما يحصل به وأنشد ابن السمعانى على ذلك:

ألم تَرَ أن الشيءَ للشيء علة تكُونُ به كالنّار تقدح بالزند

والمعلول يتأثر عن علته بلا واسطة بينهما، ولا شرط يتوقف الحكم على وجوده والسبب إنما يفضى إلى الحكم بواسطة أو وسايط، ولذلك يتراخى الحكم عنه حتى توجد الشرائط وتنتفى الموانع، واما العلة فلا يتراخى الحكم عنها إذ لا شرط لها بل متى وجدت أوجبت معلولها بالاتفاق، الى آخر ما فصله

وقوله: إذهاب الوقائع ماله، أشار الى أن مفعول تطيح محذوف وهو ماله وقوله أى يلك لاجل اهلاك المنايا يزيد، أشار الى ان مفعول تطيح على هذا التقدير هو يزيد وأراد بالمنايا أسباب الموت اطلاقا لاسم المسبب على السبب وإلا فالشخص الواحد لا تهلكه إلا منية واحدة، وقوله: ويجوز أن تكون مابمعنى التى.. زاد بعضهم ويجوز أن تكون نكرة موصوفة

وهذا البيت من أبيات لنهشل بن حرى على ما فى شرح أبيات الكتاب لابن خلف فى مرثية يزيد وهى :

لَعَمْرى لئن أمسى يزيدُ بن نهشل   حَشا جدثٍ تسفى عليه الروائح
لقد كان ممن يبسط الكف بالندى   اذا ضن بالخير الا كف الشحائح
فبعدك أبدى ذو الضغينة ضغنه   وسدّ لى الطّرْفَ العيونُ الكواشحُ
ذكرت الذى مات الندى عند موته   بعاقبة إذ صالحُ العيش طالح
اذا أرق أفنى من الليـل ما مضى   تمطى به ثِنى من الليل راجح

ليبك يزيد ضارع «البيت»

سقى جدثا أمسى بدَوْمَة ثاويا   من الدلو والجوزاء غادٍ ورائحُ

الحشا ما فى البطن والجدث ـ بالجيم والثاء المثلثة ـ القبر . وتسفى مضارع سفت الريح التراب ذرته ويقال أسفته أيضا فالمفعول محذوف ، والروائح أى الايام الروائح من راح اليوم يروح روحا ـ من باب قال ـ وفى لغة ـ من باب خاف ـ إذا اشتدت ريحه فهو راح وأما كونه جمع ريح لم أقف على من نبه عليه مع أن ريحا لم تجمع على هذا الوزن . وضن يقال ضن بالشىء يضن ـ من باب تعب ضنا وضنة ـ بالكسر وضنانة بالفتح ـ بخل فهو ضنين ـ ومن باب ضرب ـ لغة ، والشحائح جمع شحيح من الشح وهو البخل وفعله من ـ باب قتل ـ وفى لغة ـ من بابى ضرب وتعب أراد أنه إن فقد بالعدم فهو حى بذكره بالكرم . وما أحسن قول أبى نصر الميكالى

بانى العلا والمجد والإحسان   والفضْل والمعروف أ ومُ بان
الجود رأى مسدد وموفق   والبذل فعل مؤيد ومعان
والبرّ أكرم ما وعته حقيبة   والشكر أفضل ماحوته يدان
وإذا الكريمُ مضى وولى عمرُه   كفل الثناء له بعمرٍ ثان

ولأجل هذا البيت الأخير أنشدت هذه الأبيات

وعاه يعيه حفظه وجمعه ، والحقيبة أصله العجز ثم سمى ما يحمل من القماش على الفرس خلف حقيبته مجازا لأنه محمول على العجز . وقوله : فبعدك أبدى الخ فيه التفات من الغيبة

إلى الخطاب والضغينة والضغن بالكسر اسم من ضغن صدره ضغنا من باب تعب بمعنى حقده . وسد أغلق. والطرف مصدر طرف البصر طرفا من باب ضرب تحرك ونظر وهو مفعول مقدم والعيون فاعل مؤخر والكواشح جمع كاشحة مؤنث الكاشح وهو مضمر العداوة وكشح له بالعداوة عاداه ككاشحه ، وإنما نسبه إلى العيون لأن العداوة أول ماتظهر من العين . أى صرت بعدك ذليلا لاأقدر أن أرفع بصرى الى أحد . وفى نسخة وسدد لى من التسديد وهو التقويم أى صوب نحوى عيون الاعداء نظرها وهذه أحسن .

وقوله ذكرت الندى الخ . ضمير موته راجع للذى وهو العائد والباء متعلقة بمات والعاقب الذى يخلف من كان قبله فى الخير وضمير عاقبة راجع للندى يقول مات الندى مع من يخلفه عند موت يزيد . ويصح أن يعود الضمير ليزيد واذ متعلقة بذكرت . والصالح من الصلاح والطالح من الطلاح وهو ضد الصلاح . والأرق السهر . وتمطى امتد وطال . وضمير به راجع إلى مامضى . والثنى بكسر المثلثة وسكون النون يقال ثني من الليل أى ساعة وقيل وقت . وراجح أى زائد ثقيل من رجح الميزان رجوحا مال . واذا عاملها تمطىء . يشكو بهذا البيت طول الليل وقوله : أمسى بدومة ثاويا : دومة بفتح الدال والميم اسم موضع بين الشام والموصل وهو من منازل جزيمة الأبرش كان وقع فيه الطاعون ذكره الأخطل فى شعره كذا فى المعجم لأبى عبيد البكرى . وغاد فاعل ستى واحده غادية وهى السحابة تنشأ غدوة . والرائح مطر العشى وهو آخر النهار . وقوله : من الدلو كان فى الأصل صفة لما بعده فلما قدم صار حالا ، وإنما خص السحاب بكونه من الدلو والجوزاء لكثرة مائه فان الدلو وسط فصل الشتاء فان الشمس تحل فيه بالجدى ، والدلو والحوت والجوزاء آخر فصل الربيع والشمس تحل فيه بالحمل والثور والجوزاء

ونهشل بن حرى بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين بلفظ المنسوب الى الحر أو الى الحرة ، وهو ابن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم ، وكان اسم ضمرة جد نهشل شقة بكسر الشين المعجمة وتشديد القاف ودخل على النعمان فقال له : من أنت فقال: أنا شقة بن ضمرة قال النعمان : تسمع

بالمعيدى لا أن تراه فقال «أبيت اللعن» إنما المرء بأصغريه بقلبه ولسانه، إن نطق نطق ببيان وان قاتل قاتل بجنان قال : أنت ضمرة بن ضمرة . يريد إنك كأبيك . كذا فى كتاب الشعراء لابن قتيبة . . . وكان نهشل شاعرا حسن الشعر وهو القائل

ويوم كأن المصطلين بحره وإن لم تكن نار وقوف على جمر

صبرنا لها حتى تبوخ (١) وإنما تفرج أيام الكريهة بالصبر

قال السكرى فى التصحيف: وابنه حرى بن نهشل بن حرى شاعر أيضا وله يقول الفرزدق

أحرىّ قدْ فاتتك أخت مجاشع فصيلةُ فانكح بعدها أو تأيَّم

ونهشل بن حرى من المخضرمين ، نقل ابن حجر فى الاصابة عن المرزبانى أنه شريف مشهور مخضرم بقى إلى أيام معاوية وكان مع على فى حروبه وقتل أخوه مالك بصفين وهو يومئذ رئيس بنى حنظلة وكانت رايتهم معه ورثاه نهشل بمراث كثيرة قال: وأبوه شاعر شريف مشهور مذكور وجده ضمرة سيد ضخم الشرف وكان من خير بيوت بني دارم

(تتمة) نسب النحاس هذه الأبيات فى شرح أبيات الكتاب وتبعه ابن هشام للبيد الصحابى وحكى الزمخشرى أنها لمزرد أخي الشماخ ، وقال ابن السيرافى : هى للحرث بن ضرار النهشلى يرثى يزيد بن نهشل ، وقال اللبلى إنها لضرار النهشلى وذكر اليعلى انها للحرث ابن نهيك النهشلى وقيل هى لمهلهل والصواب انها لنهشل بن حرى كما فى شرح أبيات الكتاب لابن خلف وكذا فى شرح أبيات الايضاح والله أعلم .

(وأنشد بعده وهو الشاهد السادس والأربعون ، وهو من شواهد سيبويه)

(٤٦) لاتجْزعى إن منفسٌ أهلكتُه

وتمامه : وإذا اهلكت فعند ذلك فاجزَعى

على أن الكوفيين أضمروا فعلا رافعا لمنفس أى إن هلك منفس أو أهلك منفس ولو ردّه فى باب الاشتغال أيضا كذا ، وأما البصريون فقد رووه : لاتجزعى

---

(١) تبوخ — تسكن

إن منفسا أهلكته، وكذا أورده سيبويه بنصب منفس على أنه منصوب بفعل مضمر تقديره ان أهلكت منفسا أهلكته فأهلكته المذكور مفسر للمحذوف، وهذه الجملة من باب الاشتغال لاتدخل فى الجملة التفسيرية التى لامحل لها من الاعراب وان حصل بها تفسير قال أبو على فى البغداديات: الفعل المحذوف والفعل المذكور فى نحو قوله «لاتجزعى إن منفسا أهلكته» مجزومان فى التقدير وإن انجزام الثانى ليس على البدلية إذ لم يثبت حذف المبدل منه بل على تكرير إن أى إن أهلكت منفسا إن أهلكته، وساغ إضمار إن وإن لم يجز إضمار لام الأمر إلا ضرورة لاتساعهم فيها بدليل إيلائهم إياها الاسم ولأن تقدمها مقو للدلالة عليها. وقوله: وإذا هلكت الواو عطفت هذه الجملة الشرطية على الشرطية التى قبلها ولم أر فى جميع الطرق من روى بالفاء بدل الواو الا العينى فانه قال: الفاء عاطفة والمعنى لايقتضى الفاء فانها تدل على الترتيب والتعقيب والسببية والثلاثة منتفية سواء كان الترتيب معنويا كما فى قام زيد فعمرو أو ذكريا وهو عطف مفصل على مجمل نحو «ونادى نوح ربه فقال رب» وقوله فعند ذلك فاجزعى أورده الشارح فى الفاء العاطفة على ان إحدى الفاءين زائدة ولم يعين أيتهما زائدة قال أبو على فى المسائل القصرية: الفاء الأولى زائدة والثانية فاء الجزاء ثم قال: اجعل الزائدة أيهما شئت. وعين القاضى فى تفسيره الفاء الأولى فانه أورد البيت نظيرا لقوله تعالى «فبذلك فليفرحوا» فقال: الفاء فى فبذلك زائدة مثلها الداخلة على عند فى البيت وتقديم عند للتخفيف كتقديم ذلك. وسيبويه لا يثبت زيادة الفاء وحكم بزيادتها هنا للضرورة، ومن تبعه وجه ما أوهم الزيادة فوجهها صاحب اللباب بأنها إنما كررت هنا لبعد العهد بالفاء الاولى كما كرر العامل فى قوله:

لقد علم الحى اليمانون أننى … اذا قلت أما بعد أنى خطيبها

أعيد أنى لبعد العهد بانى. وأجاز الاخفش زيادتها فى الخبر مطلقا: وحكى زيد فوجد وقيده بعضهم بكون الخبر أمرا و نهيا نحو: «وقائلة خولان فانكح فتاتهم» وقوله.

أنت فانظر لأى ذاك تصير

وأوله المانعون بأن التقدير هذا زيد فوجده هذه خولان، وبأن الاصل انظر فانظر ثم حذف انظر فبرز ضميره، والجزع قيل هو الحزن وقيل أخص منه فانه حزن يمنع،

الانسان و يصرفه عما هو بصدده و يقطعه عنهوأصله القطع يقال : جزعت الحبل قطعته لنصفه ، و يقال أيضا جزعنا الوادي أي قطعناه عرضا وقيل هو قطعه مطلقا فالجزع بالفتح المصدر والجزع بالكسر منقطع الوادي وقيل هو الفزع ومنه قوله تعالى « أجزعنا أم صبرنا » والفزع أخص من الخوف وهو انقباض يعترى الانسان ونفار من كل شيء مخيف وهو من جنس الجزع ، والمنفس قال في القاموس : وشيء نفيس ومنفوس ومنفس بالضم يتنافس فيه و يرغب ونفس ككرم نفاسة ونفاسا بالكسر ونفسا بالتحريك والنفيس المال الكثير ونفس به كفرح ضن وعليه بخير حسد وعليه الشيء نفاسة لم يره أهلا له انتهى .. وفي عمدة الحفاظ وأصل المنافسة مجاهدة النفس للتشبيه بالافاضل من غير ادخال ضرر على غيره وشيء نفيس منفوس به أي مفضول والاهلاك لشيء ايقاع الهلاك به والهلاك على أربعة أوجه (أحدها) وهو المراد هنا افتقاد الشيء عنك وهو موجود عند غيرك ومنه « هلك عني سلطانيه » (والثاني) هلاك الشيء باستحالة وفساد كقوله تعالى « و يهلك الحرث والنسل » (والثالث) الموت نحو « إن امرؤ هلك » (والرابع) الشيء (١) من العالم وعدمه رأسا وذلك هو المسمى فناء كقوله تعالى « كل شيء هالك إلا وجهه » وقد يطلق الهلاك على العذاب والخوف والفقر ونحوها لأنها أسبابه يقول : لا تجزعي من انفاق النفائس ما دمت حيا فاني أحصل أمثالها وأخلفها عليك ولكن اجزعي اذا مت فانك لا تجدين خلفا مني

وهذا البيت آخر قصيدة للنمر بن تولب يصف نفسه فيها بالكرم و يعاتب زوجته على لومها فيه وكان أضافه قوم في الجاهلية فعقر لهم أربع قلائص واشترى لهم زق خمر فلامته على ذلك فقال هذه القصيدة وهي :

قالت لتعذلني من الليل: اسمع سفهٌ تبيتك الملامةَ فاهجعي

قوله: اسمع مقول قولها ، وقوله : سفه الخ هو خبر مقدم وتبيتك مبتدا مؤخر والملامة مفعول تبيتك وهو مضاف لفاعله وروى سفها بالنصب فيكون كان مقدرة وعلى الوجهين الجملة مقولة لقول محذوف : اى فقلت لها ، يقول : لامت من الليل بعجلة عن الصبح وكان ذلك منها سفها ومثله قول الشاعر :

هبّت تلوم و بئست ساعة اللاحي هلاّ انتظرت بهذا اللّوم إصباحي

(١) كذا في الأصل المطبوع في بولاق ولعل العبارة : الرابع زوال الشيء الخ

والسفه خفة العقل والأصل فيه خفة النسج في الثوب يقال ثوب سفيه أي خفيف النسج ، والسفه أيضا خفة البدن ومنه زمام سفيه أي كثير الاضطراب ، واستعمل في خفة النفس كنقصان العقل في الامور الدنيوية والاخروية قال تعالى « فان كان الذي عليه الحق سفيها » أي ضعيف العقل باعتبار خفته ولذلك قوبل بالرزانة فقيل رزين العقل والتبيت أراد به التبييت لانه مصدر بيت الامر اى دبره ليلا والهجوع النوم بالليل

لاتجزعي لغد وأمر غدٍ له أتَعجِّلينَ الشر مالم تمنعى ؟

يقول: إننا الآن بخير فلم تعجلين الشر ما لم تمنعى من الخير وقوله وأمر غد له اى ان أمر غد أو رزق غد موكول الى غد فلا ينبغي له التحزن منذ اليوم وقوله: أتعجلين استفهام توبيخى وتعجلين بفتح التاء وأصله بتاءين وأراد بالشر الفقر أو الجزع وما مصدرية ظرفية

قامت تُبــكِّي أن سَبأت لفتية زِقًا وخابية بعَود مُقطَع

تبكى بضم التاء وكسر الكاف المشددة يقال بكاه عليه تبكية أى هيجه للبكاء فمفعوله محذوف . وروى تباكى أى تتباكى وسبأ الخمر مهموز الآخر كجعل سبأ وسباء واستبأها أيضا بمعنى اشتراها للشرب لا للتجارة والزق بالكسر جلد يجز ولا ينتف صوفه يكون للشراب وغيره والزق بالضم الخمر نفسها ، والخابية الجرة العظيمة ويقال الحب والزير وأصلها الهمز لكن تركوه . والعود بفتح المهملة المسن من الابل والمقطع بزنة اسم المفعول البعير الذى أقطع عن الضراب ، والبعير قام من الهزال . يخبر أنها لامته فيما لاخطر له

وقريت فى مَقرى قلائص أربعا وقريت بعد قرى قلائص أربع

قريت الضيف قرى بالكسر والقصر وقراء بالفتح والمد أى أضفته. والمقرى بالفتح موضع القرى وبالكسر وكذلك المقراة القصعة التى يقرى فيها ، وقلائص مفعول قريت وهو جمع قلوص وهى الناقة الشابة ولهذا حذف التاء من العدد ، وقوله بعد قرى قلائص أربع كل لفظ مضاف لما بعده الى الآخر يقول : قريت فى موضع قلائص أربعا ولم يمنعنى ذلك أن قريت بعد هن

أتبكيا من كل شيء هينٍ سفهٌ بكاء العين مالم تدمع

يقول: سفه بكاؤك من كل شيء لا يحزنك ولا تدمع عينك منه فلو كنت حزينة كان اعذر لك عندى

فاذا أتانى إخوتى فدعيهم يتعللوا فى العيش أو يلهوا معى

تعلل بالامر تشاغل به، والعيش الحياة المختصة بالحيوان وهو أخص من الحياة لأن الحياة تقال فى الحيوان وفى الملك وفى البارى تعالى ، واللهو الشغل عن مهمات الامور بما تميل اليه النفس والواو فى يلهوا ضمير الجماعة ولام الفعل محذوفة مثل الرجال يعفون

لاتطرديهم عن فراشى إنه لابد يوما أَنْ سيخلو مضجعى

الفراش البيت كذا قال محمد بن حبيب فى شرحه . وهى هنا لفظة قبيحة وان مخففة من الثقيلة.

هلا سألت بعادياء وبيته والخل والخمر التى لم تمنع

قال شارح الديوان محمد بن حبيب: بعادياء يريد عن عادياء يقول : لم يبق عادياء وكذلك انا أقل بقاء ، وهو عادياء أبو السموأل الأزدى الغسانى وقال آخرون يريد عادا وكل شىء قديم عند العرب عادى وقوله : والخل والخمر التى لم تمنع يعنى الخير والشر كما يقال مافلان بخل ولا بخمر اى ليس عنده خير ولا شر واذهب فما أنت بخل ولا خمر قال أبو عبيد فى الأمثال : أراد أنه كان لايبخل بشىء مما كان عنده

وفتاتهم عنْز عشية أبصرت من بعد مرأى فى الفضاء ومسمع

قالت أَرَى رجلا يقلب نعله أُصُلاً وجوٍّ آمنٍ لم يفزع

قوله وفتاتهم مجرور وعنز عطف بيان عليه وهو - بفتح العين المهملة وسكون النون وآخره زاى معجمة - اسم زرقاء اليمامة وكانت من جديس بنت ملكهم وكانت تغذى بالمخ وفى القاموس : وعنز امرأة من طسم سبيت فحملوها فى هودج وألطفوها بالقول والفعل فقالت: هذا شر يومى ، أى حين صرت أكرم للسباء ، ونصب شر على معنى ركبت فى شر يوميها ثم قال : وزرقاء اليمامة امرأة من جديس كانت تبصر من مسيرة ثلاثة أيام انتهى، فتأمل .. قال الشاعر :

شر يوميها وأغواه لها ركبت عنز بحدج جملا

وكانت رأت رجلا من طلائع تبع قدام الجيش يقلب نعلا من مسيرة ثلاثة أيام ولم يفزع لهم أحد ولم يعلم بمجيئهم ، والاصل جمع أصيل وهو مابعد صلاة العصر الى

المغرب ، وقوله وجو يريد أهل جو وجو اسم بلد وهى اليمامة التى تضاف اليها زرقاء اليمامة ، وقوله وفتاتهم قال ابن حبيب: نسب عنزا الى بيت عادياء وليست منهم وانما كان شيأ فى أول الدهر فنسبه الى بعضهم كما قال زهير كأحمر عاد وانما كان فى ثمود وكما قال آخر

مثل النصارى قتلوا المسيحا

فكأنّ صالح أهل جوٍّ غدوة صُبحوا بَذيفان السمام المنقع

يريد الجميع لأنه إذا هلك الوجوه والصالحون منهم فالذين دونهم أحرى أن يهلكوا وقد صبحوا بالبناء للمفعول من الصبوح وهو شرب الغداة تقول صبحته صبحا من باب ضربته ، والذيفان ـ بفتح الذال وكسرها و بالمثناة التحتية وتهمز فيهما ـ السم القاتل والسمام بالكسر جمع سم والمنقع كل ماينقع بالماء ونحوه

كانوا كأنعم من رأيت فأصبَحُوا يلوون زاد الراكب المتمتع

أى كانوا بنعمة وخصب ثم أصبحوا يعسر عليهم ان يزودوا راكبا لأنهم لايقدرون على ذلك والمتعة الزاد يقول ماله متعة ولابتات . يقول المسافر متعنى و بتتنى وزودنى كل ذلك بمعنى واحد

كانت مقدمة الخَميس وخلفها رَقَص الركاب إلى الصباح بتبع

الرقص ـ بفتحتين ـ الخبب وهو نوع من السير وأرقص الرجل بعيره أى حمله على الخبب، ويروى ركض الركاب والركاب الابل واحده راحلة وضمير كانت راجع إلى نظرة عين المرأة المذكورة المفهومة من السياق . وخلف تلك النظرة إبل تبع تسير الى الصباح حتي لحقهم . وتبع أبو حسان بن تبع الذى غزا جديس فقتلهم واستباح اليمامة

لاتجزعي ان منفس اهلكته . البيت . وهذا آخر القصيدة

والنمر بن تولب صحابى يعد من المخضرمين . ونسبه مذكور فى الاستيعاب وغيره وهو عكلى منسوب الى عكل ـ بضم المهملة وسكون الكاف ـ وهى أمة كان تزوجها عوف بن قيس بن وائل بن عوف بن عبد مناة بن أد بن طابخة فولدت ثلاثة بنين ثم مات فحضنتهم عكل فنسبوا اليها

والنمر شاعر جواد واسع العطاء كثير القرى وهابا لماله وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس لجودة شعره وكثرة أمثاله ويشبه شعره بشعر حاتم الطائى

وقال أبو عبيدة كان النمر شاعر الرباب فى الجاهلية ولم يمدح أحدا ولا هجا ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم مسلما وهو كبير . قال أبو حاتم السجستانى فى كتاب المعمرين عاش النمر بن تولب مائتى سنة وخرف وألقى على لسانه « انحروا للضيف أعطوا السائل أصبحوا الراكب » أى أسقوه الصبوح قال ابن قتيبة فى ترجمته من كتاب الشعراء وألقى بعض البطالين على لسانه «نيكوا الراكب» فكان يقولها ومن شعره :

لاتغضبن على امرىء فى ماله ... وعلى كرائم صلب مالك فاغضب

وإذا تصبك خصاصة فارج الغنى ... وإلى الذى يعطى الرغائب فارغب

باب التنازع

(أنشد فيه . وهو الشاهد السابع والاربعون)

٤٧ فكنت كالساعي الى مَثْعَب ... مُوائلا من سَبَل الراعِد

على أن الكسائى وقع فى أشنع مما فر منه من حذف الفاعل مضمرا لئلا يلزم الاضمار قبل الذكر فى نحو ضربانى وضربت الزيدين مع أن الاضمار قبل الذكر قد ورد وحذف الفاعل فى غير المسائل المحصورة لم يرد

والساعى من سعى الرجل فى مشيه وسعى الى الصلاة ذهب اليها على أى وجه كان وأصل السعى التصرف فى كل عمل ومنه قوله تعالى « وأن ليس للانسان الا ما سعى » والمثعب ـ بفتح الميم وسكون المثلثة وفتح العين المهملة ـ قال فى الصحاح هو واحد مثاعب الحياض وانثعب الماء جرى فى المثعب وثعبت الماء فى الحوض ـ بالتخفيف ـ فجرته والثعب بالتحريك مسيل الماء فى الوادى والموائل اسم فاعل من وائل منه على وزن فاعل اى طلب النجاة وهرب والموئل الملجأ وقد وأل يئل وألا ووؤلا على فعول أى لجا والسبل بالسين المهملة والباء الموحدة المفتوحتين هو المطر، والراعد سحاب ذو رعد ، ويقال رعدت السماء رعدا من باب قتل ورعودا لاح منها الرعد كذا فى المصباح ، يقول : أنا فى التجائى اليه كالهارب من السحاب ملتجئا إلى الميزاب ومثله قول الشاعر :

المستجير بعمرو عند كُربته ... كالمستجير من الرَّمْضَاء بالنَّار

والبيت لسعيد بن حسان وقبله :

فررت من معْن وإفلاسه الى اليَزيدىّ أَبى واقد

ومعن هو معن بن زائدة الأمير الجواد المضروب مثلا فى الجود والكرم وانما قال وافلاسه لأن الافلاس لازم الكرام فى اكثر الأيام . واليزيدى هو احد اولاد يزيد بن عبد الملك . وقد أورد العتبي هذين البيتين فى تاريخ يمين الدولة محمود بن سبكتكين تمثيلا ونسبهما الى سعيد بن حسان ونقلتهما منه لأنى لم أرهما إلا فيه . ونقلت شرح بيته الاول من شرح التاريخ المذكور لابى عبد الله محمود بن عمر النيسابورى الشهير بالنجاتى

(وأنشد بعده وهو الشاهد الثامن والاربعون) .

(٤٨) لاَ تخلنا على غراتك إنّا طَالَمَا قدوشَى بنا الأعداء

على أن بعضهم جوز فى السعة حذف أحد مفعولى باب علمت للقرينة مستد لا بهذا البيت أى لا تخلنا اذلاء . الاولى هالكين أو جازعين. والقرينة البيت الذى بعده وهو :

فبقينا على الشَّناءة تنميـ ـنا جـدودٌ وعزة قعْساء

اى فبقينا على بغض الاعداء لنا ولم يضرنا بغضهم والشناءة بالفتح والمد البغض وتنمينا ترفعنا يقال : نماه كذا أى رفعه . و القعساء الثابتة . والجدود جمع جد بالفتح وهو الحظ و البخت . وخال يخال بمعنى ظن وحسب، وعلى بمعنى مع، والغراة بالفتح والقصر اسم بمعنى الاغراء يقال أغريته به أغراء فاغرى به بالبناء للمفعول وقدروى على غرائك أيضا بالمد وهو مضاف لفاعله والمفعول محذوف أى الملك، وقال أبو زيد فى نوادره يقال: أغريت فلانا بصاحبه إغراء وآسدت بينهما إيسادا إذا حملت كل واحد منهما على صاحبه حتى غرى به أى لزق به غرى شديدا مقصور وغريت أنا بفلان فأنا أغرى به غرًى اذا أولعت به من غير تحميل ، وأنشد هذا البيت، وإنا بالكسر لأنه استئناف بيانى وطالما أى كثيرا ما وهو فعل مكفوف عن الفاعل لاتصاله بما الكافة ويروى أيضا قبل ما قدوشى بضم اللام أى قبلك وما زائدة ووشى به عند السلطان وشيا سعي به وقبل هذا البيت:

أيها الناطق المرقِّش عنا عند عمرو وهل لذاك بقاء

والمرقش : المزين أراد الذى يزين القول بالباطل : يقول : يا أيها الناطق عند الملك

الذى يبلغه عنا ما يريبه فى محبتنا إياه ودخولنا تحت طاعته هل لهذا التبليغ بقاء ، وهو استفهام انكارى لأن الملك يبحث عنه فيعلم ذلك من الأكاذيب

وعمرو هو عمرو بن المنذر الاكبر ابن ماء السماء ويقال له أيضا عمرو بن هند ويلقب بالمحرق لأنه حرق بني تميم فى النار وقيل بل حرق نخل اليمامة ،وهو من ملوك الحيرة . . .

وهذه الابيات من المعلقة المشهورة لابن حلزة وهو الحرث بن حلزة من بنى يشكر بن بكر بن وائل وهو بكسر الحاء المهملة وكسر اللام المشددة وهو فى اللغة كما قال الصاغانى : اسم دويبة واسم البومة ، والذكر بدون هاء ويقال امرأة حلزة للقصيرة والبخيلة والحلز السيء الخلق انتهى . . وقال قطرب : حكى لنا أن الحلزة ضرب من النبات ولم نسمع فيه غير ذلك قال أبو عبيدة أجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة ثلاثة نفر: عمرو بن كلثوم ، والحرث ابن حلزة ، وطرفة بن العبد . وزعم الأصمعي أن الحرث قال قصيدته هذه وهو ابن مائة وخمس وثلاثين سنة.

وكان من حديثه أن عمرو بن هند لما ملك الحيرة وكان جبارا جمع بكرا وتغلب فأصلح بينهم وأخذ من الحيين رهنا من كل حى مائة غلام ليكف بعضهم عن بعض وكان أولئك الرهن يسيرون ويغزون مع الملك فأصابتهم سموم فى بعض مسيرهم فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون فقالت تغلب لبكر بن وائل : أعطونا ديات أبنائنا فان ذلك لازم لكم ، فابت بكر ،فاجتمعت تغلب الى عمر بن كلثوم فقال عمرو بن كلثوم لتغلب :بمن ترون بكرا تعصب أمرها اليوم؛ قالوا :بمن عسى الا برجل من بنى ثعلبة : قال عمرو : أرى الامر والله سينجلى عن احمر أصلع أصم من بنى يشكر فجاءت بكر بالنعمان بن هرم أحد بنى ثعلبة بن غنم بن يشكر وجاءت تغلب بعمرو بن كلثوم فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هرم : يا أصم جاءت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم وقد يفخرون عليك فقال النعمان : وعلى من أظلت السماء يفخرون قال عمرو بن كلثوم : والله أني لو لطمتك لطمة ما أخذوا بها قال : والله أن لو فعلت ما أفلت بها قيس إير أبيك ، فغضب عمرو بن هند وكان يؤثر بنى تغلب على بكر وجرى بينهما كلام فغضب عمرو بن هند غضبا ،شديدا حتى هم بالنعمان فقام الحرث بن حلزة وارتجل هذه القصيدة ،وتوكأ على قوسه فزعموا أنه اقتطم كفه وهو لا يشعر من الغضب

وقال ابن السيد فى شرح أدب الكاتب : كان متكئا على عنزة فارتزت فى جسده وهو لايشعر والعنزة ـ بفتح العين المهملة والنون ـ رمح صغير فيه زج أى حديدة وكان عمرو بن هند شريراً لا ينظر إلى أحد به سوء وكان ابن حلزة انما ينشده من وراء حجاب لبرص كان به فلما أنشده هذه القصيدة أدناه حتى جلس اليه وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء وكان ينشده من وراء سبعة ستور فأمر برفع الستور عنه استحسانا لها

(وانشد بعد وهو الشاهد السابع والاربعون وهو من شواهد سيبويه)

(٤٩) ولَوْ أن ما أسعى لادنى معيشة كَفَانى ولم أطلب قليلٌ من المال

ولـكنما أسْعَى لمجد مؤثل وقد يُدرِكِ المجدَ المؤثلَ أمثالِى

على أنه ليس من التنازع ، وقد بينه الشارح المحقق . واصله من ايضاح ابن الحاجب وقد تكلم عليه ابن هشام أيضا فى مغنى اللبيب فى لو وفى الاشياء التى تحتاج الى رابط من الباب الرابع بتحقيق لامزيد عليه : بقى ان ابن خلف نقل فى شرح أبيات الكتاب عن أبى عبد الله الحسن بن موسى الدينورى أنه قال:والذى يقوى فى نفسى وما سبقنى اليه أحد أن قوله : «ولم أطلب»معناه ولم أسع ، وهو غير متعد . فلذلك لم يحفل به ولا أعمل الاول ولا أدرى كيف خفي على الافاضل من أصحابنا ذلك حتى جعلوا البيت شاهدا لجواز إعمال الاول انتهى

وهذا ليس بشيء فان الطلب معناه الفحص عن وجود الشيء عيناً كان ذلك الشيء أو معنى ، والسعي السير السريع دون العدو ويستعمل للجد فى الأمر وهذا غير معنى الطلب وقد يكون لازما له واستعماله فى اللازم لاقرينة له مع أن الأول متعد والثانى لازم ولم أسع مسند إلى ضمير المتكلم فكيف يرفع ، وما فى«أن ما»مصدرية لاموصولة لاحتياجها إلى العائد المقدر أى أسعى له ، قال ابن خلف : المجد الشرف وأصله الكثرة فكان معناه كثرة الأفعال الجميلة التى توجب لصاحبها الشرف وهو الارتفاع،انتهى ، ومثله فى عمدة الحفاظ قال : وأصل المجد من مجدت الابل حصلت فى مرعى كثير واسع وقد أمجدها الراعي جعلها فى ذلك ، وتقول العرب:«فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار »ويروى بصيغة الماضى والمرخ فاعله بمعنى استكثر النار ،وفى القاموس . المجد نيل الشرف والكرم . أو لايكون إلا بالآباء أو كرم الآباء خاصة ،والمؤثل قال

ابن الانبارى فى شرح المفضليات : هو المجموع ومنه قول أمرىء القيس ، وقال ابن السكيت: المؤثل المستمر المثبت يقال قد تأثل فلان بأرض كذا وكذا أى ثبت فيها وقال أبو عبيدة: مجد مؤثل قديم له أصل ، والتأثل اتخاذ أصل مال والأثلة ــ بسكون المثلثة ــ الأصل قال الأعشى :

ألست مُنتهيا عن نَحت أَثْلتنا

وهذان البيتان من قصيدة لامرىء القيس مطلعها

ألاَ عِمْ صباحا أيها الطلل البالى

وقد شرحنا فى الشاهد الثالث من أولها الى قوله:

نظرت اليها والنجوم كأنها   مصابيحُ رُهبان تشب لقُفَّال

عشرين بيتا وقد أخذ هذين البيتين وبسط معناهما خفاف بن غضين البرجمي كما رأيته فى مختار أشعار القبائل لابى تمام وفى المؤتلف والمختلف للآمدى

ولو أَن ما أسعى لنفسى وحدها   لزادٍ يسير أو ثياب على جلدى

لأنت على نفسى و بلغ حاجتى   من المال مال دون بعض الذى عندى

ولكنما أسعى لمجد مؤثل   وكان أبى نال المكارم عن جدى

وخفاف ــ بضم الخاء المعجمة وتخفيف الفاء الأولى ــ وغضين ــ بضم الغين وفتح الضاد المعجمتين ــ وأنت بضم الهمزة فهي ماض من الاون وهو الدعة والرفق والمشى الهين .... و بعد هذين البيتين وهو آخر القصيدة :

وما المرء مادامت حشاشة نَفْسه   بمدرك أَطْراف الخطوبِ ولا آلى

أى ولا بمقصر من ألا يألو بمعنى قصر ، وقبلهما بيتان وحكايتهما بين سيف الدولة والمتنبى مشهورة وهما

كأنى لم أركب جوادا للذة   ولم أتبَطَّنْ كاعِباً ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل   لخيلى كرى كرة بعد إجفال

أخذهما عبد يغوث الجاهلى وأودعهما فى قصيدة قالها بعد أن أسر فى يوم الكلاب الثانى ولم يرد عليه ماورد على أمرىء القيس وهما :

كأنى لم أركب جوادا ولم أقل   لخيلى كُرى نَفّسى عن رجاليا
ولم أسبأ الزق الروىّ ولم أقُلْ   لأيسار صدق عظموا ضوء ناريا

والأيسار جمع ياسر وهو الجازر، والذى يلى قسمة جزور الميسر

ونسب أمرىء القيس على ما فى المؤتلف والمختلف: امرؤ القيس بن حجر بن الحرث بن عمرو بن حجر بن آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن ثور الاكبر وهو كندة بن عفير بن عدى بن الحرث بن مرة بن أدد الشاعر المقدم

ونسبه لابن الانبارى فى شرح المعلقات: امرؤ القيس بن حجر بن الحرث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحرث بن معاوية بن كندة بن ثور بن مرتع بن عفير بن الحرث بن مرة بن عدى بن أدد بن عمرو بن هميسع بن عريب بن عمرو بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام

ومرتع — بسكون الراء وكسر التاء — ذكره ابن ماكولا وابن الكلبي وقال: سمى بذلك لأنه كان يقال له أرتعنا فيقول: أرتعتكم أرض كذا والتشديد ذكره أيضا لغة انتهى

وقال الصغانى فى التكملة: ان مرتعا اسمه عمرو وذكر بقية نسبه، وهو أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، قال ابن خلف: ويكنى امرؤ القيس أبا زيد وأبا وهب وابا الحرث، وذكر بعض اللغويين أن اسمه حندج وامرؤ القيس لقب له لقب به لجماله وذلك لان الناس قبسوا اليه فى زمانه فكان أفضلهم، والحندج — بضم الحاء المهملة والدال وسكون النون وآخره جيم — وهو فى اللغة الرملة الطيبة وقيل كثيب من الرمل أصغر من النقا ويقال لامرىء القيس ذو القروح أيضا لقوله:

* وبدلت قرحا داميا بعد صحة * ويقال له الملك الضليل، وحجر فى الموضعين — بضم الحاء المهملة وسكون الجيم — والمرار — بضم الميم وتخفيف الراءين المهملتين — شجر من أفضل العشب وأضخمه إذا أكلته الابل قلصت مشافرها فبدت أسنانها ولذلك قيل لجد امرىء القيس: آكل المرار لكشر كان به

وهذه أحواله على وجه الاجمال، قال ابن قتيبة فى ترجمته: ولما ملك حجر على بنى أسد كان يأخذ منهم شيئا معلوما فامتنعوا منه فسار إليهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصى

فسموا عبيد العصا وأسر منهم طائفة فيهم عبيد بن الأبرص فقام بين يدى الملك وأنشده أبياتا يرققه بها منها:

أنت المليكُ عليهم وهم العبيدُ إلى القيامة

فرحمهم الملك وعفا عنهم وردهم إلى بلادهم حتى اذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم عوف بن ربيعة الأسدي فقال: ياعبـادى قالوا: لبيك ربنا فسجع لهم على قتل حجر وحرضهم عليه فركبت بنو أسد كل صعب وذلول فما أشرق لهم الضحى حتى انتهوا إلى حجر فوجدوه نائما فذبحوه وشدوا على هجائنه فاستاقوها، وكان امرؤ القيس طرده أبوه لما صنع فى الشعر بفاطمة ما صنع، وكان لها عاشقا فطلبها زمانا فلم يصل اليها وكان يطلب منها موعدا حتى كان منها يوم الغدير بدارة جلجل ما كان فقال:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فلما بلغ ذلك حجرا دعا مولى له يقال له ربيعة فقال له: اقتل امرأ القيس وائتنى بعينيه، فذبح جؤذرا فأتاه بعينيه فندم حجر على ذلك فقال: أبيت اللعن إنى لم أقتله، قال: فأتنى به فانطلق فاذا هو قد قال شعرا فى رأس جبل وهو قوله:

فلا تسلِمَنِّي يا ربيعُ لهذِهِ وكُنْتُ أَرَانِي قَبْلَهَا بِكَ وَاثِقاً

فرده إلى أبيه فنهاه عن قول الشعر ثم إنه قال:

ألاَ عِمْ صَبَاحا أيها الطلَلُ البالى

فبلغ ذلك أباه فطرده. كذا قال ابن قتيبة وفيه أن امرأ القيس قال هذه القصيدة فى طريق الشام عند مسيره الى قيصر بعد قتل أبيه، ولعله شعر آخر، ثم قال ابن قتيبة: فبلغه مقتل أبيه وهو بدمون فقال:

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَينا دَمُّونْ دَمُّونُ إنَّا مَعْشَرٌ يمَـانُونْ

وَإننا لأهلها محبون (١)

ثم قال: «ضيعنى صغيرا، وحملنى دمه كبيرا، لاصحو اليوم ولاسكر غدا، اليوم

(١) كذا نقله البغدادى وفى النسخة المطبوعة بأوروبا من كتاب ابن قتيبة:

وأننا لأهلنا محبون

خمر وغدا أمر ، ثم آلى لا يأكل لحماً ولا يشرب خمرا حتى يثأر بأبيه فلما كان الليل لاح له برق فقال :

أرقت لبرقٍ بليلٍ أهلْ ... يُضِيء سَنَاهُ بأعلى جَبَلْ
بِقَتْلِ بنِي أَسَدٍ ربَّهم ... ألا كل شيء سِواه جَلَل

ثم استجاش بكر بن وائل فسار إليهم وقد لجؤا إلى كنانة فأوقع بهم ونجت بنو كاهل من بنى أسد فقال :

يالهف نَفْسِي إذ خطِئن كَاهلا ... القاتلين المَلِكَ الحُلاحِلاَ
تالله لايذهب شيخِي بَاطلا

وقد ذكر امرؤ القيس فى شعره أنه ظفر بهم فتأبى عليه ذلك الشعراء ، قال عبيد:

يَاذَا المُخَوِّفُنَا بِقَتْلِ أبيه اذْلالاً وحَيْناً
أزعمْتَ أنك قد قتَلْتَ سَرَاتَنَا كذباوَمَيْناً

ولم يزل يسير فى العرب يطلب النصر حتى خرج الى قيصر ، ونظرت اليه ابنة قيصر فعشقته فكان يأتيها وتأتيه ، وفطن الطماح بن قيس الأسدى لهما ، وكان حجر قتل أباه فوشى به الى الملك فخرج امرؤ القيس متسرعا فبعث قيصر فى طلبه رسولا فأدركه دون أنقرة بيوم ومعه حلة مسمومة فلبسها فى يوم صائف فتناثر لحمه وتفطر جسده وكان يحمله جابر بن حنى التغلبي فذلك قوله :

فإمَّا تريْنى فِي رِحَالة جَابرٍ ... على حَرَجٍ كالقَرِّ يَخفِقُ أكْفانى
فَيَارُبَّ مكْروبٍ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ ... وعانٍ فَكَكْتُ الغَل عنه فَفَدَّانى
اذا المرء لم يَخْزُن عليه لسانه ... فَلَيْسَ على شيء سواه بخزّان

وقال حين حضرته الوفاة :

وَطَعْنَةٍ مَسْحَنْفِرَهْ ... وَجفْنَةٍ مثعَنْجِرَهْ
تَبْقَى غداً بأَنْقِرَهْ

قال ابن الكلبي : هذا آخر شيء تكلم به ثم مات

وجابر بن حنى — بضم المهملة وفتح النون والياء المشددة — والرحالة — بالكسر — قيل: السرج وقيل السرج من جلود لا خشب فيه يتخذ للركض الشديد والحرج الضيق والقر — بفتح القاف — مركب للرجال كالهودج، والمسحنفر الواسع، والمثعنجر السائل المنسكب

ثم قال ابن قتيبة: قال أبو عبدالله الجمحى: كان امرؤ القيس ممن يتعهر فى شعره وذلك قوله:

فَمِثْلُكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ

وقال

سَمَوتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا

وقد سبق امرؤ القيس الى أشياء ابتدعها واستحسنتها العرب واتبعته عليها الشعراء من استيقافه صحبه فى الديار ورقة النسيب وقرب المأخذ، ويستجاد من تشبيهه قوله

كَأَنَّ عُيُونَ الوَحْشِ حَولَ خِبَائِنَا وأَرْحُلِنَا الْجَزْعُ الذى لم يُثَقَّبِ

ومما عيب عليه قوله:

إذا ما الثُّريا في السَّماءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرُّضَ أثناء الوشاحِ الْمُفَصَّلِ

قالوا الثريا لا تعرض لها وإنما أراد أراد الجوزاء فذكر الثريا على الغلط كما قال الآخر: «كأحمر عاد» وإنما هو كأحمر ثمود وهو عاقر الناقة

وأقبل قوم من اليمن يريدون النبى صلى الله عليه وسلم فضلوا الطريق ومكثوا ثلاثا لا يقدرون على الماء إذ أقبل راكب على بعير وأنشد بعض القوم:

ولَمَّا رَأَتْ أَنَّ الشَّرِيعَةَ همها وأَنَّ البياضَ مِنْ فرائِصِها دَامِى

تيممت العين التى عند ضارجٍ يفىء عليها الظل عرمضها طامى

فقال الراكب: من يقول هذا؟ قالوا: امرؤ القيس فقال: والله ما كذب هذا ضارج عندكم، وأشار إليه فمشوا على الركب فاذا ماء غدق وإذا عليه العرمض والظل يفىء عليه فشربوا وحملوا ولولا ذلك لهلكوا، انتهى كلام ابن قتيبة

(تتمة) ذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف عشرة من الشعراء ممن اسمهم امرؤ

القيس واحد منهم صحابى وهو امرؤ القيس بن عانس الكندى وزاد صاحب القاموس على ما قال الآمدى اثنين وهما صحابيان أحدهما امرؤ القيس بن الأصبغ الكلبي وامرؤ القيس بن الفاخر بن الطماح.

مفعول ما لم يسم فاعله

(أنشد فيه وهو الشاهد الخمسون)

٥٠ نُبِّئْتُ عمراً غَيرَ شاكرِ نِعْمتِي

على أن أعلم واخواتها مما يتعدى الى ثلاثة مفاعيل إذا بنيت للمفعول لاينوب عن الفاعل إلا المفعول الاول كما فى هذا البيت فان ضمير المتكلم كان فى الاصل مفعولا أولا والتقدير نبأنى فلان فلما بنى فعله للمفعول ناب عن الفاعل وقد بينه الشارح المحقق وعمرا هو المفعول الثانى وغير المفعول الثالث وأصلهما المبتدا والخبر.

وهذا المصراع صدر وعجزه :

والكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفْسِ المُنْعِمِ

وهذا البيت من معلقة عنترة بن شداد العبسى والكفر هنا الجحد يقال : كفر النعمة وبالنعمة اذا جحدها ومخبثة - بفتح الميم - من الخبث يقال خبث الشيء خبثا - من باب قرب - خلاف طاب ، والاسم الخباثة ومفعلة صيغة سبب الفعل والحامل عليه والداعي اليه كقوله صلى الله عليه وسلم « الولد مجبنة مبخلة » أى سبب يجعل والده جبانا لم يشهد الحروب ليربيه ويجعله بخيلا يجمع المال ويتركه لولده من بعده ومثله كثير فى العربية ولم يتكلم علماء التصريف على هذه الصيغة قال الخطيب التبريزى فى شرح المعلقة يقال طعام مطيبة للنفس ومخبثة لها وشراب مبولة انتهى . . يقول : من أنعمت عليه نعمة فلم ينشرها ولم يشكرها فان ذلك سبب لتغير نفس المنعم من الانعام على كل أحد وليس المعنى يتغير نفس المنعم على ذلك الجاحد كما قال شراح المعلقة فانه تقصير وهذا المصراع من باب إرسال المثل ، ولما كان هذا البيت تاما فى نفسه لم نضف اليه شيأ من هذه القصيدة وترجمة عنترة قد تقدمت مع أبيات من هذه المعلقة فى الشاهد الثانى عشر .

(وأنشد بعده وهو الشاهد الحادى والخمسون)

(٥١) ولو ولدت قُفَيْرةُ جروَ كلْبٍ   لَسُبَّ بذلك الجرو الكلابا

على أن الكوفيين وبعض المتأخرين أجازوا نيابة الجار والجرور عن الفاعل مع وجود المفعول الصريح

قال ابن جنى فى الخصائص: هذا من أقبح الضرورة ومثله لايعتد به أصلا بل لا يثبت إلا محتقرا شاذا، وبعض المتاخرين هو على بن سليمان الأخفش تلميذ المبرد

وقفيرة بتقديم القاف على الفاء وبالراء المهملة مصغر اسم أم الفرزدق، وروى فكيهة أيضا على وزنه وهو تحريف. والجرو ــ مثلث الجيم ولد السباع ومنها الكلب. ذم الشاعر قفيرة بأنها لو ولدت جروا لسب جميع الكلاب بسبب ذلك الجرو لسوء خلقه وخلقه. وقال القالى فى شرح اللباب: وقيل الكلاب ليس مفعولا للسب بل مفعول لولدت وجرو نصب على النداء أو على الذم وقيل الكلاب نصب على الذم وجمع لأن قفيرة وجروا وكلبا ثلاثة، انتهى.

وهذا التخريج نقله ابن الحاجب فى أماليه عن ابى جعفر النحاس فى كتابه الكافى فى النحو عن ابى اسحق الزجاج وقال معنى قوله لسب لحصل السب بسبب ذلك الجرو وهذا مستقيم وهذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الفرزدق مطلعها

أقلى اللوم عاذلَ والعتابا   وقولى إن أصبتُ لقد أصابا

وتقدم شرحه مع ترجمة جرير فى الشاهد الرابع وقبل البيت الشاهد

وَهَلْ أمٌّ تكون أشدَّ رَعياً   وَصرًّا من قُفَيْرَةَ واحتِلاَبا

وقد نقض هذه القصيدة عليه الفرزدق بقصيدة وكلتاهما مسطورة فى النقائض:

(وانشد بعده وهو الشاهد الثانى والخمسون، وهو من شواهد سيبويه)

(٥٢) أمَرْتُكَ الخَيْرَ

وهو قطعة من بيت وهو

امَرْتُكَ الخَيْرَ فافْعَلْ ما أُمِرْتَ بِهِ   فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَامالٍ وذَا نَشَبِ

على أن الجزولى منع نيابة المنصوب بسقوط الجار مع وجود المفعول به المنصوب من غير حذف الجار وأصله أمرتك بالخير لأن أمر يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد

وهو الكاف هنا و بحرف الجر الى آخر فالخير منصوب بنزع الباء بدليل ما أمرت به قال الأعلم وسوغ الحذف والنصب أن الخير اسم فعل يحسن أن وما عملت فيه فى موضعه ، وأن يحذف معها حرف الجر كثيرا تقول أمرتك أن تفعل تريد بأن تفعل فاذا وقع موقع أن اسم فعل شبه بها لحسن الحذف فان قلت أمرتك بزيد لم يجز أن تقول أمرتك زيدا انتهى

ونقل ابن هشام اللخمي هذا الكلام فى شرح أبيات الجمل الا أنه قال : الخير مصدر وهذا ليس بجيد قال المرزوقى فى شرح الفصيح عند قول الشاعر

وَمَنْ يَلْقَ خيرا يَحْمَدِ الناسُ أمْرَهُ ... وَمَنْ يَغْوَ لاَ يعدم عَلَى الغَيِّ لائِماً

يجوز أن يكون جعل الخير كناية عن كل ما يحمد من أصابة الحق وتعاطى العدل واتباع الرشد و يكون ومن يغو على الضدمنه ، ويجوز أن يكون الخير كناية عن الغنى خاصة والغى كناية عن الفقر ، وقد علم أن الغنى محمود والفقر مذموم والعرب تسمى كل مرتضى عندهم خيرا وحقا وصوابا وحسنا وكل مذموم عندهم شرا وخطأ وسيئة وجهلا وغيا انتهى وقد أورد القاضي هذا البيت عند قوله تعالى « فافعلوا ماتؤمرون » على انه بتقدير تؤمرون به كما فى البيت ولا يخفى ركاكة قول شارح شواهده خضر الموصلى : إن الامر لايستعمل الا بالباء وقد شاع حذفه فى هذا الفعل وكثراستعمال أمرته كذا حتى لحقت بالافعال المتعدية الى مفعولين هذا كلامه . روى أبو على الهجري فى نوادره أمرتك الرشد بدل الخير وهو الصلاح واصابة الصواب ، وفعله من بابى تعب وقتل وأمرت بالبناء للمفعول وضمير به لما الموصولة أو الموصوفة والفاء الاولى جواب شرط مقدر أى ان تمتثل فافعل وقال اللخمى : جواب لما فى الجملة من معني الامر والفاء الثانية جواب الأمر ، وقال أيضا ذا حال من الكاف فى تركتك والعامل فيه ترك وهو بمعنى صاحب وهو عند ابن درستويه مفعول ثان لتركت لأنها تتعدى الى مفعولين والثانى هو الاول وهذا وهم لأن تركت فى معنى خليت ، وخليت لايجيء معها إلا الحال فكذلك لايجوء مع تركت إلا الحال انتهى

والصواب أن ترك يتضمن معنى جعل فيتعدى تعديته ، وهذا

مستفيض لا يخفى على مثله ، قال ابن خلف : وتركتك إن كان بمعنى صيرتك كان ذا مال مفعولا ثانيا كما تقول تركت زيدا فقيه البلد إذا كنت أنت الذى فقهته وعلمته ، ومنه قوله سبحانه « تركناها آية » أى جعلناها وصيرناها ، وإن كانت بمعنى خلفتك كان ذا مال حالا كما تقول : تركت زيدا وهو فقيه البلد ، انتهى

وقد للتحقيق ، وقال اللخمى : يجوز ان تكون للتوقع أيضا والمال : قال اللخمى فى شرح فصيح ثعلب : هو عند العرب الابل والبقر والغنم ، ولا يقال للذهب والفضة مال وإنما يقال لها ناض ، وأقله ما تجب فيه الزكاة وما نقص عن ذلك فليس بمال ، وحكى أبو عمر صاحب الياقوتة المال الصامت والناطق فالصامت الدنانير والدراهم والجواهر والناطق البعير والبقرة والشاة ، قال ومنه قولهم : « ماله صامت ولا ناطق » ، ومنهم من أوقع المال على جميع ما يملكه الانسان وهو الصحيح ، انتهى

ويشهد للقول الاخير قوله تعالى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، وهذا لا يخص شيئا دون شىء ، والنشب ـ بالشين المعجمة ـ قيل : بمعنى جميع ما يملك بمعنى المال ، وقيل : المال الأصيل الثابت بمعنى العقار كالدور والضياع مأخوذ من نشب الشىء إذا ثبت فى موضع لزومه ، فعلى الأول يكون من عطف المترادفين للتوكيد ، وعلى الثانى يكون من عطف الخاص على العام ، وإن فسر المال بغير القول الأخير كان من عطف المتقابلين ، وقال الاعلم : قد قيل : إن النشب هنا جميع المال فيكون عطفه على الأول مبالغة وتوكيدا ، وسوغ ذلك اختلاف اللفظين هذا كلامه فتامله ، وهذه رواية سيبويه وخدمة كلامه ، ورواه الهجرى فى نوادره ذا نسب ـ بالسين المهملة ـ قال اللخمى وأبو الوليد الوقشى فيما كتبه على كامل المبرد : هذا هو الصحيح لأنه لا معنى لاعادة ذكر المال وإنما يقول تركتك غنيا حسيبا يخاطب ابنه ، وقد نسب السيوطى فى شرح أبيات المغنى هذا الكلام لابن السيد البطليوسى فيما كتبه على الكامل ، وهذا لا أصل له فانه لم يكتب عليه هنا شيئا وإنما كتب ما يقارب هذا فى أبيات الجمل وقد ورد هذا البيت فى شعرين (أحدهما) فى شعر أعشى طرود (والثانى) فى شعر اختلف فى قائله أما الاول فقد نقله الآمدى فى المؤتلف والمختلف وأبو محمد الاعرابى فى فرحة الاديب وهو :

يا دارَ أسماء بين السفح فالرحَبِ ... أقوت وعفَّى عليها ذاهِبُ الحُقُبِ

فما تبين منها غير منتضد ... وراسيات ثلاث حول منتصب
وعرصة الدار تستن الرياح بها ... تحن فيها حنين الوله السُّلُب
دَارٌ لأسماء إذ قلبي بها كَلِفٌ ... وإذ أقرّب مِنْها غير مقترب
إن الحبيب الذى أمسيت أهجره ... من غير مقلية منى ولا غضب
أَصدُّ عنه ارتقابا أن ألمّ به ... ومَنْ يخف قالة الواشين يرتقب
انى حويت على الأقوام مكرمة ... قدما وحذرنى ما يتقون أبى
وقال لى قَوْلَ ذى علم وتجربة ... بسالفات أمور الدهر والحقب

أمرتك الرشد فافعل ماأمرت به . البيت . اه

وقال اللخمى : من قال إن البيت لأعشى طرود قال بعده

لاتبخلن بمال عن مذاهبه ... فى غير زلة إسراف ولا تغب
فإن ورّاثه لن يحمدوك به ... اذا أجنوك بين اللبن والخشب

وقد أورد الهجرى أيضا فى نوادره هذين البيتين بعد البيت الشاهد . . . وأما الثانى فهو هذا

فقال لى قول ذى رأى ومقدرة ... مجرب عاقل نزه عن الريب
قد نلت مجدا فحاذر أن تدنسه ... أب كريم وجدٌّ غير مؤتشب
أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ... فقد تركتك ذا مال وذا نشب
واترك خلائق قوم لاخلاق لهم ... واعمد لأخلاق أهل الفضل والأدب
وان دُعيت لغدر أو أمرت به ... فاهرب بنفسك عنه آبد الهرب

وهذا الشعر قد نسب إلى عمرو بن معد يكرب ، وللعباس ابن مرداس ، ولزرعة ابن السائب ولخفاف بن ندبة قال اللخمى : من نسب البيت لأحد الثلاثة الاول قال قبله

فقال لى قَوْلَ ذِى رأى ومقدرة . البيت

ونسب قوله

فاترك خلائق قوم لا خلاق لهم

وقوله

قد نلت مجـدا فحاذر أن تدنسـه . البيتين

إلى أعشى طرود لا غير وقال هما بعد البيت الشاهد ، وقد نسب البيت فى كتاب سيبويه لعمرو بن معد يكرب والله أعلم .

واعشى طرود قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : لم يذكر اسمه ولا عرف نسبه إلى القبيل وبنوطرود منهم فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان وهم حلفاء بنى سليم ثم فى بنى خفاف انتهى

ونقل الصغانى فى العباب هذا الكلام ولم يزد عليه ، وقال أبو الوليدالوقشى نقلا عن نوادر الهجرى ، واللخمى نقلا عن أبى مروان عبد الملك بن سراج أن اعشى طرود اسمه إياس بن موسى ـ بكسر الهمزة بعدها مثناة تحتية ـ ولم يزيدا على هذا. قال المرزبانى حضر هوذة بن الحرث المعروف بابن حملة فى أيام عمر العطاء فدعا قبله إياس بن موسى هذا فقال هوذة :

لقد دار هـذا الامر فى غير أهله   فأبصر أمين الله كيف تذود

أيدعى جشـيم والسـويد أمامنا   ويدعى إياس قبلنـا وطَرود

فإن كان هذا فى الـكتاب فهم اذا   ملوك سوى حرب ونحن عبيد

انتهى

وفهم من هذا ان اعشى طرود إسلامى لكن لم يعلم ما هو ، صحابى أم تابعى، والله أعلم

وقوله : يادار أسماء بين السفح الخ ، قال ياقوت فى معجم البلدان: السفح ـ بلفظ سفح الجبل و هو أسفله حيث يسفح فيه الماء ـ وهو موضع كانت به وقعة بين بكر بن وائل وتميم ولم يذكر أبو عبيدة هذه الكلمة فى المعجم ، والرحب ـ بضم الراء وفتح الحاء المهملتين ـ موضع ولم يذكره أبو عبيد ولا ياقوت ، وأقوت خلت من الأنيس كأنه ذهب قوتها ، وعفى عليها ـ بالتشديد ـ كعفاها أى طمسها ومحا علاماتها ؛ والحقب ـ بضمتين ـ الدهر وبكسر ففتح جمع حقبة وهى السنة أى طمسها الدهر الذاهب ؛ والسنون الماضية ، وتبين ظهر والمنتضد الحجارة المصفوفة بعضها فوق بعض ، وأراد بقوله « راسيات ثلاث » حجارة القدر الثلاثة وهو معطوف على منتضد وكذلك عرصة واستنت الرياح هبت

عليها من هنا ومن هنا ، والولهجمع الواله المرأة التي فقدت ولدها ، والسلب — بضمتين — اللابسة الثياب السود ، وتحن من الحنين بمعنى الانين ، وقوله « واذ أقرب منها » الخ. أى أمني نفسى منها مالا يكون ؛ والمقلية — بتخفيف الياء — مصدر بمعنى القلى وهو البغض والكراهية ، والارتقاب الانتظار ، وأن ألمأى لأن أنزل وأحل به ، والتغب — بمثناة فوقية فغين معجمة — قال اللخمى : هو جمع تغبة وهى السقطة وما يعاب به ابنه ، والتغب أيضا الهلاك وقال فى الصحاح تغب — بالكسر — تغبا هلك ونزه — بفتح النون وسكون الزاى — البعيد سكن الزاى وهى مكسورة للضرورة والمؤتشب المختلط يقال أشبت القوم اذا خلطت بعضهم ببعض .

المبتدأ والخبر

﴿ أنشد فيه وهو الشاهد الثالث والخمسون ﴾

٥٣ غَيْرُ مَأْسُوف عَلَى زَمَنٍ يَنْقَضِي بِالْهَمِّ والحَزَنِ

أورده مثالا لاجراء « غير قائم الزيدان » مجرى « ماقائم الزيدان » لكونه بمعناه وتخريج البيت على هـذا أحد أقوال ثلاثة هو أحسنها ، واليه ذهب ملك النحاة الحسن بن أبي نزار وابن الشجرى أيضا فى أماليه

ومأسوف اسم مفعول من الاسف وهو أشد الحزن وباب فعله فرح وعلى زمن متعلق به على أنه نائب الفاعل ، وجملة ينقضى صفة لزمن ، وبالهم حال من ضميره أى مشوبا بالهم ، فلما كانت غير للمخالفة فى الوصف وجرت لذلك مجرى حرف النفى وأضيفت الى اسم المفعول المسند الى الجار والمجرور والمتضايفان بمنزلة الاسم الواحد سد ذلك مسد الجملة . كانه قيل مايؤسف على زمن هذه صفته. قال أبو حيان فى تذكرته ولم أر لهذا البيت نظيرا فى الاعراب إلا بيتا فى قصيدة المتنبى يمدح بها بدر بن عمار الطبرستانى يقول فيها

ليس بالمنكر أن برَّزت سبقا غيرُ مدفوع عن السبق العِرابُ

فالعراب مرفوع بمدفوع ، ومن جعله مبتدأ فقد أخطأ لانه يصير التقدير العراب غير

مدفوع عن السبق والعراب جمع فلا أقل من أن يقول غير مدفوعة لان خبر المبتدأ لايتغير تذكيره وتأنيثه بتقديمه وتأخيره ... والقول الثانى لابن جنى وتبعه ابن الحاجب وهو أن غير خبر مقدم والاصل زمن ينقضي بالهم والحزن غير مأسوف عليه ثم قدمت عليه ومابعدها ثم حذف زمن دون صفته فعاد الضمير المجرور بعلى على غير مذكور فأتى بالاسم الظاهر مكانه وحذف الموصوف بدون شرطه المعروف ضرورة... والثالث وهو لابن الخشاب أن غير خبر لانا محذوفا ومأسوف مصدر كالمعسور والميسور أريد به اسم الفاعل والتقدير أنا غير آسف على زمن هذه صفته — وهذا البيت لابى نواس وهو ليس ممن يستشهد بكلامه وانما أورده الشارح مثالا للمسئلة ولهذا لم يقل كقوله وبعده بيت ثان وهو

إنما يرجو الحياة فتًى عاش في أمْنٍ من المحن

وأبو نواس هو أبو علي الحسن بن هانيء بن عبد الاول بن الصباح الحكمى — بفتح الحاء والكاف — نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة ، وهى قبيلة كبيرة منها الجراح ابن عبد الله الحكمى أمير خراسان ؛ وكان جد أبى نواس من مواليه وانما قيل له ابو نواس لذؤابتين كانتا له تنوسان على عاتقه ، والذؤابة — بهمزة بعد الذال المضمومة — الضفيرة من الشعر اذا كانت غير ملوية فان كانت ملوية فهى عقيصة ؛ والذؤابة أيضا طرف العمامة ، وناس ينوس إذا تدلى وتحرك : والعاتق مابين المنكب والعنق وهو موضع الرداء وقيل إن خلفا الاحمر كان له ولاء فى اليمن وكان أميل الناس الى أبى نواس ، فقال له يوما أنت من اليمن فتكن باسم ملك من ملوكهم الاذواء فاختار ذا نواس فكناه أبا نواس بحذف صدره وغلبت عليه

ومولده بالبصرة سنة خمس وأربعين ومائة وقيل ست وثلاثين ومائة ومات ببغداد سنة خمس وتسعين ومائة وقيل سنة ست وقيل سنة ثمان

ونشأ بالبصرة ثم خرج إلى الكوفة وقيل بل ولد بالأهواز وقيل بكورة من كورخورستان سنة إحدى وأربعين ومائة ونقل منها وعمره سنتان إلى البصرة وأمه أهوازية اسمها جلبان وكان من أهل دمشق من جند مروان الحمار انتقل الى الاهواز للرباط فتزوجها وقدم أبو نواس بغداد مع والبة بن الحباب الشاعر وبه تخرج

وعرض القرآن على يعقوب الحضرمى وأخذ اللغة عن أبى زيد الانصارى وأبى عبيدة ومدح الخلفاء والوزراء وكان فى الشعر من الطبقة الاولى من المولدين قال أبو عبيدة أبو نواس للمحدثين مثل امرىء القيس للمتقدمين وشعره عشرة أنواع وهو مجيد فى الكل ومازال العلماء والاشراف يروون شعره ويتفكهون به ويفضلونه على اشعار القدماء وقال أبو عمرو الشيبانى: لولا أن أبانواس أفسد بهذه الاقذار يعنى الخمور لاحتججنا به لأنه كان محكم القول لايخطىء وديوان شعره مختلف لاختلاف جامعيه فانه اعتنى بجمعه جماعة منهم أبو بكر الصولى وهو صغير ومنهم على بن حمزة الاصبهانى وهو كبير جدا وكلاهما عندى ولله الحمد على نعمه ومنهم ابراهيم بن أحمد الطبرى المعروف بتورون ولم أره الى الآن

وأنشد بعده وهو الشاهد الرابع والخمسون

(٥٤) على مثلها من أربع وملاعب تُذال مَصُونات الدموع السَّواكب

على أنه لما أنشد المصراع الاول عارضه شخص فقال لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فانخزل منه وترك الانشاد لان تقديم الخبر فى مثله يوهم الدعاء باللعنة وسمى ابن أبى الاصبع هذا النوع فى تحرير التحبير التوليد وقال التوليد على ضربين من الالفاظ ومن المعانى: فالذى من الألفاظ هو أن يزوج المتكلم كلمة من لفظه الى كلمة من غيره فيتولد بينهما كلام يناقض غرض صاحب الكلمة الأجنبية؛ وذلك فى الألفاظ المفردة دون الجمل المؤتلفة، ومثاله ماحكى أن مصعب بن الزبير وسم خيله بلفظة عدة، فلما قتل وصارت إلى العراق رآها الحجاج فوسم بعد لفظة عدة لفظة الفرار. فتولد بين اللفظتين غير ما أراده مصعب، ومن توليد الألفاظ توليد المعنى من تزويج الجمل المفيدة، ومن لطيف التوليد قول بعض العجم

كأن عذاره فى الخد لامٌ ومَبْسِمه الشهىّ الطعم صَادُ
وطُرة شعره ليل بَهيمٌ فلا عَجَب إذا سرق الرقاد

فان هذا الشاعر ولد من تشبيه العذار باللام؛ وتشبيه الفم بالصاد، لفظة لص وولد من معناها ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر سرقة النوم فجعل فى هذا البيت توليدا

وإدماجا، وهذا من أغرب ماسمعت ومثاله ماحكى ان أباتمام أنشد أبادلف :

على مثلها من أربع وملاعب

فقال بعض من أراد نكتة لعنه الله والملائكة والناس أجمعين فولد من الكلامين كلاماً ينافى غرض أبى تمام من وجهين (أحدهما) خروج الكلام عن التشبيب الى الهجاء بسبب ما انضم اليه من الدعاء (والثانى) خروج الكلام عن أن يكون بيتا من شعر الى أن صار قطعة من نثر ؛ ومن هذا الضرب قول الشاعر

ألوم زيادا فى رَكَاكَةِ عقله ... وفى قوله أىّ الرجال المهذبُ
وهل يحسن التهذيب منك خلائقا ... أرق من الماء الزلال وأطيب
تكلم والنعمان شمس سمائه ... وكل مليك عند نعماك كوكب
ولو أبصرت عيناه شخصك مرة ... لابصر منه شمسه وهي غيهب

فان هذا الشاعر زوج مدحه ممدوحه بتهذيب الاخلاق إلى قول النابغة أى الرجال المهذب فتولد بين الكلامين ماينافى غرض النابغة حيث أخرج الشاعر كلامه مخرج المنكر على النابغة ذلك الاستفهام، وأوضح مناقضته للنابغة ببيته الثانى وهو قوله « وهل يحسن التهذيب » البيت وزوج قوله فى عجز البيت الثالث : « وكل مليك عند نعماك كوكب » الى قول النابغة

بأنك شمس والملوك كواكب

بدليل قول الشاعر عن النابغة

تكلم والنعمان شمس سمائه

البيت . . . فتولد بين الكلامين قوله

ولو أبصرت عيناه شخصك مرة ... لابصر منه شمسه وهي غيهب

وأما الضرب الثانى وهو ماتولد من المعانى كقول القطامى :

قَدْ يُدرِكُ المتانى بعضَ حاجته ... وَقدْ يكون مع المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

فقال من بعده :

عليك بالقصد فيما أنت فاعله ... إن التخلق يأتى دونه الخُلُق

فعنى صدر هذا البيت معنى بيت القطامى بكماله ؛ ومعنى عجز البيت مولديهما وهو قوله

« ان التخلق يأتى دونه الخلق »

والقطامى أخذ معناه من عدى بن زيد العبادى حيث قال :

قد يدرك المبطىء من حظه والخير قد يسبق جهد الحريص

وعدى نظر الى قول جمانة الجعفى

ومستعجل والمكث أدنى لرشده ولم يدر في استعجاله ما يبادر

ومن التوليد توليد بديع من بديع كقول ابى تمام

لها منظر قيد النواظر لم يزل يروح ويغدو فى خفارته الحب

فانه ولد قوله « قيد النواظر » من قول امرى القيس « قيد الأوابد » لأن هذه اللفظة التى هي « قيد » انتقلت باضافتها من الطرد الى النسيب ، فكأن النسيب تولد من الطرد ، وتناول اللفظ المفرد لايعد سرقة ؛ وإنما سقنا هذا الفصل برمته لغرابته وقلما يوجد فى موضع آخر وقول أبى تمام « على مثلها من أربع » ضمير مثلها مفسر بالتمييز المجرور بمن ، والأكثر أن يكون التميز مفسرا لضمير نعم وبئس ورب ، قال ابن هشام فى المغنى : والزمخشرى يفسر الضمير بالتمييز فى غير بابى نعم ورب وذلك أنه قال فى « فسواهن سبع سموات » الضمير فى « فسواهن » ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا ولولا تشبيهه بربه رجلا لحمل على البدل ، والأربع جمع ربع — بالفتح — وهو محلة القوم ومنزلهم ؛ والملاعب جمع ملعب وهو موضع اللعب ، وتذال مبنى للمجهول مضارع أذاله بمعنى أهانه وهو متعدى ذال الشيء ذيلا هان : والثابت فى نسخ ديوانه وشروحه أذيلت ، والمصونات من الصون وهو خلاف الابتذال والسواكب المنصبة فأن سكب يأتى لازما يقال سكب الماء سكبا وسكوبا انصب ويأتى متعديا يقال سكب زيد الماء ، قال الامام ابو بكر بن يحيي الصولى فى شرحه : قد أنكر بعضهم « مصونات الدموع السواكب » وقال كيف يكون من السواكب ماهو مصون وانما أراد أبو تمام أذيلت مصونات الدموع التى هى الآن سواكب ، ثم قوله أذيلت بمعنى صبت صبا سائلا حتى يصير لها ذيل ليس بجيد فأن معنى البيت أهينت الدموع الغزيرة بسبكها على مثل هذه المنازل لخلوها من الحبائب

وهذا البيت مطلع قصيدة مدح بها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلى وبعده

أقول لقرحان من البين لم يجد رَسِيسَ الهوى بَينَ الحشا والترائب

أعنى أفرّق شمل دمعي فانني أرى الشمل منهم ليس بالمتقارب

إلى أن قال

إذا العيس لاقت بى أبا دلف فقد تَقَطَّع ما بيني و بين النوائب

هنالك تلقى الجود حيث تَقَطَّعَتْ تمائمه والمجد مرخى الذوائب

تكاد عطاياه يجن جنونها اذا لم يعوذها بنعمة طالب

قال الامام المرزوقى فى شرح ديوانه: القرحان أصله الذى لم يصبه الجدرى واستعاره هنا لمن لم يمتحن بالنوى ولم يدخل فى إثار الهوى قال فى الصحاح: رس الحمى ورسيسها أول مسها وقوله «أعني أفرق» البيت قال الصولى أى لا أرى شملهم مجتمعا بالرجوع اليها يقول قد اجتمع دمعى لأنى لم أبك حتى رأيت منازلهم فأعنى بوقفة معى حتى أبكيهم فأستريح وقوله «إذا العيس لاقت بى» البيت يقول إذا أقدمتنى الابل اليه انقطعت الاسباب بينى وبين النوائب أي لم يبق لها سبيل على، وقوله «هنالك تلقى الجود» البيت، قال الصولى: يقال تقطعت تمائم فلان فى بنى فلان إذا تربى ونشأ فيهم وأراد أن المجد كالآمن فيهم أن يتحول إلى غيرهم فيكون قد أحاط به الشرف من كل جانب، ويروى «وافى الذوائب» وقوله «تكاد عطاياه» البيت قال الامام المرزوقى يقول قد تعود هذا الرجل تفريق ماله بالصلات وتبديده بالعطيات حتى تقرب عطاياه لو أمسك يوما من أن تجن إن لم يعلق عليها عوذها من نعم الطلاب والزوار، وقوله يجن جنونها إنما يريد يجن صحتها أى يصير بدل صحتها جنون لكنه سماه بما يؤل اليه كما يقال خرجت خوارجه وكذلك عطاياه أى أمواله التي تصير عطاياه فسماه بما يؤل اليه

وقال الصولى: مما أنكر أبو العباس بن المعتز من ردىء طباقه قوله: تكاد عطاياه البيت وفيه استعارة فقال ولم يجن جنون عطاياه انتظارا للطلب بل يبدأ بالعطاء ويستريح وفيه قبح لم يعوذها بنعمة طالب يعطيها لغير طالب، وفى هذا الاعتراض نظر فان مراده أنه أغنى الناس فلم يبق طالب الا نادرا فاذا أبطأ طالب المعروف جنت عطاياه شوقا اليه فتأمل، ومنها وهو مما يستجاد

يرى أقبح الاشياء أوبة آمل … كسته يد المأمول حلة خائب
وأحسن من نور يفتحه الندى … بياض العطايا فى سواد المطالب
اذا ألجت يوما لُجَيْمٌ وحولها … بنوالحصن نجل المحصنات النجائب
فان المنايا والصوارم والقنا … أقاربهم فى الروع دون الاقارب
جحافل لا يتركن ذا جبرية … سليما ولا يحربن من لم يحارب
يدون من أيد عواص عواصم … تصول بأسياف قواض قواضب

ولجيم بالتصغير أبو عجل جد أبي دلف و الحصن هو ثعلبة بن عكابة و بنو الحصن أعمامه

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها … فخارا على ما وطدت من مناقب
فأنتم بذى قار أمالت سيوفكم … عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

قال الامام المرزوقي: يعني بالقوس قوس حاجب بن زرارة رهنها عند كسرى و كان السبب فى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان دعا على مضر وقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر و ابعث عليهم سنينا كسني يوسف» فتوالت الجدوبة عليهم سبع سنين فلما رأى حاجب الجهد على قومه جمع بنى فزارة وقال إنى أزمعت على أنى آتى الملك يعني كسرى فاطلب أن يأذن لقومنا فيكونوا تحت هذا البحر حتى يحيوا فقالوا رشدت فافعل غير أنا نخاف عليك بكر بن وائل فقال مامنهم وجه إلا ولى عنده يد إلا ابن الطويلة التيمي وساداويه ثم ارتحل فلم يزل ينتقل فى الاتحاف والبر من الناس حتى انتهى إلى الماء الذى عليه ابن الطويلة فنزل ليلا فلما أضاء الفجر دعا بنطع ثم أمر فصب عليه التمر ثم نادى حي على الغداء فنظر ابن الطويلة فاذا هو بحاجب فقال لأهل المجلس أجيبوه وأهدى اليه جزرا ثم ارتحل فلما بلغ كسرى شكا اليه الجهد فى أموالهم وأنفسهم وطلب أن يأذن لهم فيكونوا فى حد بلاده فقال أنتم معشر العرب غدر فاذا أذنت لهم عاثوا فى الرعية وأغاروا قال حاجب إنى ضامن للملك أن لا يفعلوا، قال فمن لى بأن تفى أنت، قال أرهنك قوسى فلما جاء بها ضحك من حوله فقال الملك ما كان ليسلمها اقبضوها منه، ثم جاءت مضر الى النبي صلى الله عليه وسلم بعد موت حاجب فدعا لهم فخرج أصحابه إلى بلادهم وارتحل عطارد بن حاجب الى كسرى يطلب قوس أبيه

فقال ماانت بالذى وضعتها قال : اجل انه هلك وانا ابنه وفى للملك قال ردوا عليه وكساه حلة فلما وفد الى النبي صلى الله عليه وسلم اهداها اليه فلم يقبلها فباعها من يهودى بأربعه آلاف درهم فصار ذلك فخراً ومنقبة لحاجب وعشيرته. فيقول أبو تمام إذا افتخرت تميم بذلك فانتم قتلتم الذين كسبوهم هذا المجد مما ارتهنوه وهدمتم عزهم، وانما يعني وقعة ذى قارحين قتلت بنو شيبان العجم ونكوا فيهم وكان رئيسهم سيار بن حنظلة العجلي وأبودلف عجلي فلذلك خاطبه بهذا اه

وقد لمح بعضهم الى قوس حاجب بقوله فى مليح قلندرى قد حلق حاجبه فقال :

حبيبى بحق الله قل لى ما الذى دعاك الى هـذا فقـال مجاوبى

وعدت بوصل العاشقين تعطفا فلم يثقوا واسترهنوا قوس حاجبى

ولما أنشد أبو تمام أبادلف هذه القصيدة استحسنها وأعطاه خمسين الف درهم ،وقال: والله إنها لدون شعرك ثم قال له والله مامثل هذا القول فى الحسن الامار ثيت به محمد بن حميد الطوسى فقال وأى ذلك أراد الامير قال الرائية التى أولها

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

وددت، والله انها لك فى قال بل أفدى الأمير بنفسى وأكون المقدم قبله . فقال أنه لم يمت من رثى بهذا الشعر

وأبو تمام الطائى هو حبيب بن أوس بن الحرث بن قيس بن الأشج بن يحي ابن مروان بن مر بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدى بن عمرو بن يغوث بن طيء ولد فى جاسم بالجيم والسين المهملة وهى قرية من قرى الجيدور بفتح الجيم وسكون المثناة التحتية وهو اقليم من دمشق فى آخر خلافة الرشيد سنة تسعين ومائة وقيل غير ذلك ونشأ بمصر واشتغل الى أن صار أوحد عصره ،يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد وله كتاب الحماسة الذى دل على غزارة علمه وكمال فضله واتقان معرفته بحسن اختياره وهو فى جمعه للحماسة أشعر منه فى شعره وله كتاب مختار أشعار القبائل وهو دون الحماسة وكلاهما عندى ومات سنة اثنتين وثلاثين بعد المائتين وقيل غير هذا وكان شعره غير مرتب فرتبه الصولى على الحروف ثم رتبه على بن حمزة الاصفهانى على أنواع الشعر وترجمته طويلة تركناها لشهرتها

(وأنشد بعده وهو الشاهد الخامس والخمسون وهو من شواهد سيبويه)

٥٥ ولقد أَمُرُّ على اللئيم يَسُبُّنى فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قلت لا يعنينى

على أن التعريف غير مقصود قصده فان تعريف أل الجنسية لفظى لا يفيد التعيين وإن كان فى اللفظ معرفة ، وقد أورد الشارح هذا البيت فى الحال والاضافة والنعت والموصوف والمعرف بال أيضا وجملة يسبنى وصف اللئيم فى المعنى وحال منه باعتبار اللفظ والأول أظهر للمقصود وهو التمدح بالوقار والتحمل لأن المعنى أمر على اللئيم الذى عادته سبى ولا شك أنه لم يرد كل لئيم ولا لئيما معينا ، والواو للقسم ولقد أمر جوابه والقسم به محذوف . وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية كما فى الخصائص لابن جنى أو للاستمرار التجددى. ومضيت معطوف على أمر بمعنى أمضى وعبر به للدلالة على تحقق اعراضه عنه وقوله ثمت هى ثم العاطفة واذا كانت مع التاء اختصت بعطف الجمل . وقوله « لا يعنينى » أى لا يهمنى أو بمعنى لا يقصدنى وروى بدل هذا المصراع

وأعف ثم أقول لا يعنينى

يقال : عف عن الشىء — من باب ضرب — عفة وعفافا امتنع وهذا البيت أول بيتين لرجل من بنى سلول ثانيهما

غضبان ممتلئا علىّ إهابُهُ انى وحقك سخطه يرضينى

وغضبان بالنصب حال من اللئيم أو بالرفع خبر مبتدأ محذوف ، وممتلئا حال سببية من ضمير غضبان ، وأهابه فاعل ممتلئا وهو فى الأصل الجلد الذى لم يدبغ وقد استعير هنا لجلد الانسان والسخط — بالضم — اسم مصدر والمصدر — بفتحتين — بمعنى الغضب والفعل من باب تعب وروى الاصمعى بيتين فى هذا المعنى وهما :

لا يغضب الحر على سفلة والحر لا يغضبه النذل
اذا اللئيم شبنى جهده أقول زدنى فلى الفضل

وأنشد سيبويه البيت الشاهد على أن أمر قد وضع موضع مررت وجاز أمر فى معنى مررت لانه لم يرد ماضيا منقطعا وأنما أراد أن هذا أمره ودأبه فجعله كالفعل الدائم وقيل معنى ولقد أمر ربما أمر فالفعل على هذا فى موضعه

(وأنشد بعده وهو الشاهد السادس والخمسون وهو من شواهد سيبويه)

٥٦ قَدْ أَصْبَحَتْ أُمّ الخيار تَدّعى علىّ ذنبا كله لم أصنع

على أن الضمير العائد على المبتدأ من جملة الخبر يجوز حذفه قياسا عند الفراء اذا كان منصوبا مفعولا به والمبتدأ لفظ كل ، نقل الصفار أنه مذهب الكسائي ايضا وقد نقل ابن مالك فى التسهيل الاجماع على جواز ذلك وزاد على كل ما أشبهها فى العموم والافتقار من موصول وغيره نحو أيهم يسألني أعطي ونحو رجل يدعو الى الخير أجيب أى أعطيه وأجيبه وقال شراح كلامه لم نر هذا الاجماع بل منعه البصريون وأما نقله فى شبه كل فقد قال أبو حيان لا أعلم له سلفا فى ذلك

(أقول) الصحيح جوازه بقلة لوروده فى المتواتر قرأ ابن عامر فى سورة الحديد فقط « وكل وعد الله الحسنى » وأما فى سورة النساء فقد قرأ مثل الجماعة بالنصب وقال ابن جني فى المحتسب لحذف هذا الضمير وجه من القياس وهو تشبيه عائد الخبر بعائد الحال أو الصفة وهو الى الحال أقرب لانها ضرب من الخبر. وهو فى الصفة أمثل يشبه الصفة بالصلة . وفى حذفه من لم أصنع ما يقوم مقامه ويخلفه لانه يعاقبه ولا يجتمع معه وهو حرف الاطلاق أعنى الياء فى اصنعى فلما حضر ما يعاقب الهاء صارت لذلك كانها حاضرة اه

ومفهوم قول الفراء أن المبتدأ اذا لم يكن كلا يمتنع حذف العائد . والصحيح فيه أيضا الجواز بقلة فى الكلام والشعر أما الاول فقد قرأ يحي وابراهيم والسلمى فى الشواذ «أفحكم الجاهلية يبغون» بالمثناة التحتية وأما الثانى فكثير منه قول الشاعر

فخالد يحمد ساداتنا

أى يحمده ساداتنا واعلم أن الشارح المحقق أورد هذا الشاهد فى باب الاشتغال أيضا وقال يروى برفع كل ونصبه ، وكذلك رواهما سيبويه وقد أنكر عليه المبرد رواية الرفع وقال الذى رواه الجرمى وغيره من الرواة النصب فقط ومنع هذه المسئلة نظما ونثرا قال ابن ولاد سيبويه أيضا رواه بالنصب وقال : أن النصب أكثر وأعرف فاغنى هذا عن الاحتجاج عليه بقول الجرمى ألا ترى قوله : إن الرفع ضعيف وهو بمنزلته فى غير الشعر لان النصب لا يكسر ولا يخل به ترك اضمار الهاء كأنه قال كله غير مصنوع وقد روى أهل الكوفة والبصرة هذه الشواهد رفعا كما رواها سيبويه اه

وظاهر كلام سيبويه أن الضرورة ما ليس للشاعر عنه فسحة وتقدم الكلام عليها في أول شاهد من هذه الشواهد وزعم تقى الدين السبكى فى رسالة كل وفى تفسيره أن رواية النصب تساوى رواية الرفع فى المعنى وذلك انه قال : لا فرق بين الرفع والنصب فى قول سيبويه إن المعنى كله غير مصنوع وهذا يقتضى ان النصب ايضا يفيد العموم وانه لم يصنع شيأ منه لما تقرر من دلالة العموم، وقد تأملت ذلك فوجدت قول سيبويه اصح من قول البيانيين . وان المعنى حضر وغاب عنهم لانه ابتدأ فى اللفظ بكل ومعناها كل فرد فكان عاملها المتأخر فى معنى الخبر لأن السامع إذا سمع المفعول تشوف إلى عامله كما يتشوف سامع المبتدأ إلى الخبر وبه يتم الكلام . فكان كله لم أصنع مرفوعا ومنصوبا سواء فى المعنى وإن اختلفا فى الأعراب ويبعد كل البعد أن يحمل كلام سيبويه على أن كله لم أصنع بالرفع والنصب معناه عدم صنع المجموع فيكون قد صنع بعضه لأن معنى الحديث على خلافه فى قوله «كل ذلك لم يكن» إلى آخر ما ذكره ونقل الدمامينى بعض هذا الكلام فى الحاشية الهندية وقال : وكان ابن هشام لم يقف على كلام سيبويه فنقل تساوى المعنى فى الرفع والنصب عن الشلوبين وابن مالك ولو وقف على كلام سيبويه لم ينقل منهما . وقد نقل الشيخ بهاء الدين كلام سيبويه فى عروس الأفراح وبينه تابعا لوالده السبكى . ورواية الرفع عند علماء البيان هى الجيدة فانها تفيد عموم السلب . ورواية النصب ساقطة عن الاعتبار بل لا تصح فانها تفيد سلب العموم وهو خلاف المقصود . وما ذكره السبكى لم يعرجوا عليه وهو مفصل فى التلخيص وشروحه

ورأيت للفاضل اليمنى على هذا البيت كلاما أحببت ايراده وهو قوله : معنى هذا البيت أن هذه المرأة أصبحت تدعى على ذنبا وهو الشيب والصلع والعجز وغير ذلك من موجبات الشيخوخة. ولم يقل ذنوبا بل قال ذنبا لأن المراد كبر السن المشتمل على كل عيب ، ولم اصنع شيئا من ذلك الذنب . ولم ينصب كله لأنه لو نصبه مع تقدمه على ناصبه لافاد تخصيص النفى بالكل ويعود دليلا على أنه فعل بعض ذلك الذنب ومراده تنزيه نفسه عن كل جزء منه فلذلك رفعه إيذانا منه بانه لم يصنع شيئا منه قط بل كله بجميع أجزائه غير مصنوع ، ثم قال ولقائل أن يقول لما كان الضمير فى كله عائدا إلى ذنبا وهو نكرة

والنكرة لواحد غير معين لابد أن يكون المضمر هو ذلك الذنب الذى ليس بمعين فقط لاعادة الضمير به فلا يكون نفيه نفيا لجميع الذنوب فلا يلزم ماذكره من تنزيه نفسه من جملة الذنوب، لايقال : أن الضمير لما كان عبارة عن النكرة المذكورة ودخول النفى عليها يقتضى العموم فدخول النفى عليه أيضا يقتضى ذلك . لأنا نقول ان الفرق ظاهر بين قولنا لم اصنعْ ذنبا و بين قولنا لم اصنع ذلك الذنب المذكور الذي ليس بمعين فى اقتضاء الاول العموم دون الثانى اه

وقوله : ولقائل أن يقول الخ فيه أنه قال أولا ان ذنب الشيخوخة يستلزم ثبوته جميع الذنوب وحيئذ يستلزم نفى جميع الذنوب: وقوله والنكرة لواحد غير معين فيه أنه حمل الذنب سابقا على كبر السن المشتمل على كل عيب فالمراد به معين وافاد أن كلا حيئذ لاستغراق اجزاء هذا الذنب المعين فان رفع كل افاد استغراق جميع اجزاء ذلك الذنب . وان نصب كل أفاد سلب العموم لجميع الاجزاء واقتضى ثبوت بعض الاجزاء فهذا البحث غير وارد فتأمل ، وبهذا يسقط قوله بعد هذا ثم نقول فتكون القضية حينئذ شخصية والتقدير : كل ذلك الذنب غير مصنوع لى و إنما يكون ذلك إذا كان هنالك ذنب ذو اجزاء يمكن الاتصاف ببعضه دون بعض ، وعلى هذا إما أن يكون المراد بالكل الكل المجموعى وهو الغالب الظاهر من دخوله فى الشخصيات فلاتفاوت فى تقدم السلب عليه وتقديمه على السلب فى عدم اقتضاء شمول النفى جميع الأجزاء ، اويكون المراد كل واحد من الاجزاء كما يستعمل فى الكلى باعتبار الجزئيات فقد يظهر الفرق بينهما ، فانك إن رفعت كلا لزم عموم النفى لجميع الاجزاء وإن نصبتها لايلزم مع ان الاستعمال على هذا الوجه فى الشخصى قليل فانه لايلزم صدق ماذكره من تبرئة نفسه من جملة أجزاء ذلك الذنب الواحد اه

وقال ابن خلف قوله كله لم أصنع يحتمل أمرين (أحدهما) أنه أراد أنه لم يصنع جميعها ولاشيأ منها (والوجه الآخر) أنه صنع بعضها ولم يصنع جميعها كما تقول لمن يدعى عليك أشياء لم تفعل جميعها : مافعلت جميع ماذكرت بل فعلت بعضها اه

(اقول) احتماله لوجهين غير صحيح فان كلا منهما مدلول رواية يعلم وجهها مما تقدم ، وقوله أراد بقوله ذنبا ذنوبا لكنه استعمل الواحد فى موضع الجمع ليس كذلك

كما علم من كلام الفاضل اليمني . وهذا البيت مطلع أرجوزة لأبي النجم العجلي وبعده:

من أن رأت رأسي كرأس الأصلع ... مَيَّزَ عنه قُنْزُعاً عن قُنْزُع
جذب الليالي أبطئي أو أسرعي ... قرناً أشيبيه وقرناً فانزعي
أفناه قيل الله للشمس اطلعي ... حتى اذا واراك أفق فارجعي
حتى بدا بعد السُّخام الأفرَع ... يمشي كمشي الأَهْـدَأ المُكَنَّع
يا ابنة عَمّا لاتلومي واهجعي ... لا يخرق اللوم حجاب مسمعي
ألم يكن يبيض إن لم يصلع ... ان لم يصبني قبل ذاك مصرعي
أفناد ما أفنى إياداً فاربعي ... وقوم عاد قبلهم وتُبَّع
لا تسمعيني منك لوما واسمعي ... أيهات أيهات فلا تَطَلَّعي
هي المقادير فلومي أو دعي ... لاتطمعي في فرقع لاتطمعي
ولا تروعين ولا تروعي ... واستشعري اليأس ولا تفجعي
فذاك خير لك من أن تجزعي ... فتحبسي وتشتمي وتوجعي

وأم الخيار هي زوجة أبي النجم وقوله « من ان رأت الخ » من تعليلية وزعم القونوي في شرح تلخيص المفتاح أنها بيانية ، ثم قال فان قلت : كيف يبين الذنب برؤية أم الخيار فان الرؤية قائمة بها والذنب قائم به ؟ قلت أراد المرئي وأطلق عليه الرؤية للملابسة انتهى : والأصلع هو الذي لم يكن شعر على رأسه وصلع الرأس صلعا — من باب تعب — والصلع يحدث للمشايخ إذا طعنوا في السن ، قال ابن سينا : ولايحدث الصلع للنساء لكثرة رطوبتهن ولا للخصيان لقرب أمزجتهم من أمزجة النساء ، والتميز العزل وفصل شيء من شيء والتشديد للكثرة فانه يقال مازه ميزا ويكون في المشتبهات ، وضمير عنه للرأس والقنزع كقنفذ والقنزعة — بضم الزاي وفتحها — وهي الشعر حوالي الرأس والخصلة من الشعر تنزل على رأس الصبي : أوهي ما ارتفع من الشعر وطال ، وأما نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن القنازع فهي: أن يؤخذ الشعر ويترك منه مواضع ، كذا في القاموس ، وجعل النون أصلية وعن بمعنى بعد ، وجذب

الليالى فاعل ميز قال فى الصحاح :جذب الشهر مضى عامته وقوله أبطئي أو اسرعى حال من الليالى على تقدير القول ، أو كون الامر بمعنى الخبر وصحت من المضاف إليه لان المضاف عامل فيهما . وقيل صفة الليالى . ويجوز أن يكون منقطعا أى اصنعى أيتها الليالى فلا أبالى بعد هذا . وقال القونوى : وقد يجوز أن يكون استئنافا أمرا لا ًم الخيار على معنى إن حالى ماقررت لك فعند ذلك أبطئى أو أسرعى فى قبول العذر فيه فلا محيص لى عن ذلك وهذا بديع انتهي . وهذه غفلة عما بعده وهو « قرنا أشيبيه » الخ فانه خطاب لليالى ، والقرن — بفتح القاف — الخصلة من الشعر ونصبه من باب الاشتغال والقرن الثانى مفعول لما بعده . وأشيبيه فعل أمر والياء ضمير الليالى يقال أشاب الحزن رأسه وبرأسه بمعنى شيبه ، وقوله وانزعى من النزع - بفتحتين - وهو انحسار الشعر عن جانبي الجبهة من الرأس وهو أنزع وذلك الموضع النزعة — محركة — وقوله « أفناه » قيل الضمير لجذب . وقيل لشعر رأسه ، وقيل لأبى النجم . وهو المناسب لما بعده ، وقيل الله أمره وهو فاعل أفناه وهذا يدل على أن الشاعر لايريد أن المميز هو جذب الليالى الذى هو ظاهر كلامه بل يريد أن المميز قول الله وأمره ، وقوله « حتى بدا » فاعله المستتر غير أبى النجم، والسخام — بضم السين والخاء المعجمة — اللين يقال : ثوب سخام اذا كان لين المس مثل الخز وريش سخام أى لين رقيق والأفرع — بالفاء — هو التام الشعر . قال فى الصحاح : ولا يقال للرجل اذا كان عظيم اللحية والجمة أفرع وانما يقال رجل أفرع بضد الأصلع والأهدأ — مهموز كجعفر — الأحدب والتكنع التقبض كنع — كفرح — يبس وتشنج وشيخ كنع — ككتف — شنج وكنع كنع كنوعا انقبض وانضم ، يقول يمشى أبو النجم بعد الشباب كما يمشى الأحدب المنقبض الكز من الكبر وقوله « ياابنة عما » الخ استشهد به شراح الالفية على أن أصله ياابنة عمى فابدلت الياء ألفا وفاعل يبيض ضمير الرأس ، وإياد — بالكسر — حى من معد، وقوله «فاربعى» فى الصحاح ربع الرجل يربع — بفتحهما — إذا وقف وتحبس ومنه قولهم « أربع على نفسك » أى أرفق بنفسك وكف . وأيهات أيهات لغة فى هيهات وتطلعى — بفتح التاء وتشديد اللام — وأصله تتطلعى بتاءين من التطلع للشيء وقوله واستشعرى يقال استشعر خوفا أى أضمره واليأس ضد الرجاء ، وترجمة أبى النجم تقدمت فى الشاهد السابع

* (وأنشد بعده وهو الشاهد السابع والخمسون ، وهو من شواهد سيبويه) *

٥٧ ثلاث كلهن قتلت عمدا فأخزى الله رابعة تعود

لما تقدم فى البيت قبله وهو أنه حذف عائد المبتدأ الذى هو كلهن من جملة الخبر حذفا قياسيا عند الفراء .

قال الأعلم : استشهد به سيبويه على رفع كل مع حذف الضمير من الفعل ، وجعله مثل زيد ضربت ولو نصب وقيل كله لم أصنع (١) وكلهن قتلت لأجراه على ماينبغى ولم يحتج إلى الرفع مع حذف الضمير والقول عندى أن الرفع هنا أقوى من زيد ضربت لأن كلا لايحسن حملها على الفعل . لأن أصلها أن تأتى تابعة للاسم مؤكدة كقولك ضربت القوم كلهم . أومبتدأة بعد كلام نحو القوم كلهم ذاهب . فان قلت : ضربت كل القوم وبنيتها على الفعل لخرجت عن الأصل فينبغى أن يكون الرفع أقوى من النصب وتكون الضرورة حذف الهاء لارفع كل انتهى

وتبعه فى هذا ابن الحاجب فى شرح المفصل ونقله عنه السعد فى المطول . ونقل ابن الانبارى فى الانصاف أن هذا البيت مما استدل به الكوفيون على جواز تأكيد النكرة . قال : ولا حجة لهم فيه لأنه محمول على أنه بدل لاتأكيد . ويجوز أن يكون أيضا ثلاث مبتدأ وكلهن مبتدأ ثان وقتلت خبر كلهن وهما جميعا خبر ثلاث انتهى . . وقال أبو جعفر النحاس : ولا ينشد ثلاثا بنصبه بقتلت لأن قوله كلهن قتلت جملة فى موضع نعت لثلاث ومن رفع قدره لى ثلاث ويكون كلهن قتلت نعتا وإنما لم يجز أن يروى ثلاثا لئلا يتقدم النعت على المنعوت انتهى

(أقول) من رفع وجعل الجملة بعده نعتا قدر لى ونحوه خبر للمبتدأ ، وقوله وإنما لم يجز أن يروى ثلاثا الخ مراده أنه اذا نصب ثلاث بقتلت كان ثلاثا منعوتا بجملة كلهن قتلت فيكون قتلت من أجزاء النعت لثلاثا لأنه بعض الجملة المنعوت بها ، ومع كونه من أجزاء النعت هو عامل فى المنعوت المتقدم فيكون المنعوت متأخراً فى الرتبة فيلزم تقديم النعت على المنعوت من حيث الرتبة ، وهذا كلام مخالف للقواعد لاينبغى

---

(١) أنظر الأعلم (ص ٤٤ — جزء أول) فإن فى العبارة التى نقلها المؤلف شيئا

تسطيره من مثله . ونقل ابن خلف عن أبي علي أن ثلاث مبتدأ وكلهن قتلت خبر ، كأنه في تقدير زيد أخاه ضربته . وفيه نظر فان الشاهد ليس من باب الاشتغال لعدم الضمير فتأمل ؛ واعلم أن الضمير المحذوف من الشاهد تقديره قتلتها لان كلا المضافة إلى المعرفة يكون عائدها مفردا . قال تعالى « وكلهم آتيه » وفي الحديث « كلكم جائع إلا من أطعمته » وقال الشاعر :

وكلهم قد نال شبعا لبطنه وشبع الفتى لؤم اذا جَاعَ صَاحبُهُ

(وقال آخر)

وكل القوم يسأل عن نفيل كأنّ على للحبشان دينا

قال أبو حيان : ولا يكاد يوجد في لسان العرب كلهم يقومون ولا كلهن قائمات ، وإن كان موجوداً في تمثيل كثير من النحاة . قال السبكي في رسالة كل : وقد طلبته فلم أجده، وجوز ابن مالك وغيره أن يحمل على المعنى فيجمع وجعلوا منه أنتم كلكم بينكم درهم، قالوا : يجوز كلكم بينه درهم على اللفظ و بينكم على المعنى . و إن جعل كلكم توكيداً أجوز بعضهم أن يقول بينه والمشهور بينكم انتهى . .وقدر الضمير هنا بعضهم قتلتهن وكأنه بناه على مذهب ابن مالك: وقدره ابن خلف نقلا عن بعضهم قتلته أو قتلتهم و لا أعرف وجهه

وقوله فأخزى الله هذه جملة دعائية يقال خزى الرجل خزيا — من باب علم — ذل وهان وأخزاه الله أذله وأهانه . و تعود من العود وهو الرجوع ، قال صاحب المصباح عاد إلى كذا وعاد له أيضا عودا وعودة صار اليه ، فالصلة هنا محذوفة أي تعود الى، قال ابن خلف :يجوز أن يريد بالثلاث ثلاث نسوة تزوجهن ويجوز أن يريد ثلاث نسوة هوينه فقتلهن هواه ، أو يعني غير ذلك مما يحتمله المعنى ، وجعل مجيء الرابعة عوداً و إن لم تكن جاءت قبل لأنه جعل فعل صواحبها الماضيات كأنه فعلها انتهى . . وقال شارح أبيات الموشح و يروى تقود من القود وهو القصاص

وهذا البيت وان كان من شواهد سيبويه لايعرف ماقبله ولا مابعده ولا قائله ، فأن سيبويه اذا استشهد ببيت لم يذكر ناظمه ، وأما الأبيات المنسوبة في كتابه إلى قائليها فالنسبة حادثة بعده اعتنى بنسبتها ابو عمرو الجرمي قال الجرمي نظرت في كتاب سيبويه فاذا فيه ألف وخمسون بيتا فأما ألف فعرفت اسماء قائليها فأثبتها وأما

خمسون فلم أعرف أسماء قائليها ، وانما امتنع سيبويه من تسمية الشعراء لأنه كره أن يذكر الشاعر وبعض الشعر يروى لشاعرين وبعضه منحول لايعرف قائله لانه قدم العهد به وفى كتابه شيء مما يروى لشاعرين فاعتمد على شيوخه ونسب الأنشاد إليهم فيقول أنشدنا يعنى الخليل ويقول أنشدنا يونس وكذلك يفعل فيما يحكيه عن أبى الخطاب وغيره ممن أخذ عنه . وربما قال أنشدنى أعرابى فصيح . وزعم بعض الذين ينظرون فى الشعر أن فى كتابه أبياتا لاتعرف فيقال له لسنا تنكر أن تكون أنت لاتعرفها ولا أهل زمانك . وقدخرج كتاب سيبويه الى الناس والعلماء كثير والعناية بالعلم وتهذيبه أكيدة ونظر فيه وفتش فما طعن أحد من المتقدمين ولا ادعى انه أتى بشعر منكر ، وقد روى فى كتابه قطعة من اللغة غريبة لم يدرك أهل اللغة معرفة جميع مافيها ولا ردوا حرفا منها ، قال أبو اسحق : إذا تأملت الأمثلة من كتاب سيبويه تبينت انه أعلم الناس باللغة ، قال أبو جعفر النحاس : وحدثنا على بن سليمان قال : حدثنا محمد بن يزيد أن المفتشين من أهل العربية ومن له المعرفة باللغة تتبعوا على سيبويه الأمثلة فلم يجدوه ترك من كلام العرب إلا ثلاثة أمثلة منها الهندلع وهي بقلة . والدرداقس وهو عظم فى القفا . وشمنصير وهو اسم أرض . وقد فسر الأصمعى حروفا من اللغة التى فى كتابه . وفسر الجرمى الأبنية وفسرها ابو حاتم واحمد ابن يحيى وكل واحد منهم يقول ماعنده فيما يعلمه ويقف عما لاعلم له به ولايطعن على مالا يعرفه . ويعترف لسيبويه فى اللغة بالثقة وأنه علم مالم يعلموا وروى مالم يرووا قال أبو جعفر : لم يزل أهل العربية يفضلون كتاب سيبويه حتى لقد قال محمد بن يزيد لم يعمل كتاب فى علم من العلوم مثل كتاب سيبويه وذلك ان الكتب المصنفة فى العلوم مضطرة إلى غيرها وكتاب سيبويه لايحتاج من فهمه الى غيره . وقال أبو جعفر سمعت أبا بكر بن شقير يقول : حدثنى أبو جعفر الطبرى قال سمعت الجرمى يقول : هذا وأومأ بيديه الى إذنيه وذلك ان أبا عمرو الجرمى كان صاحب حديث فلما علم كتاب سيبويه تفقه فى الحديث اذ كان كتاب سيبويه يتعلم منه النظر والتفتيش قال أبو جعفر وقد حكى بعض النحويين أن الكسائى قرأ على الاخفش كتاب سيبويه ودفع اليه مائتى دينار . وحكى أحمد بن جعفر أن كتاب سيبويه وجد بعضه تحت وسادة الفراء التى كان يجلس عليها ، وكان المبرد يقول اذا أراد مريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه هل

ركبت البحر تعظيما لما فيه ، واستصعابا لألفاظه ومعانيه . وقال المازنى من أراد أن يعمل كتابا كبيرا فى النحو بعد كتاب سيبويه فليستحى مما أقدم عليه . وقال أيضا ما أخلو فى كل زمن من أعجوبة فى كتاب سيبويه . ولهذا سماه الناس قرآن النحو ، وقال ابن كيسان نظرنا فى كتاب سيبويه فوجدناه فى الموضع الذى يستحقه ووجدنا ألفاظه تحتاج الى عبارة و إيضاح لانه كتاب ألف فى زمان كان أهله يألفون مثل هذه الالفاظ فاختصر على مذاهبهم ؛ قال أبو جعفر ورأيت على بن سليمان يذهب الى غير ما قال ابن كيسان قال عمل سيبويه كتابه على لغة العرب وخطبها و بلاغتها فجعل فيه بينا مشروحا وجعل فيه مشتبها ليكون لمن استنبط ونظر فضل وعلى هذا خاطبهم الله عز وجل بالقرآن قال أبو جعفر : و هذا الذى قاله على بن سليمان حسن لأن بهذا يشرف قدر العالم وتفضل منزلته اذ كان ينال العلم بالفكرة واستنباط المعرفة ولو كان كله بينا لاستوى فى علمه جميع من سمعه فيبطل التفاضل ولكن يستخرج منه الشىء بالتدبر ، ولذلك لايمل لأنه يزداد فى تدبره علما وفهما ، وقال محمد بن يزيد المبرد : قال يونس وقد ذكر عنده سيبويه أظن هذا الغلام يكذب على الخليل ، فقيل له قد روى عنك أشياء فانظر فيها فنظر فقال صدق فى جميع ماقال هو قولى ، ومات سيبويه قبل جماعة قد كان أخذ عنهم كيونس وغيره ، وقد كان يونس مات فى سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وذكر أبو زيد النحوى اللغوى كالمفتخر بذلك بعد موت سيبويه قال كل ماقال سيبويه وأخبر عن الثقة فانا أخبرته به ومات أبو زيد بعد موت سيبويه بنيف وثلاثين سنة

﴿ وأنشد بعده وهو الشاهد الثامن والخمسون ، وهو من شواهد سيبويه ﴾

٥٨ فَثَوْبٌ نَسِيتُ وثَوْبٌ أَجُرْ

وأوله

فأَقْبَلْتُ زَحْفاً على الرُّكْبَتين

على أن حذف الضمير المنصوب بالفعل من الخبر سماعى أى فثوب نسيته و ثوب أجره . قال ابن عقيل فى شرح الألفية : وجاز الابتداء بثوب وهو نكرة لانه قصد به التنويع ، قال الأعلم : ويجوز عندى أن يكونُ نسيت وأجر من نعت الثوبين فيمتنع أن

يعمل فيه لأن النعت لايعمل فى المنعوت فيكون التقدير فثوباى ثوب منسى وثوب مجرور . وقال ابن هشام فى مغنى اللبيب:ومما ذكروا من المسوغات أن تكون النكرة للتفصيل نحو فثوب نسيت وثوب أجر وفيه نظر لاحتمال نسيت وأجر للوصفية ، والخبر محذوف أى فمن أثوابى ثوب نسيت ومنها ثوب أجره و يحتمل انهما خبران وثم صفتان مقدرتان أي فثوب لى نسيته وثوب لى أجره وانما نسى ثوبه لشغل قلبه كما قال :

لَعُوبٌ تُنَسِّينِى إذا قُمت سِرْ بَالِى

وانما جر الآخر ليعفى الاثر على القافة ولهذا زحف على الركبتين انتهى والقافةجمع قائف وهو من يعرف الآثار يقال قفا أثره أى تبعه وروى

فلما دنوت تَسَدَّيتُهَا . فثوب نسيت الخ

قال ابن الانبارى فى شرح المفضليات يقال تسديته اذا تخطيت اليه وقيل علوته وأنشد هذا البيت وروى

فثوبا نسيت وثوبا أجر

وعليه فهو مفعول لما بعده وهو منقصيدة لامرىء القيس عدتها اثنان وأربعون بيتا ومطلعها

لا وأبيك ابنة العامر ى لايدعي القوم أنى أفر

وسيأتى شرحه ان شاء الله تعالى فى حروف الزيادة فى آخر الكتاب واثبت هذه القصيد له أبو عمرو الشيبانى والمفضل وغيرهما وزعم الاصمعى فى روايته عن أبى عمرو بن العلاء أنها لرجل من أولاد النمر بن قاسط يقال له ربيعة بن جعشم وأولها عنده

أحار بن عمرو كأنى خَمِر ويَعْدو على المرء مَا يَأتَمِر

وبه استشهد ابن قاسم فى شرح الالفية لتنوين الغالى حيث لحق الروى المقيد رواه ما يأتمرن بضم الراء والهمزة للنداء وحارمرخم حارث قال فى الصحاح والخمار بقية السكر تقول منه رجل خمر بفتح فكسر اى فى عقب خمار ويقال هو الذى خامره الداء أى خالطه

وعدا عليه جار والائتمار الامتثال أي ما تأمر به نفسه فيرى أنه رشد فربما كان هلاكه فيه . والواو عطفت جملة فعلية على جملة اسمية على قولين من ثلاثة أقوال : الجواز مطلقا والمنع مطلقا والجواز مع الواو فقط ، وليست للاستئناف ولا للتعليل ولا زائدة كما زعمها العيني وبعد بيت الشاهد :

ولم يرنا كالِىءٌ كاشحٌ ولم يَفْشُ منا لدى البيت سِرْ
وقد رابني قولها ياهنا ة ويحك أَلْحَقْتِ شرا بشر

والكالىء بالهمز الحارس والرقيب . والكاشح المبغض ورابني أوقعني فى الريبة . وهناه كلمة يكني بها عن المنكرات كما يكنى بفلان عن الاعلام فمعنى يا هناه يارجل ولا يستعمل الا فى النداء عند الجفاء والغلظة . وقوله « ألحقت شرا بشر » أى كنت متهما فلماصرت الينا ألحقت تهمة بعد تهمة . وهذه الضمائر المؤنثة راجعة الى هر — بكسر الهاء وتشديد الراء — وكنيتها أم الحويرث وهى التى كان يشبب بها فى أشعاره . وكانت زوجة والده فلذلك كان طرده وهم بقتله من أجلها . وفى هذه القصيدة بيت فى وصف قوسه يأتى شرحه ان شاء الله فى أفعال القلوب . وترجمة امرىء القيس تقدمت فى الشاهد الاربعين

(وانشد بعده وهو الشاهد التاسع والخمسون وهو من شواهد سيبويه)

٥٩ لَعَمْرُكَ ما معن بتاركِ حَقِّه ولا منسيءٍ مَعْنٌ ولا مُتَيَسِّرُ

على أن وضع الظاهر مقام الضمير إن لم يكن فى معرض التفخيم فعند سيبويه يجوز فى الشعر بشرط أن يكون بلفظ الأول كهذا البيت ، وهو للفرزدق أول بيتين ثانيهما

أتطلب ياعوران فضل نبيذهم وعندك ياعوران زق موكر

واللام لام الابتداء ، والعمر الحياة . والمعنى انه اقسم بحياة مخاطبه لعزته عليه والعمر ـ فتحا وضما ـ واحد غير أنه متى اتصل بلام الابتداء مقسما به وجب فتح عينه . و إلاجاز الامر ان وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره قسمي ، وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله فى المفعول المطلق ، وجملة « ما معن » الخ جواب القسم ، وما نافيه تميمية زيدت الباء فى خبرها ، ومعن قال أبو على القالى فى ذيل أماليه : قال أبو محلم : هو رجل كان كلاء بالبادية يبيع بالكالىء أى بالنسيئة وكان يضرب به المثل فى شدة التقاضى ، قال سيار بن هبيرة يعاتب خالدا وزيادا أخويه :

يؤَذّنني هذا ويمنع فَضْلَهُ وهذا كمعنْ أو أشد تقاضياً

يؤذنني يحرمني مضارع أذنه بتشديد الذال المعجمة قال فى المصباح : «كلأ» الدين يكلأ كلأً بفتحتين مهموزا تأخر فهو كالىء بالهمز ويجوز تخفيفه فيصير كالقاضى ، وقال الأصمعى هو مثل القاضى ولا يجوز همزه « ونهى عن بيع الكالىء » أى بيع النسيئة بالنسيئة قال أبو عبيد . صورته أن يسلم الرجل الدراهم فى طعام الى أجل فاذا حل الاجل يقول الذى عليه الطعام ليس لى طعام ولكن بعنى اياه الى أجل فهذه نسيئة انقلبت الى نسيئة فلو قبض الطعام ثم باعه منه أو من غيره لم يكن كالئا بكالىء و يتعدى بالهمزة والتضعيف انتهى

وقال شراح أبيات الكتاب عنى بالبيت معن بن زائدة الشيبانى و هو أحد أجواد العرب وسمحائهم فوصفه ظلما بسوء الاقتضاء وأخذ الغريم على عسرة وأنه لا ينسئه بدينه انتهى . و هذا غير صحيح فان معن بن زائدة متأخر عن الفرزدق فانه قد توفى الفرزدق فى سنة عشر ومائة وتوفى معن بن زائدة فى سنة ثمان وخمسين ومائة : وقوله « ولا منسىء » هو اسم فاعل من أنسأت الشىء أخرته ، و يقال أيضا نسأته فعلت وأفعلت بمعنى فالمفعول محذوف أى حقه قال الشارح الرواية بجر منسىء و إذا رفعته فهو خبر مقدم على المبتدا

(أقول) الجر يكون بالعطف على مدخول الباء الزائدة ومعن فاعله أقيم مقام الضمير فيكون من تتمة الجملة الاولى واذا رفع كان من جملة أخرى : وبالرفع أنشده سيبويه . قال الاعلم : استشهد به سيبويه على أن تكرير الاسم مظهرا من جملتين أحسن من تكريره فى جملة واحدة فلو حمل البيت على أن التكرير من جملة واحدة لقال ولا منسىء معن عطف على قوله بتارك حقه ، ولكنه كرره مظهرا ولما أمكنه ان يجعل الكلام جملتين استأنف الكلام فرفع الخبر ، وقال : اعلم أن الاسم الظاهر متى احتيج الى تكرير ذكره فى جملة واحدة كان الاختيار أن يذكر ضميره ، لأن ذلك أخف وأنفى للشبهة واللبس ، كقولك زيد ضربته ولو أعدت لفظه بعينه فى موضع كنايته لجاز ولم يكن وجه الكلام كقولك زيد ضربت زيدا على معنى زيد ضربته ، وأذا أعدت ذكره فى غير تلك الجملة جاز أعادة ظاهره وحسن كقولك مررت بزيد و زيد رجل صالح قال تعالى « واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى

مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته » فاعاد الظاهر لان قوله « الله أعلم » ابتداء وخبر ، وقد مرت الجملة الاولى فاذا قلت ما زيد ذاهبا ولا محسنا زيد جاز الرفع والنصب ، فاذا نصبت وقلت ولا محسنا زيد جعلت زيدا هذا الظاهر بمنزلة كنايته فكأنك قلت ما زيد ذاهبا ولا محسنا ، كما تقول ولا محسنا أبوه فتعطف محسنا على ذاهبا وترفع زيدا بفعله وهو محسن . فاذا رفعت جعلت زيدا كالاجنبي ورفعته بالابتداء وجعلت محسنا خبرا مقدما ، واختار سيبويه الرفع لأن العرب لا تعيد لفظ الظاهر إلا أن تكون الجملة غير الجملة الثانية وتكون الثانية مستأنفة كما قلنا فى «رسل الله الله أعلم » فاذا رفعته فهو مطابق لما ذكرناه وخرج عن باب العيب لأنك جعلته جملة مستأنفة ، واستشهد سيبويه لجواز النصب وجعل الظاهر بمنزلة المضمر بقوله :

لا أرَى الموت يسبق الموتَ شيء

فى موضع المفعول الثانى وهما فى جملة واحدة وكان ينبغى أن يقول يسبقه شيء فيضمره ، واستشهد لاختيار الرفع فيما اختاره فيه بقول الفرزدق :

لَعَمْرُكَ ما معن بتارك حقه «البيت»

ومعن الثانى هو الاول فهو بمنزلة قوله : ما زيد ذاهبا ولا محسن زيد وللمعترض أن يقول : الفرزدق تميمى وهو يرفع خبر ما على كل حال مكنيا كان أو ظاهرا ألا ترى أن الفرزدق من لغتـه أن يقول : ما معن تارك حقـه ولا منسيء هو فالظاهر والمكنى على لغته سواء انتهى

(وأنشد بعده وهو الشاهد الستون وهو من شواهد سيبويه)

٦٠ لاَ أرَى الموتَ يسبقُ الموتَ شيء

تمامه

نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

لما تقدم فى البيت قبله أى لا أرى الموت يسبقه شيء أى لا يفوته ، وأنشده ثانياً فى الأخبار بالذى ، وجعله من قبيل « الحاقة ما الحاقة » مما اظهاره يفيد التفخيم ، فخالف كلامه هنا ، وتبع الشارح هنا سيبويه وخالف المبرد فى هذا وفرق بينه وبين ماذكر

لأن الموت جنس . وانما كره زيد قام زيد لئلا يتوهم أن الثانى خلاف الأول ، وهذا لا يتوهم فى الأجناس قال تعالى « إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها » وكذا إذا اقترن بالاسم الثانى حرف الاستفهام بمعنى التعظيم والتعجب كان الباب للاظهار . كقوله تعالى « القارعة ما القارعة والحاقة ما الحاقة » والاضمار جائز كما قال تعالى « فأمه هاوية وما أدراك ماهيه » وكذلك لم يرتضه شراح أبياته قال الاعلم وتبعه ابن خلف ومثله لابى جعفر النحاس : استشهد بهذا البيت سيبويه على إعادة الظاهر موضع المضمر . وفيه قبح إذا كان تكريره فى جملة واحدة لأنه يستغنى بعضها عن بعض فلا يكاد يجوز إلا فى ضرورة كقولك زيد ضربت زيدا . فأن كان إعادته فى جملتين حسن . كقولك زيد شتمته وزيد أهنته لأنه قد يمكن أن تسكت عن الجملة الأولى ثم تستأنف الاخرى بعد ذكر رجل غير زيد فلو قيل زيد ضربته وهو أهنته لجاز أن يتوهم الضمير لغير زيد فاذا أعيد مظهراً زال التوهم ومع إعادته مضمرا فى الجملة الواحدة كقولك زيد ضربته لا يتوهم الضمير لغيره لأنك لا تقول زيد ضربت عمرا والاظهار فى مثل هذا أحسن منه فى هذا ونحوه لان الموت اسم جنس فاذا أعيد مظهرا لم يتوهم أنه اسم لشيء آخر فلذلك كان الأظهار فى هذا أمثل لأنه أشكل ، وقوله « نغص الموت » الخ يريد نغص عيش ذى الغنى والفقر يعنى أن خوف الغنى من الموت ينغص عليه الالتذاذ بالغنى والسرور به . وخوف الفقير من الموت ينغص عليه السعى فى التماس الغنى لأنه لا يعلم أنه إذا وصل إليه الغنى هل يبقى حتى ينتفع به أو يقتطعه الموت عن الانتفاع

وهذا البيت من قصيدة لعدى بن زيد وقيل لابنه سوادة بن عدى والصحيح الأول وأولها

طال ليلى أراقب التنويرا ... أرقب الليل بالصباح بَصيرا

شطّ وصل الذى تريدين منى ... وصغير الأمور يجنى الكبيرا

إن للدهر صولة فاحذرنها ... لاتبيتن قد أمنت الدهورا

قد يبات الفتى صحيحا فيَرْدَى ... ولقد بات آمنا مسرورا

لا أرى الموت يسبق الموت شىء ... نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

للمنايا مع الغُدو رواح كل يوم ترى لهن عقيرا
كم ترى اليوم من صحيح تمنى وغدا حشو ريطة مقبورا
أين أين الفرار مما سيأتى لا أرى طائرا نجا أن يطيرا
فامش قصدا إذا مشيت وأبصر ان للقصد منهجا وجسورا
إن للقصد لابن آدم خيرا وسبيلا على الضعيف يسيرا

وعدى بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب من بنى امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم . قال صاحب الأغانى : وكان أيوب هذا أول من سمى من العرب أيوب وكان عدى شاعراً فصيحاً من شعراء الجاهلية وكان نصرانيا وكذلك أبوه وأمه وأهله . وليس ممن يعد فى الفحول ، هو قروى قد أخذوا عليه فى أشياء عيب فيها ، وكان الأصمعى وأبو عبيدة يقولان : عدى بن زيد فى الشعراء بمنزلة سهيل فى النجوم يعارضها ولا يجرى معها مجراها وكذلك عندهم أمية بن أبى الصلت ، ومثلهما من الأسلاميين الكميت والطرماح

وكان سبب نزول آل عدى الحيرة أن جده أيوب كان منزله اليمامة فأصاب دما فى قومه فهرب إلى أوس بن قلام أحد بنى الحرث بن كعب بالحيرة وكان بينهما نسب من قبل النساء فاكرمه وابتاع له موضع دار بثلثمائة أوقية من ذهب وأنفق عليها مائتى أوقية ذهبا وأعطاه مائتين من الابل برعاها وفرسا وقينة واتصل بملوك الحيرة وعرفوا حقه وحق ابنه زيد بن أيوب فلم يكن منهم ملك يملك الاولولد أيوب منه جوائز ، ثم إن زيدا نكح امرأة من آل قلام ، فولد له حماد فخرج زيد بن أيوب يوما للصيد فلقيه رجل من بنى امرىء القيس الذى كان لهم الثار فاغتال زيدا وهرب ومكث حماد فى أخواله حتى أيفع وعلمته أمه الكتابة فكان أول من كتب من بنى أيوب ، فخرج من أكتب الناس حتى صار كاتب النعمان الأكبر فلبث كاتبا حتى ولد له ولد فسماه زيدا باسم أبيه ، وكان لحماد صديق من دهاقين الفرس اسمه فروخماهان ، فلما حضرت الوفاة حمادا أوصى بابنه زيد الى الدهقان —وكان من المرازبة— فأخذه إليه وكان زيد قد حذق الكتابة وعلمه الدهقان الفارسية وكان لبيبا فأشار الدهقان — إلى كسرى أن يجعله على البريد فى حوائجه فولاه و بقى زمانا .. ثم إن النعمان هلك فاختلف أهل الحيرة فيمن

يملكونه إلى أن يعقد كسرى الامر لرجل منهم فأشار المرزبان عليهم بزيد بن حماد ، فكان على الحيرة إلى أن ملك كسرى المنذر بن ماء السماء ، ونكح زيد نعمة بنت ثعلبة العدوية فولدت له عديا وولد للمرزبان ابن وسماه شاهان مرد ، فلما أيفع عدى أرسله المرزبان مع ابنه الى كتاب الفارسية وتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس وأفصحهم بالعربية ، وقال الشعر وتعلم الرمى بالنشاب وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة وغيرها ثم إن المرزبان لما اجتمع بكسرى قال له ان عندى غلاما من العرب هو أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية والملك محتاج الى مثله فأحضر المرزبان عدى بن زيد وكان جميل الوجه فائق الحسن : وكانت الفرس تتبرك بالجميل الوجه فرغب فيه فكان عدى أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى فرغب أهل الحيرة الى عدى ورهبوه ولم يزل بالمدائن فى ديوان كسرى معظما وأبوه زيد كان حيا الا أن صيته قد خمل بذكر ابنه عدى . ثم لما هلك المنذر اجتهد عدى عند كسرى حتى ملك النعمان بن المنذر الحيرة . ثم بعد مدة افتروا على عدى وقالوا للنعمان : إن عديا يزعم انك عامله على الحيرة . فاغتاظ منه النعمان وأرسل الى عدى بأنه مشتاق اليه ليستزيره ، فلما أتى اليه حبسه وبقى فى الحبس الى أن جاء رسول كسرى ليخرجه ، فخاف النعمان من خلاصه فغمه حتى مات وندم النعمان على قتله وعرف أنه غلب على رأيه. ثم إنه خرج يوما إلى الصيد فلقى ابنا لعدى يقال له زيد فلما رآه عرف شبهه فقال : له من أنت ؟ قال : أنا زيد بن عدى فكلمه فاذا هو غلام ظريف ففرح به فرحا شديدا فقربه واعتذر إليه من أمر أبيه ، ثم كتب إلى كسرى يربيه ويشفع له مكان أبيه، فولاه كسرى، وكان يلى المكاتبة عند آل ملوك العرب وفى خواص أمور الملك وكانت لملوك العجم صفة النساء مكتوبة عندهم وكانوا يبعثون فى تلك الأرضين تلك الصفة فاذا وجدت حملت إلى الملك غير أنهم لم يكونوا يطلبونها فى أرض العرب ، فلما كتب كسرى فى طلب الصفة قال له زيد بن عدى : أنا عارف بآل المنذر وعند عبدك النعمان بين بناته وأخواته وبنات عمه أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة فابعثنى مع ثقة من رجالك يفهم العربية حتى أبلغ ما تحبه ، فبعث معه رجلا فطنا وخرج به زيد فجعل يكرم الرجل ويلطفه حتى بلغ الحيرة فلما دخل على النعمان قال له : إن كسرى قد احتاج الى نساء لنفسه

و لولده ، وأراد كرامتك بصهره فبعث إليك : فقال النعمان لزيد والرسول يسمع أما فى مها السواد وعين فارس مايبلغ به كسرى حاجته . فقال الرسول لزيد بالفارسية ما المها ؟ فقال له بالفارسية « كاوان » أى البقر فأمسك الرسول . وقال زيد للنعمان : إنما أراد الملك أن يكرمك ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به. فأنزلهما عنده يومين ثم كتب إلى كسرى : إن الذى طلب الملك ليس عندى . وقال لزيد : أعذرنى عنده . فلما رجع إلى كسرى ، قال زيد للرسول : اصدق الملك عما سمعت فانى سأحدثه بمثل حديثك ولا أخالفك فيه . فلما دخلا الى كسرى قال زيد هذا كتابه فقرأه عليه . فقال له كسرى : وأين الذى كنت خبرتنى به . قال : قد كنت خبرتك ببخلهم بنسائهم على غيرهم : وإن ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعرى على الشبع والرياش وإيثارهم السموم على طيب أرضك حتى إنهم ليسمونها السجن فسل هذا الرسول الذى كان معى عما قال فانى أكرم الملك عن مشافهته بما قال . فقال للرسول : وماقال النعمان . فقال له الرسول : إنه قال « أما كان فى بقر السواد وفارس مايكفيه حتى يطلب ماعندنا » فعرف الغضب فى وجهه . وسكت كسرى أشهرا . وسمع النعمان غضبه ثم كتب اليه كسرى أن أقبل فان لى حاجة بك فخاف النعمان وحمل سلاحه وما قدر عليه ولجأ الى قبائل العرب فلم يجره أحد وقالوا : لاطاقة لنا بكسرى . حتى نزل بذى قار فى بني شيبان سرا فلقى هانىء بن قبيصة فأجاره : وقال : لزمنى ذمامك وإنى مانعك مما أمنع نفسى وأهلى . وان ذلك مهلكى ومهلكك . وعندى رأى لست أشير به لادفعك عما تريده من مجاورتى ولكنه الصواب . فقال : هاته . قال : إن كل أمر يجمل بالرجل أن يكون عليه إلا أن يكون بعد الملك سوقة ، والموت نازل بكل أحد ، ولأن تموت كريما خير من أن تتجرع الذل اوتبقى سوقة بعد الملك . إمض الى صاحبك واحمل عليه هدايا ومالا ، وألق نفسك بين يديه . فاما أن يصفح عنك فعدت ملكا عزيزا وإما ان يصيبك فالموت خير من ان تتلعب بك صعاليك العرب ويتخطفك ذئابها. قال: فكيف بحرمى وأهلى؟ قال: هن فى ذمتى ولايخلص اليهن حتى يخلص الى بناتى فقال هذا وأبيك الرأى . ثم اختار خيلا وحللا من عصب اليمن وجواهر وطرفا كانت عنده ووجه بها الى كسرى . وكتب إليه يعتذر ويعلمه أنه صائر اليه. فقبلها كسرى وأمره بالقدوم فعاد إليه الرسول وأخبره بذلك وأنه لم ير له عند كسرى سوأ فمضى إليه حتى إذا وصل

الى ساباطلقيه زيد بن عدى فقال له : انج نعيم إن استطعت النجاء ، فقال له النعمان أفعلتها يازيد . أما والله لئن عشت لأقتلنك قتلة لم يقتلها عربى قط ، فقال له زيد قدوالله آخيت لك آخية لايقطعها المهر الأرن . فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه فقيده وسجنه فلم يزل فى السجن حتى هلك . وقيل ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات وذلك قبيل الاسلام بمدة . وغضبت له العرب حينئذ فكان قتله سبب وقعة ذى قار

(وأنشد بعده وهو الشاهد الحادى والستون)

٦١ إذا المَرءُ لم يغش الكَرِيهَةَ أوْشَكَتْ   حِبَالُ الْهُوَيْنَى بالفتى أنْ تَقَطَّعا

على أن الاسم إن أعيد ثانيا ولم يكن بلفظ الاول لم يجز عند سيبويه ، ويجوز عند الأخفش سواء كان فى شعر أوفى غيره كهذا البيت

قال ابن جنى فى إعراب الحماسة عندقول أبى النشناش :

إذا المرء لم يَسْرَحْ سواما ولم يرح   سواما ولم تعطف عليه أقاربه

فللموت خير للفتى من حياته   فقيرا ومن مولى، تدب عقاربه

كان يجب أن يقول فللموت خير له فعدل عن المظهر والمضمر جميعاً إلى لفظ آخر كقوله :

إذا المرء لم يغش الكريهة .. البيت

وسبب ذلك أن هذا المظهر المخالف للفظ المظهر قبله قد أشبه عندهم المضمر من حيث كان مخالفاً للفظ المظهر قبله خلاف المضمر له

وقال ابن رشيق فى العمدة : قوله « بالفتى » حشو وكان الواجب أن يقول به لأن ذكر المرء قد تقدم إلا أن يريد بالفتى معنى الزراية والاطنوزة فانه محتمل اه

وهذا تخيل دقيق . والغشيان الاتيان يقال غشيته — من باب تعب — أتيته . والكريهة الحرب وقيل شدتها وقيل النازل : وهذا هو المراد هنا. وأوشكت قاربت ودنت . والحبال جمع حبل بمعنى السبب استعير لكل شىء يتوصل به الى أمر من الامور . والهوينى الرفق والراحة . وعده ابن دريد فى الجمهرة فى الكلمات التى وردت مصغرة لاغير قال : والهوينى السكون والخفض ، قال السمين فى عمدة الحفاظ : يقال فلان يمشى الهوينى وهو مصغر الهونى والهونى تأنيث الأهون كالفضلى تأنيث الافضل . وبالفتى الباء للمصاحبة فيكون حالا أو بمعنى عن

فيتعلق بما بعدها : وجاز لأنه ظرف ومثله قوله تعالى « وتقطعت بهم الاسباب»
قال السمين : فى الباء أربعة أوجه (أحدها) للحال أى تقطعت موصولة بهم الاسباب (الثانى) للتعدية أى قطعتهم الأسباب كقولهم تفرقت بهم الطرق أى فرقتهم (الثالث) للسببية أى تقطعت بسبب كفرهم الأسباب التى كانوا يرجون بها النجاة (الرابع) بمعنى عن أى تقطعت عنهم الأسباب الموصلات بينهم . وهى مجاز والسبب فى الأصل الحبل ثم أطلق على كل مايتوصل به إلى شىء عينا كان أو معنى . وتقطعا أصله تتقطع — بتاءين — وفاعله ضمير حبال

وهـذا البيت آخر أبيات للكلحبة العرينى وهى :

فَإِنْ تَنْجُ منها يا حَزِيمُ بنَ طارق فقد تركْتَ ماخلف ظهرك بلقعا
ونادى منادى الحى أنْ قد أُتيتمُ وقد شربت ماء المزادة أجمعا
وقلت لكأس ألجميها فإنما نزلنا الكثيب من زرودَ لنَفْزَعا
فأدرك ابقاء العَرادة ظَلْعُها وقد جعلتنى من حزيمة إصْبعا
أمرتُكُمُ أمرى بِمُنْعَرَجِ اللوى ولا أمر للمعصى إلا مُضيَّعا

اذا المرء لم يغش الكريهة «البيت»

وسبب هذه الابيات ، أن الكلحبة كان نازلا بزرود وهى أرض بنى مالك بن حنظلة — وهو من بنى يربوع — فاغارت بنو تغلب على بنى مالك وكان رئيسهم حزيمة ابن طارق ، فاستاق ابلهم فأتى الصريخ الى بنى يربوع . فركبوا فى أثره فهزموه واستنقذوا ماكان أخذه

فقوله إن تنج منها الضمير راجع الى فرس الكلحبة وحزيم — بفتح الحاء المهملة وكسر الزاى المعجمة — مرخم حزيمة

وهذا البيت يشهد بانفلاته وشعر جرير يشهد بأسره وهو:

قدنا حَزِيمةَ قَدْ علمتم عَنْوةً

ولا مانع منه بأن أدركه غير الكلحبة وأسره لما ظلعت فرسه ، قيل ولما أسر اختصم فيه اثنان (أحدهما) أنيف بن جبلة الضبي . وهو أحد بنى عبد مناة بن سعد

ابن ضبة ، وكان أنيف يومئذ نازلا في بني يربوع وليس معه من قومه أحد (وثانيهما) أسيد بن حناءة السليطي ، فاختصما إلى الحرث بن قراد ، فحكم أن جز ناصيته لأنيف وان لاسيد عنده مائة من الابل فرضيا بذلك

والحرث بن قراد من بنى حميرى بن رياح بن يربوع ، وأمه من بنى عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبة

وقوله فقد تركت الخ العرب كثيرا ماتذكر أن الخيل فعلت كذا وكذا وإنما يراد به أصحابها لأنهم عليها فعلوا وأدركوا يقول : إن تنج ياحزيمة من فرسى فلم تفلت إلا بنفسك وقد استبيح مالك وما كنت حويته وغنمته فلم تدع لك هذه الفرس شيأ

وقوله ونادى منادى الحى الخ.. كان الكلحبة يعتذر من انفلات حزيمة يقول: أتى الصريخ وقد شربت فرسى ملء الحوض ماء وخيل العرب إذا علمت أنه يغار عليها وكانت عطاشا فمنها مايشرب بعض الشرب ولا يروى وبعضها لايشرب البتة لما قد جربت من الشدة التى تلقى اذا شربت الماء وحورب عليها وفاعل شربت ضمير الفرس ، وجملة قد شربت حال أى أتيتم فى هذه الحال وقوله : وقلت لكأس البيت كاس بنت الكلحبة وقيل جاريته والعرب لاتثق فى خيلها الا باولادها ونسائها وقوله لننفزعا أى لنغيث يقول مازلنا فى هذا الموضع الا لنغيث من استغاث بنا والفزع من الأضداد بمعنى الاغاثة والاستغاثة وقوله فادرك ابقاء العرادة الخ العرادة -بفتح العين والراء والدال المهملات- اسم فرس الكلحبة كانت أنثى والابقاء ماتبقية الفرس من العدو . اذ من عتاق الخيل مالا تعطى ماعندها من العدو بل تبقى منه شيأ الى وقت الحاجة يقال « فرس مبقيه » إذا كانت تأتى بجرى عند انقطاع جريها وقت الحاجة يريد أنها شربت الماء فقطعها عن ابقائها ففاته حزيمة . وروى أنقاء العرادة - بفتح الهمزة وبالنون -- جمع نقو بالكسر وهو كل عظم ذى مخ يعنى ظلعها وصل الى عظامها وروى أيضا إرقال العرادة -- بكسر الهمزة وبالقاف - وهو السير السريع . وهو مفعول ، والظلع فاعل

قال ابن الانبارى : الظلوع فى الابل بمنزلة الغمز أى العرج اليسير يقال ظلع يظلع بفتحهما ظلعا وظلوعا ولا يكون الظلوع فى الحافر إلا استعارة يقول فاتني حزيمة ومابينى وبينه الاقدر أصبع

وأورد الشارح هذا البيت فى باب الاضافة على أن فيه حذف ثلاثة مضافات أى جعلتنى ذا مقدار مسافة أصبع ،والأولى تقدير مضافين أي ذا مسافة أصبع كما قدر ابن هشام فى مغنى اللبيب . فان المسافة معناها البعد والمقدار لاحاجة اليه،والمسافة وزنها مفعلة أى محل السوف وهو الشم . وكان الدليل اذا سلك الطرق القديمة المهجورة أخذ ترابها فشمه ليعلم أعلى قصد هو أم على جور و إنما يقصد بشم التراب رائحة الأبوال والابعار فيعلم بذلك انه مسلوك ، وكذلك أورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى « فكان قاب قوسين » قال فيه حذف مضافين كما فى هذا البيت . لكن تقديره مقدار مسافة أصبع يحتاج الى تأويل لصحة الحمل . وقوله « أمرتكم أمرى » الخ اللوى بالقصر هو لوى الرمل أى منقطعه حيث ينقطع و يفضى الى الجدد ومنعرجه حيث انثنى منه وانعطف وإنما قال « بمنعرج اللوى » ليعلم أين كان أمره اياهم كما قال الآخر :

ولقـد أمرت أخاك عَمْراً أمْرَهُ فأبى وَضَيَّعَهُ بذات العجرم

وهذا البيت من شواهد سيبويه أورده الشارح أيضا فى باب الاستثناء على أن نصب المستثنى فى مثله قليل ، وقال الخليل : مضيعا حال وجاز تنكير ذى الحال لكونه عاما كأنه قال للمعصى أمره مضيعا . وبهذا يسقط قول الأعلم حيث قال : الشاهد فيه نصب مضيع على الحال من الامر وهو حال من نكرة وفيه ضعف لأن اصل الحال ان تكون للمعرفة اه

(أقول) إن جعل حالا من الضمير المستقر فى قوله للمعصى فانه خبر لا النافية فلا يرد عليه ماذكر

وقال النحاس : و يجوز ان يكون حالا للمضمر التقدير إلا امرأً فى حال تضييعه فهو حال من نكرة

(أقول) هذا التقدير من باب الاستثناء و مضيعا وصف للمضمر لاحال منه

وقال الاعلم : ويجوز نصبه على الاستثناء والتقدير الاأمرا مضيعا وفيه قبح لوضع الصفة موضع الموصوف (اقول) لاقبح فان الموصوف كثيرا مايحذف لقرينة

وقال ابن الانباري الاستثناء منقطع

(أقول) التفريغ لا يكون فى المنقطع .. ثم قال : و لو رفع فى غير هـذا الموضع لجاز بجعله خبراً للا

(أقول) يجب حينئذ أن يقال ولا أمرا للمعصى بالتنوين إلا على مذهب البغداديين ، وقد أورد أبو زيد فى نوادره هذه الابيات على غير هذا الترتيب وروى أولها

أَمَرْتُهُمُ أَمْرِى بِمُنعرج اللوى « البيت »

والكلحبة لقب الشاعر - وهو بفتح الكاف وسكون اللام وبعدها حاء مهملة فباء موحدة - ومعناه فى اللغة صوت النار ولهبها ، كذا فى العباب ، وزاد فى القاموس وكلحبه بالسيف ضربه . والعرينى نسبة الى عرين - بفتح العين وكسر الراء المهملتين - والياء فى فعيل تثبت فى النسب .. وهو جده القريب ، ويقال له اليربوعى أيضا نسبة الى جده البعيد . وقولهم الكلحبة عرنى - نسبة الى عرينة كجهنى نسبة الى جهينة - تحريف ، فان عرينة - بالتصغير - بطن من بجيلة وليس من نسبه .

قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف الكلحبة اليربوعى اسمه هبيرة بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم أحد فرسان بنى تميم وساداتها وشاعر وهو القائل :

فقلت لكاس ألجميها « البيت »

وكذا قال أبو زيد فى نوادره اسمه هبيرة بن عبد مناف عم واقد بن عبد مناف ومثله قال ابن الانبارى : الكلحبة اسم هبيرة بن عبد مناف . وقال الصغانى فى العباب قال أبو عبيدة : كلحبة اسمه عبد الله بن كلحبة ، ويقال هبيرة بن كلحبة فارس العرادة ويقال اسمه حرير . وأثبت من ذلك ان اسمه هبيرة بن عبد الله بن عبد مناف الى آخر نسبه وقال صاحب القاموس : الكلحبة شاعر عرنى ولقب هبيرة بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين العرنى فارس العرادة اه فتأمل ما فيه .

والظاهر أن حريرا ابنه وهو بضم الحاء المهملة وفتح الراء الاولى كما يفهم من قوله :

لَعَلَّ حُرَيْراً أخطأته منية ... سيأتيك بالعلم العشيةُ أو غدُ

تقول له إحدى بليّ شماتة ... مَنِ الحنظلى الفارسُ المُتَفَقَّدُ

فانه كان أراد بعض ملوك الشام فسار حتى سار فى موضع يقال له قرن ظبى رجع وقال

رَدَدْتُ ظَعَائِنى من قرن ظبى ... وهن على شمائلهن زُورُ

لجاور فى بلى بن عمرو بن إلحاف بن قضاعة فاغار عليهم بنو جشم بن بكر من بنى تغلب فقاتل مع بلى هو وابنه وقد أخذ بنو جشم أموالهم حتى ردها وجرح ابنه فمات من جراحته ومن شعر الكلحبة يخاطب جاريته كأسا رواه أبو زيد فى نوادره .

يا كاس ويلك إنى غالنى خلقي (١) على السماحة صعلوكا وذا مال
تخيرى بين راع حافظ برم عبد الرشاء عليك الدهر عمال
وبين أروع مشمول خلائقه مستغرق المال (٢) للذات مكسال
(٣) فأى ذينك إن نابتك نائبة والقوم ليسوا وإن سووا بأمثال

قال أبو حاتم فاى بالرفع قال أبو على أضمر اختارى لأن ذكره قد جرى فهو منصوب (وقال أخوه يرد عليه)

ألم تك قد جربت ما الفقر والغنى وما يعظ الضليل إلا أولا لكا
عقوقا وإفسادا لكل معيشة فكيف ترى أمست إضاعة مالكا

قال أبو حاتم إضاعة بالنصب وقال أبو على ترى المتعدية لمفعولين ألغاها

(تتمة) قد أخذ البيت الشاهد شبيب بن البرصاء وغير قافيته وقال :

دعانى حصين للفرار فساءنى مواطن أن يثنى على فاشتما
فقلت لحصن نج نفسك إنما يذود الفتى عن حوضه أن يهدما
تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما
سيكفيك أطراف الأسنة فارس إذا ريع نادى بالجواد وألجما
إذا المرء لم يغش الكريهة أوشكت حبال الهوينى بالفتى أن تجذما

فى القاموس وجذمه ـ بالجيم والذال المعجمة ـ فانجذم وتجذم قطعه

ومثله كثير بين الشعراء وسيأتى ان شاء الله تعالى له نظائر كثيرة ،والبرصاء هى أم شبيب وأبوه اسمه يزيد وتنتهى نسبته الى قيس بن عيلان ، وهو ابن خالة عقيل بن

(١) ويرى بدل قوله : ويلك « ويبك » ويروى بدل قوله : غالنى « غالبى »
(٢) ويروى : مستهلك
(٣) ويروى : فأى ذلك

علفة وكل منهما كان شريفا سيدا فى قومه وكانا من أشعر الدولة الاموية ، وترجمتهما طويلة فى الأغانى قال صاحبها : كان عبد الملك بن مروان يتمثل بهذه الابيات لشبيب ابن البرصاء فى بذل النفس عند اللقاء ويعجب منه

﴿ وأنشد بعده وهو الشاهد الثانى والستون ﴾

٦٢ فإِنَّ فؤادى عِنْدَكِ الدَّهْرَ أَجْمَعُ

صدره

فإِنْ يَكُ جُثْمَانِى بأَرْض سِوَاكُمُ

على أن الضمير انتقل من متعلق الظرف الى الظرف وهو عندك ، ووجه الدلالة أنه ليس قبل أجمع ما يصح أن يحمل عليه الا اسم إن والضمير الذى فى الظرف والدهر فاسم إن والدهر منصوبان ، فبقى حمله على المضمر فى عندك

قال ابن هشام : هذا هو المختار بدليلين (أحدهما) امتناع تقديم الحال فى نحو زيد فى الدار جالسا ولو كان العامل الفعل لم يمتنع ولقوله

فإِنَّ فُؤَادِى عِنْدَكِ الدهر أجمع

فأكد الضمير المستتر فى الظرف والضمير لا يستتر الا فى عامله ولا يصح أن يكون توكيداً لضمير محذوف مع الاستقرار لأن التوكيد والحذف متنافيان ، ولا لاسم إن على محله من الرفع بالابتداء لان الطالب للمحل قد زال

وقوله « بارض سوا كم » قال أبو عبيد البكرى فى شرح نوادر أبى على القالى : يروى « بارض سوا كم » على الاضافة وهذا بين ويروى « بأرض سوا كم » يريد بارض سوى أرضكم فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه اه

وقوله عندك بكسر الكاف فانه خطاب لامرأة ، فان قلت فكيف قال سوا كم ؟ قلت قد تخاطب المرأة بخطاب جماعة الذكور مبالغة فى سترها ومنه قوله تعالى « فقال لأهله امكثوا »

وهذا البيت من قصيدة لجميل بن معمر يتغزل فيها بمحبوبته بثينة وما قبله :

ألا تتقين الله فيما قتلته فأمسى اليكم خاشعا يتضرع

وبعده

اذاقلت هذا حين أسلو واجترى على هجرها ظلت لها النفس تشفع

ألا تتقين الله فى قتل عاشق له كبد حرى عليك تقطع

غريب مشـوق مولع بادكاركم وكل غريب الدار بالشوق مولع

فأصبحت مما أحدث الدهر موجعا وكنت لريب الدهر لا أتخشع

فيارب حببنى إليها وأعطنى المودة منهـا أنت تعطى وتمنـع

ورأيت فى تذكرة أبى حيان ان البيت لكثير عزة وقال بعده :

إذا قلت هذا حين أسلو ذكرتها فظلت لها نفسى تتوق وتنزع

والصواب ماقدمناه

وجميل هو جميل بن عبد الله بن معمر . كذا قال ابن الكلبى وفى اسم أبيه فمن فوقه خلاف ذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف . وصاحبته بثينة وهما من عذرة ويكنى أبا عمرو وهو أحد عشاق العرب المشهورين وكانت بثينة تكنى أم عبد الملك ولها يقول جميل

يا أم عبد الملك اصرمينى وبينى صرمك أو صلينى

ويقال أيضا إنه جميل بن معمر بن عبد الله . والجمال والعشق فى عذرة كثير وعشق جميل بثينة وهو غلام صغير فلما كبر خطبها فرد عنها فقال فيها الشعر . وكان يأتيها وتأتيه ومنزلهـا وادى القرى فجمع له قومها جمعا ليأخذوه فحذرته بثينة فاستخفى وقال

ولو ان ألفا دون بثنة كلهم غيارى وكل مزمعون على قتلى

لحاولتها إما نهـارا مجاهرا وإما سرى ليل ولو قطعوا رجلى

وهجا قومها فاستعدوا عليه مروان بن الحكم وهو على المدينة من قبل معاوية فنذر ليقطعن لسانه فلحق بجذام فقال

أتانى عن مروان بالغيب أنه مقيد دمى أو قاطـع من لسانيا

ففى العيس منجاة وفى الأرض مذهب إذا نحن رفعنا لهن المثانيا

فاقام هناك إلى أن عزل مروان ثم انصرف الى بلده ومن شعره فيها

عَلِقْتُ الهوى منها وليداً فلم يزل . إلى اليوم يَنْمي حُبُّها و يَزيد

(١)وأفنيت عمرى بانتظار نوالها فباد بذاك الدهر وهو جديد

(١)وأفنيت عمرى بانتظار نوالها فباد بذاك الدهر وهو جديد

فلا أنا مردود بما جئت طالبا ولا حبها فيما يبيد يبيد

ويستجادله قوله

خَليلى فيما عشتما هل رأيتما قَتيلاً بكي من حب قاتِله قبلى

وقالت بثينة ولا يعرف لها شعر غيره

وإن سُلوى عن جميل لساعة من الدهر ما حانت ولا حان حينها

سواء علينا يا جَميل بن معمر إذا مت بأساء الحياة ولينها

وترجمة جميل فى الاغانى طويلة جدا وماذكرناه ملخص من طبقات الشعراء لابن قتيبة . وذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف ثلاثة من اسمه جميل(أحدهم) هذا (والثانى) جميل ابن المعلى الفزارى وهو شاعر فارس ومن شعره

فَلاَ وأبيك مافى العيش خيرٌ وَلاَ الدنيا اذا ذهب الحياء

و (الثالث) جميل بن سيدان الأسدى

(وأنشد وهو الشاهد الثالث والستون)

٦٣ أَلا يانَخْلةً من ذاتِ عِرْقٍ عَلَيْك ورحمة الله السَّلاَمُ

لما تقدم فى البيت قبله بدليل العطف عليه . فان قوله « ورحمة الله » عطف على الضمير المستكن فى « عليك » الراجع الى « السلام » لأنه فى التقدير السلام حصل عليك فحذف حصل ونقل ضميره الى عليك واستتر فيه ولوكان الفعل محذوفا مع الضمير لزم العطف بدون المعطوف عليه

وبهذا البيت سقط قول ابن خروف بأن الظرف إنما يتحمل الضمير إذا تأخر عن

(١) هكذا فى النسخة المطبوعة فى بولاق وأغلب ظننا أن هذا خطأ عند الطبع على أننا لم نجد أكثر هذه الابيات فيما وقع لنا من شعر جميل

المبتدا : قال ابن هشام فى المغني : قول ابن خروف مخالف لاطلاقهم ولقول ابن جنى فى هذا البيت إن الاولى حمله على العطف على ضمير الظرف لاعلى تقديم المعطوف على المعطوف عليه . وقد اعترض بأنه تخلص من ضرورة باخرى وهو العطف مع عدم الفصل ولم يعترض بعدم الضمير : وجوابه أن عدم الفصل أسهل لوروده فى النثر كمررت برجل سواء والعدم حتى قيل إنه قياس اه

وانما نسب الأولوية الى ابن جنى لانه ذهب تبعا لغيره فى حرف الواو من المغنى إلى أنه من باب تقديم المعطوف على المعطوف عليه وأنه من خصائص الواو . ومازعمه الدمامينى فى الاختصاص بأن السعد قال فى شرح المفتاح : إن تقديم المعطوف جائز بشرط الضرورة وعدم التقديم على العامل وكون العاطف أحد حروف خمسة : الواو والفاء وثم وأو ولا صرح به المحققون . وقال ابن السيد فى شرح أبيات الجمل : مذهب الأخفش أنه أراد عليك السلام ورحمة الله فقدم المعطوف ضرورة لأن السلام عنده فاعل عليك . ولا يلزم هذا سيبويه لأن السلام عنده مبتدأ وعليك خبره ورحمة الله معطوف على الضمير المستتر .... وأنشد ثعلب فى أماليه هذا البيت هكذا :

الا يا نخلة من ذات عرق   برود الطل شاعكم السلام

شاعكم تبعكم وعليه لاشاهد فيه . وأنشده صاحب الجمل فى باب النداء . قال اللخمى : ونخلة منادى منكر وهو الشاهد ، وحكى الاعلم أن كل نكرة تؤنث فلا تكون الا منصوبة وان كانت مقصودة معينة ، ونخلة عنده منادى مقصود ولكن لما نونها نصبها . قال وذات عرق موضع بالحجاز وسلم على النخلة لانه معهد أحبابه ، وملعبه مع أترابه . لأن العرب تقيم المنازل مقام سكانها فتسلم عليها وتكثر من الحنين اليها قال الشاعر :

وكمثل الأحباب لو يعلم العا   ذل عندى منازل الأحباب

ويحتمل أن يكون كنى عن محبوبته بالنخلة لئلا يشهرها وخوفا من أهلها وأقاربها وعلى هذا الأخير اقتصر ابن أبى الأصبع فى تحرير التحبير وفى باب الكناية قال : ومن نخوة العرب وغيرتهم كنايتهم عن حرائر النساء بالبيض ، وقد جاء القرآن العزيز بذلك فقال سبحانه « كأنهن بيض مكنون » وقال امرؤ القيس :

(١) وبيضة خلد لايرام خباؤها تمنعت عن لهوبها غير معجل

ومن مليح الكناية قول بعض العرب :

أَلاَ يانخلةً من ذات عرق عليك ورحمة الله السلام

سألت الناس عنك فخبرونى هنا من ذاك تكرهه الكرام

وَلَيْسَ بما أحل الله بأسٌ اذا هو لم يخالطه الحَرام

فأن هذا الشاعر كنى عن المرأة بالنخلة وبالهناة عن الرفث فاما الهناة فن عادة العرب الكناية بها عن مثل ذلك وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فن ظريف الكناية وغريبها اه وقال شراح أبيات الجمل وغيرهم بيت الشاهد لايعرف قائله وقيل هو للاحوص والله اعلم

(وأنشد بعده . وهو الشاهد الرابع والستون وهو من شواهد سيبويه) :

٦٤ أَحَقًّا بنى أَبناء سَلْمَى بْنِ جَنْدلٍ تهدُّدُكم إياى وَسْطَ المجالس

على أن تهددكم فاعل الظرف، اعنى قوله « حقاً » لاعتماده على الاستفهام ، والتقدير: أفى حق تهددكم اياى . كما قال الآخر

أفى الحَق أنى مُغْرَمٌ بك هَائِمٌ

وجاز وقوعه ظرفا وهو مصدر فى الأصل لما بين الفعل والزمان من المضارعة وكأنه على حذف الوقت وإقامة المصدر مقامه . كما قالوا « أتيتك خفوق النجم » أى وقت خفوق النجم فكان تقديره : أفى وقت حق .

وقال ابن الشجرى فى أماليه : قالوا : حقا أنك ذاهب . وأكبر ظنى أنك مقيم يريدون فى حق وفى أكبر ظنى . ولك فى أن مذهبان : فمذهب سيبويه والأخفش والكوفيين رفع أن بالظرف ، وكل اسم حدث يتقدمه ظرف يرتفع عند سيبويه بالظرف ارتفاع الفاعل . وقد مثل ذلك بقوله « غدا الرحيل » « وأحقا أنك ذاهب » قال :

---

(١) المحفوظ فى رواية البيت :

وبيضة خدر لايرام خباؤها تمتعت من لهوبها غير معجل

وانظر شروح المعلقات وشرح ديوان امرىء القيس

حملوه على أفى حق أنك ذاهب ، والمذهب الآخر منهب الخليل وذلك أنه يرفع اسم الحدث بالابتداء ويخبر عنه بالظرف المتقدم ، حكى ذلك عنه سيبويه فى قوله : وزعم الخليل أن التهدد هنا بمنزلة الرحيل بعد غدا وأن أن بمنزلته ا ه

وقال ابن هشام فى مغنى اللبيب : أن وصلتها مبتدأ والظرف خبره ، وقال المبرد حقا مصدر لحق محذوفا وأن وصلتها فاعل ا ه

وقد استشكل النحاس قول الخليل : إن التهدد هنا بمنزلة الرحيل بعد غدا الخ ، فقال: وهذا مشكل وسألت عنه أبا الحسن فقال لأنك تقول أحقا أن تتهددوا ، وكذا أحقا أنك منطلق ، قال : فحقا عنده ظرف كأنه قال : أفى حق انطلاقك ، قال : وحقيقته أزمن حق انك منطلق مثل «واسئل القرية»

قال محمد بن زيد: لم يجز الخليل كسر إن هنا لأنه يكون التقدير إنك ذاهب حقا ثم تقدم ومحال أن يعمل مابعد إن فيما قبلها ولو كان العامل فيها (١) جاز فيه التقديم والتأخير نحو حقا ضربت زيدا ولا يجوز حقا زيد فى الدار فلذلك اضطر الى تقديم فى ، وان قلت أحقا انك ذاهب جاز لان العامل معنى اه

قال النحاس: وسمعت ابا الحسن يقول نظرت فى أحقا فلم أجد يصح فيه إلا قول سيبويه على حذف فى اه

اراد بهذا الرد على الجرمى فانه قال فى هذا البيت ونحوه: هو على التقديم والتأخير ولا يكون على ماقاله سيبويه من أنه ظرف لان الظرف لم يجىء مصدرا فى غير هذا وهذا الذى قاله قبيح من جهة انما ينتصب لدلالة الجلة عليه متقدم ، قال أبو على فى التذكرة هذا ليس بالحسن على ان سيبويه قال غير ذى شك انه خارج، وقولهم غير ذى شك فيه دلالة على جواز نصب حقا على الظرف ، ألا ترى انه انما أجاز تقديمه حيث كان غير ذى شك بمنزلة حقا وفى معناه ، فلولا أن حقا فى معنى الظرف عندهم لم يستعملوا تقديم ما كان فى معناه ، إذ العامل اذا كان معنى لم يتقدم عليه معموله فلولا ان حقا بمنزلة الظرف لما تقدم على العامل فيه وهو معنى. و يؤكد ذلك أيضا قولهم أكبر ظنى أنك منطلق. فاجراؤهم اياه مجرى الظرف يدل على ان حقا أيضا قد أجرى مجرى الظرف إذ كانا متقاربى المعنى. وقد أجرى الجرمى هذه الابيات التى أنشدها سيبويه على أنها محمولة على المصدر وان مابعد المصدر محمول على الفعل أو على المصدر. فاما ان يعمل فيه المصدر وإما أن يعمل فيه الفعل العامل فى المصدر .

---

(١) هكذا بالأصل والكلام يحتاج ألى شىء من النظر

و هذا الذى أجازه جائز غير ممتنع و هو ظاهر . وقد كنت سألت أبا بكر عنه فقلت ماتنكر ان يكون محمولا على الفعل فاجاز ذلك ولم يمتنع منه اهـ

و بنى منادى مضاف لما بعده وسلمى —بفتح السين— و روى وعيدكم بدل تهدد كم وسط ـ بسكون السين ـ ظرف بمعنى بين

وهذا البيت للاسود بن يعفر أول أبيات أربعة و هذا مابعده:

فَهَلاَّ جعلتم نَحْوَهُ من وعيدكم   على رهط قَعْقَاعٍ وَرَهْطِ ابن حَابِس

هُمُ منعوا منكم تراث أبيكم   فصار التراث للكرام الأكايس

وهم أوردوكم ضَفَّةَ البحر طَامِياً   وهم تركوكم بين خازٍ ونَاكسَ

نحوه أى مثله اى مثل ماهددتمونى به . والا كايس جمع اكيس من الكياسة و هى الظرافة والضفة —بالفتح والكسر— جانب البحر والنهر والبئر وطاميا من طما الماء يطمو طموا ويطمى طميا فهو طام اذا ارتفع وملأ النهر وهو بالطاء المهملة ، وخاز من خزى — بالكسر — يخزى خزيا إذا ذل وهان، والناكس المطأطىء رأسه

والسبب فى هذه الأبيات كما فى الأغانى أن أبا جعل أخا عمرو بن حنظلة من البراجم جمع من شذاذ أسد وتميم وغيرهم ، فغزوا بنى الحرث بن تيم الله بن ثعلبة ، فنذروا بهم وقاتلوهم قتالا شديدا حتى فضوا جمعهم فلحق رجل من بنى الحرث بن تيم الله بن ثعلبة جماعة من بنى نهشل فيهم جراح بن الاسود بن يعفر وحرير بن شمر بن هزان بن زهير بن جندل ، ورافع بن صهيب بن حارثة بن جندل وعمرو والحرث ابنا حرير بن سلمى بن جندل فقال لهم الحارثى هلم الى ياطلقاء فقد أعجبنى قتالكم وأنا خير لكم من العطش ، قالوا نعم فنزل ليجز نواصيهم فنظر جراح ابن الأسود الى فرسه فاذا هو أجود فرس فى الارض يقال لها العصماء فوثب فركبها ونجا عليها فقال الحارثى للذين بقوا معه أتعرفون هذا قالوا نعم نحن لك عليه خفراء فلما أتى جراح أباه أمره فهرب بها فى بنى سعد فابتطنها ثلاثة أبطن ، وكان يقال لها العصماء ، فلما رجع النفر النهشليون إلى قومهم قالوا : إنا خفراء فارس العصماء فوالله لنأخذنها فاوعدوه وقال حرير ورافع نحن الخفيران لها وكان بنو جرول حلفاء بنى سلمى

ابن جندل على بنى حارثة ابن جندل فاعانه على ذلك التيحان بن بلج بن جرول بن نهشل فقال الاسود بن يعفر يهجوه :

أَتانِي ولم أَخْشَ الّذِي ابْتَعَثَا به خَفِيرا بنى سلمى حُرَيرٌ ورافع
هُمُ خَيَّبُونِي كلَّ يوم غنيمة وأهلكتُهم لو أن ذلك نافع

وسيأتى ان شاء الله تعالى شرح هذا مع بقية الابيات فى آخر الكتاب فى حروف الشرط قال: فلما رأى الأسود أنهم لا يقلعون عن الفرس أو يردها أحلفهم عليها فحلفوا أنهم خفراء لها فردا الفرس عليهم وأمسك أمهارها فردوا الفرس الى صاحبها ثم أظهر الامهار بعد ذلك فاوعدوه فيها أن يأخذوها فقال الاسود :

أحقا بنى أسماء سَلمى بن جندل

الابيات الاربعة

والاسود هو ابن يعفر بن عبد الاسود بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، قال السيوطى : وجعله محمد بن سلام فى الطبقة الثانية مع خداش بن زهير والمخبل السعدى والنمر بن تولب وكنيته أبو الجراح ، وكان ممن يهجو قومه وترجمه الآمدى فى المؤتلف والمختلف فيمن لقب بالأعشى فقال : ومنهم أعشى بنى نهشل وهو الاسود بن يعفر بن الاسود بن حارثة بن جندل بن نهشل بن دارم الشاعر المشهور اه

وفى الصحاح الأسود بن يعفر الشاعر ، إذا قلته بفتح الياء لم تصرفه لانه مثل يقتل وقال يونس : سمعت رؤبة يقول : أسود بن يعفر بضم الياء أى وبضم الفاء أيضا وهذا ينصرف لانه قد زال عنه شبه الفعل اه

وهو شاعر مقدم فصيح من شعراء الجاهلية ليس بمكثر وله القصيدة المشهورة التى أولها

نام الخلى وما أحس رقادى والهم محتضر لدىّ وسادى

وفيها أبيات شواهد فى المغنى لابن هشام تشرح هناك إن شاء الله تعالى ، وهى من مختار أشعار العرب ، وحكمها مأثورة ؛ وكان ينادم النعمان بن المنذر ولما أسن كف

بصره فكان يقاد اذا ذهب الى موضع ، وابنه الجراح وأخوه حطائط شاعران ومن شعر حطائط يقول لأمه وقد عاتبته على جوده

أريني جَوَاداً مات هَزْلاً لعلني ... أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا
ذَرِيني أكن للمال رَبًّا ولا يكن ... لى المال ربًّا تحمدى غبه غدا
ذريني يَكن مالى لعِرْضى وقاية ... فنى المال عرضي قبل أن يتبددا

﴿ وأنشد بعده وهو الشاهد الخامس والستون ﴾

٦٥ أكُلَّ عام نعم تحوونه

على أنه بتقدير حواية نعم ليصح الاخبار عن اسم العين باسم الزمان فان قوله « أكل عام » منصوب على الظرف فى موضع خبر لقوله « نعم » فوجب تقدير مضاف وقدره الشارح المحقق حواية بدليل تحوونه . وهو مصدحويت الشيء أحويه اذا ضممته واستوليت عليه وملكته ، وقدره ابن الناظم فى شرح الخلاصة إحراز نعم وقدره ابن هشام نهب نعم . وقدره ابن خلف أخذنعم أو تحصيل نعم ، وقال النحاس: كان المبرد يذهب إلى أن المعنى أكل عام حدوث نعم فيكون كل منصوبا بالحدوث كما تقول الليلة الهلال، قال أبو الحسن رادا عليه: ليس النعم شيئا يحدث لم يكن كيوم الجمعة وما أشبهه ولكن العامل فى كل الاستقرار والخبر محذوف كانه قال نعم تحوونه لكم اه

(أقول) المبرد قدر هذا المضاف لصحة الاخبار لالانه عامل فى الظرف وكيف يكون العامل فى كل الاستقرار مع كون الخبر محذوفا مقدرا بلكم فتأمل ، وقدر صاحب اللب المحذوف مثل المبرد قال شارحه: يحتمل أن يكون مراده أن المضاف هنا محذوف أى حدوث نعم حصل فى كل عام أو أحصل فى كل عام حدوث نعم ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فيكون المبتدأ أو العامل فى التقدير حدثا غير مستمر وأن يكون مراده أن للنعم فى نفسه تجددا وحدوثا فى كل عام ، كما أن فى نفس الهلال تجددا وحدوثا فى كل شهر اه

وفهم من كلامه شيآن (الاول) الرد على أبي الحسن فى قوله ليس النعم شيئا يحدث (والثانى) أن نعما لايتعين أن يكون مبتدأ بل يجوز أيضا أن يكون فاعل الظرف ومثله

قال ابن هشام فى شرح الشواهد الاحسن أن يكون نعم فاعلا بالظرف لاعتماده فلا مبتدأ ولا خبر، ومع هذا فلا بد من التقدير أيضا لانه لاجل المعنى لا لأجل المبتدا إذ الذى يحكم عليه بالاستقرار هو الافعال لاالذوات اه

وأورد سيبويه هذا البيت على أن جملة تحوونه صفة لنعم: واستشهد به أيضا صاحب الكشاف على تذكير الانعام فى قوله تعالى «وإن لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه» لانه مذكر كما ذكر الشاعر الضمير المنصوب فى تحوونه الراجع إلى النعم لأن النعم اسم مفرد بمعنى الجمع قال الفراء: هو مفرد لايؤنث يقال هذا نعم وارد. وقال الهروى والنعم يذكر ويؤنث وكذلك الانعام تذكر وتؤنث ولهذا قال «مما فى بطونه» وفى موضع آخر «مما فى بطونها» قال الراغب فى موضع: النعم مختص بالابل قال وتسميه بذلك لكون الابل عندهم أعظم نعمة ثم قال لكن الانعام يقال للابل والبقر والغنم ولايقال لها أنعام حتى يكون فيها إبل وقال فى قوله تعالى «مما يأكل الناس والأنعام» إن الأنعام ههنا عام فى الابل وغيرها وروى أيضا «فى كل عام» بالجار بدل الهمزة والهمزة للاستفهام الانكارى وبعده:

يُلْقِحُهُ قوم وتَنْتِجُونَهُ أربابه نَوْكَي فلا يحمونه

ولا يلاقون طعانا دونه أَنَعَمَ الابناء تَحْسِبُونَه

أَيْهَاتَ أَيْهَاتَ لِمَا تَرْجُونَهُ

يقول: يحملون الفحولة على النوق فاذا حملت أغرتم أنتم عليها فأخذتموها وهي حوامل فتلد عندكم، يقال ألقح الفحل الناقة اذا أحبلها واللقاح ــ كسحاب ــ ماء الفحل، وتنتجونه بتاء الخطاب يقال نتج الناقة أهلها أى استولدوها وأنتجت الفرس بالهمزة حان نتاجها قال صاحب المصباح النتاج ــ بالكسر ــ اسم يشمل وضع البهائم من الغنم وغيرها واذا ولى الانسان ناقة أو شاة ماخضا حتى تضع قيل نتجها نتجا من باب ضرب، فالانسان كالقابلة لأنه يتلقى الولد ويصلح منشأنه فهو ناتج والبهيمة منتوجة والولد نتيجة، والأصل فى الفعل أن يتعدى الى مفعولين فيقال نتجها ولدا لأنه بمعنى ولدها ولدا ويبنى الفعل للمفعول فيحذف الفاعل ويقام المفعول الأول مقامه ويقال: نتجت الناقة ولدا اذا وضعته، ويجوز حذف المفعول الثانى اقتصارا لفهم

المعنى فيقال نتجت الشاة، ويجوز إقامة المفعول الثانى مقام الفاعل وحذف المفعول الأول لفهم المعنى فيقال نتج الولد ونتجت السخلة أى ولدت، وقد يقال نتجت الناقة ولدا بالبناء للفاعل على معنى ولدت أو حملت، قال السرقسطى: نتج الرجل الحامل وضعت عنده ونتجت هي أيضا حملت لغة قليلة وأنتجت الفرس وذو الحافر بالألف استبان حملها فهى نتوج اه

وهذا التفصيل لا يوجد فى غير هذا الكتاب ولهذا نقل برمته

ونوكى - بفتح النون - جمع أنوك وهو الأحمق الضعيف التدبير والعمل والاسم النوك بالضم والفتح نوك - كفرح - نواكة ونوكا - محركة - واستنوك وهو أنوك ومستنوك والجمع نوكى كسكرى ونوك كهوج وامرأة نوكاء من نوك أيضا وأنوكه صادفه أنوك. وقوله «فلا يحمونه» أى لا يمنعون من أراد الاغارة عليه، والابناء كل بنى سعد وبنى يزيد إلا بنى كعب بن سعد، وتحسبونه بالخطاب أيضا، وأيهات لغة فى هيهات وقوله «لما ترجونه» بالخطاب أيضا أى رجوا أن يدوم لهم هذا الفعل فى الناس فمنعناهم منه وحمينا ما ينبغى أن نحميه

وهذه الأبيات قيلت فى يوم الكلاب الثانى فان للعرب فيه يومين عظيمين وهو - بضم الكاف وتخفيف اللام - وهو ماء لبنى تميم بين الكوفة والبصرة، وكان من حديث هذا اليوم على ما فى شرح المناقضات وفى الاغانى أنه لما أوقع كسرى ببنى تميم وذلك أنهم كانوا أغاروا على لطيمته فلجئوا الى الكلاب وذلك فى القيظ وقد أمنوا أن تقطع عليهم تلك الصحارى؛ فدل عليهم بنو الحرث بن عبد المدان فقتلت المقاتلة وبقى الذرارى والاموال. بلغ ذلك مذحجا فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا اغتنموا بنى تميم - ثم بعثوا الرسل فى قبائل اليمن وأحلافها من قضاعة فقالت مذحج للمأمور الحارثى الكاهن ماترى فأشار بالكف عن غزوهم، وزعموا أنه اجتمع من مذحج ولفها اثنا عشر ألفا فكان رئيس مذحج عبد يغوث بن وقاص ورئيس همدان رجلا يقال له مشرح ورئيس كندة البراء بن قيس بن الحرث الملك. فأقبلوا الى بنى تميم فبلغ ذلك سعدا والرباب فانطلق ناس من أشرافهم إلى أكثم بن صيفى فاستشاروه فقال: «أقلوا الخلاف على امرائكم واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل، تثبتوا فان أحزم الفريقين

الركين ، وربما عجلة تهب ريثا ، وابرزوا للحرب وادرعوا الليل فانه أخفى للويل »
فلما انصرفوا من عند أكثم تهيئوا للغزو واستمدوا للحرب وأقبل أهل اليمن فى بنى الحرث من أشرافهم : يزيد بن عبد المدان ويزيد بن المخرم ويزيد بن الطيسم بن المأمور ويزيد بن الهوبر، حتى اذا كانوا بتيمن وهو ما بين نجران إلى بلاد تميم نزلوا قريبا من الـكلاب ، ورجل من بنى زيد بن رياح بن يربوع يقال له مشمت بن زنباع فى إبل له وهو عند خال له من بنى سعد ومعه رجل من بنى سعد يقال له زهير بن بو . فلما أبصرهم المشمت قال لزهير دونك الابل وتنحى عن طريقهم حتي آتى الحى فانذرهم فأعدوا للقوم وصبحوهم أغاروا على النعم فأطردوه وجعل رجل من أهل اليمن يقول :

فِي كل عام نَعَمٌ تنتـابه على الكُلاَب غُيَّبا أربابه

فاجابه غلام من بنى سعد كان فى النعم على فرس له فقال :

* عما قليل يلحقن أربابه *

وروى

عما قليل سترى أربابه

صلب القناة حازما شبابه على جياد ضمر غيابه

وأقبل بنو سعد والرباب ورئيس الرباب النعمان بن جساس — بكسر الجيم وتخفيف السين — ورئيس بنى سعد قيس بن عاصم، وأجمع العلماء على أن قيس بن عاصم كان الرئيس يومئذ فقال رجل من بنى ضبة حين دنا من القوم — وقال شراح أبيات سيبويه هو قيس بن حصين بن يزيد الحارثى — :

* فى كل عام نعم تحوونه *

(الأبيات) وتقدمت سعد والرباب فالتقوا فى أوائل الناس فلم يلتفتوا إليهم واستقبلوا النعم من قبل وجوهها فجعلوا يضربونها بأرماحهم واختلط القوم فاقتتلوا قتالا شديدا يومهم حتى اذا كان آخر النهار قتل النعمان بن جساس ، وظن أهل اليمن أن بنى تميم ليسوا بكثير حتى قتل النعمان فلم يزدهم ذلك إلا جراء ، فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل فلما أصبحوا غدوا على القتال، فناد قيس بن عاصم : يا آل مقاعس— وهو الحرث بن

عمرو بن كعب بن سعد بن زيدمناة بن تميم - فسمع الصوت وعلة بن عبدالله بن الجرمى، وكان صاحب اللواء يومئذ فطرحه وكان أول من انهزم منهم وحملت عليهم سعد والرباب فهزموهم وجعل رجل منهم يقول :

يَا قَوْمُ لايفلتكم اليزيدانْ يَزيد حَزْنٍ ويزيد الريانْ
مخرم أعنى به والديان

مخرم هو ابن شريح بن المخرم بن حزن بن زياد بن الحرث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث وهو صاحب المخرم ببغداد

وجعل قيس ينادى : يا آل تميم لاتقتلوا إلافارسا فان الرجالة لكم وجعل يأخذ الأسرى. فمازالوا فى آثار القوم يقتلون ويأسرون حتى أسروا عبد يغوث بن وقاص ، وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى باب المنادى عند شرح قوله

فَيَارَاكِبا إمّا عرضت فَبلغَنْ نَدَامَاى من نجران أَنْ لا تلاقيا

وأما وعلة فانه لحق رجلا من بنى نهد يقال له سليط بن قتب فقال له وعلة أردفنى خلفك فانى أتخوف القتل فأبى أن يردفه فطرحه عن قربوسه وركب عليه وأدركت بنو سعد النهدى فقتلوه فقال وعلة لما أتى أهله

لَمَّا سمعت الخيل تدعو مُقَاعِساً تطلع منى ثغرة النحرِ حَائر

يعنى القلب

نجوت نجاء ليس فيه وتيرة كأنى عقاب دون تيمن كاسر
وقد قلت للنهدى هل أنت مردفى وكيف رداف الفَلِّ أمك عاثر

من العثرة يقول عثرت أمك كيف ترد فني وانك فل منهزم

أُناشده والرحم بينى وبينه وَقَدْ كان فى نهدٍ وجرم تَدَابُرُ

اى تقاطع وتباغض

فمن يك يرجو فى تميم هوادة فليس لجرم فى تميم أواصر

أى قرابات

فدى لكما رجلىّ أمى وخالتى غداة الكُلاَب إذ تجز الدوابر

وذلك أن قيس بن عاصم لما أكثر قومه القتل فى اليمن أمرهم بالكف عن القتل وأن يجزوا عراقيبهم

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون)

٦٦ إلا جَبرئيلُ أمامُها

وهو قطعة من بيت وهو

شهدنا فما نلقى لنا من كتيبة يد الدهر الا جبرئيل أمامها

على أن الظرف الواقع خبراً إذا كان معرفة يجوز رفعه بمرجوحية والراجح نصبه. وهذا لا يختص بالشعر ، خلافا للجرمى والكوفيين

وجبرئيل مبتدأ وامامها بالرفع خبره والجملة صفة للكتيبة ، وقد أورد هذا البيت ابن هشام فى شرح بانت سعاد عند قوله : —

غلباء وجناء علكوم مذكرة

وروى فصرنا بدل شهدنا ثم قال قوافى هذا الشعر مرفوعة ، وإنما استشهدت على جواز رفع الامام ، لأن بعض العصريين وهم فيه فزعم أنه لا ينصرف اه : وقوله يد الدهر بمعنى مدى الدهر ظرف متعلق بقوله نلقى ، ومن زائدة وكتيبة مفعول لنلقى. ولنا كان فى الاصل صفة لكتيبة فلما قدم صار حالا منه : والكتيبة طائفة من الجيش. مجتمعة من الكتب وهو الجمع ، — ونلقى بالنون وبالقاف الفوقية — من اللقى يقال. لقيته ألقاه — من باب تعب تعبا — والاصل على فعول ، وكل شىء استقبل شيأ أو صادفه فقد لقيه . وشهدنا من شهدت المجلس مثلا إذا حضرته فالمفعول محذوف أى شهدنا غزوات النبى صلى الله عليه وسلم فما لقينا كتيبة ، وعبر بالمستقبل لحكاية. الحال الماضية

وهذا البيت لم أر من ذكره ابتداء إلا أبا اسحق ابراهيم بن السرى الزجاج فى. تفسيره ، أورده عند قوله تعالى « قل من كان عدوا لجبريل » قال : جبريل فى اسمه لغات ، قد قرىء بعضها ومنها لم يقرأ به فأجود اللغات ـ جبرئيل بفتح الجيم والهمز- لأن الذى يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى صاحب الصور « جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره » هذا الذى ضبطه أصحاب الحديث ، ويقال : جبريل — بفتح،

الجيم وكسرها — ويقال: جبرئل بحذف الياء واثبات الهمزة ويقال جبرين بالنون وهذا لايجوز فى القرآن لأنه خلاف المصحف قال الشاعر:

شَهِدْنا فما نَلْقَ لَنَا مِنْ كتيبة «البيت»

وهذا على لفظ مافى الحديث وما عليه كثير من القراء . . . وقدجاء فى الشعر جبريل قال الشاعر

وجبريل رسول الله منّا وَرُوحُ القدس ليس لَهُ كفاء اهـ

ولم يبين قائل البيتين وقد بينهما الصاغانى فى العباب ، قال وجبرائيل اسم يقال هو جبر أضيف الى إيل وجبر هو العبد ، وإيل هو الله تعالى ، وفيه لغات جبرئيل كجبرعيل وجبريل بغير همز وأنشد الاخفش لكعب بن مالك الانصارى:

شَهِدْنا فَمَا نلقي لنامن كتيبة « البيت »

ويقال جبريل كحزقيل وأنشد لحسان بن ثابت

وجبريل رسُولُ اللهفينا «البيت»

ثم ذكر بقية اللغات

ونسبة ابن هشام فى شرح بانت سعاد وابن عادل فى تفسيره هذا البيت الى حسان غير صحيحة لأنه غير موجود فى ديوانه

وكعب بن مالك هو أحد شعراء رسول اللهصلى الله عليه وسلم الذين كانوا يردون الاذى عنه وكان مجودا مطبوعا قد غلب عليه فى الجاهلية أمر الشعر وعرف به ثم أسلم وشهد العقبة — ولم يشهد بدرا — والمشاهد كلها حاشا تبوك فانه تخلف عنها وقد قيل إنه شهد بدرا وهو أحد الثلاثة الانصار الذين قال الله فيهم «وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الارض» الآية والثانى والثالث هلال بن امية ومرارة بن الربيع تخلفوا عن غزوة تبوك فتاب الله عليهم وعذرهم وغفر لهم ونزل القرآن المتلو فى شأنهم . توفى كعب بن مالك فى مدة معاوية سنة خمسين وقيل سنة ثلاث وخمسين وهو ابن سبع وسبعين سنة ولبس كعب يوم أحد لأمة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت صفراء ولبس النبي صلى الله عليه وسلم لأمته فجرح كعب احد عشر جرحا ولما قال كعب:

جاءت سَخِينَةُ كَيْ تغالب ربها فليغلبن مغَالب الغُـلاّب

قال رسول الله صلى عليه وسلم «لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا» وله أشعار حسان جدا فى المغازى وغيرها كذا فى الاستيعاب وأورد له ابن هشام فى سيرته مما قاله يوم بدر:

ألا هل أتى غسان فى نأى دارها ... وأخبر شىء بالأمور عليمها
بأن قد رمتنا عن قسى عداوة ... معد معا جهالها وحليمها
لأنا عبدنا الله لم نرج غيره ... رجاء الجنان اذ أتانا زعيمها
نبى له فى قومه إرث عزة ... وأعراق صدق هذبتها أرومها
فساروا وسرنا فالتقينا كأننا ... أسود لقاء لا يرجي كليمها
ضربناهم حتى هوى فى مكرنا ... لمنخر سوء من لؤى عظيمها
فولوا ودسناهم ببيض صوارم ... سواء علينا حلفها وصميمها

اه وفى نسخة نفيتة ، وسخينة لقب قريش ، قال فى الصحاح: وسخينة طعام يتخذ من الدقيق دون العصيدة فى الرقة وفوق الحسا وانما يأكلون السخينة فى شدة الدهر وغلاء السعر وعجف المال وكانت قريش تعير بها ا هـ

* (وأنشد بعده وهو الشاهد السابع والستون وهو من شواهد سيبويه) *

(٦٧) فوردن والعيوق مقعد رابئ الضرباء خلف النجم لا يتتلع

على أن مقعد ظرف منصوب وقع خبراً عن اسم عين وهو العيوق ، واستشهد به سيبويه على نصب المقعد على الظرفية مع اختصاصه به تشبيها له بالمكان لأن مقعد الرابىء مكان من الأماكن المخصوصة ، وجاز عمل الفعل فى مثله ولم يجز فى الدار ونحوه لأنهم أرادوا به التشبيه والمثل ، فكأنهم قالوا : والعيوق من الثريا مكان قعود الرابىء من الضرباء ، فحذفوا اختصاراً وجعلوا المقعد ظرفا لذلك ، ولا تقع الدار ونحوها هذا الموقع فلذلك اختلف حكمهما . كذا قال الأعلم

وقال الامام المرزوقى : ومقعد — وإن كان مختصا فى الامكنة — جائز أن يكون ظرفا لانتقاله عن بابه الى معنى القرب ، كما أن معقد الازار ، ومقعد القابلة منقولان

اليه وجعلا ظرفين ، وكما أن مناط الثريا ومزجر الكلب نقلا إلى معنى البعد والاهانة فجعلا ظرفين

وقال السيرافي : إعلم أن هذا الباب ينقسم قسمين (أحدهما) يراد به تعيين المنزلة من بعد أو قرب (والآخر) يراد به تقدير القرب والبعد ، فأما ما كان من ذلك يراد به تعيين الموضع وذكر المحل من قرب أو بعد ، فانه يجوز فيه النصب على الظرف والرفع على خبر الأول تشبيها ، والأكثر فيه النصب ، ويدلك على ذلك أنه تدخل الباء عليه فتقول : هو مني بمنزلة ، كأنه قال : هو مني استقر بمنزلة ، والباء وفي بمعنى واحد ، وهو مني بمزجر الكلب ، اذا أردت هو مهان مباعد ، فاذا نصبت فالناصب استقر ، واذا رفعت فقلت هو مني مقعد القابلة جعلته بمنزلة قولك : هو قريب كمقعد القابلة ، فان قلت : هو مني مناط الثريا فكأنك قلت : هو بعيد

وجاز أن تكون هذه الأشياء ظروفا لأنهم قد اتسعوا فيما هو من الأماكن أخص من هذه فجعلوه ظرفا ونصبوه ، كقولهم : ذهبت الشام ودخلت البيت تشبيها بالأماكن المحيطة كخلف وقدام ، قال سيبويه : إنما يجوز هذا فيما تستعمله العرب ظرفا من هذه الأماكن ولا يجوز القياس عليها اه

وهذا البيت من قصيدة مشهورة لأبي ذؤيب الهذلي يرثي بها أولاده عدتها اثنان وستون بيتا مطلعها:

أَمِنَ المنونِ وَرَيْبِها تَتَوَجَّعُ ... والدهر لَيْسَ بِمُعْتِبٍ من يَجْزَعُ

ومنها :

أودى بَنِيَّ وأعقبوني غصة ... بَعْدَ الرُّقَادِ وعَبْرَةً لا تُقْلَعُ

فغبرت بعدهم بعيش ناصِبٍ ... وإخال أنِّيَ لاحق مستتبع

ولقد حَرَصْتُ بأن أدافع عنهم ... فاذا المنية أقبلت لا تُدْفَعُ

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمةٍ لاَ تَنْفَعُ

وتجلدي للشامتين أُرِيهمُ ... أني لريب الدهر لا أَتَضَعْضَعُ

والنفس راغبةٌ اذا رَغَّبْتَها ... وإذا ترد الى قليل تَقنعُ

والدهر لا يبقى على حدثانه جَوْن السَّراةِ له جدائد أربع

على بمعني مع والحدثان بمعنى الحادثة ، والسراة — بفتح السين — أعلى الظهر وسراة كل شيء أعلاه ، والجون — بفتح الجيم — الأسود المائل إلى الحمرة وأراد بجون السراة الحمار الوحشي ، والجدائد الأتن التي لا ألبان لها ، واحدها جدود — بفتح الجيم

أخذ يسلي نفسه ويقول : إن أصبت ببني فتكدر بموتهم عيشي — فان الدهر لا يسلم على نوائبه عير أسود الظهر له أتن أربع قد خفت ألبانها ، والمعنى إن الوحش في تباعدها عن كثير من الآفات التي يقارنها الأنس ، وفي انصرافها بطبعها وحدسها عن جل مراصد الدهر ، وعلى نفارها الشديد وحذارها الكثير وبعد مراتعها من الصياد ليست تتخلص بجهدها من حوادث الدهر بل لابد من هلاكها ، وبعد هذا البيت وصفها بطيب العيش في عشرين بيتا الى أن قال :

فَوَرَدْنَ والعَيُّوقُ مَقْعَدَ «البيت»

والعيوق كوكب أحمر يطلع حيال الثريا وفوق الجوزاء ، والمقعد — بفتح الميم — مكان القعود ويأتي مصدراً أيضا ، والرابىء — مهموز الآخر — اسم فاعل من ربأ من باب منع بمعنى علا وارتفع ووقع وأشرف كارتبأ ، ورابىء الضرباء هو الذي يقعد خلف ضارب قداح الميسر يرتبىء لهم فيما يخرج من القداح فيخبرهم به ويعتمدون على قوله فيه ، وهو مأخوذ من ربيئة القوم وهو طليعتهم ، والضرباء جمع ضريب — ككريم وكرماء — وهو الذي يضرب بالقداح وهو الموكل بها ، ويقال له الضارب أيضا ، والنجم الثريا ويروى «فوق النظم» يعني نظم الجوزاء ، ويتتلع يتقدم ويرتفع مأخوذ من التلعة ، فقوله : «والعيوق مقعد» جملة اسمية حال من نون وردن يقول : وردت الأتن الماء والعيوق من النجم مقعد رابىء الضرباء من الضرباء أي خلفه لا يتقدم ، وهذا انما يكون في صميم الحر عند الاسحار ، وانما قال : خلف النجم لأنك في الصيف ترى المجرة عند الاسحار كأنها ملوية فترى العيوق متخلفا عن الثريا ، وهذا الوقت الذي أشار اليه هو وقت ورود الوحش الماء ، ولذلك يكمن الصيادون فيه عند المشارع ونواحيها ، ومقعد وخلف منصوبان على الظرف وقع الأول خبرا لقوله «والعيوق» والثاني بدلا منه ، كأنه أراد والعيوق من خلف النجم

مقعد رابىء الضرباء من الضرباء ، فحذف من خلف لأن البدل وهو قوله خلف النجم يدل عليه كما حذف من الضرباء لأن جملة الكلام يدل عليه، ويجوز أن يكون خلف النجم فى موضع الحال كأنه قال والعيوق من النجم قريب متخلفا عنه ، ويجوز العكس فيكون خلف النجم خبر المبتدأ ومقعد حال والعامل فيه الظرف ، كأنه قال والعيوق مستقر خلف النجم قريبا ، وجملة لايتتلع : إماخبر بعدخبر ، وإماحال بعدحال

قال أبو سعيد الضرير: إنما اشترط التتلع لأن العيوق مادام متقدما على الثريا ففى الزمان بقية من الأبارد - والأبارد برد أطراف النهار - فاذا استوى العيوق معهافقدبقى من الأبارد شىء قليل فاذا استأخر عنها استحكم الحر

ثم ذكر أبو ذؤيب فيما بعد هذا من أبيات ، أن الصياد كمن لهن فاهلكها جميعا

وأبو ذؤيب اسمه خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل أخو بنى مازن بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ، ومحرث بتشديد الراء المكسورة وزبيد تصغير الزبد وهو العطية، وقيل براء مهملة وكان هلك لأبى ذؤيب بنون خمسة فى عام واحد أصابهم الطاعون وكانوا هاجروا الى مصر وهلك هو فى زمن عثمان رضى الله عنه فى طريق مصر ودفنه ابن الزبير ، وقال أبوعمرو الشيبانى : مات فى طريق أفريقية ؛ وهو شاعر فحل مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام وهو أشعر هذيل من غير مدافعة ، وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فى مرض موته فمات النبي صلى الله عليه وسلم قبل قدومه بليلة أدركه وهو مسجى وصلى عليه وشهد دفنه صلى الله عليه وسلم ، وحكى عن نفسه قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل وأوجس أهل الحى خيفة واستشعرت حربا فبت بليلة طويلة حتى اذا كان وقت السحر هتف الهاتف يقول :

خَطْبٌ أَجَلُّ أناخ بالإسلام بين النخيل ومَقْعَدِ الآطَامِ
قُبِضَ النبى محمد فعيوننا تذرى الدموع عليه بالتَّسْجَامِ

فوثبت من نومى فزعا فنظرت إلى السماء فلم أر إلا سعد الذابح فتفاءلت به ذبحا يقع، فى الاسلام وعلمت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قبض ، وسيأتى له أخبار فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

(وأنشد بعده وهو الشاهد الثامن والستون وهو من شواهد سيبويه)

(٦٨) هُمُ دَرَجَ السيول

هو قطعة من بيت وهو:

أُنُصْبٌ للمنيـة تعـتريهم رجالى أم هُمُ دَرَجَ السـيول

على أن درجا ظرف منصوب وقع خبرا لقوله هم وتقدم الكلام على نظيره قبله.
وهذا البيت لابراهيم بن هرمة يبكى به قومه لكثرة من فقد منهم والنصب بالضم الشيء المنصوب والشر والبلاء أيضا ومنه قوله تعالى « مسنى الشيطان بنصب وعذاب » ودرج السيول الموضع الذى يمر به السيل فينزل من موضع الى موضع حتى يستقر ، والدرج بفتحتين الطريق ورجع أدراجه بكسر أى فى الطريق الذى جاء منه يقول قومى كانوا غرضا للمنية فأهلكتهم أم كانوا فى ممر السيل فاجترفهم . فرجالي مبتدأ ونصب خبره وجملة يعتريهم بالياء التحتية صفة لنصب وبالتاء الفوقية حال من المنية أى تنزل بهم

وإبراهيم هو أبو إسحق إبراهيم بن هرمة ـ بفتح الهاء وسكون الراء المهملة ـ بن على ابن سلمة بن عامر بن هرمة قال ابن قتيبة فى الطبقات هو من الخلج من قيس عيلان ويقال إنهم من قريش ، وفى الأغانى أن نسبه ينتهى إلى قيس بن الحرث وقيس هم الخلج ، وكانوا فى عدوان ثم انتقلوا الى بنى نصر بن معاوية بن بكر فلما استخلف عمر أتوه ليفرض لهم فانكر نسبهم فلما تولى عثمان أثبتهم فى بنى الحرث بن فهر وجعل لهم ديوانا فسموا الخلج لأنهم اختلجوا عما كانوا عليه من عدوان ، وقيل لأنهم نزلوا بالمدينة خلف بطحان يدفع عليهم إذا جاء السيل ثلاثة خلج جمع خليج

وابن هرمة آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم، قال ابن قتيبة: حدثنى عبد الرحمن عن عمه الاصمعى انه قال : ساقة الشعراء ابن ميادة وابن هرمة ورؤبة وحكم الخضرى ـ حى من محارب ـ وقد رأيتهم أجمعين ، وكان من مخضرمى الدولتين مدح الوليد بن يزيد ثم أبا جعفر المنصور وكان منقطعا الى الطالبيين وكان مولده سنة سبعين ووفاته فى خلافة الرشيد بعد الخمسين ومائة تقريبا . وله فى آل البيت أشعار لطيفة منها قوله:

وَمَهْمَا أُلاَمُ عَلَىَّ حبهم فإِنى أُحِبُّ بنى فاطمة

بنى بنت من جاء بالمحكما ت والدين والسنّة القائمة

قال ابن قتيبة : وكان ابن هرمة مولعا بالشراب وأخذه صاحب شرطة زياد على المدينة فجلده فى الخمر — وهو زياد بن عبيدالله الحارثى — وكان واليا عليها فى ولاية أبى العباس فلما ولى المنصور شخص اليه فامتدحه فاستحسن شعره وقال سل حاجتك قال تكتب الى عامل المدينة لايحدنى فى الخمر قال هذا حد من حدود الله وما كنت لأعطله قال فاحتل لى فيه ياأمير المؤمنين فكتب إلى عامله من اتاك بابن هرمة سكران فاجلده مائة جلدة واجلد ابن هرمة ثمانين فكان الناس يمرون به وهو سكران فيقولون من يشترى ثمانين بمائة . وترجمته فى الأغانى

(وأنشد بعده وهو الشاهد التاسع والستون)

٦٩ فَسَاغَ لِيَ الشَّرَابُ وكُنْتُ قَبْلاً

على أن أصله قبل هذا فحذف المضاف اليه ولم ينو لفظه ولامعناه ولهذا نكر فنون وتتمته

أَغَصُّ بنقطة الماء الحميم

وهذا آخر أبيات خمسة ليزيد بن الصعق وهى :

أَلاَ أَبْلِغْ لديكَ أَباحريث وعَاقِبَةُ الملامة للمليم
فكيف ترى مُعَاقَبَتِى وسَعْيِى بأذْوَادِ الْقُصَيْبَةِ والقَصِيم
وما برحت قلوصى كل يوم تكرّ على المخالف والمقيم
فنمت الليل إذ أوقعت فيكم قبائل عامر وبنى تميم
وَسَاغَ لِيَ الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلاً أغَصُّ بنقطة الماءِ الحميمِ

أبو حريث : كنية الربيع بن زياد العبسى ، والمليم من ألام الرجل إذا أتى بما يلام عليه والمعاقبة المناوبة من العقبة بالضم وهى النوبة والذود من الابل مابين الثلاث إلى العشر لا واحد لها من لفظها والكثير أذواد والقصيبة على لفظ مصغر القصبة والقصيم بفتح القاف وكسر الصاد موضعان . والمخالف من الخلوف وهم المقيمون فى الحى لما تذهب الرجال للغزو وقوله وساغ إلى آخره معطوف على قوله فنمت وروى

فساغ بالفاء وهو خطأ والحميم المـاء الحار وليس بمراد وانما أورده للقافية وقيل هو من الاضداد يطلق على المـاء البارد أيضا ، وساغ من باب قال اذا سهل مدخله فى الحلق وأسغته جعلته سائغا ، و يتعدى بنفسه فى لغة ومن هنا قيل ساغ فعل الشيء وسوغته إذا أبحته والشراب مايشرب من المائعات وأغص مضارع غصصت بالطعام غصصا من باب تعب ومن باب قتل لغة والغصة ماغص به الانسان من طعام أو غيظ على التشبيه و يتعدى بالهمزة وهو هنا مستعمل مكان الشرق لانه مخصوص بالماء يقال شرق بالماء و بريقه اذا لم يبلعهما والشجى بالقصر يكون فى العظم يقال شجى بالعظم من باب فرح إذا وقف فى حلقه والجرض باعجام الطرفين يكون من الهم والحزن يقال جرض بريقه وهو أن يبتلع ريقه على هم وحزن بالجهد وهو من باب كسر والاسم الجرض بفتحتين وما أحسن قول بعضهم

ذل السؤال شَجىً فى الحلق مُعترضٌ   من دونه شَرَقٌ من بعده جَرَضٌ

والسبب فى هذه الابيات هو ماحكاه أبو عبيدة . قال: كانت بلاد بنى غطفان مخصبة فرعت بنو عامر بن صعصعة ناحية منها فأغار الربيع بن زياد العبسى على يزيد بن الصعق وكان فى كرش الناس أى فى جماعتهم فلم يستطعه الربيع فاستفاء سروح بنى جعفر والوحيد ابنى كلاب واستفاء من الفىء وهى الغنيمة أى ردها معه والمعنى فاستاق سروحهم والسرح الابل التي ترعي فقال فى ذلك الربيع :

فإِذ أخطأت قومكَ يا يزَيدا   فانى جعفرا لك والوحيدا

فحرم على نفسه يزيد بن الصعق الطيب والنساء حتى يغير عليه فجمع قبائل شتى ثم أغار فاستاق نعما لهم وأصاب عصافير النعمان بن المنذر وهى إبل معروفة يقال لها العصافير فقال يزيد فى ذلك هذه الابيات وقال لبيد بن ربيعة أيضا يرد على الربيع بن زياد حين ذكر جعفراً و الوحيد

لستُ بغافر ابنى بغيض   سفاهتهم ولا خَطَلَ اللسان
سآخذ من سراتهم بعرضى   وليسوا بالوفاء ولا المدانى
فان بقية الأحساب منا   وأصحاب الحمَالةِ والطعان

جرائيم منعن بياض نجد وأنت تعد في الزَّمَعَ الدوانى

(وأجابه النابغة الذبيانى وقال)

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ عنّى لبيدا أبا الدرداء جحفلة الاتان

فقد أرخى مطيته إلينا بمنطق جاهل خطل اللسان

وقول لبيد « خطل اللسان » يريد طول اللسان وسمى الأخطل لطول لسانه ويقال شاة خطلاء اذا كانت طويلة الاذنين ، والسراة الاشراف وقوله « وليسوا بالوفاء الخ » أى سأنتقم من أشرافهم بسبب عرضى وان لم يوفوا بعرضى ولا يدانوه والحمالة بالفتح تحمل الدية ؛ والجرثومة التراب المجتمع تجمعه الريح فى أصول الشجر فيتلبد حتى يصير كأنه خلقة ، والزمع جمع زمعة بالتحريك وهى هنة زائدة فى قوائم الشاة وقول النابغة جحفلة الاتان بدل من قوله لبيداً وهو بتقديم الجيم على المهملة ، والاتان الحمارة وهى كلمة ذم وأرخى ساق ¤

(تتمة) المشهور فى رواية هذا البيت

فساغَ لى الشراب وكنت قبلا أكاد أغص بالماء الحميم

قال العينى قائله عبد الله بن يعرب بن معاوية بن عبادة بن البكاء بن عامر وكان له ثار فادركه فانشده انتهى

ورواه الثعالبي والزمخشرى

أكاد أغصُّ بالماء الفرات

ولعله من شعر آخر وكذلك مارواه أبو حيان فى تذكرته عن الكسائى

أَكادُ أغَصُّ بالماء المعين

لكنه رواه عنه « وكنتُ قبلٌ » بالرفع والتنوين ثم قال قال الفراء هذا التنوين نظير تنوين المنادى المفرد إذا لحقه التنوين فى ضرورة الشعر كما قال :

قدّموا إذ قيل قَيْسٌ قدموا وارفعوا المجد بأطراف الأسل

أراد ياقيس فنونه ضرورة والأجود النصب كما قال الآخر :

فَطِرْ خالداً إن كنت تسطيع طيرة ... ولا تَقَعَنْ إلا وقلبُكَ طائرُ

قال أبو حيان : وهذا الذى اختاره الفراء من نصب المنادى المفرد فى الضرورة هو مذهب أبي عمرو وأصحابه ، والمذهب الاول وهو رفعه منونا مذهب الخليل وسيبويه وأصحابهما ومذهب ابى عمرو أقيس اه

ووجه كونه أقيس أن المنادى مفعول والقياس إذا نون فى الضرورة أن يرجع الى أصله وهو النصب ، فان الضرائر ترجع الاشياء الى أصولها . وأما رفع قبل مع التنوين فوجهه ان أصله كان مبنيا على ضمة لحذف المضاف اليه وارادة معناه فنون ضرورة كتنوين العلم المنادى

ويزيد هو يزيد بن عمرو بن خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب الكلابي وخويلد يقال له الصعق قال أبو عمرو وابن الكلبي انما سمي الصعق لانه عمل طعاما لقومه بعكاظ فجاءت ريح بغبار فسبها ولعنها فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته ، وقال ابن دريد : الصعق أن يسمع الانسان الهدة الشديدة فيصعق لذلك ويذهب عقله ، والصعق الكلابي أحد فرسانهم سمي الصعق لأن بنى تميم ضربوه ضربة على رأسه فأدمته فكان إذا سمع الصوت الشديد صعق فذهب عقله والله أعلم .

(وأنشد بعده وهو الشاهد السبعون وهو من شواهد سيبويه)

٧٠ ترتع ما رتعت حتى اذا ادّكرت ... فإنما هى إقبالٌ وإدبارُ

على أن اسم المعنى يصح وقوعه خبرا عن اسم العين إذا لزم ذلك المعنى لتلك العين حتى صار كأنه هى

هذا من قبيل زيد عدل ، وفيه ثلاث توجيهات : (أحدها) كونه مجازا عقليا بحمله على الظاهر وهو جعل المعنى نفس الغير مبالغة ، (والثانى) أن المصدر فى تأويل اسم الفاعل فى نحوه وتأويل اسم المفعول فى نحو زيد خلق أي مخلوق ، (والثالث) أنه على تقدير مضاف محذوف أى ذات إقبال ، وهذا البيت للخنساء قال سيبويه : جعلتها الأقبال والادبار مجازا على سعة الكلام ، كقولك نهارك صائم وليلك قائم ، واستشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى « ولكن البر من اتقى » على أن الاسناد مجازى بدعوى أنه المتقى هو عين البر بجعل المؤمن كانه تجسد من البر ؛ وكان الزجاج يأبى غير هذا

قال عبد القاهر : تريد بالاقبال والادبار غير معناهما حتى يكون المجاز فى الكلمة، وإنما المجاز فى ان جعلتها لكثرة ماتقبل وتدبر كانها تجسمت من الاقبال والادبار؛ وليس أيضاً على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وان كانوا يذكرونه منه ، إذ لوقلنا أريد انما هى ذات اقبال وادبار ، أفسدنا الشعر على أنفسنا وخرجنا الى شيء مفسول وكلام عامى مرذول لامساغ له عند من هو صحيح الذوق والمعرفة نسابة للمعانى، ومعنى تقدير المضاف فيه أنه لو كان الكلام قد جيء به على ظاهره ولم تقصد المبالغة لكان حقه أن يجاء بلفظ الذات لا لأنه مراد اه

وروى الأخفش فى شرح ديوان الخنساء عن ابن الاعرابى أنه روى « فانما هو » أراد فانما فعلها

وهذا البيت من قصيدة لها ترثى بها أخاها صخرا تنيف على ثلاثين بيتا فى رواية الاخفش وقبله

فَمَا عَجُولٌ عَلَى بوٍّ تُطِيفُ به قدْ سَاعدتْهَا على التَّحْنانِ أظْآرُ

وبعده

لاتسمن الدهر في أرض وان ربعت(١) وإنمــا هى تحنان وتجسار

يوما بأوجدَ منّى يوم فارقنى صخر وللدّهرِ إحلاءٌ وإمرَارُ

العجول الثكول أراد به الناقة . وروى « ماأم سقب » وهو الذكر من ولد الناقة ؛ ولايقال للانثى سقبة ولكن حائل ، والبوجلد ولد الناقة إذا مات حين تلد أمه يحشى تبنا وهى لاتراه ويدنى منها فتشمه وترأمه فتدر عليـه اللبن ، وساعدتهـا وافقتها ، والتحنان الحنين والاظآر جمع ظئر وهى التى تعطف على ولد غيرها ، يقال رتعت الابل اذا رعت وأرتعتها تركتها ترعى . وروى ترتع ماغفلت ، وادكرت أى تذكرت ولدها وأصله اذ تكرت . وزعم ابن خلف عن بعضهم أنه فى وصف بقرة أخـذ ولدها ، وقولها « لاتسمن الدهر » الخ ، يقال : حنت الناقة اذا طربت فى إثر ولدها فاذا مدت الحنين وطربت قيل سجرت — بالجيم — وقولها بأوجد منى أى بأشد منى وجدا وللدهر إحلاء وإمرار أى سرور وحزن ، يقال : ماأحلى ولا أمر أى ما أتى بحلوة ولامرة ومن هذه القصيدة :

(١) فى الأصل المطبوع ببولاق : « رتعت » والتصحيح عن الديوان وربعت — بالبناء للمجهول — أصابها مطر الربيع

وَإن صخرا لمولانا وسيدنا وإن صخرا اذا نَشْتُو لَنَحَّارُ
وإنَّ صخراً لتأتم الهداة به كأنه عَلَمٌ فى رأسه نَارُ

قيل اذا اجتمع المولى والسيد قدم المولى كما هنا وروى

وإن صخراً لحامينا وسيدنا * وإنما قالت « إذانشتو لنحار» لأن النحرفى الشتاء لان الاطعام فيه أشد مؤنة . وقولها « لتأتم الهداة به » أى تجعله الأدلاء إماما . والعلم الجبل وكل شرف شبه بالجبل . وفى رأسه نار أشد للدلالة والهداية وأشهر فى الشرف وهذا إيغال وهو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها فان قولها : « كانه علم » يتم المعني به وهو التشبيه بما هو معروف بالهداية فانها جعلت أخاها جبلا مشهورا يتوجه إليه ولايخفى أمره على قاص ودان . ثم لما أرادت المبالغة لم تقنع بذلك وأردفته بقولها : « فى رأسه نار » فجعلته بعد أن كان علما يشار إليه معلما بعلامة يعرفه كل من يراه

والخنساء هى بنت عمرو بن الشريد بن الرياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم واسمها تماضر ـــ بضم التاء المثناة فوق وكسر الضاد المعجمة ـــ قال ابن خلف : قد قالوا للبياض تماضر وأكثر مايكون للنساء ومنه قيل اشتقت المضيرة ببياضها . والخنساء مؤنث الأخنس . والخنس تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الارنبة ويقال لها خناس أيضا ـ بضم الخاء ـ غيرمنصرف للعدل والتأنيث وهى صحابية رضى الله عنها قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بنى سليم وأسلمت معهم . وهى ام العباس بن مرداس . وهى أم اخوته الثلاثة وكلهم شاعر ولم تلد الخنساء الاشاعرا . ومن ولدها ابوشجرة السلمى . وقال الكلبي أم ولد مرداس جميعا الخنساء إلا العباس فانها ليست أمه ولم يذكر من امه وذكر صاحب الاغانى ان الخنساء امه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعجبه شعرها ويستنشدها ويقول« هيه ياخناس» ويومى بيده صلى الله عليه وسلم. ولما قدم عدي بن حاتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحادثه . فقال يارسول الله إن فينا أشعر الناس واسخى الناس وافرس الناس قال : سمهم . قال : اما اشعر الناس فامرؤ القيس بن حجر . واما اسخى الناس فحاتم

ابن سعد يعنى اباه. واماافرس الناس فعمرو بن معد يكرب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ليس كما قلت ياعدى اما اشعر الناس فالخنساء بنت عمرو وأما أسخى الناس فمحمد — يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم — واما افرس الناس فعلى بن ابى طالب، واتفق اهل العلم بالشعر انه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها اشعر منها . وقيل لجرير من اشعر الناس قال: انا لولا الخنساء ، قيل : بم فضلتك :قال بقولها

إنّ الزمان وما يَفْنَى له عجب   أبقى لنا ذَنَباً واسْتُؤْصِلَ الراسُ

إنّ الجديدين فى طول اختلافهما   لا يَفْسُدان ولكن يفسد الناسُ

وكانت فى أوائل أمرها تقول البيتين والثلاثة حتى قتل أخوها معاوية ثم أخوها صخر فاكثرت من الشعر وأجادت . وكان أحبهما إليها لأنه كان حليما جوادا محبوبا فى العشيرة شريفا فى قومه ، وكان أبوها يأخذ بيدى ابنيه صخر ومعاوية ويقول : انا أبو خيرى مضر فتعترف له العرب بذلك ، وما زالت ترثى صخراً وتبكيه حتى عميت . وكانت تقول بعد إسلامها : كنت أبكى لصخر من القتل فأنا اليوم أبكى له من النار ، ودخلت على عائشة رضى الله عنها وعليها صدار من شعر فقالت لها : ما هذا فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ألبس صدارا عليه قالت : إن له حديثا قالت : وما هو قالت : زوجنى أبى سيدا من سادات قومى متلافا معطاء فانفد ماله وقال لى : إلى أين ياخنساء قلت : إلى أخى صخر فأتيناه فقاسمنا ماله وأعطانا خير النصفين فاقبل زوجى يعطى ويهب ويحمل حتى أنفده ثم قال لى :الى أين ياخنساء قلت إلى أخى صخر فاتيناه وقاسمنا ماله وأعطانا خير النصفين إلى الثالثة فقالت له امرأته : أما ترضى أن تقاسمهم مالك حتى تعطيهم خير النصفين ؟ فقال :

والله لاأمنحها شِرارها   ولو هلكْتُ قدّدت خِمارها

واتّخذت من شعَرٍ صدارها

فذاك الذى دعانى إلى لبس الصدار

وكان من حديث قتله أنه جمع جمعا وأغار على بنى أسد بن خزيمة فطعنه ربيعة ابن ثور الأسدى فأدخل فى جوفه حلقا من الدرع فاندمل عليه فأضناه وطال مرضه

وملّه أهله فكانوا إذا سألوا امرأته سليمى عنه قالت : لاهو حي فيرجى ولاهو ميت فينسى ، وصخر يسمع كلامها فيشق ذلك عليه . وإذا سألوا أمه قالت : أصبح صالحا بنعمة الله فلما أفاق بعض الافاقة عمد إلى امرأته فعلقها بعمود الفسطاط حتى ماتت ، وقيل : بل قال : ناولوني سيفي لأنظر كيف قوتي وأراد قتلها وناولوه فلم يطق السيف ففي ذلك يقول :

أرى أم صخر لاتمل عيادتي ... وملت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازة ... عليك ومن يغترّ بالحدثان
أهمّ بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان
لعمري لقد نبّهت من كان نائما ... وأسمعت من كانت له أذنان
وللموت خير من حياة كأنها ... معرّس يعسوب برأس سنان
وأي امرىء ساوى بأم حليلة ... فلا عاش إلا في شقا وهوان

وقيل : ان الذي قالت ذلك بديلة الأسدية كان قد سباها من أسد واتخذها لنفسه وأنشدوا مكان البيت الأول :

ألا تلكمو اعرسي بديلة أوحشت ... فراقي وملت مضجعي ومكاني

قال أبو عبيدة فلما طال عليه البلاء ـ وقد نتأت قطعة مثل اليد فى موضع الطعنة واسترخت ـ قالوا له : لوقطعتها لرجونا أن تبرأ ، قال : شأنكم الموت أهون علي مما أنا فيه فقطعها فيئس من نفسه ومات ، وروى : أن امرأته هذه كانت ذات كفل وأوراك وكانت قد ملته وكان يكرمها ويقدمها على أهله فربها رجل وهي قائمة فقال لها : أيباع هذا الكفل : فقالت : عما قليل ، وصخر يسمع فقال : لئن استطعت لأقدمنك أمامي ثم قال لها : ناوليني السيف أنظر هل تقله يدي فدفعته إليه فأذا هو لايقله فعندها أنشد الأبيات المذكورة

ذكر ياقوت فى معجم الادباء فى ترجمة أبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري ـ وقد ترجمناه نحن أيضا فى الشاهد الثامن والعشرين ـ أن الصاحب بن عباد كان تود الاجتماع به ويكاتبه ويستميل قلبه فيعتل عليه بالشيخوخة والكبر فلما يئس منه

احتال فى جذب السلطان إلى ذلك الصوب وكتب إليه حين قرب من عسكر مكرم كتابا يتضمن علوما نظما ونثرا ومنه قوله :

ولما أبيتم أن تزوروا وقلتمُ ضَعُفْنا فما نَقْوى على الْوَخَدانِ
أتيناكمُ من بُعْدأرض نزوركم على منزل بِكْرٍ لنا وعَوانِ
نسائلكم هل من قرى لنزيلكم؟ بملء جفون لا بملء جفان

فلما قرأ أبوأحمد الكتاب أقعد تلميذاً له فأملى عليه الجواب عن النثر نثرا وعن النظم نظما وهو :

أَرُومُ نُهوضا ثم يثنى عزيمتى تَعَوُّدُ أعضائى من الرجفان
فضمّنت بيت ابن الشريد كأنما تعمد تشبيهى به وعنانى
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

فلما بلغت الصاحب استحسنها ووقعت منه موقعا عظيما وقال : لوعرفت أن هذا المصراع يقع فى هذه القافية لم أتعرض لها ، وبقية الحكاية هناك مسطورة. وفى الاستيعاب ان الخنساء حضرت حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال فقالت لهم : يابنى انتم أسلمتم طائعين . وهاجرتم مختارين . ووالله الذى لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة . ماخنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ؛ ولا غيرت نسبكم . وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين : من الثواب العظيم فى حرب الكافرين واعلموا أن الدار الباقية ، خير من الدار الفانية، يقول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » فإذا أصبحتم غدا فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على اعدائه مستنصرين . فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم فتقدموا واحدا بعد واحد ينشدون الأراجيز فقاتلوا حتى استشهدوا جميعا ، فلما بلغها الخبر قالت: الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته فكان عمر — رضى الله عنه — يعطيها أرزاق أولادها الاربعة : لكل واحد منهم مائة درهم حتى قبض وماتت الخنساء

﴿ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والسبعون ﴾

(٧١) أَنا أبو النَّجم وشعرى شعرى

على أن عدم مغايرة الخبر للمبتدأ إنما هو للدلالة على الشهرة أى شعرى الآن هو شعرى المشهور المعروف بنفسه لاشىء آخر

استشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى : « والسابقون السابقون » على أن المراد السابقون من عرفت حالهم و بلغك وصفهم كما فى شعرى شعرى أى شعرى مابلغك وصفه وسمعت ببراعته و فصاحته ، وصح إيقاع أبى النجم خبرا لتضمنه نوع وصفيه واشتهاره بالكمال ، والمعنى : أنا ذلك المعروف الموصوف بالكمال وشعرى هو الموصوف بالفصاحة

وهذا البيت من أرجوزة لابى النجم العجلى وبعده :

لله درى ما أجنَّ صدْرى من كلمات باقيات الحر

تنام عينى وفؤادى يَسرى مع العفاريت بأرضٍ قفْر

الدر فى الاصل اللبن ، يقال فى المدح : لله دره أى عمله وقد شرحه الشارح فى باب التميز بما لامزيد عليه ، وقوله « ماأجن صدرى » هو صيغة تعجب من الجنون قال فى الصحاح وقولهم ماأجنه فى المجنون شاذ لايقاس عليه ، ومن كلمات متعلق به ؛ ومن ابتدائية أو تعليلية ، وأبو النجم تقدمت ترجمته فى الشاهد السابع

﴿ وأنشد بعده وهو الشاهد الثانى والسبعون ﴾

(٧٢) رفونى وقالوا ياخويلد لاترع فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

لما تقدم فى البيت قبله : أى هم الذين يطردوننى و يطلبون دمى

وهذا البيت لابى خراش الهذلى مطلع قصيدة وهى ستة عشر بيتاً ذكر فيها تفلته من أعدائه حين صادفهم فى الطريق كامنين له وسرعة عدوه حتى نجا منهم

روى السكرى فى شرح أشعار الهذليين عن الاخفش قال : خرج أبو خراش وأم خراش يريدان بعض أهلهما ، فمرا بخزاعة فلما رأتهما قالوا : هذا أبو خراش وامرأته فلا تهيجوهما حتى يدنو منها فقال أبو خراش لام خراش : فان سألوك فقولى

تخلف كانه يقضى حاجة وهو ماربكم ، فمضت حتى إذا علم أبوخراش أنها قد جاوزت الثنية وأمنهم جاء يمشى رويدا حتى مر فى وسطهم فسلم فردوا عليه السلام ، فقال : ممن أنتم ، قالوا : إخوتك وبنوعمك ، فتباعد منهم ، فهموا به فعدا وعدوا على إثره فأعجزهم وجعلوا ينظرون اليه ويرمونه ونجا منهم اه

وفى الاغانى بسنده أن أباخراش الهذلى خرج من أهل هذيل يريد مكة فقال لزوجته أم خراش : ويحك إنى أريد مكة لبعض الحاجة وإن بنى الدئل يطلبوننى بترات فاياك أن تذكرينى فخرج بها وكمن لحاجته وخرجت الى السوق لتشترى عطرا وماتحتاجه النساء فمر بها فتيان من بنى الدئل فقال أحدهما لصاحبه : أم خراش ورب الكعبة ، فسلما عليها فقالت : بابى أنتما من أنتما ؟ فقالا : رجلان من أهلك هذيل قالت فأن أباخراش معى فلا تذكراه لأحد ونحن رائحون العشية ، فجمع الرجلان جماعة وكمنوا فى طريقه فلما نظر اليهم قال لها اقتلتنى قالت : ماذكرتك ورب الكعبة إلا لفتيين من هذيل ، فقال : والله ماهما من هذيل ولكنهما من بنى الدئل وقد جلسا لى وجمعا جماعة من قومهما فاذا جزت عليهم فانهم لن يعرضوا لك لئلا استوحش فأفوتهم فأركضى بعيرك وضعى عليه العصا فكانت على قعود يسابق الريح ، فلما دنا منهم وقد تلثموا ووضعوا تمرا على طريقه على كساء فوقف قليلا كأنه يصلح شيئاً وجازتهم أم خراش ووضعت العصا على قعودها وتواثبوا إليه فوثب يعدو وسبقهم ولم يلحقوه وقال أبوخراش فى ذلك هذه القصيدة اه

ورفونى قال المفضل بن سلمة فى الفاخر والمرزوقى فى شرح الفصيح : رفوت الرجل إذا سكنته وأنشد هذا البيت. ثم قالا : ويقال رافيت فلانا أى وافقته ، قال الشاعر

ولما أن رأيت أبا رويم ☆ يرافينى ويكره أن يلاما

وأما رفأت الثوب إذا أصلحت خرقه أرفؤه رفأ فبالهمز ، ومنه بالرفاء والبنين —اذا دعى للمتزوج— وفى المقصور والممدود للقالى : الرفاء — بالمد — الاتفاق والالتئام ومنه قولهم بالرفاء والبنين ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال بالرفاء والبنين ، وقال أبوعبيد : قال الاصمعى : الرفاء يكون على معنيين يكون من الاتفاق وحسن الاجتماع قال . ومنه أخذ رفء الثوب لأنه يرفأ فيضم بعضه إلى بعض ويلائم . ويكون الرفاء من الهدو والسكون قال ☆ رفونى وقالوا ياخويلد ☆ البيت

وحدثني أبو بكر بن دريد قال: قال الاصمعي في بيت أبي خراش: أراد رفؤني بالهمز والدليل على صحة ماروى أبو بكر قول الاصمعي في كتاب الهمز: ويقال رفأت الرجل إذا سكنته حتى يسكن وكذلك المرافأة مهموز، والدليل على ذلك قول أبي زيد في كتاب الهمز رفأت الثوب أرفؤه رفأ، ورفأت المملك ترفؤه إذا دعوت له ورافأني الرجل في البيع مرافأة اه فجعله مهموزا لاغير وكذلك قال العسكري في كتاب التصحيف أخبرنا ابن أبي سعيد أخبرني طابع سمعت قعنبة بن محرز يسأل الأصمعي عن قول الشاعر * رفوني وقالوا ياخويلد * البيت فقال قعنب: رقوني — بالقاف — فقال الاصمعي: مامعنى رقوني؟ قال رقوه بالكلام قال: يصحف ويفسر التصحيف!! إنما هو رفوني بالفاء وأصله رفؤني من رفأت فأزال الهمزة للشعر اه

وخويلد اسم الشاعر، ولا ترع نهي بالبناء للمفعول أي لايحصل لك روع وخوف وجملة أنكرت حال من ضمير قلت بتقدير قد وجملة هم هم مفعول القول

وأبو خراش. قال ابن قتيبة في الطبقات: هو خويلد بن مرة أحد بني قرد ابن عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل، أحد فرسان العرب وفتاكهم، أسلم وهو شيخ كبير وحسن إسلامه وفي تاريخ الذهبي ما يدل على أن إسلامه كان يوم حنين، وذكره ابن حجر في القسم الثالث من الاصابة وهم المخضرمون الذين لم يرد في خبر قط أنهم اجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، وفي الأغاني عن الأصمعي قال: دخل أبو خراش مكة في الجاهلية وكان ممن يعدو على رجليه فيسبق الخيل فرأى الوليد بن المغيرة له فرسان يريد أن يرسلهما فقال: ماتجعل لي إن سبقتهما عدوا قال إن فعلت فهما لك فسبقهما، وقال الكلبي والأصمعي: مر على أبي خراش نفر من اليمن حجاجا فنزلوا عليه فقال: ماأمسي عندي ماء ولكن هذه برمة وشاة وقربة فردوا الماء فانه غير بعيد ثم اطبخوا الشاة وذروا البرمة والقربة عند الماء نأخذهما فامتنعوا وقالوا لانبرح، فأخذ أبو خراش القربة وسعى نحو الماء تحت الليل فاستقى ثم أقبل فنهشته حية فأقبل مسرعا حتى أعطاهم الماء ولم يعلمهم بما أصابه فباتوا يأكلون فلما أصبحوا وجدوه في الموت فأقاموا حتى دفنوه، فبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه خبره فقال والله لولا أن تكون سنة لأمرت أن لايضاف يماني بعدها ثم كتب الى عامله أن يأخذ النفر الذين نزلوا به فيغرمهم ديته

(وأنشد بعده وهو الشاهد الثالث والسبعون)

(٧٣) بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

على أن المبتدأ والخبر إذا تساويا تعريفا وتخصيصا يجوز تأخير المبتدأ إذا كان هناك قرينة معنوية على تعيين المبتدأ فأنه قدم الخبر هنا على المبتدأ لوجود القرينة من حيث المعنى فانك عرفت أن الخبر هو محط الفائدة فما يكون فيه التشبيه الذى تذكر الجملة لأجله فهو الخبر وهو قوله بنونا إذ المعنى أن بنى أبنائنا مثل بنينا لا أن بنينا مثل بنى أبنائنا

قال ابن هشام فى شرح شواهد ابن الناظم : وقد يقال ان هذا البيت لا تقديم فيه ولا تأخير وانه جاء على عكس التشبيه كقول ذى الرمة

ورَمْلٍ كأَوْراكِ العَذارَى قطعته

فكان ينبغى للشارح يعنى ابن الناظم أن يستدل بما أنشده والده فى شرح التسهيل من قول حسان بن ثابت

قبيلة ألأم الأحيـاء أَكْرَمُها وأَغْدَرُ الناس بالجيران وافيها

إذ المراد الأخبار عن أكرمها بأنه ألأم الأحياء وعن وافيها بأنه أغدر النـاس لا العكس اه المراد منه

وقد منع الكوفيون تأخير المبتدأ قال ابن الانبارى فى الانصاف : ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه مفردا كان أو جملة : فالأول نحو قائم زيد، والثانى نحو أبوه قائم زيد وأجازه البصريون لمجيئه فى كلام العرب نظما ونثرا ومن النظم قوله

بنونا بنو أبنائنا «البيت»

وأطال الكلام فيه

وهذا البيت لا يعرف قائله مع شهرته فى كتب النحاة وغيرهم قال العينى: هذا البيت استشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر والفرضيون على دخول أبناء الأبناء فى الميراث وأن الانتساب إلى الآباء والفقهاء كذلك فى الوصية وأهل المعانى والبيان فى التشبيه ولم أر أحدا منهم عزاه إلى قائله اه ورأيت فى شرح الكرمانى فى شواهد شرح الكافية للخبيصى أنه قال : هذا البيت قائله أبو فراس همام الفرزدق بن غالب ثم ترجمه والله أعلم بحقيقة الحال

(وأنشد بعده وهو الشاهد الرابع والسبعون قول أبي تمام)

٧٤ لُعابُ الأفاعي القاتلاتِ لُعابُهُ وأَرْيُ الجَنَى اشتارَتْهُ أيدٍ عواسِلُ

لما تقدم في البيت قبله : أي لعابه مثل لعاب الأفاعي

وهذا البيت أحد أبيات عشرة في وصف القلم من قصيدة لأبي تمام مدح بها محمد ابن عبد الملك الزيات ، وأبيات القلم هي هذه وهي أحسن وأفخم من جميع ما قيل في القلم

لك القلم الأعلى الذي بشَبَاته يُنالُ من الأمر الكُلَى والمَفاصِلُ
له الخلوات اللاءِ لولا نجيُّها لما احتفلت للملك تلك المحافل
لعاب الافاعي القاتلات لعابه «البيت»
له ريقة طَلٌّ ولكنَّ وَقْعها بآثاره في الشرق والغرب وابل
فصيحٌ إذا استنطقته وَهْوَ راكبٌ وأعجمُ إن ناطقته وهْو راجل
إذا ما امتطى الخمس اللِّطاف وأُفْرِغت عليه شِعاب الفِكْر وهْي حوافل
أطاعَتْه أطراف الرماح وقُوِّضَتْ لنجواه تقويضَ الخيام الجحافل
اذا استغزر الذِّهْنَ الخليّ وأقبلت أعاليه في القرطاس وهي أسافل
وقد رَفَدَتْه الخنصران وسَدَّدَتْ ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأنامل
رأيت جليلاً شأنه وهو مُرْهَفٌ ضَنًى وسميناً خَطْبُه وهْو ناحل

الشباة بفتح الشين والقصر حد كل شيء ، وقوله « ينال من الأمر » روى أيضا «يصاب من الأمر »والكلى جمع كلية وكلوة جاء بالياء والواو ، والمفاصل جمع مفصل وهو ملتقى كل عظمين ، أراد أن القلم يطبق المفصل ويصادف المحز وبه ينال مقاصد الأمور فانه ينال بالأقلام ما يعجز عنه بمجالدة الحسام ، وقوله « له الخلوات الخ » يعني أن أصحاب القلم هم أهل المشورة وموضع السر يخلي لهم الملوك المجالس للمشورة وبهم يحصل نظام الملك والنجي المسارر والتناجي المسارة وأراد به المشير فان المشورة تكون سرا غالبا والاحتفال حسن القيام بالأمور والمحافل جمع محفل كمجلس ومقعد وهو المجتمع واللعاب ما يسيل من الفم و القاتلات صفة كاشفة للأفاعي ذكرها تهويلا ، والأرى بفتح الهمزة وسكون

الراء مالزق من العسل فى جوف الخلية ، والجنى بفتح الجيم والقصر العسل والاضافة للتخصيص فان الأرى يأتى أيضا بمعنى مالزق بأسفل القدر من الطبيخ وإن جعلت الأرى بمعنى العسل والجنى بمعنى كل مايجنى من ثمرة ونحوها يلزم إضافة الموصوف إلى الصفة واشتارته استخرجته يقال شار فلان العسل شورا وشيارا وشيارة إذا استخرجه وكذلك أشاره واشتاره ، وأيد جمع يد ، والعواسل جمع عاسلة أى مستخرجة العسل والعاسل مشتار العسل من موضعه والمصراع الأول بالنسبة الى الاعداء والثانى بالنسبة الى الاولياء يعني: أن لعاب قلمه بالنسبة إلى الأعداء سم قاتل و بالنسبة إلى الأولياء شفاء عاجل ، فقوله « لعابه » مبتدأ مؤخر « ولعاب الافاعى » خبر مقدم ، وأرى معطوف على الخبر ، وجاز هذا مع تعرف الطرفين لأن المعنى دال عليه ، فان اللعاب القاتل إنما هو لعاب الأفاعى فلعاب القلم مشبه به فى التأثير ، وعلم من هذا أنه ليس من التشبيه المقلوب فأن لعاب القلم قد شبه بشيئين وهو السم والعسل باعتبارين. وإن جعلته من التشبيه المقلوب كان من عطف الجمل والخبر فى المعطوف محذوف وفيه تكلف ؛ وقوله « له ريقة طل » ريقة مبتدأ وطل وصفه والظرف قبله خبره ، والطل المطر الضعيف ، والوابل ـ وكذا الوبل ـ المطر الشديد الضخم القطر يقول : إن ما يجرى من القلم حقير تافه فى ظاهر الأمر لكن له أثر خير عم المشارق والمغارب. وأراد بالخمس اللطاف الأصابع الخمس ، والشعاب جمع شعب ـ بكسرهما ـ الطريق فى الجبل ، والحوافل جمع حافلة يقال : حفل اللبن وغيره حفلا وحفو لا اجتمع واحتفل الوادى امتلأ وسال ، وقوله « أطاعته أطراف الخ » هو جواب إذا وروى أطاعته أطراف القنا ، وتقوضت يقال : تقوضت الصفوف إذا انتقضت وأصله من تقويض البناء وهو نقضه من غير هدم ، والنجوى السر وتقويض أى كتقويض الخيام ، والجحافل فاعل قوضت وهو جمع جحفل ـ بتقديم الجيم على المهملة كجعفر ـ الجيش. واستغزر الذهن وجده غزيرا وفاعله ضمير القلم ، والخلى الخالى وروى بدله « الذكى » أى المتوقد وإنما تكون أعالى القلم أسافل حين الكتابة ، ورفدته أعانته ، ورأيت جواب إذا ، وشأنه فاعل جليلا ، وجملة « وهو مرهف » حال وهو اسم مفعول من أرهفت السيف ونحوه إذا رققت شفرتيه ويقال أيضا رهفته رهفا فهو رهيف ومرهوف. وضنى تميز وهو مصدر ضنى ـ من باب تعب ـ إذا مرض مرضا ملازما ، وسمينا معطوف

على جليلا ، وناحل من نحل الجسم ينحل ـ بفتحهما ـ نحولا سقم ومن باب تعب لغة.

وأبو تمام الطائى مضت ترجمته فى الشاهد الثانى والخمسين ، ولم يورد الشارح المحقق بيته هنا شاهدا وإنما أورده نظيرا لما قبله

وأما ابن الزيات الذى مدحه أبو تمام بهذه القصيدة فهو : أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان المعروف بابن الزيات ، كان جده أبان من قرية يقال لها الدسكرة يجلب منها الزيت ، وكان محمد من أهل الأدب فاضلا عالما بالنحو واللغة ، ولما قدم المازنى بغداد فى أيام المعتصم كان أصحابه وجلساؤه يحضرون بين يديه فى علم النحو فأذا اختلفوا فيما يقع فيه الشك يقول لهم المازنى ابعثوا إلى هذا الفتى الكاتب ـ يعنى محمد بن عبد الملك ـ فاسألوه واعرفوا جوابه ؛ وكان يصوب جوابه ، فعلا شأنه بذلك وكان فى أول أمره من جملة الكتاب ، وكان أحمد بن عمار البصرى وزير المعتصم فورد على المعتصم كتاب من بعض الأعمال فقرأه الوزير عليه فأذا فى الكتاب ذكر الكلأ فقال له المعتصم : ما الكلأ ؟ فقال : لاأعلم فقال المعتصم : خليفة أمى ووزير عامى ، ثم قال : أبصروا من بالباب من الكتاب فوجدوا محمد بن عبد الملك فقال له : ما الكلأ ؟ فقال : هو العشب على الأطلاق فأن كان رطبا فهو الخلا وإذا يبس فهو الحشيش ، وشرع فى تقسيم أنواع النبات ، فعلم المعتصم فضله فاستوزره وحكمه وبسط يده ومدحه أبو تمام بقصائد ، ومدحه البحترى بقصيدته الدالية وأحسن فى وصف خطه وبلاغته ، وكان ابن الزيات هجا القاضى ابن أبى داود الأيادى بتسعين بيتا فعمل القاضى فيه بيتين وقال :

أحسن من تسعين بيتاً سدى   جمعك معناهن فى بيت
ما أحوج الملك الى مَطْرة   تغسل عنه وَضَرَ الزيت

وقيل : هما لعلى بن الجهم ، وبعد المعتصم وزر لابنه الواثق هرون فقال ابن الزيات.

قد قلت إذ غيبوه وانصرفوا   من خير قبر لخير مدفون
لن يَجْبُرُ الله أمة فَقَدتْ   مِثْلَكَ الا بمثل هرون

وبعد الواثق وزر للمتوكل ؛ وكان ابن الزيات يدخل عليه المتوكل أيام المعتصم والواثق فكان يتجهمه ويحتقره ويستهزىء به فحقد عليه المتوكل ، وبعد أربعين يوما من ولايته قبض عليه واستصفى أمواله ، وكان ابن الزيات قد اتخذ تنورا من حديد وأطراف مساميره المحددة إلى داخله ، هي قائمة مثل رؤس المسال ، . كان يعذب فيه أيام وزارته فكيفما انقلب المعذب او تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير فى جسمه ، وإذا قال له أحد ارحمنى أيها الوزير فيقول له : الرحمة خور فى الطبيعة ، فلما اعتقله المتوكل أمر بأدخاله فى التنور وقيده بخمسة عشر رطلا من الحديد فقال له : ياأمير المؤمنون ارحمنى فقال له : الرحمة خور فى الطبيعة ، كما كان يقول للناس ، وكان ذلك فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ، وكانت مدة تعذيبه فى التنور أربعين يوما الى أن مات فيه ووجد مكتوبا بالفحم فى جانب التنور

مَنْ له عهدٌ بنَوْمٍ يُرْشِد الصَّبَّ إليه

رَحِمَ اللهُ رحيماً دلَّ عينَيْهِ عليه

سَهِرَتْ عيني ونامت عَيْنُ من هِنْتُ عليه

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون)

(٧٥) إلى المَلِكِ القَرْمِ وابنِ الهُمامِ وليْثِ الكَتيبةِ في المُزْدَحَمْ

على أنه يجوز عطف أحد الخبرين على الآخر كما يجوز عطف بعض الأوصاف على بعضها كما هنا فأن « ابن الهمام،وليث الكتيبة » وصفان للملك وقد عطفا على الصفة الاولى ، وهى القرم ، واستشهد به الفراء فى معانى القرآن وصاحب الكشاف أيضا لهذا الأمر ، وبعده بيت أورده ابن الانبارى فى الأنصاف وهو :

وذا الرأى حين تَغُمُّ الأمُورُ بذات الصَّليل وذات اللُّجُمْ

وقال : نصب ذا الرأى على المدح ، والقرم ـ بفتح القاف ـ السيد ، والهمام الملك العظيم الهمة والسيد الشجاع السخى ، والكتيبة الجيش وقيل جماعة الخيل إذا غارت من المائة إلى الألف ، والمزدحم محل الازدحام يقال ازدحم القوم وتزاحموا أى تضايقوا وأراد به المعركة ، والغم فى الأصل ستر كل شيء ومنه الغمام لأنه يستر الضوء والشمس ومنه أيضا

الغم الذى يغم القلب أى يستره ويغشيه ، وقوله « بذات الصليل » متعلق بالرأى وهو البيضة يقال : صل البيض يصل صليلا سمع له طنين عند القراع . وذات اللجم الخيل وهو جمع لجام أراد أنه يمدهم بالسلاح والرجال

(وأنشد بعده وهو الشاهد السادس والسبعون)

٧٦ فَأَمَّا الْقِتَالُ لاَ قِتَالَ لَدَيْكُمُ

على أن حذف الفاء الداخلة على خبر المبتدأ الواقع بعد أما ضرورة فأن القتال مبتدأ وجملة « لا قتال لديكم » خبر والرابط العموم الذى فى اسم لا قاله ابن إياز فى شرح الفصول ، ومثله بيت الكتاب لابن ميادة :

ألا ليت شعرى هل إلى أُمِّ مَعْمَرٍ سبيلٌ فأما الصبْرُ عَنْهَا فلا صَبْرُ

قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : هو بمنزلة قولهم « نعم الرجل زيد » وذلك أن الصبرعنها بعض الصبر لا جميعه ، وقوله «فلا صبر» نفى للجنس أجمع فدخل الصبر عنها وهو البعض فى جملة ما نفى من الجنس كما أن زيداً بعض الرجال ، فأما البيت الآخر:

فأما الصُّدور لا صُدورَ لجعفر ولكنَّ أَعْجازاً شديداً ضريرُها

فالثانى هو الأول سواء ، وكذلك قول الآخر:

فأما القتال لاقتال لديكم « البيت »

فالثانى هو الأول وكلاهما جنس انتهى :

وهذا المصراع صدر وعجزه :

ولكنَّ سَيْراً فى عِراضِ المواكب

لكن اسمها محذوف ، وسيرا مفعول مطلق عامله محذوف وهو خبر لكن ، أى ولكنكم تسيرون سيرا ؛ ويجوز أن يكون سيراً اسم لكن والخبر محذوف أى ولكن لكم سيراً ، وفى عراض متعلق بتسيرون المحذوف وهو جمع عرض — بضم العين وسكون الراء وآخره ضاد معجمة — بمعنى الناحية ، والمراكب الجماعة ركبانا أو مشاة وقيل ركاب الأبل للزينة من ركب يركب ركوبا مشى فى درجان

وقبل هذا البيت بيت وهو :

فضحتم قريشا بالفرار وانتم قُمُدّون سُودانٌ عِظامُ المناكب

والقمد — بضم القاف والميم وتشديد الدال — الطويل وقيل الطويل العنق الضخمة من القمد — بفتحتين — وهو الطول وقيل ضخامة العنق فى طول والوصف أقمد وقمد والأنثى قمداء وقمدة وقمدانية ، والسودان أراد به الأشراف جمع سود وهو جمع أسود أفعل تفضيل من السيادة

والبيتان للحرث بن خالد المخزومى ،كذا قال ابن خلف ، وقال صاحب الأغانى : هما مما هجا بهما قديما بنى أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس ، انتهى

والحرث هو ابن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، قال الزبير بن بكار فى أنساب قريش :كان الحرث شاعرا كثير الشعر وهو الذى يقول

من كان يسأل عنا أين منزلنا فالأقحوانة منا مَنزِلٌ قمن
اذ نلبس العيش غضا لا يُكدّره خَوْفُ الوشاةِ ولا يَنْبو بنا الزّمَنُ

والأقحوانة ما بين بئر ميمون الى بئر ابن هشام ، وكان يزيد استعمله على مكة وابن الزبير يومئذ بها فمنعه ابن الزبير فلم يزل فى داره معتزلا لابن الزبير حتى ولى عبد الملك بن مروان فولاه مكة ثم عزله فقدم عليه دمشق فلم ير له عنده ما يحب فانصرف عنه وقال:

عطفت عليك النفس حتى كأنما بكفيك بؤْسى أو لدَيْكَ نعيمها
فما بى إن أقصيتنى من ضراعة ولا افتقَرَتْ نفسى إلى من يضيرها اه

ومن شعره :

أَظَلُومُ إنّ مُصابكُمْ رَجُلاً أَهدَى السلامَ تحِيَّةً ظُلْمُ

﴿وأنشد بعده وهو الشاهد السابع والسبعون وهو من شواهد سيبويه﴾

٧٧ وقائلة خَوْلاَنُ فانْكحْ فتَاتَهُمْ

عجزه :

وأكرومة الحيين خلو كما هيا

على أن الفاء فى فانكح زائدة عند الأخفش ، وخولان مبتدأ ، وانكح خبره وعند سيبويه غير زائدة والأصل هذه خولان فانكح فتاتهم

قال ابن خلف : قال أبو علي : من جعل الفاء زائدة أجاز فى خولان الرفع والنصب كقولك زيدا فاضربه ، فأن قلت : زيدا فاضرب جاز عند الجميع قال تعالى : « وثيابك فطهر » ونقل أبو جعفر النحاس عن المبرد أنه قال : لو قلت هذا زيدا فاضربه جاز أن تجعل زيدا عطف بيان أو بدلا فلو رفعت خولان بالابتداء لم يجز من أجل الفاء وإنما جاز مع هذا لأن فيها معنى التنبيه والاشارة . وقال أبو الحسن : ويجوز النصب على الذم انتهى

والظاهر أن يقول ويجوز النصب على المدح كما قال غيره فأن المرغب لا يذم. وعلى قول سيبويه . فالفاء إما لعطف الانشاء على الخبر وهو جائز فيما له محل من الاعراب وإما لربط جواب شرط محذوف أى إذا كان كذلك فانكح. قال سيبويه: قد يحسن ويستقيم أن تقول عبد الله فاضربه إذا كان الخبر مبنيا على مبتدأ مظهر أو مضمر نحو هذا زيد فاضربه والهلال والله فانظر اليه. وقال السيرافى : الجمل كلها يجوز أن تكون أجوبتها بالفاء نحو زيد أبوك فقم إليه فان كونه أباه سبب وعلة للقيام إليه . وكذلك الفاء فى فانكح يدل على أن وجود هذه القبيلة علة لان يتزوج منهم ويتقرب إليهم لحسن نسائها وشرفها ، وفيه إشارة إلى ترتب الحكم على الوصف

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : « رب السموات والارض ومابينهما فاعبده » قال : إن رب خبر مبتدأ أى هو رب السموات كما فى خولان — بالرفع — أى هؤلاء خولان . وخولان حى باليمن وروى « فانكح فتاتها » لأنه أراد القبيلة وجملة خولان فانكح فتاتهم فى محل نصب على أنها مقول القول وإنما عمل فيها النصب وهو قائلة لاعتماده على الموصوف المقدر أى رب امرأة قائلة، وبه يدفع ما يرد عليه من أن مجرور رب غير موصوف بشيء مع أن وصفه واجب فأن المجرور هو الوصف والموصوف محذوف ، أو تقول الصفة محذوفة أى رب قائلة قالت لى . لكن يرد عليه أن ما بعد رب يلزمه المضى والوصف هنا مستقبل بدليل إعماله ، ويدفع أيضا بأنه أراد حكاية الحال الماضية بدليل أن المعنى قد قيل لى ذلك فيما مضى وليس المراد أنه يقال لى هذا فيما يستقبل أو أنه ماض وعمل على مذهب الكسائى ، قال ابن هشام فى المغنى : وسمع أعرابى يقول بعد انقضاء رمضان : يارب صائمه لن يصومه ويارب قائمه لن يقومه . وهو مما تمسك به الكسائى على إعمال

اسم الفاعل المجرد بمعنى الماضى ، ورب هنا للتكثير وهي حرف جر لايتعلق بشيء والفعل المعدى محذوف أى رب قائلة هذا القول أدركتها ورأيتها فمجرور رب جاء فى محل رفع على الابتداء أو فى محل نصب على المفعولية على شريطة التفسير وإن قدرت أدركت فمحله نصب لاغير . وقوله « وأكرومة الحيين خلو » الأكرومة فعل الكرم مصدر بمعنى اسم المفعول . أى ومكرمة الحيين وأراد بالحيين حى أبيها وحى أمها ، والخلو — بكسر الخاء المعجمة — التى لازوج لها ، وهذه الجملة الظاهر أنها فى محل نصب على الحال ، والمعنى : رب قائلة قالت لى هؤلاء خولان فانكح فتاتها فقلت كيف أنكحها وأكرومة الحيين خالية عن الزوج . قيل ويجوز أن الجملة من تمام قول القائلة ، ولا يخفى أنه لو كان كذلك لكان الوجه أن يقال فأكرومة الحيين بالفاء ، فتأمل . وقوله « كما هيا » صفة لخلو وفيه فعل محذوف أى كما كانت خلواً فلما حذفت كان برز الضمير، وما مصدرية فى الجميع ، ويجوز أيضا أن يكون هى مبتدأ وخبره محذوف وما موصولة . أى كالحالة التى هى عليها فيما عهدته ، والكاف بمعنى على ويحتمل أن ما زائدة فيكون ضمير الرفع قد استعير فى موضع الضمير المجرور . والمعنى : أنها خلو الآن كهى فيما مضى فالكاف للتشبيه ويحتمل أيضا أنها كافة وهى مبتدأ خبره محذوف أى هى عليه . وقد جوزوا هذه الوجوه — إلا المصدرية — فى قولهم : « كن كما أنت » نقلها ابن هشام فى المغنى فى الكاف وزاد عليها .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف لها ناظم والله أعلم

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون ، وهو من شواهد جمل الزجاجي)

٧٨ إنّ من يدخل الكنيسة يوما يلق فيها جآذرا وظباء

عن أن اسم إن ضمير شأن والجملة الشرطية بعدها خبرها وانما لم يجعل من اسمها لأنها شرطية بدليل جزمها الفعلين والشرط له الصدر فى جملته فلا يعمل فيه ماقبله

قال ابن السيد فى شرح أبيات الجمل : هذا البيت للأخطل وكان نصرانيا فلذلك ذكر الكنيسة وقال ابن هشام اللخمى فى شرحها : لم أجده فى ديوان الأخطل (أقول) : قد فتشت ديوان الأخطل من رواية السكرى فلم أظفر به فيه ولعله ثابت فى رواية أخرى ، ونسبه السيوطى فى شواهد المغنى إلى الأخطل وقال : وبعده :

مالت النفس بعدها إذ رأتها فهى ريح وصار جسمى هباء

ليت كانت كنيسة الروم إذ ذا ... ك علينا قطيفة وخباء

الكنيسة هنا متعبد النصارى وأصله متعبد اليهود معرب كنشت بالفارسية ، والجآذر جمع جؤذر وهو ولد البقرة — بضم الذال المعجمة — وحكى الكوفيون فتحها أيضا وسردوا ألفاظا كثيرة على فعلل بضم الاه ل وفتح الثالث : منها جؤذر وبرقع وطحلب وجخدب وضفدع ، والبصريون لايعرفون فيها إلا ضم الثالث ، والظباء الغزلان الواحد ظبية يقول : من يدخل الكنيسة يلق فيها أشباه الجآذر من أولاد النصارى وأشباه الظباء من نسائهم ، فكنى عن الصبيان بالجآذر وعن النساء بالظباء ، قال اللخمي: ويحتمل أن يريد الصور التي يصورونها فيها لأن كنائس الروم قل ان تخلو من الصور شبيهة بالجآذر والغزلان ، قال عمر بن أبي ربيعة :

دمية عند راهب ذي اجتهاد ... صوّروها بجانب المحراب

ويعني بالدمية الصورة ، والهباء الغبار الرقيق ، والقطيفة كساء ذو خمل

والأخطل هذا هو التغلبي الشاعر المشهور من الاراقم ، واسمه غياث من غوث بن الصلت بن طارقة وأنهى نسبته الآمدي في المؤتلف والمختلف إلى تغلب ، قال ابن قتيبة في أدب الكاتب : وسمي الأخطل من الخطل وهو استرخاء الأذنين ومنه قيل كلاب الصيد خطل ، قال شارحه ابن السيد : لاأعلم أحداً ذكر أن الأخطل كان طويل الاذنين مسترخيهما والمعروف أنه لقب الأخطل لبذاءته وسلاطة لسانه وذلك أن ابني جعيل احتكما إليه مع أمهما فقال :

لعمرك إنني وابني جعيل ... وأمهما لأستار لئيم

فقيل إنه لأخطل فلزمه هذا اللقب ، والاستار معرب جهار وهو أربعة من العدد بالفارسية ، وقال بعض الرواة وحكى نحو ذلك أبو الفرج الأصبهاني في الاغاني :إن السبب في تلقيبه بالأخطل أن كعب بن جعيل كان شاعر تغلب في وقته وكان لايلم برهط منهم إلا أكرموه وأعطوه فنزل على رهط الأخطل فأكرموه ، وجمعوا له غنما وحظروا عليها حظيرة فجاء الأخطل فأخرجها من الحظيرة وفرقها فخرج كعب وشتمه واستعان بقوم من تغلب فجمعوها له وردوها إلى الحظيرة فارتقب الأخطل غفلته ففرقها ثانية فغضب كعب وقال : كفوا عني هذا الغلام وإلا هجوتكم فقال له الأخطل :

إن هجوتنا هجوناك وكان الأخطل يومئذ يغرزم — والغرزمة أن يقول الشعر فى أول أمره قبل أن يستحكم طبعه وتقوى قريحته — فقال كعب: ومن يهجونى فقال: أنا فقال كعب:

ويل لهذا الوجه غب الحمه

فقال الأخطل: فناك كعب بن جعيل أمه

فقال كعب: إن غلامكم هذا لأخطل ولج الهجاء بينهما فقال الأخطل:

سميت كعبا بشر العظام وكان أبوك يسمى الْجُعَل

وأنتَ مكانك من وائل مكان القراد من است الجمل

ففزع كعب وقال: والله لقد هجوت نفسى بهذين البيتين وعلمت أن سأهجى بهما، وقيل: بل قال هجوت نفسى بالبيت الأول من هذين البيتين، وقيل: إن الأخطل اسمه غويث ويكنى أبا مالك ويلقب دوبلا أيضا، والدويل الحمار القصير الذنب، ويقال إن جريرا هو الذى لقبه بذلك بقوله:

بكي دوبل لا يرقىء الله دمعه ألا إنما يبكى من الذل دوبل

ومات على نصرانيته. وكان مقدما عند خلفاء بنى أمية لمدحه لهم وانقطاعه إليهم ومدح معاوية وابنه يزيد وهجا الأنصار رضى الله عنهم بسببه، فلعنه الله وأخزاه وخذله، وعمر عمرا طويلا إلى أن ذهب الى النار وبئس القرار، قال ابن رشيق فى العمدة: ومن الفحول المتأخرين الأخطل وبلغت به الحال فى الشعر إلى أن نادم عبد الملك بن مروان وأركبه ظهر جرير بن عطية الشاعر وهو مسلم تقى أمره بذلك عبد الملك بسبب شعر خايره فيه بين يديه وطول لسانه حتّى قال مجاهرا لعنة الله عليه لا يستتر فى الطعن على الدين والاستخفاف بالمسلمين.

ولست بصائم رمضان طوعا ولست بآكل لحم الاضاحي

ولست بزاجر عنسا بكور إلى بطحاء مكة للنجاح

ولست مناديا أبدا بليل كمثل العير حيّ على الفلاح

ولكنى سأشربها شمولا وأسجد عند منبلج الصباح

وقدرد على جرير أقبح رد وتناول من أعراض المسلمين وقبائل العرب وأشرافهم مالا ينجو من مثله علوى فضلا عن نصرانى

وعد الآمدى فى المؤتلف والمختلف من لقب الأخطل أربعة (أحدهم) هذا (والثانى)الأخطل الضبعى كان شاعراً وادعى النبوة وكان يقول : لمضر صدرالنبوة ولنا عجزها فأخذه ابن هبيرة فى دولة الأمويين فقال ألست القائل :

لنا شطر هذا الأمر قسمةعادل   متى جعل الله الرسالة ترتبا

ـــ أى راتبة دائمة فى واحد ـــ قال : وأنا القائل :

ومن عجب الأيام أنك حاكم   علىّ وأنّى فى يديك أسير

قال : أنشدنى شعرك قال : اعزب ويلك ، فأمر به فضربت عنقه (والثالث) الأخطل المجاشعي وهو الأخطل بن غالب أخو الفرزدق وكان شاعرا وإنما كسفه الفرزدق فذهب شعره (والرابع) الأخطل بن حماد بن الأخطل بن ربيعة بن النمر بن تولب

﴿ وأنشد بعده ﴾

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشه

تقدم شرحه فى الشاهد التاسع والأربعين

﴿ وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون ﴾

٧٩ قالت أمامة لما جئت زائرها   هلا رميت ببعض الأسهم السود

لادرّ درك إنى قد رميتهم   لولا حددت ولا عذرى لمحدود

على أنه ربما دخلت لولا على الفعلية كما هنا، أى لولا الحد وهو الحرمان وهذا البيت يرد مذهب الفراء القائل بأن مابعدلولا مرفوع بها فلوكانت عاملة للرفع لذكر بعدها هنا مرفوع فوجب كونها غيرعاملة لعدم مرفوع ، وهذا الذى نسبه الشارح المحقق إلى الفراء نسبه ابن الأنبارى فى الأنصاف وابن الشجرى فى أماليه إلى الكوفيين وذهب ابن الأنبارى إلى صحة مذهبهم وقال : الصحيح ماذهب إليه الكوفيون من أن لولا نائبة عن الفعل الذى لوظهر لرفع الاسم فأن التقدير فى لولا زيد لاكرمتك لو لم يمنعنى زيد من إكرامك لأكرمتك إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفا وزادوا لا على

لو فصارا بمنزلة حرف واحد، وأجاب عن البيت بأن لولا هنا هى لو الامتناعية ولا معها بمعنى لم لأن لا مع الماضى بمنزلة لم مع المستقبل فكأنه قال قد رميتهم لو لم أحد ، وهذا كقوله تعالى : « فلا اقتحم العقبة » أى لم يقتحمها اه

وقال يوسف بن السيرافى فى شرح شواهد الغريب المصنف لابى عبيد القاسم بن سلام : لولا لا يقع بعدها إلا الأسماء وتكون مبتدأة وتحذف أخبارها وجوبا وتقع بعدها أن المفتوحة المشددة وهى واسمها وخبرها فى تقدير اسم واحد ، فلما اضطر الشاعر حذف أن واسمها أى لو لا أنى حددت ، يقول : لولا أنى حرمت لقتلت القوم وهذا قبيح لأنه يجرى مجرى حذف الموصول وإبقاء الصلة ويجوز أن يكون شبه لولا بلو فأولاها الفعل أو شبه أن الشديدة بأن الخفيفة فأن الخفيفة قد تحذف كقوله :

أَلاَ أَيُّهذا الزَّاجِرى أَحْضُرَ الوغا

فلما استجازوا حذفها حذفوا الثقيلة لأنهما حرفا مصدر

وهذا الشعر للجموح أحد بنى ظفر من سليم بن منصور وبعدهما بيتان آخران وهما

إذهم كرجل الدبى لادر درهم   يغزون كل طوال المشى ممدود

فما تركت أبا بشر وصاحبه   حتى أحاط صريح الموت بالجيد

وروى هذه الأبيات الأربعة أبو تمام فى كتابه مختار أشعار القبائل لراشد بن عبد الله السلمى ، ونسبها ابن السيرافى وابن الشجرى للجموح كما ذكرنا ، وقال ابن السيرا فى : كان من خبر الجموح الظفري أنه بيت بنى لحيان وبنى سهم بن هذيل بواد يقال له ذات البشام وكان الجموح قد جمع جمعا من بني سليم وفيهم رجل يقودهم معه يكنى بأبى بشر فتحالف الجموح وأبو بشر على الموت ، وكان فى كنانة الجموح نبل معلمة بسواد حلف ليرمين بها جمع قبل رجعته فى عدوه فقتل أبو بشر وهزم أصحابه وأصابتهم بنو لحيان تلك الليلة وأعجز الجموح فقالت له امرأته وهى تلومه : هلا رميت تلك النبل التى كنت آليت لترمين بها ، و أمامة زوجته ، وروى « لما جئت طارقها » وروى

هلا رميت بباقى الأسهم السود

قال أبو حنيفة الدينورى فى كتاب النبات : وتتخذ السهام من القنا وقلما يرغب فيها أهل البوادى لأنها خفاف وإن كان مداها أبعد وقداح أهل البوادى غلاظ ثقال

عراض الحدائد ، فهى قوية إذا نشبت فى الصيد فعضها لم تتكسر وكانت جراحاتها واسعة لأنهم أصحاب صيد وحروب ،وسهام القناسود الألوان وإياها عنى الشاعر بقوله :

هلا رميت ببعض الأسهم السود

وقوله «لادر درك» أى فقلت لها لا كان فيك خير ولا أتيت بخير . يدعو عليها والكاف مكسورة ، وحددت ـ بالبناء للمفعول ـ أى حرمت ومنعت،قال ابن الانبارى فى شرح المفضليات : يقال حددته حدا إذا منعته وقد حد الرجل عن الرزق اذا منع منه وهو محدود وأنشد هذا البيت . يقول : قد رميت واجتهدت فى قتالهم ولكنى حرمت النصر عليهم ولا يقبل عذر المحروم ، وروى « لادر كسيك » وروى أبو تمام « لله درك » فيكون دعاء لها ، والعذرى ـ بضم العين والقصر ـ اسم بمعنى المعذرة قال فى الصحاح : عذرته فيما صنع أعذره عذرا وعذرا والاسم المعذرة والعذرى وأنشد هذا البيت ، والرجل ـ بكسر الراء وسكون الجيم ـ القطعة العظيمة من الجراد والدبى ـ بفتح الدال وبالموحدة وبالقصر ـ أصغر الجراد والطوال كغراب الطويل

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون ، وهو من شواهد سيبويه)

٨٠ وما ليْلُ الْمَطِيِّ بِنائِمِ

أصله: لقد لمتنايا أم غيلان بالسرى ونمت وما ليل المطى بنائم

على أن الزمان يسند إليه كثيرا مايقع فيه فأن النوم يقع فى الليل ، وقد أسند إليه مجازا عقليا كقول رؤبة

فنام ليلى وتجلّى همّى

فان قلت : إن الشاعر قد نفى النوم عن الليل فكيف ذلك مع قول الشارح بأن النوم قد أسند الى الليل ، قلت : النفى فرع الاثبات وقد أورده سيبويه على أن وصف الليل بأنه غير نائم على طريق الاتساع والليل لاينام ولا يوصف بأنه غير نائم لأنه ليس من الحيوان وكان حقه ينام فيه ، وأراد وماليل أصحاب المطى فحذف وأراد بأصحاب المطى من يركب ويسافر فلا ينبغى أن ينام من أول الليل إلى آخره

وأم غيلان قال ابن خلف : هى بنت جرير يقول لمتنا فى تركنا النوم واشتغالنا

بالسرى ، والمطى جمع مطية وهى الراحلة التى يمتطى ظهرها أى يركب والسرى سير الليل

وهذا البيت من قصيدة لجرير يرد بها على الفرزدق مطلعها :

لا خير فى مستعجلات الملاوم ولا فى حبيب وصله غير دائم
تركت الصبا من رهبة أن يهيجنى بتوضيح رَسْم المنزل المتقادم
وقال صحابى : ماله؟ قلت: حاجة تَهيجُ صدوعَ القلب بين الحيازم
تقول لنا سلمى: من القوم؟ أن رأت وجوها عتاقا لُوِّحَتْ بالسمائم

لقد لمتنا يا أم غيلان بالسرى « البيت »

والملاوم جمع ملامة ، والمستعجلات ـ بكسر الجيم ـ والحيازم جمع حيزوم، وهو وسط الصدر وقوله « من القوم » بالاستفهام وأن رأت بفتح همزة أن ، ولوحت بالبناء للمفعول مبالغة لاحه السفر أى غيره والسمائم جمع سموم وهي الريح الحارة مؤنثة ، وقوله « لقد لمتنا الخ » أى قلت لها

وترجمة جرير قد تقدمت فى الشاهد الرابع

اسم ما ولا المشبهين بليس

(أنشد فيه ،وهو الشاهد الحادى والثمانون وهو من أبيات سيبويه)

٨١ مَنْ صَدّ عنْ نيرانها فأنا ابن قَيْس لا بَراحُ

على أن لا تعمل عمل ليس شذوذا ، وأنشده سيبويه أيضا على إجراء لا مجرى ليس فى بعض اللغات فبراح اسمها والخبر محذوف أى لى ، قال ابن خلف : ويجوز رفع براح بالابتداء على أن الاحسن حينئذ تكرير لا كقوله تعالى « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وقال المبرد كما نقله النحاس : لا أرى بأسا أن تقول لا رجل فى الدار فى غير ضرورة وكذا لا زيد فى الدار فى جواب هل زيد فى الدار ، وقوله فانا ابن قيس أى أنا المشهور فى النجدة كما سمعت ، وأضاف نفسه الى جده الاعلى لشهرته به ، وجملة

لابراح لى حال مؤكدة لقوله أنا ابن قيس كانه قال أنا ابن قيس ثابتا فى الحرب وإتيان الحال بعد أنا ابن فلان كثير كقوله :

أنا ابْنُ دَارَةَ مَشْهُوراً بِها نَسَبِى

وقيل : الجملة فى محل رفع خبر بعد خبر ، وقيل تقرير للجملة التي قبلها . ويجوز نصب ابن قيس على الاختصاص فيتعين جملة لابراح لى كونها خبرا لانا . وهو أفخر وأمدح قال الامام المرزوقى فى قوله :

إنَّا بنى نَهْشَلٍ لا نَدَّعِى لِأَبٍ

الفرق بين أن تنصب بنى نهشل على الاختصاص وبين أن ترفع على الخبرية هو أنه لو جعله خبراً لكان قصده إلى تعريف نفسه عند المخاطب وكان فعله لذلك لايخلو عن خمول فيهم وجهل من المخاطب بشأنهم وإذا نصب أمن من ذلك فقال مفتخرا أنا أذكر من لايخفى شأنه لانه يفعل كذا وكذا اه والبراح ـ بفتح الموحدة ـ مصدر برح الشيء براحا ــ من باب تعب ــ اذا زال من مكانه

وهذا البيت من قصيدة مذكورة فى الحماسة هى خمسة عشر بيتا لسعد بن مالك وأولها : ـــ

يا بُؤْسَ لِلحَرْبِ التَّى وَضَعَتْ أَرَاهِطَ فاسْتَرَاحُوا

وهو من أبيات مغنى اللبيب ، أورده على أن الاصل يابؤس الحرب فاقحمت اللام بين المتضايفين تقوية للاختصاص ثم قال : وهل انجرار مابعدها بها أو بالمضاف ؟ قولان أرجحهما الأول لأن الجار أقرب ولأنه لايعلق ، وفى أمالى ابن الشجرى قال المبرد : من قال يابؤسا لزيد جعل النداء بمعنى الدعاء على المذكور ، ومثله

يابؤس للحرب « البيت »

كانه دعاء على الحرب وأراد يابؤس الحرب فزاد اللام ، ويجوز عندى أن يكون من قبيل الشبيه بالمضاف نحو « لامانع لما أعطيت » ولم أر من جوزه فيه ، ويجوز أن يكون المنادى محذوفا وبؤس منصوبا على الذم واللام مقحمة أوحذف التنوين للضرورة أى ياقوم أذم شدة الحرب ومعنى « وضعت أراهط » حطتهم وأسقطتهم فلم يكن لهم

ذكر شرف فى هذه الحرب فاستراحوا من مكابدتها كالنساء وفيه حذف مضاف أى وضعت ذكر أراهط وهو جمع أرهط جمع رهط وهو النفر من ثلاثة إلى عشرة وقد جاء أرهط مستعملا قال رؤبة :

وهْوَ الذليل نَفراً فى أَرْهُطِهْ

وزعم أكثر النحويين أن أراهط جمع رهط على خلاف القياس (١) وروى برفع أراهط فالمفعول محذوف أى وضعتها أراهط ، والاول أنسب فان هذا الشعر قاله سعد فى حرب البسوس حين هاجت الحرب بين بكر وتغلب لقتل كليب واعتزل الحرث ابن عباد وقال هذا أمر لاناقتى فيها ولا جملى فعرض سعد فى هذا الشعر بقعود الحرث ابن عباد عن الحرب كما يأتى بيانه، وزعم الدمامينى فى الحاشية الهندية أن الوضع هنا معناه الاهلاك وذلك لعدم وقوفه على منشأ هذا الشعر و بعد هذا البيت:

والحرب لايبقى لجا حمها التخيل والمراح

إلا الفتى الصبّار فى النجدات والفرس الوَقاح

وهما من أبيات سيبويه ، أوردهما على أن الفتى وما بعده بدل من التخيل والمراح على الاتساع والمجاز . ولذلك أوردها الشارح أيضا فى باب المستثنى ، وذلك أنه استثناء منقطع كقولك « ما فيها أحد إلا حمار » فرفع على لغة بنى تميم ، ولا يخفى أن هذا البدل ليس بدل بعض كما هو شأنه ، ولهذا قال سيبويه على الاتساع والمجاز ، ثم أقول هذا بناء على الظاهر وان اعتبر حذف مضاف أى ذو التخيل فالاستثناء متصل ويختار فيه الابدال والجاحم ـ بتقديم الجيم على الحاء المهملة ـ المكان الشديد الحر من جحمت النار فهى

---

(١) وقال أبو البقاء ابن يعيش فى شرح المفصل : « وليس القياس فى رهط أن يجمع على أراهط لان هذا البناء من جموع الرباعي وما كان على عدته من نحو جعفر وجعافر وجدول وجداول ورهط ثلاثى فلا يجمع عليه فكانهم حين قالوا أراهط جمعوا أرهطا فى معنى رهط وان لم يستعمل وليس أرهط بجمع رهط إذ لو كان كذلك لم يكن شاذا ويدل على ذلك أن الشاعر قد جاء به لما احتاج اليه قال :

وفاضح مفتضح فى أرهطه من أرفع الوادى ولامن بعثطه

جاحمة إذا اضطربت ومنه الجحيم ، والتخيل التكبر من الخيلاء ، يقول : إنها تزيل نخوة المنخو وذلك أن أولى الغني يتكرمون عن الخيلاء ويختال المتشبع فاذا جرب فلم يحمد افتضح وسقط والمراح - بكسر الميم - النشاط أى أنها تكف حدة البطر النشيط وهذا تعريض بالحرث بن عباد بأنه صاحب خيلاء ومراح والصبار مبالغة، والصابر والنجدة الشدة والبأس فى الحرب، والوقاح بفتح الواو الفرس الذى حافره صلب شديد ومنه الوقاحة وقال بعدهما بابيات :

بِئْسَ الخَلاَئِف بعْدَنَا أولادُ يَشكر واللَّقاح

منْ صَدَّ عَنْ نيرَانهَا «البيت»

الموت غَايَتُنَا فلا قصْر ولاعنه جِماح

وكأنما ورد المنية عندنا ماء وراح

وهذا آخر القصيدة ، أى اذا ذهبنا وبقيت يشكر وحنيفة فبئس الخلائف هم منا لا يحمون حريما ، ولا يأبون ضيما ، وكانت حنيفة تلقب اللقاح لأنهم لم يدينوا لملك يقال حى لقاح بفتح اللام إذا لم يكن فى طاعة ملك . وقال بعض شراح الحماسة : إنه بكسر اللام جمع لقحة أي اذا خلفنا من لا دفاع به من الرجال والأموال فبئس الخلائف بعدنا ، جعل أولاد يشكر كاللقاح وهى الابل التى بها لبن فى احتياجها إلى من يذب عنها ، وهذا ليس بالوجه ،وإنما مراده ذم الحيين لقعودهما عن بكر فى حربهم ، والقصر بسكون الصاد الحبس ، والجماح بكسر الجيم مصدر جمح إذا انفلت وهرب يريد لا يمكن حبس نفس عن الموت ولا مهرب عنه ، والمورد الورود وهو دخول الماء وقيل حضوره وإن لم تدخله

وهذه القصيدة قالها سعد يعرض بالحرث بن عباد لقعوده عن الحرب وذلك أن جساسا البكرى لما قتل كليبا التغلبي هاجت الحرب بين بكر وتغلب ابنى وائل وهى حرب البسوس ، واعتزلها الحرث بن عباد عن هذه الحرب فعرض به سعد كما قلنا ، قال أبو رياش فى شرح الحماسة كان الحرث بن عباد بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة من حكام ربيعة وفرسانها المعدودين ، وكان اعتزل حرب بنى وائل وتنحى بأهله وولده وولد اخوته وأقاربه وحل وترقوسه ونزع سنان رمحه ولم يزل معتزلا ، حتى إذا كان فى آخر

وقائعهم خرج ابن أخيه بجير بن عمرو بن عباد فى أثر إبل له ندت يطلبها فعرض له مهلهل فى جماعة يطلبون غرة بكر بن وائل ، فقال لمهلهل امرؤ القيس بن أبان بن كعب ابن زهير بن جشم - وكان من أشراف بنى تغلب وكان على مقدمتهم زمانا طويلا: لا تفعل فو الله لئن قتلته ليقتلن به منكم كبش لا يسئل عن خاله من هو، واياك ان تحقر البغي فان عاقبته وخيمة . وقد اعتزلنا عمه وأبوه وأهل بيته وقومه . فأبى مهلهل إلا قتله فطعنه بالرمح وقتله . وقال « بؤ بشسع نعل كليب » يقال أبأت فلانا بفلان فباء به إذا قتله به ولا يكاد يستعمل هذا الا و الثانى كفء للاول. فبلغ فعل مهلهل عم بجير . وكان من أحلم أهل زمانه و أشدهم بأسا فقال الحرث نعم القتيل قتيل أصلح بين ابنى وائل ، فقيل له: إنما قتله بشسع نعل كليب فلم يقبل ذلك وأرسل الحرث إلى مهلهل إن كنت قتلت بجيرا بكليب و انقطعت الحرب بينكم و بين إخوانكم فقد طابت نفسي بذلك ، فارسل اليه مهلهل انما قتلته بشسع نعل كليب فغضب الحرث و دعا بفرسه وكانت تسمى النعامة فجز ناصيتها و هلب ذنبها وهو أول من فعل ذلك بالخيل وقال

قَرّبا مرْبط النعامةِ مِنى لقحت حرب وائل عن حيال
لا بجير أغنى قتيلا ولا ره ط كليب تزاجروا عن ضلال
لم أكن من جناتها علم الا ه و إنى لحرها اليوم صالى
قربا مربط النعامة منى إن قتل الغلام بالشسع غالى

ولقحت حملت . والحيال أن يضرب الفحل الناقة فلا تحمل، وهذا مثل ضربه لأن الناقة إذا حالت وضربها الفحل كان أسرع للقاحها، وإنما يعظم أمر الحرب لما تولد منها من الامور التي لم تكن تحتسب . ثم ارتحل الحرث مع قومه حتى نزل مع جماعة بكر بن وائل وعليهم يومئذ الحرث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة فقال الحرث بن عباد له : إن القوم مستقلون قومك وذلك زادهم جراءة عليكم فقاتلهم بالنساء ، قال له الحرث بن همام: وكيف قتال النساء قال قلد كل امرأة أداوة من ماء وأعطها هراوة واجعل جمعهن من ورائكم فان ذلكم يزيدكم اجتهادا و علموا بعلامات يعرفنها فاذا مرت امرأة على صريع منكم عرفته بعلامته فسقته من الماء ونعشته ، و إذا مرت على رجل من غيركم ضربته بالهراوة فقتلته وأتت عليه . فأطاعوه وحلقت بنو بكر يومئذ رؤسها استبسالا للموت

وجعلوا ذلك علامة بينهم و بين نسائهم واقتتل الفرسان قتالا شديدا وانهزمت بنو تغلب ولحقت بالظعن بقية يومها وليلتها وأتبعهم سرعان بكر بن وائل . وتخلف الحرث ابن عباد فقال لسعد بن مالك القائل :

يَا بُؤسَ للحرب التى وضعت أراهط فاستراحوا

أترانى ممن وضعته، قال : لا ولكن « لا مخبأ لعطر بعد عروس» ومعناه إن لم تنصر قومك الآن فلن تدخر نصرك

وسعد هو سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على ابن بكر بن وائل ، قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف :كان سعد هذا أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها فى الجاهلية وكان شاعرا وله أشعار جياد فى كتاب بنى قيس بن ثعلبة قال : وشاعر آخر اسمه سعد بن مالك بن الاقيصر القريعى أحد بنى قريع بن سلامان ابن مفرج وكان فارساً شاعرا

(المنصوبات)

﴿ أنشد فى المفعول المطلق . وهو الشاهد الثانى والثمانون و هو من شواهد سيبويه ﴾

٨٢ هَذا سُراقة لِلقرآن يَدْرُسُهُ والمرء عند الرُّشاإنْ يَلْقَها ذِيبُ

على أن الضمير فى يدرسه راجع الى مضمون يدرس أى يدرس الدرس . فيكون راجعا للمصدر المدلول عليه بالفعل ؛ وإنما لم يجزعوده للقرآن لئلا يلزم تعدى العامل إلى الضمير وظاهره معا واستشهد به أبو حيان فى شرح التسهيل على أن ضمير المصدر قد يجىء مرادا به التأكيد وأن ذلك لا يختص بالمصدر الظاهر على الصحيح ، وأورده سيبويه على أن تقديره عنده « والمرء عند الرشاذيب إن يلقها » وتقديره عند المبرد « إن يلقها فهو ذيب »

وهذا من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يقف على قائلها أحد ، قال الاعلم : هجا هذا الشاعر رجلا من القراء نسب اليه الرياء وقبول الرشا والحرص عليها ، وكذلك أورده ابن السراج فى الاصول وزعم الدماميني فى الحاشية الهندية أن هذا البيت من المدح لا من الهجاء ، وظن أن سراقة هو سراقة بن جعشم الصحابى ، مع أنه فى البيت غير

معلوم من هو : وحرف فيه تحريفات ثلاثة (الاول) أن الرشا بضم الراء والقصر جمع رشوة فقال هو بكسر الراء مع المد الحبل وقصره للضرورة وأنثه على معنى الآلة وكلامه هذا على حدزناه وحده (والثانى) أن قوله يلقها — بفتح الياء — من اللقى وهو ضبطه بضم الياء من الالقاء . (والثالث) أن قوله ذيب — بكسر الذال و بالهمزة المبدلة ياء — وهو الحيوان المعروف . وهو صحفه ذنبا بفتح الذال والنون . وقال : قوله عند الرشا متعلق بذنب لما فيه من معنى التأخر . والمعنى إن يلق انسان الرشا فهو متأخر عند إلقائها يريد أن سراقة درس القرآن فتقدم والمرء متأخر عند اشتغاله بما لا يهم كمن امتهن نفسه فى السقى و إلقاء الارشية فى الآبار . وهذا كلامه وتبعه فيه الشمنى فاعتبروا ياأولى الابصار

﴿ وأنشد بعده وهو الشاهد الثالث والثمانون وهو من شواهد سيبويه ﴾

٨٣ دَارٌ لِسعدى إذهِ من هَوَاكَا

على أن المصدر بمعنى اسم المفعول أى من مهويك وبهذا المعنى أورده أيضا فى باب المصدر فان الهوى — بالقصر — مصدر هويته — من باب تعب — إذا أحببته وعلقت به . وأنشده أيضا فى باب الضمير على أن الياء قد تحذف ضرورة من هي إذ أصله أذهي من هواكا ولهذا الوجه أورده سيبويه

قال الاعلم : سكن الياء أولا ضرورة ثم حذفها ضرورة أخرى بعد الاسكان تشبيها لها بعد سكونها بالياء اللاحقة فى ضمير الغائب إذا سكن ماقبله . والواو اللاحقة له فى هذه الحال نحو عليه ولديه ومنه وعليه ومثله للنحاس قال : والذى أحفظه عن ابن كيسان أن هذا على مذهب من قال هى جالسة باسكان الياء وهذا قول حسن اه وهذه الياء من نسيج الكلمة وحذفها أقبح من حذف الياء فى قوله

ماُجعَلُ عينيه لِنفسِه مقنعا

لان الياء التى تتبع الهاء فى نفسه ليست من بنية الضمير قال المبرد : حذف الياء من قوله لنفسه لانها زائدة زيدت لخفاء الهاء وكذلك الواو وإنك تقف بغير ياء ولا واو ، فلما اضطر حذفهما فى الوصل كما يحذفان فى الوقف ودل عليهما مابقى من حركة كل

واحد منهما، وقال أبو الحسن الاخفش: حذف الياء لان الاسم إنما هو الهاء فرده الى أصله وحرف اللين اللاحق لها زائد

وقوله «دار لسعدى» خبر لمبتدأ محذوف أى هذه، وقدره ابن خلف فى دار أو هو دار، وإذ عامله الظرف قبله قال الاعلم: وصف دارا خلت من سعدى هذه المرأة وبعد عهدها بها فتغيرت بعدها وذكر أنها كانت لها دارا ومستقرا اذ كانت مقيمة بها فكان يهواها باقامتها فيها

وهذا البيت أيضا من الابيات الخمسين التى لم يعلم قائلها ولا يعرف له ضميمة ورأيت فى حاشية اللباب أن ماقبله:

هل تعرف الدار على تبراكا

بكسر التاء المثناة وهو موضع قال أبو عبيدة فى معجم مااستعجم: تبراك بكسر التاء موضع فى ديار بنى فقعس.

﴿وأنشد بعده وهو الشاهد الرابع والثمانون﴾

٨٤ إذا الدَّاعِي المُثَوِّبُ قَالَ يَالاَ

وصدره:

فخير نحن عند البأس منكم

على أن اللام خلطت بيا، أراد أنه خلطت لام الاستغاثة الجارة بيا حرف النداء وجعلتا كالكلمة الواحدة وحكيتا كما تحكى الاصوات وصار المجموع شعارا للاستغاثة

قال أبو زيد فى نوادره: أراد يا لبنى فلان يريد حكاية الصارخ المستغيث وهذا مذهب أبى على أيضا واتباعه والاصل عندهم يا لبنى فلان أو يالفلان فحذف مابعد لام الاستغاثة كما يقال ألاتا فيقال ألافا يريدون ألاتفعلوا وألا فافعلوا وهذا أحد مذاهب ثلاثة فيه، (ثانيها) أن المنادى والمنفى بلا محذوفان أى ياقوم لاتغدوا ذكره ابن مالك فى شرح التسهيل وابن هشام فى المغنى (ثالثها) أنه بقية يا آل زيد وهو مذهب الكوفيين قالوا فى يالزيد أصله يا آل زيد فحذفت همزة آل للتخفيف واحدى الالفين لالتقاء الساكنين، واستدلوا بهذا البيت، وقالوا لو كانت اللام جارة لما جاز الاقتصار عليها قال الشارح المحقق: وهو ضعيف لانه يقال ذلك فيما لا آل له نحو يالله ويا للدواهى

ونحوهما، وأجاب ابن جنى فى الخصائص عن دليلهم بقوله: فان قلت كيف جاز تعليق حرف الجر ؟ قلت: لما خلط بياصار كالجزء منها ولذلك شبه أبو على ألفه التى قبل اللام بألف باب ودار فحكم عليها بالانقلاب وحسن الحال أيضا شىء آخر وهو تثبت الجارة بألف الاطلاق فصارت كأنها معاقبة للمجرور، ألا ترى أنك لو أظهرت ذلك المضاف اليه وقلت يالبنى فلان لم يجز إلحاق الألف هنا فى منابها عما كان ينبغى أن يكون بمكانها مجرى ألف الاطلاق فى منابها عن تاء التأنيث فى نحو قوله : —

ولاعب بالعَشِىِّ بنى بنيه كفعل الهر يحترش القطايا

وكذلك نابت واو الاطلاق فى قوله :

وما كُلُّ مَنْ وافَى مِنى أنا عارِف

فيمن رفع كلا عن الضمير الذى يراد فى عارف ، وكما ناسب التنوين فى نحو يومئذ وقال فى موضع آخر من الخصائص : وسألنى أبو على عن ألف يامن قوله « يالا » فى هذا البيت فقال : أمنقلبة هى ؛ قلت لالأنها فى حرف فقال بل هى منقلبة فاستدللته على ذلك ، فاعتصم بأنها قد خلطت باللام بعدها ووقعت عليها فصارت اللام كأنها جزء منها فصارت يال بمنزلة قال ، والألف فى موضع العين وهى مجهولة فينبغى أن يحكم بالانقلاب عن الواو ؛ وهذا أجمل ماقاله ولله هو وعليه رحمته ، فما كان أقوى قياسه ، وأشد بهذا العلم اللطيف الشريف إيناسه ، وكأنه إنما كان مخلوقا له . وكيف لايكون كذلك وقد أقام على هذه الطريقة مع جلة أصحابها وأعيان شيوخها سبعين سنة زائحة علله ساقطة منه كلفه لايعتاقه عنه ولد ولايعارضه فيه متجر ولايسوم به مطلبا ولايخدم به النساء الا بآخرة . وقال وقد حط من أثقاله وألقى عصا ترحاله : ثم إنى لاأقول إلا حقا إنى لأعجب من نفسى فى وقتى هذا كيف تطوع لى بمسئلة أو كيف تطمح بى الى انتزاع علة مع ماالحال به من علق الوقت وأشجانه وتداويه وخلج أشطانه ولولا مساورة الفكر واكتداره لكنت عن هذا الشأن بمعزل ،وبأمر سواه على شغل اه ولله دره فكأنما رمى عن قوسى وتكلم عن نفسى والله المشكور فى كل حال وهو غنى علمه عن السؤال

وقوله :

نَحْنُ بِخَيْرٍ نحن عند البأس منكم

قدتكلم الناس على اعرابه قديما وحديثا لاسيما أبو على الفارسى فانه تكلم عليه فى أكثر كتبه ، قال فى التذكرة القصرية: سألت هذا البيت ابن الخياط والمعمرى فلم يجيبا إلا بعد مدة قالا لايخلو من أن يكون نحن ارتفع بخير أو بالابتداء ويكون خير الخبر أو يكون تأكيدا للضمير الذى فى خير والمبتدا محذوف أى نحن خير لاجائز أن يرتفع بخير لأن خيراً لا يرفع المظهر البتة ، ولا مبتدأ للزوم الفصل بالأجنبي بين أفعل وبين من وهو غير جائز ، فثبت أن نحن تأكيد للضمير فى خير ، وقد أجمل كلامه هنا وفصله فى المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات ، و بعد أن منع كون نحن مبتدأ وخير خبره قال : عندي فيه قولان

أحدهما أن يكون قوله خير خبر مبتدأ محذوف تقديره نحن خير عند الباس منكم، فنحن على هذا فى البيت ليس بمبتدأ لكنه تأكيد لما فى خير من ضمير المبتدأ المحذوف، وحسن هذا التأكيد لأنه حذف المبتدأ من اللفظ ولم يقع الفصل بشىء أجنبى بل بما هو منه ، وقد وقع الفصل بالفاعل بين الصلة وموصولها فى نحو قولهم « مامن أيام أحب إلى الله فيها الصوم منه فى عشر ذى الحجة » وكان ذلك حسنا سائغا فاذا ساغ كان التأكيد أسوغ لأنه قد يحسن حيث لايحسن غيره من الاسماء . وقال فى الايضاح الشعرى فى هذا الوجه بعد أن قال : ونحن الظاهر تأكيد للضمير الذى فى خير على المعنى كان ينبغى أن يكون على لفظ الغيبة ولكن جاء به على الاصل نحو « نحن فعلنا » ويدلك على أنه كان ينبغى أن يجىء على لفظ الغيبة أن أبا عثمان قال فى الاخبار عن الضمير الذى فى منطلق من قوله أنت منطلق إذا أخبرت عن الضمير الذى فى منطلق من قولك أنت منطلق لم يجز ، لأنك تجعل مكانه ضميرا يرجع إلى الذى ولا يرجع الى المخاطب ، فيصير المخاطب مبتدأ ليس فى خبره مايرجع إليه فهذا من قوله يدل على أن الضمير وان كان للمخاطب فى أنت منطلق فهو على لفظ الغيبة ، ولولا ذلك لم يصلح أن يرجع إلى الذى ، على أن هذا من كلامهم مثل أنتم تذهبون ، واسم الفاعل أشبه بالمضارع منه بالماضى ، فلذلك جعله مثله ولم يجعله مثل الماضى فى أنتم فعلتم اه

ثم قال فى البغداديات (القول الثانى) أن يجعل خير صفة مقدمة يقدر ارتفاع نحن به كما يجيز أبو الحسن فى قائم الزيدان إن ارتفاع الزيدان بقائم فلا يقع على هذا أيضا

فصل بشىء يكره ولا يجوز لأن نحن على هذا مرتفع بخير إلا أن ذا قبيح لأن خيرا وبابه لايعمل عمل الفعل إذا جرى على موصوفه وأعماله فى الظاهر مبتدأ غير جار على شىء أقبح وأشد امتناعا ، والوجه الأول حسن سائغ

قال فى الايضاح : فاذا جاز ذلك فيما ذكرناه أى الوجه الاول لم يكن فيما حمل أبوالحسن عليه البيت من الظاهر دلالة على إجازة نحو « الخليفة أحب اليه يحي من جعفر » حتي يقول الخليفة يحي أحب اليه من جعفر أو أحب اليه من جعفر يحي على ما أجازه سيبويه فى مارأيت رجلا أحسن فى عينه الكحل منه فى عين زيد فلا يفصل بينهما بما هو أجنبي منهما اه

ثم قال فى البغداديات : فان قال قائل أيجوز أن يكون فخير خبرا مقدما لما بعده وهو نحن ويكون منكم غير صلة ولكنها ظرف كقوله :

ولست بالأكثر منهم حصا

وتقديره ولست بالأكثر فيهم لا على حد هو أفضل من زيد ألا ترى أن الالف واللام تعاقب من هنا ، فالجواب أنه بعيد وليس المعنى عليه إنما يريد نحن خير منكم وإن الفزع الينا والاستغاثة بنا نسد ما لا تسدون ، ونمنع من الثغور ما لا تمنعون ألا ترى ان ما بعد هذا البيت :

ولم تثق العواتق من غيور بغيرته وخلين الحجالا

وقوله « عند البأس » العامل فيه خير ولا يجوز أن يكون متعلقا بالمبتدأ المحذوف على أن يكون التقدير : فنحن خير عند الباس منكم ، يريد نحن عند الباس خير منكم لانك إن نزلته هذا التنزيل فصلت بين الصلة والموصول بما هو أجنبي منهما ومتعلق بغيرهما وإذا قدرت اتصاله بخير لم يكن فصل كما لم يكن فصل بفيها من قولك « أحب الى الله عز وجل فيها الصوم » اه

والبأس بالموحدة لا بالنون وهو الشدة والقوة ، والداعى من دعوت زيدا اذا ناديته وطلبت اقباله ، والمثوب اسم فاعل من ثوب قال أبو زيد : هو الذى يدعو الناس يستنصرهم والاصل فيه أن المستغيث اذا كان بعيدا يتعرى ويلوح بثوبه رافعا صوته ليرى فيغاث ووثق منه وبه اطمأن اليه وقوى قلبه وجملة « لم تثق » معطوفة على مدخول إذا ، وكذلك جملة « خلين الحجالا » ، والعواتق جمع عاتق وهى التى خرجت عن خدمة أبويها وعن أن يملكها الزوج ، والغيور من

غار الرجل على حريمه يغار — من باب تعب — غيرة — بالفتح — فهو غيور. وغيران وهي غيور أيضا وغيري، وخلين متعدى خلا المنزل من أهله يخلو خلوا وخلاء فهو خال وصحفه بعضهم بالحاء المهملة و بالبناء للمجهول على أنه من التحلية وهو التزيين، والحجال — بكسر الحاء المهملة — جمع حجلة بالتحريك وهو بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار كذا فى النهاية وزاد فى القاموس أنه للعروس وأخطأ بعضهم حيث قال هو جمع حجل بمعنى الخلخال وهذا لايناسب المقام مع أنه لايجمع على حجال وانما يجمع على حجول وأحجال يريد أنهن فى يوم فزع أو غارة لايثقن بان يحميهن الازواج والآباء والاخوة فنحن عندهن أوثق منكم

وهذان البيتان نسبهما أبو زيد فى نوادره لزهير بن مسعود الضبي

(وأنشد بعده وهو الشاهد الخامس والثمانون وهو من أبيات سيبويه)

٨٥ عَمَّرْتُكِ اللهَ إلّا مَا ذَكَرْتِ لنا   هل كُنْتِ جارتنا أيام ذى سَلَمِ

على أن قولهم عمرك الله له فعل كما فى هذا البيت

وعمرتك بتشديد الميم وضم التاء وكسر الكاف وكذلك استدل به سيبويه على أن عمرك وضع بدلا من اللفظ بالفعل فلزمه النصب بذكر الفعل مجردا فى البيت

قال الاعلم وتبعه ابن خلف : معنى عمرتك الله ذكرتك الله وأصله من عمارة الموضع فكأنه جعل تذكيره عمارة لقلبه، فعمرك الله مصدر عند سيبويه وتقديره إن معنى عمرك عمرتك الله أى سألت الله عمرك وإذا وضح أن عمرك بمعنى عمرتك وجب أن يكون مصدرا وقد ثبت أنهم يقولون عمرك الله وعمرتك الله بمعنى فيكون اسم الله منصوبا بعمرك على قول وبالفعل المقدر على قول وفيه معنى السؤال وقيل منصوب بفعل مقدر أى سألت الله عمرك أى بقاءك والفرق بينه وبين قول سيبويه وان كان بمعنى سألت الله تعالى بقاءك أن عمرك على مذهب سيبويه بمعنى عمرتك الملتزم حذفه وهو الناصب له واسم الله المفعول الثانى، وعلى القول الآخر ان عمرك واسم الله مفعولان لسألت المقدر

وروى الشارح عن الأخفش إجازة رفع الجلالة على أنه فاعل، ونسبه أبو حيان فى الارتشاف الى ابن الاعرابى، وروى عن الاخفش أن أصله عنده بتعميرك الله

حذف زوائد المصدر والفعل والباء فانتصب ما كان مجرورا بها ويدل لما قاله الاخفش وانه ليس منصوبا على اضمار فعل ادخال باء الجر عليه قال :

بعمرك هل رَأَيْتَ لَها سميا

قال أبو حيان: والذى يكون بعد نشدتك الله وعمرتك الله أحد ستة اشياء استفهام وأمر ونهى وان والا ولما بمعنى إلا كقوله «عمرتك الله الا ماذكرت لنا» اذا كان الا أوما فى معناها فالفعل قبلها فى صورة الموجب وهو منفى فى المعنى والمعنى ما أسألك إلا كذا فالمثبت لفظا منفى معنى ليتأتى التفريغ

قال الدمامينى فى شرح التسهيل : فان قلت تأويل الفعل بالمصدر بدون سابك ليس قياسا فيلزم الشذوذ كتسمع بالمعيدى أى سماعك وادعاء الشذوذ هنا غير متأت لاطراد مثل هذا التركيب وفصاحته ، قلت: لانسلم أن التأويل بدون حرف مصدر شاذ مطلقا وإنما يكون شاذا إذا لم يطرد فى باب اما اذا اطرد فى باب واستمر فيه فانه لا يكون شاذاً كالجملة التى يضاف اليها اسم الزمان مثلا نحو جئتك حين ركب الامير أى حين ركوبه

وضبط أبو على الفارسى كما نقل ابن خلف عنه أن ألا فى هذا البيت بفتح الهمزة فيكون أصله هلا نقل صاحب التلخيص عن الكسائى أن هلا وألا بقلب الهاء همزة ولولا ولوما للتنديم فى الماضى وللتحضيض فى المستقبل فالاول نحو هلا أكرمت زيدا على معنى ليتك أكرمته قصدا إلى جعله نادما على ترك الاكرام ، والثانى نحو هلا تقوم على معنى ليتك تقوم قصدا الى حثه على القيام ، ومع هذا فلا يخلو من ضرب من التوبيخ واللوم على ما كان يجب أن يفعله المخاطب قبل أن يطلب منه وما زائدة ، وهذه الجملة جواب عمرتك الله وهو قسم سؤالى وجملة « هل كنت جارتنا الخ» فى موضع المفعول لذكرت معلق عنه بالاستفهام والأصل هلا ذكرت لنا جواب هذا السؤال ، وجملة عمرتك الله الى آخر البيت فى محل نصب على أنها مقولة لقوله فى البيت السابق وهو :

إذ كدت اذكر من سلمى فقلت لها لمّا التقينا وما بالعهد من قدم

وذو سلم موضع عند جبل قريب من المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

والبيتان من قصيدة للاحوص الأنصاري وأنشد سيبويه بيتا آخر مثل هذا البيت لعمرو بن أحمر الباهلي وهو:

عَمَّرتك الله الجليل فأنني ألوى عليك لو أن لبك يهتدى

ألوى عليك أعطف عليك ، وقوله « لوان لبك يهتدى » أي لوان قلبك يقبل النصيحة عبر عنه باللب لانه محله وجواب القسم السؤالى فى بيت بعده وهو:

هَلْ لاَ مَنَى من صاحب صاحبته من حاسر أو دارع أو مرتدى

واعلم أن عمرتك الله فى البيتين بتشديد الميم كما يدل عليه كلام سيبويه المنقول فى كلام الشارح وهو قوله : والاصل عند سيبويه عمرتك الله تعميرا الخ ، ومثله فى العباب للصاغانى وقولهم : عمرتك الله أى سألت الله تعميرك وانشد البيت الاول ثم قال وقال جل ذكره «أو لم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر » ويجوز عندى أن يكون قولهم : عمرك الله مصدر الفعل ثلاثى وهو فلان يعمر -من باب نصر- أى يعبده بالصلاة والصوم ونحوهما وفلان عمار أى كثير الصلاة والصوم فيكون منصوبا على نزع الباء القسمية ومضافا إلى فاعله أى بعبادتك الله ولم أر من شرحه على هذا الوجه

والأحوص من الحوص بمهملتين وهو ضيق فى مؤخر العين وقيل فى أحد العينين ، وهو الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت يسمى حمى الدبر أى محميا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه فى بعث فقتله المشركون وأرادوا أن يصلبوه ويمثلوا به فحمته الدبرة وهى النحل فلم يقدروا عليه والأحوص مقدم عند أهل الحجاز وأكثر الرواة لولا أفعاله الدنيئة لانه أسمحهم طبعا وأسلسهم كلاما وأصحهم معنى ولشعره رونق وحلاوة وعذوبة ألفاظ ليست لاحد هو هو محسن فى الغزل والفخر والمدح وكان يشبب بنساء أشراف المدينة ويشيع ذلك فى الناس فنهى فلم ينته فشكى الى عامل سليمان بن عبد الملك وسئل الكتابة فيه اليه ففعل فكتب سليمان يأمره أن يضربه مائة ويقيمه على البلس للناس ثم يسيره إلى دهلك ، ففعل به ذلك ، والبلس بضمتين جمع بلاس بكسر الموحدة وهى غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن يشهر عليها من ينكل به وينادى عليه ، ومن دعائهم أرانيك الله على البلس وكان الأحوص يقول وهو يطاف به :

مَا مِنْ مُصِيبَةِ نَكْبَةٍ أُمْنَى بِهَا ... إلا تعظمنى وترفع شانى

إنى إذا خفِيَ اللِّئَامُ رأيتنى ... كالشمس لا تخفى بكل مكان

إنى على ماقد ترون محسد ... أنمى على البغضاء والشنآن

أصبحت للانصار فيما نابهم ... خلفا وفى الشعراء من حسان

وأقام الأحوص منفيا بدهلك إلى أن ولى عمر بن عبدالعزيز فكتب إليه الأحوص يستأذنه فى القدوم وسأله الانصار أيضا ان يقدمه الى المدينة فقال لهم من القائل :

فما هو الا أن رآها فُجَاءَةً ... فأبهتَ حتى لا أكاد أجيب

قالوا : الأحوص ، قال فمن الذى يقول :

أدُورُ ولولا أن أرى أم جعفر ... بأبياتكم ما دُرْتُ حيث أدُور

قالوا : الأحوص، قال فمن الذى يقول :

سَيَبْقى لها فى مضمر القلب والحشا ... سريرة حب يوم تبلى السرائر

قالوا : الأحوص ، قال فمن الذى يقول :

الله بينى وبين قيمها ... يفر منى بها واتبعه

قالوا الأحوص ، قال لا جرم ما رددته ما كان لى سلطان

قال أبو عبيدة: كان سبب نفى الأحوص أن شهودا شهدوا عليه أنه قال لا أبالى أى الثلاثة أكون ناكحا أو منكوحا أو زانيا وكان مشهورا بالابنة وانضاف إلى ذلك أنه دخل يوما على سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما فأذن المؤذن فلما قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ففخرت سكينة برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاحوص :

فخرت وانتمت فقلت ذرينى ... ليس جهل أتيته ببديع

فأنا ابن الذى حمت لحمه الدَّبْـ (١) ... ـر قتيل اللحيان يوم رجيع

(١) الدبر النحل ، يشير إلى قصة جده عاصم حينما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم فقتله المشركون ، وأرادوا أن يصلبوه فحمته الدبر فلم يقدروا عليه حتى بعث الله الوادى فى الليل فاحتمله فذهب به

غسلت خالى الملائكة الأبـــرار ميتاً طوبى له من صريع

وكان وفد الاحوص على الوليد بن عبد الملك ممتدحاله فأنزله منزلا وأمر بمطبخة تمال عليه وكان قد نزل على الوليد شعيب بن عبد الله بن عمرو بن العاص وكان الاحوص يراود وصفاء للوليد خباز بن يريدهم أن يفعلوا به الفاحشة وكان شعيب قد غضب على مولى له ونحاه فلما خاف الأحوص ان يفتضح بمراودته الغلمان اندس لمولى شعيب بذلك فقال ادخل على أمير المؤمنين فاذكر له أن شعيبا راودك عن نفسك، ففعل المولى فالتفت الوليد إلى شعيب فقال ما يقول هذا فقال لكلامه نبأ ياأمير المؤمنين فاشدد به يدك يصدقك فشد عليه فقال أمرنى الاحوص بذلك. فقال قيم الخبازين إن الأحوص يراود غلمانك عن أنفسهم فأرسل به الوليد الى ابن حزم والى المدينة وأمره أن يجلد مائة ويصب على رأسه زيتا. ففعل به كما ذكرنا

ولم يزل الأحوص بدهلك حتى مات عمر بن عبد العزيز وتولى يزيد بن عبد الملك، فبينا يزيد وجاريته ذات يوم تغنيه بعض شعر الأحوص فقال لها: من يقول هذا الشعر قالت: لا أدرى، فأرسل إلى ابن شهاب الزهرى وسأله فأخبره أن قائله الاحوص قال وما فعل قال طال حبسه بدهلك فأمر بتخلية سبيله ووهب له أربعمائة دينار

وعن ابن الأعرابى أن الأحوص كانت له جارية تسمى بشرة وكانت تحبه ويحبها فقدم بها دمشق فحضره الموت وبكت فقال الأحوص:

ما لجديدِ الموت يا بشرُ لذة وكل جديدٍ تستلذ طرائقه

ثم مات فجزعت عليه جزعا شديدا، ولم تزل تبكى عليه وتندبه حتى شهقت شهقة وماتت ودفنت الى جنبه

(تتمة) * لم يذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف من اسمه أحوص غير هذا وذكر الأخوص بالخاء المعجمة وقال هو يزيد بن عمرو بن قيس اليربوعى التميمى، وهو شاعر فارس وأورد له شعرا جيدا يفتخر به

* (وأنشد بعده وهو الشاهد السادس والثمانون) *

٨٦ قَعِيدَكِ أن لاتسمعينى مَلَامَةً ولا تنكئى قَرْحَ الفؤاد فَيَيْجَعَا

على أن قعيدك الله وعمرك الله أكثر ما يستعملان في القسم السؤالي، فيكون جوابهما مافيه الطلب كالأمر والنهي ، وأن هنا زائدة

قال أبو حيان في الارتشاف : ويجيء بعد قعد وقعيدك الاستفهام وأن ولم يقيدها بكونها زائدة أو مصدرية أو غيرهما ومثال الاستفهام قال الازهري قالت قريبة الاعرابية

قعيدكِ عمْرَ الله يا ابنة مالك ألم تعلمينا نعم مأوى المحصب

ولم أسمع بيتا جمع فيه بين العمر والقعيد الاهذا. انتهى.. وبقي على أبي حيان ان يقول واللام روى أبو عبيد قعيدك لتفعلن ولا النافية كما يأتي في كلام الجوهري ، قال ابن الحاجب في الايضاح : وقعدك الله عند سيبويه مثل عمرك الله يجعله بمعنى فعل مقدر ، معناه سألته أن يكون حفيظك وإن لم يتكلم به كأنه قيل : حفظتك الله من قوله تعالى : « عن اليمين وعن الشمال قعيد » أي حافظ ووضح ذلك في عمرك الله لاستعمال فعله ، وإذا تحقق أن معنى قعدك الله معنى الفعل المقدر المذكور وضح أيضا قعيدك الله بمعناه ، وفيه أيضا معنى السؤال كعمرك الله . وقال ابن خلف : يريد سيبويه بقوله : « فقعدك الله يجرى هذا المجرى » أن فعل المصادر قد يترك ويكون بمنزلة ما استعمل الفعل فيه فقعدك بمنزلة قولك : وصفك الله بالثبات ، وأن لا تزول ، يريد سألتك بوصفك الله بالثبات ثم حذف الفعل والباء ولا يستعمل فيه الفعل ولا الباء ، وهو مصدر لا يتصرف أي لا يستعمل في غير هذا الموضع من الكلام ولا يستعمل الامضافا انتهى

وقال أبو اسحق ابراهيم البحيري في كتاب أيمان العرب : معنى قعدك الله وقعيدك الله أخصب الله بلادك حتى تكون مقيما فيها قاعدا غير منتجع

وقال الجوهري : وقولهم قعيدك لا آتيك وقعيدك الله لا آتيك وقعدك الله وقعدك الله بالفتح والكسر يمين للعرب وهي مصادر استعملت منصوبة بفعل مضمر ، والمعنى بصاحبك الذي هو صاحب كل نجوى كما يقال نشدتك الله ، زاد عليه صاحب العباب وقال أبو عبيد علياء مضر تقول : قعيدك لتفعلن كذا ، يعني أنهم يحلفون بأبيه قال: القعيد الأب وانكر صاحب القاموس كونهما للقسم فقال : قعيدك الله وقعدك بالكسر استعطاف لا قسم ، بدليل أنه لم يجيء جواب القسم ، وهذا مخالف للجمهور فان قوله لا تسمعيني جواب لقوله قعيدك ، وكذا لا آتيك فيما نقله الجوهري، قال صاحب البسيط

ويدل على القسم قولهم قعدك الله لأفعلن ، وروى قعدك — بفتح القاف وكسرها — والمفعول الثانى محذوف أى قعيدك الله والكاف مكسورة لأنه خطاب مع امرأة كما يأتى بيانه ، وجملة «لا تنكئى» لامحل لها من الاعراب لجملة المعطوف عليها يقال نكأت القرحة — بالهمز إذا قشرتها ونكيت فى العدو بلا همز والقرح كالجرح وزنا ومعنى وقوله «فييجعا» منصوب بان مضمرة بعد الفاء فى جواب النهى الثانى قال ابن الانبارى : أهل الحجاز يقولون وجع يوجع ووجل يوجل يقرون الواو على حالها اذا سكنت وانفتح ما قبلها وهى أجود اللغات ، وبعض قيس يقول وجل ياجل ووجع ياجع ، وبنو تميم تقول وجع ييجع ، وهى شر اللغات لأن الكسر من الياء والياء يقوم مقام كسرتين فكرهوا أن يكسروا لثقل الكسر فيها ، وقال الفراء : إنما كسر ليتفق اللفظ فيها واللفظ باخواتها وذلك أن بعض العرب يقول : انا أيجل وأنت تيجل ونحن نيجل فلو قالوا هو يوجل كانت الياء قد خالفت أخواتها

وهذا البيت من قصيدة مشهورة مشروحة فى المفضليات وغيرها لمتمم بن نويرة الصحابى رضى الله عنه يرثى بها أخاه «مالك بن نويرة وقبل هذا البيت ثمانية أبيات متصلة به وهى

تَقُولُ ابنَةُ الْعَمْرِى مالَكَ بعْدَما ... أَرَاكَ حَدِيثاً نَاعِمَ البالِ أفْرَعَا

ابنة العمرى زوجته ، والحديث القريب ، والأفرع الكثير شعر الرأس ، تقول له : مالك اليوم متغيرا بعد أن كنت منذ قريب ناعم البال أفرع

فقلت لهَا طُولُ الأسى إذ سألتِنِي ... ولَوْعَةُ حزنٍ تترك الوجه أسْفَعَا

الأسى الحزن ، والتاء من سألتنى مكسورة ، واللوعة الحرقة والسفعة — بالضم — سواد يضرب إلى الحمرة

وفقد بنو أمٍ تَدَاعَوْا فلم أكن ... خِلاَفَهم أَنْ أَسْتَكِينَ وأَضْرَعا

فقد معطوف على طول الأسى ، وتداعوا تفرقوا ودعا بعضهم بعضا ، وخلافهم بعدهم وخلفهم ، يقول : لست وإن أصابنى حزن بمستكين ولاخاضع فيشمت به الاعداء

ولَكِنَّنى أَمْضى على ذاكَ مُقدِما ... إذا بعض مَنْ يلقى الحروب تكعكعا

التكعكع التأخر عن الحروب من الجبن والتهيب

وغيَّرنى ما غالَ قَيساً ومالِكاً وعَمْراً وَجزْأً بالمُشَقَّرِ أَلْمَعَا

غال أهلك ، وقيس وعمرو رجلان من بنى يربوع ، وجزء هو ابن سعد الرياحى وهؤلاء قتلهم الاسود بن المنذر يوم المشقر — بالشين المعجمة والقاف — على زنة اسم المفعول قصر بالبحرين وقيل مدينة هجر، وقوله ألمعا أى ألمع لهم الموت ومعناه ذهب بهم ، وقال الكسائى أراد معا فزاد أل

وَمَا غالَ نَدْمَانِى يزيد وليتنى تَمَلَّيْتُهُ بالأهل والمال أجمعا

الندمان بالفتح هو النديم وكان يزيد ابن عمه ونديمه

وإنى وَإنْ هازلتنى قد أصابنى من الْبَثِّ مايبكي الحزين المفجعا

يقول : نزل لى ما يغلب الصبر والتجلد حتى يحمل صاحبه على البكاء وأنا مع ذلك أتجلد

ولستُ اذا ما أحدث الدهر نكبة ورزأ بزوار القرائب أَخضعا

يقول : إذا أصابتنى مصيبة لم آت قرائبي خاضعا لهم لحاجة منى اليهم ولكننى أصبر وأعف عن الفقر، وبعده :

قعيدك أن لا تسمعينى ملامة « البيت »

ومتمم هو ابن نويرة بن جمرة — بالجيم — ابن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وكان متمم من الصحابة رضى الله عنهم ، وأخوه مالك يقال له فارس ذى الخمار — بكسر الخاء المعجمة — وذو الخمار فرسه ، قال ابن السيد فى شرح كامل المبرد : قولهم « فتى ولا كمالك » هو مالك بن نويرة سيد بنى يربوع قتله خالد بن الوليد . رأيت رسالة لأبى رياش أحمد بن أبى هاشم القيسى تتضمن قصة قتل خالد بن الوليد لمالك بن نويرة ، قال: كان مالك بن نويرة قد أسلم قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، وتصدق وكان عريف ثعلبة بن يربوع . فقبض النبى صلى الله عليه وسلم ، وابل الصدقة برحرحان — وهو ماء دون بطن نخل — فجمع مالك جمعا نحوا من ثلاثين فاغار عليها ، فاقتطع منها ثلثمائة فلما قدم بلاد بنى تميم لامه الاقرع بن حابس بن عقال

ابن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم ، وضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، و بلغ مالكا أنهما يمشيان بهفي بني تميم فقال مالك يعتبهما ويدعو على مابقى من إبل الصدقة.

أَرَانِي اللهُ بالنعَمِ المنـدى ... بِبَرْقَة رحرحان وَقَدْ أَرَانِى

أأن قرت عُيُونٌ فاستفيئت ... غنائم قد يجود بها بنانى

حَوَيْتُ جَمِيعَهَا بالسَّيْفِ صَلْتاً ... وَلَمْ تُرْعَدْ يداى ولا جنانى

تمشى يا ابن عوذة فى تميم ... وصاحبك الاقيرع تلحيانى

ألم أك نار رائبـة تلظى ... فتتقيا أَذَاى وترهبـانى

فقل لابن المذب يغض طرفا ... على قطع المذلة والهوان

وعوذة ام ضرار بن القعقاع، وهى معاذة بنت ضرار بن عمرو الضبي والمذبة أم الاقرع بن حابس ، فلما قام أبو بكر وبلغه قول مالك بعث إليه خالد بن الوليد وأمره أن لا يأتى الناس إلا عند صلاة الغداة فمن سمع فيهم مؤذنا كف عنهم ومن لم يسمع فيهم مؤذنا استحلهم وعزم عليه ليقتلن مالكا إن أخذه فأقبل خالد بن الوليد حتى هبط جو البعوضة وبه بنو يربوع فبات عندهم ولا يخافونه فمر على بنى رياح فوجد شيخامنهم يقال له مسعود بن وضام يقول :

وحجـة أتبعتهـا بحجـة ... وهدية أهديتهـا للأبطح

فمضى عن رياح حتى مر ببنى غدانة وبنى ثعلبة فلم يسمع فيهم مؤذنا فحمل عليهم فثار الناس ولايدرون ماينهم فلما رأوا الفرسان والجيش ، قالوا ومن أنتم قالوا نحن المسلمون قال مالك ونحن المسلمون ؛ فلم ينته المسلمون لذلك ووضعوا فيهم السيف وقتلت غدانة أشد القتل وقتلت ثعلبة وأعجل مالك عن لبس السلاح ، وان امرأته ليلى بنت سنان بن ربيعة بن حنظلة قامت دونه عريانة ودخل القبة وقامت دونه ولبس مالك أداته ثم خرج فنادى يا آل عبيد فلم يجبه أحد غير بنى بهان ، فانهم صدقوا معه يومئذ وطلعوا من جو البعوضة و بلغوا ذات المذاق وهى أكمة بينها وبين الجو ميلان أو قدر ميل ونصف ، ففرغوا من القوم غير مالك وغير بقية من ولد حبشى بن عبيد

ابن ثعلبة، وكان عدة من أصيب مع مالك خمسة وأربعين رجلا من بنى بهان، ثم ان خالد بن الوليد قال يا ابن نويرة هلم الى الاسلام، قال مالك وتعطينى ماذا قال ذمة الله وذمة رسوله وذمة أبى بكر وذمة خالد بن الوليد، فأقبل مالك وأعطاه بيديه وعلى خالد تلك العزمة من أبى بكر قال يا مالك انى قاتلك قال: لاتقتلنى، قال لاأستطيع غير ذلك قال فأت مالا تستطيع إلا إياه فقدمه الى الناس فتهيبوا قتله وقال المهاجرون أنقتل رجلا مسلما، غير ضرار بن الازور الأسدى من بنى كو، فانه قام فقتله فقال متمم بن نويرة يذكر غدره بمالك

نعم القتيل إذَا الرياحُ تَحدَّبَتْ ... فوْقَ الكَنيفِ قتيلك ابن الازور
أدعوته بالله ثم قتلته ... لو هو دعاك بذمة لم يغدر
ولنعم حشو الدرع يوم لقائه ... ولنعم مأوى الطارق المتنور
لايلبس الفحشاء تحت ثيابه ... صعب مقادته عفيف المئزر

فلما فرغ خالد منهم أقبل المنهال بن عصمة الرياحى فى ناس من بنى رياح يدفنون قتلى بنى ثعلبة وبنى غدانة، ومع المنهال بردان من يمنة فكانوا اذا مروا على رجل يعرفونه قالوا اكفن هذا يا منهال فيهما فيقول لا حتى أكفن فيهما الجفول مالكا وهو الكثير الشعر وكان يلقب بذلك لكثرة شعره وذلك فى يوم شديد الريح فجعلوا لايقدرون على ذلك ثم رفعت الريح شعره من أقصى القوم فعرفه فجاءه فكفنه فذلك قول متمم فى أول القصيدة

لَعَمْرى وما دهرى بتأبين مالك ... ولا جَزَعٍ مِمّا أصابَ فأوْجَعَا
لقدْ كَفَّنَ المِنهالُ تَحْتَ رِدَائِهِ ... فَتًى غيرَ مِبْطَانِ العَشِيَّاتِ أرْوَعَا
ألم يأت أخبار المُحِلّ سراتنا ... فيغضب منها كل من كان موجعا (١)

المحل رجل من بنى ثعلبة مر بمالك مقتولا فنعاه كأنه شامت فذمه متمم، وأخذ خالد ابن الوليد ليلى بنت سنان امرأة مالك وابنها جراد ابن مالك فأقدمهما المدينة ودخلها وقد غرز سهمين فى عمامته فكأن عمر غضب حين رأى السهمين فقام فأتى عليا فقال إنه

(١) يروى فى المفضليات هكذا:

ألم تأت أخبار المحل سراتكم ... فيغضب منكم كل من كان موجعا

فى حق الله أن يقاد هذا بمالك، قتل رجلا مسلما ثم نزا على امرأته كما ينزو الحمار ثم قاما فأتيا طلحة فتتابعوا على ذلك فقال أبو بكر سيف سله الله لا أكون أول من أغمده أكل أمره الى الله فلما قام عمر بالأمر وفد عليه متمم فاستعداه على خالد فقال لا أرد شيأ صنعه أبو بكر فقال متمم قد كنت تزعم أن لو كنت مكان أبى بكر أقدته به فقال عمر لو كنت ذلك اليوم بمكانى اليوم لفعلت ولكنى لا أرد شيأ أمضاه أبو بكر ورد عليه ليلى وابنها جرادا،

(وأنشد بعده وهو الشاهد السابع والثمانون)

٨٧ أيها المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً عَمْرَكَ اللهَ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ؟
هِيَ شَامِيَةٌ إذا ما اسْتَقَلَّتْ وسُهَيْلٌ إذا اسْتَقَلَّ يَمَانِي

على أن عمرك الله يستعمل فى القسم السؤالى ويكون جوابه ما فيه الطلب، وهو هنا جملة كيف يلتقيان، فان الاستفهام طلب الفهم، وهو هنا تعجبى خلافا للجوهرى فى هذا فانه زعم أن عمرك الله هنا فى غير القسم

وهذان البيتان من قصيدة لعمر بن أبى ربيعة: والمنكح اسم فاعل من أنكحه أى زوجه، واستقل ارتفع

والثريا هى بنت عبدالله بن الحرث بن أمية الأصغر وهم العبلات؛ وكانت الثريا وأختها عائشة أعتقتا الغريض المغنى واسمه عبد الملك ويكنى أبا يزيد كذا قال المبرد فى الكامل.

قال ابن السيد فى شرحه. والعبلات هم: بنو أمية الأصغر بن عبد شمس، وبنو عبد شمس أمية، وعبد أمية ونوفل أبناء عبد شمس. نسبوا إلى أمهم عبلة بنت عبيد بن جادل ابن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وهى من البراجم، ورأيت فى كتب اللهو لابن جرد ابة (١) أن كنيته أبو زيد، وقال هو من مولدى البربر يضرب العود أخذ الغناء عن ابن سريج ثم حسده فطرده وكان جميلا وربته الثريا وعلمته النوح بالمراثى

---

(١) كذا بالأصل ولعله يعنى أبا القاسم عبيدالله بن أحمد بن خرداذبه فان له كتابا فى أدب السماع والطرب والملاهى والشراب. وكان جده خرداذبه ممن أسلم على يد البرامكة

على من قتله يزيد بن معاوية يوم الحرة ، وقيل إن الثريا بنت عبدالله بن الحرث بن أمية الاصغر وذكر الزبير بن بكار أنها الثريا بنت عبدالله بن محمد بن عبدالله بن الحرث بن أمية الاصغر وانها أخت محمد بن عبدالله المعروف بأبي جراب العبلى الذى قتله داود ابن علي، كذا في الغرر والدرر للشريف

وأما سهيل فهو سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري وكنيته أبو الأبيض وأمه بنت يزيد بن سلامة ذى فائش الحميرى تزوج الثريا ونقلها الى مصر فقال عمر بن أبي ربيعة يضرب لها المثل بالكوكبين ، فكان يشبب بها وقال فيها أشعارا وكانت تصيف في الطائف فكان عمر يغدو بفرسه كل غداة فيسائل الذين يحملون الفاكهة عن أخبارها فسأل بعضهم يوما فقال لا أعلم خبرا غير انى سمعت عند رحيلنا صوتا وصياحاً على امرأة من قريش اسمها اسم نجم ذهب عنى اسمه فقال عمر الثريا قال نعم وكان قد بلغه أنها عليلة فركض فرسه من أقرب الطريق حتى انتهى اليها وهي تشرف من ثنية فوجدها سليمة ومعها أختها فاخبرها الخبر ، فضحكت وقالت أنا والله أمرتهم لأخبر ما عندك ولما تزوج عمر هجرته الثريا وغضبت عليه فقال :

قَالَ لِي صاحِبِي ليعلم مَابِي ... أَتُحِبُّ البتول(١) أختَ الرَّباب؟
قُلْتُ وَجْدي بِهَا كَوَجْدِكَ بالما ... ء(٢) إذا ما مُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرَاب
مَنْ رَسُولِى إلى الثُّرَيَّا فإِنِّى ... ضِقْتُ ذَرْعاً بهجرها والكتاب

ثم تزوجها سهيل المذكور، وحملها الى مصر وكان عمر غائبا فلما بلغه قال :

أيها الطارق الذى قد عنانى ... بعد ما نام سامر الركبان
زاد من نازح بغير دليل ... يتخطى الىّ حتى أتانى

الى أن قال :

أيها المُنكح الثريا سهيلا «البيت»

وزعم بعضهم أن سهيلا هو ابن عبد العزيز بن مروان والصحيح الاول ثم سار الى المدينة وكتب اليها :

كتبْتُ اليكِ من بلدى ... كتـاب مُولهٍ كَمِـدِ

(١) يروى : « القتول » (٢) يروى : « بالعذب »

كئيب واكِفِ العينيـ ن بالحسرات منْفرِد
يؤرقه لهيب الشو ق بين السحر والكبد
فيمسك قلبه بيد ويمسك عينه بيد

فلما قرأته بكت بكاء شديدا ثم تمثلت :

بِنفسيَ مَنْ لا يستقل بنفسِهِ وَمَنْ هُوَ إن لمْ يَرْحَمِ اللهُ ضَائع

وكتبت اليه تقول

أتانِي كِتابٌ لم ير الناس مِثلهُ أُبين بكافُورٍ ومسك وَعنبَر
فقرطاسه قوهية ورباطه بعقد من الياقوت خاف وجوهر
وَفي صَدْرِه منى اليك تحية لقد طال تَهيْامى بكم وتذكرى
وعنوانه من مستهام فؤاده إلى هائم صب من الحزن مسعر

روى أن الثريا وعدته يوما أن تزوره فجاءت فى الوقت الذى وعدته فيه فصادفت أخاه الحرث بن ربيعة قد طرقه وأقام عنده ووجه به فى حاجة ونام مكانه وغطى وجهه بثوبه فلم يشعر إلا وقد ألقت نفسها عليه تقبله ، فانتبه وجعل يقول أعزبى عنى فلست بالفاسق أخزاكما الله فانصرفت ورجع عمر فاخبره الحرث بذلك فاغتم على مافاته منها وقال : والله لاتمسك النار أبدا وقد ألقت نفسها عليك فقال : عليك وعليها لعنة الله

وحكم له بين الثريا وسهيل تورية لطيفة فان الثريا يحتمل المرأة المذكورة وهو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد ويحتمل ثريا السماء وهو المعنى القريب المورى به ، وسهيل يحتمل الرجل المذكور وهو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد ويحتمل النجم المعروف بسهيل ، فتمكن للشاعر أن ورى بالنجمين عن الشخصين ليبلغ من الانكار على من جمع بينهما ماأراد وهذه أحسن تورية وقعت فى شعر المتقدمين ، وفى شرح بديعية العميان لابن جابر: لايقال إن التورية فى الثريا مرشحة بقوله شامية إذ ليست من لوازم المورى به ولا مبينة اذ ليست من لوازم المورى إذ المرأة شامية الدار والنجم أيضا شامى فاشتركا فى ذلك ولا يكون الترشيح والتبيين إلا بلازم خاصى وكذلك

«م ٢٢ خ — ج اول»

التورية فى سهيل لايقال إنها مرشحة ولامبينة بيمان اذ هوصفةمشتركةبينهما لانسهيلا الذى هو رجل يمان كسهيل الذى هو النجم

وسبب هذين أن سهيلا المذكور تزوج الثريا المذكورة وكان بينهما بون بعيد فى الخلق كانت الثريا مشهورة فى زمانها بالحسن والجمال وكان سهيل قبيح المنظر وهذا مراده بقوله « عمرك الله كيف يلتقيان » أى كيف يلتقيان مع تفاوت ماينهما فى الحسن والقبح انتهى

وعمر هو عمر بن عبد الله سماه به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فى الجاهلية يسمى بحيرا — بفتح الموحدة وكسر المهملة — ابن أبى ربيعة واسمه حذيفة وكان يلقب بذى الرمحين ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومى ويكنى عمر أبا الخطاب . وأبوجهل بن هشام بن المغيرة عم أبيه وأم عمر بن الخطاب حنتمة بنت هشام ابن المغيرة بنت عم أبيه وأخوته عبد الله وعبد الرحمن والحرث بنو عبد الله وكان عبد الرحمن أخوه تزوج أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق بعد طلحة ، وولدت له وأعقب الحرث ولاعقب لعمر وكانت أمه نصرانية وهى أم أخوته ولم يكن فى قريش أشعر من عمر وهو كثير الغزل والنوادر والمجون يقال من أراد رقة الغزل فعليه بشعر عمر ابن أبى ربيعة

ولد ليلة الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وهى الليلة التى مات فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسمى باسمه قال ابن قتيبة : كان عمر فاسقا يتعرض لنساء الحاج ويشبب بهن فنفاه عمر بن عبد العزيز الى دهلك ثم غزا فى البحر فاحترقت السفينة التى كان فيها هو ومن (١) كان معه ... وفى الاغانى بسنده أنه نظر فى الطواف امرأة شريفة فكلمها فلم تجبه فقال :

الريحُ تَسْحَبُ أذيالا وتنشرها ... يَا لَيْتَنِى كُنْتُ ممن تسحب الريحُ

فى أبيات فلما بلغتها جزعت جزعا شديدا فقيل لها اذكريه لزوجك واشكيه قالت والله ما أشكوه إلا الله اللهم ان كان نوه باسمى ظالما فاجعله طعاما للريح فغدا يوما على فرس فهبت ريح فنزل فاستتر بشجرة فعصفت الريح فخدشه غصن منها فمات من ذلك وكان

(١) هذه العبارة رديئة وفى طبقات الشعراء « غزا فى البحر فأحرقوا سفينته فاحترق »

ذلك سنة ثلاث وتسعين وقد قارب السبعين أو جاوزها وقيل عاش ثمانين سنة وترجمته فى الاغانى طويلة

وأنشد بعده

فانما هِى إقْبالٌ وإدْبَارُ

تقدم شرحه فى الباب الثامن والستين(١) فى باب المبتدا

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون ، وهو من شواهد سيبويه) :

٨٨ عَجَبٌ لتلك قضية وإقامتى فيكُمْ على تِلْكَ القضيَّةِ أعْجَبُ

على أنهم يرفعون بعض المصادر المنصوبة بعد حذف عاملها لزيادة المبالغة فى الدوام بين الشارح وجه رفعه على الخبرية ، وكذلك أورده سيبويه بأنه على إضمار مبتدأ أى أمرى عجب وقال الأعلم — وتبعه ابن خلف — : يجوز أن يكون مرفوعا بالابتداء وإن كان نكرة لوقوعه موقع المنصوب ، ويتضمن من الوقوع موقع الفعل مايتضمن المنصوب فيستغنى عن الخبر لأنه كالفعل والفاعل ، فكأنه قال أعجب لتلك القضية . أو خبره لتلك ، وهذا هو المعهود فى المصادر المنصوبة إذا رفعت جعلت مبتدأ وجعل متعلقها خبرا مثل « الحمد لله ، والسلام عليك » لتكون فى معنى الأصل ، أعنى الجملة الفعلية ، لاتزيد عليها إلا بالدلالة على الثبات ، وقد يجعل غير متعلقها خبرا كقوله تعالى : « فصبر جميل » أى أحسن من غيره ، وقضية منصوب على التمييز للنوع الذى أشار اليه بتلك ، ويجوز أن يكون منصوبا على الحال ، قال أبو على : كأنه قال اعجبوا لتلك الفعلة قضية وقضية هنا بمعنى مقضية ، وروى « عجبا » بالنصب على أنه مصدر نائب عن أعجب

واعلم أن الشارح المحقق حقق هنا أن المصدر المنصوب بعد حذف عامله يفيد الدوام وإذا رفع وجعل خبرا أفاد زيادة — وهى المبالغة فى الدوام — وهذا مناقض لكلامه فى باب المبتدأ فى « سلام عليك » من أن النصب بعد حذف الفعل يدل على الحدوث ، فعدل إلى الرفع للدلالة على الدوام قال الدمامينى فى شرح التسهيل : الحق ماقاله الرضى فى باب المفعول المطلق بخلاف ماقاله فى المبتدأ فأنه غير مرضى

(أقول) : لو عكس القضية لكان أظهر فانه مع النصب الصريح كيف يفيد الدوام مع أن الجملة فعلية ، والتزام الحذف لاينافيه كما فى الظرفية الواقعة خبرا إذا قدر المتعلق

(١) هكذا بالأصل المطبوع فى بولاق وصحة العبارة هكذا : « تقدم شرحه فى الشاهد السبعين أ لخ »

فعلا مع أن الجملةاسمية ؛ ومع هذا فلم يجعلوها للدوام الثبوتى فأن ادعى أن العامل مضارع أو اسم فاعل وأن كلا منهما محمول على الاستمرار التجددى لا الدوامى ورد عليـه أن هذا يحصل مع الذكر فتخصيص الحذف به مما لا داعيةاليه مع أن هذا ليس مرادا له بل مراده حصول الاستمرار الثبوتى مع النصب

وكلام الشارح هنا مخالف لـكلام علماء المعانى ، قال السيد فى شرح المفتاح : إن الاسم كعالم مثلا يدل على ثبوت العلم لمن حكم به عليه وليس فيه تعرض لاقترانه بزمان وحدوثه فيه ولا لدوامه ، نعم لمـا كان اسم الفاعل جاريا على الفعل جاز أن يقصد به الحدوث بمعونة القرائن كما فى ضائق ، ويجوز أن يقصد به الدوام أيضا فى مقام المدح والمبالغة . وكذا حكم اسم المفعول ، وأما الصفة المشبهة فلا يقصد بها إلا مجرد الثبوت وضعاً أو الدوام باقتضاء المقام ، والجملة الاسمية إذا كان خبرها اسما فقد يقصد بهـا الدوام والاستمرار الثبوتى بمعونة القرائن، وإذا كان خبرها مضارعا فقد يفيد استمرارا تجدديا . وهذه الأفادة أيضاً بمعونة القرائن كما فى : « الله يستهزىء بهم » لـكن هنا الاستمرار التجددى مستفاد من المضارع فى الحقيقة . وفائدة الجملة الاسمية هنا تقوى الحـكم ، فليس كل جملة اسمية مفيدة للدوام فأن قولك زيد قام يفيد تجدد القيام اه

فقول الشارح هنا ــ انما وجب حذف الفعل لأن المقصود من مثل هذا الحصر أو التـكرير وصف الشيء بدوام حصول الفعل منه.ولزومه له ووضع الفعل عـلى الحدوث والتجدد الخ :ــ مشكل لانه هنا جملة اسمية خبرها فعل مضارع أو اسم فاعل دال على الحدوث لعمله ، فهى للاستمرار التجددى لا الدوامى ، وحينئذ لافرق بين ذكر العـامل وحذفه ، لأن التقدير مازيد إلا يسير سيراً وزيد يسير سيراً ،فـكيف جعل الغرض من هذا الحصر أو التـكرير وصف الشيء بدوام حصول الفعل منه ولزومه له مع أن الجملة اسمية خبرها مضارع ،فأن أجيب بأن الجملة إنما أفادت مع الحصر أو التـكرير الدوام الثبوتى للزوم حذف العامل ورد عليـه الجملة الاسمية التى خبرها ظرفية إذا قدر المتعلق فيها فعلا فأنها لاتفيد الدوام الثبوتى مع لزوم حذف العـامل ؛ فأن أجيب بأن الدال على الدوام الثبوتى إنما هو الحصر أو التـكرير لا الجملة الاسمية التى قدر خبرها فعلا كما يدل عليه قوله بعد ذلك لم يكن فيه معنى الحصر المفيد للدوام ،

ورد عليه أن كلامهم مطلق لم يقيد بهذا القيد ؛ وقول الشارح — وان كان يستعمل المضارع فى بعض المواضع للدوام — لايخلو عن بحث فأن ظاهره أن الدوام الذى يفيده المضارع ثبوتى لاتجددى إلا أن يقال مراده مطلق الدوام وإن كان مختلفاً ، وهذا لايناسب أول كلامه ، وقوله : وذلك لمشابهته لاسم الفاعل — إن حمل اسم الفاعل على العامل فدوامه تجددى لاثبوتى وإن حمل على غير العامل فهو يفيد الاستمرار الدوامى لاالتجددى بالقرينة والحمل عليه لايناسب لأن المضارع لايفيد ذلك بل يفيد الاستمرار التجددى ؛ وقوله : فلما كان المراد التنصيص على الدوام واللزوم لم يستعمل العامل أصلا — يريد أنه قد علم أن الدال للدوام عنده هو الحصر أو التكرير فالتزم حذف مادلالته تنافى ذلك وهو العامل لأنه إما فعل وهو موضوع للتجدد واستعماله فى الدوام إذا كان مضارعا ليس وضعياً بل بالقرائن فنظرنا إلى أصل الوضع والتزمنا حذفه ، وفيه أن المحذوف كالثابت كما يدل عليه كلامهم فى متعلق الظرف الواقع خبراً إذاقدر بالفعل ؛ وقوله : أو اسم فاعل وهو مع العمل كالفعل — أى للتجدد فلا يفيد الاستمرار وضعاً وإن استعمل فيه بمعونة القرائن ، وفيه أيضاً أن المحذوف كالثابت وعمله إنما ينافى حمله على الاستمرار الثبوتى إذا كان عاملا فى المفعول به أما عمله فى الظرف أو فى المفعول المطلق كما هنا فلا ينافى إفادته للدوام الثبوتى ، وأما إذا عمل فى المفعول به فأنه يفيد الاستمرار التجددى

وبيت الشاهد من أبيات سبعة أولها :

يا جندبُ أَخْبِرْنِى ولستَ بمخبرى ... وأخوك ناصِحُكَ الذى لا يَكْذِبُ

هل فى القضية أن إذا اسْتَغْنَيْتُمُ ... وَأَمِنْتُمُ فأنا البعيد الأجنبُ

وإذا الشَّدائدُ بالشدائد مَرَّةً ... أشْجَتْكُمُ فأنا المحبُّ الأقرب

وإذا تَكُونُ كريهة أُدْعَى لها ... وإذا يحاسُ الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ

ولجندب سَهْلُ البلاد وعَذْبُها ... ولِىَ المِلاحُ وخَبْتُهُنَّ المُجْدِبُ

عجب لتلك قضية ... «البيت»

هذا وَجَدِّكُمُ الصَّغَارُ بِعَيْنِهِ ... لا أُمَّ لى إنْ كان ذَاكَ ولا أَبُ

وهذا الشعر لضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم ، شاعر . جاهلي ويقال إن ضمرة كان اسمه شقة فسماه النعمان ضمرة بن ضمرة ، وكان يبر أمه ويخدمها ، وكانت مع ذلك تؤثر أخا له يقال له جندب ، فقال هذا الشعر ، هكذا رواه ابن هشام فى شرح أبيات الجمل . ورواه بعضهم ياضمر أخبرنى وقال : إن قائله ضمرة وهو خطأ ونسبه أبو رياش لهمام بن مرة أخي جساس بن مرة قاتل كليب ، وزعم ابن الاعرابي أنه قيل قبل الأسلام بخمسمائة سنة ، وفى شرح أبيات سيبويه أنه لبعض مذحج وقال السيرافى : هو لزراقة الباهلي ؛ وقال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : هو لهني بن أحمر من بنى الحرث بن مرة بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة جاهلي ؛ وأنشدوا له « ياضمر أخبرنى » وهنى مصغر هن وأصله هنيو فأبدلت الواو ياء وأدغمت فى الياء لسبقها بالسكون ، ورواه أبو محمد الأعرابي عن أبى الندى أنه لعمرو بن الغوث بن طيء وأنشدوا له

ياطيءُ أَخْبِرْنى ولستَ بكاذب

قال ا كتبنا أبو الندى قال : بينا طيء جالس ذات يوم مع ولده بالجبلين أجأ وسلمى إذ أقبل رجل من بقايا جديس ممتد الخلق كاد يسد الأفق طولا ويفرعهم باعا وإذا هو الأسود بن غفار الجديسى وكان نجا من حسان تبع يوم اليمامة فلحق بالجبلين فقال لطيء : من أدخلكم بلادى وأورثكم عن آبائى اخرجوا عنها وإلا اضربوا بيننا وبينكم وقتا نقتتل فيه فأينا غلب استحق البلد . فاتعد الوقت فقال طيء لجندب بن خارجة ابن سعد بن قطرة بن طيء — وأمه جديلة بنت سبيع بن عمرو من حمير ، وبها يعرفون وهم جديلة . وكان طيء لها مؤثرا فقال لجندب : قاتل عن مكرمتك . فقالت أمه : آلله لتتركن بنيك ولتعرضن ابنى للقتل . فقال طيء : ويحك إنما خصصته بذلك ، فابت فقال طيء لعمرو بن الغوث بن طيء : عليك ياعمرو بالرجل فقاتله . قال عمرو لا أفعل وقال هذه الابيات . وهو أول من قال الشعر فى طيء بعد طيء ، فقال طيء يابنى إنها أكرم دار فى العرب : فقال عمرو : لن أفعل إلا على شرط أن لا يكون لبنى جديلة فى الجبلين نصيب ، فقال له طيء : لك شرطك فأقبل الأسود بن غفار ومعه قوس من حديد ونشاب من حديد فقال : ياعمر وإن شئت صارعتك وإن شئت ناضلتك وإلا سايفتك ، فقال عمرو : الصراع أحب إلى فاكسر قوسك لأكسرها أيضا

ونصطرع ، وكانت مع عمرو بن الغوث قوس موصولة بزرافين إذا شاء شدها وإذا شاء خلعها فأهوى بها عمرو فانفتحت الزرافين واعترض الأسود بقوسه ونشابه فكسرها فلما رأى عمرو ذلك أخذ قوسه فركبها وأوترها وناداه : يا أسود استعن بقوسك فالرمى أحب إلى فقال الأسود : خدعتني فقال عمرو : « الحرب خدعة » فصارت مثلا . فرماه عمرو ففلق قلبه وخلص الجبلان لطيء فنزلها بنو الغوث ونزلت جديلة السهل منها اه

وروى « أمن السوية » أى من العدل ، والأجنب بالجيم والنون الغريب والبعيد. وروى « الاخيب » أي الخائب ، وأشجتكم أحزنتكم من الشجي وهو الحزن وفعله من باب تعب وأشجاه أحزنه ، والحيس — بفتح المهملة — لبن وأقط وسمن وتمر يصنع منه طعام ، والملاح — بكسر الميم — جمع مليح يقال قليب مليح أى ماؤه ملح والخبت — بفتح المعجمة وسكون الموحدة — المطمئن من الأرض فيه رمل. والمجدب اسم فاعل من الجدب — بفتح الجيم وسكون المهملة — نقيض الخصب — بكسر المعجمة — وقوله :

هذا وجدكم الصغار بعينه «البيت»

هو من شواهد سيبويه وغيره ، والشاهد فيه رفع الاسم الثانى مع فتح الاول. وذلك إما على إلغاء الثانية ورفع تاليها بالعطف على محل الأولى مع اسمها وعلى هذا فخبرهما واحد ، وإما على تقدير لا الثانية معتدا بها عاملة عمل ليس فيكون لكل من الاولى والثانية خبر يخصها لأن خبر الأولى مرفوع وخبر الثانية منصوب . وهذا مبتدأ وخبره الصغار — بفتح الصاد — بمعنى الذل ، وقوله « وجدكم » جملة قسمية معترضة بين المبتدأ والخبر ، قال اللخمى : والجد هنا أبو الأب والجد أيضا البخت والسعد والعظمة ويروى « هذا لعمركم » وقوله « بعينه » تأكيد للصغار وزيدت الباء كما يقال جاء زيد عينه وقيل حال مؤكدة أى هذا الصغار حقا ؛ وقال اللخمى : وبعينه حال من الصغار والعامل فيه ما فى ها من معنى التنبيه أو ما فى ذا من معنى الأشارة ، وذاك فاعل كان إذ هى تامة ويجوز أن تكون ناقصة وخبرها محذوف أى إذا كان ذاك مرضيا ولابد على الوجه الاول من حذف مضاف أى إن كان رضا ذاك ليصح المعنى لأنه إنما اشترط أنه لا يرضى بذلك الخسف الذى يطلب منه ، وجملة الشرط معترضة بين المعطوف

والمعطوف عليه وسد ما قبل الشرط مسد الجواب أى إن كان ذاك انتفيت من أمى وأبى والمشار إليه بلسم الأشارة فى الموضعين الفعل الذى فعلوه به

﴿ وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون ، وهو من أبيات سيبويه ﴾

(٨٩) فيها ازْدِهافٌ أيَّمَا ازدهاف

على أنه نصب أيما على المصدر أو الحال مع أنه لم يذكر صاحب الاسم أو الموصوف. وهو فى غاية الضعف والوجه الأتباع فى مثله وهو رفعه صفة لازدهاف لكنه حمله على المعنى لأنه إذا قال فيها ازدهاف فكأنه قال تزدهف أيما ازدهاف ، قال سيبويه : فأن قلت له صوت أيما صوت أو مثل صوت الحمار أو له صوت صوتا حسنا جاز ، زعم ذلك الخليل ويقوى ذلك أن يونس وعيسى زعما أن رؤبة كان ينشد هذا البيت. نصبا اه وزعم الجرمى أن نصبه على إضمار تزدهف قال : ولا يجوز نصبه بازدهاف. لأن المصدر لا يعمل فى المصدر

وهذا البيت من أرجوزة طويلة تزيد على ثمانين بيتا لرؤبة بن العجاج يعاتب بها أباه منها

إنَّكَ لم تُنْصِفْ أبا الجحاف وكان يَرْضى منك بالأنْصاف
وهْو عليك واسع العطاف غاديك بالنَّفْع وأَنْتَ جافى
عنه ولا يخفى الذى تجافى كيف تلومه على الالطاف
وأنت لو ملَّكتَ بالأتلاف شبت له شوبا من الذُّعاف
وهو لاعدائك ذو قراف لاتعجلنى الحتف ذا الاتلاف
والدهر إنّ الدهر ذو ازدلاف بالمرء ذو عطف وذو انصراف

إلى أن قال :

وإن تشكيت من الأسخاف لم أرعطفا من أب عطاف
فليت حظى من جداك الضافى والنفع أن تتركنى كفاف
ليست قوى حبلى بالضعاف لولا توقى على الأشراف

أقحمنى فى النفنف النفناف فى مثل مهوى هوّة الوصاف
قولك أقوالا مع التحلاف فيه ازدهاف أيما ازدهاف

والله بين القلب والاضعاف

أبو الجحاف — بفتح الجيم وتشديد الحاء المهملة — كنية رؤبة ، والعطاف — بكسر العين — الرداء — مأخوذ من العطف وهو الميل والمحبة ، وغاديك من الغدوة وهو من أول النهار إلى الزوال يقال غدا عليه غدوا وغدوا بالضم إذا بكر وغاداه باكره والجفو الارتفاع والتباعد ونقيض الوصل ، والالطاف — بكسر الهمزة — البريقال ألطفه بكذا أى بره ، وملكت — بالبناء للمفعول وتشديد اللام — والشوب الخلط ، والذعاف — بضم الذال المعجمة — السم وقيل سم ساعة ، والقراف — بكسر القاف — المقاربة وضمير هو للاتلاف أى إتلافى مقرب للاعداء إليك ، والازدلاف الاقتراب فى الحديث «ازدلفوا إلى الله بركعتين» أى تقربوا وأصل الزلفة المنزلة والحظوة ، وقوله «بالمرء» متعلق بالازدلاف ، والعطف الأقبال والانصراف الأدبار ، والاسخاف — بكسر الهمزة وبعد السين المهملة خاء معجمة — رقة العيش ، وسخفة الجوع — بالفتح — رقته وهزاله ، والعطف الشفقة ، والعطاف مبالغة عاطف ، والجدا — بفتح الجيم والقصر — والجدوى وهما العطية ، والضافى — بالمعجمة — الكثير من ضفا المال إذا كثر أو بمعنى السابغ يقال ثوب ضاف من ضفا الشىء يضفو ضفوا . وقوله «والنفع» بالجر عطفا على جداك وروى بدله «والفضل» وقوله «أن تتركنى كفاف» خبر ليت ، وأورده ابن هشام فى المغنى على أن فعال بناؤه على الكسر مشهور فى المعارف كحذام لشبهه بنزال وقد جاء فى غير المعارف ومنه هذا والأصل كافا فهو حال أو ترك كفاف فمصدر اه وقول الصغانى فى العباب : كفاف فى هذا البيت هو من قولهم دعنى كفاف أى كف عنى وأكف عنك أى ننجو رأسا برأس اه وعليه فهو اسم فعل قد جاء على بابه ، والقوى جمع قوة وهى إحدى طاقات الحبل ، والضعاف جمع ضعيف والتوقى التخوف وأصله جعل النفس فى وقاية مما يخاف والوقاية فرط الصيانة وقيل حفظ الشىء مما يؤذيه ويضره ، والأشراف — بكسر الهمزة — النفقة كذا فى العباب

أى إنى جلد غير عاجز عن الاكتساب لولا أنى ملازم على خدمتك وحالف على تعظيمك ، وأقحمنى أدخلنى يقال قحم فلان بنفسه فى كذا إذا دخل فيه من روية وفاعله هو قولك الآتى ، والنفنف — بنو نين كجعفر — المهوى بين جبلين وصقع الجبل الذى كأنه جدار مبنى مستو ، والنفناف بمعناه جعل وصفاً له بمعنى الصعب والشديد وقوله « فى مثل مهوى الخ » بدل من قوله « فى النفنف » والمهوى — ومثله المهواة — بمعنى المسقط اسم مكان من هوى — بالفتح — يهوى — بالكسر — هويا بضم الهاء — وكسر الواو وتشديد الياء — ويقال لما بين الجبلين ونحوه أيضاً مهوى . والهوة — بضم الهاء وتشديد الواو — الوهدة العميقة ، والوصاف — بفتح الواو وتشديد الصاد المهملة — رجل من سادات العرب اسمه مالك بن عامر بن كعب بن سعد بن ضبيعة بن عجل بن لجيم ، سمى الوصاف لحديث له قال أبو محمد الأعرابى : هوة الوصاف فى شعر رؤبة دحل (١) بالحزن لبنى الوصاف من بنى عجل وهوة الوصاف مثل فى العرب يستعملونه فى الدعاء على الأنسان يقال : كبه الله فى هوة ابن الوصاف ؛ وقولك فاعل أقحمنى وأقوالا جمع قول بمعنى المقول . والتحلاف — بفتح التاء — مصدر بمعنى الحلف ، يقول : إن أقوالك الكاذبة المؤكدة بالأيمان الباطلة غرتنى حتى أوقعتنى فى الشدائد والمهالك . وقوله « فيه » أى فى قولك أو فى التحلاف وروى « فيها » أى فى الأقوال . فى العباب : وازدهفه استخفه وفيه ازدهاف أى استعجال وتقحم زاد . فى القاموس : وتزيد فى الكلام يريد أن كلامه يستخف العقول . وأى هذه الدالة على معنى الكمال واذا وقعت بعد النكرة كانت صفة لها وبعد المعرفة كانت حالا منها لكنها نصبت هنا على المصدرية ويجوز رفعها على الوصفية . وما زائدة . والله مبتدأ والظرف خبره والأضعاف أعضاء الجسد جمع ضعف — بالكسر — أى إن الله عالم بما فى الضمائر ولا يخفى عليه ما تضمره لى

والسبب فى عتاب رؤبة أباه ما رواه الاصمعى قال : قال رؤبة : خرجت مع أبى نريد سليمان بن عبد الملك فلما سرنا بعض الطريق قال لى : أبوك راجز وأنت مفحم قلت : أفأقول قال : نعم فقلت أرجوزة فلما سمعها قال لى : أسكت فض الله فاك فلما وصلنا إلى سليمان أنشده أرجوزتى فأمر له بعشرة آلاف درهم فلما خرجنا من عنده قلت له : أتسكتنى وتنشده أرجوزتى فقال : اسكت ويلك فانك أرجز الناس فالتمست منه أن يعطينى نصيباً مما أخذه بشعرى فأبى فنتابذته فقال :

---

(١) الدحل بفتح الدال ويضم نقب ضيق فمه متسع أسفله

لطالما أجرى أبو الجحاف لهيئة بعيـدة الأطراف
يأتى على الأهلين والألاّف سرهفته ما شئت من سرهاف
حتى اذا ما آض ذا أعراف كالكودن المشدود بالاكاف
قال الذى عندك لى صراف من غير ما كسب ولا احتراف

فأجبته بهذه الارجوزة

وفى كتاب مناقب الشبان وتقديمهم على ذوى الاسنان : كان رؤبة يرعى ابل أبيه حتى بلغ وهو لا يقرض الشعر فتزوج أبوه امرأة تسمى عقرب فعادت رؤبة وكانت تقسم إبله على أولادها الصغار فقال رؤبة : ما هم بأحق منى لها إنى لأقاتل عنها السنين وأنتجع الغيث فقالت عقرب للعجاج : اسمع هذا وأنت حى فكيف بنا بعدك ، فخرج فزبره وصاح به وقال له : اتبع إبلك ثم قال :

لطالما أجرى أبو الجحاف فى فرقة طويلة التجافى
لما رآنى أرعشت أطرافى استعجل الدهر وفيه كافى
يخترم الألف مع الألاف

فى أبيات فأنشده رؤبة يجيبه :

إنك لم تنصف أبا الجحاف وكان يرضي منك بالانصاف
وهو عليك دائم التعطاف

هكذا روى الوجهين السيوطى فى شرح شواهد المغنى

وقوله « لطالما أجرى أبو الجحاف » أجرى أرسل جريا — بفتح الجيم وتشديد الياء — وهو الرسول والأجير والوكيل ومفعوله محذوف أى أجرانى يقول: طالما استخدمنى فى صغره ،والهيئة التهيؤ يقال هاء للأمر يهاء ويهيء إذا أخذ له هيأته كتهيأ له وهيأه تهيئة أصلحه ، والألاف —بضم الهمزة وتشديد اللام جمع آلف كعمال جمع عامل ، والسرهفة نعمة الغذاء — بفتح النون — يقال سرهفت الصبى وسرعفته إذا أحسنت غذاءه ، والسرهاف — بالكسر — وروى « سرعفته ماشئت من سرعاف » وآض بمعنى صار والأعراف جمع عرف الفرس ، والكودن الفرس الهجين والبرذون

البغل ، والاكاف البرذعة وهذه صفات ذمله يريد أنه حتي صار رجلا ذا لحية ، وصراف اسم فعل أمر بمعنى اصرف ، وقوله فى الوجه الثانى « استعجل الدهر وفيه كاف » كقول الآخر

تعين علىّ الدهر والدهر مكتف

وقول كسرى : إذا أدبر الدهر عن قوم كفى عدوهم ، وترجمة رؤبة تقدمت فى الشاهد الخامس أول الكتاب

* (وانشد بعده ، وهو الشاهد التسعون ، وهو من شواهد سيبويه) *

٩٠ إنى لأَمْنَحُكَ الصُّدود وإننى قسماً إليْكَ مع الصدودلأَمْيَلُ

على أن قسما تأكيد للحاصل من الكلام السابق بسبب إن واللام يعنى أن قسما تأكيد لما فى قوله « وانى مع الصدود لأميل اليك » من معنى القسم لما فيه من التحقيق والتأكيد من إن ولام التأكيد فلما كان فى الجملة منهما تحقيق والقسم أيضا تحقيق صار كأنه قال أقسم قسما

وقال ابن خلف : الشاهد فيه أنه جعل قسما تأكيداً لقوله « وانى اليك لأميل » وقوله « وانى إليك لأميل » جواب قسم فجعل قسما تأكيدا لما هو قسم وروى أبو الحسن « أصبحت أمنحك » كأنه قال أصبحت أمنحك الصدود ووالله إنى إليك لأميل وهم يحذفون اليمين وهم يريدونها و يبقون جوابها اه

وفيه نظر من وجهين : (الاول) أن الجملة ليست جواب قسم محذوف (والثانى) أن المؤكد لا يحذف

وجعل ابن السراج فى الاصول التوكيد من جهة الاعتراض فقال : قوله قسما اعتراض وجملة هذا الذى يجىء معترضا إنما يكون تأكيداً للشىء أو لدفعه لأنه بمنزلة الصفة فى الفائدة يوضح عن الشىء ويؤكده

وقال ابن جنى فى اعراب الحماسة : انتصاب قسم لا يخلو من أن يكون بما تقدم من قوله « إنى لا منحك الصدود » أو من جملة إنى « إليك لا ميلْ » ولايجوز الأول من حيث كان فى ذلك الحكم بجواز الفصل بين اسم إن وخبرها بمعمول جملة أخرى أجنبى عنهما فثبت بذلك أنه من الجملة الثانية وأنه منصوب بفعل محذوف دل عليه قوله « وانى

إليك لأميل ، أى أقسم قسما وأضمر هذا الفعل و إنما سبق الجزء الأول من الجملة الثانية وهو اسم إن وهذا واضح ا ه

وهذا البيت من قصيدة للأحوص الأنصارى يمدح بها عمر بن عبد العزيز الأموى وأولها:

يابيت عاتكة الذى أتعزل ... حذر العدا و به الفؤاد موكل
إنى لأمنحك الصدود و إننى ... «البيت»
ولقد نزلت من الفؤاد بمنزل ... ما كان غيرك والامانة ينزل
ولقد شكوت إليك بعض صبابتى ... ولقد(١) كتمت من الصبابة أطول
هل عيشنا بك فى زمانك راجع ... فلقد تفحش بعدك المتعلل
فصددت عنك، وما صددت لبغضة ... أخشى مقالة كاشح لا يغفل
ولو أن ماعالجت لين فؤاده ... فقسا استلين به للان الجندل(٢)
ولئن صددت لأنت لولا رقبتى ... أشهى من اللائى أزور وأدخل
وتجنبى بيت الحبيب أحبه ... أرضى البغيض به حديث معضل

وقال فى آخرها يخاطب عمر بن عبد العزيز :

وأراك تفعل ما تقول و بعضهم ... مذق الحديث يقول ما لا يفعل
وأرى المدينة حين كنت أميرها ... أمن البرىء بها ونام الاعزل

وهذا آخر القصيدة ... وعاتكة هى بنت يزيد بن معاوية وكانت ممن يشبب بهامن النساء وقوله « أتعزل » بالعين المهملة أى أتجنبه وأكون منه بمعزل وقوله « وبه الفؤاد موكل » من وكلته بأمر كذا فوضته إليه وقوله « انى لامنحك الصدود الخ » يريد أنه يظهر هجر هذا البيت ومن فيه وهو محب لهم خوفا من أعدائه والواو فى قوله «والامانة»

---

(١) لم أجد هذا البيت فى قصيدة الأحوص ولا يخفى على ذى مسكة من الأدب أنه لو كان المصراع الثانى من البيت هكذا « ولما كتمت من الصبابة أطول » لكان أحسن

(٢) هذا البيت يروى فى غير هذا الكتاب :

لو بالذى عالجت لين فؤاده ... فأبى يلان به للان الأجدل

واو القسم وتفحش من فحش الشيء فحشا مثل قبح قبحا وزنا ومعنى والمتعلل اسم مفعول من تعلل بالشيء إذا تلهى به وعلله بالشيء إذا لهاه به كما يعلل الصبي بشيء من الطعام عن اللبن يقال فلان يعلل نفسه بتعلة وجملة قوله « أخشى مقالة كاشح » استئناف بيانى ويغفل — من باب نصر ينصر — وقوله «ولو ان ما عالجت الخ » ضمير فؤاده عائد للكاشح . وهذا البيت من أبيات مغني اللبيب وهو بنقل حركة الألف إلى واو لو وما موصولة اسم أن وعالجت صلة والعائد محذوف أى به وجملة استلين — بالبناء للمفعول — خبر لان والجندل نائب الفاعل وللان جواب لو وفاعله ضمير الجندل وقسا عطف على الصلة بالفاء وهو خال عن الربط لأن ضميره عائد إلى الفؤاد ولما كان فى الفاء معنى السببية اكتفى من الجملتين بضمير واحد وهو المجرور المحذوف وحذفت به الأولى من الصلة اكتفاء بيه الثانية وهو محل الشاهد فى المغنى . وقوله « لولا رقبتى » هو — بكسر الراء — اسم من المراقبة بمعنى الخوف

والبيت الأول قد عرض به بعض المدنيين لأبى جعفر المنصور . قال المداينى : لما حج المنصور قال للربيع : ابغنى فتى من أهل المدينة أديبا ظريفا عالما بقديم ديارها ، ورسوم آثارها . فقد بعد عهدى بديار قومى وأريد الوقوف عليها . فالتمس له الربيع فتى أعلم الناس بالمدينة وأفهمهم بظريف الأخبار وشريف الأشعار ؛ فعجب به المنصور وكان يسايره أحسن مسايرة ويحاضره أزين محاضرة . ولا يبتدئه بخطاب . إلا على وجه الجواب . فاذا سأله أتى بأوضح دلالة ، وأفصح مقالة . فأعجب به المنصور غاية الاعجاب وقال للربيع ادفع اليه عشرة آلاف درهم ، وكان الفتى مملقا مضطرا فتشاغل الربيع عن القضاء واضطرته الحاجة إلى الاقتضاء وقيل : قال له : الربيع لابد من معاودته وإن أحببت دفعت إليك سلفا من عندى حتي أعاوده فيما أمر لك ، فأبقى ذلك حتى إذا كان فى بعض الليالى قال عند منصرفه مبتدئا : وهذه الدار يا أمير المؤمنين دار عاتكة التى يقول فيها الأحوص :

يا بَيْتَ عاتِكَةَ الّذى أتعزّلُ

ثم سكت فأنكر المنصور هذا من حاله وفكر فى أمره فعرض الشعر على نفسه فاذا فيه :

وأَرَاكَ تَفْعَلُ ما تَقُولُ وبَعْضُهم مَذِقُ الحديث يقُولُ مالاَ يَفْعلُ

فقال للربيع : أدفعت للرجل ما أمرنا له به قال : لا يا أمير المؤمنين قال : فليدفع إليه مضاعفا وهذا أحسن إفهام من الفتى وأحسن فهم من المنصور ولم يسمع فى التعريض بألطف منه

ولقول الأحوص سبب ذكره عبد الله بن عبيدة بن عمار بن ياسر قال : خرجت أنا والأحوص بن محمد مع عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه الى الحج فلما كنا بقديد قلنا لعبد الله بن الحسن : لو أرسلت إلى سليمان بن أبى دباكل الخزاعى فأنشدنا من رقيق شعره فارسل اليه فانشدنا قصيدة له يقول فيها :

يَا بَيْتَ خَنْسَاءَ الّذِى أَتَجَنَّبُ ذَهَبَ الزَّمَانُ وحُبُّهَا لاَ يَذْهَبُ
أَصبحتُ أمنحك الصدود وإننى قسماً إليك مع الصدود لأَجْنَبُ
مالى أحن الى جمالك قربة وأصد عنك وأنت منى أقرب
لِلّهِ دَرُّكَ هَلْ لَدَيْكَ معوّل لِمُتَيَّمٍ أمْ هَلْ لِوُدِّكَ مطلب
فَلَقَدْ رَأَيْتُكَ قَبْل ذَلِكَ وإننى لموكل بهواك لو متجنب
اذ نحن في الزمن الرخى وأنتم متجاورين كلامكم لا يرقب
تَبْكِى الحمامة شَجْوَها فيهيجنى ويَرُوحُ عَازِبُ همى المتأوّبُ
وتهب سَارِيةُ الرياح مِن ارضكم فأرى البلاد بها يطلّ ويجنب
وأرى السمية باسمكم فيزيدنى شوقا اليك سميك المتغرب
وَأَرَى الصَّدِيقَ يَوَدُّكُمْ فأَوَدُّهُ إن كان ينسب منك أو يتنسب
وأخالق الواشين فيك تجملا وهم علىّ ذوو ضغائن دُوّب
ثم اتخذتهم على وليجة حتى غضبت ومثل ذلك يغضب

فلما كان من قابل حج أبو بكر بن عبد العزيز فلما مر بالمدينة دخل عليه الأحوص ابن محمد فاستصحبه ففعل فلما خرج الأحوص قال له بعض من عنده ماتريد بنفسك.

تقدم الشام بالأحوص وفيها من ينفسك من بنى أبيك وهو من السفه على ماعلمت ، فلما رجع أبو بكر من الحج دخل عليه الأحوص متنجزا ماوعده من الصحبة فدعا له بمائة دينار وأثواب وقال : ياخالى إنى نظرت فيما ضمنت لك من الصحابة فكرهت أن أهجم بك على أمير المؤمنين فقال الأحوص : لاحاجة لى بعطيتك ولكنى شبعت عندك ثم خرج فأرسل عمر بن عبد العزيز الى الأحوص وهو أمير المدينة فلما دخل عليه أعطاه مائة دينار وكساه ثيابا ثم قال ياخالى هب لى عرض أخى قال : هو لك ثم خرج الأحوص وهو يقول فى عروض قصيدة سليمان المذكورة يمدح عمر بن عبد العزيز :

يَابَيْتَ عاتكة الذى أتعزل حذَرَ العِدَا و به الفؤاد موكل

حتى انتهى إلى قوله :

فسموت عن اخلاقهم فَتَرَكْتهم لنداك إن الحازم المتوكل

ووعَدْتنى في حاجتى فصدقتنى ووفيت إذ كذبوا الحديث وبدّلوا

ولقد بدأت اريد ود معاشر وعدوا مواعد أخلفت إذ حصلوا

حتى إذا رَجَعَ اليقين مَطامِعى يأسا واخلفنى الذين أؤمّل

زايلت ما صنعوا إليك برحلة عَجْلى وعندك منهم المتحول

وأراك تفعل ماتقول وبعضهم مَذِق الحديث يقول مالا يفعل

فقال له عمر بن عبد العزيز : ما أراك أعفيتنى مما استعفيتك

والأحوص وان أغار على قصيدة سليمان فقد أربى عليه فى الأحسان وكان كما قال ابن المرزبان وقد أنشد لابن المعتز قصيدته فى مناقضة ابن طباطبا العلوى التى أولها

دَعُوا الأسْدَ تكنس غاباتها ولا تدخلوا بين أنيابِها

وقال : أخذه من قول بعض العباسيين المتقدمين

دَعُوا الأسْدَ تكنس أغيالها ولاَ تقرَبُوهَا وأَشْبالَهَا

ولكنه أخذه ساجا ورده عاجا وغل قطيفة ورد ديباجا

والمذق — بكسر الذال المعجمة — من يخلط بكلامه كذبا ، من مذقت اللبن والشراب — من باب قتل — اذا مزجته وخلطته

وعاتكة بنت يزيد المذكورة: هي زوجة عبد الملك بن مروان وكان شديد المحبة لها فغاضبته فى بعض الأمور وسدت الباب الذى بينها و بينه فساءه ذلك وتعاظمه وشكاه إلى من يأنس به من خاصته فقال له عمر بن بلال الاسدى: إن أنا أرضيتها لك حتى ترضى فما الثواب ؟ قال : حكمك ، فأتى إلى بابها وقد مزق ثوبه وسوده ، فاستأذن عليها وقال: الأمر الذى أتيت فيه عظيم فأدخل لوقته فرمى بنفسه وبكى ، فقالت : مالك ياعم قال: لى ولدان هما من المبرة والاحسان إلى فى غاية ، وقد عدا أحدهما على أخيه فقتله وفجعنى به فاحتسبته وقلت يبقى لى ولد أتسلى به ، فأخذه أمير المؤمنين وقال : لابد من القود وإلا فالناس يجترئون على القتل وهو قاتله إلا أن يغيثنى الله بك. ففتحت الباب ودخلت على عبد الملك وأكبت على البساط تقبله وتقول : يا أمير المؤمنين قد تعلم فضل عمر ابن بلال وقد عزمت على قتل ابنه فشفعنى فيه ، قال عبد الملك : ما كنت بالذى أفعل فأقبلت فى الضراعة والخضوع حتى وعدها العفو عنه وصلح ما بينهما ووفى لعمر بما وعده به ، كل هذا من كتاب الجواهر فى الملح والنوادر تأليف أبى اسحق ابراهيم بن على المعروف بالحصرى صاحب زهر الآداب،

وترجمة الأحوص تقدمت فى الشاهد الخامس والثمانين

﴿ وأنشد بعده: وهو الشاهد الحادى والتسعون، قول
أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم ﴾

٩١ إذَنْ لاتبعناه على كلِّ حالةٍ ... من الدَّهْرِ جِدًّا غيرَ قَوْلِ التهازل

على أن المصدر المؤكد لغيره يكون فى الحقيقة مؤكداً لنفسه ، لأنه إما مع صريح القول كقوله تعالى « ذلك عيسى بن مريم قول الحق » أو ماهو فى معنى القول كما فى هذا البيت فأن قوله «جداً» مصدر مؤكد لما يحتمل غيره ، فان قوله اتبعناه يحتمل أن يكون قاله على سبيل الجد وهو المفهوم من اللفظ ، وأن يكون قاله على طريق الهزل وهو احتمال عقلى، فأكد المعنى الأول بما هو فى معنى القول لأنه أراد به قولا جداً والقرينة عليه ما بعده، فان قول التهازل يقابل قول الجد فكان الأولى أن يقول قول جد بالاضافة

ليناسب مابعده فيكون لما حذف المضاف أعرب المضاف إليه بأعرابه، وغير بالنصب صفة لقوله جداً ولا تضر الاضافة إلى المعرفة فانها متمكنة فى الابهام لاتتعرف، وزعم ابن السراج أن غيرا إذا وقعت بين ضدين كما هنا اكتسبت التعريف من الاضافة، ويرده قوله تعالى: «نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل» وإن زعم أنها فى مثل هذا بدل يرده أن غيرا وضعت للوصف والبدل بالوصف ضعيف والتهازل بمعنى الهزل فان تفاعل قد يأتى بمعنى فعل كتوانيت بمعنى ونيت لكنه أبلغ من المجرد وقوله «اذاً لاتبعناه» جواب قسم فى بيت قبله وهو

فَوَاللهِ لولا أنْ أجيء بِسُبَّةٍ ... تَجُرُّ على أشياخِنَا فى القبائل

والضمير المنصوب فى اتبعناه راجع للنبى صلى الله عليه وسلم وروى «لكنا اتبعناه» والسبة - بضم السين - يقال: صار عليه هذا الأمر سبة أى عارا يسب به وتجر مضارع جر - بفتح الجيم - من جر عليهم جريرة أى جنى عليهم جناية وفى بمعنى بين

والبيتان من قصيدة طويلة تزيد على مائة بيت لأبى طالب عاذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودد فيها إلى أشراف قومه وأخبر قريشاً أنه غير مسلم محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد أبدا حتى يهلك دونه ومدحه فيها أيضاً وقالها فى الشعب لما اعتزل مع بنى هاشم وبنى عبد المطلب قريشا :

وسبب دخوله الشعب أن كفار قريش اتفق رأيهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : قد أفسد أبناءنا ونساءنا فقالوا لقومه: خذوا منادية مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش وتريحونا وتريحون أنفسكم ، فأبى بنو هاشم ذلك وظاهرهم بنو عبدالمطلب، فاجتمع المشركون من قريش على منابذتهم وإخراجهم من مكة إلى الشعب فلما دخلوا الشعب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة وكانت متجرا لقريش وكان يثنى على النجاشى بأنه لا يظلم عنده أحد فانطلق عامة من آمن بالله ورسوله إلى الحبشة ودخل بنو هاشم وبنو عبدالمطلب الشعب مؤمنهم وكافرهم: فالمؤمن ديناً والكافر حمية، فلما عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد منعه قومه أجمعوا على أن لايبايعوهم ولا يدخلوا إليهم شيئاً من الرفق وقطعوا عنهم الأسواق ولم يتركوا طعاما ولا إداماً إلا بادروا إليه واشتروه ولا

ينا كحوهم ولا يقبلوا منهم صلحا أبداً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى الكعبة وتمادوا على العمل بما فيها من ذلك ثلاث سنين، فاشتد البلاء على بنى هاشم ومن معهم فأجمعوا على نقض ماتعاهدوا عليه من الغدر والبراءة، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى طالب: ياعم إن ربى قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلحستها إلا ما كان اسماً لله فأبقته قال: أربك أخبرك بهذا قال: نعم قال: فوالله مايدخل عليك أحد ثم خرج إلى قريش فقال يامعشر قريش إن ابن أخى أخبرنى ولم يكذبنى أن هذه الصحيفة التى فى أيديكم قد بعث الله عليها دابة فلحست مافيها فان كان كما يقول فأبقوا فلا والله لانسلمه حتى نموت وان كان يقول باطلا دفعناه اليكم فقالوا: قد رضينا ففتحوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر به صلى الله عليه وسلم وقالوا: هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغياً وعدوانا فقال أبو طالب: يامعشر قريش علام نحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبين أنكم أهل الظلم والقطيعة ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة وقال: اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل مايحرم عليه منا، ثم انصرف إلى الشعب وقال هذه القصيدة

قال ابن كثير: هى قصيدة بليغة جداً لايستطيع أن يقولها الا من نسبت اليه وهى أفحل من المعلقات السبع وأبلغ فى تأدية المعنى وقد أحببت أن أوردها هنا منتخبة مشروحة بشرح يوفى المعنى محبة فى النبى صلى الله عليه وسلم وهى هذه:

خَلِيلَىَّ ما أُذْنِى لِأَوَّلِ عَاذِلٍ   بِصَغْوَاءَ فى حَقٍّ ولا عِنْدَ بَاطِلِ

بصغواء خبر ما النافية وهى حجازية ولذا زيدت الباء والصغو الميل وأصغيت الى فلان ذا ملت بسمعك نحوه، ولأول عاذل متعلق بصغواء، وفى حق متعلق بعاذل أى لاأميل بأذنى لأول عاذل فى الحق: وإنما قيد العاذل بالأول لأنه اذا لم يقبل عذل العاذل الأول فمن باب أولى أن لايقبل عذل العاذل الثانى فأن النفس إذا كانت خالية الذهن ففى الغالب أن يستقر فيها أول مايرد عليها،

خَلِيلَىَّ إنَّ الرَّأْىَ لَيْسَ بِشِرْكَةٍ   وَلاَ نَهْنَهٍ عند الأُمُورِ البلابِلِ

أراد أن الرأى الجيد يكون بمشاركة العقلاء فان لم يتشاركوا بأن كانوا متباغضين لم ينتج شيئاً، والرأى ما لم يتخمر فى العقول كان فطيراً، والنهنه — بنونين وهاءين

كجعفر ـ المضيء والنير الشفاف الذى يظهر الأشياء على جليتها ، وأصله الثوب الرقيق النسج ومن شأنه أن لا يمنع النظر إلى ماوراءه وهو معطوف على شركة ، والبلابل أما جمع بلبلة ــ بفتح الباءين ــ أو جمع بلبال ــ بفتحهما ــ وهما بمعنى الهم ووساوس الصدر كزلازل جمع زلزلة وزلزال ــ بالفتح ــ وهو إما على حذف مضاف أى ذات البلابل أو أنها بدل من الأمور

ولمَّا رأيتُ القوم لاودّ عِنْدَهُمْ وَقدْ قَطَعُوا كل العُرَا والوسائِل

أراد بالقوم كفار قريش ، والعرا جمع عروة وهى معروفة ، وأراد بها هنا ما يتمسك به من العهود مجازاً مرسلا ، والوسائل جمع وسيلة وهى مايتقرب به

وقد صَارحُونا بالعَدَاوَةِ والأذى وقد طَاوَعُوا أَمْرَ العَدُوِّ المُزايلِ

صارحونا كاشفونا بالعداوة صريحاً والصراحة وإن كانت لازمة لكنها لما نقلت إلى باب المفاعلة تعدت. والمزايل اسم فاعل من زايله مزايلة وزيالا فارقه وباينه ؛ وإنما يكون العدو مفارقا اذا صرح بالعداوة فلا تمكن العشرة . ومن قال المزايل المعالج وظنه من المزاولة لم يصب

وقدْ حَالفُوا قَوْماً عَلَيْنَا أظِنَّةً يعضون غيظا خلفنا بالأنامل

حالفوا قوما مثل صارحونا فى أنه كان لازماً وتعدى إلى المفعول بنقله إلى باب المفاعلة والتحالف التعاهد والتعاقد على أن يكون الأمر واحداً فى النصرة والحماية ، وبينهما حلف أى عهد والحليف المعاهد وعلينا متعلق بحالفوا ، والأظنة جمع ظنين وهو الرجل المتهم والظنة ــ بالكسر ــ التهمة ، والجمع الظنن يقال منه أطنه وأظنه ــ بالطاء والظاء ــ إذا اتهمه، قال الشاطبي فى شرح الألفية: أفعلة قياس فى كل اسم مذكر رباعى فيه مدة ثالثة فهذه أربعة أوصاف معتبرة: فأن كان صفة لم يجمع قياساً على أفعلة فان جاء عليه فمحفوظ لايقاس عليه قالوا فى شحيح أشحة وفى ظنين أظنة قال تعالى « أشحة عليكم » وقال أبو طالب وأنشد هذا البيت

صَبَرْتُ لهم نَفسى بسمراءَ سَمْحَةٍ وأبيضَ عَضْبٍ من تُراث المَقاوِلِ

الصبر الحبس ، والسمراء القناة ، والسمحة اللدنة اللينة التى تسمح بالهز والانعطاف ،

والأبيض السيف ، والعضب القاطع ، والمقاول جمع مقول ــ بكسر الميم ــ الرئيس وهو دون الملك كذا فى المصباح عن ابن الأنبارى . وقال السهيلى فى الروض الأنف: أراد بالمقاول آباءه، شبههم بالملوك ولم يكونوا ملوكا ولا كان فيهم ملك بدليل حديث أبى سفيان حين قال له هرقل: هل كان فى آبائه من ملك ؟ فقال : لا ، ويحتمل أن يكون هذا السيف من هبات الملوك لأبيه فقد وهب ابن ذى يزن لعبد المطلب هبات جزيلة حين وفد عليه مع قريش يهنئونه بظفره بالحبشة وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين

وأحضرت عند البيت رَهْطِي و إخوتى   وأمسكتُ من أثوابه بالوصائل

الوصائل ثياب مخططة يمانية كان البيت يكسى بها

قِياماً معاً مستقبلين رِتاجَهُ   لَدَى حَيْثُ يقضى خلفه كل نَافِلِ

الرتاج الباب العظيم وهو مفعول مستقبلين والنافل فاعل من النافلة وهو التطوع

أعوذ برب الناس من كل طاعن   علينا بسوء أو ملحٍّ بباطل

ومنْ كاشِحٍ يَسْعَى لنا بمعيبة   ومن ملحق فى الدين مالم نحاول

ملح اسم فاعل من ألح على الشيء إذا أقبل عليه مواظباً. والمعيبة العيب والنقيصة، ونحاول نريد

وثورٍ ومَنْ أرْسَى ثبيرا مَكَانَهُ   وَرَاقٍ لبر في حراء ونازل

ثور معطوف على رب الناس وهو وثبير وحراء جبال بمكة. والبر خلاف الأثم وهو رواية ابن اسحق وغيره، وروى ابن هشام «ليرقى» وهو خطأ لأن الراقى لا يرقى وانما هو لبرأى فى طلب بر أقسم بطالب البر بصعوده فى حراء للتعبد فيه وبالنازل منه

وبالبيت حقّ البيت من بطن مَكّة   وبالله إن الله ليس بغافـــــل

وبالحجر الأسْود إذْ يَمْسَحُونَه   إذا اكتنفوه بالضُّحَى والاصائل

قال السهيلى: وقوله «وبالحجر الأسود» فيه زحاف يسمى الكف وهو حذف النون من مفاعيلن وهو بعد الواو من الأسود ، والأصائل جمع أصيلة والأصل جمع أصيل ، وذلك لأن فعائل جمع فعيلة ، والأصيلة لغة معروفة فى الأصيل انتهى : وهو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب

وموْطِيء إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

موطيء إبراهيم عليه السلام هي موضع قدمه حين غسلت كنته رأسه وهو راكب فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليغسل وكانت سارة قد أخذت عليه عهداً حين استأذنها فى أن يطالع ماتركه بمكة فحلف لها أنه لاينزل عن دابته ولا يزيد على السلام واستطلاع الحال غيرة من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة ألقى فيها الله أثر قدمه آية قال تعالى: «فيه آيات بينات مقام ابراهيم » أى منها مقام ابراهيم ومن جعل مقام ابراهيم بدلا من آيات قال: المقام جمع مقامة ، وقيل: بل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه

وأشْواط بين المرْوَتَيْن إلى الصفَا وما فيهما من صورة وتمائل

هو جمع تمثال وأصله تماثيل فحذف الياء

ومن حج بيت الله من كل راكب ومن كل ذى نذر ومن كل راجل

فهل بعد هذا من مَعاذٍ لعائذ وَهَلْ من معيذ يتقى الله عادل ؟

المعاذ — بالفتح — اسم مكان من عاذ فلان بكذا إذا لجأ اليه واعتصم به والمعيذ اسم فاعل من أعاذه بالله أى عصمه به وعادل صفة معيذ بمعنى غير جائر

يُطَاعُ بنا العـدا وَوَدّوا ولو أننا تسدُّ بنا أبواب تُرْكٍ وكابلِ

العدا بضم العين و كسرها اسم جمع للعدو ضد الصديق وروى الأعدا وهو جمع عدو وتسد بنا أى علينا و الترك وكابل — بضم الباء — صنفان من العجم

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ نترك مكة ونظعن إلا أمركم في بلابل

أى والله لانترك مكة ولا نظعن منها لكن أمركم فى همو م ووساوس صدر وروى «فى تلاتل» بالمثناة الفوقية جمع تلتلة وهو الاضطراب والحركة

كذبتم و بيت الله نبْزى مُحَمَّداً ولما نطاعِنْ دونه ونناضل

الواو للقسم ونبزى جواب القسم على تقدير لا النافية فانها يجوز حذفها فى الجواب كقوله تعالى «تالله تفتؤ » أى لاتفتؤ ، ونبزى — بالبناء للمفعول — أى نغلب و نقهر عليه يقال أبزى فلان بفلان إذا غلبه وقهره كذا فى الصحاح ، فهو بالباء و الزاى المنقوطة ومحمدا

منصوب بنزع الباء ، ولما نافية جازمة والجملة المنفية حال من نائب فاعل نبزى والطعن يكون بالرمح والنضال يكون بالسهم

ونسلمُهُ حتى نصرَّعَ حوله ونذْهَلَ عن أبنائنا والحلائل

ونسلمه بالرفع معطوف على نبزى أى لانسلمه من أسلمه بمعنى سلمه لفلان أو من أسلمه بمعنى خذله ونصرع ونذهل بالبناء للمفعول والحلائل جمع حليلة وهى الزوجة قال ابن هشام فى السيرة قال عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب لما أصيب فى قطع رجله يوم بدر أما والله لو أدرك أبا طالب هذا اليوم لعلم أنى أحق بما قال منه حيث يقول:

كذبتم و بيت الله نبزى محمدا « البيت »

وما بعده

وينْهَضُ قوم فى الحديد إليكم نهوضَ الرّوايا تحْتَ ذَاتِ الصلاصِل

و ينهض — بفتح الياء — و هو منصوب معطوفا على نصرع، والنهوض فى الحديد عبارة عن لبسه واستعماله فى الحرب، والروايا جمع راوية وهو البعير أو البغل أو الحمار الذى يستقى عليه وذات الصلاصل هى المزادة التى ينقل فيها الماء و تسميها العامة الراوية ، والصلاصل جمع صلصلة — بضم الصادين — و هى بقية الماء فى الأداوة يريد أن الرجال مثقلين بالحديد كالجمال التى تحمل المياه مثقلة شبه قعقعة الحديد بصلصلة الماء فى المزادات

وحتى نرى ذا الضِّغْن يركب رَدْعَهُ من الطعن فعل الأُنكب المتحامل

نرى بالنون من رؤية العين والضغن — بالكسر — الحقد وجملة يركب حال من مفعول نرى يقال للقتيل ركب ردعه إذا خر لوجهه على دمه، والردع بفتح الراء وسكون الدال اللطخ والأثر من الدم و الزعفران ومن الطعن متعلق بيركب والأنكب المائل إلى جهة وأراد كفعل الأنكب، فى الصحاح: والنكب — أى بفتحتين — داء يأخذ الابل فى مناكبها فتظلع منه وتمشى منحرفة يقال نكب البعير — بالكسر — ينكب نكبا فهو أنكب وهو من صفة المتطاول الجائر ، والمتحامل بالمهملة الجائر والظالم

وإنَّا لعَمْرُ الله إن جَدَّ ما أرَى لَتَلْتَبِسَنْ أسيافنَا بالأماثل

عمر الله مبتدأ والخبر محذوف أى قسمى ، وجملة لتلتبسن جواب القسم ، والجملة القسمية خبر إن ، وقوله إن جد شرطية وجد بمعنى لج ودام وعظم ، وما موصولة

وأرى من رؤية البصر والمفعول محذوف وهو العائد وجواب الشرط محذوف وجوبا لسد جواب القسم محله ، والالتباس الاختلاط والملابسة والنون الخفيفة للتوكيد. وأسيافنا فاعل تلتبس والأماثل الأشراف جمع أمثل، والمعنى إن دام هذا العناد الذى أراه تنل سيوفنا أشرافكم

بِكفَّى فَتىً مثلِ الشّهَابِ سَمَيْدَعِ أخِى ثقَةٍ حامى الحقيقة باسل

بكفى تثنية كف والباء متعلقة بقوله تلتبس ، وقد حقق الله ماتفرسه أبو طالب يوم بدر ، وقوله مثل الشهاب يريد أنه شجيع لايقاومه أحد فى الحرب كأنه شعلة نار يحرق من يقرب منه، والسميدع ــ بفتح السين ــ وضمها خطأ وبفتح الدال المهملة وإعجامها لا أصل له خلافا لصاحب القاموس ــ ومعناه السيد الموطأ الأكناف .قال المبرد فى أول الكامل: معنى موطأ الاكناف أن ناحيته يتمكن فيها صاحبه غير مؤذى ولاناب به موضعه والتوطئة التذليل والتمهيد يقال دابة وطىء يافتى وهو الذى لايحرك راكبه فى مسيره وفراش وطىء إذا كان وثيرا لايؤذى جنب النائم عليه . قال أبو العباس: حدثني العباس بن الفرج الرياشى قال ــ حدثنى الأصمعى قال قيل لأعرابى ــ وهو المنتجع بن نبهان: ما السميدع فقال: السيد الموطأ الأكناف وتأويل الأكناف الجوانب يقال فى المثل فلان فى كنف فلان كما يقال فلان فى ظل فلان وفى دار فلان وفى حيز فلان انتهى. والثقة مصدر وثقت به أثق ــ بكسرهما ــ إذا ائتمنته. والأخ يستعمل بمعنى الملازم والمداوم. والحقيقة مايحق على الرجل أن يحميه والباسل الشجيع الشديد الذى يمتنع أن يأخذه أحد فى الحرب والمصدر البسالة وفعله بسل ــ بالضم ــ وأراد بصاحب هذه الصفات الفاضلة محمدا صلى الله عليه وسلم

وما تركُ قوم – لا أبالك – سيدا يَحُوطُ الذمَارَ غير ذرب مواكل

ما استفهامية تعجبية مبتدأ عند سيبويه، وترك خبر المبتدأ وعند الأخفش بالعكس. وقوله «لا أبالك» يستعمل كناية عن المدح والذم ، ووجه الأول أن يراد نفى نظير الممدوح بنفى أبيه ، ووجه الثانى أن يراد أنه مجهول النسب والمعنيان محتملان هنا والسيد من السيادة وهو المجد والشرف ، وحاطه يحوطه حوطا رعاه وفى الصحاح: وقولهم فلان حامى الذمار أى إذا ذمر وغضب حمى وفلان أمنع ذمارا من فلان ويقال الذمار ما وراء الرجل

مما يحق عليه أن يحميه لأنهم قالوا حامي الذمار كما قالوا حامي الحقيقة وسمى ذمارا لأنه يجب على أهله التذمر له ، وسميت حقيقة لأنه يحق على أهلها الدفع عنها ، وظل يتذمر على فلان إذا تنكر له وأوعده ، والذرب — بفتح الذال المعجمة وكسر الراء ، لكنه سكنه هنا — وهو الفاحش البذىء اللسان ، والمواكل اسم فاعل من واكلت فلانا مواكلة إذا اتكلت عليه واتكل هو عليك ، ورجل وكل — بفتحتين — ووكلة — كهمزة — وتكلة أى عاجز يكل أمره إلى غيره ويتكل عليه

وأَبْيَضَ يستسقى الْغَمَامُ بوجهه ثِمَالُ الْيتامى عِصْمَةٌ لِلأَرامل

أبيض معطوف على سيد المنصوب بالمصدر قبله وهو من عطف الصفات التى موصوفها واحد ، هكذا أعربه الزركشى فى نكته على البخارى المسمى بالتنقيح لألفاظ الجامع الصحيح ، وقال : لا يجوز غير هذا ، وتبعه ابن حجر فى فتح البارى ، وكذلك الدمامينى فى تعليق المصابيح على الجامع الصحيح ، وفى حاشيته على مغنى اللبيب أيضا . وزعم ابن هشام فى المغنى أن أبيض مجرور برب مقدرة وأنها للتقليل ، والصواب الأول فأن المعنى ليس على التنكير بل الموصوف بهذا الوصف واحد معلوم ، والأبيض هنا بمعنى الكريم ، قال السمين فى عمدة الحفاظ : عبر عن الكرم بالبياض فيقال : له عندى يد بيضاء أى معروف ، وأورد هذا البيت ، والبياض أشرف الألوان وهو أصلها إذ هو قابل لجميعها ، وقد كنى به عن السرور والبشر وبالسواد عن الغم ، ولما كان البياض أفضل الألوان قالوا : « البياض أفضل ، والسواد أهول ، والحمرة أجمل والصفرة أشكل » ويستسقى بالبناء للمفعول ، والجملة صفة أبيض ، والثمال العماد والملجأ والمطعم والمغنى والكافى ، والعصمة ما يعتصم به ويتمسك ، قال الزركشى : يجوز فيهما النصب والرفع ، والأرامل جمع أرملة وهى التى لا زوج لها لافتقارها إلى من ينفق عليها وأصله من أرمل الرجل إذا نفد زاده وافتقر فهو مرمل وجاء أرمل على غير قياس ، قال الأزهرى : لا يقال للمرأة أرملة إلا إذا كانت فقيرة فأن كانت موسرة فليست بأرملة ، والجمع أرامل حتى قيل رجل أرمل إذا لم يكن له زوج ، قال ابن الانبارى : وهو قليل لأنه لا يذهب بفقد امرأته لأنها لم تكن قيمة عليه ، وقال ابن السكيت : الأرامل المساكين رجالا كانوا أو نساء ، قال السهيلى فى الروض الانف : فأن قيل :

كيف قال أبو طالب «وأبيض يستسقى الغمام بوجهه» ولم يره قط استسقى به إنما كانت استسقاآته عليه الصلاة والسلام بالمدينة في سفر وحضر وفيها شواهد ما كان من سرعة إجابة الله له ؟ فالجواب أن أبا طالب قد شاهد من ذلك في حياة عبد المطلب ما دله على ما قال. انتهى . ورده بعضهم بأن قضية الاستسقاء متكررة اذ واقعة أبي طالب كان الاستسقاء به عند الكعبة وواقعة عبد المطلب كان أولها أنهم أمروا باستلام الركن ثم بصعودهم جبل أبي قبيس ليدعو عبد المطلب ومعه النبي صلى الله عليه وسلم ويؤمن القوم فسقوا به ، قال ابن هشام في السيرة : حدثني من أثق به قال : أقحط أهل المدينة فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوا ذلك إليه فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فاستسقى فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحي يشكون منه الغرق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم حوالينا ولا علينا » فانجاب السحاب عن المدينة فصار حواليها كالأكليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره » فقال له بعض أصحابه وهو علي : كأنك أردت يارسول الله قوله:

وأبيض يَسْتسقى الغمام بوجهه «البيت»

قال: أجل، انتهى ، وبتصديق النبي صلى الله عليه وسلم كون هذا البيت لأبي طالب — وعليه اتفق أهل السير — سقط ما أورده الدميري في شرح المنهاج في باب الاستسقاء عن الطبراني وابن سعد أن عبد المطلب استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم فسقوا ولذلك يقول عبد المطلب فيه يمدحه

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه « البيت »

قال ابن حجر الهيتمي في شرح الهمزية : وسبب غلط الدميري في نسبة هذا البيت لعبد المطلب أن رقيقة — براء مضمومة وقافين — بنت أبي صيفي بن هشام — وهي التي سمعت الهاتف في النوم أو في اليقظة لما تتابعت على قريش سنون أهلكتهم يصرخ يامعشر قريش إن هذا النبي المبعوث قد أظلتكم أيامه فحيهلا بالحيا والخصب ثم أمرهم بان يستسقوا به وذكر كيفية يطول ذكرها فلما ذكرت الرواية في القصة — أنشأت تمدح النبي صلى الله عليه وسلم بأبيات آخرها

مبارك الأمر يستسقى الغمام به ما فى الانام له عَدْلٌ ولا خطر

فأن الدميرى لما رأى هذا البيت فى رواية قصة عبد المطلب التى رواها الطبرانى وهو يشبه بيت أبى طالب إذ فى كل استسقاء الغمام به — توهم أن بيت أبى طالب لعبد المطلب وإنما هو لرقيقة المذكورة والحكم عليه بأنه عين البيت المنسوب لأبى طالب ليس كذلك بل شتان ما بينهما فتأمل هذا المحل فأنه مهم وقد اغتر بكلام الدميرى من لا خبرة له بالسير انتهى

يَلوذ به الهُلاَّك من آل هاشم فهُمْ عنده فى رحْمَةٍ وفواضل

يلوذ صفة أخرى لموصوف سيد ، والهلاك الفقراء والصعاليك الذين يتنابون الناس طلبا لمعروفهم من سوء الحال ، وهو جمع هالك قال جميل :

أبيت مع الهلاك ضيفاً لأهلها وأهلى قريبٌ موسِعونَ ذوو فضل

وقال زياد بن حمل :

ترى الأرامل والهلاك تتبعه يستن منه عليهم وابل رذم

(جزى اللهُ عنّا عبدشمس ونوفلا عقوبة شَرٍّ عاجلا غير آجل)

نوفل هو ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهو ابن العدوية وكان من شياطين قريش قتله على بن أبى طالب يوم بدر

بميزان قسط لايخس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل

بميزان متعلق بجزى الله، والقسط بالكسر العدل، وخس يخس من باب ضرب إذا نقص وخف وزنه فلم يعادل مايقابله، وله أى للميزان شاهد أى ميزان من نفسه أى من نفس القسط ، غير عائل صفة شاهد أى غير مائل يقال : عال الميزان يعول إذا مال كذا فى العباب وأنشد هذا البيت كذا :

بميزان صدْقٍ لا يغلّ شعيرة * له شاهدٌ «البيت»

ونحن الصميم من ذؤابة هاشمٍ وآل قصَىٍّ فى الخطوب الأوائل

الصميم الخالص من كل شىء ، والذؤابة الجماعة العالية وأصله الخصلة من شعر الرأس

وكل صديق وابن أُخْتٍ نعُدُّه لعَمْرى وجدنا غبّه غير طائل

الغب بالكسر العاقبة ، و يقال هذا الأمر لاطائل فيه إذا لم يكن فيه غناء ومزية مأخوذ من الطول بمعنى الفضل

سوى أنّ رهطا من كلاب بن مرّةٍ   براء إلينا من مَعَقَّة خاذل

قال السهيلي : يقال قوم براء بالضم وبراء بالفتح وبراء بالكسر فاما براء بالكسر فجمع برىء مثل كريم وكرام وأما براء فمصدر مثل سلام والهمزة فيه وفى الذى قبله لام الفعل و يقال رجل براء ورجلان براء و إذا كسرتها أو ضممت لم يجز فأإلا فى الجمع وأما براء بضم الباء فالأصل فيه برآء مثل كرماء واستثقلوا اجتماع الهمزتين فحذفوا الأولى وكان وزنه فعلاء فلما حذفوا التى هى لام الفعل صار وزنه فعاء وانصرف لأنه أشبه فعالا والمعقة بفتح الميم مصدر بمعنى العقوق

ونعم ابن أخت القوم غيرَ مكذب   زهيرٌ حساماً مفرداً من حمائل

قال ابن هشام فى السيرة : زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، و أمه عاتكة بنت عبد المطلب انتهى ، و زهير هو المخصوص بالمدح مبتدأ وجملة « نعم ابن أخت القوم » هو الخبر وغير مكذب بالنصب حال من فاعل نعم وهو ابن ، ومكذب على صيغة اسم المفعول يقال كذبته بالتشديد إذا نسبته إلى الكذب ووجدته كاذبا أى هو صادق فى مودته لم يلف كاذبا فيها ، والحسام السيف القاطع وهو منصوب على المدح بفعل محذوف أى يشبه الحسام المسلول فى المضاء و رواه العينى فى شرح شواهد الألفية « حسام مفرد » برفعهما وقال : حسام صفة لزهير وقوله « مفرد من حمائل » صفة للحسام وهذا — على تقدير صحة الرواية — خبط عشواء فان زهيرا علم وحساما نكرة والمفرد المجرد والحمائل جمع حمالة وهى علاقة السيف مثل المحمل بكسر الميم ، هذا قول الخليل قال الأصمعى : حمائل السيف لا واحد لها من لفظها وإنما واحدها محمل كذا فى العباب ، وهذا البيت استشهد به شراح الألفية على أن فاعل نعم مظهر مضاف إلى ما أضيف إلى المعرف باللام

أشم من الشُّم البهاليل ينتمى   إلى حسب في حَوْمة المجد فاضل

الشمم ارتفاع فى قصبة الأنف مع استواء أعلاه وهذا مما يمدح به وهو أشم من قوم وشم البهاليل جمع بهلول — بالضم — قال الصغانى : و البهلول من الرجال الضحاك وقال ابن

عباد هو الحى الكريم ، وينتمي ينتسب ، وفاضل – بالضاد المعجمة – صفة حسب

لعمرى لقد كلفت وَجْداً بأحمد　　و إخوته دأب المُحِبّ المواصل

كلفت – بالبناء للمفعول والتشديد – مبالغة كلفت به كلفا – من باب تعب – اذا أحببته وأولعت به ووجدا أى كلف وجد يقال : وجدت به وجدا إذا حزنت عليه وبأحمد متعلق بكلفت وهو اسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويجوز أن يكون من كلفته الأمر فتكلفه مثل حملته فتحمله وزنا ومعنى مع مشقة فوجداً مفعوله الثانى وبدون التضعيف متعد لواحد يقال كلفت الأمر – من باب تعب – حملته على مشقة وأراد بأخوته أولاده جعفرا وعقيلا وعليا رضى الله عنهم فأن أبا طالب كان عم النبى صلى الله عليه وسلم والعم أب فأولاده إخوة النبى صلى الله عليه وسلم ، ودأب مصدر منصوب بفعله المحذوف أى ودأبت دأب المحب يقال فلان دأب فى عمله إذا جد و تعب

فلا زال فى الدنيا جَمالا لأهلها　　وزيناً لمن ولاه ذَبٌّ المشاكل

الذب الدفع ، والمشاكل جمع مشكلة

فمن مثله فى الناس أىّ مؤمل　　اذا قاسه الحكام عند التفاضل

أى : هى الدالة على الكمال خبر مبتدأ محذوف أى هو ، والمؤمل الذى يرجى لكل خير ، والتفاضل – بالضاد المعجمة – وهو التغالب بالفضل

حليم رشيد عادل غير طائش　　يوالى إلها ليس عنه بغافل

أى هو حليم ، والطيش النزق والخفة ، ويوالى إلها أى يتخذه وليا وهو فعيل بمعنى فاعل من وليه إذا قام به ، ومنه : «الله ولى الذين آمنوا»

فأيده ربُّ العباد بنصره　　وأظهر دينا حقه غير ناصل

الحق خلاف الباطل وهو مصدر حق الشىء – من باب ضرب وقتل – إذا وجب وثبت ، والناصل الزائل المضمحل يقال : نصل السهم إذا خرج منه النصل ونصل الشعر ينصل نصولا زال عنه الخضاب

فوالله لولا أن أجىء بِسُبَّة　　تجر على أشياخنا فى القبائل

لكنا اتبعناه على كل حالة من الدهر جدا غير قول التهازل

تقدم شرحهما أولا

لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يُعْنَى بقول الأباطل

في النهاية : يقال عنيت بحاجتك أعنى بها فأنابها معنى وعنيت بهافأناعان والأول أكثر أى اهتممت بهاواشتغلت.انتهى، وهو من باب تعب

فأصبح فينا أحمدٌ في أرومةٍ يقصر عنها سورة المتطاول

تنوين أحمدللضرورة، والأرومة ـ بفتح الهمزةوضم الراء المهملة ـ الاصل، والسورة بالضم المنزلة و بفتح السين السطوة والاعتداء،والمتطاول من الطول ـ بالفتح ـ وهو الفضل وهذا بالنسبة إلى المنزلة ومن تطاول عليه إذا قهره وغلبه وهذا بالنسبة الى السطوة

حدبْتُ بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرا والكلاكل

حدب عليه ـ كفرح ـ وتحدب عليه أيضاً بمعنى تعطف عليه، وحقيقته جعل نفسه كالاحدب بالانحناء أمامه ليتلقى عنه مايؤذيه ، ودونه أمامه ، والذرا ـ بالضم ـ أعالى الشيء جمع ذروة ـ بكسر الذال وضمها ـ والكلاكل جمع كلكل ـ كجعفر ـ بمعنى الصدر

(تنبيه) رواية هذه القصيدة كما سطرت نقلتها من سيرة الشامى ورواها ابن هشام فى السيرة أزيد من ثمانين بيتاً و مطلعها عنده :

ولما رأيت القوم لاود فيهمُ وقد قطعوا كل العرا والوسائل

ولم يذكر البيتين الأولين مطلع القصيدة فى رواية الشامى ولا تعرض لهما السهيلى بشيء

وأبو طالب هو عم النبي صلى الله عليه وسلم وناصره ، ولد قبل النبي صلى الله عليه وسلم بخمس وثلاثين سنة ولما مات عبد المطلب وصى بالنبي صلى الله عليه وسلم إليه فكفله وأحسن تربيته وسافر به إلى الشام وهو شاب ، ولما بعث صلى الله عليه وسلم قام بنصرته وذب عنه من عاداه ومدحه عدة مدائح ، واسمه عبد مناف على المشهور واشتهر بكنيته، وقيل : اسمه عمران وقيل: شيبة ، قال الواقدى : وتوفى أبو طالب فى النصف من شوال فى السنة العاشرة من النبوة وهو ابن بضع وثمانين سنة ، واختلف فى إسلامه قال ابن حجر : رأيت لعلى بن حمزة البصرى جزءاً جمع فيه شعر أبي طالب

وزعم أنه كان مسلماً ومات على الاسلام وأن الحشوية تزعم أنه مات كافراً واستدل لدعواه بمالادلالة فيه، انتهى

ومن شعره قوله:

ودعوتني وزعمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

ومن شعره الذى قاله وهو فى الشعب:

ألا بلغا عنى على ذات بيننا لؤيا وخصاً من لؤيّ بنى كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبيا كموسى خط في أول الكتْب
وأن عليه في العباد مودة وخيرٌ فيمن خصه الله بالحب

وهى قصيدة جيدة على هذا الأسلوب

*(وأنشد بعده، وهو الشاهد الثانى والتسعون) *

(٩٢) أجدّكما لاتقضيان كراكما

على أن جدكما ليس مصدراً مؤكداً لقوله لاتقضيان بل هو إما منصوب بنزع الخافض وإماحالوإمامصدر حذف عامله وجوبا، أما كونه ليس مؤكداً لمضمون الجملة بعده فلشيئين (الأول) أنقوله « جدكما » لو جعل مؤكداً لمضمون مابعده لكان مؤكداً لمضمون المفرد وهو الفعل فقط لالمضمون الجملة كما بينه الشارح (والثانى) أنه انما يكون المصدر مؤكداً لغيره إذا أكد معنى القول الذي هو مضمون الجملة ولا يجوز أن يقدر أجدكما أقول لاتقضيان لفساد المعنى لأن القول من المتكلم وعدم القضاء من المخاطب ، وأما كونه منصوباً بنزع الخافض فلأنه فى معنى حقاً وهو على تقدير فى ، وجدك وحقاً متقاربان معنى فالأنسب تقاربهما فى الأعراب أيضاً ، وأما كونه حالا فمعناه لاتقضيان كراكما جادين فعامل الحال الفعل الذى بعدها وصاحبها ضمير التثنية ، وأما الثالث فهو مؤكد لنفسه لانه أكد مضمون المفرد لامضمون الجملة لأنه أكد الفعل بدون الفاعل والفعل يدل وحده على الحدث والزمان ، هذا محصل كلامه والحالية لاتطرد فى كل موضع ولهذاذهب الأمام المرزوقى فى شرح فصيح

ثعلب إلى أن انتصاب أجدكما إما بنزع الخافض وإما بفعله المحذوف والمفهوم من كلام ابن جنى على هذا البيت فى إعراب الحماسة أن أجدكما منصوب بفعله المحذوف ، لكن جعله جملة «لا تقضيان» حالا غير جيد لأنها مقيدة وجدكما قيد لها والمقيد هو أصل الكلام، ثم جوابه عن إيراده على جعله الجملة حالا أنها مصدرة بعلم الاستقبال بأن الشاعر أراد امتداد الحال فلما لاحظ حال الاستمرار والاستقبال أتى بلا ـــ : غير صحيح ، فأن لا ليست للاستقبال على الصحيح والمضارع المنفى بها يقع حالا نحو « مالكم لا ترجون لله وقاراً » ، وقد تعسف أيضاً فى نحو « أجدك لا تفعل » بأنه على إرادة استمرار حكاية الحال الممتدة فيما مضى ، قال أبو حيان فى الارتشاف : ولا تفعل عند أبى على حال أو على اضمار أن فحذف أن وارتفع الفعل

واعلم أن صنيع الشارح المحقق فيه رد لمن جعل ـــ كابن الحاجب ـــ أجدك لا تفعل كذا من قبيل المصدر المؤكد لغيره قال ابن الحاجب فى الأيضاح : أصله لا تفعل كذا جداً لأن الذى ينبغى الفعل عنه يجوز أن يكون بجد منه ويجوز أن يكون من غير جد فأذا قال جداً فقد ذكر أحد المحتملين ثم أدخلوا همزة الاستفهام إيذاناً بأن الأمر ينبغى أن يكون كذلك على سبيل التقدير فقدم المصدر من أجل همزة الاستفهام فصار أجدك لا تفعل ، ثم لما كان معناه تقرير أن يكون الأمر على وفق ما أخبر صار فى معنى تأكيد كلام المتكلم فيتكلم به من يقصد إلى التأكيد وإن كان ماتقدم هو الأصل الجارى على قياس لغتهم ، ويجوز أن يكون معنى أجدك فى مثله أتفعله جداً منك على سبيل الانكار لفعله جداً ثم نهاه عنه أو أخبر عنه بأنه لا يفعل فيكون أجدك توكيداً لجملة مقدرة دل سياق الكلام عليها ، ومما يدل على أنهم يقولون أفعله جداً قول أبى طالب

إذن لاتَّبعْناه على كلِّ حالة « البيت »

هذا كلامه.

وقوله «ثم نهاه عنه» يفهم منه أن أجدك يقع بعدها النهى وكذا قول بعضهم أجدك هل تفعل كذا يفهم منه أن الاستفهام يقع بعده وقد قال الشارح المحقق إن أجدك لا يستعمل إلا مع النفى ولم أر هذا التقييد لغيره وظاهره سواء كان النافى لا أو ما أو لن كقوله:

أَجِدَّكَ لن ترى بِثُعَيْلِباتٍ ولا بِيدانَ ناجيةً ذَمُولاً

أولم كقول الاعشى :

أَجِدَّك لم تَغْتَمِضْ ليلةً فتَرْقُدَها مَعَ رُقَّادِها

فان قلت: قد وقع بعدها الاستفهام فى هذا البيت الذى أورده ثعلب فى فصيحه وهو

أجدك ما لعينك لاتنام كأن جفونها فيها كلام

قلت : النفى الذى يقع بعد أجدك موجود وهو قوله لا تنام والاستفهام الثانى سؤال عن علة عدم نوم عينه ومثله قول كعب بن مالك الصحابى فى غزوة الطائف:

أجدّهم أليس لهم نصيح من الأقوام كان لنا عريفا

يخبرهم بأنا قد جمعنا عتاق الخيل والبُخْتَ الطروفا

وفى الارتشاف : ولا يستعمل أجدك إلا مضافا وغالبا بعده لا أولم أولن ، وفى النهاية لابن الخباز : قال الأعشى:

أجدكَ وَدَّعْتَ الدمى والولائد

ودعت موجب وجاء مع لا كثير اه

وقد ذكر صاحب الصحاح وغيره أن أجدك يجوز فى جيمه الكسر والفتح لكن الكسر هو الفصيح ، ولهذا قال ثعلب فى فصيحه : وما أتاك أجدك فمكسور وما أتاك وجدك فمفتوح ، وهو من الجد ضد الهزل وأصله من الجد فى الأمر يعنى الاجتهاد فيه لأن الهازل لا يبذل الاجتهاد فى شىء ، وأغرب صاحب القاموس حيث جعله من جاده بمعنى حاققه ثم قال : وأجدك لا تفعل لا يقال إلا مضافاً وإذا كسر استحلفه بحقيقته وإذا فتح استحلفه ببخته انتهى ، وهذا شىء انفرد به وكأنه جنح لما ذهب إليه الشلوبين حيث زعم أن فيه معنى القسم ولذلك قدم

وهذا المصراع من شعر لقس بن ساعدة وهو :

خليلى هبّا طالما قد رقدتما أجدّكما لاتقضيان كراكما

ألم تعلما أنى بسمعان مفردا ومالى فيه من خليل سواكما

مقيم على قبريكما لست بارحا طِوال الليالى أو يجيبَ صَدا كُما

أبكيكما طول الحياة وما الذى ... يرد على ذى لوعة أن بكاكما
كأنكما والموت أقرب غائب ... بروحي فى قبريكما قد أتاكما
أمن طول نوم لاتجيبان داعيا ... كأن الذى يسقى العُقار سقاكما
فلو جُعلت نفسٌ لنفس وقاية ... لجدت بنفسي أن تكون فداكما

فى سيرة ابن سيد الناس بسنده إلى ابن عباس فى حديث الجارود بن عبد الله لما قدم مؤمناً بالنبي صلى الله عليه وسلم وسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن قس بن ساعدة والحديث طويل إلى أن قال ابن عباس : وقام رجل أشدق أجش الصوت فقال : لقد رأيت من قس عجباً : خرجت أطلب بعيراً لى حتى إذا عسعس الليل وكاد الصبح أن يتنفس هتف بى هاتف يقول :

يا أيها الراقد فى الليل الاحمّ ... قد بعث الله نبيا في الحرم
من هاشم أهل الوقار والكرم ... يجلو دُجنّات الليالى والبهم

قال : فأدرت طرفى فما رأيت شخصاً فأنشأت أقول :

يا أيها الهاتف فى دجى الظلم ... أهلا وسهلا بك من طيف ألم
بَيّن هداك الله فى لحن الكلم ... من الذى تدعو إليه تغتنم

فاذا أنا بنحنحة وقائل يقول : ظهر النور، و بطل الزور، و بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالحبور، صاحب النجيب الأحمر، والتاج والمغفر، والوجه الأزهر، والحاجب الأقمر، والطرف الأحور، صاحب قول شهادة أن لااله إلا الله فذاك محمد المبعوث إلى الأسود والأحمر، أهل المدر والوبر، ثم أنشأ يقول :

الحمد لله الذى ... لم يخلق الخلق عَبَثْ
ولم يُخلّنا سُدًى ... من بعد عيسى وا كترث
أرسل فينا أحمدا ... خير نبى قد بعث
صلى عليه الله ما ... حج له ركب وحث

قال : ولاح الصباح، فأذا أنا بالفنيق، يشقشق إلى النوق، فملكت خطامه، وعلوت

سنامه ، حتى إذا لغب فنزل فى روضة خضرة . فاذا انا بقس بن ساعدة فى ظل شجرة وبيده قضيب من أراك ينكت به الأرض وهو يقول :

يا ناعي الموت والأموات في جدث　　عليهم من بقايا بزهم خِرَقُ
دَعْهم فان لهم يوماً يُصاح بهم　　فهم إذا انتبهوا من نومهم فرقوا
حتى يعودوا لحالٍ غير حالهم　　خلقا جديدا كما من قبله خلقوا
منهم عراة ومنهم فى ثيابهم　　منها الجديد ومنها المنهج الخلق

قال : فدنوت منه فسلمت عليه فردعلي السلام و إذا بعين خرارة . فى أرض خوارة ومسجد بين قبرين وأسدين عظيمين يلوذان به وإذا بأحدهما قد سبق الآخر إلى الماء فتبعه الآخر يطلب الماء فضربه بالقضيب الذى فى يده وقال : ارجع ثكلتك أمك حتى يشرب الذى ورد قبلك فرجع ثم ورد بعده فقلت له: ما هذان القبران؟ قال: هذان قبرا أخوين كانا لى يعبدان الله عز وجل فى هذا المكان لا يشركان بالله عز وجل شيأ فأدركهما الموت فقبرتهما وها أنا بين قبريهما حتي ألحق بهما ثم نظر إليهما وجعل يقول :

خليلي هبا طالما قد رقدتما　　أجدكما لاتقضيان كراكما

(الأبيات السابقة) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «رحم الله قسا إنى أرجو أن يبعثه الله أمة وحده » انتهى

الأمة الشخص المنفرد بدين أى يبعث واحداً يقوم مقام جماعة . والأجش الغليظ الصوت ، وعسعس الليل أدبر و يأتى بمعنى أقبل فهو ضد ، والأحم الأسود ، والدجنة ــ بضمتين وتشديد النون ــ الظلمة وكذلك البهمة وجمعها بهم . ولحن القول قال الأزهرى : هو كالعنوان والعلامة تشير بها فيفطن المخاطب لغرضك . والنجيب الكريم من الأبل ، والحاجب الأقمر أراد أنه مفروق ما بين الحاجبين فيكون أبلج نيراً ، والفنيق الفحل المكرم من الأبل الذى لا يركب ولا يهان لكرامته ، و يشقشق يهدر بشقشقته ، ولغب تعب ، والعين الخرارة الغزيرة النبع من الخرير وهو صوت الماء ، والأرض الخوارة اللينة السهلة من خار يخور إذا ضعف، وهبا أمر مسند إلى ضمير الخليلين من الهب يقال : هب من نومه من باب قتل إذا استيقظ ، وطالما قال

التبريزى فى شرح الحماسة إن جعلت ما مصدرية كتبت منفصلة وإن جعلت كافة فمتصلة والرقود النوم فى ليل أو نهار وخصه بعضهم بنوم الليل والأول هو الحق ويشهد له المطابقة فى قوله تعالى «وتحسبهم أيقاظا وهم رقود» قال المفسرون: إذا رأيتهم حسبتهم أيقاظا لأن أعينهم مفتحة وهم نيام. وتقضيان من قضيت وطرى إذا بلغته ونلته. والكرى النوم. قالوا أول النوم النعاس والوسن ثقل النعاس ثم الترنيق وهو مخالطة النعاس للعين ثم الكرى والغمض وهو أن يكون الانسان بين النائم واليقظان ثم الهجود والهجوع وهو النوم الغرق. وسمعان بفتح السين موضع. وبارحا بالموحدة والمهملة فاعل من برح الشيء يبرح — من باب تعب — براحا إذا زال من مكانه وطوال الليالي — بفتح الطاء — بمعنى الطول بضمها وهو منصوب على الظرفية يقال لا أكلمه طوال الدهر وطول الدهر وهما بمعنى يريد إنى مقيم أبدا. وأو بمعنى إلى أو بمعنى إلا ويجيب منصوب بأن بعدها والصدى هنا بمعنى ما يبقى من الميت فى قبره ومنه قول النمر بن تولب الصحابى رضى الله عنه:

أعاذل إن يُصْبِح صداىَ بِقَفْرةٍ بعيد نآنى صاحبى وقريبى
ترى أن ما أبقيت لم أك ربه وأن الذى أنفقت كان نصيبى

وله معان أخر (أحدها) ذكر البوم (ثانيها) حشوة الرأس يقال لذلك: الهامة والصدى. وتأويل ذلك عند العرب فى الجاهلية أن الرجل كان عندهم إذا قتل فلم يدرك به الثأر أنه يخرج من رأسه طائر كالبومة وهى الهامة والذكر الصدى فيصيح على قبره اسقونى اسقونى فان قتل قاتله كف ذلك الطائر قال:

ياعمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتى أضربك حتى تقول الهامة اسقونى (١)

(ثالثها) ما يرجع عليك من الصوت إذا كنت بمتسع من الارض أو بقرب جبل (رابعها) بمعنى العطش مصدر صدى يصدى، والصدأ بالهمز صدأ الحديد وما أشبهه كذا فى الكامل للمبرد، وأبكيكا قال الأصمعي: بكيت الرجل وبكيته بالتشديد كلاهما إذا بكيت عليه، وما اسم استفهام مبتدأ، والذى خبره أو بالعكس، والمعنى: أى شيء الذى

(١) البيت لذى الأصبع العدوانى ويروى:
ياعمرو إن لا تدع شتمى ومنقصتى * أضربك حيث تقول الهامة اسقونى

يرده البكاء على ذى اللوعة وهى الحرقة وروى « ذى عولة » وهى رفع الصوت بالبكاء بمعنى العويل أن بكا كما بفتح الهمزة مصدرية ومؤولها فاعل يرد . وروى بكسر الهمزة فهى شرطية والجواب مدلول عليه بأبكيكما . وفاعل يرد ضمير مفهوم من أبكيكما وهوالبكاء ويجوز أن يكون دل عليه أن بكا كما ، وقوله كأنكما الخ كأن هنا للتقريب وجملة قد أتاكما خبر كأن وفاعل أتى ضمير الموت والظرفان متعلقان به وجملة « والموت أقرب غائب » اعتراضية والعقار بالضم الخمر . والفدا بكسر الفاء وفتحها وبالقصر مصدر فداه من الأسر يفديه إذا استنقذه بمال واسم ذلك المال الفدية وهو عوض الأسير وأما الفداء بالكسر والمد فمصدر فاديته مفاداة وفداء أخذت فديته وأطلقته وقال المبرد : المفاداة أن تدفع رجلا وتأخذ رجلا والفدى أن تشتريه وقيل هما واحد

(تنبيه) أورد أبو تمام فى الحماسة هذه الأبيات على غير هذا النمط وقال : ذكروا أن رجلين من بنى أسد خرجا الى أصبهان فآخيا بها دهقانا فى موضع يقال له راوند فمات أحدهما وبقى الآخر والدهقان ينادمان قبره ويشربان كأسين ويصبان على قبره كأساً فمات الدهقان فكان الأسدى ينادم قبريهما ويشرب قدحا ويصب على قبريهما قدحين ويترنم بهذا الشعر :

خليلى هبا طالما قد رقدتما «البيت»

ألم تعلما مالى براوند كلها ولا بخزاق من صديق سواكما
أصب على قبريكما من مدامة فألا تنالاها تروجناكما
أقيم على قبريكما «البيت» ، أبكيكما حتى الممات وما الذى «البيت»
جرى النوم بين الجلد واللحم منكما كأنكما ساقى عقار سقاكما

وروى الاصبهانى فى الاغانى بسنده الى يعقوب بن السكيت أن هذا الشعر لعيسى ابن قدامة الأسدى قدم قاشان وله نديمان فماتا فكان يجلس عند قبريهما وهما براوند بموضع يقال له خزاق فيشرب ويصب على القبرين حتى يقضى وطره ثم ينصرف وينشد وهو يشرب ، وروى مارواه أبو تمام وزاد عليه

تحمل من يبقى العقول وغادروا أخالكما أشجاه ما قد شجاكما

وأى أخ يجفو أخا بعد موته فلست الذى من بعد موت جفا كما

أناديكما كيما تجيبا وتنطقا وليس مجابا صوته من دعا كما

قضيت بأنى لامحالة هالك وأنى سيعرونى الذى قد عرا كما

وروى الأصبهانى أيضا بسنده إلى عبدالله بن صالح البجلى أنه قال : بلغنى أن ثلاثة نفر من أهل الكوفة كانوا فى الجيش الذى وجهه الحجاج إلى الديلم و كانوا يتنادمون ولا يخالطون غيرهم . و إنهم لعلى ذلك إذ مات أحدهم فدفنه صاحباه فكانا يشربان عند قبره فاذا بلغه الكأس هرق على قبره و بكيا ثم إن الثانى مات فدفنه الباقى إلى جنب صاحبه و كان يجلس عند قبريهما فيشرب و يصب كأسين عليهما و يبكى و يقول ثم ذكر الأبيات التى تقدم ذكرها وقال: خزاق مكان براوند بقزوين قال وقبورهم هناك تعرف بقبور الندماء

قال الأصبهانى: و ذكر العتبى عن أبيه أن الشعر للحزين بن الحرث أحد بنى عامر بن صعصعة و كان أحد نديميه من بنى أسد والآخر من بنى حنيفة فلما مات أحدهما كان يشرب و يصب على قبره و يقول:

لاتصردْ هامةً من كأسها واسقه الخمر و إن كان قبر

كان حرًّا فهوى فيمن هوى كل عود ذى شعوب ينكسر

ثم مات الآخر فكان يشرب على قبريهما ويقول :

خليلى هبا طالما قد رقدتما «الابيات»

وأما أبو عبيدة فى معجم مااستعجم وياقوت فى معجم البلدان فقد نسبا هذه الأبيات للأسدى وذكرا حكايته كأبى تمام ثم قال ياقوت : وقال بعضهم : إن هذا الشعر لقس ابن ساعدة فى خليلين له كانا وماتا . وقال آخرون : هذا الشعر لنصر بن غالب يرثى به أوس بن خالد . وزاد فى الأبيات ونقص وهذه روايته بعد البيت الأول :

أجدّ كما ما ترثيان لموجع حزين على قبريكما قد رثا كما

جرى النوم بين العظم والجلد منكما «البيت» ألم تعلما مالى براوند كلها «البيت»

أصب على قبريكما من مدامة فألا تذوقاها تُرَوَّ ثرا كما

ألم ترحمانى أننى صرت مفردا وأنى مشـتاق إلى أن أراكما
فان كنتما لاتسمعان فما الذى خليلىّ من سمع الدعاء نهاكما
أقيم على قبريكما لست بارحا «البيت» أبكيكما طول الحياة وما الذى «البيت»

قال ياقوت : راوند بليدة قرب قاشان وأصفهان ، قال حمزة : أصلها راهاوند ومعناها الخير المضاعف قال بعضهم : و راوند مدينة بالموصل قديمة بناها راوند الأكبر بن هراسف الضحاك انتهى ، وخزاق ـــ بضم الخاء والزاى المعجمتين وآخره قاف ـــ موضع فى سواد أصفهان ، كذا فى المعجم لأبى عبيدة وأنشد هذا البيت ، ورأيت فى هامشه بخط من يوثق به : خزاق اسم قرية من قرى راوند من أعمال أصفهان ، والجثا ـــ بضم الجيم والثاء المثلثة ـــ جمع جثوة مثلثة الجيم ـــ وهى الحجارة المجموعة والجسد ، والدهقان معرب دهجان ومعناه رئيس القرية ، وفى القاموس : الدهقان ـــ بالكسر والضم ـــ زعيم فلاحى العجم ورئيس الأقليم معرب

وقوله « ألم تعلما مالى الخ » ما نافية قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : استعملها بعد العلم وهى مقتضية لمفعوليها لما دخلها من معنى القسم فكأنه قال : والله مالى براوند من صديق غيركما ، وجاز استعمال العلم فى موضع القسم من حيث كانا مثبتين مؤكدين انتهى

وقس بن ساعدة إيادى ـــ بكسر الهمزة ـــ وإياد من معد بن عدنان ، قال الذهبى : قس بن ساعدة أورده ابن شاهين وعبدان فى الصحابة وكذلك قال ابن حجر فى الأصابة ذكره أبو على بن السكن وابن شاهين وعبدان المروزى وأبو موسى فى الصحابة وصرح ابن السكن بأنه مات قبل البعثة ، وفى سيرة ابن سيد الناس بسنده إلى ابن عباس قال : قدم الجارود ابن عبد الله وكان سيداً فى قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذى بعثك بالحق لقد وجدت صفتك فى الأنجيل ولقد بشر بك ابن البتول فأنا أشهد أن لا اله إلا الله وأنك محمد رسـول الله ، قال فآمن الجارود وآمن من قومه كل سيد ، فسر النبى صلى الله عليه وسلم بهم وقال : « ياجارود هل فى جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسا » قالوا : كلنا نعرفه يارسول الله وأنا من بين القوم كنت أقفو أثره كان من أسباط العرب فصيحاً عمر سبعمائة سنة أدرك من الحواريين سمعان فهو أول من تأله من العرب أى تعبد كأنى أنظر إليه يقسم بالرب

الذى هو له ليبلغن الكتاب أجله وليوفين كل عامل عمله ثم أنشأ يقول :

هاج للقلب من جواه ادّكار   وليال خلالهن نهار

فى أبيات آخرها

والذى قد ذكرت دل على الله   نفوسا لها هدى واعتبار

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « على رسلك ياجارود فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل أورق وهو يتكلم بكلام ماأظن أنى أحفظه » فقال أبو بكر : يارسول الله فأنى أحفظه كنت حاضراً ذلك اليوم بسوق عكاظ فقال فى خطبته : ياأيها الناس اسمعوا وعوا ، فأذا وعيتم فانتفعوا ، إنه من عاش مات ، ومن مات فات، وكل ماهو آت آت ، إلى آخر ماأورده من الوعظ انتهى

والذى فى كتاب المعمرين لأبى حاتم السجستانى : عاش قس بن ساعدة ثلثمائة وثمانين سنة ، وقد أدرك نبينا صلى الله عليه وسلم وسمع النبى صلى الله عليه وسلم ،وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية ، وأول من توكأ على عصا ، وأول من قال أما بعد ، وكان من حكماء العرب ، وهو أول من كتب إلى فلان بن فلان

وقال المرزبانى : ذكر كثير من أهل العلم أنه عاش ستمائة سنة

وذكر الجاحظ فى البيان والتبيين قسا وقومه قال : إن له ولقومه فضيلة ليست لأحد من العرب لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى كلامه وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته وعجب من حسن كلامه وأظهر تصويبه وهذا شرف تعجز عنه الأمانى ، وتنقطع دونه الآمال ، وإنما وفق الله ذلك لقس لاحتجاجه للتوحيد ولأظهاره الأخلاص وإيمانه بالبعث ومن ثم كان قس خطيب العرب قاطبة

وفى نسبه خلاف : فقيل قس بن ساعدة بن حذافة بن زفر ، وقيل حذافة بن زهر ابن إياد بن نزار ، وقيل هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدى بن مالك بن أيدعان ابن لنمر بن واثلة بن الطشان بن عوذ بن مناة بن يقدم بن أفصى بن دعمى بن إياد ، وقيل هو ابن ساعدة بن عمرو بن شمر بن عدى بن مالك ، والله أعلم

☆ (وأنشد بعده) ☆

أحقا بنى أبناء سلمى بن جندل   تهددكم إياى وسط المجالس

على أن حقاً ظرف منصوب بتقدير فى وتقدم شرحه فى الشاهد الرابع والستين من باب المبتدأ

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون ، وهو من شواهد سيبويه)

(٩٣) دعوت لما نابنى مِسْوَراً فلبَّى فلبَّىْ يَدَىْ مسور

على أن لبيك مثنى عند سيبويه لا مفرد كلدى قلبت ألفها ياء لما أضيفت إلى المضمر خلافا ليونس بدليل بقاء يائها مضافة إلى الظاهر كما فى هذا البيت

أما الأول فقد قال أبو حيان فى الارتشاف : ذهب الخليل وسيبويه والجمهور إلى أن لبيك تثنية لبى ، وحكى سيبويه عن بعض العرب لب على أنه مفرد لبيك غير أنه مبنى على الكسر كأمس وعلق لقلة تمكنه ونصبه نصب المصدر كأنه قال إجابة ؛ وزعم ابن مالك أنه اسم فعل وهو فاسد لإضافته ويضاف إلى الظاهر تقول لبى زيد وإلى ضمير الغائب قالوا لبيه ودعوى الشذوذ فيهما باطلة انتهى ، وهذا مخالف لما قاله ابن هشام فى المغنى : إن شرط مجرور لبى وسعدى وحنانى ضمير الخطاب ، وشذ :

دعونى فيالبى اذا هدرت لهم شقاشق أقوام فأسكتها بدرى

لعدم الاضافة ونحو :

لقلت لبَّيْهِ لمن يدعونى

لاضافته إلى ضمير الغيبة كما شذ إضافته إلى الظاهر فى قوله

فلبَّى فلبى يدى مسور

وأما الثانى فهو اسم مفرد مقصور عند يونس قال ابن جنى فى سر الصناعة : أصله عنده لبب ووزنه فعلل ولا يجوز أن تحمله على فعل لقلة فعل فى الكلام وكثرة فعلل فقلبت الباء التى هى اللام الثانية من لبب ياء هربا من التضعيف فصار لبى ثم أبدل الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت لبا ثم إنها لما وصلت بالكاف فى لبيك وبالهاء فى لبيه قلبت الالف ياء كما قلبت فى على ولدى إذا وصلتها بالضمير ووجه الشبه بينهما أنه اسم ليس له تصرف غيره من الأسماء لأنه لا يكون إلا منصوبا ولا يكون إلا مضافا كما أن إليك وعليك ولديك لا تكون إلا منصوبة المواضع ملازمة للاضافة

فقلبوا ألفه ياء فقالوا إليك كما قالوا عليك ونظيرهذا كلا وكلتا فى قلب ألفهما ياء متى اتصلت بضمير وكانت فى موضع نصب أو جر ولم يقلبوا الألف فى موضع الرفع ياء لأنهما بعدا برفعهما عن شبه عليك و لديك إذ كان لاحظ لهن فى الرفع

واحتج سيبويه على يونس فقال : لو كانت ياء اليك (١) بمنزلة ياء عليك ولديك لوجب متى أضفتها إلى المظهر أن تقرها ألفا فلبى فى هذا البيت بالياء مع إضافته إلى المظهر دلالة على أنه اسم مثنى

وأجاب ابن جني فى المحتسب بأن من العرب من يبدل ألف المقصور فى الوقف ياء فيقول هذه عصى ورأيت حبلى ومنهم من يبدلها واوا فيه أيضا فيقول هذه عصو وحبلو وفى الوصل أيضا نحو هذه حبلو يافتى ومنه قراءة الحسن يوم يدعو كل أناس بضم الياء وفتح العين ، وعلى هذا التخريج يسقط قول سيبويه عن يونس

قال أبو علي : يمكن يونس أن يقول إنه جرى الوصل مجرى الوقف فكما يقول فى الوقف عصى وفتى كذلك قال فلبي ثم وصل على ذلك ، هذا ما قاله أبو علي وعليه يقال كيف يحسن تقدير الوقف على المضاف دون المضاف إليه ، وجوابه أن ذلك قد جاء أنشد أبو زيد :

ضخمٌ نجارى طَيِّبٌ عنصرى

أراد عنصرى فثقل الراء لنية الوقف ثم أطلق ياء الأضافة من بعد وإذا جاز هذا التوهم مع أن المضاف إليه مضمر والمضمر المجرور لا يجوز تصور انفصاله فجوازه مع المظهر أولى من حيث كان المظهر أقوى من المضمر ، ومثله قوله :

يا لَيتَها قد خرجت مِنْ فمّه

أراد من فمه ثم نوى الوقف على الميم فثقلها على حد قولهم فى الوقف هذا خالد وهو يجعل ثم أضاف على ذلك ويروى من فمه بضم الميم أيضا وفيه أكثر من هذا انتهى

فوزن لبيك عندهما فعليك وعند يونس فعللك

(١) هكذا بالأصل المطبوع فى بولاق وظاهر أن صحة العبارة : « لو كانت ياء لبيك »

واعلم أن الشارح جوز أن يكون أصل لبيك إما إلبابين حذف منه الزوائد وإما من لبي بالمكان بمعنى أقام فلا حذف وينبغي أن يكون المأخوذ منه هذا فانه لا تكلف فيه وفعله ووصفه ثابت أما الفعل فقد روى المفضل بن سلمة فى الفاخر أنه يقال لب بالمكان إذا أقام فيه وأنشد قول الراجز :

لبَّ بأرضٍ ما تخطّاها الغنم

وأما الوصف فقد قال صاحب الصحاح : ورجل لب أى لازم للأمر وانشد:

لبا بأعجاز المَطيّ لاحقا

ورجل لبيب مثل لب قال :

فقلت لها فيئى إليك فأننى حرام وإنى بعد ذاك لبيب

وقيل : هو بمعنى ملب بالحج من التلبية وحرام بمعنى محرم وبعد ذاك أى مع ذاك وقيل إنه مأخوذ من قولهم دارى تلب دارك أى تقابلها فيكون معناه اتجاهى إليك وإقبالى عليك حكاهما المفضل فى الفاخر وأسند أولها إلى الخليل عن أبى عبيد ، وقيل معناه إخلاصى لك من قولهم حسب لباب

واختلف فى كاف لبيك فقال أبو حيان فى الارتشاف : وهى فى لبيك وسعديك وحنانيك الواقع موقع الذى هو خبر فى موضع المفعول وفى دواليك وهذاذيك وحنانيك إذا وقعت موقع الطلب فى موضع الفاعل ، وذهب الأعلم إلى أن الكاف حرف خطاب فلا موضع لها من الأعراب وحذفت النون لشبه الأضافة ويجوز استعمال لبيك وحده وأما سعديك فلا يستعمل إلا تابعا للبيك انتهى

وقوله فى البيت فلبى هو فعل ماض من التلبية وفاعله الضمير العائد إلى مسور قال الشارح المحقق : وأما قولهم لبى يلبي فهو مشتق من لبيك لأن معنى لبى قال لبيك كما أن معنى سبح وسلم وبسمل قال سبحان الله وسلام عليك وبسم الله

وهذا مأخوذ من سر الصناعة لابن جنى فأنه قال : فأما حقيقة لبيت عند أهل الصنعة فليس أصل يائه باء وإنما الياء فى لبيت هى الياء فى قولهم لبيك وسعديك اشتقوا من الصوت فعلا مجمعا من حروفه كما قالوا من سبحان الله سبحت أى قلت سبحان الله

ومن لا إله إلا الله هللت ومن لا حول ولا قوة إلا بالله حولقت ومن بسم الله بسملت ومن هلم وهو مركب من ها ولم عندنا وهل وأم عند البغداديين — فقالوا هلممت

وكتب الى أبو على فى شىء سألته عنه ، قال : قال بعضهم سألتك حاجة فلاليت لى أى قلت لى لا وسألتك حاجة فلوليت لى أى قلت لى لو لا ، قالوا بأبأ الصبي أباه أى قال له بابا وكذلك اشتقوا أيضا لبيت من لفظ لبيك فجاؤا فى لبيت بالياء التى للتثنية ، ثم قال ابن جنى : وقول من قال إن لبيت بالحج إنما هو من قولنا ألب بالمكان إلى قول يونس أقرب منه إلى قول سيبويه ، ألا ترى أن الياء فى لبيك عند سيبويه إنما هى بدل من الألف المبدلة من الياء المبدلة من الباء الثالثة فى لبب انتهى

وعندى أن التلبية من مادة معتلة غير مادة المضاعف ونظائره كثيرة مثل صر وصرى فان لبي غير منحصر معناه فى قال لبيك بل يأتى بمعنى أقام ولازم مثل ألب بالمكان قال طفيل الغنوى أنشده المفضل فى الفاخر :

رددن حصينا من عدى ورهطه   وتيم تلبى فى العروج وتحلب

أى تلازمها وتقيم بها ، وقوله « لما نابنى » اللام للتعليل واستشهد به صاحب الكشاف على أن اللام فى قوله تعالى : « يدعوكم ليغفر لكم » تعليلية كما فى هذا البيت ، ومسور بكسر الميم اسم رجل والفاء الأولى عطفت جملة لبي على جملة دعوت والثانية سببية ومدخولها جملة دعائية تقول : دعوت مسورا لدفع مانابنى فأجابني أجاب الله دعاءه. قال الشاطبي فى شرح الالفية : روى فى بعض الأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا دعا أحدكم أخاه فقال لبيك فلا يقولن لبي يديك وليقل أجابك الله بما تحب » وهذا يشعر بأن عادة العرب إذا دعت فأجيبت بلبيك أن تقول لبي يديك فنهى عليه الصلاة والسلام عن هذا القول وعوض منه كلاما حسنا ، وقال الاعلم : يقول دعوت مسوراً لدفع نائبة نابتنى فأجابنى بالعطاء فيها وكفانى مؤنتها ، وكأنه سأله فى دية ، وانما لبي يديه لأنهما الدافعتان إليه ما سأله منه فخصهما بالتلبية لذلك

وهذا البيت من الأبيات الخمسين التى لا يعرف لها قائل ، وقريب منه هذا البيت وهو :

دعوت فتى أجاب فتى دعاه يلبيه أشم سمرذلى

(وأنشد بعده وهو الشاهد الرابع والتسعون ، وهو من أبيات سيبويه)

٩٤ إذا شُقَّ بُرْدٌ شق بالبرد مِثْلُهُ دَوَالَيْكَ حتى كلُّنا غير لابس

على أن دو اليك منصوب بعامل محذوف ، قال : يقال دو اليك أى تدول الأمر ، دوالين

ظاهره أن دواليك بدل من فعل الأمر ، وليس كذلك كما يعلم مما سيأتى

اعلم أن دوالين مثنى دوال، والدوال — بالكسر — مصدر داولت الشىء مداولة ودوالا وبالفتح اسم مصدر وروى بالوجهين ماأنشده أبو زيد فى نوادره لضباب بن سبيع ابن عوف الحنظلى :

جزونى بما ربيتهم وحملتهم كذلك ما إن الخطوب دوال

والتداول حصول الشىء فى يد هذا تارة وفى يد ذاك أخرى و الاسم الدولة — بفتح الدال وضمها — ومنهم من يقول الدولة بالضم فى المال وبالفتح فى الحرب ودالت الايام مثل دارت وزنا ومعني ، ودواليك معناه مداولة بعد مداولة وثنى لأنه فعل اثنين ، قال الشاطبي : ولا يجوز إضافته الى الظاهر لاتقول دوالى زيد، وقال الأعلم : الكاف للخطاب ولذلك لم يتعرف بها ما قبلها ،وأنشد سيبويه هذا البيت على أن دواليك مصدر وضع موضع الحال ودل قوله « إذاشق برد » على الفعل الذى نصب دواليك أى نشقهما متداولين بأضمار فعل له ولها يعمل فى دواليك وروي

اذا شق برد شق بالبرد برقع

يعنى أنه يشق برقعها وهى تشق برده ومعناه أن العرب يزعمون أن المتحابين إذا شق كل واحد منهما ثوب صاحبه دامت مودتهما ولم تفسد ، وقال أبو عبيدة : كان من شأن العرب اذا تجالسوا مع الفتيات للتغزل أن يتعابثوا بشق الثياب لشدة المعالجة عن إبداء المحاسن ، وقيل : إنما يفعلون ذلك ليذكر كل واحد منهما صاحبه به، وقال العينى : كانت عادة العرب فى الجاهلية أن يلبس كل واحد من الزوجين برد الآخر ثم يتداولان على تخريقه حتى لا يبقى فيه لبس طلبا لتأكيد المودة، وقال الجوهرى:

يزعم النساء اذا شق أحد الزوجين عند البضاع شيأ من ثوب صاحبه دام الود بينهما وإلا تهاجرا

وشق فى الموضعين بالبناء للمفعول ، وبرد ومثله نائبا الفاعل ، والباء للمقابلة ، والبرد الثوب من أى شىء كان وقال أبو حاتم : لا يقال له برد حتى يكون فيه وشى فأن كان من صوف فهو بردة ، وحتى ابتدائية وكلنا مبتدأ وغير لابس خبره وروى العينى « ليس للبرد لابس » كصاحب الصحاح وهو غير صحيح فأن القوافى مجرورة وأثبت صاحب الصحاح هذا ذيك موضع دواليك والصواب ماذكرنا ، وانشده سيبويه أيضا كصاحب الصحاح فيكون فيه إقواء

وهذا البيت من قصيدة لسحيم عبد بنى الحسحاس وأولها :

كأن الصُّبيرِيَّات يوم لقيننا ... ظِباءٌ حَنَت أعناقها للمَكانس

وهن بنات القوم إن يشعروا بنا ... يكن فى ثبات القوم إحدى الدهارس

وقبل البيت الشاهد

فكم قد شققنا من رداء منير ... على طفلة ممكورة غير عانس

قال ابن السيد : أراد بالصبيريات نساء بنى صبيرة بن يربوع وحنت أمالت والمكانس جمع مكنس بمعنى الكناس وهو موضع الظباء فى الشجر يكتن فيه ويستتر وكنس الظباء يكنس بالكسر والدهارس بفتح الدال الدواهى جمع دهرس كجعفر والدهاريس جمع الجمع والرداء المنير الذى له نير بالكسر وهو علم الثوب وجارية طفلة بفتح الطاء أى ناعمة والمناسب لقوله غير عانس أن يكون طفلة بكسر الطاء ، والممكورة المطوية الخلق من النساء يقال امرأة ممكورة الساقين أى جدلاء مفتولة ، وقال ابن السيد : الممكورة الطويلة الخلق ، والعانس بالنون فى الصحاح عنست الجارية تعنس عنوسا وعناسا فهى عانس وذلك إذا طال مكثها فى منازل أهلها بعد إدراكها حتى خرجت من عداد الأبكار وهذا مالم تتزوج فأن تزوجت مرة فلا يقال عنست ، يقول : اذا شق هؤلاء النساء اللاتى يلعبن معى بردى شققت أنا أيضا أرديتهن وبراقعهن حتى نعرى جميعا

ومثل هذا قول رجل من بنى أسد :

كأنّ ثيابى نارعَتْ شَوْكَ عُرْفُطٍ ترى الثوب لم يخلق وقد شُقّ جانبه

وسحيم عبد بنى الحسحاس من المخضرمين قد أدرك الجاهلية والأسلام ولا يعرف له صحبة وكان أسود شديد السواد ، وبنو الحسحاس قال ابن هشام فى السيرة هم من بنى أسد بن خزيمة . والحسحاس بمهملات هو ابن نفاثة بن سعد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة ابن دودان بن اسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس ، ومن شعر سحيم :

إن كُنْتُ عبداً فنفسى حرةٌ كرماً أو أسودَ اللون إنى أبيَضُ الخُلُقِ

وله القصيدة المشهورة التى مطلعها وهو من شواهد مغنى اللبيب :

عُمَيْرةَ ودع إن تجهزت غازيا كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

قال المبرد فى الكامل : وكان عبد بنى الحسحاس يرتضخ لكنة حبشية فلما أنشد عمر بن الخطاب هذا المطلع قال له عمر : لو كنت قدمت الأسلام على الشيب لأجزتك فقال سحيم : ما سعرت، يريد ماشعرت

وفى الأغانى للأصبهانى من طريق أبى عبيدة قال : كان سحيم أسود أعجمياً أدرك النبى صلى الله عليه وسلم وقد تمثل النبى صلى الله عليه وسلم من شعره روى المرزبانى فى ترجمته والدينورى فى المجالسة من طريق على بن زيد عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كفى بالأسلام والشيب للمرء ناهياً فقال له أبو بكر : إنما قال الشاعر :

كفى الشَّيْبُ والاْسلامُ للمرء ناهيا

فأعادها النبى صلى الله عليه وسلم كالأول فقال أبو بكر : أشهد إنك لرسول الله « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » وقال عمر بن شبة : قدم سحيم بعد ذلك على عمر بن الخطاب فأنشده هذه القصيدة فقال له عمر : لو قدمت الأسلام لأجزتك

وقتل سحيم فى خلافة عثمان قال ابن حجر فى الأصابة : يقال إن سبب قتله أن امرأة من بنى الحسحاس أسرها بعض اليهود واستخصها لنفسه وجعلها فى حصن له فبلغ ذلك سحيما فأخذته الغيرة فما زال يتحيل له حتى تسور على اليهودى حصنه فقتله وخلص المرأة فأوصلها إلى قومها فلقيته يوماً فقالت له : ياسحيم والله لوددت أنى قدرت على مكافأتك على تخليصى من اليهودى فقال لها : والله إنك لقادرة على ذلك ، عرض لها

بنفسها فاستحيت وذهبت ثم لقيته مرة أخرى فعرض لها بذلك فأطاعته فهويها وطفق يتغزل فيها ففطنوا له فقتلوه خشية العار

وقال ابن حبيب : أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قول سحيم عبد بنى الحسحاس

الحمد لله حَمْداً لا انْقطاعَ له   فليْسَ إحسانه عنا بمقطوع

فقال : « أحسن وصدق و إن الله يشكر مثل هذا ولئن سدد وقارب إنه لمن أهل الجنة » انتهى

وقال اللخمى فى شرح شواهد الجمل : اسم عبد بنى الحسحاس سحيم وقيل اسمه حية ومولاه جندل بن معبد من بنى الحسحاس ؛ وكان سحيم حبشياً أعجمى اللسان ينشد الشعر ثم يقول أهسنت والله يريد أحسنت والله وكان عبد الله بن أبى ربيعة قد اشتراه وكتب إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه : إنى قد ابتعت لك غلاماً شاعراً حبشياً فكتب إليه عثمان لا حاجة لى به فاردده فأنما قصارى أهل العبد الشاعر إن شبع أن يشبب بنسائهم و إن جاع أن يهجوهم فرده عبد الله فاشتراه أبو معبد فكان كما قال عثمان رضى الله تعالى عنه شبب ببنته عميرة وفحش وشهرها فحرقه بالنار ، فمن ذلك قوله فيها :

ألكنى إليها عمرك الله يافتى   بآية ماجاءت إلينا تهاديا
و بتنا وسادانا إلى علجانة   وحقف تهاداه الرياح تهاديا
وهبت شمال آخر الليل قرة   ولا ثوب الا بردها وردائيا
توسدنى كفا وتثنى بمعصم   على وتحوى رجلها من ورائيا
فما زال بردى طيبا من ثيابها   إلى الحول حتى أنهج البرد باليا اهـ

ألكنى معناه أبلغ رسالتى إليها والألوك الرسالة ، وعلجانة شجرة معروفة، والحقف ما تراكم من الرمل والقرة بالضم البرد ، وأنهج أخلق

« ذكر محمد بن حبيب فى كتاب من قتل من الشعراء أن سحيما كان صاحب تغزل فاتهمه مولاه بابنته فجلس له فى مكان إذا رعى سحيم قال فيه فلما اضطجع تنفس الصعداء ثم قال :

ياذكرة مالك فى الحاضر تذكرها وأنت فى الصادر
من كل بيضاء لها كفل مثل سنام الربع المائر

فقال له سيده وظهر من موضعه الذى كان كمن فيه: مالك؟ فلجلج فى منطقه فلما رجعوهم على قتله خرجت إليه صاحبته لخدثته وأخبرته بما يراد به فقام ينفض برده ويعفى أثره فلما انطلق به ليقتل ضحكت امرأة كان بينه وبينها شىء فقال:

إن تضحكي منى فيارب ليلة تركتك فيها كالقباء المفرج

فلما قدم ليقتل قال:

شدوا وثاق العبد لايغلبكم إن الحياة من الممات قريب
فلقد تحدر من جبين فتاتكم عرق على ظهر الفراش وطيب

فقتل .... انتهى

(تتمة) قال ابن السيد فى شرح شواهد الجمل وتبعه ابن خلف: إن سحيما مصغر أسحم وهو الأسود تصغير ترخيم ويجوز أن يكون مصغر سحم وهو ضرب من النبات والأول أجود لأنه كان عبداً أسود، وأما الحسحاس فالأشبه أن يكون اسما مرتجلا مشتقاً من قولهم حسحست الشواء إذا أزلت عنه الجمر والرماد: وقد يمكن أن يكون منقولا لأنهم قالوا ذو الحساس لموضع بعينه. انتهى، قال فى الصحاح: والحسحاس الرجل الجواد، وقال الراجز:

محبة الأبرام للحسحاس

فهو قطعاً منقول منه، وقوله من حسحست الشواء الخ قال فى الصحاح: وحسست اللحم وحسحسته بمعنى إذا جعلته على الجمر وحسست النار إذا رددتها بالعصا على خبز الملة أو الشواء من نواحيه لينضج ومن كلامهم: « قالت الخبزة لولا الحس، ما باليت بالدس » فكلامه لايوافق شيئا من هذا فتأمل

﴿ وأنشد بعده، وهو الشاهد الخامس والتسعون، وهو من أبيات سيبويه ﴾

٩٥ ضَرْباً هَذَاذَيْكَ وطَعْناً وخضا

على أن هذاذيك بمعنى أسرع إسراعين، أى ضربا يقال فيه هذاذيك

أرادأن هذاذيك بمعنى أسرع وأنه بدل من فعل الأمر ، ولا يخفى أنه بدل من الهذوهو فى جميع تصرفاته معناه السرعة فى القطع لا السرعة مطلقاً ، بل حكى اللحيانى فى نوادره أن الهذ القطع نفسه وأنشد هذا البيت ، وكذلك صاحب القاموس قال : هذاذيك قطعاً بعد قطع وهذاذيك ليس بدلا من فعل الأمر حتى يحتاج إلى تقدير القول ليصح وقوعه وصفا لما قبله بل معناه ضربا يهذ هذا بعد هذ أى قطعا سريعا بعد قطع سريع فهو صفة بدون اضمار القول ، والأنسب تهذ به هذا بالخطاب ليظهر كونه مضافا لفاعله، وجوز شراح أبيات سيبويه وأبيات الجمل أن يكون بدلا من قوله ضربا وأن يكون حالا منه على ضعف وقال ابن هشام اللخمي: وقيل إن هذاذيك منصوب بأضمار فعل من لفظه، وذلك الفعل فى موضع نصب على الصفة للضرب ، وذلك الضرب منصوب بأضمار فعل من لفظه كأنه قال تضربهم ضربا يهذ اللحم هذا بعد هذ وتطعنهم طعنا وخضا يردد دماءهم فى أجوافهم ، وقال ابن السيد : معني ضربا هذا ذيك ضربا يهنك هذا بعد هذ . وهذا عكس المعنى المراد كأنه ظن أن المصدر مضاف لمفعوله وليس كذلك

وهذا البيت من أرجوزة للعجاج مدح بها الحجاج بن يوسف الثقفى عامله الله بما يستحقه وذكر فيها ابن الأشعث وأصحابه وقبله :

تجزيهم بالطعن فرضا فرضا وتارة يلقون قرضا قرضا

حتى تقضى الأجل المنقضا ضربا هذاذيك وطعنا وخضا

يمضى الى عاصى العروق النحضا

وفيها يقول :

جاؤوا مخلين فلاقوا حمضا طاغين لا يزجر بعض بعضا

قوله « تجزيهم » الخطاب للحجاج والضمير المنصوب لابن الاشعث وأصحابه (١) متعد لمفعولين يقال جزاه الله خيراً ، والطعن يكون بالرمح وفعله من باب قتل والفرض — بالفاء — الحز فى الشيء والثانى تأكيد للأول ، والقرض — بالقاف — القطع وتقضى — بالبناء للفاعل — والخطاب أيضا يقال قضى حاجته — بالتشديد — كقضى

(١) فى الكلام نقص ولعل العبارة فى الأصل : « وجزى متعد الى مفعولين »

بالتخفيف — أى أتمها ، والمنقض الساقط يقال انقض الجدار أى سقط وانقض الطائر هوى فى طيرانه ، أى يجازيهم إلى أن يتم أجلهم المنقض عليهم انقضاض الطير على صيده ، وقوله « ضربا هذا ذيك » ضربا إما منصوب بفعل محذوف أى تضربهم ضرباً والجملة حال من فاعل تقضى ، ويجوز أن يكون منصوبا بنزع الخافض أى بضرب ، والوخض — بفتح الواو وسكون الخاء المعجمة — مصدر وخضه بمعنى طعنه من غير أن ينفذ من جوفه، يريد أنك تضرب أعناقهم وتطعن فى أجوافهم ، و يمضى من الامضاء يقال أمضيت الأمر إذا أنفذته ومفعوله النحض وهو — بفتح النون وسكون المهملة — وهو اللحم، وعاصى العروق أى العروق العاصية ، فى الصحاح : العاصى العرق الذى لا يرقأ ، و مخلين اسم فاعل من أخل إذا طلب الخلة — بضم الخاء — وهى من النبت ما هو حلو ، والحمض — بفتح المهملة وسكون الميم — ما ملح وأمر من النبات كالأثل والطرفاء

وترجمة العجاج قد تقدمت فى الشاهد الحادى والعشرين

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون)

٩٦ جَاؤُا بِمَذْقٍ هَلْ رأيت الذِّئْبَ قط

على أن قولهم هل رأيت الخ وقعت صفة مذق بتقدير القول

يعنى أن الجملة التى تقع صفة شرطها أن تكون خبرية لأنها فى المعنى كالخبر عن الموصوف فجملة هل رأيت الخ ظاهرها أنها وقعت صفة لمذق مع أنها استفهامية والاستفهام قسم من الانشاء فأجاب بأن التحقيق أنها معمولة للصفة المحذوفة أى بمذق مقول فيه هل رأيت أو يقول فيه من رآه هذا القول ونحوه

وهذا البيت قد كرر الشارح إنشاده فى هذا الكتاب: فقد أورده فى النعت، وفى الموصول مرتين، وفى أفعال القلوب، وفى الحروف المشبهة بالفعل ، ورواه الدينورى فى النبات ، وابن قتيبة فى أبيات المعانى ، والزجاجى ، وابن الشجرى فى أماليهما

جاؤا بضيح هل رأيت الذئب قط

وقال الدينورى : نزل هذا الشاعر بقوم فقروه ضياحا وهو اللبن الذى قد أكثر عليه من الماء ، وقال ابن جنى فى المحتسب : قوله هل رأيت الخ جملة استفهامية إلا أنها

فى موضع وصف الضيح حملا على معناها دون لفظها لأن الصفة ضرب من الخبر فكأنه قال بضيح يشبه لون الذئب . والضيح هو اللبن المخلوط بالماء فهو يضرب إلى الخضرة والطلسة انتهى. وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى: « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا » على أن لاتصيبن صفة لفتنة على إرادة القول كهذا البيت . والمذق اللبن الممزوج بالماء وهو يشبه لون الذئب لأن فيه غبرة وكدورة، وأصله مصدر مذقت اللبن إذا مزجته بالماء . وقط استعملت هنا مع الاستفهام مع أنها لا تستعمل إلا مع الماضى المنفى لأن الاستفهام أخو النفى فى أكثر الأحكام . لكن قال ابن مالك : قد ترد قط فى الأثبات واستشهد له بما وقع فى حديث البخارى فى قوله « قصرنا الصلاة فى السفر مع النبى صلى الله عليه وسلم أكثر ما كنا قط » وأما قوله جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط فلا شاهد فيه . لأن الاستفهام أخو النفى وهذا مما خفى على كثير من النحاة انتهى . وتبعه الكرمانى عليه فى شرح هذا الحديث

قال المبرد فى الكامل: العرب تختصر التشبيه وربما أومأت به إيماء قال أحد الرجاز :

بتنا بحسان ومعزاه يئط ما زلت أسعى بينهم وألتبط
حتى اذا كاد الظلام يختلط جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط

يقول فى لون الذئب . واللبن إذا اختلط بالماء ضرب إلى الغبرة انتهى

وبتنا ماض من المبيت . فى المصباح بات بموضع كذا أى صار به سواء كان فى ليل أو نهار وبات يفعل كذا إذا فعله ليلا ولا يقال بمعنى نام ، وحسان اسم رجل ينصرف إن أخذ من الحسن ولا ينصرف ان كان من الحس بالتشديد ، والمعزى من الغنم خلاف الضأن وهو اسم جنس وكذلك المعز والواحد ماعز والانثى ماعزة وهى العنز ، قال سيبويه : ألف معزى للالحاق بدرهم لا للتأنيث وهو منون مصروف بدليل تصغيره على معيز فلو كانت للتأنيث لم يقلبوها ياء كما لم يقلبوها فى حبيلى، وهو مضاف إلى ضمير حسان ، ويئط مضارع أطأى صوت جوفه من الجوع والمصدر الاطيط . كذا فى الصحاح ، ويأتى بمعنى تصويت الرحل والابل من ثقل

أحمالها وعليه اقتصر العيني ولا مناسبة له هنا . و روى بعده بيتان زيادة فى بعض الروايات وهما :

يلمس أُذْنهُ وحينا يَمْتَخِطْ

يقال : امتخط وتمخط أي استنثر وربما قالوا امتخط مافيده نزعه واختلسه كذا كذا فى الصحاح

في سَمَنٍ مِنْهُ كثيرٍ وأَقِطْ

متعلق بقوله يمتخط والسمن بسكون الميم وفتحها هنا للضرورة . والأقط قال الأزهرى اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل وهذا يدل على خسته ودنسه

مازلت أسعى بَيْنَهُمْ وألْتَبِطْ

أعاد الضمير من بينهم إلى حسان باعتبار حيه و قبيلته . وأسعى بينهم أى أتردد بينهم وألتبط أعدو يقال التبط البعير إذا عدا وضرب بقوائمه الأرض وتلبط اضطجع وتمرغ ، و روى بدله : «وأختبط» أى أسأل معروفهم من غير وسيلة . وهذا يدل على كمال شحهم حيث كان ضيفا عندهم لم يشبعوه مع أنه يعرض لمعروفهم

حتى إذا كادَ الظَّلامُ يختلط

غاية لقوله «أسعى وألتبط» وكاد قرب و روى:

حتى إذا جَنَّ الظَّلامُ واخْتَلَطْ

يريد ستر الظلام كل شىء ، وصفهم بالشح وعدم إكرامهم الضيف و بالغ فى أنهم لم يأتوا بما أتوا به إلا بعد سعي ومضى جانب من الليل ، ثم لم يأتوا إلا بلبن أكثره ماء

وهذا الرجز لم ينسبه أحد من الرواة إلى قائله و قيل قائله العجاج والله أعلم

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون ، وهو من شواهد سيبويه)

٩٧ فقالَتْ حَنانٌ ماأتى بكَ ههُنا أَذُو نَسَبٍ أم أنت بالحيّ عارف

على أن لبيك ودواليك ونحوها مصادر لم تستعمل إلا للتكرير بخلاف حنانيك فانه يستعمل حنان

يريد أن حنانيك لايلزم أن يكون للتكرير بل قد يكون له وقد لايكون بل قد

استعمل مفردا كما فى هذا البيت ، ويزاد عليه دواليك أيضاً فانه لايلزم وقد استعمل مفرده كما تقدم قريبا

والحنان الرحمة وهو مصدر حن يحن — بالكسر — حنا وتحنن عليه ترحم والعرب تقول حنانك يارب وحنانيك بمعنى واحد أى رحمتك كذا فى الصحاح ، وقال ابن هشام فى شرح الشواهد تبعا للفارسى فى التذكرة القصرية : والأصل أتحنن عليك تحننا ثم حذف الفعل وزائد المصدر فصار حنانا انتهى ، وهذا تكلف مع وجود حن يحن

وأنشده سيبويه على أن حنانا خبر مبتدأ محذوف أى شأنى حنان والأصل أحن حنانا لحذف الفعل ورفع المصدر على الخبرية لتفيد الجملة الاسمية الدوام وما استفهامية مبتدأ وجملة أتى بك خبره ، ثم سألته عن علة مجيئه هل هو نسب بينه وبين قومها أو لمعرفة بينه وبينهم ، والمعنى: لأى شىء جئت إلى هنا ألك قرابة جئت اليهم أم لك معرفة بالحى ، والصواب تقول موضع فقالت

وهذا البيت من جملة أبيات للمنذر بن درهم الكلبى ذكرها أبو محمد الاعرابى فى فرحة الأديب وياقوت فى معجم البلدان عن أبى الندى وهى :

سقى روضة المثرى عنا وأهلها ركام سرى من آخر الليل رادف

أمن حب أم الاشيمين وذكرها فؤادك معمود له أو مقارف

تمنيتها حتى تمنيت أن أرى من الوجد كلبا للوكيعين آلف

أقول ومالى حاجة فى ترددى سواها بأهل الارض هل أنت عاطف

وأحدث عهد من أمية نظرة على جانب العلياء اذ أنا واقف

تقول : حنان ما أتى بك ههنا أذو نسب أم أنت بالحى عارف

فقلت لها : ذو حاجة ومسلم فضم علينا المأزق المتضايف

قال ياقوت : روضة المثرى بالثاء المثلثة ويروى بالمثناة ، وأراد بالوكيعين الوكيع ابن الطفيل الكلبى وابنه انتهى ، والظاهر أن المثرى اسم رجل أضيفت الروضة اليه لكونه كان صاحبها وهو اسم مفعول من قولهم ثرى الله القوم أى كثرهم فالأصل مثروى قلبت الواو ياء وأدغمت عملا بالقاعدة ، وأهلها معطوف على روضة ، وركام فاعل

سقى وهو بضم الراء السحاب المتراكم بعضه على بعض، والرادف نعته ومعناه الراكب خلف الشيء يريد سحائب مترادفة بعضها خلف بعض، وجملة «سرى الخ» نعت لركام وصف بها قبل الوصف بالمفرد، وقوله «أمن حب» الهمزة للاستفهام والأشيمين مثنى أشيم وهو الذى به شامة، والمعمود السقيم يقال عمده المرض أى فدحه ورجل معمود وعميد أى هده العشق، وله أى للحب، والمقارف المقارب يقال قارفه أى قاربه، وآلف اسم فاعل من ألف يألف إلفة مبتدأ للوكيعين خبره والجملة صفة كلب وقوله «هل أنت عاطف» مقول أقول وهو خطاب لصاحبه يطلب منه العطف فى الذهاب إلى حيها معه، وأحدث عهد أى أقرب ما أعهده وأحفظه وهو مبتدأ، ونظرة خبره، والعلياء بفتح العين موضع وكل مكان عال مشرف، والمسلم من التسليم بمعنى التحية وصم بالبناء للمفعول أى سد علينا من الصمم وهو انسداد الأذن وصم القارورة أى سدها وأصمها جعل لها صماما بالكسر وهو ما يسد به فمها والمأزق بالهمز كمجلس المضيق من أزق بالزاى المعجمة والقاف كفرح وضرب أزقا وأزوقا ضاق والمتضايف المجتمع الذى أضيف بعضه على بعض

وممن نسب البيت الشاهد للمنذر بن درهم الكلبي ابن خلف والزمخشرى فى شرح أبيات سيبويه، وفى الكشاف استشهد به على أن حنانا فى قوله تعالى «وحنانا من لدنا» بمعنى الرحمة وذكر معه البيت الذى قبله

(وأنشد بعده، وهو الشاهد الثامن والتسعون)

٩٨ أَرِضاً وَذُؤْبانُ الْخُطُوبِ تَنُوشُنِى

على أن رضا مصدر حذف فعله وجوبا للتوبيخ

والأصل أترضى رضا، فالهمزة للانكار التوبيخى وهو يقتضى أن ما بعدها واقع وفاعله ملوم والواو واو الحال، والذؤبان جمع ذئب جمع كثرة، والخطوب جمع خطب بالفتح وهو الأمر الشديد ينزل على الانسان والاضافة من قبيل «لجين الماء» اى المصائب التى كالذئاب وتنوشنى مضارع ناشه نوشا أى تناله وتصيبه وجملة تنوشنى خبر المبتدأ الذى هو ذؤبان والجملة الاسمية حال من فاعل الفعل المحذوف

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون ، وهو من شواهد سيبويه)

٩٩ فَاهَا لِفِيكَ

هو قطعة من بيت وهو :

فقلتُ لهُ : فَاهَا لِفِيـكَ فَأَنَّهَا قلوصُ امرىء قاريك ما أنت حاذره

على أن فاها لفيك وضع موضع المصدر ، والأصل فوها لفيك فلما صارت الجملة بمعنى المصدر أى أصابة داهية أعرب الجزء الأول بأعراب المصدر فصار فاها لفيك ، وقيل : فاها منصوب بفعل محذوف أى جعل الله فا الداهية إلى فيك ولهذا الوجه أنشده سيبويه . قال الأعلم : الشاهد فيه قوله فاها لفيك أى فم الداهية ونصبه على إضمار فعل والتقدير ألصق الله فاها لفيك ، وجعل فاها لفيك ووضع موضع دهاك الله فلذلك لزم النصب لأنه بدل من اللفظ بالفعل لجرى فى النصب مجرى المصدر . وخص الفم فى هذا دون سائر الأعضاء لأن أكثر المتالف يكون منه بما يؤكل ويشرب من السموم ، ويقال : معناه فم الخيبة لفيك فمعناه على هذا خيبك الله ، ومثله لأبى زيد فى نوادره قال : وإذا أراد الرجل أن يدعو على رجل قال : فاها لفيك . قال الأخفش فيما كتبه على نوادره : والذى أختاره مافسره الأصمعى وأبو عبيدة فأنهما قالا : معنى قولهم « فاها لفيك » ألصق الله فاها لفيك يعنون الداهية والهلكة . والأول تقدير سيبويه وكلاهما صحيح

وقوله « فقلت له » أى لهواس وهو الأسد ، وقوله « فأنها » أى راحلتى : والقلوص الناقة الشابة . وعنى بامرىء نفسه . وقوله « قاريك الخ » أى يجعل موضع قراك وما يقوم لك مقام القرى ماأنت حاذره من الموت أى ليس لك قرى عندى غير القتل ، مثل قوله تعالى : « فبشرهم بعذاب أليم » وقيل يفسر فاها لفيك أن الشاعر لما غشى الأسد ضربه ضربة واحدة فعض التراب فقال له « فاها لفيك » يعنى فم الأرض ؛ قال سيبويه : والدليل على أنه يريد بقوله فاها فم الداهية قول عامر بن جوين الطائى :

وداهية من دواهي المنون تحسبها النّـاس لافا لها
رفعت سنى برقها إذ بدت وكنت على الجَهْـدِ حمًّا لها

ومعنى لافا لها لامدخل إلى معاناتها والتداوى منها ، أى هى داهية مشكلة . والمنون

الموت، وفا منصوب بلا ، واللام مقحمة ، والخبر محذوف أى فى الدنيا . أو فيما يعلمه الناس ، والسنى هو الضوء ، يريد أنه دفع شرها والتهاب نارها حين أقبلت وكان هو حمال ثقلها :

والبيت الشاهد من أبيات أولها:

تَحسَّبَ هَوّاسٌ وأَيْقَنَ أَنَّنى　　بِهَا مُفْتَدٍ من واحدٍ لاأُغامِرُهْ
ظللنا معاً جارَيْن نحترس الثأى　　يُسَايِرُنى منْ خَتْلِهِ وأُسايِرُهْ

فقلْتُ له فاها لفيك «البيت»

تحسب بمعنى حسب بالتخفيف وقيل هو بمعنى تحسس يقال فلان يتحسس الأخبار أى يتجسس وقيل تحسب فى معنى حسبته فتحسب مثل كفيته فاكتفى . قال النحاس: معنى تحسب اكتفى وكذلك قال الأخفش فيما كتبه على نوادر أبى زيد عن المبرد أنه أنه قال: معنى تحسب اكتفى من قولك حسبك كقوله تعالى « عطاء حسابا » أى كافيا ، وتقول العرب : ماأحسبك فهو لى محسب أى ما كفاك فهو لى كاف . والهواس الأسد سمى هواسا لأنه يهوس الفريسة أى يدقها ، والهوس الدق الخفى . وقيل الهواس الذى يطأ وطأ خفيا حتى لايشعر به ، قال السيرافى : معناه أنه عرض الأسد لناقة هذا الشاعر فحكى عن الأسد أنه توهم أنى أدع الناقة وأفتدى بها من لقاء الأسد ولا أغامره ولا أقاتله ولا أرد معه غمرات الحرب ، والرواية « تحسب هواس وأقبل » وروى أيضاً « من صاحب لاأغاوره » أى أغور عليه ويغور على ، وروى « لاأناظره » والثأى ـــ بالمثلثة والهمز على وزن الفتى ـــ الخرم والفتق ، والختل المكر والخداع

وهذه الأبيات قال الجرمى: هى لأبى سدرة الأعرابى ، وقال أبو زيد فى نوادره : انها لرجل من بنى الهجيم ، وهما شىء واحد ، قال أبو محمد الأعرابى فى فرحة الأديب: أبو سدرة هو سحيم بن الأعرف من بنى الهجيم بن عمرو بن تميم وله مقطعات مليحة ، منها قوله فى حسان بن سعيد عامل الحجاج على البحرين :

إلى حسّانَ من أَكْنافِ نجد　　رحلنا العيس تنفخ فى براها
نعدّ قرابة ونعد صهرا　　ويسعد بالقرابة من رعاها

وأيامّا فعلت فأن نفسى تعدّ صلاح نفسك من غناها

فما جئناك من عدم ولكن يهش إلى الامارة من رجاها

وأيامّا أتيت فأن نفسى تعد صلاح نفسك من غناها

قال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : وفيه وفى قبيلته يقول جرير:

وبنو الهجيم قبيلة مذمومة صفر اللحى متشابهو الألوان

لو يسمعون بأكلة أو شربة بعمان أصبح جمعهم بعمان

يريد أنهم يوقدون البعر فتصفر لحاهم بدخانه

وهو شاعر اسلامي من معاصري جرير والفرزدق.

المفعول به

* (أنشد فيه . وهو الشاهد الموفى المائة ، وهو من أبيات سيبويه) *

١٠٠ فواعديه سرْحَتىْ مالِكٍ أو الربا بينهما أسهـــلا

على أن أسهل مفعول لفعل محذوف وهو صفة وموصوفه محذوف أيضاً أى قولى ائت مكاناً أسهل

هذا البيت لعمر بن أبى ربيعة ويفهم من تقدير الشارح أن عشيقته أرسلت إليه امرأة تعين له موضع الملاقاة وأمرتها أن تواعده أحد هذين الموضعين ، وكذلك قال ابن خلف : المعنى أنها قالت لأمتها واعديه الليلة أن يقصد السرحتين ويلتمس مكانا سهلا يقرب من ذلك الموضع لأنهما إذا علوا الربا عرف مكانهما وشنع أمرهما ، لكن المفهوم من كلام الأعلم أنه هو الذى أرسل إليها امرأة فانه قال : نصب أسهل بأضمار فعل دل عليه ماقبله لأنه لما قال فواعديه سرحتى مالك أو الربا بينهما علم أنه مزعج لها داع إلى إتيان أحدهما فكأنه قال ائتى أسهل الأمرين عليك، وكذلك نقل النحاس عن المبرد أن التقدير وأتى أسهل المواضع لأنه لما قال فواعديه أزعجها فكأنه قال : اقصدى به أسهل المواضع ، والصواب الأول كما يعلم من البيت الذى بعده ويأتى قريباً ، وقدر المحذوف بعضهم من لفظ المذكور أى واعديه مكاناً أسهل والمعنى قريب

وأسهل أفعل تفضيل من السهولة ضد الحزونة ، وقد سهل – بالضم – وتقدير الشارح كابن خلف أسهل من باب حذف المفضل عليه أى أسهل منهما أصوب من تقدير غيره المضاف إليه أسهل الأمرين أو أسهل المواضع قال ابن خلف : و يجوز أسهل أن يعنى به سهل كما يقال رجل أوجل ووجل وأحمق وحمق: إن أراد أنه يكون وصفاً من السهولة فمجىء أفعل بمعنى فعل وصفاً بابه السماع ولم يسمع،وإن أراد أنه من السهل نقيض الجبل فلم يسمع إلا مكان سهل وأرض سهلة،ثم قال : وقد قيل إنه يجوز أن يكون أسهل اسما لموضع بعينه (أقول) : قدفتشت كتب اللغة وكتب أسماء الأماكن لمعجم مااستعجم ومعجم البلدان فلم أجد له ذكراً فيها ، والمواعدة مفاعلة من الطرفين ووعد يتعدى بنفسه إلى واحد و إلى ثان بالباء وقد تحذف فينصب بنزع الخافض والفعل إذا كان متعدياً إلى واحد فينقله إلى باب المفاعلة يتعدى إلى اثنين فالضمير فى واعديه مفعول أول وسرحتى مالك المفعول الثانى بتقدير مضاف أى مكان سرحتى مالك وليس سرحتى مالك اسم مكان بل هما شجرتان لمالك ، والسرحة واحد السرح وهو كل شجر عظيم لا شوك له،والربا جمع ربوة – بتثليث الراء – وهو المكان المرتفع عما حوله وكانت الرابين السرحتين وروى الأصبهانى فى الأغانى البيت هكذا :

سَلْمَى عِديه سَرْحَتَىْ مالك أو الرُّبا دُونهما منزلا

فعليه فلا شاهد فيه ، ومنزلا إما بدل من الربا أو حال منه ، وسلمى منادى وبعد هذا البيت

إنْ جاء فليأت على بغلة إنى أخاف المهر أن يصهلا

وترجمة عمر بن أبى ربيعة تقدمت فى الشاهد السابع والثمانين

﴿ وأنشد بعده وهو الشاهد الحادى بعد المائة ﴾

١٠١ كلا طرفى قصد الامور ذميم

على أن القصد فى الأمر خلاف القصور والأفراط فأنه يقال: قصد فى الأمر قصدا توسط وطلب الأشد ولم يجاوز الحد،فالقصد فى الأمور له طرفان (أحدهما) القصر والتقصير وهما بمعنى التوانى فيه حتي يضيع ويفوت ،وكذلك الفرط والتفريط فأنه

يقال فرط في الأمر فرطاً — من باب نصر — وفرط تفريطاً وأما القصور فهو مصدر قصرت عن الشيء — من باب قعد — إذا عجزت عنه وليس هذا من التفريط في شيء (والطرف الآخر) الأفراط وهو مصدر أفرط في الأمر إذا أسرف وجاوز فيه الحد فكان ينبغي للشارح أن يقول خلاف القصر أو التقصير والأفراط أو يقول خلاف الفرط أو التفريط والأفراط ، والذميم بالمعجمة المذموم

وهذا المصراع عجز بيت وقبله :

عليك بأوساط الأُمور فأنها طريق الى نَهْجِ الصَّوابِ قويمُ
ولا تَكُ فيها مُفْرِطاً أوْ مُفَرِّطاً كلا طَرَفَيْ قصد الامور ذَمِيمُ

وهذا نظم للحديث وهو: « الجاهل إما مفرط أو مفرط » ولا أعلم قائل هذين البيتين ولا رأيتهما إلا في كتاب العباب في شرح أبيات الآداب — وكتاب الآداب تأليف ابن سناء الملك بن شمس الخلافة وهو من كتب الأدب وقد اشتمل على أبيات ومصاريع كثيرة لغالب الشعراء المتقدمين والمتأخرين تنيف على ألفي بيت وقد نسب كل بيت ومصراع فيه إلى قائله مع تتمة الشعر حسن بن صالح العدوى اليمني وسمى تأليفه العباب في شرح أبيات الآداب — وكان المصراع الشاهد في الأصل وكمله بالمصاريع الثلاثة صاحب العباب

وقد ضمنه أيضاً الأمام الخطابي في تتفة له وهي :

فسامح ولا تَسْتَوْفِ حقَّك كُلَّهُ وأَبْقِ فلم يَسْتَقْصِ قَطُّ كريمُ
ولا تغل في شيءٍ من الأمر واقْتَصِد كلا طَرَفَيْ قصد الأمور ذميم

والخطابي هو الأمام أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب ، من ولد زيد ابن الخطاب أخي عمر بن الخطاب صاحب كتاب معالم السنن وشرح البخارى وغير ذلك ، وكان صديق أبي منصور الثعالبي . وأورده في كتاب يتيمة الدهر وأنشد له تتفاً جيدة ، وولد في سنة تسع عشرة وثلثمائة ومات في مدينة بست في رباط على شاطيء هيرمند يوم السبت السادس عشر من ربيع الآخر سنة ست وثمانين وثلثمائة ، وأنشد له الثعالبي في اليتيمة :

وما غربة الانسان في شقة النوى ولكنها والله في عدم الشكل
وإني غريب بين بست وأهلها وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

وأنشد له أيضاً :

وليس اغترابي في سِجِسْتانَ أنني غربت بها الأخوان والدار والأهلا
ولكنني مالي بها من مشاكل وإن الغريب الفرد من يعدم الشكلا

وأنشد أيضاً :

شر السباع العوادي دونه وزر والناس شرهم ما دونه وزر
كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع وما ترى بشراً لم يؤذه بشر

وأنشد أيضاً:

مادمتَ حيا فدارِ الناسَ كلّهمُ فأنما أنت في دار المداراة
من يدرِ دارى ومن لم يدر سوف يرى عما قليل نديما للندامات

وللثعالبي فيه :

أبا سليمان سر في الأرض أوفأقم فأنت عندى دنا مثواك أو شطنا
ما أنت غيرى فأخشى أن يفارقنى قربت روحك بل روحي فأنت أنا

قال السلفي : أنشدني أبو منصور الثعالبي بنيسابور للخطابي يقوله فى الثعالبي :

قلبي رهين بنيسابور عند أخ ما مثله حين تستقرى البلاد أخ
له صحائف أخلاقٍ مهذبةٍ منها التقى والنهي والحلم ينتسخ

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه)

١٠٢ جارىَ لاتستَنْكِرِى عَذِيرى سَيْرِى وإشْفاقى على بعيرى

على أن العذير هنا بمعنى الحال التى يحاولها المرء يعذر عليها وقد بين بقوله «سيرى وإشفاق» الحال التى ينبغى أن يعذرفيها ولايلام عليها.

ومثله لابن الشجرى فى أماليه فانه قال : العذير الأمر الذى يحاوله الانسان فيعذر فيه اى لاتستنكرى ما أحاوله معذورا فيه وقد فسره بالبيت الثانى اه.

وعليه فعذيرى مفعول تستنكرى وسيرى عطف بيان له أو بدل منه أوخبرمبتدأ محذوف أى هو سيرى الخ ، ويجوز أن يكون عذيرى مبتدأ خبره سيرى الخ كما قال ابن الحاجب فى الايضاح، وعلى هذا فمفعول تستنكرى محذوف، قال الزجاج : العذير الحال وذلك أن العجاج كان يصلح حلسا لجمله فأنكرته وهزئت منه فقال لها هذا ، قال على بن سليمان الأخفش : العذير الصوت كأنه كان يرجز فى عمله بحلسه فأنكرت عليه ذلك أى لاتستنكرى صوتى و رفعه بالحديث لانى قد كبرت ، والحلس للبعير وهو كساء رقيق يكون تحت البردعة وهو بكسر المهملة وسكون اللام

وأنشد سيبويه البيت الأول على أن جارى منادى مرخم ، قال الاعلم : الشاهد فيه حذف حرف النداء ضرورة من قوله جارى وهو اسم منكور قبل النداء لايتعرف إلاعرف النداء وإنما يطرد الحذف فى المعارف ، ورد المبرد على سيبويه جعله الجارية نكرة وهو يشير إلى جارية بعينها فقد صارت معرفة بالأشارة، ولم يذهب سيبويه إلى ماتأوله المبرد عليه من أنه نكرة بعد النداء وإنما أراد أنه اسم شائع فى الجنس قبل النداء وهو نكرة وكيف يتأول عليه الغلط فى مثل هذا وسيبويه قد فرق بين ما كان مقصودا بالنداء من أسماء الأجناس وبين مالم يقصد قصده . وهذا من التعسف الشديد والاعتراض القبيح اه

وقوله سيرى هو مصدر سار يسير يكون بالليل وبالنهار ويستعمل لازما ومتعديا يقال سار البعير وسيرته ، ويفهم من كلام أبى القاسم بن سلام فى أمثاله ومن كلام الأعلم أنه فعل أمر وصرح به غيره فأنهما قالا: ومعنى الشعر ياجارية سيرى ولاتستنكرى عذيرى واشفاقى، ويرده الرواية الاخرى وهى « سعيى وإشفاقى » كما نقلها الصغانى وغيره ، والأشفاق مصدر أشفقت عليه إذا حنوت وعطفت من كذا حذرت منه ، وقوله « على بعيرى » متعلق بأحد المصدرين على التنازع

وهذان البيتان من رجز للعجاج وبعده :

وكثرة الحديث عن شقورى مع الجلا ولائح القتير

فى الصحاح: الشقور الحاجة وعن الأصمعى بفتح الشين قال أبو عبيد: الاول أصح لأن الشقور بالضم بمعنى الأمور اللاصقة بالقلب المهمة له الواحدة شقر اه وفى أمثال

أبى عبيد « أنصيت إليه بشقورى » أى أخبرته بأمرى و أطلعته على ماأسره من غيره، وقال الزبيدى فى لحن العامة : الشقور مذهب الرجل و باطن أمره ، والجلا — بفتح الجيم والقصر — انحسار الشعر من مقدم الرأس يكون خلقةو يكون من كبر،والقتير — بفتح القاف — الشيب قال أبو عبيدة : معناه لاتستنكرى حالى من الهرم ياجارية ولا كثرة ما أحدث به من الأسرار وذلك من أحوال الشيوخ المسان وتهاتر الهرمى

وترجمة العجاج تقدمت فى الشاهد الحادى و العشرين

(وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد المائة)

١٠٣ و إن تعتذر بالمحل من ذى ضروعها إلى الضيف يجرح في عراقيبها نصلى

على أنه حذف مفعول يجرح لتضمنه معنى يؤثر بالجرح ، وكذلك جعله ابن هشام فى مغنى اللبيب من باب التضمين قال : فأنه ضمن معنى يعيث أو يفسد فأن العيث لازم يتعدى بفى يقال عاث الذئب فى الغنم أى أفسد وكذلك الأفساد قال الله تعالى « لاتفسدوا فى الأرض » وأنشده صاحب الكشاف عند قوله تعالى « لأزينن لهم » على أن أزينن متعد نزل منزلة اللازم لأرادة الحقيقة ، قال الطيبى : أى يعيث الجرح فى عراقيبها نصلى جعل لازما ثم عدى كما يعدى اللام مبالغة

وهذا البيت من أواخر قصيدة لذى الرمة عدة أبياتها ستة وثلاثون بيتا شبب فيها بمى و وصف فيها القفار وناقته إلى أن قال :

أعاذِلُ عوجى من لسانك عن عَذْلى فما كُلُّ مَنْ يهوى رشادى على شكلى
فما لام يوما من أخ وهو صادق أخاى ولا اعتَلّتْ على ضيفها إبلى
إذا كان فيها الرسل لم تأت دونه فِصالى ولو كانت عجافا ولا أهلى

و إن تعتذر بالمحل من ذى ضروعها (البيت)

و بعده أربعة أبيات وهى آخر القصيدة،فقوله «أعاذل»الهمزةللنداء وعاذل منادى مرخم عاذلة ، قال الأصمعى فى شرح ديوانه : «عوجى من لسانك» أى كفى ولفظ عوجى على الحقيقة اعطفى ، والشكل الضرب يقول ما كل من يهوى ذلك منى على طريقتى وعلى مذهبى ، وقوله « فما لام يوما من أخ » من زائدة وأخ فاعل لام، والأخاء

بكسرالهمزة الأخوة قال الاصمعى : اعتلت أطلق اللفظ على الأبل والمعنى على أصحابها يقول: لم أبخل فأعتذر إلى الضيف ، وقوله « اذا كان فيها الرسل» ضمير فيها للابل وضمير دونه للرسل ، قال الاصمعى : الرسل اللبن حلوه وحامضه وخاثره ورقيقه يقول: لا أسقى فصالى وأدع ضيفى ولو كانت عجافا مهازيل. يقال عجف الدابة وأعجفه صاحبه وعجفت نفسى عن كذا إذا صرفتها وقوله « وإن تعتذر بالمحل» قال الأصمعى: اعتذارها للضيف أن لا يرى فيها محتلبا من شدة الجدب والزمان فاذا كانت كذلك عقرتها اه والمحل انقطاع المطر ويبس الارض من الكلأ وهو مصدر محل البلد ـ من باب تعب ـ والمراد بذى ضرعها اللبن كما يقال ذو بطونها والمراد الولد قال الطيبى : المعنى إن اعتذرت بقلة اللبن بسبب القحط إلى الضيف أعقرها لتكون هى عوض اللبن اه والعقر ضرب البعير بالسيف على قوائمه لا يطلق العقر فى غير القوائم . وربما قيل عقره إذا نحره. والعراقيب جمع عرقوب . فى الصحاح : عرقوب الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها. قال الاصمعى : كل ذى أربع عرقوباه فى رجليه وركبتاه فى يديه وعرقبت الدابة قطعت عرقوبها والعرقوب من الأنسان العصب الغليظ الموتر فوق العقب والنصل حديدة السيف والسكين والمنصل ـ كقنفذ ـ نفسه

وترجمة ذى الرمة تقدمت فى الشاهد الثامن



قد تم بعون الله وحسن توفيقه طبع الجزء الأول من كتاب: (خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب) ويليه — ان شاء الله — الجزء الثانى ويبتدىء بشرح شواهد المنادى (الشاهد الرابع بعد المائة) نسأل الله أن يمدنا بمعونته إنه نعم المعين وعليه التكلان.

فهارس

الجزء الأول من

خزانة الأدب للبغدادى

وضعها

محمد محيي الدين عبد الحميد

المدرس بالقسم الثانوى بالجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بيده الحول ، وصلى الله على سيدنا محمد صفوة الله من خلقه ، وعلى آله وصحبه الذين آزروه فى ساعة العسرة ، وسلم تسليما :

(وبعد) فلقد كان لأسلافنا من العلماء — أثابهم الله — فراغ طويل، ووقت متسع ، لأن مشاغل الحياة لم تكن — حينذاك — كما هى اليوم ، ولأن رغباتهم ومطامعهم لم تكن تمتد إلى ما يطمح إليه اليوم أقلنا شأناً وأهوننا خطراً : لذلك استطاعوا أن يتركوا لنا تراثاً عظيما من المؤلفات الضخمة فى مختلف الفنون ، ولكن رغبتهم فى العلم ، وحرصهم على الافتنان فيه وإجادته ، من جهة ، وهذا الوقت المتسع أمامهم ، وانصرافهم عن شواغل الحياة ، وما آتاهم الله من صبر ، من جهة أخرى ، تركتنا أمام هذه المؤلفات حيارى ، ذلك لأنهم حشروا المسائل المنوعة فى كتبهم حشرا ، وبخاصة المتأخرين منهم ، يدرك هذا كل من عالج البحث كما نعالجه

وإن كتاب (خزانة الأدب ، ولب لباب لسان العرب) تصنيف العلامة عبد القادر بن عمر البغدادى من الكتب القيمة الكثيرة الفائدة ، اشتمل على مسائل شتى فى أكثر علوم اللغة ، لأن الله قد أتاح لمؤلفه ما لا يتيسر أغلبه لكثير من المؤلفين ، فقد كان بين يديه من المؤلفات ما لا يدركه الحصر ، ولا تتسع له الظنون ، وقد كان له صبر على استخراج الدقائق والبحث عن الخفايا ، فشرح فى كتابه هذا شواهد شرح الرضى

« وهى زهاء ألف بيت كانت محلولة العقال ، ظاهرة الأشكال ، لغموض معناها ، وخفاء مغزاها » شرحا وافياً وبين مايتعلق بكل شاهد من الاعراب واللغة قياسيها وسماعيها ، مع دقة فى بيان معناه والاشارة إلي من استشهد به غير الرضى . ونقل كلام العلماء عن المستشهد به والمستشهد عليه ، وذكر كل القصائد التى لايتم بيت الشاهد إلا بذكرها مع نسبة كل بيت أو قصيدة إلى قائلها ، فجاء كتابه موسوعة تحدثنا أصدق الحديث عما للغة العربية من فضل ، وترشدنا إلى ما فيها من الأسرار ، ولكن الكتاب فى حاجة شديدة ألى ضم المتشاكل من مسائله بعضها إلى البعض ، وتقريب متناولها إلى القارئين فأن الناس قد فتنهم زخرف هذه الحياة واستلبت قلوبهم محاسين المدنية وألوانها فانصرفوا عن علوم العرب عقوقا لآباء المدنيةو بناتها وحسبوا أن أدبها لا يكفى لتكوين أديب ، وليس هذا — علم الله — إلا للتقصير عن اللحاق بهؤلاء الأفذاذ من العلماء أو الأفراط فى مشايعة المدنية المتغلبة اليوم والتى قوامها المادة

وقد طبع هذا الكتاب منذ نصف قرن تقريبا فى مطبعة بلاق الأميرية طبعا غير معنى به — اوقل طبعا يتفق مع أذواق الناس إذ ذاك — فلم يحاول المشرفون على طبعه تذليل شيء من الصعاب التى تعترض من يريد الرجوع إليه ، ومع هذا النقص فقد أقبل العلماء والأدباء عليه حتى نفدت طبعته وأصبح من النادر الحصول على نسخة منه

ولكم تمنيت أن تتاح لى فرصة أقوم فيها بما تركه هؤلاء فى طبعته الأولى فأضع له فهارس تقرب الطريق — بقدر الأمكان — على من شاء أن يرد بحره الطامى حتى سنحت لى اليوم فوضعت أنواعا كثيرة من الفهارس جمعت بها شمل ما تفرق فى اثناء الكتاب من المسائل

وجعلت واحدا لمسائل النحو، وآخر لمسائل الصرف، وثالثا لمسائل البلاغة. و رابعا لأيام العرب والتاريخ، وخامسا للأماكن والجبال والانهار وسادسا للأعلام وسابعا للشواهد. وثامنا للقصائد والأبيات، وتاسعا لأطعمة العرب. وعاشراً لاسماء الكتب التي نقل عنها صاحب الكتاب، وغير ذلك

و إنه ليطول بي القول إذا أنا حاولت تبيين ما لذلك كله من الفائدة وما لاقيته و ألاقيه فيه من العناء وتسهيد الجفن . ولكني راض — عن قلب ممتلىء بالغبطة — أن أتحمل المشاق وأركب الصعب في سبيل خدمة اللغة العربية وأبنائها و رياضة الجامح منها حتى يسكن و يأنس الناس له

وكنت على عزيمة أن أجعل مع كل جزء من أجزاء الكتاب ما يتعلق به من جميع أنواع الفهارس. ولكن كثيرا من أخواني رأى أنه لاضرورة إلى ذلك، وذكر لي أن هذا العمل يباعد — قليلا أو كثيرا — بيني وبين رغبتي الأولى في وضعها . فرأيت أن أجعل مع كل جزء فهرسا لما فيه من الشواهد والأعلام والموضوعات ثم أقتصر على ذلك حتى يتم الكتاب فأجعل الأنواع الأخرى له عامة. وبذلك أكون قد وافقت الرغبة. وأصبت الغرض

هذا ، و إني أبرأ إلى الله من الحول، وأعترف بما لابد منه من القصور «وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء»

والله تعالى المسئول أن يوفقني إلى ما يحبه ويرضاه، وأن يجعل عملي خالصاً من الرياء ، إنه على كل شيء قدير ؟

القاهرة — ذو القعدة سنة ١٣٤٧ — إبريل سنة ١٩٢٩

كتبه
محمد محيي الدين عبد الحميد

الفهرس الاول

للموضوعات



الفهرس الثانى . للشواهد

اتبعنا فى هذه الفهرس أن نأتى بالأبيات التى استشهد بها الرضى كاملة ونثبتها مرتبة على حروف المعجم وفاقا لقوافيها فإذا كان الشاهد صدرا أو عجزا أو قطعة من البيت وضعناه بين قوسين وقد تيسر لنا إكمال الأبيات كلها إلا صدر بيت لم يعثر البغدادى على تكملته وآخر نقل تكملته عن العينى وأنكرها

ص	ترتيب الشاهد		
		حرف القاف	
٥٤	٥	(وقاتم الأعماق خاوى المخترق)	مشتبه الأعلام لماع الخفق
١٤٠	٢٩	وهم قريش الأكرمون إذا انتموا	طابوا فروعا فى العلا وعروقا
١٦١	٣٤	جاء الشتاء وقيصى أخلاق	شراذم يعجب منه التواق
		حرف الكاف	
١٣٨	٢٨	إنى لمهد من ثنائى وقاصد	بهلابن عم الصدق (شمس بن مالك)
٣٢٠	٨٣	هل تعرف الدار على تبراكا	(دار لسعدى إذه من هواكا)
		حرف اللام	
٢٩	٢	فلا مزنة ودقت ودقها	ولا أرض أبقل إبقالها
٣٧	٣	تنورتها من أذرعات وأهلها	بيثرب أدنى دارها نظر عالى
٧٦	٩	إذا اجتمعوا على ألف وواو	وياء هاج بينهم جدال
٩٣	١٥ء	(كلانا إذا ما نال شيئا أفاته)	ومن يحترث حرثى وحرثك يهزل
١٩٠	٤٠	جزى ربه عنى عدى بن حاتم	جزاء الكلاب العاويات وقد فعل
٢٢٤	٤٩	ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة	كفانى ـ ولم أطلب ـ قليل من المال
		ولكنما أسعى لمجد مؤثل	وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى
٢٨٧	٦٨	أنصب للمنية تعتريهم	رجالي أم (هم درج السيول)
٣٠١	٧٤	لعاب الأفاعى القاتلات لعابه	وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل
٣٢١	٨٤	فخير نحن عند البأس منكم	(إذا الداعى المثوب قال: يالا)
٣٤٨	٩٠	إنى لأمنحك الصدود وإننى	قسما إليك مع الصدود لأميل
٣٥٣	٩١	إذن لاتبعناه على كل حالة	من الدهر جدا غير قول التهازل
٣٩٤	١٠٠	فواعديه سرحتى مالك	أو الربا بينهما أسهلا
٣٩٩	١٠٣	وإن تعتذر بالمحل من ذى ضروعها	إلى الضيف يجرح فى أناملها نصلى
		حرف الميم	
٧٢	٨	(تداعين باسم الشيب فى متثلم)	جوانبه من بصرة وسلام
٨٥	١٢	(ينباع من ذفرى غضوب جسرة)	زيافة مثل الفنيق المكدم
٩٢	١٤	كلت لفيه توالى دائما	بجيوش من عقاب ونعم

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الغين

حرف الفاء



تصويبات

فرطت هذه الكلمات مع شدة الحرص على الصواب والدقة فنرجو اصلاحها وإذا عثرنا على شيء آخر فأنا سنثبته فى أواخر الأجزاء التالية

س	ص	خطأ	صواب
١٥	٦٥	عنا	عنها
٢٤	٦٦	ه موصغر	هو مصغر
٢	٧٠	عيناء	عيناه
٢٢	٧٣	بضم	بفتح
٢٣	٧٣	بفتح	بضم
١٢ ، ١٤	٩٨	خبيب	حبيب
٨	١٢٨	يقال نافره فنفره بالضم لا غير	يقال نافره فنفره ينفره بالضم لاغير

بسم الله الرحمن الرحيم

المنادى

أنشد فيه

(وهو الشاهد الرابع بعد المائة وهو من أبيات سيبويه)

(١٠٤) يا بُؤْسَ لِلْجَهل ضرّاراً لأقوام

على أن المبرد أجاز أن ينصب عامل المنادى الحال نحو : يازيد قائماً، إذا ناديته في حال قيامه قال : ومنه يابؤس للجهل الخ ،والظاهر أن عامله بؤس الذى هو بمعنى الشدة وهو مضاف إلى صاحب الحال أعنى الجهل تقديراً لزيادة اللام

(أقول) : من جعل عامل الحال النداء جعل الحال من المضاف ؛ وفيه مناسبة جيدة فان الجهل ضار وبؤسه ضرار . ومن جعل ضراراً حالا من المضاف إليه جعل العامل المضاف ،وممن جعله من المضاف إليه الأعلم ، قال: ونصب ضرارا على الحال من الجهل ، وإنما كان يرد هذا الاستظهار على المبرد لو جعل ضرارا حالا من المضاف إليه . وقد أجاز ابن جنى في قوله « بقرى » من قول الحماسي:

ألهفى بقرى سحبل حين أجلبت

الوجهين قال : يجوز أن تجعل بقرى حالا من لهفى ، وأن يكون من الألف في لهفى وذلك أنها ياء ضمير المتكلم فأبدلت ألفاً تخفيفاً فيكون معنى هذا تلهفت وأنا بقرى أى كائنا هناك كما أن معنى الأول لو أنشه يالهفتى كائنة فى ذلك الموضع فيكون بقرى فى هذا الأخير حالا من المنادى المضاف كقوله :

يا بؤس للجهل ضرارا لأقوام

أى يابؤس الجهل أى أدعوه ضراراً ، واذا جعلته حالا من الياء المنقلبة ألفاً كان

العامل نفس اللهف كقولك: ياقيامى ضاحكا تدعو القيام ،أى هذا من أوقاتك اه

وقد قرر ابن الأنبارى مذهب المبرد فى الأنصاف فقال: حكى ابن السراج عن المبرد أنه قال : قلت للمازنى : ما أنكرت من الحال للدعو ؟ قال : لم أنكر منه شيأ إلا أن العرب لم تدع على شريطة ، فأنهم لا يقولون يازيد راكبا أى ندعوك فى هذه الحالة ونمسك عن دعائك ماشئنا إلا أنه إذا قال يازيد فقد وقع الدعاء على كل حال . قلت : فان احتاج اليه راكبا ولم يحتج اليه فى غير هذه الحالة فقال : ألست تقول يازيد دعاء حقاً؟ فقلت : بلى .فقال : علام تحمل المصدر؟ قلت :لأن قولى يازيد كقولى أدعو زيدا فكأنى قلت أدعو دعاء حقاً فقال : لاأرى بأساً بأن تقول على هذا يازيد راكباً فألزم القياس ، قال المبرد : ووجدت أنا تصديقاً لهذا قول النابغة

يا بؤس للجهل ضرارا لأقوام . اه

وقال اللخمى فى شرح أبيات الجمل : ويابؤس منادى مضاف معناه التعجب أى ماأبأس الجهل وما أضره للناس، وضرارا حال من الجهل أو نصب على القطع على مذهب الكوفيين ، ونظيره عندهم « والهدى معكوفا » واللام فى لأقوام زائدة قال المبرد : هذه اللام تزاد فى المفعول على معنى زيادتها فى الأضافة يقولون:هذا ضارب زيدا وهذا ضارب لزيد لأنها لاتغير معنى الأضافة، وأورد سيبويه هذا المصراع لكون اللام مقحمة بين المتضايفين ، وتقدم الكلام عليها فى الشاهد التاسع والسبعين وهو عجز وصدره:

قالت بنو عامر خالوا بنى أسد

خالوا تاركوا يقال خالى يخالى مخالاة وخلاء كما يقال تارك يتارك، ويقال للمرأة المطلقة خلية من هذا، وخليت النبت إذا قطعته

وهذا البيت مطلع أبيات عدتها ثلاثة عشر بيتاً للنابغة الذبيانى قالها لزرعة بن عمرو العامرى حين بعث بنو عامر إلى حصن بن حذيفة بن بدر وإلى عيينة بن حصن الذبيانيين أن اقطعوا ما بينكم وبين بنى أسد من الحلف وألحقوهم بكنانة بن خزيمة بنى عمهم ونحالفكم فنحن بنو أبيكم ، فلما هم عيينة بذلك قالت لهم بنو ذبيان: أخرجوا من فيكم من الحلفاء ونخرج من فينا ، فأبوا من ذلك ، فحكى النابغة قول بنى عامر ، يقول: إن

الجهل يضر الأقوام ويدعوهم إلى سفاهة الأحلام أى أن بنى عامر جهال يأمروننا بترك هؤلاء الذين قد أحسنوا عنا الدفاع وكثر بهم الانتفاع

وبعد هذا البيت

يأبى البلاء فلا نبغى بهم بدلا ... ولا نريد خلاء بعد إحكام

فصالحونا جميعاً إن بدا لكم ... ولا تقولوا لنا أمثالها عام

إنى لأخشى عليكم أن يكون لكم ... من أجل بغضائهم يوم كأيام

تبدو كواكبه والشمس طالعة ... لا النور نور ولا الإظلام إظلام

وعام منادى مرخم عامر، وقافية البيت الخامس مرفوعة وما عداها مجرور وهو عيب يسمى إقواء .. روى المرزبانى فى الموشح بسنده عن محمد بن سلام قال : لم يقو أحد من الطبقة الأولى ولا من أشباههم إلا النابغة فى بيتين قوله :

أمن آل ميّة رائح أو مغتدى ... عجلان ذا زاد وغير مُزَوَّدِ

زعم البوارح أن رحلتنا غدا ... وبذاك خبرنا الغداف الأَسْوَدُ

وقوله :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه ... فتناولته واتقتنا باليدِ

بمخضب رخص كأن بنانه ... عنم يكاد من اللطافة يُعقَدُ

العنم نبت أحمر يصبغ به . فقدم المدينة فعيب ذلك عليه فلم يأبه له حتى أسمعوه إياه فى غناء ، وأهل القرى ألطف نظراً من أهل البدو، وكانوا يكتبون جواريهم عند أهل الكتاب فقيل للجارية : إذا صرت إلى قوله يعقد والأسود فرتلى فلما قالت الغداف الأسود ويعقد وباليد علم، فانتبه ولم يعد فيه ، وقال : قدمت الحجاز وفى شعرى ضيعة ورحلت عنها وأنا أشعر الناس ، وفى رواية أخرى أنه أصلح الأول بقوله :

وبذاك تَنْعابُ الْغُدافِ الأَسْوَدِ اه

ويزاد عليه ما ذكرناه هنا فيكون قد أقوى فى ثلاثة مواضع ، وقوله يأبى البلاء فما نبغى الخ، يقول : يأبى علينا أن نخالفهم ما بلونا من نصحهم ولا نريد خلاء أى

متاركة بهم بني أسد بعد إحكام الأمر بينهم وقوله « تبدو كواكبه والشمس طالعة الخ » رأيت فى ديوانه المصراع الثانى كذا

نورا بنور وإظلاماً بأظلام

قال شارحه: وروى الأصمعى :

لا نور نور ولا إظلام إظلام

يقول : هو يوم شديد تظلم الشمس من شدته فتبدو كواكبه وقوله « لا نور نور » لا كنوره نور إن ظفر ولا كظلمته إن ظفر به وقوله « نورا بنور » كأنه قال نور مع نور يريد بريق البيض والسيوف ونور الشمس إذا أصاب البيض صار نورا مع نور ، وقال ابن نصر : قوله « لا النور نور » يريد أن نور هذا اليوم ليس من نور الشمس إنما هو من نور السلاح وبريقه ، ولا إظلام هذا اليوم من ظلمة الليل إنما ظلمته من كثرة الغبار وقال : أراد بقوله « تبدو كواكبه » شبه بريق البيض وما ظهر من السلاح بالكواكب وعلى هذا فلا إقواء

والنابغة اسمه زياد بن معاوية وينتهى نسبه إلى سعد بن ذبيان بن بغيض وكنيته أبو أمامة وأبو عقرب بابنتين كانتا له ، وهو أحد شعراء الجاهلية وأحد فحولهم ، عده الجمحى فى الطبقة الأولى بعد امرىء القيس، وسمى النابغة لقوله :

فَقَدْ نَبغتْ لَنَا مِنْهُمْ شُؤُونُ

وقيل لأنه لم يقل الشعر حتى صار رجلا ، وقيل هو مشتق من نبغت الحمامة إذا تغنت ، وحكى ابن ولاد أنه يقال نبغ الماء ونبغ بالشعر فكأنه أراد أن له مادة من الشعر لا تنقطع كمادة الماء النابغ ، قال ابن قتيبة فى طبقات الشعراء : ونبغ بالشعر بعد ما احتنك وهلك قبل أن يهتر ، وهو أحد الأشراف الذين تمحض الشعر منهم ، وهو أحسنهم ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتا ، كان شعره كلاما ليس فيه تكلف ، قال الأصمعى : سألت بشارا عن أشعر الناس فقال : أجمع أهل البصرة على امرىء القيس وطرفة ، وأهل الكوفة على بشر بن أبى خازم والأعشى ، وأهل الحجاز على النابغة وزهير ، وأهل الشام على جرير والفرزدق والأخطل ، ومات النابغة فى الجاهلية فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، والأبيات الدالية

من قصيدة وصف بها المتجردة امرأة النعمان بن المنذر، وكان النابغة من خواصه وندمائه وأهل أنسه فرأى زوجته المتجردة يوما وغشيها أمر فسقط نصيفها واستترت بيدها وذراعها، وذكر فى هذه القصيدة أمورا عجيبة منها فى صفة فرجها، ثم أنشدها النابغة مرة بن سعيد القريعى فأنشدها مرة النعمان فامتلأ غضبا وأوعد النابغة وتهدد فهرب منه إلى ملوك غسان بالشام، وقيل إن الذى من أجله هرب النابغة أنه كان هو والمنخل اليشكرى نديمين للنعمان، وكان النعمان دميما قبيح المنظر، وكان المنخل من أجمل العرب، وكان يرمى بالمتجردة، وتكلمت العرب أن ابنى النعمان منها كانا منه، فقال النعمان للنابغة: ياأبا أمامة صف المتجردة فى شعرك فقال تلك القصيدة ووصف فيها بطنها وفرجها وأردافها فلحقت المنخل من ذلك غيرة فقال للنعمان: مايستطيع أن يقول هذا الشعر إلا من جرب، فوقر ذلك فى نفس النعمان، فبلغ النابغة فخافه فهرب إلى ملوك غسان، ونزل بعمرو بن الحرث الأصغر فمدحه ومدح أخاه ولم يزل مقيما مع عمرو حتى مات وملك أخوه النعمان فصار معه إلى أن استعطف النعمان بن المنذر فعاد إليه. ومما قاله فى ملوك غسان ما أنشده ابن قتيبة فى كتاب الشعراء عن الشعبى أنه قال: دخلت على عبد الملك وعنده رجل لا أعرفه فالتفت إليه عبد الملك فقال: من أشعر الناس؟ قال: أنا: فأظلم ما بينى و بينه. فقلت من هذا ياأمير المؤمنين؟ فتعجب عبد الملك من عجلتى فقال: هذا الأخطل قلت: أشعر منه الذى يقول:

هذا غُلامٌ حَسَنٌ وجهُه مستقبل الخير سريع التّمام
للحرث الأكبر والحرث الأصغر والأعرج خير الأنام
ثم لهند ولهند وقد ينجع في الروضات ماء الغمام
ستةُ آباءٍ همُ ماهمُ همْ خيرُ من يشرب صَفْوَ المدام

فقال الاخطل: صدق ياأمير المؤمنين، النابغة أشعر منى. فقال لى عبد الملك: ما تقول فى النابغة؟ قلت قد فضله عمر بن الخطاب على الشعراء غير مرة، خرج وببابه وفد غطفان فقال أى شعرائكم الذى يقول:

حَلَفْتُ فلم أترك لنفسِكَ ريبةً وليْسَ وَرَاءَ اللهِ للمرْءِ مَطْلبُ

قالوا: النابغة، قال: فأى شعرائكم الذى يقول:

فأنك كالليل الذى هو مدركي　　وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

قالوا : النابغة، قال : هذا أشعر شعرائكم

وله القصائد الاعتذاريات المشهورة إلى النعمان بن المنذر ، لم يقل أحد مثلها منها قوله:

نبئت أن أبا قابوس أوعدنى　　ولا قرار على زأر من الأسد

وتمثل به الحجاج بن يوسف حين سخط عليه عبد الملك بن مروان . ومما يتمثل به من شعره :

فلو كفى اليمين بغتك خونا　　لافردت اليمين من الشمال

أخذه المثقب العبدى فقال :

فلو أنى تخالفنى شمالى　　خلافك ما وصلت بها يمينى

وقوله :

فحملتنا ذنب امرىء وتركته　　كذى العر يكوى غيره وهو راتع

أخذه الكميت فقال :

ولا أكوى الصحاح براتعات　　بهن العر قبلى ما كوينا

﴿تتمة﴾ ذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف من يقال له النابغة ثمانية : أولهم هذا ، الثانى النابغة الجعدى الصحابى ، الثالث نابغة بن الديان الحارثى ، والرابع النابغة الشيبانى ، والخامس النابغة الغنوى ، والسادس النابغة العدوانى ، والسابع النابغة الذبيانى أيضا وهو نابغة بنى قتال بن يربوع ، والثامن النابغة التغلبى واسمه الحرث

(وأنشد بعده وهو الخامس بعد المائة)

١٠٥　يا أبجر بن أبجر يا انتا　　أنت الذى طلقت عام جعتا

على أن المضمر لو وقع منادى جاز نظراً إلى المظهر فان المظهر بصورة الرفع والضمير ضمير رفع

قال ابن الانبارى فى مسائل الخلاف نقلا عن البصريين بأن المفرد المعرفة إنما بنى لأنه أشبه كاف الخطاب وكاف الخطاب مبنية فكذلك ما أشبهها ووجه الشبه بينهما من ثلاثة أوجه : الخطاب ، والتعريف ، والأفراد ، ومنهم من قال إنما بنى لأنه

وقع موقع اسم الخطاب لأن الأصل فى قولك يا زيد أن تقول يا إياك أو يا أنت لأن المنادى لما كان مخاطبا كان ينبغي أن يستغنى عن اسمه و يؤتى باسم الخطاب فيقال يا إياك و يا أنت كما قال :

يا مُرَّ يا ابْنَ واقع يا أَنتا

فلما وقع الاسم المنادى موقع اسم الخطاب وجب أن يكون مبنيا كما أن اسم الخطاب مبنى

وظاهر كلام الشارح المحقق أن نداء الضمير مطرد وأنه لافرق بين نداء الضمير المرفوع والضمير المنصوب . قال ابن الحاجب فى الايضاح : نداء المضمر شاذ ، وقد قيل إنه على تقدير: ياهذا أنت وياهذا إياك أعني ، وقال أبو حيان فى تذكرته : وأما يا أنتا فشاذ لأن الموضع موضع نصب وأنت ضمير رفع فحقه أنلا يجوز كما لايجوز فى إياك لكن بعض العرب قد جعل بعض الضمائر نائبا عن غيره كقولهم رأيتك أنت بمعنى رأيتك إياك فناب ضمير الرفع عن ضمير النصب . وكذلك قالوا يا أنتا والأصل يا إياك . وقد يقال:إن «يا» فى ياأنت حرف تنبيه وأنت مبتدأ وأنت الثانية تأكيد لفظى والخبر هو الموصول . وهذا أولى من ادعاء نداء المضمر بصورة المرفوع وجعله شاذا . وقال ابن عصفور : ولا ينادى المضمر إلا نادرا والأسماء كلها تنادى إلا المضمرات . أما ضمير الغيبة وضمير المتكلم فهما مناقضان لحرف النداء ، لان حرف النداء يقتضى الخطاب ولم يجمع بين حرف النداء والضمير المخاطب لان أحدهما يغنى عن الآخر فلم يجمع بينهما الا فى الشعر مثل قوله :

يا أَقْرعَ بْنَ حابس يا أنتا أَنْتَ الّذى الخ

فنهم من جعل «يا» تنبيها ، وجعل أنت مبتدأ وأنت الثانى إما تأكيدا أو مبتدأ أو فصلا أو بدلا اه

ودل كلامه على أن العرب لاتنادى ضمير المتكلم ، فلا تقول يا أنا ولا ضمير الغائب فلا تقول يا إياه ولا ياهو ، فكلام جهلة الصوفية فى نداء الله تعالى: «ياهو» ليس جاريا على كلام العرب اه كلام أبى حيان

وهذان البيتان من أرجوزة لسالم بن دارة ، وقد حرف البيت الاول على أوجه كما رأيت وصوابه :

يامُرُّ يابنَ واقِع يا أنتا

ورواه العينى كرواية الشارح وزعم أن قائله الأحوص . وهو وهم ، إنما قوله نثر لانظم ، وهو أنه لما وفد مع أبيه على معاوية خطب فوثب أبوه ليخطب فكفه وقال: يا إياك قد كفيتك ، ومنشأ الوهم أن النحويين قد ذكروا هذا البيت عقب قول الأحوص مع قولهم « وكقوله » فظن أن الضمير للأحوص . وقد صحفه أبو عبد الله ابن الأعرابى أيضا فى نوادره ورواه

يا قُرُّ يا ابْنَ واقع يا أنتا

نبه على تصحيفه ابو محمد الأسود الأعرابى فيما كتبه على نوادره وسماه ضالة الأديب فقال : صحف أبو عبد الله فى اسم من قيل فيه هذا الرجز فقال ياقر وإنما هو يامر . وهو مرة بن واقع أحد بنى عبد مناف بن فزارة وقوله « أنت الذى طلقت » كان القياس طلق ليعود إلى الموصول ضمير الغائب . قال ابن جنى : هذا كلام العرب الفصيح ، وقد جاء أيضا الحمل على المعنى دون اللفظ كهذا البيت

وكان من قصة سالم بن دارة ومرة بن واقع الفزارى أن فرقة أحد بنى عبدمناف نثل حسيا بزهمان فاستعان بسالم وبمرة واسم الحسى معلق فرجز سالم وهو يخرج عن مرة المياه :

انْزَ لَنِي فرقَةُ فى معلّق أَتْرُكُ حَبْلِي مَرَّةً وأَرْتقى عَنْ مُرَّةَ بْنِ واقِع وَأَسْتَقى

ثم قال :

ولا يزال قائل أبن أبن دلوك عن حد الضروس واللبن

فغضب مرة من ذلك ، وكان عند مرة امرأة من بنى بدر بن عمرو فأسنت مرة فطلقها، وأهل البادية أفعل شئ لذلك، فلما أحيا أراد رجعتها فأبت ، وكان مرة يحسب أنه له عليها رجعة وأنه إنما فاكهها، فاحتملت إلى أهلها، ثم إن مرة حج فى أركوب من بنى فزارة حجاج وخرج سالم فى أركوب من بنى عبد الله بن غطفان حجاج فاصطحبوا فنزل مرة يسوق بالقوم فقال يرتجز :

لو أنَّ بِنتَ الأكْرمِ البَدْرِىّ   رَأتْ شحُوبى ورأتْ بذرِيى
وهُنّ خُوصٌ شبه القسِى   يلفها لفى حصى الآتى
أروع سقاء على الطوى

ثم نزل سالم يسوق بالقوم ، وقد كانا تضاغنا،فرجز :

يا مُرّ يا ابن واقع يا أنتا   أنْتَ الذِى طَلقتَ عامَ جُعْتَا
فضمّها البَدْرِىُّ إذ طَلّقْتَا   حَتّى إذا أصطَبَحْتَ واغْتَبَقْتَا
أصبحتَ مُرْتَدًّا لما تَرَكْتَا   أرَدْتَ أن تَرْجِعَها كَذَبْتَا
أودى بنو بدرٍ بها وأنْتَا   تُقْسِيم وَسْط القَوم مافارقتا
قد أحسَنَ الله وقد أسأتا   فأدِّ رِزْقَها الذى أكلْتَا

اه ما أورده الأسود الأعرابى

وقوله ثل حسيا بزهمان يقال ثلت البر تلا وانتثلتها إذا استخرجت ترابها وهو النثيلة بالنون والثاء المثلثة ، والحسى — بكسر الحاء وسكون السين المهملتين — ما تشتقه الأرض من الرمل،فاذا صار الى صلابة أمسكته فتحفر عنه الرمل فتستخرجه وجمعه الأحساء . وزهمان — بضم الزاء المعجمة وسكون الهاء — واد لبنى فزارة متصل بالرقم — بفتح الراء والقاف — وهو موضع بالحجاز قريب من وادى القرى كانت فيه وقعة لغطفان على عامر . كذا فى معجم ما استعجم لابى عبيد البكرى وقوله «أبن أبن» هو فعل أمر من الأبانة وهو الأبعاد ، والضروس ، قال فى الصحاح بضم الضاد الحجارة التى طويت بها البئر . وأنشد هذا الشعر . وبئر مضروسة وضريس أى مطوية بالحجارة ، وقوله «فأسنت مرة» أى أصابه السنة وهى القحط والجدب ، وقوله «فلما أحيا» فى الصحاح قال أبو عمرو: أحيا القوم إذا حسنت حال مواشيهم فان أردت أنفسهم قلت حيوا ، ثم قال : وأحيا القوم أى صاروا فى الحيا وهو الخصب والحيا مقصور ، لمطر والخصب اهـ وهو بالحاء المهملة وبعدها ياء آخر الحروف .وقوله «فاكهها» أى مازحها والمفاكهة الممازحة وقوله «البدرى» منسوب إلى بنى بدر بن عمرو ، ولو للتمنى لا جواب لها ، والشحوب مصدر شحب جسمه بالفتح

يشحب بالضم اذا تغير، وقوله «بذربى» أى إبلى المفرقة . ويقال تفرقت إبله شذر بذر بفتح الشين والباء وكسرهما وما بعدهما مفتوح إذا تفرقت فى كل وجه . وقوله «وهن خوص» أى غائرات العيون جمع أخوص وخوصاء ، والفعل خوص بالكسر أى غارت عينه، يلفها يضمها ويجمعها «والآتى» بفتح الهمزة وكسر المثناة الفوقية قال فى الصحاح وأتيت للماء تأتية وتأتيا أى سهلت سبيله ليخرج إلى موضع والآتى الجدول يؤتيه الرجل إلى أرضه وهو فعيل يقال جاءنا سيل أتى وأتاوى إذا جاءك ولم يصبك مطره وقوله أروع هو فاعل يلفها ومعناه السيد الذى يروعك بجماله وجلاله ، وسقاء مبالغة ساق ، والطوى البئر المطوية أي المبنية بالحجارة ، وقوله «أصبحت مرتداً» أى راجعا والارتداد الرجوع ، وأودى بها ذهب بها وقوله «فأد رزقها» أى أعط صداقها الذى تغلبت عليه وأكلته

وسالم بن دارة هو سالم بن مسافع بن عقبة بن يربوع بن كعب بن عدى بن جشم بن عوف بن بهثة بن عبد الله غطفان . ودارة لقب أمه واسمها سيقاء كانت أخيذة أصابها زيد الخيل من بعض غطفان وهى حبلى وهى من بنى أسد فوهبها زيد الخيل لزهير بن أبى سلمى فربما نسب سالم بن دارة إلى زيد الخيل ، كذا فى كتاب أسماء الشعراء المنسوبين إلى أمهاتهم تأليف أحمد بن أبى سهل بن عاصم الحلوانى ومن خطه نقلت ، وقال التبريزى فى شرح الحماسة : ودارة هو يربوع وإنما سمي دارة لأن رجلا من بنى الصارد بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان يقال له كعب قتل ابن عم ليربوع بن كعب يقال له درص فقتل يربوع كعبا بابن عمه وأخذ ابنة كعب ثم أرسلها فأتت قومها فنعت أباها كعبا فقالوا من قتله؟ قالت : غلام كأن وجهه دارة القمر من بنى جشم بن عوف بن بهثة فسمى بذلك ونسب إليه سالم اه ومثله فى الأغانى والصحيح الأول ويدل له قول سالم :

أنا ابْن دَارةَ مَعْرُوفاً بِهَا نَسَبِي وَهَلْ بِدَارَةَ يا لَلنَّاسِ مِنْ عَارِ

وسالم شاعر مخضرم قد أدرك الجاهلية والإسلام وكان رجلا هجاء وبسببه قتل . قال التبريزى نقلا عن أبى رياش : وكان الذى هاج قتله أنه كان مرة بن واقع من وجوه بنى فزارة وكانت عنده امرأة من أشراف بنى فزارة ففاكهته امرأته ذات

ليلة فطلقها البتة واحتملت إلى أهلها ومرة يظن أنه قادر على ردها إذا شاء حتى أتى لذلك عام وهما كذلك ثم خطبها حمل بن القليب الفزارى ورجل آخر من بنى فزارة يقال له على وخطبها ابن دارة فبلغ ذلك مرة فأراد أن يراجعها فأبت عليه واختارت عليا فركب مرة بن واقع إلى معاوية وقيل إلى عثمان فقال: إن الأعراب أهل جفاء وإنى قد قلت كلمة بينى وبين امرأتى لم أرد ما تبلغ فتزوجت رجلا وإنما أتيتك مبادرا قبل ان يبنى بها فامنع لى امرأتى فقال معاوية: لقد ذكرت أمرا صغيرا فى أمر عظيم لا سبيل لك عليها، ففرق بينهما معاوية وهو يومئذ على الشام عاملا لعثمان، فقال سالم فى ذلك قبل أن يقدم مرة من عند معاوية والقوم ينتظرونه:

يَا لَيْتَ مُرَّةَ يأتيها فيجمعها خَيْرَ الْبِنَاءِ وَيَجْزِى مِنْهُمُا الجازى

فجاء مرة وقد ابتنى بها على. فغضب على سالم وجعل يشتمه حتى قال: أيها العبد من محولة. ما أنت وذكر نسائنا؟ ومحولة بنو عبد الله بن غطفان وكان يقال لهم بنو عبد العزى فوفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم فقال «من أنتم» فقالوا نحن بنو عبد العزي فقال صلى الله عليه وسلم بل أنتم بنو عبد الله فسمتهم العرب محولة فقال سالم ابن دارة: مهلا يامرة فأنى لم أفعل تأبيدا كأنه أراد لم آت بآبدة ومابى بأس ولا ذنب لى، وإنما مزحت. فأبى مرة إلا شتمه فقال سالم وقد غضب:

يامرُّ يا ابن واقع يا أنتا

أوقع «يا» على المنادى المحذوف كأنه قال يامرة أنت. وقد ادعى قوم أن أنت يجوز نداؤها ولا ينبغى أن يعدل عن الوجه الأول، ثم ذكر الابيات السابقة، وقال: ثم تواعدا أن يلتقيا، وعظم فى صدور بنى فزارة قول سالم فأغمضوا على ذلك، ثم توافى ابن واقع وسالم على رهان وفيهم يومئذ ابن بيشة أحد بنى عبد مناف بن عقيل فقال سالم لجمع بنى فزارة: إنى أحمد الله كعهدكم وبعدكم وأستعهدكم من مرة، فقال مرة: والله لا أزال أهجوه ما بل ريقى لسانى. وجاءت بنو فزارة بامرأة من بنى غراب ترجز يقال لها غاضرة؛ فلما رآها سالم نهق كما ينهق الحمار ثم قال:

قد سبنى بنو الغُرَاب الأَحْمرِ جُبْنًا وَجَهْلاً وَتَمَنَّوْا مُنْكَرى

كل عجوز منهم ومُعصِر غاضِرَ اذى رِشوتى لا تغدرى
وأبشرى بعَزَبٍ مصدّر شرّاب ألبان الخلايا مقفر
يحمل عودا كالوظيف الاعجر وفَيْشَة متى تَرَيْها تشفرى
حمراء كالنورج فوق الأندر تقلب أحيانا حماليق الحِرِ
معقد مشعر مُسَيَّر كأنما أحسّ جيش المنذر
إن تمنعى قَعْوَكِ امْنَعْ محورى لقعو أخرى كعْثبٍ مُدوَّر

النورج شيء يدق به أهل الشام حبهم . فلما قالها سالم ألهاها الاستماع عن الرد عليه ، ثم لوى درعها فكشف عنها فحجز الناس بينهما وافترقوا ولابن دارة الظفر . وعم بنى فزارة بالهجاء لما أعانت عليه بنى غراب ، وقال يهجو مرة بن واقع المزنى :

حدبدبا بدبدبا منك الآن استمعوا أنشدكم يا ولدان
إن بنى فزارة بن ذبيان قد طرقت ناقتهم بانسان
مشيا أعجب بخلق الرحمن غلبتم الناس بأكل الجرذان
كل مثل كالعمود جوفان وسرق الجار ونيك البعران

حدبدبا كلمة جاء بها فى معنى التعجب مما هو فيه ، وأصلها لعبة يلعب بها الصبيان ويختلف فى لفظها : فبعضهم يقول حدبدبا بياءين ، وبعضهم يقول حدندبا ومنهم من يقول حديديا ، يقول : اجتمعوا ياصبية لتلعبوا هذه اللعبة ، وإنما غرضه أن يعجب الناس مما هو فيه ويعلمهم أنه فى أمر كلعب الصبيان ، وقال قصيدة طويلة فى هجوهم منها

بلغ فزارة أنى لن أسالمها حتى ينيك زميلٌ أمَّ دينار

هى أم زميل وكانت تكنى أم دينار ، فحلف زميل بن أبير أحد بنى عبدالله بن عبد مناف أن لا يأكل لحماً ولا يغسل رأسه ولا يأتى امرأة حتى يقتله ، فالتقى زميل وابن دارة منحدر إلى الكوفة وزميل يريد البادية فقال له سالم : لا أبالك ألم يأن لك أن تحل يمينى فقال له زميل : إنى أعتذر اليك والله مافى القوم حديدة إلا أن يكون مخيطاً فافترقا وسار سالم حتى قدم على أخيه بالكوفة فمكث غير بعيد ، ثم لحق بقومه بالبادية ، ثم ورد المدينة ، ثم خرج منها فلقى زميلا عشاء وزميل داخل المدينة فكلمه وناداه

وقال: ألا تحل يمينى ، ثم انطلق واتبعه زَ ميل وغشيه بالسيف فدفع الراحلة وأدركه زميل فضربه فأصاب مؤخرة الرحل وحذا عضده ذباب السيف حذية أوضحت، ورجع إلى المدينة يتداوى بها فزعموا أن بسرة بنت عيينة بن أسماء ، و يقال أنها بنت منظور ابن زبان ، وكانت تحت عثمان بن عفان، دست إلى الطبيب سما فى دوائه فمات وقال قبل موته:

أبلغ أبا سالم عنى مغلغلة فلا تكونن أدنى القوم للعار
لا تأخذن مائة منهم مجللة واضرب بسيفك منظور بن سيار

وقال الناس لما قتل : قد محوا عن أنفسهم ، و فى ذلك يقول الكميت بن معروف:

فلا تكثروا فيها الضجاج فانه محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

انتهى ما أورده التبريزى

وقال محمد بن حبيب فى كتاب المقتالين من الأشراف فى الجاهلية والاسلام : إن سالم بن دارة هجا زميل بن أبير وهو ابن أم دينار فقال فى قصيدة له طويلة :

آلى ابنُ دارَةَ جَهْداً لا يُصالِحُكُمْ حتّى ينيكَ زميلٌ أمَّ دينار

وحكى الحكاية كما ذكرت إلى أن قال : ثم إن زميلا قدم المدينة فقضى حوائجه حتى إذا صدر عن الشقرة سمع رجلا يتغنى بشعر فعرف زميل صوت سالم فأقبل إليه فضربه ضربتين وعقر بعيره ، فحمل سالم إلى عثمان بن عفان . فدفعه إلى طبيب نصرانى، حتى إذا برأ والتأمت كلومه دخل النصرانى و إذا سالم مع أمرأته فاحتنقها عليه فقال له النصرانى: إنى لأرى عظما ناتئا فهل لك أن أجعل عليه دواء حتى يسقط ؟ قال :نعم فافعل، فسمه فمات ، ويقال إن أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزارى — وكانت عند عثمان بن عفان جعلت للطبيب جعلا حتى سمه فمات اه وافتخر زميل بقتله و قال :

أنا زميلٌ قاتلُ ابنِ دارَهْ وغاسِلُ المَخْزاةِ عن فَزارَهْ

وأنشد بعده

(وهو الشاهد السادس بعد المائة، وهو من شواهد سيبويه)

١٠٦ سلامُ اللهِ يامطرٌ عليها وليْسَ عَلَيْكَ يا مَطَرُ السَّلامُ

على أنه إذا اضطر إلى تنوين المنادى المضموم اقتصر على القدر المضطر اليه من التنوين

والقدر المضطر اليه هو النون الساكنة فألحقت وأبقيت حركة ماقبلها على حالها إذ لاضرورة إلى تغييرها فأنها تندفع بزيادة النون .

وهذا مذهب سيبويه والخليل والمازنى ، قال النحاس والأخفش المجاشعى فى المعاياة : وحجتهم أنه بمنزلة مرفوع مالا ينصرف فلحقه التنوين على لفظه .

واختار الزجاجى فى أماليه هذا المذهب، لكنه رد الحجة فقال: الاسم العلم المنادى المفرد مبنى على الضم لمضارعته عند الخليل وأصحابه للأصوات وعند غيره لوقوعه موقع الضمير ، فاذا لحقه فى ضرورة الشعر فالعلة التي من أجلها بنى قائمة بعد فينون على لفظه لأنا قد رأينا من المبنيات ماهو منون نحو إيه وغاق وما أشبه ذلك ، وليس بمنزلة مالا ينصرف لأن مالا ينصرف أصله الصرف ، وكثير من العرب لايمتنع من صرف شيء فى ضرورة ولا غيرها إلا أفعل منك فاذا نون فانما يرد إلى أصله ، والمفرد المنادي العلم لم ينطق به منصوباً منوناً قط فى غير ضرورة شعر فهذا بين واضح اه

وتبعه اللخمى فى أبيات الجمل ونقل هذا الكلام بعينه . قال النحاس : وحكى سيبويه عن عيسى بن عمر « يامطراً » بالنصب وكذلك رواه الأخفش فى المعاياة ، وقال : نصب مطراً لأنه نكرة ، وهذا ليس بشيء . قال المبرد : أما أبو عمرو وعيسى ويونس والجرمى فيختارون النصب ، وحجتهم أنهم ردوه إلى الأصل لأن أصل النداء النصب كما ترده الاضافة إلى النصب ، قال : وهو عندى أحسن لرده التنوين إلى أصله كما فى النكرة

وهذا البيت من قصيدة للأحوص الأنصارى وبعده :

فلا غفر الالهٰ لمُنكِحيها ذُنوبَهمُ وإن صَلّوا وصاموا
كأنَّ المالكين نكاحَ سَلمى غداةَ نكاحِها مطرٌ نيامُ
فلَوْ لمْ يُنكِحوا إلاّ كفيئاً لكان كفيئَها الملكُ الهمامُ
فأنْ يكُن النكاحُ أحلَّ شيءٍ فان نكاحَها مطراً حرامُ
فطلِّقْها فلَستَ لَها بكفءٍ وإلا يَعلُ مَفرِقَكَ الحُسامُ

فى الأغانى بسنده إلى محمد بن ثابت بن إبراهيم بن خلاد الأنصارى ، قال : قدم الأحوص البصرة فخطب إلى رجل من بني تميم ابنته وذكر له نسبه فقال : هات لى شاهداً يشهد أنك ابن حمى الدبر وأزوجك ، فجاءه بمن شهد له على ذلك فزوجه إياها وشرطت

عليه أن لايمنعها من أحد من أهلها فخرج بها إلى المدينة ، وكانت أختها عند رجل من بنى تميم قريباً من طريقهم ، فقالت له : اعدل بى إلى أختى ، ففعل ، فذبحت لهم وأكرمتهم ، وكانت من أحسن الناس وكان زوجها فى إبله فقالت زوجة الأحوص له : أقم حتى يأتى ، فلما أمسوا راجع إبله ورعاءه وراحت غنمه فراح من ذلك بشىء كثير وكان يسمى مطراً ، فلما رآه الأحوص ازدراه واقتحمته عينه وكان شيخاً دميما فقالت له زوجته : قم إلى سلفك فسلم عليه فقال الأحوص وأشار إلى أخت زوجته بأصبعه « سلام الله يامطر عليها » (الأبيات) وأشار إلى مطر بأصبعه ، فوثب إليه مطر وبنوه وكاد الأمر يتفاقم حتى حجز بينهم ، انتهى

وقال الزجاجى فى أماليه الوسطى وتبعه اللخمى : كان الأحوص يهوى أخت امرأته ويكتم ذلك وينسب فيها ولا يفصح فتزوجها مطر فغلبه الأمر وقال هذا الشعر

وبعضهم لما لم يقف على منشأ الشعر قال : مطر اسم رجل وكان دميما أقبح الناس وكانت امرأته من أجمل النساء وأحسنهن وكانت تريد فراقه ولا يرضى مطر بذلك فأنشد الأحوص هذه القصيدة يصف فيها أحوالهما ، هذا كلامه

قوله « غداة نكاحها الخ » الغداة الضحوة وأراد مطلق الوقت ، ونكاحها مصدر مضاف لمفعوله ، ومطر فاعل المصدر وهو هنا بمعنى التزوج والعقد فى الموضعين ، ونيام خبر كان وروى بدله : « غداة يعرهم مطر نيام » مضارع عرهم — من باب قتل — عرة — بالضم — وهو الفضيحة والقذر والجرب ، يقال فلان عرة كما يقال قذر للمبالغة وقوله « فلولم ينكحوا الخ » هو مضارع أنكحت الرجل المرأة ، فهو متعد لمفعولين بالهمزة والمفعول الأول ضمير سلمى محذوف ، والكفىء — على وزن فعيل — بمعنى الكفء والمماثل ويقال الكفوء أيضاً على وزن فعول ، وقوله « أحل شىء » هو منصوب خبر يكن وهو أفعل تفضيل من الحلال ضد الحرام ، وروى الزجاجى « أحل شيئاً » بنصب شىء فيكون أحل فعلا ماضياً ، وقوله « فأن نكاحها مطراً » يروى برفع مطر ونصبه وجره : فالرفع على أنه فاعل المصدر وهو نكاحها فيكون مضافا إلى مفعوله ، والنصب على أنه مفعول المصدر فيكون مضافا إلى فاعله ، والجر على أنه مضاف إليه ، ووقع الفصل بين المتضايفين بضمير الفاعل أو المفعول ،

وقد أورد ابن هشام هذا البيت في شرح الألفية شاهداً لهذا . وقوله « وإلا يعل مفرقك الخ » أي و إن لم تطلقها . وهذا البيت شاهد للنحاة فى اطراد حذف الشرط فى مثله ، والمفرق — بفتح الميم وكسر الراء — الموضع الذى يتفرق فيه الشعر من الرأس وأراد به هنا الرأس

وترجمة الأحوص تقدمت فى الشاهد الخامس والثمانين

وأنشد بعده

(وهو الشاهد السابع بعد المـائة)

١٠٧ يا للكُهُول وِللشُّبَّان لِلعَجَب

على أن لام المستغاث إن عطفت بغير ياء كسرت فلام « للشبان » مكسورة والقياس فتحها . وجاز الكسر لعدم اللبس، وهذا عجز وصدره :

يبكيكَ ناءٍ بَعيدُ الدّارِ مُغْتَرِبٌ

يقال بكيته بمعنى بكيت عليه . والنائى أراد به بعيد النسب ، وبعيد الدار وصف ناء ، ولا تضر الأضافة إلى المعرفة ، لأنها فى نية الانفصال لأن الدار فاعلة فى المعنى ، يقول : يبكى عليك الغريب و يسر بموتك القريب و هو أحد الأعاجيب ، والكهول جمع كهل ، والشبان جمع شاب ، قال ابن حبيب : زمان الغلومية سبع عشرة سنة منذ يولد إلى أن يستكملها ثم زمان الشبابية سبع عشرة سنة إلى أن يستكمل أربعاً وثلاثين، ثم هو كهل سبع عشرة سنة إلى أن يستكمل أحداً وخمسين سنة ، ثم هو شيخ إلي أن يموت

وهذا البيت من شواهد جمل الزجاجي وغيره ، ولم ينسبه أحد إلى قائله

وأنشد بعده

(وهو الشاهد الثامن من بعد المـائة ، وهو من أبيات سيبويه)

١٠٨ يا لَعَطَّافِنا وَيا لَرِياحِ

على أن اللام فى المعطوف فتحت كلام المعطوف عليه لاعادة « يا » ، و بعده :

وأبي الحَشْرَجِ الفَتى النَّفّاح

فأبى الحشرج معطوف على « يالعطافنا » وعطاف و رياح و أبو الحشرج أعلام رجال، والنفاح الكثير النفح أى العطية . وقبله :

يا لقومى من للعلا والمساعى   يالقومى من للندى والسماح

المساعى جمع مسعاة فى الكرم والجود ، رثى هذا الشاعر رجالا من قومه وقال: لم يبق للعلا والمساعى من يقوم بها بعدهم ،

وهذا من الشواهد الخمسين التى لم يعرف لها قائل

وأنشد بعده

(وهو الشاهد التاسع بعد المائة)

١٠٩   فيالله مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ

على أن المستغاث له قد يجر بمن كما يجر باللام

قال الدمامينى فى شرح التسهيل : واعلم أن قولنا المستغاث من أجله أعم من ان يراد المستنصر له والمستنصر عليه إذ كل منهما وقعت الاستغاثة به لأجله ، أى بسببه ، فاذا كان المستغاث من أجله من النوع الأول لايجوز جره بمن ألبتة بل يجر باللام ، وإذا كان من النوع الثانى جاز الوجهان : فان جر بمن وجب تعليقها بفعل التخليص أو الانصاف . وإن جر باللام فهى للتعليل وتتعلق بالفعل أو الاسم ا ه

وهذا المصراع من شعر لعبيد الله بن الحر الجعفي رثى به الحسين بن على رضى الله عنهما وأوله :

يا لكَ حسْرَةً ما دُمْتُ حيًّا   تَرَدَّدُ بَيْنَ حَلْقى والتَّرَاقِى
حُسَيْناً حين يَطْلُبُ بَذْلَ نصرى   عَلَى أهْلِ الْعَدَاوَةِ والشِّقَاقِ
ولو أنى أواسيه بنفسِى   لنلت كرامة يَوْمَ التلاقى
مع ابن المصطفى نفسِى فداهُ   فيالله من ألم الفراق
غداة يقول لى بالقصر قولا   أتتركنا وتُزمع بانطلاق؟
فلو فَلَقَ التلهُّفُ قلبَ حيٍّ   لَهَمَّ اليومَ قلبى بانفلاق
فقد فاز الأُولى نصروا حُسيناً   وخاب الآخرون أولُو النفاق

قوله «يالك حسرة» هذا مخروم ، والخرم إسقاط أول الوتد، لك بكسر الكاف

ضمير مفسر لقوله حسرة ، وتردد مضارع محذوف من أوله التاء ، وحسينا منصوب باذكر محذوفاً وقوله : « فيالله من ألم الفراق » روى بدله :

فولى ثم ودع بالفراق

وعليه فلا شاهد فيه

قال أبو سعيد السكرى فى كتاب اللصوص بسنده إلى أبى مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الأزدى قال : كان من حديث عبيد الله بن الحر أنه كان شهد القادسية مع خاليه زهير ومرثد ابنى قيس بن مشجعة ، وكان شجاعاً لا يعطى للأمراء طاعة ، ثم صار مع معاوية فكان يكرمه ، وكان ينتاب عبيد الله أصحاب له ، فبلغ ذلك معاوية فبعث إليه فدعاه فلما دخل عليه قال : يا ابن الحر ما هذه الجماعة التى بلغنى أنها ببابك ؟ قال : أولئك بطانتى أقيهم وأتقى بهم إن ناب جور أمير ، فقال معاوية : لعلك يا ابن الحر قد تطلعت نفسك نحو بلادك ونحو على بن أبى طالب ، قال عبيد الله إن زعمت أن نفسى تطلع إلى بلادى وإلى على إنى لجدير بذاك وأنه لقبيح بى الأقامة معك وتركى بلادى فأما ما ذكرت من على فانك تعلم أنك على الباطل ، فقال له عمرو بن العاص : كذبت يا ابن الحر وأثمت ، فقال له عبيد الله : بل أنت أكذب منى ، ثم خرج عبيد الله مغضبا وارتحل إلى الكوفة فى خمسين فارساً وسار يومه ذلك حتى إذا أمسى بلغ مسالح معاوية فنع من السير فشد عليهم وقتل منهم نفرا وهرب الباقون وأخذ دوابهم وما احتاج اليه ومضى لا يمر بقرية من قرى الشام إلا أغار عليها حتى قدم الكوفة ، وكانت له امرأة بالكوفة ، وكان أخذها أهلها فزوجوها من عكرمة فولدت له حارثة ، فقدم عبيد الله فخاصمهم إلى على بن أبى طالب فقال له : يا ابن الحر أنت المهالىء علينا عدونا فقال ابن الحر أما إن ذلك لو كان لكان أثرى معه بينا وما كان ذلك مما يخاف من عدلك ، وقاضى الرجل إلى على فقضى له بالمرأة ، فأقام عبيد الله معها منقبضاً عن كل أمر فى يدى على حتى قتل على ، رضى الله عنه ، وحتى ولى عبيد الله بن زياد وهلك معاوية وولى يزيد وكان من أمر الحسين ما كان

قال أبو مخنف : لما أقبل الحسين بن على رضوان الله عليهما فأتى قصر بنى مقاتل ، فلما قتل عبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل بن أبى طالب وتحدث أهل الكوفة أن الحسين

يريد الكوفة خرج عبيد الله بن الحر منها متحرجا من دم الحسين ومن معه من أهل بيته حتى نزل قصربني مقاتل ومعه خيل مضمرة ومعه ناس من أصحابه . فلما قدم الحسين رضى الله تعالى عنه قصر بني مقاتل ونزل رأى فسطاطا مضروبا فقال : لمن هذا الفسطاط؟ فقيل لعبيد الله بن الحر الجعفى ، ومع الحسين يومئذ الحجاج بن مسروق وزيد بن معقل الجعفيان . فبعث اليه الحسين الحجاج بن مسروق فلما أتاه قال له: يا ابن الحر أجب الحسين بن على. فقال ابن الحر: أبلغ الحسين أنه إنما دعانى إلى الخروج من الكوفة حين بلغنى أنك تريدها فرارا من دمك ودماء أهل بيتك ، ولئلا أعين عليك وقلت : إن قاتلته كان على كبيرا . وعند الله عظيما ، وإن قاتلت معه ولم أقتل بين يديه كنت قد ضيعت قتله . وأنا رجل أحمى أنفاً من أن أمكن عدوى فيقتلنى ضيعة . والحسين ليس له ناصر بالكوفة ولا شيعة يقاتل بهم . فأبلغ الحجاج الحسين قول عبيد الله فعظم عليه فدعا بنعليه ثم أقبل يمشى حتى دخل على عبيد الله بن الحر الفسطاط فأوسع له عن صدر مجلسه وقام إليه حتى أجلسه . فلما جلس قال يزيد بن مرة : فحدثني عبيد الله بن الحر قال : دخل على الحسين رضى الله عنه ولحيته كأنها جناح غراب ولا رأيت أحداً قط أحسن ولا أملأ للعين من الحسين ولا رققت على أحد قط رقتى عليه حين رأيته يمشى والصبيان حوله . فقال له الحسين : ما يمنعك يا ابن الحر أن تخرج معى؟ قال ابن الحر : لو كنت كائناً من أحد الفريقين لكنت معك ثم كنت من أشد أصحابك على عدوك ، فأنا أحب أن تعفينى من الخروج معك . ولكن هذه خيل لى معدة وأدلاء من أصحابى وهذه فرسى المحلقة فاركبها فوالله ما طلبت عليها شيأ قط إلا أدركته ولا طلبنى أحد إلا فته فاركبها حتى تلحق بمأمنك وأنا لك بالعيالات حتى أؤديهم اليك وأموت وأصحابى عن آخرهم وأنا كما تعلم إذا دخلت فى أمر لم يضمنى فيه أحد ، قال الحسين : فهذه نصيحة لنا منك يا ابن الحر ؟ قال : نعم والله الذى لا فوقه شئ ، فقال له الحسين : إنى سأنصح لك كما نصحت لى: إن استطعت أن لا تسمع صراخنا ولا تشهد وقعتنا فافعل فوالله لا يسمع داعيتنا أحد لا ينصرنا إلا أكبه الله فى نار جهنم ، ثم خرج الحسين من عنده وعليه جبة خز وكساء وقلنسوة موردة ، قال : ثم أعدت النظر إلى لحيته فقلت : أسواد ما أرى أم خضاب ؟ قال: يا ابن الحر عجل على الشيب ، فعرفت أنه خضاب ، وخرج عبيد الله بن الحر حتى أتى منزله على شاطىء الفرات فنزله ،

وخرج الحسين رضى الله عنه فأصيب بكربلاء ومن معه . وأقبل ابن الحر بعد ذلك فمر بهم فلما وقف عليهم بكى ، ثم أقبل حتى دخل الكوفة فدخل على عبيد الله بن زياد بعد ثالثة ، وكان أشراف الناس يدخلون عليه و يتفقدهم . فلما رأى ابن الحر قال له : أين كنت ؟ قال : كنت مريضاً قال : مريض القلب أم مريض الجسد ؟ قال أما قلبي فلم يمرض قط وأما جسدى فقد من الله تعالى بالعافية . قال : قد أبطلت ولكنك كنت مع عدونا قال : لو كنت مع عدوك لم يخف مكانى . قال : أما معنا فلم تكن . قال : لقد كان ذاك ، ثم استغفل ابن زياد — والناس عنده — فانسل منه ثم خرج فنزل المدائن وقال : لئن استطعت أن لا أرى له وجهاً لأفعلن . ورثى الحسين وأصحابه الذين قتلوا معه بالشعر المتقدم ، وبقوله :

يقولُ أميرٌ غادرٌ حقّ غادرٍ ألا كُنْتَ قاتَلْتَ الشهيدَ ابنَ فاطمه
ونفسي على خذلانِهِ واعتزالِه وبيعة هذا الناكثِ العهدِ لائمه
فوا ندمى أن لا أكون نصرْتُهُ ألا كلُّ نفس لاتسدِّدُ نادِمَه
وإنى لأنى لم أكن من حماته لذو حسْرَةٍ ما إنْ تفارقُ لازمه
سقى اللهُ أرواح الذين تآزَرُوا على نصره سَقْياً من الغيث دائمه
وقفتُ على أجْداثهم ومحالهم فكاد الحشا ينقضُّ والعينُ ساجمه
لَعَمْري لقد كانوا مَصاليتَ فى الوغى سراعاً إلى الهيجا حماةً ضيارمه
تأسَّوْا على نصر ابن بنت نبيهم بأسيافهم آساد غيل ضراغمه
فان يقتلوا فكل نفسٍ زكيةٍ على الأرض قد أضحت لذلك واجمه
وما إنْ رأى الراءون أصْبَرَ منْهُمُ لدى الموت سادات وزهراً قماقمه
أتقتُلهم ظلماً وترجو ودادنا ؟ فدع خُطَّةً ليست لنا بملائمه
لَعَمْري لقد راغمْتُمُونا بقتلهم فكم ناقم منا عليكم وناقمه
أهمُّ مراراً أن أسير بجحفل إلى فِئَةٍ زاغت عن الحق ظالمه
فكُفُّوا وإلا زُرْتكم في كتائب أشَدَّ عليكم مِنْ زحُوفِ الديالمه

ثم إن ابن الحر لم يزل يشغب بابن زياد ، وبالمختار ، وبمصعب بن الزبير ، وجرت بينه

وبين مصعب محاربات عديدة ، ثم سار إلى عبدالملك بن مروان وقال له: إنما أتيتك لتوجه معي جندا لقتال مصعب بن الزبير . فأكرمه عبدالملك وأعطاه أموالا وقال له : سر فانى أقطع البعوث وأمدك بمائة الف ، فسار ابن الحر حتى نزل بجانب الأنبار واستأذنه أصحابه فى دخول الكوفة . وبلغ ذلك عبيدالله بن العباس السلمي فاغتنم الفرصة فسأل الحرث بن عبدالله وكان خليفة مصعب على الكوفة وأخبره بتفرق أصحابه عنه فبعثه فى مائة فارس من قيس واستمد خمسمائة فارس منهم أيضا وسار حتى لقوه وهو فى عشرة من أصحابه فأشاروا عليه بالذهاب فأبى وقاتلهم حتى فشت فى أصحابه الجراحات فأذن لهم فى الذهاب وقاتلهم على الجسر فقتل منهم رجالا كثيرة حتى انتهى إلى المعبر فدخله فقالوا لنبطي : هذا الرجل بغية أمير المؤمنين فأن فاتكم قتلنا كم . فوثب اليه نبطي قوى فقبض على عضدى ابن الحر وجراحاته تشخب وضربه الآخرون بالمجاديف . فلما رأى ابن الحر أن المعبر قد قرب إلى القيسية قبض على الذى قبض عليه فعالجه حتى سقطا فى الماء لا يفارقه حتى غرقا جميعا . وسمع شيخ ينادى وينتف لحيته ويقول : يابختيار يابختيار . فقيل له مالك ياشيخ؟ قال: كان ابنى بختيار يمتثل الأمد وكان يخرج هذا المعبر من الماء فيقره ثم يعيده وحده حتى ابتلى بهذا الشيطان الذى دخل السفينة فلم يملكه من أمره شيئا حتى قذف به فى الماء فغرقا جميعاً . فجعلوا يسكتونه وهو يقول : ما كان ليغرق ابنى إلا شيطان ، فلما انتهى الخبر إلى عبدالملك جزع عليه جزعا شديداً وندم على بعثه إياه .و تمنى أن يكون بعث معه الجيوش .وقد فصل السكرى وقائعه وحروبه وجمع أشعاره فى كتاب اللصوص بما لا مزيد عليه

وأنشد بعده

(وهو الشاهد العاشر بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه)

١١٠ يالَبَكْرٍ أَنشِرُوا لى كُلَيْباً يا لَبَكْرٍ أَينَ أَيْنَ الفِرارُ

على أن هذه اللام داخلة على المنادى المهدد ، هذا المعنى هو الجيد ، ومأخذه من هذا البيت واضح لاخفاء به ، ولا معنى للاستغاثة فيه كما حققه الشارح ، وفيه مخالفة لسيبويه فى جعلها للاستغاثة ، وحملها النحاس على الاستهزاء فقال : إنما يدعوهم ليهزأ بهم ألا تراه قال «أنشروا لى كليباً» ، وقال الأعلم : والمستغاث من أجله فى البيت هو المستغاث به

والمعنى : يالبكر أدعوكم لأنفسكم مطالباً لكم فى إنشار كليب وإحيائه ، وهذا منه استطالة ووعيد وكانوا قد قتلوا كليبا أخاه فى أمر البسوس اه وكأن الشارح انتزع ماقاله من هنا والله أعلم

وهذا البيت لمهلهل أخى كليب : أول أبيات ثلاثة قالها بعد أن أخذ بثأر أخيه كليب ثانيها :

تِلْكَ شَيْبَانُ تَقُولُ لِبَكْرٍ صَرَّحَ الشَّرُّ وَبَاحَ السَّرَارُ
وَبَنُو عِجْلٍ تَقُولُ لِقَيْسٍ وَلِتَيْمِ اللهِ سِيرُوا فَسَارُوا

وقوله «أنشروا» بفتح الهمزة وكسر الشين يقال أنشر الله الميت إذا أحياه ويتعدى بدون الهمزة أيضا فأن نشر من باب قعد جاء لازما نحو نشر الموتى أى حيوا ومتعديا نحو نشرهم الله . وصرح الشىء بالضم صراحة وصروحة خلص من تعلقات غيره وباح الشىء يبوح من باب قال ظهر والشرار ماتطاير من النار الواحدة شرارة

ومهلهل : قال الآمدى: اسمه امرؤ القيس بن ربيعة بن الحرث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غانم بن تغلب، وهو الشاعر المشهور ويقال اسمه عدى اه وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء :مهلهل بن ربيعة هو عدى بن ربيعة وسمى مهلهلا لأنه هلهل الشعر أى أرقه ويقال :إنه أول من قصد القصيد قال الفرزدق :

وَمُهَلْهِلُ الشُّعَرَاءِ ذَاكَ الْأَوَّلُ

وهو خال امرىء القيس بن حجر صاحب المعلقة انتهى
والصحيح هذا ويدل له أنه ذكر اسمه فى شعره فقال:

ضَرَبَتْ صَدْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ : يَا عَدِيُّ لَقَدْ وَقَتْكَ الْأَوَاقِى

ولم يقل أحد قبله عشرة أبيات، وقال الغزل وعنى بالنسيب فى شعره ويقال : سمى مهلهلا بقوله :

هَلْهَلْتُ أَثْأَرُ مَالِكاً أَوْ صِنْبِلا

قال ابن سلام: زعمت العرب أنه كان يتكثر ويدعى فى قوله بأكثر من فعله وكان شعراء الجاهلية فى ربيعة أولهم المهلهل والمرقشان وسعيد بن مالك ، والمهلهل

أخو كليب الذى هاج بمقتله حرب البسوس ، وهى حرب بكر وتغلب ابنى وائل

وكان من خبرها ماحكاه ابن عبد ربه فى العقد الفريد والأصبهانى فى الأغانى وقد تداخل كلام كل منهما فى كلام الآخر، قال المنذر هشام بن محمد بن السائب : لم تجتمع معد كلها إلا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب وهم: عامر، وربيعة. وكليب . وهو عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحرث . وهو قائد معد يوم البيداء حين تمذحجت مذحج وسارت إلى تهامة .وهى أول وقيعة كانت من تهامة واليمن، والثانى ربيعة بن الحرث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن كعب. وهو قائد معد يوم الميلان . وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن . والثالث كليب بن ربيعة وهو الذى يقال فيه « أعز من كليب وائل » وقاد معدا كلها ففض جموع اليمن وهزمهم فاجتمعت عليه معد كلها وجعلوا له قسم الملك وتاجه وتحيته وطاعته .فغبر بذلك حينا من دهره .ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه حتى بلغ من بغيه أنه كان يحمى مواقع السحاب فلا يرعى حماه. وكان يحمى من المرعى مدى صوت كلب فيختص به ويشاركهم فى غيره ويجير على الدهر فلا تخفر ذمته ويقول: وحش أرض كذا فى جوارى فلا يهاج. ولا يورد مع إبله أحد ولا توقد نار مع ناره حتى قالت العرب «أعز من كليب وائل »وكانت بنو جشم وبنو شيبان فى دار واحدة بتهامة وكان كليب قد تزوج بنت مرة بن ذهل بن شيبان وأخوها جساس بن مرة ، وكانت لجساس خالة تسمى البسوس بنت منقذ التميمية جاورت ابن أختها جساسا . وكان لها ناقة يقال لها سراب ولها تقول العرب « أشأم من سراب، وأشأم من البسوس »فمر إبل كليب بسراب وهى معقولة بفناء البسوس فلما رأت سراب الإبل خلخلت عقالها وتبعت إبل كليب فاختلطت بها حتى انتهت إلى كليب وهو على الحوض معه قوس وكنانة فلما رآها أنكرها فرماها بسهم فى ضرعها فنفرت سراب وولت حتى بركت بفناء صاحبتها وضرعها يشخب دما ولبنا فبرزت البسوس صارخة يدها على رأسها تصيح : واذلاه. وأنشأت تقول:

لعمرىَ لو أُصبحت في دار منقذ ... لما ضِيمَ سَعْدٌ وهْوَ جارٌ لأَبياتى

ولكننى أصبحت فى دار غربة ... متى يَعْدُ فيها الذئب يَعْدُ على شاتى

فياسعد لاتغرر بنفسك وارتحل ... فانك في قوم عن الجار أموات

فلما سمع جساس صوتها سكنها وقال: والله ليقتلن غدا جمل عظيم أعظم عقرا من ناقتك، فبلغ كليبا فظن أنه أراد قتل عليان — وهو فحل كريم له — فقال «هيهات دون عليان خرط القتاد» ثم انتجع الحي فمروا على نهر يقال له شبيث (١) فنهاهم كليب عنه ثم على آخر يقال له الأحص فنهاهم عنه حتى نزلوا على السائب فمر جساس بكليب وهو على غدير الذنائب منفردا فقال: طردت إبلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشا فقال كليب مامنعناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون فقال له جساس: هذا كفعلك بناقة خالتي. قال أو قد ذكرتها؟ لو وجدتها في غير إبل مرة لاستحللت تلك الأبل. فعطف عليه جساس فطعنه فأذراه. ووجد الموت فقال ياجساس: اسقني «فقال» هيهات تجاوزت شبيثاً (١) والأحص، وروى أن البسوس لما صرخت وأحمت جساسا ركب فرسا له. وتبعه عمرو بن الحرث بن ذهل بن شيبان ومعه رمحه حتى دخلا على كليب الحي فضربه جساس فقصم صلبه وطعنه عمرو بن الحرث من خلفه فقطع قطنه، فوقع كليب يفحص برجله فلما فرغ من قتله جاء إلى أهله وأخبرهم بأنه قتل كليبا ثم هرب. وكان همام بن مرة أخا جساس. وكان ينادم المهلهل أخا كليب وكان قد صادقه وواخاه وعاهده أن لا يكتم عنه شيئا فجاءت أمة إليه فأسرت إليه قتل جساس كليبا فقال له مهلهل: ماقالت لك؟ فلم يخبره فذكره العهد، فقال: أخبرت أن أخي قتل أخاك فقال: است أخيك أضيق من ذلك. فسكت وأقبلا على شرابهما فجعل مهلهل يشرب شرب الآمن وهمام يشرب شرب الخائف فلم تلبث الخمر أن صرعت مهلهلا فانسل همام فأتى قومه بني شيبان وقد قوضوا الخيام وجمعوا الخيل والنعم ورحلوا حتى نزلوا بماء يقال له النهي. ولما ظهر قتل كليب وأفاق مهلهل اجتمعت إليه وجوه قومه فاستعد لحرب بكر، وترك النساء والغزل وحرم القمار والشراب وأرسل إلى بني شيبان وهو في نادي قومه. فقالت الرسل: إنكم أتيتم عظيما بقتلكم كليبا بناب من الأبل فقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمة وإنا كرهنا العجلة عليكم دون الأعذار إليكم ونحن نعرض عليكم أحد خلال أربع لكم فيها مخرج ولنا مقنع. فقال مرة: ماهي؟ قالوا: تحي لنا كليبا، أو تدفع إلينا جساسا قاتله نقتله به أوهماما فانه كفء له، أو تمكنا من نفسك فان فيك وفاء من دمه، فقال: أما إحيائي كليبا فهذا ما لا يكون، وأما جساس فأنه غلام طعن طعنة على عجل ثم ركب فرسه

(١) في النسخة المطبوعة في بولاق «شبيب» والتصويب عن ياقوت والأغاني

فلا أدرى أى البلاد احتوت عليه ، وأما همام فأنه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومه فلن يسلموه إلى فأدفعه إليكم ليقتل بجريرة غيره .وأما أنا فهل هو إلا أن تجول الخيل جولة فأكون أول قتيل فيها.فما أتعجل من الموت؟ولكن لكم عندى إحدى خصلتين:أما إحداهما فهؤلاء بنى الباقون فعلقوا فى عنق من شئتم نسعة وانطلقوا به إلى رحالكم فاذبحوه ذبح الخروف .وإلا فألف ناقة سوداء المقلة أقوم لكم بها كفيلا من بكر بن وائل، فغضب القوم وقالوا : لقد أسأت فى الجواب وسمتنا اللبن من دم كليب.ووقعت الحرب بينهم ولحقت زوجة كليب بأبيها وقومها. ودعت تغلب النمر بن قاسط فانضمت إليها وصاروا يدا معهم على بكر ، ولحقت بهم عقيلة بن قاسط واعتزلت قبائل بكر بن وائل وكرهوا مجامعة بنى شيبان ومساعدتهم على قتال إخوتهم وعظموا قتل جساس كليبا بناب من الأبل فظعنت لجيم عنهم. وكفت يشكر عن نصرتهم .وانقبض الحرث بن عباد فى أهل بيته وهو أبو بجير وفارس النعامة

قال أبو المنذر: أخبرنى خراش أن أول وقعة على ماء كانت بنو شيبان نازلة عليه ورئيس تغلب المهلهل ورئيس شيبان الحرث بن مرة فكانت الدائرة لتغلب وكانت الشوكة فى شيبان . واستحر القتل فيهم إلا أنه لم يقتل فى ذلك اليوم أحد من بنى مرة . . . ثم التقوا بالذنائب وهو أعظم وقعة كانت لهم فظفرت بنو تغلب وقتلت بكر مقتلة عظيمة. وفيها قتل شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ، وهو جد الحوفزان ، وهو جد معن بن زائدة ، والحوفزان هو الحرث بن شريك ابن عمرو بن قيس بن شراحيل ، قتله عتاب بن قيس بن زهير بن جشم ، وقتل الحرث بن مرة بن ذهل بن شيبان قتله كعب بن زهير بن جشم .وقتل من بنى ذهل بن ثعلبة عمرو بن مندوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ، وقتل من بنى تيم الله جميل بن مالك بن تيم الله ، وعبد الله بن مالك بن تيم الله ، وقتل من بنى قيس بن ثعلبة وكان شيخا كبيرا ، فهؤلاء من أصيب من رؤساء بكر يوم الذنائب . . .ثم التقوا بواردات وعلى الناس رؤساؤهم الذين سمينا فظفرت بنو تغلب واستحر القتل فى بنى بكر .فيومئذ قتل شعثم وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة ، وسيار بن حارث بن سيار ، وفيه قتل همام بن مرة أخو جساس ، فمر به مهلهل مقتولا فقال له : والله ما قتل بعد كليب قتيل أعز على فقداً منك ، وقتله ناشرة ، وكان همام رباه وكفله كما كان ربى حذيفة بن بدر قرواشا

فقتله يوم الهباءة ، ثم التقوا بعنيزة فظفرت بنو تغلب . ثم كانت بينهم معاودة ووقائع كثيرة كل ذلك والدائرة فيها لبنى تغلب على بنى بكر. وقال مهلهل يصف الأيام وينعاها على بكر فى قصيدة طويلة أولها :

أليلتنا بذى حُسَمٍ أنيرى إذا أنتِ انقضيتِ فلا تحورى

وقال مهلهل لما أسرف فى القتل :

أكثرت قتلى بنى بكر بربهمُ حتى بكيت وما يبكى لهم أحدُ

آليت بالله لا أرضى بقتلهم حتى أبهرجَ بكراً أينما وجدوا

قال ابو حاتم : أبهرج أدعهم بهرجا لا يقتل فيهم قتيل ولا يؤخذ لهم دية ويقال المبهرج من الدراهم من هذا وقال أيضا :

يالبكر أنشروا لى كليبا

الأبيات الثلاثة ، وله أشعار كثيرة فى رثاء أخيه كليب ، ثم إن المهلهل أسرف فى القتل ولم يبال بأى قبيلة من قبائل بكر أوقع ، وكانت أكثر بكر قعدت عن نصرة بنى شيبان لقتلهم كليبا ، وكان الحرث بن عباد قد اعتزل تلك الحروب وقال « لا ناقة لى فى هذا ولا جمل » فذهبت مثلا ، فاجتمع قبائل بكر إليه فقالت : قدفنى قومك، فأرسل بجيرا ابن أخيه إلى مهلهل وقال له قل له إنى قد اعتزلت قومى لأنهم ظلموك وخليتك وإياهم . وقد أدركت ثأرك وقتلت قومك ، فأتى بجير إليه فقتله مهلهل كما تقدم شرحه عند الكلام على قوله :

من صدَّ عَنْ نيرانها فأنا ابنُ قيسٍ لا براح

وهو الشاهد التاسع والسبعون ، فبعد ذلك نهض الحرث للحرب فقاتل تغلب حتى هرب المهلهل وتفرقت قبائل تغلب ، وكان أول يوم شهده الحرث بن عباد يوم قضة وهو يوم تحلاق اللمم وفيه أسر الحرث بن عباد مهلهلا — وهو لا يعرفه ، واسمه عدى بن ربيعة — فقال له : دلنى على عدى وأخلى عنك؛ فقال له : عليك العهد بذلك إن دللتك عليه ، قال : نعم ، قال : فأنا عدى ، فجز ناصيته وتركه وقال فيه :

لهفَ نفسى على عدىٍّ ولم أعـــرفْ عديًّا إذ أمكنتنى اليدانِ

وفيه قتل عمرو وعامر التغلبيان ، قتلهما حجر بن ضبيعة ، ثم إن مهلهلا فارق قومه ولم يزل مقيما فى أخواله بنى يشكر ضجرا من الحرب ، وأرسل الحرث بن عمرو بن معاوية الكندى وهو جد امرىء القيس بن حجر فى الصلح بينهم والتمليك عليهم ، وقد كانوا قالوا : إن سفهاءنا غلبوا علينا وأكل القوى منا الضعيف فالرأى أن نملك علينا ملكا نعطيه البعير والشاة فيأخذ من القوى ويرد الظالم ولا يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون فلا تنقطع الحروب فأصلح بينهم وشغلهم بحرب اللخميين من بنى غسان ملوك الشام . وبقى مهلهل وحيداً عند أخواله إلى أن مات . قيل : وجد ميتا بين رجلى جمل هاج عليه . وقيل : بل مات أسيراً . وذلك أنه لما نزل اليمن نزل فى بنى جنب . وجنب من مذحج . فخطبوا إليه ابنته فقال لهم : إنى طريد بينكم فمتى أنكحتكم قالوا اقتسروه . فأجبروه على تزويجها وساقوا إليه فى صداقها أدما فقال :

أَنْكَحَهَا فقدُها الأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ وكَانَ الحِبَاءُ مِنْ أَدَمِ

(من أبيات) ثم انحدر فلقيه عوف بن مالك أبو أسماء صاحبة المرقش الأكبر فأسره فمات فى أسره . قال السكرى فى أشعار تغلب : أسر مهلهلا عوف بن مالك أحد بنى قيس بن ثعلبة . وإن شبانا من شبان بنى قيس بن ثعلبة أتوا عوف بن مالك أحد بنى قيس فقالوا : أرسل معنا مهلهلا فأرسله معهم فشرب فلما رجع جعل يتغنى بهجاء بكر بن وائل فسمعه عوف بن مالك فغاظه فقال : لا جرم أن لله على نذرا إن شرب عندى قطرة ماء ولا خمر حتى يورد الخضير — بمعجمتين مصغرا وهو بعير لعوف لا يرد الماء إلا سبعا — فقال له أناس من قومه : بئس ما حلفت . فبعثوا الخيول فى طلب البعير فأتوا به بعد ثلاثة أيام ومات مهلهل عطشا . وقيل : بل قتل ، وكان السبب فى قتله أنه أسن وخرف وكان له عبدان يخدمانه فملاه ، وخرج بهما إلى سفر فبينما هو فى بعض الفلوات عزما على قتله . فلما عرف ذلك كتب على قتب رحله وقيل أوصاهما :

من مبلغ الحيين أن مهلهلا لله دركما ودر أبيكما

ثم قتلاه ورجعا إلى قومه فقالا مات وأنشداهم قوله . فقال بعض ولده — قيل هى ابنته — إن مهلهلا لا يقول مثل هذا الشعر وإنما أراد :

من مبلغ الحيين أن مهلهلا أمسى قتيلا فى الفلاة مُجدَّلا
لله دركما ودر أبيكما لايبرح العبدانِ حتى يُقتَلا

فضربوا العبدين حتى أقرا بقتله

وأنشد بعده

(وهو الشاهد الحادى عشر بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه)

١١١ أياشاعِراً لاشاعِرَاً اليَوْمَ مثلُه جرير ولكن فى كليب تواضع

على أن المنادى من قبيل الشبيه بالمضاف إذا كان موصوفا بجملة فان جملة «لا شاعر اليوم مثله» من اسم لا وخبرها وهو مثله صفة للمنادى والوصف متقدم على النداء ، و به يسقط ماذهب إليه سيبويه من أن الوصف بعد النداء . و تكلف حتى جعل المنادى فى مثله محذوفا . وجعل شاعراً منصوباً بفعل محذوف . قال الاعلم : الشاهد فيه على مذهب الخليل و سيبويه نصب شاعرا باضمار فعل على معنى الاختصاص والتعجب . والمنادي محذوف . والمعنى : يا هؤلاء أو ياقوم عليكم شاعرا أو حسبكم به شاعراً . وقال النحاس : كأنه قال ياقائل الشعر عليك شاعرا ، وإنما امتنع عنده أن يكون منادى لانه نكرة يدخل فيه كل شاعر بالحضرة . وهو إنما قصد شاعرا بعينه ، وهو جرير ، وكان ينبغى أن يبنيه على الضم على ما يجرى عليه المخصوص بالنداء . وقال أحمد بن يحيي : ياشاعراً نصب بالنداء ، وفيه معنى التعجب ، والعرب تنادى بالمدح والذم وتنصب بالنداء فيقولون : يارجلا لم أر مثله وكذا ياطيبك من ليلة وكذا ياشاعرا اه

و مثله قول التبريزى أيضاً عند قول الحماسى :

أيا طَعْنَةَ ماشيخٍ كبير يَفَنٍ بالى

ـــ: المنادى محذوف ، وشاعرا ليس بمنادى لأنه مقصود إلى واحد بعينه ، والمحذوف يجوز أن يكون هو الشاعر ، ويجوز أن يكون غيره ، فكأنه قال لمن بحضرته : ياهذا حسبك به شاعراً على المدح والتعجب منه ، ثم بين أنه جرير ، ويشبه هذا الأضمار بقولهم : نعم رجلا زيد ، و يجوز أن يكون حسبك به على شريطة التفسير . وبه فى موضع اسم مرفوع لابد منه ، و يجوز أن يكون الهاء للشاعر الذى جرى ذكره ، ثم وكده بقوله جرير ، أى هو جرير ، وتقدير الخليل ويونس : يا قائل الشعر

على أن قائل الشعر غير الشاعر المذكور ، كأنه قال ياشعراء عليكم شاعراً لاشاعر اليوم مثله ، أى حسبكم به شاعراً ، فهذا ظاهر كلام سيبويه . و يجوز أن يكون « ياقائل الشعر » المحذوف هو الشاعر المذكور ، و ينتصب شاعرا على الحال ، ولاشاعر اليوم فى موضع النعت ، و احتاج إلى إضمار قائل الشعر ونحوه حتى يكون المنادى معرفة . كأنه قال ياقائل الشعر فى حال ماهو شاعر لاشاعر مثله اه

و هذا البيت من قصيدة للصلتان العبدى عدة أبياتها ثلاثة وعشرون بيتا أوردها المبرد فى كتاب الاعتنان . والقالى فى أماليه . وابن قتيبة فى كتاب الشعراء إلا أنه حذف منها أبياتا . والاعتنان معناه المعارضة والمناظرة فى الخصومة . يقال : عن له إذا جادله وعارضه . والمعن — بكسر الميم وفتح العين — المعارض ، ومضمون كتاب الاعتنان بيان الأسباب التى اقتضت التهاجى بين جرير والفرزدق . فادعى أنهما حكماه بينهما فقضى ، فشرف الفرزدق على جرير . و بنى مجاشع على بنى كليب . وقضى لجرير بأنه أشعرهما و كليب رهط جرير ومجاشع رهط الفرزدق . والقصيدة هذه :

أنا الصلتان والذى قد علمتمُ ... متى ما يُحَكَّم فَهْو بالحكم صادع
أتتنى تميم حين هابت قُضاتُها ... و إنى لبالفصل المبين قاطع
كما أنفذ الاعشى قضية عامر ... وما لِتَمِيمٍ من قضائى رواجع
ولم يَرْجع الأعشي قضية جعفر ... وليس لحكمى آخر الدهر راجع
سأقضى قضاءً بينهم غيرَ جائر ... فهل أنت للحكم المبيَّن سامع؟
قضاء أمرئٍ لايتقى الشَّتْم منهم ... و ليس له فى الحمد منهم منافع
قضاءَ أمرئٍ لايرتشى فى حكومة ... إذا مال بالقاضى الرُّشا والمطامع
فان كنتما حكمتمانى فاصمتا ... ولا تجزعا ولْيرضَ بالحكم قانع
فأن تجزعا او تَرْضَيا لا أُقِلْكُما ... ولِلْحقِّ بين الناس راض وجازع
فأقسم لا آلو عن الحق بينهم ... فان أنا لم أعدِل فقُلْ أنت ضالع
فان يك بحر الحنظليين واحدا ... فما يستوى حيتانه والضفادع !
وما يستوى صدر القناة وزُجُّها ... وما يستوى شم الذرا والأجارع !

وليس الذُّنابى كالقُدامى وريشِه ... وما تستوى فى الكف منك الاصابع!
ألا إنما تحظى كليب بشعرها ... وبالمجد تحظى دارِمٌ والاقارع
ومنهمْ رءوسٌ يُهتَدى بصدورها ... والاذْنابُ قِدْماً للرؤس توابع
أرى الخطَفى بذ الفرزدقَ شِعْرُهُ ... ولكنَّ خيراً من كليب مُجاشع
فياشاعراً لاشاعر اليومَ مثله ... جريرٌ ولكن في كليب تواضع
جريرٌ أشد الشاعرين شكيمةً ... ولكن عليه الباذخات الفوارع
ويرفع من شعر الفرزدق أنه ... له باذخ لذِى الخسيسة رافع
وقد يحمد السيف الددان بجفنه ... وتلقاه رثا غمده وهْوَ قاطع
يناشدنى النصرَ الفرزدقُ بعدما ... ألحت عليه من جرير صواقع
فقلت له : إنى ونصرَكَ كالذى ... يثبت أنفاً كشَّمته الجوادع
وقالت كليب : قدشَرُفنا عليهمُ ... فقلت لها : شدت عليك المطامع

قال المبرد: قال أبو عبيدة: فأما الفرزدق فرضى حين شرفه عليه وقومه على قومه وقال : إنما الشعر مروءة من لامروءة له وهو أخس حظ الشريف ، وأما جرير فغضب من المنزلة التى أنزله إياها فقال يهجوه — وهو أحد بنى مجرس — :

أقول ولم أملك سوابق عَبْرةٍ: ... متى كان حُكْمٌ فى بيوت الهجارس
فلو كنت من رهط المعَلّى وطارِقٍ ... قضيتَ قضاءً واضحاً غير لابس

قال : والمعلى أبو الجارود أوجده، وطارق بن النعمان من بنى الحرث بن جذيمة وأم المنذر بن الجارود بنت النعمان ، وقال جرير أيضا :

أقول لعينى قد تحدر ماؤها ... متى كان حكم الله فى كرب النخل

فلم يجبه الصلتان فسقط اه

(أقول) : قد اجابه الصلتان بقوله :

تعيرنا بالنخل ، والنخل مالنا ... وودَّ أبوك الكلبُ لوكان ذانخل
وأى نبى كان من غير قرية ... وهل كان حكم الله إلا مع الرُّسل

وقيل: هما الخليد عينين أحد بنى عبد الله بن درام وكان ينزل فى قرية بالبحرين يقال لها عينين. كذا فى شرح أمالي القالى لأبى عبيد البكرى؛ وقوله «أنا الصلتان» والذى روى ابن قتيبة «أنا الصلتانى الذى قد علمتم» بالنسبة إلى الصلتان، ومعناه فى اللغة النشيط الحديد من الخيل والحمار الشديد وقوله «كما أنفذ الأعشى قضية عامر» أشار إلى ما حكم به أعشى قيس بين عامر بن الطفيل لعنة الله عليه وبين ابن عمه علقمة بن علاثة الصحابى رضى الله عنه. وغلب أعشى عامرا على علقمة بالباطل وزعم أنهما حكماه وهو كذب. وقد تقدم بيانه فى الشاهد السادس والعشرين. والراجع جمع راجعة من رجعه بمعنى رده. وأراد بتميم القبيلة وقوله «فاصمتا» أمر من صمت من باب دخل إذا سكت. وروى المبرد «فأنصتا» من أنصت بمعنى سكت واستمع الحديث. فالياء من حكمتانى مفتوحة على الرواية الأولى ساكنة على الرواية الثانية. وقوله «لا أقلكما» من الأقالة وهي رفع العقد فأنه عقد له فى الحكم عليهما كما زعم. وهو مجزوم فى جواب الشرط وقوله «فأقسم لا آلو» أى لا أقصر من الألو وهو التقصير وروى المبرد «لا ألوى» بمعنى لا أعرض ولا أحيد. وقوله «فقل أنت ضالع» هو من ضلع — من باب نفع — مال عن الحق يقال ضلعك مع فلان أى ميلك وروى المبرد «ظالع» بالظاء المشالة من ظلع البعير والرجل من باب نفع أيضاً إذا غمز فى مشيه وهو شبيه بالعرج، والحنظليين بالتثنية لأن كليب بن يربوع بن حنظلة قوم جرير ومالك بن حنظلة قوم الفرزدق والزج — بضم الزاى المعجمة — الحديدة التى فى أسفل الرمح. وصدر القناة من السنان إلى ثلثها. وشم الذرا أى جبال شم الذرا يقال جبل أشم أى طويل. والذرا جمع ذروة وهو أعلى الشئ. والأجارع جمع أجرع وهو رملة مستوية لا تنبت شيئاً ومؤنثه الجرعاء. وروى ابن قتيبة والمبرد «والأكارع» جمع أكرع وجمع كراع وهو فى الغنم والبقر بمنزلة الوظيف فى الفرس والبعير وهو مستدق الساق فالمراد بالذرا جمع ذروة بمعنى أعلى السنام. وقوله «وليس الذنابى كالقدامى» الذنابى — بضم الذال والقصر — ذنب الطائر وهو أكثر من الذنب. والقدامى — بضم القاف والقصر — إحدى قوادم الطائر وهى مقاديم ريشه، وهى عشرة فى كل جناح. ويقال قادمة أيضاً وجمعها قوادم وتحظى من الحظوة بالظاء المعجمة بمعنى الصلف والافتخار

ودارم هو دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، واسم دارم بحر،

وذلك أن أباه أتاه قوم فى حمالة — أى فى طلب دية — فقال له يا بحر ائتنى بخريطة — وكان فيها مال — فجاء يحملها وهو يدرم تحتها من ثقلها فسمى دارما . يقال : درم فلان إذا قارب الخطا

والأقارع أراد به الأقرعين . وهما الأقرع بن حابس وأخوه مرثد التميميان. وقوله أرى الخطفى — بفتح الخا المعجمة والطاء والفاء والقصر — اسم والد جرير سماه باسم أبيه. وبذه غلبه . وشعره فاعله . والتواضع الانحطاط من الذل والوضيع الدنىء من الناس . والشكيمة الشدة يقال فلان ذو شكيمة إذا كان لا ينقاد وفلان شديد الشكيمة إذا كان شديد النفس أبيا. الباذخات أى المراتب العاليات يقال شرف باذخ أى عال . وكذلك الفوارع يقال فرعت قومى أى علوتهم بالشرف أو بالجمال . وقوله « ويرفع من شعر الفرزدق الخ » يقال رفعت من خسيسته إذا فعلت به فعلا تكون فيه رفعته . يريد أن الفرزدق له شرف باذخ ولكن شعره دنىء فالقول يرتفع برفعة القائل وروى المبرد « ينوء ببيت للخسيسة رافع » أى ينهض ويقوم بالبيت الردىء من الشعر فيرفعه . والسيف الددان الذى لا يقطع . وهذا المصراع ناظر لقوله : « جرير أشد الشاعرين شكيمة » والرث البالى . والجفن قراب السيف وهو الغمد أيضاً وهذا المصراع ناظر إلى قوله « ويرفع من شعر الفرزدق أنه » البيت . والصواقع جمع صاقعة لغة فى الصاعقة . وقوله كشمته الجوادع قال القالى فى أماليه : كشم أنفه إذا قطعه والجوادع جمع جادعة وهى التى تقطع الأنف وروى المبرد « هشمته الجوادع »

والصلتان اسمه قثم — بضم القاف وفتح المثلثة — ابن خبية — بفتح الخاء المعجمة وكسر الموحدة وتشديد المثناة التحتية وأصلها الهمز — وهو أحد بنى محارب بن عمرو ابن وديعة بن عبد القيس وينسب إليه فيقال :العبدى .قال الآمدى فى المؤتلف :هو شاعر مشهور خبيث، وشاعران آخران يقال لها الصلتان احدهما الصلتان الضبى ، قال الآمدى ولست أعرفه فى شعراء بنى ضبة وأظنه متأخراً.قال أبو عمرو وبندار فى كتاب معانى الشعراء قال أبو زيد أحسبه أنشدنيه فى صفة ناقته :

كأن يدى عنسى إذا هى هجرت هَرَاوَةُ حتّى تنفضَ الغُصنَ ألَدْنا

حتى امرأته ؛ والثانى الصلتان الفهمى ، قال الآمدى: لست أعرفه فى شعرائهم وأظنه متأخراً أنشد له الجاحظ فى البيان والتبيين:

العبدُ يُقرعُ بالعصا والحر تَكْفيه الأشارَة

وذكره ابن المعتز فى سرقات الشعراء وحكاه أيضاً عن الجاحظ

ومن مشهور شعر الصلتان العبدي ما أنشده ابن قتيبة فى كتاب الشعراء قوله :

أشابَ الصغيرَ وأفنى الكبير كرُّ الغَداةِ ومَرُّ العشىّ
إذا هرمت ليلةٌ يومها أتى بعد ذلك يومٌ فتىّ
نَرُوح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لاتنقضى
تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة مابقى
إذا قلت يوما لمن قد ترى أرونى السرىّ أروك الغنى
ألم تر لقمان أوصى بنيه وأوصيت عمراً ونعم الوصى
بنىّ بدا خبء نجوى الرجال فكن عند سرك خبء النجى
وسرُّك ما كان عند امرىء وسرُّ الثلاثة غيرُ الخفى

وزاد عليه أبو تمام فى الحماسة :

كما الصمت أدنى لبعض الرشاد وبعض التكلم أدنى لِعِىّ
ودع التقى اتباع الهوى فما للتقى كل مايشتهى

ومطلع هذه الأبيات من شواهد تلخيص المفتاح للقزوينى

وأنشد بعده

(وهو الشاهد الثانى عشر بعد المائة وهو من شواهد سيبويه)

١١٢ أعبداً حلَّ فى شُعَبَى غريباً ألؤما لا أبالك واغترابا

على أن جملة حل صفة للمنادى قبل النداء وهو من قبيل الشبيه بالمضاف وعند سيبويه ما تقدم ذكره قبل هذا . قال ابن خلف تبعا للنحاس : وقوله أعبدا أجاز سيبويه أن يكون منادى منكورا . وأن يكون منصوبا على الحال . كأنه قال : أتفخر فى حال عبودية ولا يليق الفخر بالعبودية اه وعلى هذا فالهمزة للاستفهام ، وجملة حل وغريبا أحوال من ضمير تفخر . وعلى الأول فجملة حل صفة للمنادى ، وغريبا حال من ضمير حل . وقيل صفة أخرى للمنادى ، وقد نقل ابن السيد فى شرح

أبيات الجمل الوجهين : النداء والاستفهام . عن سيبويه . وأنشد سيبويه هذا البيت على أن لؤما واغترابا منصوبان بفعل محذوف على طريق الأنكار التوبيخى . كانه قال أتلؤم لؤما وتغترب اغترابا . ويجوز أن يكون التقدير أتجمع لؤما واغترابا فتنصبهما بفعل واحد مضمر . وهذا أحسن لأن المنكر إنما هو جمع اللؤم والغربة . واللؤم ـ بالهمز ـ ضد الكرم وهو فعل الأمور الخسيسة الدنيئة وفعله من باب كرم . وقوله لا أبالك جملة معترضة وهذا يكون للمدح بأن يراد نفى نظير الممدوح بنفى أبيه ويكون للذم بأن يراد أنه مجهول النسب . وهذا هو المراد هنا . وقال السيوطى فى شرح شواهد المغنى : هى كلمة تستعمل عند الغلظة فى الخطاب . وأصله أن ينسب المخاطب إلى غير أب معلوم شتما له واحتقارا . ثم كثر فى الاستعمال حتى صار يقال فى كل خطاب يغلظ فيه على المخاطب . وحكى أبو الحسن الأخفش : كان العرب تستحسن لا أبالك وتستقبح لا أم لك أي مشفقة حنينة اه وقال العينى : وقد يذكر فى معرض التعجب دفعا للعين كقولهم « لله درك » وقد يستعمل بمعنى جد فى أمرك وشمر لأن من له أب يتكل عليه فى بعض شأنه . قال اللخمى فى شرح أبيات الجمل : اللام فى لك مقحمة والكاف فى محل خفض بها لأنه لو كان الخفض بالأضافة أدى الى تعليق حرف الجر فالجر باللام وإن كانت مقحمة كالجر بالباء وهى زائدة وإنما أقحمت مراعاة لعمل لا لأنها لاتعمل إلا فى النكرات . وثبتت الألف مراعاة للأضافة فاجتمع فى هذه المسئلة شيآن متضادان : اتصال . وانفصال . فثبات الألف دليل على الاتصال من جهة الاضافة فى المعنى . وثبات اللام دليل على الانفصال فى اللفظ مراعاة لعمل لا . فهذه مسئلة قد روعيت لفظا ومعنى : وخبر لا التبرئة محذوف أى لا أبالك بالحضرة وشعبي ـــ بضم الشين والقصر ـــ والألف للتأنيث . قال السكرى فى أشعار تغلب : هى جبال منيعة متدانية بين أيسر الشمال وبين مغيب الشمس من ضرية على قريب من ثمانية أميال وقيل جبل أسود وله شعاب فيها أوشال تحبس الماء من سنة إلى سنة . وفى معجم ما استعجم للبكرى قال يعقوب : شعبى جبيلات متشعبة ولذلك قيل شعبى وقال عمارة : هى هضبة بحمى ضرية . ومن أصحاب شعبى العباس بن يزيد الكندى وكان هناك نازلا فى غير قومه قال جرير يعنى العباس :

أَعَبْداً حَلَّ فى شُعبي غَرِيباً «البيت»

انتهى

ومثله لابن السيد فى شرح أبيات الجمل . قال أبو محمد الاعرابى فى فرحة الاديب وإنما عير جرير العباس بن يزيد بحلوله فى شعبي لانه كان حليفا لبني فزارة . وشعبي من بلادهم وهو كندى . والحلف عندهم عار . قال : وكان السبب فى قول جرير هذا الشعر أنه لما هجا الراعي النميرى بقوله من قصيدة :

إذَا غضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضابَا

عارضه العباس بن يزيد الكندى وكان مقيما بشعبي فقال :

ألا رغمت أنوف بنى تميم فساة التمر إن كانوا غضابا
لقد غضبت علي بنو تميم فما نكأت بغضبتها ذبابا
لو اطلع الغراب على تميم وما فيها من السوآت شابا

فقال جرير يهجوه :

إذا جهل الشَّقىُّ ولم يُقَدِّرْ لبعض الأمر أوشك أن يُصابا
ستطلع من ذرا شعبى قوافٍ على الكِنْدِيِّ تلتهبُ التهابا
أَعَبْدًا حَلَّ في شعبي غريباً «البيت»
فما تخفي هضيبة حين تمشي ولا إطعام سَخْلَتِهَا الكلابا
تخرق بالمشاقص حالبيها وقد حلت مَشيمَتُهَا الثيابا اه

ومثله فى الاغانى حكاية عن جرير مع الحجاج بن يوسف الثقفى قال : هجانى العباس ابن يزيد الكندى بقوله :

ألاَ رَغِمَتْ أنوفُ بنى تميم «الأبيات»

فتركته خمس سنين لا أهجوه ثم قدمت الكوفة فأتيت مجلس كندة فطلبت إليهم أن يكفوه عنى وإنه لشاعر وأوعدونى به فمكثت قليلا ثم بعثوا إلى راكبا فأخبرونى بمثالبه وجواره فى طيء حيث جاوز غفارا وحبل أخته هضيبة فقلت :

إذا جهل الشقى ولم يقدر «البيت»
أعبدا حل فى شعبى غريباً «البيت»
فما تخفى هضيبة حين تمشى «البيت»
تخرق بالمشاقص حالبيها «البيت»
فقد حملت ثمانية وأوفت بتاسعها وتحسبها كعابا اه

أراد بسخلتها ولدها الذى ولدته لزنية ورمته للكلاب فأكلته . والمشاقص جمع مشقص وهو النصل العريض يكون فى السهم . والحالبان عرقان مكتنفان بالسرة . ومشيمتها ما يخرج بعد الولد يعني أنها لما حلبت شقت حالبيها بمشقص لترمى الولد . والكعاب — بالفتح — وهى الكاعب وهى الجارية التى نهد ثديها وقال النخمى : هذا البيت من قصيدة لجرير يهجوا بها البعيث واسمه خداش بن بشر المجاشعى ثم أنشد هذه الابيات وقال :أراد بالعبد البعيث وقال العيني:هو من قصيدة لجرير يهجو بها خالدبن يزيد الكندى وأولها :

أخالد عادَ وعدُكِ خِلاباً ومنيت المواعد والكذابا
أخالد كان أهلُكَ لى صديقا فقد أمسَوْا بحبكم حرابا
بنفسي من أزور فلا أراه ويضرب دونه الخدمُ الحجابا
أخالدُ لو سألتَ علمتَ أنىّ لقيتُ بحبك العجبَ العُجابا
ستطلع من ذرا شعبى قواف «البيت»
أعبداً حل في شعبى غريباً «البيت»
ويوماً في فزارة مستجيراً ويوما ناشداً حلفا كلابا
اذا جَهِلَ اللئيمُ ولم يُقدِّرْ «البيت» اه

والظاهر أن هذه الأبيات ليست منتظمة فى نسق واحد والله أعلم

(فائدة) قد جاء على فعلى تسع كلمات (أحداها) شعبى وقد شرحت (ثانيها) أدمى — بالدال والميم — وهو موضع وقيل حجارة حمر فى أرض قشير (ثالثها) أربى بالراء المهملة والموحدة — وهي الداهية (رابعها) أرنى — بالراء والنون — حب

يجعل فى اللبن فيسخنه (خامسها) حلكى — بالحاء المهملة واللام والكاف — لضرب من العظاء وقيل دابة تغوص فى الرمل (سادسها) جنفى — بالجيم والنون والفاء — وهو اسم موضع (سابعها) حنفى — بالحاء المهملة والنون والفاء — وهو اسم جبل (ثامنها) جعبى — بالجيم والعين والموحدة — للعظام من النمل (تاسعها) جمدى — بالجيم والميم والدال — وهو اسم موضع

وترجمة جرير قد تقدمت فى اوائل الكتاب فى الشاهد الرابع

(وانشد بعده)

وهو الشاهد الثالث عشر بعد المائة . وهو من شواهد سيبويه)

١١٣ أداراً بِحُزْوَى هِجْتِ لِلعينِ عَبْرَةً فماءُ الهوى يَرْفَضُّ أو يَتَرَقْرَقُ

على أن المنادى من قبيل الشبيه بالمضاف والجار والمجرور صفته قبل النداء . ولهذا أنشده سيبويه . قال الأعلم : الشاهد فيه نصب دارا لأنه منادى منكور فى اللفظ لاتصاله بالمجرور بعده ووقوعه موقع صفته . كأنه قال أدارا مستقرة بحزوى . فجرى لفظه على التنكير وإن كان مقصودا بالنداء معرفة فى التحصيل . ونظيره مما ينتصب وهو معرفة لأن ما بعده من صلته مضارع المضاف قولهم ياخيرا من زيد . وكذلك مانقل إلى النداء موصوفا بما توصف به النكرة جرى عليه لفظ المنادى المنكور وإن كان فى المعنى معرفة اهـ

وحزوى — بضم المهملة وسكون الزاى المعجمة — قال البكرى فى معجم ما استعجم : هو موضع فى ديار بنى تميم . وقال الأحول : حزوى وخفان موضعان قريبان من السواد والخوارق من الكوفة . وهجت جواب النداء ويقال له المقصود بالنداء . وقال ابن السيد : جملة هجت صفة ثانية للمنادى أو خبر مبتدأ محذوف أى أنت هجت . وفيه نظر . وهاج هنا متعد يقال هجت الشىء وهيجته إذا أثرته . ويأتى لازما يقال : هاج الشىء إذا ثار . وعبرة مفعوله بفتح العين بمعنى الدمعة . وللعين كان فى الأصل صفة لعبرة فلما تقدم صار حالا منها . والعبرة تكون جارية ومتحيرة . وساكنة . وقاطرة . وماء الهوى هو الدمع وأضافه إلى الهوى — أى العشق — لأنه هو الباعث لجريانه . ويرفض — بالفاء والضاد — يسيل بعضه فى إثر بعض . وكل متناثر مرفض . ويترقرق يبقى

في العين متحيرا يجيء ويذهب ، ورقراق السراب من ذلك ، وحكى بعضهم أن يترقرق هنا بمعنى يترقق

وهذا البيت مطلع قصيدة طويلة لذى الرمة عدة أبياتها سبعة وخمسون بيتا كلها غزل وتشبب بمى . وقد أخذه من زهير بن جناب — وهو شاعر جاهلى — من قصيدة فيها :

وذى دارُ سلْمى قد عرفت رُسومَها فعُجْتُ اليهـا والدموعُ تَرقْرق
وكادت تبين القول لما سألتها وتخبرنى لو كانت الدار تنطق
فيا دار سلمى هِجْتِ للعين عَبْرَةً فماء الهوى يرفض أو يتدفق

و«أو» فى البيتين بمعنى الواو . وقد أخذ منه بيتا آخر وهو :

وقفنا فسلمنا فكادت بمسرف لعرفان صوتى دمنة الدار تنطق

ومسرف — بضم الميم وسكون السين وكسر الراء المهملتين — اسم موضع. ومن قصيدة ذى الرمة :

وإنْسانُ عينى يَحْسُرُ الماء تارة فيبـدو وتاراتٍ يجُم فيغرق

وهو من شواهد مغنى اللبيب . وحسر الماء — من باب ضرب — نضب عن موضعه وغار . ويجم — بضم الجيم وكسرها — مضارع جم الماء جموما أى كثر وارتفع. ويغرق — بفتح الراء — مضارع غرق — بكسرها — وفى إفراد تارة أولا وجمعها ثانيا إشارة إلى أن غلبة البكاء عليه هى غالب أحواله ، وجملة يحسر الماء وقعت خبرا عن قوله إنسان عيني ، وهي خالية عن رابط محذوف أى يحسر الماء عنه ، وقيل هو أل فى الماء لنيابتها عن الضمير والأصل ماؤه ، وقيل هو على تقدير أداة الشرط ، وقدره شارح ديوان ذى الرمة محمد بن حبيب إذا ، وقدره غيره إن وهو الصحيح لأنها أم الباب فلما حذفت ارتفع الفعل ، والجملة الشرطية إذا وقعت خبرا لم يشترط كون الرابط فى الشرط بل فى أيهما من الشرط والجزاء وجد كفى ، وقال ابن هشام فى المغنى تبعا لأبى حيان :الفاء السببية نزلت الجملتين منزلة جملة واحدة فاكتفى منهما بضمير واحد فالخبر مجموعهما

(وأنشد بعده)

وهو الشاهد الرابع عشر بعد المائة

١١٤ ألا يانخلة من ذات عرق   عليك ورحمة الله السلام

على أن الجار والمجرور صفة لنخلة قبل النداء والمنادى من قبيل الشبيه بالمضاف. وقوله « عليك ورحمة الله السلام » مذهب أبى الحسن الأخفش أنه أراد عليك السلام ورحمة الله فقدم المعطوف ضرورة . لأن السلام عنده مرفوع بالاستقرار المقدر فى الظرف . ولا يلزم هذا على مذهب سيبويه . لأن السلام عنده مرفوع بالابتداء وعليك خبر مقدم ورحمة الله معطوف على الضمير المرفوع فى عليك غير أنه من عطف ظاهر على مضمر من غير تأكيد وذلك جائز فى الشعر . وقد أجازه قوم فى سعة الكلام كذا فى شرح أبيات الجمل لابن السيد واللخمى . وروى ثعلب فى أماليه المصراع الثانى هكذا :

بِرودُ الظل شاعَكُمُ السَّلامُ

شاعكم تبعكم ، انتهى . وذات عرق موضع بالحجاز . وفى المرصع لابن الاثير: ذات عرق ميقات أهل العراق للاحرام بالحج

وهذا البيت أول أبيات ثلاثة نسبت للأحوص أوردها الدميرى وابن أبى الأصبع فى تحرير التحبير . والبيتان الآخران هما :

سألت الناس عنْكِ فخبرونى   هنا من ذاك تكرهه الكرامُ

ولَيْسَ بما أحلَّ اللهُ بأسٌ   إذا هو لم يُخالِطْه الحَرامُ

قال ابن أبى الأصبع: ومن مليح الكناية النخلة فأن هذا الشاعر كنى عن المرأة بالنخلة وبالهناة عن الرفث . فأما الهناة فمن عادة العرب الكناية بها عن مثل ذلك ، وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن ظريف الكناية وغريبها . انتهى

وأصل ذلك أن عمر بن الخطاب كان نهى الشعراء عن ذكر النساء فى أشعارهم لما فى ذلك من الفضيحة ، وكان الشعراء يكنون عن النساء بالشجر وغيره ولذلك قال حميد ابن ثور الهلالى :

وهل أنا إنْ علّلتُ نفسي بِسَرْحَةٍ   من السَّرْحِ مسدودٌ عليَّ طريقُ
أبى اللهُ إلاّ أنَّ سَرْحَةَ مالِكٍ   على كل أفْنانِ العِضاهِ تَرُوقُ

وعلم بهذا سقوط قول اللخمى : سلم على النخلة لأنها معهد أحبابه. أو ملعبه مع أترابه , لأن العرب تقيم المنازل لمقام سكانها فتسلم عليها . وتكثر من الحنين اليها . قال الشاعر :

وكمِثْلِ الأحْبابِ لو يَعْلَمَ الْعا   ذلُ عِنْدِي مَنازِلُ الأَحْبابِ

ويحتمل أن يكون كنى عن محبوبته بالنخلة لئلا يشهرها وخوفا من أهلها وقرابتها . انتهى

وترجمة الأحوص تقدمت فى الشاهد الثامن والثمانين

وأنشد بعده

وهو الشاهد الخامس عشر بعد المائة . وهو من شواهد سيبويه

١١٥ فيا راكباً إما عرضت فبلغن   نداماى من نجران أن لا تلاقيا

على أن المنادى هنا عند الكسائى والفراء إما معرفة بالقصد وإما أصله يا رجلا راكبا لأنهما لا يجيزان نداء النكرة مفردة بل يوجبان الصفة . والصحيح جواز نداء النكرة غير المقصودة — وأنشده سيبويه لما قلنا قال الأعلم : الشاهد فيه نصب راكب لأنه منادى منكور إذ لم يقصد به قصد راكب بعينه إنما التمس راكباً من الركبان يبلغ قومه خبره وتحيته . ولو أراد راكباً بعينه لبناه على الضم ولم يجز له تنوينه ونصبه ، انتهى

وأغرب أبو عبيدة حيث قال : أراد يا راكباه للندبة فحذف الهاء كقوله تعالى «يا أسفا على يوسف» مع أن الثقاة رووه بالنصب والتنوين إلا الأصمعى فانه كان ينشده بلا تنوين ، كذا نقله ابن الأنبارى فى شرح المفضليات

وهذا البيت من قصيدة عدتها عشرون بيتاً لعبد يغوث الحارثى اليمنى قالها بعد أن أسر فى يوم الكلاب الثانى . كلاب تيم واليمن . وقتل أسيراً ولمالك بن الريب قصيدة على هذا الوزن والروى فيها بيت يشبه البيت الشاهد وهو :

فياصاحبي إما عرضت فبلغن   بنى مازن والرَّيْبِ أنْ لا تلاقيا

وهذا غير ذاك قطعاً فقول شراح أبيات سيبويه فى البيت الشاهد إنه لعبد يغوث ويرى لمالك بن الريب غير جيد و بن جهم أحد بنى الحرث ابن سعد من بنى أسد وهو :

أيا راكباً إما عَرَضْتَ فبلِّغَنْ بنى عمِّنا مِنْ عَبْدِ شمْسٍ وهاشِمَ
أمِنْ عمل الجراف أمس وظلمه وعُــدْوانه أعتبتمـونا براسم

عرضتهنا بمعنى تعرضت ،والجراف اسم رجل ، وراسم كذلك . وكان الجراف ولى صدقات هؤلاء القوم فظلمهم فشكوا فعزل وولى راسم مكانه فظلم أستر من الجراف،والأعتاب الأرجاء وإزالة الشكوى ، وروى «اعنتمونا» من الاعنات وهو الأيقاع فى العنت والمشقة

وقصيدة عبد يغوث مسطورة فى المفضليات وفى ذيل أمالى القالى ، وقد شرحنا يوم الكلاب الثانى فى الشاهد الخامس والستين ، وكان الذى أسر عبد يغوث فتى من بنى عبدشمس أهوج فقالت أمه : من هذا؟ فقال عبد يغوث :أنا سيد القوم،فضحكت وقالت: قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوج: وإلى هذا أشار بقوله:

وتضْحَكُ مِنِّى شَيخة عَبْشَمِيةٌ « البيت »

فقال : أيتها الحرة هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال: أعطى ابنك مائة من الأبل وينطلق بى إلى الأهتم فأنى أخاف أن تنتزعنى سعد والرباب منه فضمن لها مائة من الأبل وأرسل إلى بنى الحرث فوجهوا بها اليه فقبضها العبشمى وانطلق به إلى الأهتم فقال عبد يغوث :

أأهْتَمُ يا خَيْرَ الْبرَيةِ وَالِداً وَرَهْطاً إذا ما النَّاسُ عدُّوا المساعيا
تَدارَكْ أسِيراً عانياً فِي حِبالِكُمْ وَلا تَثقفَنِّى التَّيْمُ ألقَ الدواهيا

فمشت سعد والرباب إلى الاهتم فيه فقالت الرباب يابنى سعد قتل فارسنا — وهو النعمان بن جساس — ولم يقتل لكم فارس ، فدفعه اليهم فأخذه عصمة بن أبير التيمى فانطلق به إلى منزله فقال عبديغوث : يابنى تيم اقتلونى قتلة كريمة فقال عصمة: وماتلك القتلة؟ قال:اسقونى الخمر ودعونى أنوح على نفسى فجاءه عصمة بالشراب فسقاه ثم قطع عرقه الأكحل وتركه ينزف ومضى ،وجعل معه رجلين فقالا لعبد يغوث:جمعت أهل اليمن ثم جئت لتصطلمنا كيف رأيت صنع الله بك؟ فقال هذه القصيدة :

(ألاَ لا تلُومانى كفى اللَّوْمَ مابيا فما لَكُما فى اللَّوم خيرٌ ولا ليا)

فالخطاب لاثنين حقيقة، واللوم مفعول مقدم، ومافاعل مؤخر أى كفي اللوم ماأنا فيه فلا تحتاجون إلى لومى مع ماتر ون من أسارى وجهدى

(ألم تعلما أن الملامة نفعُها قليلٌ ومالوْمى أخى من شِمالِيا)

شمال بالكسر بمعنى الخلق ويروى «أخاً» ، وهذا البيت من أبيات شرح الشافية للشارح نقل فيه عن أبى الخطاب أن شمالا يأتى مفردا وجمعا و فى هذا البيت جمع أى من شمائلى

(فيا راكباً إمّا عرضت فبلّغنْ نَداماىَ من نَجْرانَ أنْ لاتلاقيا)

الراكب راكب الابل ولا تسمى العرب راكباً على الاطلاق إلا راكب البعير والناقة والجمع ركبان والركب اسم للجمع عند سيبويه وعند غيره جمع راكب كتاجر وتجر ويقال لعابر الماء فى زورق ونحوه راكب ويجمع على ركاب ــ بالضم و بالتشديد ــ ولا يقال ركاب الا لركاب البحر ولم يقولوا فيه ركب، و إما مركبة من إن الشرطية وما المزيدة وعرضت قال فى الصحاح : عرض الرجل إذا أتى العروض وهى مكة والمدينة وما حولها ، وأنشد هـذا البيت ، وقال شراح أبيات سيبويه والجمل : عرضت بمعنى تعرضت وظهرت ، وقيل معناه بلغت العرض وهى جبال نجد تعرف بذلك، والندامى جمع ندمان ــ بالفتح ــ بمعنى نديم وهو المشارب و إنما قيل له ندمان من الندامة لانه إذا سكر تكلم بما يندم عليه ، وقيل المنادمة مقلوبة من المدامنة وذلك إدمان الشراب و يكون الندمان والنديم أيضا المجالس والمصاحب على غير الشراب ، ونجران ــ بفتح النون وسكون الجيم ــ قال أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم : مدينة بالحجاز من شق اليمن سميت بنجران ابن زيد بن يشجب ابن يعرب وهو أول من نزلها ، وأطيب البلاد: نجران من الحجاز وصنعاء من اليمن، ودمشق من الشام، والرى من خراسان، انتهى ، و بهذا عرف حسن تفسير الصحاح لعرضت ، وأن مخففة من الثقيلة لأن التبليغ فيه معنى العلم واسمها ضمير شأن محذوف ، والجملة من اسم لا التبرئة وخبرها المحذوف ــ أى لنا ــ خبرها ، وجملة أن لاتلاقيا فى موضع المفعول الثانى للتبليغ ، وجوز اللخمى أن تكون تفسيرية وقوله من نجران حال من ندامای لاوصف له خلافا للخمى

(أبا كَربٍ والأَيْهَمَيْن كِلَيهِما وقَيْساً بأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ اليمانيا)

هؤلاء كانوا نداماه هناك فذكرهم عند موته وحن إليهم ، وهو بدل من ندامای

وأبو كرب والأيهمان من اليمن ، وقيس هو ابن معديكرب أبو الاشعث بن قيس الكندى ، قال صاحب الاغانى وكذا اللخمي : يروى أن قيسا هذا لما بلغه هذا البيت قال : لبيك وإن كنت قد أخرتنى

(جَزَى اللهُ قَوْمِي بِالْكُلاَبِ مَلاَمَةً صَرِيحهُم والآخَرِينَ الْمَوَالِيا)

الصريح الخالص والمحض ، والموالیا الحلفاء المنضمين إليهم ، والكلاب — بضم الكاف — اسم موضع الوقعة

(ولَوْ شِئْتُ نَجَّتْنِي مِنَ الْخَيْلِ نَهْدَةٌ تَرَى خَلْفَهَا الْحُوَّ الْجِيَادَ تَوالِيا)

النهدة المرتفعة وكل ما ارتفع يقال له نهد ، والحو من الخيل التى تضرب إلى خضرة والحوة الخضرة قال الأصمى : وانما خص الحو لأنه يقال إنها أصبر الخيل وأخفها عظاما اذا عرقت لكثرة الجرى . وتواليا جمع تالية أى تابعة أى إن فرسى لخفتها تسبق الحو فهى تتلو فرسى

(ولَكِنَّنِي أَحْمِي ذِمَارَ أَبِيكُمُ وَكَانَ الرِّمَاحُ يَخْتَطِفْنَ الْمُحَامِيا)

الذمار ما يجب على الرجل حفظه من منعه جارا أو طلبه ثارا ، وقوله « وكان الرماح الخ » قال القالى : هذا مثل

(أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا عن لِسَانِيا)

النسعة — بكسر النون — سير منسوج ، وفيه قولان (الاول) أن هذا مثل ، وذهب إليه شراح أبيات الشعراء والقالى فى أماليه وحكاه ابن الانبارى فى شرح المفضليات وقال : لان اللسان لايشد بنسعة وانما أراد افعلوا بى خيرا لينطلق لسانى بشكركم وإنكم مالم تفعلوا فلسانى مشدود لا أقدر على مدحكم (والثانى) أنهم شدوه بنسعة حقيقة وإليه ذهب الجاحظ فى البيان والتبيين والأصفهانى فى الأغانى وحكاه أيضا ابن الأنبارى بأنهم ربطوه بنسعة مخافة أن يهجوهم وكانوا سمعوه ينشد شعرا فقال : أطلقوا لى عن لسانى أذم أصحابى وأنوح على نفسى فقالوا : انك شاعر ونحذر أن تهجونا فعاهدهم أن لايهجوهم فأطلقوا له عن لسانه ، قال الجاحظ : وبلغ من خوفهم من الهجاء أن يبقى ذكرهم فى الاعقاب ويسب به الاحياء والاموات أنهم اذا أسروا

الشاعر أخذوا عليه المواثيق ور بما شدوا لسانه بنسعة كما صنعوا بعبد يغوث بن وقاص الحارثى حين أسرته تيم يوم الكلاب :

(أَمَعْشَرَ تيمٍ قدْ مَلَكْتُمْ فَأَسْجِحُوا فَأَنَّ أَخَاكُمْ لمْ يكُنْ مِنْ بَوَائِيا)

أسجحوا — بتقديم الجيم على الحاء المهملة — بمعنى سهلوا و يسروا . والبواء السواء أى لم يكن أخوكم نظيراً لى فأكون بواء له

(فأن تقتلونى تقتُلُوا بِيَ سَيِّداً وإنْ تُطلِقُونِي تَحرُبونِي بِمَالِيَا)

تحربونى تسلبونى وتغلبونى

(أحقا عباد الله أنْ لستُ سامعاً نَشِيدَ الرِّعاءِ المُعْزِبِينَ الْمَتَالِيَا)

الرعاء جمع راع والمعزب المتنحى بأبله وهو اسم فاعل من أعزب — بالعين المهملة والزاى المعجمة — والمتالى التى نتج بعضها و بقى بعض جمع متلية وهو اسم فاعل

(و تضحكُ منى شيخة عبشمية كأن لم تَرَى قبلى أَسيراً يمانيا)

هذا البيت من أبيات مغنى اللبيب ، قال القالى فى ذيل الأمالى : قال الاخفش : رواية أهل الكوفة كان لم ترى بالالف وهذا عندنا خطأ والصواب ترى بحذف النون علامة للجزم وقال ابن السيد : قوله « كأن لم ترى » رجوع من الاخبار إلى الخطاب و يروى على الاخبار وفى إثبات الالف وجهان (أحدهما) أن يكون ضرورة (والثانى) أن يكون على لغة من قال راء مقلوب رأى فجزم فصار ترأ ثم خفف الهمزة فقلبها ألفا لانفتاح ما قبلها وهذه لغة مشهورة وكأن مخففة واسمها مضمر فيها تقديره على الوجه الأول : كانك لم ترى ،وعلى الوجه الثانى كانها لم ترا

(وظل نساء الحى حولى ركدا يراودن منى ما تريد نسائيا)

وقد علمت عرسى مليكة أننى أنا الليث معدوًّا على وعاديا

هذا من شواهد سيبويه وأورده الشارح فى شرح الشافية وقد وقع فى روايتهما « معديا عليه وعاديا » فقال : هذا شاذ والقياس معدوا عليه لأنه من العدوان لكنه بناه على عدى عليه

(وقد كُنتُ نحّار الجزور ومُعمِلَ الْمـــطى وأَمضى حيثُ لاحى ماضيا)

(وأنحر للشَّرْبِ الكِرامِ مَطِيَّتى وأُصدِّعُ بينَ القَيْنَتَينِ ردائيا)

الشرب جمع شارب كصحب جمع صاحب ، وأصدع أشق ، والقينة الأمة مغنية كانت — كما هنا — أم لا

(وكنت إذا ما الخيلُ شمَّصَها القَنا لبيقاً بتصريف القناة بنانيا)

ويروى « شمسها » بالسين وهى أجود ويروى « نفرها » واللبيق فعيل من اللباقة

(وعادية سَومَ الجراد وزعتها بكفى وقد أنحوا إلىَّ العواليا)

العادية القوم يعدون من العدو وهو الركض . وسوم الجراد أى كسومه وهو انتشاره . وزعتها كففتها والوازع الكاف والمانع . وأنحوا الرماح أمالوها وقصدوا بها من النحو وهو القصد ، والعالية من الرمح أعلاه ويقال ما دون السنان بذراع

كأنىَ لم أركب جواداً ولم أقُلْ لخَيْلىَ كُرِّى نفِّسى عن رجاليا

ولم أسبا الزق الروى ولم أقل لأيسار صدق أعظموا ضوء ناريا

نفسى وسعى وروى « قاتلى » والسباء — بالكسر والمد — اشتراء الخمر للشرب لا للبيع والأيسار الذين يضربون القداح جمع يسر وفعله من باب ضرب ، وهذان البيتان مأخوذان من قول امرىء القيس :

كأنى لم أركب جواداً للذةٍ ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروىّ ولم أقل لخيلى كرى كرة بعد إجفال

ولم يرد على عبد يغوث ما ورد على امرىء القيس (١)

وعبد يغوث هو ابن الحرث بن وقاص الحارثى القحطانى ، كان شاعرا من شعراء الجاهلية فارسا ، سيد قومه من بنى الحرث بن كعب ، وهو الذى كان قائدهم يوم الكلاب الثانى فأسرته تيم وقتلته كما ذكرنا ، وهو من أهل بيت شعر معروف فى الجاهلية والأسلام : منهم اللجلاج الحارثى ، وهو طفيل بن زيد بن عبد يغوث ، وأخوه مسهر فارس شاعر وهو الذى طعن عامر بن الطفيل فى عينه يوم فيف الريح ، ومنهم من أدرك الأسلام جعفر بن علبة بن ربيعة بن الحرث بن عبد يغوث ، وكان شاعرا

(١) انظر الجزء الأول من هذا الكتاب (ص ٢٢٥-٢٢٦)

صعلوكا أخذ فى دم فحبس بالمدينة ثم قتل صبرا . وستأتى ترجمته فى باب إن المشددة فى أواخر الكتاب .قال الجاحظ فى البيان والتبيين : ليس فى الأرض أعجب من طرفة ابن العبد وعبد يغوث ، فأن قسنا جودة أشعارهما فى وقت إحاطة الموت بهما فلم تكن دون سائر أشعارهما فى حال الأمن والرفاهية

وأما قصيدة مالك بن الريب فهى ثمانية وخمسون بيتا وهى هذه :

ألا لَيْتَ شِعْرِى هل أبيتنَّ ليلة بجَنْبِ الْغَضَى أُزجى القِلاص النواجيا
فليت الغضى لم يقطع الركبُ عرضَه وليت الغضى ماشى الركاب لياليا
لقد كان فى أهل الغضى لوْ دنا الغضي مَزارٌ ولكنَّ الغضى ليس دانيا
ألم ترنى بِعْت الضلالة بالهدى وأصبحت فى جيش ابن عفان غازيا
وأصبحت فى أرض الأعادى بُعَيْدما أرانى عن أرض الأعادىٌ قاصيا
دعانى الهوى من أهل أودوصحبتى بذى الطبسين فالتفت ورائيا
أجبت الهوى لما دعانى بزفرة تقنعت منها أن ألام ردائيا
أقول وقد حالت قُرى الكرد دوننا: جزى اللهُ عَمْراً خير ما كان جازيا
إن الله يَرْجعْنى من الغزو لا أرى وإن قل مالى طالباً ماورائيا
تقول ابنتى لما رأت طول رحلتى : سفارك هذا تاركي لا أباليا
لعمرى لئن غالت خراسانُ هامتى لقد كنت عن بابَىْ خراسان نائيا
فان أنج عن بابى خراسان لا أعُدْ إليها وإن منيتمونى الأمانيا
فللهِ دَرِّى يوم أترك طائعاً بنىَّ باعلى الرقتين وماليا
ودرُّ الظباء السانحات عشيةً يخبرن أنى هالك من ورائيا
ودرُّ كبيرىَّ اللذين كلاهما علىَّ شفيقٌ ناصح لو نهانيا
ودرُّ الرجال الشاهدين تفتكي بأمرىَ ألا يقصروا من وثاقيا
ودر الهوى من حيث يدعو صحابه ودر لجاجاتى ودر انتهائيا
تذكرت من يبكي علىّ فلم أجد سوى السيف والرمح الردَيْنى باكيا
وأشقرَ محبوكٍ يجر لجامه إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا

ولكن بأكناف السمينة نسوةٌ عزيزٌ عليهن العشيةَ مابيا
صريع على أيدى الرجال بقفرة يسوّون لحدى حيث حم قضائيا
ولما تراءت عند مَرْوَ منيتى وخلّ بها جسمى وحانت وفاتيا
أقول لأصحابى : ارفعونى فإنه يقر بعينى أن سُهَيْلٌ بداليا
فياصاحبى رحلى دنا الموت فانزلا برابية إنى مقيم لياليا
أقيا علىّ اليوم أو بعض ليلة ولا تعجلانى قد تبين شانيا
وقوما إذا ما استل روحى فهيئا لى السدر والأكفان عند فنائيا
وخطّا بأطراف الأسنة مضجعى وردا على عينىّ فضل ردائيا
ولا تحسدانى بارك الله فيكما من الأرض ذات العرض أن توسعاليا
خذانى فجرانى ببردى إليكما فقد كان قبل اليوم صعبا قياديا
وقد كنت عطافا إذا الخيل أدبرت سريعا إلى الهيجا إلى من دعانيا
وقد كنت صبارا على القرن في الوغى وعن شتمى ابن العم والجار وانيا
فطورا ترانى فى ظلال ونعمة ويوما ترانى والعتاق ركابيا
ويوما ترانى في رحى مستديرة تخرق أطراف الرماح ثيابيا
وقوما على بئر السنينة أسمعا بها الغر والبيض الحسان الروانيا
بأنكما خلفتمانى بقفرة تهيل على الريح فيها السوافيا
ولاتنسيا عهدى خليلى بعدما تقطّع أوصالى وتبلى عظاميا
ولن يعدم الوالون بَثًّا يصيبهم ولن يعدم الميراث منى المواليا
يقولون لاتبعد وَهُمْ يدفنوننى وأين مكان البعد إلا مكانيا
غداةَ غدٍ يالهف نفسى على غد إذا أدلجوا عنى وأصبحت ثاويا
وأصبح مالى من طريف وتالدٍ لغيرى وكان المال بالأمس ماليا
فياليت شعرى هل تغيرت الرحى رحى المثل أو أمست بفلج كما هيا
إذا الحىّ حلوها جميعاً وأنزلوا بها بَقَرٌ حُمٌ العيون سواجيا

وعين وقد كان الظلام يجنها ... يسفن الخزامى مرة والأقاحيا
وهل أترك العيس العبالىَّ بالضحى ... بركبانها تعلو المتان الديافيا
إذا عصب الركبان بين عنيزة ... وبولان عاجوا المبقيات النواجيا
فياليت شعرى هل بكت أم مالك ... كما كنت لو عالوا بنعيك باكيا
إذا مت فاعتادى القبور فسلمى ... على الرمس أسقيت السحاب الغواديا
على جدث قد جرت الريح فوقه ... ترابا كسحق المرنبانى هابيا
رهينة أحجار وترب تضمنت ... قرارتها منى العظام البواليا
فيا صاحبى إمَّا عرضت فبلغن ... بنى مازن والريب أن لاتلاقيا
وعطل قلوصي في الركاب فأنها ... ستفلق أكبادا وتبكى بواكيا
وأبصرت نارَ المَازنيات مَوْهِناً ... بعلياء يثنى دونها الطرف وانيا
بعود ألنجوج أضاء وقودها ... مها في ظلال السدر حورا حواريا
بعيد غريب الدار ثاوٍ بقفرَةٍ ... يَدَ الدَّهْرِ معروفا بأن لاتدانيا
أُقلِّبُ طرفي حول رَحْلى فلاأرى ... به من عيون المؤنسات مراعيا
وبالرمل منا نِسْوَةٌ لو شَهِدْنَنى ... بكين وفدَّيْنَ الطبيب المداويا
وما كان عهد الرمل عندى وأهلِهِ ... ذميا ولا ودَّعت بالرمل قاليا
فمنهنَّ أمِّى وابنتاها وخالتى ... وباكية أخرى تهيج البواكيا

وهذا تفسير ما فيها على الأجمال: الغضى شجر ينبت فى الرمل ولا يكون غضى إلا فى رمل ، وأزجى أسوق يقال أزجاه إزجاء وزجاه تزجية ، والنواجى السراع وقوله « فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه » أى ليته طال عليهم الاستر واح إليه والشوق، والركاب الأبل جمع راحلة من غير لفظه ، وقوله « وليت الغضى ماشى الركاب» أى ليت الغضى طاولهم ، وقوله « لقد كان فى أهل الغضى الخ » يعنى بعت ما كان فيه من الفتك فى الضلالة بأن صرت فى جيش سعيد بن عثمان بن عفان ، وقوله « دعانى الهوى الخ » أود — بضم الهمزة — قال البكرى موضع ببلاد مازن وأنشد هذا البيت وقال الطبسان كورتان بخراسان ، يقول : دعانى هواى وتشوقى من ذلك الموضع وأصحابى

بالموضع الآخر ، وقوله « أجبت الهوى الخ » يقول : لما ذكرت ذلك الموضع استعبرت فاستحييت فتقنعت بردائى لكى لا يرى ذلك منى قال الشاعر

فكائنْ ترى في القوم مِن مُتقنِّعٍ على عَبْرَةٍ كادت بها العين تسفَح

وقوله « لا أباليا » قال القالى : روى أبا بالتنوين و بغير تنوين وقوله « لئن غالت خراسان هامتى » يريد أهلكت هامتى وقوله « فلله درى » تعجب من نفسه كيف تغرب عن ولده وماله قال ابن احمر

بان الشباب وأفنى ضعفه العمر لله درّى فأى العيش أنتـظر

تعجب من نفسه أى عيش ينتظر ، ويريد بالسانحات الظباء سنحت له فتطير منها ، ووراء بمعنى قدام وقوله « تفتكى » يروى تفنكى بالنون يقال فنك فى الشيء إذا تمادى فيه قال الشاعر

وَدِّعْ لميسَ وِدَاعَ الصَّارِمِ اللاَّحى إذ فنَكَتْ فى فساد بعد إصلاح

وقوله « تذكرت من يبكى على الخ » يقول : كنت أستعمل السيف والرمح فهمالى خليلان وأنا هنا غريب فليس أحد يبكى على غيرهما ، والمحبوك الفرس القوى وقوله « ولكن أكناف السمينة » بلفظ مصغر السمنة وهو موضع قريب من أود المذكور ومرو مدينة بخراسان وقوله « وخل بها جسمى » أى اختل واضطرب ، وقوله « يقر بعينى أن سهيل بدا ليا » يريد أن سهيلا لا يرى بناحية خراسان فيقول ارفعونى لعلى أراه فتقر عينى لأنه يرى فى بلده ، وقوله « خطا » أى احفرا بالرماح ، وقوله « فى رحى مستديرة » الرحى موضع الحرب ومستديرة حيث يستدير القوم ، وقوله « البيض الحسان الروانيا » أى النواظر جمع رانية والرنو النظر الدائم ، والغر البيض والوالون جمع وال ، والموالى بنو العم والاقربون والبث أشد الحزن ، وقوله « رحى المثل » هو بضم الميم وسكون المثلثة موضع بفلج يقال له رحى المثل وفلج موضع فى بلاد بنى مازن وهو فى طريق البصرة الى مكة وقوله « حلوها » نزلوا بها وأراد بالبقر النساء ويروى « جم القرون » أى ليست لهم قرون شبهها بالبقر ، وسواجى سواكن ، والعين بقر الوحش ، والأعين ثوره والخزامى — بالقصر — خيرى البر زهره أطيب الازهار نفحة ، والاقاحى جمع أقحا وهو جمع ، والعيس الابل التى تضرب إلى البياض ، والعبالى جمع عبلى وهى الضخمة والمتان جمع متن وهو ما صلب من الارض ، وعنيزة قارة سوداء فى وادى بطن فلج

والمبقيات التى تبقى سيرها ، والنواجى التي تنجو سيرها أى تسرع ، والمرنبانى كساء من خز ويقال مطرف من وبر الابل ، وهايامن هباهبوا وقوله « رهينة أحجار الخ » فى القبر على التربو الحجارة . والقرارة بطن الوادى حيث يستقر الماء وصيره مثلا للقبر و بطنه وقوله « يد الدهر » يقال يد الدهرومدى الدهروأبد الدهر وكله واحد

ومالك بن الريب ـ بفتح الراءوسكون المثناة التحتية ـ هو من ماز ن تميم وكان لصاً يقطع الطريق مع شظاظ الضبي الذى يضرب به المثل فيقال « ألص من شظاظ » قاله القالى فى ذيل أماليه ، قال أبو عبيدة : لما ولى معاوية سعيدبن عثمان بن عفان خراسان سار فيمن معه فأخذ طريق فارس فلقيه بها مالك بن الريب بن حوط بن قرط بن حسل بن ربيعة ابن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، وأمه شهلة بنت سنيح ابن الحر بن ربيعة ابن كابية بن حرقوص بن مازن ، قال : وكان مالك بن الريب ــ فيما ذكر ــ من أجمل العرب جمالا ، وأبينهم بيانا ، فلما رآه سعد أعجبه ، وقال أبو الحسن المدائنى : بل كان مربه سعيد بن عثمان بالبادية وهو منحدر من المدينة يريد البصرة حين ولاه معاوية خراسان ، ومالك فى نفر من أصحابه فقال له : ويحك يامالك ما الذى يدعوك إلى ما يبلغنى عنك من العداء وقطع الطريق ؟ قال : أصلح الله الأمير العجز عن مكافأة الأخوان ، قال : فأن أغنيتك واستصحبتك أتكف عما تفعل وتتبعنى ؟ قال : نعم أصلح الله الامير أكف كفا ما كف أحد أحسن منه ، فاستصحبه وأجرى عليه خمسمائة دينار فى كل شهر ، وكان معه حتى قتل بخراسان ، قال : ومكث مالك بخراسان فمات هناك ، فقال يذكر مرضه وغربته ، وقال بعضهم : بل مات فى غزو سعيد طعن فسقط وهو بآخر رمق ، وقال آخرون : بل مات فى خان فرثته الجن لما رأت من غربته و وحدته ووضعت الجن الصحيفة التى فيها القصيدة تحت رأسه ، والله أعلم أى ذلك اه

قال ابن قتيبة : ومن شعره يهجو الحجاج :

فأن تنصفوا يا آل مَرْوَانَ نقترب إليكم وإلا فأذنوا ببعاد
فأن لنا عنكم مَرَاحاً ومَنْزَحَةً بعيس إلى ريح الفلاة صوادى
فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده إذا نحن جاوزنا حفير زياد

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف   كما كان عبداً من عبيد إياد
زمانَ هوَ العبد المقر بذلة   يراوح صبيان القرى ويغادى

وليس له عقب ، ومما سبق إليه فأخذ عنه قوله :

العبد يُقْرَعُ بالعصا   والحر يكفيه الوعيد

وقال آخر :

العبد يقرع بالعصا   والحر تكفيه الملامه

وقال آخر :

العبد يقرع بالعصا   والحر تكفيه الاشاره

توابع المنادى

(أنشد فيه)

(وهو الشاهد السادس عشر بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه)

١١٦ يا ذا المُخَوِّفُنا بمقتل شَيْخِهِ   حجر تمنى صاحب الأحلام

على أن المخوفنا نعت لاسم الاشارة الواقع المبنى على ضمة ، وهو مضاف إلى ضمير المتكلم مع الغير إضافة لفظية ، قال ابن الشجرى: هذا سهو فأن الضمير فى المخوفنا منصوب لا مجرور ، ويأتى بيانه فى الشاهد السابع عشر ، وأل موصولة بمعنى الذى ، وبمقتل متعلق بالمخوف ، وهو مصدر مضاف إلى مفعوله والفاعل محذوف أى يامن يخوفنا بسبب قتلنا شيخه ، وأراد بشيخه أباه ، وحجر بدل من شيخه أو عطف بيان له ، وهو — بضم الحاء وسكون الجيم — اسم والد امرىء القيس ، وقوله « تمنى صاحب الاحلام » منصوب على أنه مصدر عامله محذوف ، أى تمنيت تمنى صاحب الأحلام فأنك لا تقدر على الانتقام ، والأحلام جمع حلم — بضمتين — وهو الرؤيا

وهذا البيت لعبيد بن الأبرص الأسدى يخاطب به امرأ القيس صاحب المعلقة المشهورة ، وبعده :

لا تبكنا سفهاً ولا ساداتنا   واجعل بكاءك لابن أم قطام

وسبب قول عبيد هذا الشعر أن قوم عبيد بنى أسد قتلوا أبا امرىء القيس حجرا وهو ابن أم قطام كما تقدم بيانه فى الشاهد التاسع والأربعين فتوعدهم امرؤ القيس بقوله:

واللهِ لا يذهَبُ شيخي باطلاً   حتى أبيدَ(١) مالكاً وكاهلاً

وهما حيان من بني أسد، فقال له عبيد ذلك وجعل وعيده كاذبا وما تمناه فيهم غير واقع كأضغاث أحلام، وقال عبيد أيضا:

يا ذا المخوّفنا بقتـ   ـل أبيه إذلالاً وحيْناً
أزعمْتَ أنك قد قتلـ   ـت سَراتنا كذِباً ومينا
هلاّ على حجر ابن أم   قطام تبكي لا علينا
إنّا اذا عضّ الثقا   ف برأس صعْدتنا لوَيْنا
نحمى حقيقتنا وبعـ   ـض القوم يسقط بين بينا
هلا سألت جموع كنـ   ـدة يوم ولوا أين أينا
أيام نضرب هامهم   ببواتر حتى انحنينا
وجموع غسان الملو   ك أتيتهم وقد انطوينا
نحن الألى فاجمع جمو   عك ثم وجههم إلينا
واعلم بأن جيادنا   آلين لا يقضين دينا
ولقد أبحنا ما حميـ   ـت ولا مبيح لما حمينا

وهذا نصف القصيدة، وقوله «إذلالا» مفعول ثان للتخويف وهو مصدر أذله الله متعدى ذل الرجل إذا ضعف وهان، والحين ـ بالفتح ـ الهلاك مصدر حان، والسراة ـ بفتح السين ـ الأشراف جمع سرى وأصله سروى ـ على وزن فعول ـ من السرو وهو كرم فى مروءة، والمين مرادف الكذب، والثقاف ـ بكسر المثلثة ـ ما يسوى به الرماح، والصعدة ـ بالفتح ـ قال فى الصحاح: هى القناة المستوية تنبت كذلك لا تحتاج إلى تثقيف وقيل الرمح القصير، ولوى الرجل رأسه وألوى برأسه أماله وأعرض، والحقيقة ما يحق على الرجل أن يحميه كالأهل والولد والجار، قال فى الصحاح: هذا الشيء بين بين أى بين الجيد والردىء ثم أنشد هذا البيت وقال:

(١) يروى: «أبير»

أي يتساقط ضعيفا غير معتدبه وألف بين الثانى إشباع وبنيا لتضمنهما لواو العطف، والبواتر جمع باتر وهو السيف القاطع وكأنه لحظ فى السيف معنى الحديدة أو آلة القطع فجمعه هذا الجمع يدلك عليه الحنين بضمير الأناث العائد إلى البواتر وأنه غلب عليه الاسمية والألى بمعنى الذين اسم موصول وحذفت الصلة لادعاء شهرتها أى نحن الذين عرفوا بالشجاعة، والجياد جمع جواد وصف من جاد الفرس أى صار رائعا يجود جودة — بالضم — فهو جواد للذكر والأنثى، وآلين أى حلفن من الألية بمعنى اليمين

وعبيد هو — بفتح العين وكسر الموحدة — ابن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر ابن مالك بن زهير بن مالك بن الحرث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر، الأسدى، الشاعر، من فحول شعراء الجاهلية، جعله ابن سلام الجمحي فى الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية وقرن به طرفة وعلقمة بن عبدة قال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء: عاش عبيد هذا أكثر من ثلثمائة سنة، وقال أبو حاتم السجستانى فى كتاب المعمرين: عاش عبيد مائتى سنة وعشرين سنة ويقال بل ثلثمائة سنة وقال فى ذلك:

ولتأتين بعــــدى قرون جمة ترعى محارم أيكة ولدودا
فالشمس طالعة وليل كاسف والنجم يجرى أنحساً وسعودا
حتى يقـــال لمن تعرّق دهره ياذا الزّمانة هل رأيت عبيداً
مائتى زمان كامل وبضــــعة عشرين عشت مُعَمَّراً محموداً
أدركت أوّل ملك نصر ناشئا وبناء شــــداد وكان أبيدا
وطلبت ذا القرنين حتى فاتنى ركضاً وكدت بأن أرى داوداً
ما تبتغى من بعد هذا عيشة إلا الخلود ولن تنال خلودا
وليفنين هـــذا وذاك كلاهما إلا الالهَ ووجهـــه المعبودا

وقال أيضا:

فنيت وأفنانى الزمان وأصبحت لداتى بنو نعش وزهر الفراقد

ومن شعره

تذكرت أهل الخير والباع والندى وأهل عِتاق الخيل والخمر والطيب

فأصبح مني كل ذلك قد خلا وأى فتى فى الناس ليس بمكذوب
ترى المرء يصبو للحياة وطيبها وفى طول عيش المرء برح بتعذيب

ومضمون البيت الأخير مما تداوله الناس قديماً وحديثاً، قال بعض شعراء الجاهلية

كانت قناتي لا تلين لغامز فألانها الأصباح والأمساء

وقال النمر بن تولب الصحابي :

يود الفتى طول السلامة والبقا فكيف ترى طول السلامة يفعل

و تبعه حميد بن ثور الهلالى الصحابى أيضا:

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة وحسبُكَ داءً أن تصحَّ وتسلما

وقال آخر :

وَدعَوْتُ رَبِّي بالسَّلامةِ جاهِداً لِيُصحَّني فأذا السلامةُ داء

وفى معناه قول الخيمى من المتأخرين

إذا كان موتُ المرء إفناءَ عُمْرِه ففى موته من يوم يولَدُ يَشْرَعُ

وأحسن من هذا كله قوله صلى الله عليه وسلم «كفى بالسلامة داء» فانه أبلغ وأوجز وأسلس وأرشق مما ذكر

قال محمد بن حبيب فى كتاب من قتل من الشعراء : ومنهم عبيد بن الأبرص الأسدى وكان المنذر بن امرىء القيس اللخمى بن ماء السماء وهو الذى يسمى ذا الغريين(١) وهو جد النعمان بن المنذر، له يوم بؤس ويوم نعيم؛ كان يقتل أول من رأى فى يوم بؤسه فخرج المنذر فى يوم بؤسه فلقى عبيد بن الأبرص فقال : له«هلا كان المذبوح غيرك ياعبيد، فقال «أتتك بحائن رجلاه» وأرسله مثلا فقال له: أنشدنا ياعبيد فقال: «حال الجريض دون القريض وبلغ الحزام الطبيين» وأرسلهما مثلا فقال له أنشدنى فقال «المنايا على الحوايا» وأرسله مثلا فقال بعض القوم أنشد الملك هبلتك أمك، فقال «وما قول قائل مقتول» وأرسله مثلا، وقال آخر ما أشد جزعك بالموت فقال «لا يرحلن رحلك من ليس معك» وأرسله مثلا فقال الملك قد أمللتني فأرحني قبل أن آمر بك فقال عبيد «من عزيز» وأرسله مثلا فقال الملك أنشدنا قولك

(١) فى النسخة المطبوعة فى بولاق «القرنين» وهو خطأ فاحش والغريان صومعتان بناهما المنذر فوق قبرين لنديمين ما كانا ينادمانه

أَقْفَرَ مِنْ أهله مَلْحُوبُ

فأنشده:

أقفرَ مِنْ أهله عَبيدُ فَالْيَوْم لا يُبْدِى ولا يُعيدُ

وأنشد هذا البيت صاحب الكشاف عندقوله تعالى (قل جاءالحق وما يبدىء الباطل وما يعيد) على أنهذه الكلمة قدصارت مثلا فى الهلاك من غير نظر إلى مفرداتها، وهو فى الأصل كناية لأن الهالك لم يبق له إبداء ولا إعادة كما يقال لا يأكل ولا يشرب أى مات فقال له الملك: ويحك ياعبيد أنشدنى قبل أن أذبحك فقال عبيد: والله إن مت ماضرنى فقال له: لابد من الموت فاختر إن شئت من الأكحل و إن شئت من الأبجل و إن شئت من الوريد فقال عبيد ثلاث خصال كسحابات عاد، واردها شر وارد، وحاديها شرحاد، ومعادها شر معاد، ولا خير فيها لمرتاد، فان كنت قاتلى فاسقنى الخمر حتى إذا ذهلت منها ذواهلى، وماتت لها مفاصلى، فشأنك وما تريد، ففعل به ماأراد فلما طابت نفسه ودعا به ليقتله أنشأ يقول:

وخيرنى ذو البؤس فى يوم بؤسه خِصالاً أرى فى كلها الموتَ قد برق
كما خيرت عاد من الدهر مرة سحائب ما فيها لذى خيرة أنق
سحائب ريح لم توكل ببلدة فتتركها إلا كاليلة الطلق

و أنشد بعده لرؤبة

وهو الشاهد السابع عشر بعد المائة وهو من شواهد سيبويه

(١١٧) إنى وأسطار سُطران سطرا لقائل يانصرُ نصرٌ نصراً

على أن التوكيد اللفظى فى النداء حكمه فى الأغلب حكم الأول وقد يجوز إعرابه رفعا ونصبا فنصر الثانى رفع إتباعا للفظ الأول والثانى نصب إتباعا لمحل الأول، وضعف الشارح المحقق البدل والبيان فى مثله، وقال: لأنهمايفيدان مالايفيده الأول من غير معنى التأكيد، والثانى فيما نحن فيه لايفيد إلا التأكيد؛ ومنع أبوحيان كونه من التأكيد اللفظى أو البدل وحصره فى البيان فقال: لايجوز أن يكون نصر الثانى توكيدا لفظيا: قيل لتنوينه والأول ليس كذلك، ورد بأن هذا القدر من الاختلاف مغتفر فى التأكيد اللفظى، وقيل للاختلاف فى التعريف فيانصر عرف بالأقبال عليه

لا بالعلمية والثـانى معرف بالعلمية ، فكما لا يجوز جعل الثانى فى جاء الغلام غلام زيد تأكيداً لفظيا لاختلافهما فى التعريف فكذلك هذا، ولا يجوز أن يكون بدلا لأنه منون ولا نعتا لأنه علم اه وفيه نظر فإن اتحاد جهة التعريف فى التأكيد غير مسلمة بل يكفي اختلافها ، ثم قال أبو حيان : ولا يجوز أن يكون مرفوعا على أنه خبر مبتدأ مضمر ولا نصبه على إضمار فعل لأن هذا النوع من القطع إنما تكلمت به العرب إذا قصدت البيان أو المدح أو الذم أو الترحم ونصر لا يفهم منه شيء من ذلك اه وفيه أنه يصح نصبه على المدح بدليل ما بعده وهو :

بلغك الله فبلغ نصرا نصر بن سيار يثبنى وفرا

فأنه روى أن نصرا فى البيت الأول وهو صاحب نصر بن سيار منعه من الدخول إلى نصر بن سيار وهو أمير خراسان فى الدولة الأموية فتلطف به وأقسم له بأنه يدعو له وطلب منه المعونة . وقول خضر الموصلى شارح شواهد التفسيرين بأنه يجوز نصبه على الذم لأن الحاجب منعه من الدخول إلى الأمير غفلة عن البيت الثانى ، وروى نصبه أيضا إما لما ذكرنا وإما للاتباع على محل الأول وإما لأنه مصدر بدل من فعل الأمر أى انصرنى ،وقال بدر الدين فى شرح الخلاصة : يجوز كونه مصدرا دعائيا كسقيا ورعيا فيكون نصر الثالث تأكيداً على الوجوه الثلاثة ، وروى الجرمى عن أبى عبيدة أن النصر العطية يريد يانصر عطية عطية ، ويرده رواية الرفع ، وزعم أبو عبيدة أيضا أن نصراً الثانى هو حاجب نصر بن سيار والأول هو ابن سيار فنصبه على الأغراء أى يانصر عليك نصراً، ويرده شيآن : رواية الرفع والدعاء ، وفيه أيضا غفلة عن البيت الثانى ، وروى فى نصر الثانى أيضا ضمه بلا تنوين كالأول على أنه توكيد لفظى له تبعه فى البناء وروى صاحب اللباب فيه وجها رابعا وهو جره مع نصب الأول قال شارحه القالى: فيكون المضاف إليه على هذا جنسيا كما تقول طلحة الخير وحاتم الجود والتنكير للتفخيم وملخص ماذكرنا أن نصرا الأول روى فيه وجهان ضمه ونصبه ، والثانى روى فيه أربعة أوجه ضمه ورفعه ونصبه وجره ، والثالث روى فيه وجه واحد وهو النصب

واعلم أن الصغانى قال فى العباب وتبعه صاحب القاموس : إن اسم الحاجب إنما هو نضر بالضاد المعجمة وإن الثلاثة فى البيت الأول بالأعجام، وإهمال الصاد تصحيف ، وأما نصر فى البيت الثانى فهو بالأهمال لا غير، وكذا قال ابن يسعون : رأيت فى عرض

كتاب أبي إسحق الزجاج بخط يده وهو أصله الذى قرأ فيه على أبى العباس نضر الذى هو الحاجب بالضاد معجمة ، وأنشده سيبويه بنصب نصر الثانى ، قال الأعلم : الشاهد فيه نصبه نصرا نصرا حملا على موضع الأول ولو رفع حملا على لفظ الأول لجاز قال النحاس : وقد خولف فى هذا فقال الأصمعي : النصر المعونة فهو على هذا منصوب على المصدر كأنه قال عونا عونا ، وقوله «لقائل» خبر إن وجملة القسم أعنى قوله « وأسطار الخ » اعتراض بين اسم إن وخبرها ، والواو للقسم أى وحق أسطار المصحف وهو جمع سطر جمع قلة كأسطر وفى الكثرة سطار وسطور ويجمع أسطار على على أساطير ، واستشهد صاحب الكشاف بهذا البيت عند قوله تعالى (إن هذا إلا أساطير الأولين) على أن أساطير جمع أسطار ـ بفتح الهمزة ـ جمع سطر وجملة سطرن ـ بالبنا للمفعول ـ صفة لاسطار وسطراً مفعول مطلق ، وقوله يا نصر إلى قوله بلغك الله مقول القول وبلغ ــ بالتشديد ــ متعد الى مفعولين ثانيهما محذوف أى مرادك وثلاثيه متعد إلى واحد يقال ــ بلغت المنزل ــ إذا وصلته ، وبلغ فعل أمر ومفعوله الأول محذوف أى أرجوزتى ومديحي ونحوهما ، ونصر الثانى عطف بيان للاول ، ويثبى مجزوم فى جواب بلغ يقال : أثابه الله أى جزاه وأعطاه ، والوفر المال الكثير

وترجمة رؤبة تقدمت فى الشاهد الخامس

والعجب من الصاغانى حيث رد على سيبويه فى أن هذا الشاهد ليس لرؤبة ولم يبين قائله

وأما نصر بن سيار فقد كان أمير خراسان فى الدولة الأموية وكان أول من ولاه هشام بن عبد الملك وكانت إقامته فى مرو إلى أن جاء أبو مسلم الخراسانى إلى مرو وأرسل إلى نصر يدعوه إلى كتاب الله وسنة رسوله والرضا من آل محمد ، فلما رأى نصر مامع أبى مسلم من اليمانية والربعية والعجم وأنه لاطاقة له بهم أظهر قبول ماأتاه به وأنه يأتيه ويبايعه واستمهلهم ، ثم هرب نصر إلى سرخس واجتمع عليه ثلاثة آلاف رجل ثم سار نصر فنزل جوار الرى ، وكاتب ابن هبيرة يستمده وهو بواسط وقال له: أمدنى بعشرة آلاف قبل أن تمدنى بمائة ألف ثم لاتغني شيأ فحبس ابن هبيرة رسله وتباطأ فأرسل نصر إلى مروان بن محمد يعلمه مافعل ابن هبيرة فكتب مروان الى ابن هبيرة يأمره أن يمده فجهز ابن هبيرة جيشا كثيفا أمر عليهم ابن غطيف إلى نصر ولما

قدم نصر إلى الرى أقام بها يومين ثم مرض فحمل إلى ساوة فمات بها لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول من سنة إحدى وثلاثين ومائة وعمره خمس وثمانون سنة ، وهذه نسبته من الجمهرة ، نصر بن سيار بن رافع بن حرى — بفتح الحاء وكسر الراء المشددة المهملتين — ابن ربيعة بن عامر بن هلال بن عوف بن جندع بن ليث وينتهى نسبه إلى مدركة بن الياس بن مضر

وأنشد بعده

(وهو الشاهد الثامن عشر بعد المائة)

١١٨ علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم بأبيض ماضى الشفرتين يمانى

على أن العلم إذا وقع فيه اشتراك لفظى جاز إضافته للتعيين ، والعلمية قد ذهبت بالاضافة كما يأتى بيانه بعد هذا ، وأورده ابن عقيل فى شرح الألفية من أن الاضافة من قبيل إضافة الموصوف إلى القائم مقام الوصف ، أى علا زيد صاحبنا رأس زيد صاحبكم فحذف الصفتان وجعل الموصوف خلفا عنهما فى الاضافة ، والنقا — بالقصر — الكثيب من الرمل والتعريف للعهد ، وأراد باليوم الوقعة والحرب التى كانت عند النقا وهنا معنى قولهم: أيام العرب، والأبيض السيف ، والماضى النافذ بالقطع ، والشفرة — بفتح الشين — حد السيف وثناه باعتبار وجهيه ، ورواه المبرد فى الكامل بتغيير بعض ألفاظه مع بيت آخر وأورده فى أول الثلث الثالث منه فى باب هذه ترجمته (باب يجمع فيه طرائف من حسن الكلام وجيد الشعر وسائر الأمثال ومأثور الأخبار) ثم قال : وقال رجل من طيئ ، وكان رجل منهم يقال له زيد من ولد عروة بن زيد الخيل قتل رجلا من بنى أسد يقال له زيد ثم أقيد به بعد :

عَلاَ زَيْدُنَا يومَ الحِمَى رَأْسَ زَيْدِكُمْ بأبيض مشحوذ الغرار يمانى
فإن تقتلوا زيدا بزيد فإنما أقادكم السلطان بعد زمان اه

ومثله فى أواخر زهر الآداب للحصرى قال : كان رجل من طيئ وكان رجل منهم يقال له زيد من ولد عروة بن زيد الخيل قتل رجلا فأقاد عنه السلطان فقال يفتخر على الأسديين : وأنشد البيتين كرواية المبرد ، ولم أر من رواه يوم النقا وظهر بهذا أنه شعر اسلامى فأن زيد الخيل من الصحابة رضى الله عنهم ، والمشحوذ مفعول من

شحذت السيف أشحذه شحذا — من باب منع — أى حددته والمشحذة — بالكسر — المسن والشحيذ جعل الشئ حادا ، والغرار — بكسر الغين المعجمة — قال فى الصحاح والغراران شفرتا السيف وكل شئ له حد فحده غراره ، وقوله أقادكم السلطان أى كفكم عن قتله قوداً ويقال أقاد السلطان القاتل بالقتيل قتله به قودا

وأنشده بعده

وهو الشاهد التاسع عشر بعد المائه

١١٩ رأيت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا بأحناء الخلافة كاهله

على ان العلم اذا وقع فيه اشتراك اتفاقى جاز تعريفه باللام ، يعنى ويزول تعريف العلمية بأن ينكر ثم يعرف باللام ، قال ابن جنى فى سر الصناعة ومن خطه نقلت : واعلم أن قولك جاءنى الزيدان ليس تثنية زيد هذا العلم المعروف ، وذلك أن المعرفة لا يصح تثنيتها فلا تصح إلا فى النكرات فلم تثن زيدا حتى سلبته تعريفه فجرى مجرى رجل وفرس وحينئذ لم يستنكر دخول لام المعرفة ، وقد جاء فى الشعر منه قال ابن ميادة

وَجدْنَا الوليدَ بْنَ اليزيد

يريد يزيد ، ومما يؤكد جواز خلع التعريف قوله

علا زَيدُنَا يومْ النقا رأس زيدكم

فاضافة الاسم تدل على أنه قد كان خلع عنه ما كان فيه من معرفة وكساه التعريف بأضافته إياه إلى الضمير فجرى فى تعريفه مجرى أخيك وصاحبك ، وليس بمنزلة زيد اذا أردت العلم ، وعلى هذا لو سألت عن زيد عمرو فى قول من قال رأيت زيد عمرو لما جازت الحكاية ولكان بالرفع لا غير ، انتهى ملخصا

واللام فى الوليد للمح الأصل قال بعضهم : نكتة إدخالها فى اليزيد الأتباع للوليد ، واستشهد به ابن هشام فى شرح الألفية على أن مالا ينصرف إذا دخلته أل ولو كانت زائدة صرف كما فى اليزيد فجعلها زائدة لا معرفة ، ورأيت هنا علمية ، ومباركا هو المفعول الثانى ، وشديدا من تعدد المفعول الثانى لأن جزءى باب علم أصلهما المبتدأ والخبر والخبر قد يتعدد ، وإن كانت بصرية فمباركا حال من مفعولها وشديدا تعدد من تعدد الحال أو من ضمير مباركا فهى حال متداخلة ، والوجه الأول ويؤيده أنه روى وجدت

بدل رأيت، والوليد هو ابن يزيد بن عبد الملك ابن مروان الأموى، و شديدا صفة مشبهة يعمل عمل فعله، و كاهله فاعله وزعم السيوطى أن فعيلا أعمل لاعتماده على ذى خبر، وفيه الفصل بينه وبين مرفوعه بالجار والمجرور، انتهى فتأمل، والأحناء جمع حنو — بالكسر — وهو الجانب والجهة وقيل هو هنا بمعنى السرج والقتب كنى به عن أمور الخلافة الشاقة، والكاهل مابين الكتفين، وروى « باعباء الخلافة » جمع عبء وهو كالحمل لفظا ومعنى، وقال العينى : شبهه بالجمل المحمل وشبه الخلافة بالقتب وأراد كأنه يحمل شدائد أمور الخلافة

وهذا البيت من قصيدة لامية لابن ميادة يمدح بها الوليد المذكور، وليس هو أول القصيدة كما زعم العينى بل هو أول المديح و قبله :

هممت بقول صادق أن أقوله وإنى على رغم العدو لقائله

وبعده: أضاء سراجُ الملك فوق جبينه غداة تناجى بالنجاح قوابله

وهذا كقول الشاعر :

في المهد ينطق عن سعادة جده أثَرُ السيادة ساطع البرهان

وأول القصيدة :

ألا تسأل الربع الذى ليس ناطقا وإنى على أَن لايُبِينَ لسائله

أى إنى مع عدم إبانته لسائله

و ترجمة ابن ميادة تقدمت فى الشاهد التاسع عشر

والوليد بن يزيد بويع سنة خمس وعشرين ومائة بعد موت عمه هشام بن عبد الملك وقتل الوليد فى سنة ست وعشرين لأنه رمى بالكفر وغشيان أمهات أولاد أبيه وكان منهمكا فى اللغو وشرب الخمر وسماع الغناء، ومما اشتهر عنه أنه استفتح المصحف الكريم فخرج له قوله تعالى (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فالقاه ونصبه غرضا ورماه بالسهام وقال :

تهددنى(١) بجبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد

(١) يروى « تهدد كل جبار عنيد »

إذا ماجئت ربك يوم حشر فقل يارب مزقني الوليد

فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا حتى قتل، كما فى تاريخ النويرى وغيره، وقطع رأس الوليد ونصب على رمح وطيف به دمشق ثم دفع إلى أخيه سليمان بن يزيد فلما نظر إليه سليمان قال: بعداً له أشهد أنه كان شروبا للخمر ماجنا فاسقا، ولقد أرادنى على نفسى، وكان سليمان هذا ممن سعي فى خلعه، وكان عمر الوليد حينئذ اثنتين وأربعين سنة، وقيل ثماني وثلاثين، وقيل غير هذا، وكانت مدة سلطنته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما

وأنشد بعده

وهو الشاهد العشرون بعد المائة، وهو من شواهد سيبويه

١٢٠ يا صاح يا ذا الضامر العنس

على أن الضامر العنس والمخوفنا تركيبان إضافيان قد وقعا صفتين للمنادى الذى هو اسم إشارة وصفة المنادى إذا كانت مضافة وجب نصبها فكيف رفعت اتباعا للمنادى المفرد، وهذا إشكال ظاهر، ونقل الشارح لحله جوابين من الإيضاح لابن الحاجب (أحدهما) أن أل فى الضامر وفى المخوفنا موصولة وهو الواقع صفة أى الذى ضمرت عنسه والذى خوفنا، والأعراب فى الحقيقة للموصول لكن لما كان على صورة الحرف نقل الأعراب إلى صلته عارية (ثانيهما) أن الضامر العنس والمخوفنا صفتان لصفة اسم الأشارة أى ياذا الرجل الضامر العنس وياذا الرجل المخوفنا، وإنما قدر هذا لأن صفة اسم الأشارة لا تكون الا مفردة وإعراب الرجل رفع فيجب رفع وصفه بالتبعية له، وهذا محصل كلامه، ويفهم من هذين الجوابين أنه لم يجز نصبه، وهو مخالف لما نقله القالى فى شرح اللباب قال: جوزوا فى نحو « ياصاح ياذا الضامر العنس » نصب الضامر ورفعه كما لو قلت ياذا الضامر رفعا ونصبا، وكون الوصف فى المخوفنا مضافا الى الضمير كاضافة الضامر إلى العنس وقع مثله للسيرافى، قال ابن الشجرى فى أماليه: الثانى صحيح لأن الضامر غير متعد والاسم الذى بعده فيه أل وكون المخوف مثله سهو لانه متعد وليس بعده اسم فيه أل وأنت لاتقول المخوف زيد فالضمير فى المخوفنا منصوب لا مجرور اهـ

وهذه المسئلة غير متفق عليها فأن الرمانى والمبرد فى أحد قوليه والزمخشرى قد ذهبوا

لما قاله السيرافى كما نقله الشارح المحقق فى باب الأضافة ، فلا ينبغى الحكم بالسهو على مثل الأمام السيرافى .... وأنشد سيبويه هذا المصراع برفع الضامر على أن ذا اسم اشارة وأورد عليه أنه لا يستقيم لأن ما بعده

والرَّحلِ والاقتاب والحلس

فان الثلاثة معطوفة على العنس وهى لا توصف بالضمور ، فالصواب انشاده بالجر على ان ذا بمعنى صاحب كما أنشده الكوفيون ، قال أبو جعفر النحاس : أنشده سيبويه وشبهه بقولك ياذا الحسن الوجه ، قال أبو اسحق : وهذا غلط عند جميع النحويين وذلك أن الرواية بالجر ، يدلك أن بعده « والرحل والأقتاب والحلس » وبه يتبين أن ذا بمعنى صاحب وكأنه لم يبلغه ما بعده ، قال أبو جعفر : سمعت أبا الحسن الاخفش يقول : بلغنى أن رجلا صاح بسيبويه من منزله وقال : كيف تنشد هذا البيت ؟ فانشده إياه مرفوعا فقال الرجل : وان بعده « والرحل والاقتاب والحلس » فتركه سيبويه وصعد إلى منزله فقال له : أين لى علام عطف ؟ فقال سيبويه فلم صعدت الغرفة ؟ إنى فررت من ذلك اه

وكذا حكى ثعلب هذه الحكاية فى أماليه فى موضعين وقال : الصواب جر الضامر ، وكذا حكى أبو على فى المسائل البصرية وابن جنى فى الخصائص.... وقد صححوا كلام سيبويه باوجه (أحدها) قال السيرافى : هذا من باب

علفتُها تبناً وماءً بارداً

وقوله :

يا ليت زوجك قد غدا متقلداً سيفاً ورُمحاً

على أن يجعل الثانى على مايليق به ولا يخرج عن مقصد الأول فيكون معنى الضامر المتغير والرحل محمول عليه كأنه قال المتغير العنس والرحل اه وتبعه على هذا شراح أبيات الكتاب وأبو على الفارسى فى المسائل القصرية بالقاف (ثانيها) قال أبو على فى إيضاح الشعر وتبعه ابن جنى فى الخصائص : القول فى جر الرحل أنه معطوف على ما دل عليه ماتقدم لأن قوله ياذا الضامر العنس يدل على أنه صاحب ضامر فحمل الرحل على ما دل عليه هذا الكلام من الصاحب (ثالثها) قال بعض النحويين : إن

أصله ويا صاحب الرحل فحذف صاحب لدلالة قوله ياصاح عليه وبقى الجر على حاله ، قال أبو على : يرد عليه أن كونه صاحبا للمنادى لايدل على أنه صاحب رحل كما يدل قوله ياذا الضامر العنس على أن له عنسا (رابعها) قال ابن الحاجب فى الإيضاح : إن سيبويه استدل بأنشاد هذا المصراع بانفراده على ما رواه الثقات ممن لم يعلم تتمته اه وهذا مصادم لما نقله ثعلب والنحاس وغيرهما من تلك الحكاية

وصاح مرخم صاحب ، والضامر من ضمر الحيوان وغيره من باب قعد — دق وقل لحمه ، والعنس — بفتح العين وسكون النون — الناقة الصلبة الشديدة ، والرحل قال فى المصباح : كل شيء يعد للرحيل من وعاء للمتاع ومركب للبعير وحلس ورسن وجمعه أرحل ورحال ، والأقتاب جمع قتب — بالتحريك — قال فى الصحاح : هو رحل صغير على قدر السنام ، وروى ابن الشجرى فى أماليه بدله « والاقتاد » وقال هو جمع قتد وهو خشب الرحل ، والحلس — بكسر المهملة — كساء يجعل على ظهر البعير تحت رحله والجمع أحلاس

وهذا البيت نسبه بعض شراح أبيات الكتاب والزمخشرى فى مفصله لخزز بن لوذان السدوسى ، قال الأصبهانى فى الأغانى فى ترجمة علية بنت المهدى العباسى : خزز شاعر يقال إنه قبل امرىء القيس ، وخزز — بضم الخاء المعجمة وفتح الزاء الاولى — وهو فى الأصل ذكر الأرنب ، ولوذان — بفتح اللام وسكون الواو بعدها ذال معجمة ، ونسبه الأصبهانى فى الأغانى لخالد بن المهاجر وزاد بعده بيتا ورواه هكذا :

يا صاح يا ذا الضامر العنس ... والرحل ذى الأنساع والحلس

تسرى النهار ولست تاركه ... وتجد سيرا كلما تمسى

فعلى هذا فالرحل هنا بمعنى برذعة البعير ، والأنساع جمع نسعة — بكسر النون — قال فى الصحاح : وهى التى تنسج عريضا للتصدير ، والسير يكون بالنهار وبالليل ويكون لازما كما هنا ومتعديا يقال سرت البعير وهو منصوب على الظرفية وكذا النهار ، وتجد من الجد فى الأمر بمعنى الاجتهاد فيه ، يقال جد يجد — من باب ضرب وقتل — والاسم الجد — بالكسر — وتمسى مضارع أمسى الرجل إذا دخل فى المساء والمساء خلاف الصباح ، قال ابن القوطية : هو مابين الظهر إلى المغرب ، وروى صاحب الأغانى أيضاً :

اما النهار فلاتقصره دَرَكاً يزيدك كلما تمسى

و روى أيضا

أما النهار فأنت تقطعه رتكا وتصبح مثل ما تمسى

والدرك — بالتحريك — التبعة يقال ما لحقك من درك فعلى خلاصه، قال رؤبة:

ما بعدَنا مِنْ طَلَبٍ ولا دَرَكْ

و تسكن راؤه أيضا، والرتك — بفتح الراء والتاء تفتح وتسكن — ضرب من سير الأبل فيه اهتزاز و مقاربة الخطو فى رفلان يقال رتك يرتك كضرب يضرب

وخالد قال الأصفهانى: هو ابن المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ وكان المهاجر والد خالد مع على عليه السلام بصفين، وكان خالد على رأى أبيه هاشمى المذهب، ودخل مع بنى هاشم الشعب فاضطغن ذلك ابن الزبير عليه فالقى عليه زق خمر وصب بعضه على رأسه وشنع عليه بأنه وجده ثملا من الخمر فضربه الحد، وكان عمه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية فى صفين ولهذا كان خالد بن المهاجر أسوأ الناس رأيا فى عمه، ثم إن معاوية لما أراد أن يظهر العهد ليزيد قال لاهل الشام انى قد كبرت سنى ورق جلدى ودق عظمى، واقترب أجلى وأريد أن أستخلف عليكم فمن ترون فقالوا عبد الرحمن بن خالد، فسكت وأضمرها ودس إلى ابن أثال الطبيب فسقاه سما فمات وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر خبره وهو بمكة فقال له عروة بن الزبير: أتدع ابن أثال يقرى أوصال عمك بالشام وأنت بمكة مسبل ازارك تجره وتخطر فيه متخايلا؟ فحمى خالد ودعا مولى له يدعى نافعا فأعلمه الخبر وقال: لابد من قتل ابن أثال، فخرجا حتى قدما دمشق وكان ابن أثال يمسى عند معاوية فجلس له فى مسجد دمشق إلى أسطوانة وجلس غلامه إلى أخرى فلما حاذاه وثب إليه خالد فقتله وثار إليه من كان معه فحملا عليهم فتفرقوا حتى دخل خالد ونافع زقاقا ضيقا ففاته القوم، وبلغ معاوية الخبر فقال: هذا خالد بن المهاجر اقلبوا الزقاق الذى دخل فيه فاتى به فقال له معاوية: لاجزاك الله من زائر خيراً أقتلت طبيبى؟ فقال خالد: قتلت المأمور وبقى الآمر، فقال: عليك لعنة الله، والله لو كان تشهد مرة واحدة لقتلتك به أمعك نافع قال لا قال بلى والله ما اجترأت إلا به ثم أمر بطلبه فأتى به فضربه مائة سوط وحبس خالدا وألزم بنى مخزوم دية ابن أثال اثنى عشر ألف درهم، وقال خالد فى الحبس:

أما خُطاىَ فقاربت مَشْىَ المقيّدِ في الحِصار
فبما أمشي فى الأبا طح يقتفى أثرى إزارى
دعْ ذا ولكن هل ترى نارا تشب بذى مزار
ما إن تشب لقرة للمصطلين ولا قتار؟
ما بال ليلك ليس ينـ قص طوله طول النهار
لتقاصر الازمان أم غرض الأسيرمن الأسار

ولما بلغت معاوية هذه الأبيات رق له وأطلقه فرجع إلى مكة . ولما لقي عروة ابن الزبير قال: أما ابن أثال فقد قتلته وذاك ابن جرموز أبقى أوصال الزبير بالبصرة فاقتله إن كنت ثائرا

وأنشد بعده

وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد المائة . وهو من شواهد سيبويه

١٢١ جَارِيَةٌ مِنْ قَيْسٍ ابْنِ ثَعْلَبَةِ

على أن تنوين قيس شاذ على أن ابن وقع بين علمين مستجمع الشروط فكان القياس حذف تنوين قيس الا أنه نونه لضرورة الشعر

قال ابن جنى فى سر الصناعة: من نون لزمه إثبات الألف فى ابن خطا، وقال ابن الحاجب فى الأيضاح :وزعم قوم أن ابن ثعلبة بدل . وقصده أن يخرجه عن الشذوذ وهو بعيد، لأن المعنى على الوصف . وأيضا فأن خرج عن الشذوذ باعتبار التنوين لم يخرج باعتبار استعمال ابن بدلا اه

ومن ذلك القوم ابن جنى قال فى سر الصناعة: إلى هذا رأيت جميع أصحابنا يذهبون ، والذى أرى أن الشاعر لم يرد أن يجرى ابنا وصفا على ما قبله ولو أراد لحذف التنوين ولكن أراد أن يجرى ابنا بدلا مما قبله وحينئذ لم يجعل معه كالشئ الواحد فوجب أن ينوى انفصال ابن مما قبله ووجب أن يبتدأ فاحتاج إذا إلى الألف لئلا يلزم الأبتداء بالساكن، وعلى ذلك تقول كلمت زيدا ابن بكر كأنك قلت كلمت ابن بكر فكأنك قلت كلمت زيدا كلمت ابن بكر لأن ذلك شرط البدل إذ المبدل فى التقدير من جملة ثانية

وهذا البيت مطلع أرجوزة للاغلب العجلى وبعده :

كريمة أخوالها والعصبه   قباء ذات سرة مقعبه
كأنها حقة مسك مذهبه   ممكورة الأعلى رداح الحجبه
كأنها حلية سيف مذهبه   أهوى لها شيخ شديد العصبه
خاظى البضيع أيره كالخشبه   فضربت بالودفوق الأرنبه
ثم انثنت به فويق الرقبه   فأعلنت بصوتها أن يا أبه

كل فتاة بأبيها معجبه

وأراد بجارية امرأة من العرب اسمها كلبة كان بينهما مهاجاة . ومن قولها فيه

ناك أبو كلبة أم الأغلب   فهى على جردانه توثب

توثب الكلب لحس الأرنب

وجارية خبر مبتدأ محذوف أى هذه جارية ، ومن قيس صفة لها، و قيس بن ثعلبة قبيلة وهذا البيت من شواهد مغنى اللبيب أيضا ولم يورده السيوطى فى شرحها والقباء الضامرة البطن مؤنث الأقب من القبب وهو دقة الخصر . والمقعبة السرة التى دخلت فى البطن وعلا ماحولها حتى صار كالقعب وهو القدح المقعر من الخشب ، وضمير كأنها للسرة ، والممكورة المطوية الخلق ، وأراد بالأعلى البطن والخصر، والرداح — بفتح الراء — المرأة الثقيلة الأوراك ، والحجبة — بفتح الحاء المهملة والجيم — رأس الورك ، وضمير كأنها للجارية، وحلية السيف زينته ، ومذهبة صفة حلية ، وروى الزمخشرى فى مستقصى الأمثال « كأنها خلة سيف مذهبه » بكسر الخاء المعجمة وتشديد اللام ، قال فى الصحاح : الخلة — بالكسر — واحدة خلل السيوف وهى بطائن كانت تغشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب وغيره ، وأهوى بالشىء إذا أوما إليه وأهوى إلى الشىء بيده مدها ليأخذه إذا كان عن قرب فأن كان عن بعد قيل هوى إليه بلا ألف، والخاظى — بمعجمتين — المكتنز والمتداخل ، والبضيع اللحم ، والأير آلة الرجل ، وروى الزمخشرى فى المستقصى « عرده كالخشبة » ، والعرد — بفتح العين وسكون الراء المهملتين — الشىء الصلب وأراد به الأير ، والود الوتد ، والأرنبة طرف الأنف ، وأن مفسرة ، وروى الزمخشرى « وصرخت منه وقالت يا أبه» وقوله « كل

فتاة الخ ، هو من إرسال المثل وليس من كلامها ، قال الزمخشرى : وهو مثل يضرب فى إعجاب الرجل برهطه وإن كان غير أهل لذلك

والأغلب العجلى قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : هو الأغلب بن عمرو بن عبيدة — بالتصغير — بن حارثة بن دلف بن جشم بن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم — بالتصغير — بن الصعب بن على بن بكر بن وائل ، وهو أرجز الرجاز وأرصنهم كلاما وأصحهم معانى وهو القائل :

الحِلْمُ بعْدَ الجَـهْـلِ قد يثوب   وفى الزّمانِ عَجَبٌ عجيب
وعِبرةٌ لو ينفع التجريب   واللُّب لايشقى به اللبيب
والمرء مُحْصى سعْيُهُ مرقوب   بهرم أو تعتــاقه شَــعوب

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : كان الأغلب جاهليا إسلاميا وقتل بنهاوند، وهو أول من أطال الرجز ، وكان الرجل قبله يقول البيت والبيتين إذا فاخر أوشاتم، وقد ذكره العجاج بقوله

إنى أنا الأغْلَبُ أضحى قد نُشِرْ اه

وعده ابن الأثير فى أسد الغابة من الصحابة قال ابن حجر فى الإصابة : قال ابن قتيبة : أدرك الاسلام فأسلم وهاجر ثم كان ممن سار إلى العراق مع سعد فنزل الكوفة واستشهد فى وقعة نهاوند ، وقد استدركه ابن الأثير ، قلت : ليس فى قوله وهاجر مايدل على أنه هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل أنه أراد هاجر الى المدينة بعد موته صلى الله عليه وسلم ولهذا لم يذكره أحد من الصحابة وقد قال المرزبانى فى معجمه : هو مخضرم اه ولم يذكر ابن قتيبة هجرته كما نقلنا ولعله نقله من كتاب آخر والله أعلم ، وقال أبو عبيد البكرى فى شرح نوادر القالى : الأغلب العجلى آخر من عمر فى الجاهلية عمرا طويلا وأدرك الاسلام فحسن إسلامه وهاجر واستشهد فى وقعة نهاوند

قال الآمدى : من يقال له الأغلب من الشعراء ثلاثة (أحدهم) هذا (والثانى) الأغلب الكلبي ، ولم أجد له فى أشعار كلب شعرا وأظن شعره درس فلم يدرك (والثالث) الأغلب بن نباتة الأزدى ثم الدوسى ، أنشده لبندار شعرا فى معانى الشعر

ولم أر له ذكرا فى أشعار الأزد وأظنه إسلاميا متأخرا

وأنشد بعده

(وهو الشاهد الثانى والعشرون بعد المائة)

(١٢٢) (طلبَ المعقب حقَّه المظلوم)

على أن فاعل المصدر وإن كان مجروراً بأضافة المصدر إليه محله الرفع ، فالمعقب فاعل المصدر ،وقد جر بأضافته إليه، ومحله الرفع بدليل رفع وصفه وهو المظلوم

وهذا عجز وصدره :

حتى تَهَجَّرَ فى الرَّوَاحِ وَهَاجَهَا

وهو من قصيدة للبيد بن ربيعة الصحابى وصف به مع أبيات حمارا وأتانه شبه به ناقته وقبله :

لَوْلا تُسَلِّيكَ اللُّبانَةَ حرةٌ حَرَج كأحناء الغبيط عقيم

لولا هنا تحضيضية ، والتسلية إزالة الهم وضمنه معنى النسيان ، واللبانة الحاجة ، والحرج — بفتح الحاء والراء المهملتين والثالث جيم — الناقة الضامرة ، والغبيط — بفتح الغين المعجمة — الرحل وهو للنساء يشد عليه الهودج ، وأحناؤه عيدانه فى الصحاح الحنو — بالكسر — واحد أحناء السرج والقتب وحنو كل شىء أيضا اعوجاجه ، والعقيم التى لاتلد يريد أنها قوية صلبة لم يصبها مايوهنها من فقد أولادها وغير ذلك

حرف أضرّ بها السِّفَارُ كأنها بعد الكلال مُسدَّم محجوم

الحرف الناقة الشديدة، وأضر — بالضاد المعجمة — بمعنى لصق ودنا دنوا شديدا يقال أضر بفلان كذا أى لصق به ودنا منه ، والسفارة فاعل أضر وهو مصدر سافر يسافر مسافرة وسفارا ؛ والكلال مصدر كل من المشى اذا أعيا، والمسدم اسم مفعول يقال فحل مسدم إذا جعل على فمه الكعام — بالكسر — وهو شىء يجعل فى فم البعير يقال كعمت البعير إذا شددت به فمه فى هياجه فهو مكعوم والسدم — بكسر الدال — الفحل الهائج المشتهى الضراب، والمحجوم من حجمت البعير أحجمه إذا جعلت على فمه حجاما وذلك اذا هاج للضراب والحجام — بتقديم المهملة المكسورة على الجيم — شىء يجعل فى مقدم أنف البعير كى لايعض عند هيجانه

أو مِسْحَلٌ شَنِجٌ عِضَادَةَ سَمْحَجٍ بسَرَاتِه نَدَبٌ لهـا وكُلوم

المسحل — بكسر الميم وسكون السين وفتح الحاء المهملتين — الحمار الوحشى، وصف ناقته بأبلغ ما يمكن من النشاط والقوة على السير . وذلك أنه شبهها بعد أن كلت وأعيت بالفحل الهائج أو بالحمار الوحشى وهما ماهما فى القوة والجلد فما ظنك بهذه الناقة قبل الأعياء ، وشنج — بفتح المعجمة وسكون النون — من الشنج وهو فى الأصل التقبض وأراد به هنا اللازم، والعضادة — بالكسر — الجنب ، والسمحج — بفتح السين وسكون الميم وآخره جيم قبلها مهملة — الاتان الطويلة على الارض، والسراة — بفتح المهملة — الظهر ، والندب — بفتح النون والدال — أثر الجرح . والكلوم الجراحات جمع كلم بالفتح

وهذا البيت من شواهد سيبويه ، أورده على أن عضادة منصوب بشنج نصب المفعول به ، يقول إنه ملازم لأتانه ولشدته وصلابته قد لازمها وقبض الناحية التى بينها وبينه ولم يحجزه عن ذلك رمحها وعضها اللذان بظهره منها ندب وكلوم ،

ثم أخذ يصفه مع أتانه بأنهما كانا فى خصب زمانا حتى إذا هاج النبات ونضب الماء أسرع معها إلى كل نجد .يريدان طيب الكلأ وأهنأ المرعى إلى أن قال :

يوفى ويرتقب النجاد كأنه ذو إربة كل المرام يروم

حتى تهجر فى الرواح وهاجها طلب المعقب حقه المظلوم

قربا يشج به الحزون عشية ربذ كقلاء الوليد شتيم

يوفى يشرف وفاعله ضمير مسحل ، والنجاد جمع نجد وهو المرتفع من الارض أى يشرف على الأماكن المرتفعة كالرقيب وهو الرجل الذى يكون ربيئة القوم يرتفع على مكان متجسسا ، والأربة — بالكسر — الحاجة ، وكل مفعول مقدم ليروم . والتهجر السير فى الهاجرة وهى نصف النهار عند اشتداد الحر ، وحتى بمعنى إلى ، والرواح اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل وهو نقيض الغدو لا الصباح خلافا للجوهرى ، وهاجها أزعجها ، وطلب مصدر تشبيهى أى هاج هذا المسحل أتانه لطلب الماء طلبا حثيثا كطلب المعقب وهو اسم فاعل من التعقيب وهو الذى يطلب حقه مرة بعد مرة ، واستشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى: «لا معقب لحكمه»

على أن المعقب المقتضى الذى يطلب الدين من الغريم يقال: عقب فى الأمر إذا تردد فى طلبه مجدا ، والقرب — محركة — سير الليل لورود الغد وهو منصوب بيشج أى يقطع يقال شججت المفازة إذاقطعتها والباء بمعنى مع ، والحزون جمع حزن — بالفتح — وهو ما غلظ من الأرض ، وربذ أى هو ربذ — بفتح الراء وكسر الموحدة والذال المعجمة — وهو السريع الخفيف القوائم فى المشى ، والمقلاء — بالكسر والمد كمفعال — والقلة — بالضم والتخفيف — هما عودان يلعب بهما الصبيان والأول يضرب به والثانى ينصب ليضرب يقال قلوت القلة بالمقلاء أقلو قلوا أى أنه يسوقها كما أن المقلاء يسوق القلة — والشتيم الكريه الوجه يشتم لعنفه وغلظه وهو صفة ربذ ، وقوله: « طلب المعقب حقه » يجوز أن يكون حقه مفعول المصدر وهو الطلب ويكون مفعول المعقب محذوفا . وأن يكون مفعول المعقب لأنه بمعنى الطالب والمقتضى ويكون مفعول المصدر محذوفا على التنازع . والى هذا جنح الفارسى وقال فلو قدم المظلوم على حقه لم يجز لأنك لاتصف الموصول وهو أل هنا حتى يتم بصلته وصلته لم تتم بعد لأن حقه من صلة المعقب ومن تمامه

وتوجيه هذا الشاهد على ماذكره الشارح المحقق هو المشهور والمتداول بين الناس وهو ليعقوب بن السكيت ، وقال أبو حيان فى تذكرته : أنشده الفراء وهشام وهاجه بتذكير الضمير على أنه عائد على الحمار وقال : الطلب عندهما فى هذه الرواية مرفوع وفى البيت تخاريج أخر (ثانيها) لابى حاتم السجستانى قال : المظلوم جار على الضمير الذى فى المعقب يريد أنه بدل كل من الضمير لتساويهما فى المعني ، وقال العينى: هو بدل اشتمال من الضمير وفيه أن بدل الاشتمال لابد له من ضمير (ثالثها) لابى على الفارسى فى المسائل البصرية والقصرية ، وهو أن يكون المظلوم فاعل المصدر ويكون المصدر مضافا لمفعوله والمعقب حينئذ معناه الماطل يقال عقبني حقى أى مطلنى ، وعلى هذا فحقه مفعول المعقب لاغير ، وحينئذ لايجوز تقديم المظلوم عليه لما تقدم وكأنه قال طلب المظلوم الماطل حقه فتكون الهاء راجعة إلى المظلوم على نحو ضرب غلامه زيد لانها متصلة بالمفعول أى طلب المدين الماطل حقه أى حق المدين فأن الحق له لا للمستدين ، وقد يجوز أن تكون راجعة للمستدين تريد حقه أى الذى يجب عليه الخروج منه وكذلك قوله تعالى : « وليلبسوا عليهم دينهم » فأضاف الدين

إليهم لما كان واجبا عليهم الأخذ به وإن لم يكونوا متدينين به وكذا قوله تعالى « زينا لكل أمة عملهم » أى العمل الذى أمروا به وندبوا إليه وشرع لهم، قال : وعلى هذا يحتمل أن تكون راجعة إلى المعقب بأسره وأن تكون راجعة الى أل على قول أبى بكر وأن تكون راجعة إلى الذى دلت عليه أل على قول أبى عثمان ، ونسب أبو حيان فى تذكرته قول الفارسى إلى جماعة من قدماء اللغويين وقال : تلخيصه وهاج الحمار الأتان هيجانا مثل طلب المعقب حقه ، وقالوا : موضع المعقب نصب بالطلب وناصب الحق المعقب وفاعل الطلب المظلوم وتفسير يعقب حقه يطلبه مرة بعد أخرى. اه ولا يخفى أن هذا تخليط بين القولين (رابعها) لابن جنى فى المحتسب أن المظلوم فاعل حقه قال فى سورة النحل فى توجيه قراءة ابن سيرين « وان عقبتم فعقبوا » :أى ان تتبعتم فتتبعوا بقدر الحق الذى لكم ولا تزيدوا عليه ، قال لبيد :

حتى تهجَّر فى الرَّواح وهاجَه طَلَبُ المُعَقِّبِ إلى... آخره

أى هاجه طلبا مثل طلب المعقب حقه المظلوم أى عاذه ومنعه المظلوم فحقه على هذا فعل حقه يحقه أى لواه حقه . ويجوز طلب المعقب حقه فتنصب حقه بنفس الطلب مع نصب طلب كما تنصبه مع رفعه ، والمظلوم صفة المعقب على معناه دون لفظه أى أن طلب المعقب المظلوم حقه فى الموضعين جميعا ، هذا كلامه ، وعليه فينظر ما فاعل حقه مع نصب طلب وأما مع رفعه فهو فاعل هاجه ، وينظر أيضا ما موقع جملة «حقه المظلوم » من الأعراب ، على أن حقه بمعنى لواه حقه لم أجده فى كتب اللغة ، وقوله كما تنصبه أى تنصب الحق وقوله مع رفعه أى مع رفع الطلب وقوله فى الموضعين جميعا أى فى نصب الطلب ورفعه ، وبالجملة كلامه هنا خلاف كلام الناس ، وفيه تعقيد لا يظهر معه المراد فليتأمل ، وقال ابن برى فى شرح أبيات الأيضاح لأبى على : قوله « وهاجه» أى أثاره يعنى العير ، والفاعل التهجر أو الطلب ، والتقدير هاجه مثل طلبه المعقب فحذف المضاف ، ويروى « هاجها » أى هاج العير الأتان وطلب منصوبه على المصدر بما دل عليه المعنى أى طلب الماء كطلب المعقب ، وإن شئت جعلته مفعولا من أجله أى هاجها للطلب ، وحقه مفعول بالمصدر ، والمعقب فاعل أضيف إليه المصدر وهو الذى يتبع عقب الانسان فى طلب حق أو نحوه ، والمظلوم نعت للمعقب على الموضع ، وقال يعقوب : المعقب الماطل عقبنى حقى أي مطلنى فعلى هذا يكون المعقب

مفعولا والمظلوم فاعلا ، وقيل المظلوم بدل من الضمير فى المعقب ، انتهى كلامه.

ولبيد: هو ابن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة. الصحابى ، قدم على النبى صلى الله عليه وسلم سنة وفد قومه بنو جعفر بن كلاب فأسلم، وحسن إسلامه ، وكان لبيد وعلقمة بن علاثة العامريان من المؤلفة قلوبهم، وهو معدود فى فحول الشعراء المجودين ، كذا فى الاستيعاب ، وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : كنيته أبو عقيل ، وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم ، وكان الحرث الغسانى — وهو الأعرج — وجه إلى المنذر بن ماء السماء مائة فارس وأمره عليهم فساروا إلى عسكر المنذر وأظهروا أنهم أتوه داخلين عليه فى طاعته فلما تمكنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم فقتل أكثرهم ونجا لبيد فأتى ملك غسان فأخبره فحمل الغسانيون على عسكر المنذر فهزموهم فهو يوم حليمة ، وحليمة بنت ملك غسان ، وكانت طيبت هؤلاء الفتيان وألبستهم الأكفان ، ولما أسلم مع قومه رجع قومه إلى بلادهم وقدم هو الكوفة فأقام بها إلى أن مات فدفن فى صحراء بنى جعفر بن كلاب ، ويقال: إن وفاته كانت فى أول مدة معاوية ، ومات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة انتهى ، وقال فى الاستيعاب قد قيل إنه مات بالكوفة أيام الوليد ابن عقبة فى خلافة عثمان وهو أصم فبعث الوليد إلى منزله عشرين جزورا فنحرت عنه ، ثم قال ابن قتيبة : ولم يقل شعرا فى الأسلام إلا بيتا واحدا قال أبو اليقظان : وهو قوله :

الحمد لله إذ لم يأتنى أجَلى حتى كسانى من الأسلام سِرْبالا

وقال غيره : بل هو قوله :

ما عاتب المرءَ الكريمَ كنفسه والمرء يُصْلحه الجليسُ الصالح

وكتب عمر بن الخطاب إلى عامله المغيرة بن شعبة بالكوفة أن استنشد من عندك من شعراء مصرك ما قالوه فى الأسلام فأرسل إلى الأغلب العجلى أن أنشدنى فقال :

لقد طلبت هينا موجودا أرجزا تريد أم قصيدا

ثم أرسل إلى لبيد أن أنشدنى فقال : إن شئت ما عفى عنه يعنى الجاهلية قال: لا ما قلت فى الأسلام فانطلق إلى بيته فكتب سورة البقرة فى صحيفة ثم أتى بها فقال : أبدلنى الله هذه فى الأسلام مكان الشعر فكتب بذلك المغيرة إلى عمر فنقص من عطاء الأغلب.

خمسمائة و زادها فى عطاء لبيد فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة ، فكتب الأغلب إلى عمر يا أمير المؤمنين تنقص عطائى أن أطعتك ، فرد عليه خمسمائة وأقر لبيدا على الألفين والخمسمائة ، فلما كان زمن معاوية وأراد أن يجعل عطايا الناس ألفين قال له : هذان الفودان فما هذه العلاوة ؟ فقال له لبيد : أموت و يبقى لك الفودان والعلاوة و إنما أنا هامة اليوم أوغد ، فرق له و ترك عطاءه على حاله فمات بعد ذلك بيسير ولم يقبضها

و فى الاستيعاب : ذكر المبرد وغيره أن لبيدا كان شريفا فى الجاهلية والاسلام وكان نذر أن لا تهب الصبا إلا نحر وأطعم و أن الصبا هبت يوما وهو بالكوفة مقتر مملق فعلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، وكان أميرا عليها لعثمان . فخطب الناس فقال : إنكم قد عرفتم نذر أبى عقيل وما وكد على نفسه فأعينوا أخاكم . ثم نزل فبعث إليه بمائة ناقة وبعث الناس إليه فقضى نذره ، وفى خبر غير المبرد : فاجتمعت عند ألف راحلة وكتب إليه الوليد :

أرى الجزار يشحذ شفرتيه إذا هبت رياح أبى عقيل
أغر الوجه أبيض عامرىّ طويل الباع كالسيف الصقيل
وَفِي ابن الجعفرى بحلفتيه على العلات والمال القليل
بنحر الكوم إذ سحبت عليه ذيول صبا تجاوب بالأصيل

فقال لبيد لابنته : أجيبيه فقد رأيتنى وما أعيي بجواب شاعر . فأنشأت تقول :

إذا هبت رياح أبى عقيل دعونا عند هَبَّتِها الوليدا
أشمّ الأنف أصيدَ عبشميا أعان على مروءته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن ركباً عليها من بنى حام قعودا
أبا وَهْبٍ جزاك الله خيراً نحرناها وأطعمنا الوليدا
فعُدْ إن الكريم له مَعاد وظنى يا ابن أروى أن تعودا

فقال لها لبيد : قد أحسنت لولا أنك استزدته فقالت : والله ما استزدته إلا أنه ملك ولو كان سوقة لم أفعل ، وقالت عائشة رضى الله عنها : رحم الله لبيدا حيث يقول :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

لا ينفعون ولا يُرَجَّى خيرهم ويعاب قائلهم وإنْ لم يشغب

قالت : فكيف لو أدرك زماننا انتهى

والخلف بسكون اللام النسل الطالح وبفتح اللام النسل الصالح والشغب — بالتحريك — تهييج الشر

ثم قال ابن قتيبة : وملاعب الأسنة عم لبيد وهو عامر بن مالك وسمى ملاعب الأسنة بقول أوس بن حجر :

ولاعَبَ أطرافَ الأسنة عامرٌ فراح له حظ الكتيبة أجمعُ

وكان ملاعب الأسنة أخذ أربعين مرباعا فى الجاهلية ، وأربد بن قيس — الذي أتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غادرا مع عامر بن الطفيل — هو أخو لبيد لأمه فدعا الله عليهما فمات عامر بالطاعون ونزلت صاعقة على أربد فأحرقته ويقال فيه نزلت : « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء » ورثاه لبيد بأشعار كثيرة ، انتهى

وروى أبو حاتم السجستانى فى كتاب المعمرين بسنده إلى الشعبي قال : أرسل إلى عبدالملك بن مروان وهو شاك ، فدخلت عليه فقلت : كيف أصبحت ياأمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحت كما قال ابن قميئة الشاعر :

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة خَلَعْتُ بها عنى عِذار لجام

رمتنى بناتُ الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يُرْمَى وليس برامى

فلو أنها نَبْلٌ إذاً لاتقيتها ولكننى أرمى بغير سهام

إذا ما رآنى الناس قالوا ألم تكن جليداً شديدَ البطش غيرَ كَهام

فنيت ولم يفن من الدهر ليلة ولم يفن ما أفنيت سلك نظام

على الراحتين مرة وعلى العصا أنوء ثلاثا بعدهن قيامى

فقلت : لا ياأمير المؤمنين ولكنك كما قال لبيد بن ربيعة :

نفسى تَشَكّى إلىّ الموتَ مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

فان تزادى ثلاثا تبلغى أملا وفي الثلاث وفاء للثمانينا

فعاش والله حتى بلغ تسعين حجة فقال :

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عن منكبىّ ردائيا

فعاش حتى بلغ عشراو مائة سنة فقال ذلك :

أليس في مائة قد عاشها رجل وفى تكامل عشر بعدها عمر

فعاش والله حتى بلغ عشرين سنة ومائة فقال فى ذلك :

وغنيت ستا بعد مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود

فعاش حتى بلغ أربعين ومائة سنة فقال فى ذلك :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

فقال عبد الملك : والله مابي بأس ، اقعد حدثنى مابينك وبين الليل ، فقعدت فحدثته حتى أمسيت ثم فارقته فمات فى ليلته

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه) ه

١٢٣ فان لم تجد من دون عدنان والداً ودون معد فلتزعك العواذل

على أن دون بالنصب معطوف على محل الجار والمجرور أعنى من دون

وكذلك أورده سيبويه فقال: وقال فأن لم تجد دون عدنان والداً ودون معد، قال ابن هشام فى المغنى : شرط العطف على المحل إمكان ظهور ذلك المحل فى الفصيح نحو ليس زيد بقائم ولا قاعدا فأنه يجوز أن تسقط الباء وتنصب ولا يختص مراعاة الموضع بان يكون العامل فى اللفظ زائدا كما مثل بدليل .

فأن لم تجد من دون عَدْنَانَ والداً «البيت»

وهذا البيت من قصدة أزيد من خمسين بيتا للبيد بن ربيعة الصحابى رثى بها النعمان ابن المنذر ملك الحيرة وأولها :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل ؟
حبائله مبثوثة فى سبيله ويَفْنَى إذا ما أخطأته الحبائل
إذا المرء أسرى ليلة خال أنه قضي عملا(١) والمرء ماعاش عامل
فقولا له إن كان يقسم أمره ألما يعظك الدهر أمك هابل
فتعلم أن لا أنت مدركُ ما مضى ولا أنت مما تحذر النفس وائل

(١) يروى : عاملا

فان أنت لم تصدقك نفسك فانتسب   لعلك تهديك القرون الأوائل
فأن لم تجد من دون عدنان باقيا   ودون معد فلتزعك العوازل
أرى الناس لايدرون ما قدر أمرهم   بلى كل ذى رأى الى الله واسل
ألا كل شىء ما خلا الله باطل   وكل نعيم لا محالة زائل
وكل أناس سوف تدخل بينهم   دويهية تصفر منها الأنامل
وكل امرئ يوما سيعلم سعيه   إذا كشفت عند الاله الحصائل

قوله « ألا تسألان المرء البيت » يأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى ماذا ، وقوله حبائله مبثوثة البيت الحبائل جمع حبالة وهى الشرك والضمير للموت وأراد بحبائله الأحداث التي هى سبب الموت، ومبثوثة منصوبة على طرقه . والهاء بسبيله عائدة على المرء ويفنى يهرم وسرى وأسرى بمعنى يقول: إذا سهر المرء ليلة فى عمل ظن أنه قد فرغ منه وهو ماعاش يعرض له مثل ذلك وهو أبدا مادام حيا لاينقطع عمله ولاحوائجه ، وقوله « فقولا له ان كان الخ » اقسم بمعنى قدر يعنى قولا له إن كان يدبر أمره و ينظر فيه ألم يعظك من مضى قبلك فى سالف الدهر هل رأيته بقى عليه أحد ثم دعا عليه فقال أمك هابل ، يقال هبلته أى ثكلته ، وقوله فتعلم بالنصب جواب لما ، وأن مخففة من الثقيلة ، ووائل من وألت النفس بمعنى نجت والموئل المنجى ، وقوله « فان انت لم تصدقك الخ » يقول إن لم تصدقك نفسك عن هذه الأخبار بل كذبتك فانتسب أى قل أين فلان بن فلان فأنك لاترى أحدا بقى لعلك تهديك هذه القرون وترشدك ، وروى فأن أنت لم ينفعك علمك فانتسب ، قال أبو على فى ايضاح الشعر : أنت مرتفع بفعل فى معنى هذا الظاهر أى فأن لم تنتفع ، ولو حمل أنت على هذا الفعل الظاهر الذى هو ينفعك لوجب أن يكون موضع أنت اياك لان الكاف الذى سببه مفعولة منصوبة ، وهذا أولى من تقدير ابن قاسم فى شرح الألفية أن أصله فأن ضللت لم ينفعك ، وزاد الفارسى على الوجه الثانى أن فيه إنابة الضمير المرفوع عن المنصوب ، والقرون جمع قرن وهو أهل زمان واحد ، وقوله فأن لم تجد الخ تزعك تكفك قال أبو الحسن الطوسى فى شرح ديوان لبيد : وزعه يزعه بالفتح ويزعه بالكسر وزعا ووزوعا اذا كفه ، وعدنان جده الأعلى لأن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان يقول: لم يبق لك أب حى إلى عدنان فكف عن الطمع فى الحياة ، ومعنى البيتين أن غاية الأنسان الموت

فينبغي له أن يتعظ بأن ينسب نفسه إلى عدنان فأن لم يجد من بينه و بينه من الآباء باقيا فليعلم أنه يصير إلى مصيرهم وينبغي له أن ينزع عما هو عليه. والعواذل هنا حوادث الدهر و زواجره و إسناد العذل إليها مجاز، وقال الطوسى: العواذل النساء. وقوله أرى الناس الخ الواسل الطالب الذى يطلب من قولك أنت وسيلتى إلى فلان، واستشهد به صاحب الكشاف على أن الوسيلة فى قوله تعالى: «وابتغوا اليه الوسيلة» ما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الخيرات واجتناب المعاصى. والواسل هو الراغب إلى الله بمعنى ذو وسيلة أوهو كتامر ولابن. وروى «لب» وهو العقل بدله «رأى» والمعنى أرى الناس لا يعرفون ماهم فيه من خطر الدنيا وسرعة زوالها فالعاقل اللبيب من يتوسل إلى الله تعالى بالطاعة والعمل الصالح، وقوله ألا كل شيء الخ قد وقع فى بعض الروايات هذا البيت أول القصيدة فى صحيح البخارى و مسلم عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد:

ألا كل شيء ماخلا الله باطل

وفى رواية لها «أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد الخ» وقد روى أيضاً بألفاظ مختلفة منها «إن أصدق كلمة» ومنها «إن أصدق بيت قاله الشاعر» ومنها «أصدق بيت قالته الشعراء» وكلها فى الصحيح ومنها «أشعر كلمة قالتها العرب» قاله ابن مالك فى شرح التسهيل، وكلها من وصف المعانى بما يوصف به الأعيان كقولهم «شعر شاعر» ويصاغ منه أفعل باعتبار ذلك المعنى فيقال شعرك أشعر من شعره وروى ابن إسحق فى مغازيه أن عثمان بن مظعون مر بمجلس من قريش فى صدر الأسلام ولبيد بن ربيعة ينشدهم

ألا كل شيء ماخلا الله باطل

فقال عثمان: صدقت. فقال لبيد:

و كل نعيم لامحاله زائل

فقال عثمان: كذبت نعيم الجنة لايزول أبداً فقال لبيد: يامعشر قريش والله ماكان يؤذى جليسكم فتى حدث هذا فيكم؟ فقال رجل: إن هذا سفيه من سفهائنا قدفارق ديننا فلا تجدن فى نفسك من قوله، فرد عليه عثمان فقام اليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها فقال الوليد بن المغيرة لعثمان: إن كانت عينك لغنية عما أصابها لم رددت جوارى

فقال عثمان: بل والله إن عينى الصحيحة لفقيرة لمثل ما أصاب أختها فى الله لا حاجة لى فى جوارك

وروى أحمد بن حنبل فى زوائد الزهد أن لبيدا قدم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال:

ألا كل شىء ماخلا الله باطل

فقال: صدقت قال:

وكل نعيم لا محالة زائل

فقال: كذبت عند الله نعيم لا يزول، فلما ولى قال أبو بكر: ربما قال الشاعر الكلمة من الحكمة

وأخرج السلفى فى المشيخة البغدادية: من طريق هاشم عن يعلى عن ابن جراد قال أنشد لبيد النبى صلى الله عليه وسلم قوله:

ألا كل شىء ماخلا الله باطل

فقال له: صدقت فقال:

وكل نعيم لا محالة زائل

فقال له: كذبت نعيم الآخرة لا يزول

وأجاب العينى عن ذلك من وجهين (الأول) أن لبيدا إنما قال ذلك قبل أن يسلم فيمكن أن يكون فى اعتقاده فى ذلك الوقت أن الجنة لا وجود لها أو كان يعتقد وجودها ولكن لا يعتقد دوامها كما ذهبت إليه طائفة من أهل الأهواء والضلال (والثانى) أنه يمكن أن يكون أراد به ما سوى الجنة من نعيم الدنيا لأنه كان فى صدد ذم الدنيا وبيان سرعة زوالها، وأما تكذيب عثمان إياه فلكونه حمل الكلام على العموم انتهى

وقال ابن حجر فى شرح البخارى فى باب الشعر: التعبير بوصف كل شىء بالبطلان تندرج فيه العبادات والطاعات وهى حق لا محالة وأجيب بأن المراد ما عدا الله وما عدا صفاته الذاتية والفعلية من رحمة وعذاب أو المراد بالبطلان الفناء لا الفساد وكل شىء سوى الله تعالى جائز عليه الفناء لذاته حتى الجنة والنار، وإنما يبقيان بإبقاء الله تعالى لهما وخلق الدوام لأهلهما والحق — على الحقيقة — من لا يجوز عليه الزوال لذاته انتهى

ومثله للسيوطى فى البدور السافرة عند ذكر قوله تعالى «كل شىء هالك إلا وجهه»

أي قابل للهلاك وكل محدث قابل لذلك وإن لم يهلك ، بخلاف القديم الأزلي، ويؤيد ذلك أن العرش لم يرد خبر أنه يهلك فتكن الجنة مثله ، وقال في موضع آخر من ذلك الكتاب : وفي بحر الكلام قال أهل السنة : سبعة لاتفنى :العرش، والكرسي، واللوح والقلم، والجنة، والنار، بأهلهما، والأرواح ، وقال صاحب المفهم شرح مسلم وكذا البيهقي وغيره من المحدثين : إن هذه السبعة يقع لها هلاك نسبي وهو غشيان يمنع الاحساس وفناء مامن الأوقات، قلت :والظاهر وقوع ذلك — على تقدير صحته — بين النفختين عند قوله عز وجل «لمن الملك اليوم» فلا يجيبه أحد كما وردت به الروايات انتهى ، والباطل هنا الذاهب الزائل ومعناه الهالك الفاني أي القابل للهلاك والفناء وقال بعضهم :الباطل في الأصل ضد الحق والمراد به هنا الهالك، وقال العيني : الباطل ضد الحق ،وفي عرف المتكلمين الباطل الخارج عن الانتفاع والفاسد يقرب منه والصحيح ضده ومقابله، وفي عرف الشرع الباطل من الأعيان مافات معناه المقصود المخلوق له من كل وجه بحيث لم يبق إلا صورته ولهذا يذكر في مقابلة الحق الذي هو عبارة عن الكائن الثابت وفي الشرع يراد به ماهو المفهوم منه لغة وهو ماكان فائت المعنى من كل وجه مع وجود الصورة إما لانعدام محلية التصرف كبيع الميتة والدم أو لانعدام أهلية المتصرف كبيع المجنون والصبي الذي لايعقل .فان قلت مامعناه هنا قلت المعنى كل شيء سوى الله تعالى زائل فائت مضمحل ليس له دوام انتهى، والمحالة — بفتح الميم — الحيلة قال الجوهري : قولهم لامحالة أي لابد ، وقوله وكل أناس سوف تدخل بينهم الخ يأتي شرحه إن شاء الله تعالى في ماذا وقوله «وكل أمرىء يوما الخ» سعيه عمله، والحصائل الحسنات والسيئات التي بقيت له عند الله تعالى وهو بالحاء والصاد المهملتين

ثم شرع بعد هذا في تقلب الدهر بأهله وبدأ بذكر النعمان وما كان فيه من سعة الملك ونعيم الدنيا ثم ذكر ملوك الشام آل غسان ومافعل الدهر بهم فبادوا كأن لم يكونوا فقال:

لِيَبْكِ على النُّعْمانِ شَرْبٌ وقَيْنَةٌ وَمُخْتَبِطَاتٌ كالسَّعالى أَرامِلُ

الشرب جمع شارب يريد أصحابه الذين كان يشاربهم ، والقينة الخادم والمختبطات الفرق السائلات المعروف، والسعالى الغيلان، شبه السائلات بها في سوء حالهن وقبحهن والأرامل المحاويج الجياع من أرمل القوم إذا نفد زادهم وجاعوا

وقال في آخر القصيدة :

فأمسى كأحلام النيّامِ نَعيمُهُمْ وَأَىُّ نعيم خِلْتَهُ لا يُزَايِلُ

فظهر بهذا أن هذه القصيدة ليست فى مدح النعمان كما زعم من تكلم على هذه الأبيات بل هى بالرثاء أشبه لاسيما أوائل القصيدة فأنها تناسب ماقلنا، والله أعلم

وترجمة لبيد تقدمت فى البيت الذى قبل هذا البيت

وأنشد بعده

(وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد المائة)

وهو من شواهد سيبويه

١٢٤ فلسنا بالجبال و لا الحديدا

على أن قوله الحديدا معطوف على محل الجار والمجرور وهو قوله بالجبال وهو خبر ليس والباء زائدة وكذلك أورده سيبويه

وهو عجز وصدره

مُعَاوِىَ إننا بَشَرٌ فأَسْجِح

ومعاوى منادى مرخم معاوية بن أبى سفيان ، وأسجح — بقطع الهمزة وتقديم الجيم على المهملة — ومعناه ارفق وسهل، وخد أسجح أى طويل سهل. وقد رد المبرد على سيبويه روايته لهذا البيت بالنصب وتبعه جماعة منهم العسكرى صاحب التصحيف قال : ومما غلط فيه النحويون من الشعر وأوردوه موافقا لما أرادوه ما روى عن سيبويه عند ما احتج به فى نسق الاسم المنصوب على المخفوض وقد غلط على الشاعر لأن هذه القصيدة مشهورة وهى مخفوضة كلها وهذا البيت أولها وبعده

فهبا أمة ذهبت ضياعا يزيد أميرها وأبو يزيد

أكلتم أرضنا فجردتموها (١) فهل من قائم أو من حصيد

أتطمع في الخلود إذا هلكنا وليس لنا ولا لك من خلود

ذروا خون الخلافة واستقيموا وتأمير الأراذل والعبيدِ

وأعطونا السَّوِيَّةَ لا تَزُرْكم جنود مردفات بالجنود

(١) يروى : « فجرزتموها »

وهذا الشعر لعقيبة بن هبيرة الأسدى ، شاعر جاهلى إسلامى ، وفد على معاوية بن أبى سفيان فدفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات فدعاه معاوية فقال له : ما جرأك على؟ قال : نصحتك إذ غشوك وصدقتك إذ كذبوك . فقال: ما أظنك إلا صادقا ، فقضى حوائجه .

ويروى أن أبا بردة بن أبى موسى الأشعرى جاء إلى معاوية فقال له : يا أمير المؤمنين إن عقيبة أخا بنى أسد هجانى فقال : وما قال لك ؟ قال : قال لى :

فما أنا من حراث أمك بالضحى

فقال له معاوية : ليس من حراثها قال: وقال لى :

ولا من يزكيها بظهر مغيب

فقال معاوية : لكن الله ورسوله والمهاجرين والأنصار يزكونها، وكانت تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وقال لى :

وأنت امرؤ فى الأشعرين مقابل

فقال : صدق قال : وقال لى :

وفى البيت والبطحاء حق غريب

فقال : صدق ليس لك فى البيت ولا فى البطحاء حق . قال : يا أمير المؤمنين فندعه على هذا قال : ما قال لى أشد مما قال لك وقرأ له الأبيات . فقال : يا أمير المؤمنين ما تصنع به ؟ قال : تعال ندع الله عليه

وعقيبة ـ بالقاف ـ يحتمل أن يكون مصغر عقبة ـ كظلمة ـ وهى بقية المرق ونحو ذلك ترد فى القدر المستعارة أو مصغر العقبة بمعنى النوبة يقال: تمت عقبتك وهما يتعاقبان أى يتناوبان

وقوله فجردتموها أى قشرتموها كما يجرد اللحم من العظم ، وقوله فهل من قائم يعنى القرى التى أهلكت منها قائم قد بقيت حيطانه ومنها حصيد قد امحى أثره . والخون ـــ بفتح الخاء وسكون الواو ـــ مصدر كالخيانة ، والتأمير تفعيل من الأمارة ، والسوية المساواة والنصفة ، ولم أر لعقيبة هنا ذكرا فى كتب الصحابة ولم يذكره ابن

حجر أيضا فى الأصابة من المخضرمين والظاهر أنه من المخضرمين

وأجاب الزمخشرى تبعا لما قاله ابن الأنبارى فى الأنصاف بأن هذا البيت روى مع أبيات منصوبة ومع أبيات مجرورة: فمن رواه بالجر روى معه الأبيات المتقدمة. ومن رواه بالنصب روى معه:

أُديروها بنى حَرْبٍ عليكم ولا تَرْمُوا بِها الْغَرَضَ البعيدا

يقول: ضموا الخلافة والولاية إليكم ولا ترموا بها أقصى المرامى، أى لا تطرحوا النظر فى أمرنا وتتركونا مع الولاة الذين من قبلكم يجورون علينا. وهذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدى. قالوا: وليس ينكر أن يكون بيت من شعرين معا لأن الشعراء قد يستعير بعضهم من كلام بعض وربما أخذ البيت بعينه ولم يغيره. كقول الفرزدق:

ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

فأن هذا البيت لجميل بن عبد الله انتحله الفرزدق. وأورد ابن خلف نظير هذا فى شرح أبيات الكتاب ما يزيد على مائة بيت

ومثل ما نحن فيه قول الأخنس بن شهاب اليشكرى

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب

والقصيدة مرفوعة القوافى وأخذه قيس بن الخطيم وجعله فى قصيدة مجرورة القوافى وسيأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى الظروف

وزعم السيرافى أن شعر عقيبة الأسدي يجوز فى انشاد قوافيه الجر والنصب قال اللخمى فى شرح أبيات الجمل: وهذا وهم لأن فيها ما يجوز فيه الوجهان عند البصريين ومنها ما لا يجوز فيه عندهم الا وجه واحد. ولا يجوز أن ينشد بعض القصيدة منصوبا وبعضها مرفوعا على طريق الأقواء لأن الأقواء فى الغالب إنما يكون بين المرفوع والمجرور لما بينهما من المناسبة. فأما ما يصح فيه الوجهان فالبيت الاول والثالث والخامس والنصب فيه عطف على خون الخلافة ويجوز أن يكون معطوفا على تأمير الاراذل على حذف مضاف. فأما البيتان الباقيان فلا يصح فيهما النصب على مذهب البصريين ويجوز على مذهب الكوفيين لانهم يجيزون ترك صرف ما لا ينصرف فى الشعر ضرورة اهـ

ولا يخفى أن الكوفيين إنما يجيزون ترك صرف المنصرف إذا كان علما يكتفون بشطر العلة كما هو المشهور . وقدمنا فى أول باب ما لا ينصرف ما يغنى عن إعادته هنا . وقيل إنه من شعر آخر لعبد الله ابن الزبير وهو :

رمى الحِدْثانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ ... بمقدار سَمَدْنَ له سُمودا
فرد شعورهن السود بيضاً ... ورد وجوههن البيض سودا
فأنك لو سمعت بكاء هند ... ورملةَ إذ تصُكَّان الخدودا
سمعتَ بكاء باكية حزين ... أبان الدهر واحدَها الفقيدا
معاوِىَ اننا بشرٌ فاسجح ... « البيت »

ولا يخفى انهذا البيت أجنبي من هذه الأبيات . و يدل عليه أن أبا تمام أنشدهذه الأبيات لمن ذكرنا فى باب المراثى من الحماسة بدون البيت الأخير ولم يذكره أحد من شراحه

والحدثان — بالتحريك — [1] الحادثة ونائبة الدهر والمقدار ما قدره الله تعالى وفيه قلب أى رمى تقدير الله نسوة آل حرب بحدثان والسمود تغير الوجه من الحزن

وابن الزبير هو عبد الله بن الزبير بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة — بفتح الموحدة والجيم — و ينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمة . والزبير — بفتح الزاى وكسر الموحدة — وعبد الله شاعر كوفى المنشأ والمنزل ، وهو من شعراء الدولة الأموية ومن شيعتهم والمتعصب لهم . فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أتى به أسيرا فمن عليه و وصله وأحسن إليه فمدحه وأكثر من مدحه وانقطع إليه فلم يزل معه حتى قتل ، وعمى بعد ذلك ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان ، وكان الحجاج أرسله فى بعث إلى الرى فمات بها ، وكان واحد الهجائين يخاف الناس شره ، وله حكايات مسطورة فى الأغانى

ومن شعره يمدح عمرو بن عثمان بن عفان وكان رآه عمرو فى ثياب رثة فاقترض ثمانية آلاف درهم باثنى عشر ألف وأرسلها إليه مع رزمة ثياب فقال — وهو من أبيات تلخيص المفتاح — :

سأشكر عمرا إن تراخت منيتى ... أيادىَ لم تمنن وإن هى جلت

(١) ضبطه فى القاموس بكسر أوله وسكون ثانيه

فتىً غيرُ محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتى من حيث يخفى مكانُها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

ومدح أسماء بن خارجة الفزارى بقصيدة منها :

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله
ولو لم يكن فى كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

فأثابه أسماء ثوابا لم يرضه فغضب وقال يهجوه :

بنت لكم هند بتلذيع بظرها دكا كين من جص عليها المجالس
فوالله لولا رهز هند ببظرها لعد أبوها في اللئام العوابس

فبلغ ذلك أسماء فركب إليه واعتذر إليه من ضيق يده وأرضاه وجعل له على نفسه وظيفة فى كل سنة فكان بعد ذلك يمدحه ويفضله . وكان أسماء يقول لبنيه : والله ما رأيت قط جصا فى بناء إلا ذكرت بظر أمكم هند فخجلت

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد المائة)

١٢٥ يسمعها لاهه الكبار

على أنه إنما جاز يا ألله للزوم اللام للكلمة فلا يقال لاه إلا نادرا كما فى هذا الشعر وإنما عبر بقيل لأن أبا على الفارسى قال : أل عوض من الهمزة إذ أصله أله . ويدل على ذلك استجازتهم لقطع الهمزة فى القسم والنداء . فلو كانت غير عوض لم تثبت كما لم تثبت فى غير هذا الاسم . ولا يجوز أن يكون للزوم الحرف لأن ذلك يوجب أن تقطع همزة الذى والتى . ولا يجوز أيضا أن يكون لأنها همزة مفتوحة وإن كانت موصولة كما لم يجز فى ايم الله وايمن الله ، ولا يجوز أيضا أن يكون ذلك لكثرة الاستعمال لأن ذلك يوجب أن تقطع الهمزة أيضا فى غير هذا مما يكثر استعمالهم له . فعلمنا أن ذلك لمعنى اختصت به ليس فى غيرها ، ولا شىء أولى بذلك المعنى من أن يكون للعوض من الحرف المحذوف الذى هو الفاء اهـ

وكون لفظ الجلالة أصله لاه هو أحد قولى سيبويه فيه . واختاره المبرد ، قال :

أصله لاه على فعل — مثل ضرب — ثم دخلت أل عليه تعظيما لله عز وجل وإبانة له عن كل مخلوق . فهو اسم وإن كان فيه معنى فعل ، وأصل لاه لوه أوليه ، قال : ولو كان كما ذكر سيبويه أن أصله ألاه لكان قد حذف فاء الفعل وعينه ، لأنه يحذف همزة أله وهى فاء الفعل ثم تذهب العين إذا دخل الألف واللام ، ولم نر شيئا يحذف فاؤه وعينه . قال السخاوى فى سفر السعادة : وليس كما قال فأن عينه باقية لم تحذف والعجب من السخاوى حيث نقل عن المبرد بأن قول ابن عباس : الله هو الله ذو الألوهية يألهه الخلق وقرأ ابن عباس «ويذرك والهتك» أى وعبادتك لأنهم كانوا يعبدون فرعون اه — : يؤيد القول بكون أصله لاه ، ولم يتعقبه بشىء مع أنه إنما يؤيد من قال إن أصله أله فتأمل

وقال ابن الشجرى فى أماليه : والذى ذهب إليه سيبويه من أن أصل هذا الاسم أله قول يونس والأخفش والكسائى والفراء وقطرب . وقال — بعد وفاقه لهؤلاء — : وجائز أن يكون أصله لاه وأصل لاه ليه على وزن فعل ثم أدخل عليه أل ، واستدل بقول بعض العرب « لهى أبوك » يريدون لاه أبوك ، قال : فتقديره على هذا القول فعل والوزن وزن باب ودار . وأنشد: «لاهه الكبار» وقوله: «لاه ابن عمك» البيت[1] اه كلام سيبويه وأقول : لاه على هذا تام على وزن جبل ومن قال لهى أبوك فهو مقلوب من لاه . قدمت لامه التى هي الهاء على عينه التى هي الياء فوزنه فلع . وكان أصله بعد تقديم لامه على عينه للهى . فحذفوا لام الجر ثم لام التعريف وضمنوه معنى لام التعريف فبنوه كما ضمنوا معناها أمس فوجب بناؤه وحركوا الياء لسكون الهاء قبلها وكانت فتحة لخفتها اه كلام ابن الشجرى

(أقول) : البيتان اللذان أوردهما ليسا فى كتاب سيبويه وليس فى الشعر دليل على أن الله أصله لاه لجواز أن يكون لاه مخفف إله حذفت الهمزة لضرورة الشعر بدليل الجمع على آلهة دون ألوهة أو أليهة

وقال خضر الموصلى : استشهد به على أن أصل الله لاه لأن الضرورة ترد الأشياء إلى أصولها ، وفيه نظر لجواز أن يكون لاه لفظا مستقلا برأسه بمعنى إله اه

---

(١) يشير بالأول إلى البيت الشاهد وبالثانى إلى قول ذى الأصبع العدوانى:

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب * عنى ولا أنت ديانى فتخزونى

قال أبو علي فى نقض الهاذور : فأن قيل : قد قال الشاعر : « لاهه الكبار »لقد أخرج الالف واللام من الاسم وأضافه. قيل إن الشاعر لما رأى الألف واللام فيه على حد ما يكون فى الصفات التى تغلب ورأى أن هذه الصفات إذا غلبت صارت كالأعلام فلا تحتاج إلى حرف التعريف فيها كما لم يحتج إليها فى الأعلام أخرجه على ذلك كما قال الآخر :

ونابغة الجَعْدىّ بالرمل بيته

حيث غلب الوصف فصار يعرف به كما يعرف بالعلم فكذلك الاسم . ومع هذا فكأنه رد الاسم للضرورة إلى الأصل المرفوض الاستعمال . وهذا لا يجوز استعماله سائغا مطردا

والأزهرى أورد هذا الشعر على غير هذه الرواية ، قال فى التهذيب : وقد كثر اللهم فى الكلام حتى خففت ميمها فى بعض اللغات وأنشدنى بعضهم :

كحلْفَةٍ مِنْ أبى رِياحٍ يَسْمَعُها اللهم الكُبار

وإنشاد العامة :

يسمَعُها لاهُهُ الكُبارُ اه

وأورده جماعة من النحويين منهم المرادى فى شرح الألفية

يسمعها لاهُمُ الكُبار

على أن فيه شذوذين (أحدهما) استعماله فى غير النداء لأنه فاعل يسمعها (والثانى) تخفيف ميمه وأصلها التشديد ، وقال العسكرى فى كتاب التصحيف : روى الأصمعى

يسمعها الْوَاحِدُ الْكبار

ورواية غيره « لاهه » اه

قال أبو علي فى نقض الهاذور : وأما قول من قال « لاهم الكبار » فالقول فيه أنه بنى من الاسم والصوت اسما كما بنى التهليل من هلل وبأبأ من بأبى ثم صار اسما كما صارت هذه الأشياء اسما ، وأصله الصوت اه

والكبار وصفه قال ابن عقيل فى شرح التسهيل : ومذهب سيبويه والخليل أن اللهم فى النداء لا يوصف لكونه مع الميم كالصوت وأما « لاهم الكبار » فقيل فيه لما كان

غير منادى وصف ، وقيل : رفع على القطع ، وأبو رياح رجل من بنى ضبيعة وهو حصن ابن عمرو بن بدر . وكان قتل رجلا من بنى سعد بن ثعلبة فسألوه أن يحلف أو يعطى الدية فحلف ثم قتل بعد حلفته فضربته العرب مثلا لما لا يغنى من الحلف . قاله ابن دريد فى شرح ديوان الأعشى . وهو بمثناة تحتية لا بموحدة كما زعم شراح الشواهد . قال العسكرى فى كتاب التصحيف : زعم بعض المصحفين أن الأنسان إذا صحف فى مثل هذا لم يكن ملوماً. وليس كما قال. وهل العيب واللوم إلا على تصحيف الأسماء. وليس يعرف فى أسماء العرب فى الجاهلية رباح بباء تحتها نقطة واحدة إلا فى أسماء عبيدها إلا فى اسم رجلين. (أحدهما) رباح بن المغترف بغين معجمة وآخر ، وأما قول الأعشى

كحلْفَةِ من أبى رياح

فهو بياء تحتها نقطتان من بنى تيم بن ضبيعة اه والكبار بضم الكاف وتخفيف الموحدة صيغة مبالغة الكبير بمعنى العظيم وهو صفة لاهه . والحلفة — بالفتح — المرة من الحلف بمعنى القسم . وقوله من أبى رياح صفة لحلفة أى كحلفة صادرة منه وروى بدل يسمعها « يشهدها » والضمير للحلفة والجملة صفة ثانية لحلفة وقبله :

أقسمتم حلفا جهارا أن نحن ما عندنا عِرار

وحلف جمع حالف . وأن مخففة من الثقيلة ، وعرار بكسر المهملة اسم رجل والبيتان من قصيدة لأعشى ميمون ذكر فيها من أهلكه الدهر من الجبابرة ومطلعها :

ألم تروا إرما وعادا أفناهمُ الليل والنهار
وقبلهم غالتِ المنايا طَسْماً فلم ينجها الحذار
وحل بالحى من جديس يوم من الشر مستطار
وأهل جوّ أتت عليهم فأفسدت عيشهم فباروا
فصبّحتهم من الدواهى نائحة عقبها الدمار
ومرّ دهر على وَبَار فهلكت جَهْرَة وبارُ

الرؤية علمية . وجملة أفناهم هو المفعول الثانى ، لا أنها بصرية خلافا للعينى ، وروى « أودى بها الليل والنهار » وهو بمعنى أفناهم ، وإرم — بكسر الهمزة — قال البكرى

فى معجم ما استعجم : هو أبو عوض — بالضاد وفتح العين — وعاد ابن عوض وإرم هو ابن سام بن نوح عليه السلام قال الهمدانى : نزل جيرون بن سعد بن عاد دمشق وبنى مدينتها فسميت باسمه جيرون قال : وهى إرم ذات العماد يقال إن لها أربعمائة ألف عمود من حجارة . قال : وإرم ذات العماد المعروفة بتيه أبين . وبجانب هذا التيه منهل أهل عدن . وبتيه أبين مسكن إرم بن سام بن نوح فلذلك يقال إن إرم ذات العماد فيه . واختلف أهل التأويل فى معنى إرم فقال بعضهم : إرم بلدة وقيل إنها دمشق وقيل هى الاسكندرية وقال مجاهد : إرم أمة وقال غيره من عاد ومعنى ذات العماد على هذا ذات الطول . وطسم وجديس قبيلتان من عاد كانوا فى الدهر الأول فانقرضوا

وبيان انقراضهم كما قال محمد بن حبيب فى كتاب المغتالين : أن ملك طسم عمليق ابن لوز بن إرم بن سام بن نوح تعدى فى الظلم والتجبر وأتته يوماً امرأة من جديس اسمها هزيلة ـ وكان زوجها طلقها وأراد أخذ ولدها منها — فقالت : أيها الملك إنى حملته تسعاً . ووضعته دفعاً . وأرضعته شفعاً . حتى إذا تمت أوصاله ، أراد أن يأخذه كرهاً . وأن يتركنى من بعده ورهاً ، فقال لزوجها : ما حجتك قال : أيها الملك إنها قد أعطيت المهر كاملا . ولم أصب منها طائلا . إلا وليداً خاملا ، فافعل ما كنت فاعلا فأمر بالغلام أن ينزع منهما جميعاً ويجعل فى غلمانه وقال لهزيلة : ابغيه ولداً . ولا تنكحى أحداً . أو اجزيه صفداً . فقالت هزيلة ، أما النكاح فانما يكون بالمهر . وأما السفاح فأنما يكون بالقهر ، ومالى فيهما من أمر . فلما سمع عمليق كلامها أمر أن تباع مع زوجها فيعطى زوجها خمس ثمنها وتعطى هزيلة عشر ثمن زوجها ويسترقا فأنشأت تقول :

أتينا أخا طَسْم ليحكم بيننا فأنفذ حكما فى هزيلة ظالما
لعمرى لقد حكمت لا متورعاً ولا كنت فيما يبرم الحكم عالما

فلما سمع عمليق كلامها أمر أن لا تزوج بكر من جديس فتهدى إلى زوجها إلا يفترعها هو قبل زوجها ؛ فلقوا من ذلك جهداً وذلا ، فلم يزل على هذا أربعين سنة ، حتى زوجت الشموس عميرة بنت غفار الجديسية ، أخت الأسود الذى وقع إلى جبلى طيء وسكنوا الجبلين بعده فلما أرادوا أن يهدوها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عمليق لينالها قبله ومعها القينات يغنين ويقلن :

إبدىْ بعمليق وقومى وأركبي ... وبادرى ٱلصبح لأمر معجب

فسوف تلقين ٱلذى لم تطلبي ... وما لبكر عنـده من مهرب

فلما دخلت عليه افترعها وخلى سبيلها فخرجت إلى قومها فى دمائها شاقة درعها عن قبلها ودبرها وهى تقول :

لا أحدا أذل من جديس ... أهكذا يفعـــل بالعروس

يرضي بهـــــذا يالقومى حر ... أهدى وقد أعطي وسيق المهر

لأخـذة الموت كذا لنفسـه ... خير من أن يفعـل ذا بعرسـه

وقالت تحرض قومها :

أيصلح ما يؤتى إلى فتيـاتـكم ... وأنتم رجال فيـكمُ عدد النمل

وتصبح تمشي في الدماء صبيحةً ... شميسة زفت فى النساء الى البعل

فان أنتم لم تغضبوا بعـد هذه ... فكونوا نساءلاتغب من الخل(١)

ودونكم طيبَ العروس فأنمـا ... خلقتم لأثواب العروس وللغسـل

فلو أننا كنا رجالا وأنتم ... نساء لـكنا لانقيم على الذل

فبعدا وسحقا للذى ليس رافعاً ... ويختال يمشى بيننا مشية الفحل

فموتوا كراماً أو أميتوا عدوكم ... ودنوا لنارالحرب بالحطب الجزل

فلما سمع قولهاأخوها الأسودـــوكان سيدا مطواعاـــقال لقومه : يامعشر جديس إن هؤلاء القوم ليسوا بأعز منكم فى داركم إلا بما كان من ملك صاحبهم علينا وأنتم أذل من النيب فأطيعونى يكن لكم عز الدهر وذهاب ذل العمر . فقالوا : نطيعك ، ولـكن القوم أكثر منا وأقوى . قال : فأنى أصنع للدلك طعاما ثم أدعوهم إليه فأذا جاءوا يرفلون فى حللهم مشينا إليهم بالسيوف فقتلناهم وأنا أنفرد بعمليق وينفرد كل واحد منكمبجليسه . فاتخذالأسود طعاما كثيرا وأمرالقومفاخترطوا سيوفهم ودفنوها فى الرمل . ودعاالقوم فجاءوا حتى إذا أخذوا مجالسهمومدوا أيديهم إلى الطعام أخذو

(١) يروى « من الكحل »

سيوفهم من تحت أقدامهم ، فشد الأسود على عمليق وكل رجل على جليسه فلما فرغوا من قتل الأشراف شـدوا على السفلة فأفنوهم ، ونجا بعض طسم فاستغاث بحسان ابن تبع فغزا حسان جديسا فقتلها وأخرب ديارهم وتفانى الحيان فلم يبق منهم أحـد

وجو —بفتح الجيم وتشديد الواو— هى منازل طسم وجديس وكان هذا الاسم فى الجاهلية حتى سماها الحميرى لما قتل المرأة التى تسمى اليمامة باسمها وقال الملك الحميرى

وقلنا وسموها اليمامة باسمها   وسرنا وقلنا لانريد إقامه

والعقب —بضم العين وسكون القاف— العاقبة والدمار الهلاك . وقوله « ومردهر على وبار الخ » هذا البيت من شواهد النحويين وأول من استشهد به سيبويه على أن وبار رفع ، والمطرد فيما كان آخره راء من وزن فعال أن يبنى على الكسر فى لغة الحجاز وأورده شراح الألفية شاهدا على ورود وبار على اللغتين إحداهما البناء على الكسر والثانية إعرابها إعراب مالا ينصرف ، وزعم أبو حيان أنه يحتمل أن يكون وبار الثانى فعلا ماضيا مسندا إلى الواو قال الأعلم : وبار اسم أمة قديمة من العرب العاربة هلكت وانقطعت كهلاك عاد وثمود ، وقال البكرى فى معجم مااستعجم : قال أبو عمرو : وبار بالدهناء بلاد بها إبل حوشية وبها نخل كثير لا يأبره أحد ولا يجده وزعم أن رجلا وقع إلى تلك الأرض فأذا تلك الأبل ترد عيناو تأكل من ذلك التمر ، فركب فحلا منها ووجهه قبل أهله فاتبعته تلك الأبل الحوشية فذهب إلى أهله ، وقال الخليل : وبار كانت محلة عاد وهي بين اليمن ورمال يبرين فلما أهلك الله عادا ورث محلتهم الجن فلا يتقاربها أحد من الناس وهي الأرض التى ذكرها الله تعالى فى قوله « واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون » وقال إسحق بن إبراهيم الموصلى كان من شأن دعيميص الرمل العبدى الذى يضرب به المثل فيقال « أهـدى من دعيميص الرمل » أنه لم يك أحد دخل أرض وبار غيره فوقف بالموسم بعد انصرافه من وبار وجعل ينشد :

من يعطنى تسعاً وتسعين نعجةً   هِجانا وأدما أهـدهِ لوبار

فلم يجبه أحد من أهل الموسم إلا رجل من مهرة فأنه أعطاه ما سأل وتحمل معه

فى جماعة من قومه بأهلهم وأموالهم فلما توسطوا الرمل طمست الجن بصر دعيميص واعترته الصرفة فهلك هو ومن معه جميعا

وترجمة الأعشى تقدمت فى الشاهد الثالث والعشرين

(وأنشد بعده)

وهو الشاهد السادس والعشرون بعد المائة)

١٢٦ معاذ الآله أن تكون كظبية ولا دمية ولا عقيلة ربرب

على أن أل فى الله بدل من همزة إله فلا يجمع بينهما إلا قليلا كما فى هذا البيت وهذا البيت من أبيات عشرة للبعيث بن حريث أوردها أبو تمام فى الحماسة وأولها:

خيال لأم السلسبيل ودونها مسيرة شهر للبريد المذبّب

فقلت له: أهلا وسهلا ومرحبا فردّ بتأهيل وسهل ومرحب

معاذ الآله أن تكون كظبية «البيت»

ولكنها زادت على الحسن كله كما لا ومن طيب على كل طيب

خيال مبتدأ خبره محذوف أى خيالها أتانى و بينى و بينها مسيرة شهر للبريد المسرع والخيال يذكر ويؤنث ونكره لأنه رآه على هيآت مختلفة فاعتقد أنه عدة خيالات قصد إلى واحد منها . وأم السلسبيل امرأة . ولو كان فى شعر مولد لجاز أن يعنى بالسلسبيل الريق على وجه التشبيه . والبريد الدابة المركوبة معرب دم بريده أى محذوفة الذنب فأن الرسل كانت تركب البغال المحذوفة الذنب . ويطلق على الرسول أيضا لركوبه إياها . والمذبب اسم فاعل من ذبب فى سيره أى جد وأسرع بذال معجمة والباء الأولى مشددة . وروى « المدئب » من دأب يدأب بالهمز إذا جد وتعب، وهاتان الروايتان للآمدى فى المؤتلف والمختلف وروى شراح الحماسة « المذبذب » قال التبريزى : هو الذى لا يستقر . وقال الطبرسى : المذبذب والمذبب الأصل فيهما يرجع إلى الطرد والاستعجال والمسرع المستعجل يتذبذب إذ يضطرب . وقوله فقلت له وروى لها أى للخيال فيهما . وأهلا منصوب بفعل مضمر أى أتيت أهلا لا غرباء والتأهيل مصدر أهلته إذا قلت له أهلا وقوله معاذ الآله منصوب على المصدر أى أعوذ بالله معاذا وكأنه أنف وتبرأ من أن تكون هذه المرأة فى الحسن بحيث تشبه

بالظبية أو الصورة المنقوشة أو بكريمة من بقر الوحش ، والدمية — بالضم — الصورة من العاج ونحوه قال أبو العلاء : سميت دمية لأنها كانت أولا تصور بالحمرة فكأنها أخذت من الدم والعطف من قبيل

أبى الله أن أسمو بأم ولا أب (١)

لما اشتمل المتقدم على معنى النفي كأنه قال : لا أشبهها بظبية ولا دمية ، تعوذ بالله من تشبيه خليلته بأحد هذه الثلاثة كما يشبه الشعراء بها ، وعقيلة كل شيء أكرمه ، والربرب القطيع من بقر الوحش ، وقوله ولكنها زادت الخ بين به لم أنكر تشبيهها بغيرها ، وكما لا تمييز ، أي يزيد حسنها على كل حسن كما لا لأنه لا حسن إلا وفيه نقص سوى حسنها ، وكذلك كل طيب يتخلله حطيطة إلا طيبها ، وقوله من طيب قال التبريزى : أي وزادت من طيبها على كل طيب طيبا وقال الطبرسي : ولما كان كما لا تمييزا دخله معنى من لحسن أن يقول ومن طيب ، ورأيت فى بعض شروح الحماسة : أراد زادت بحسنها كما لا على كل حسن فحذف للعلم به لأنك لا تقول للحسن هو أكمل من الحسن لاختلاف الجنس لان الحسن عرض والحسن جسم

والبعيث قال الآمدى : هو البعيث بن حريث بن جابر بن سرى بن مسلمة بن عبيد ابن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة بن لجيم شاعر محسن وهو القائل :

خيال لأم السلسبيل ودونها «البيت»

وهى أبيات جياد مختارة اه والبعيث — بفتح الموحدة وكسر العين المهملة — قال ابن جنى : هو اسم مرتجل للعلمية ويمكن أن يكون صفة منقولة فيكون فعيل فى معنى مفعول ، وقال أبو رياش : ابن حريث : هذا ليس بصاحب القبة بصفين وحريث — بالتصغير — وسرى وعبيد كذلك ، والدول بضم الدال وسكون الواو ، ولجيم قال أبو العلاء : يجوز أن يكون تصغير ترخيم لملجم أو لجام أو تصغير لجم بضم ففتح واللجم دويبة يتشاءم بها وتوصف بالعطاس قال الراجز :

أغدو فلا أحاذر الشكيسا ولا أخاف اللجم العاطوسا

وذكر الآمدى شاعرين آخرين يقال لهما البعيث (أحدهما) المجاشعى واسمه

(١) هذا عجز بيت لعامر بن الطفيل وصدره :

* وما سودتنى عامر عن وراثة *

خداش وهذا شاعر مشهور دخل بين جرير وغسان السليطى وأعان غسان فنشب الهجاء بينه وبين جرير والفرزدق وسقط البعيث (والثانى) البعيث التغلبي — بمثناة فمعجمة — وهو بعيث بن رزام وكان يهاجى زرعة بن عبد الرحمن وقال القطامى :

إن رزاما غرها فرزامها قلف على أزبابها كامها

الفرزام الشاعر الدون يقال هو يفرزم الشعر وإنما يعنى بعيث بنى رزام ومنه يعلم أن بعيث بنى رزام إسلامى

وأنشد بعده

وهو الشاهد السابع والعشرون بعد المائة

١٢٧ إن المنايا يطلعـــن على الاناس الآمنينا

على أن اجتماع أل والهمزة فى الأناس لا يكون إلا فى الشعر . والقياس الناس فان أصله أناس فحذفت الهمزة وعوض عنها أل إلا أنها ليست لازمة إذ يقال فى السعة ناس

(أقول) : هذا يدل على أن أل فى البيت ليست عوضا من الهمزة إذ لو كانت عوضا لم يجز أن يقال ناس من غير همزة ولا أل إذ لا يجوز الخلو عن العوض والمعوض عنه . وما ذكره من كونه عوضا من الهمزة هو مذهب سيبويه وتبعه الزمخشرى والقاضى وغيرهما . وذهب أبو على الفارسى فى الاغفال — وهو كتاب ذكر فيه ما أغفله شيخه أبو اسحق الزجاج — أن أل ليست عوضا من همزة أناس وقد عزا إليه السيد فى حاشية الكشاف خلاف هذا فقال : وتوهم أبو على فى الأغفال أن اللام فى الناس أيضا عوض إذ لا يجتمعان فى الأناس الا ضرورة ورد بكثرة استعمال ناس منكرا دون إله و بامتناع يا الناس دون يا ألله انتهى . فقد انعكس النقل عليه من هذا الكتاب مع أنه قد رد عليه ابن خالويه فيما كتبه على الأغفال وتعقبه أبو على فيما كتبه ثانيا وهو رد على ابن خالويه وسماه نقض الهاذور و بسط الكلام فيه كل البسط . وأنا أورده مختصراً لتقف على حقيقة الحال وهذه عبارته : ثم ذكر هذرا ليس من حكمه أن نتشاغل به وإن كان جميع ماهذر به غير خارج من هذا الحكم ثم حكى قولنا . وهو: فأن قال قائل أو ليس قد حذفت الهمزة من الناس كما حذفت من هذا الاسم حذفا فهل تقول إنها عوض منها كما أن اللام عوض من الهمزة المحذوفة

فى اسم الله إلى آخر الفصل: فقال المعترض : أما ادعاؤه أن أل ليست عوضا من الهمزة فى أناس كما كانت فى هذا الاسم فليس على ماذكر ، فلم يزد على الأنكار والادعاء لتركنا طريقة سيبويه . وحمل كلامه المطلق على المقيد المخصوص ، وظن المعترض أن الهمزة سقطت منهما على حد واحد . وأن أل فى الناس عوض من حذف الهمزة كما كان ذلك فى اسم الله فظن على عكس ما الامر عليه وذلك أن قول سيبويه: ومثل ذلك أناس فاذا أدخلت الالف واللام عليه قلت الناس . ليس يدل قوله ومثل أناس أن التماثل بينهما يقع على جميع ما الاسمان عليه إنما يدل على أن المماثلة تقع على شيء واحد ألا ترى أن مثلا إذا أضيف إلى معرفة جاز أن يوصف به النكرة لأن ماينشابهان به كثيراً و انما يتشابهان فى شيء من أشياء ومن ثم كان نكرة وكان هذا الاغلب ولو كان التشابه يقع بينهما فى كل ما يمكن أن يتشابها به لكان مخصوصا غير مبهم ومحصورا غير شائع . وفى أن الامر بخلاف هذا دلالة على أن الظاهر كلام سيبويه ليس على ماقدره هذا المعترض . يدل على ذلك ماذهب إليه أهل العلم فى قوله تعالى :«فجزاء مثل ما قتل من النعم » فقال قائلون . جزاء مثل ما قتل فى القيمة ، وقال قائلون : جزاء مثله فى الصورة ولم يذهب أحد فيما علمناه إلى أن المعنى جزاء مثل ما قتل فى القيمة والصورة جميعا . فكذلك قول سيبويه : ومثل ذلك أناس . إنما يريد مثله فى حذف الفاء فى ظاهر الأمر لو لم تدل دلالة على أن قولهم الناس ليس كاسم الله فى كون الالف واللام عوضا من الهمزة المحذوفة . فكيف وقد قامت الأدلة على أن قولهم الناس قد فارق ما عليه هذا الاسم فى باب العوض على ما سنذكره إن شاء الله . و إذا كان الأمر فى إضافة مثل ما قلنا تبين أن هذا المعترض لم يعرف قول سيبويه وليس فى لفظ سيبويه شيء يدل على أن الهمزة فى أناس مثل الهمزة فى الاسم الآخر فى أنه عوض منها شيء كما عوض هناك ، ويبين ذلك أنه حيث أراد أن يرى النظائر فى العوض أفرد ذكر الاسم فقال وهى فى إله بمنزلة شيء غير منفصل من الكلمة كما كانت الميم فى اللهم غير منفصلة وكما كانت التاء فى الجحاجحة والألف فى يمان وأختيها بدلا من الياء ، فأما الدلالة على أن حرف التعريف ليس بعوض فهى أن الألف واللام تدخل مع الهمزة فى نحو ما أنشده أبو عثمان عن أبى عمرو :

إن المنايا يطّلِعْـــــنَ على الأُناسِ الآمِنينا

وأن الأناس وأناس فى المعنى واحد إلا فيما أحدث حرف التعريف من التعريف، وقد جاء فى كلا مهم ناس وأناس فمن يقول أناس يقول الأناس ومن يقول ناس يقول الناس ، وأنشد محمد بن يزيد :

وناس من سراة بنى سليم وناس من بنى سعد بن بكر

ومما يغلب أن هذه الهمزة لايلزم أن يكون منها عوض أن من يرد الأصول المحذوفة فى التحقير ومن لا يرد اتفقوا عندنا جميعا على أن حقروا أناسا نويسا فدل تركُ رد الأصل فى التحقير ممن يرد على أن هذا الحرف قد صار عندهم كالحذف اللازم فى أكثر الأمر نحو «حاش لله» ونحو «لا أدر» وما كان من الحذف عندهم هكذا يبعد أن يعوض منه . وقد كان أولى من التعويض ردما هو منه إليه فلما لم يقولوا أنيس عند سيبويه فى تحقير ناس ولا عند يونس وأبى عثمان كان أن لا يعوض منه أولى . ومما يبين حسن الحذف منه وسهولته أنه جمع والجموع قد تخفف بما لا يخفف الآحاد به ألا ترى أنهم قالوا عصى ودلى فأجمعوا على القلب فى هذا النحو؟ وكذلك نحو بيض . فكما خففوا هذا النحو من الجمع كذلك قولهم أناس بالحذف منه . ويدلك على انه جمع أنهم قالوا فى الأضافة إلى أناس أنسانى كما قالوا فى الاضافة الى الجميع جمعى . فعلمت أن أناسا فى جمع انسان كتؤام فى جمع توأم وبراء فى جمع برىء ورخال وظؤار وثناء ونحو ذلك. فكما أجروه مجرى الجمع فى هذا كذلك أجروه مجراه فى الحذف منه كما خففوا ما ذكرنا بالقلب فيه ومما يغلب أن قولنا الناس على الحد الذى ذكرنا من التخفيف بالحذف أن ما فى التنزيل من هذا النحو عليه نحو «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم» ونحو «أعوذ برب الناس ملك الناس» فهذا إنما أدغم لام المعنى فى النون على حد ما أدغم فى النشر والنشز والنعمان لا على حد تقدير الهمزة فيه وتخفيفها ألا ترى أنه لو كان على تقدير أناس لم يدغم لأن الحرفين ليسا مثلين كما كانا مثلين فى الاسم الآخر ، إنما هما متقاربان والأكثر فى المتقاربين إذا تحرك الأول منهما فالا قيس أن لا يدغم الأول فى الثانى كما يدغم المثلان، وذلك أن مباينة الحرفين فى المخرج إذا انضم اليها الحركة قويا على منع الأدغام فامتنع كما يمتنع لحجز الحرف بينهما، وليس كذلك المثلان إذا حجزت بينهما الحركة لأن الحركة أقل وأيسر فى الصوت من الحرف ، فلم يبلغ من قوتها أن تحجز بين المثلين

ويمنع الأدغام كما يمنع منه فى أكثر الأمر إذا انضم إلى الحركة الاختلاف فى مخرجى الحرف ؛ وأما قول صاحب الهاذ ور : والدليل على صحة ذلك وأن هذا هو الذى ذهب إليه سيبو يه وإن كان عنده عوضا فى هذا الموضع أيضا أنه تعاطى الفرق بينهما فتعاطيه الفرق بينهما لايدل إن كان تعاطى على اتفا قهما عنده وليس لنسخه كلام سيبويه فى جملة الهذر فائدة ولا معنى لاحتجاج من احتج بشىء لا يعرفه ولا يفهمه وإنما وكده فى غالب رأينا بتسويد الورق وإفساده، وأما تفسير المعترض لقولنا إنهما لوكانتاههنا عوضا عما هما فى هذا الاسم لفعل بهما ما فعل بالهمزة فى اسم الله فان عنى به أنهما كانتا تلزمان ثم كانت الألف تنقطع فى النداء فليس على ماقدر ولكن المراد به أن الألف واللام فى الاسمين لو كانا على حد واحد لكان الناس إذا سقط منه حرف التعريف لايدل على ما كان يدل عليه والحرف لاحق به كما أنه فى اسم الله إذا خرج منه لا يدل على مايدل عليه وهو فيه . وأما قوله حاكياً لكلامنا: فأما استدلاله على أنهما فى الناس غير عوض بقول الشاعر «على الأناس الآمنينا» وأنه لو كان عوضاً لم يكن ليجتمع مع المعوض منه ، فهذا يلزمه بعينه فيما ذهب إليه فى اسم الله وذلك أنه يقال له: ألست تقول الا آله فتدخل الألف واللام على إ آله ولا تحذف الهمزة مع دخولها؟ إلى آخر الهذر (أقول) : ليس الأمر كما تظناه هذا العامى المريض لما ذكر سعيد عن قتادة فى قوله تعالى «هل تعلم له سميا»: لاسمى لله ولا عدل له كل خلقه مقر له ومعترف له أنه خالقه ثم يقرأ «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله» فالاسم الذى لاسمى للقديم سبحانه وتعالى فيه لايخلو من أن يكون الله أو الرحمن ، فلا يجوز أن يكون الرحمن لأنه وإن كان اسما من أسماء الله فقد تسمى به وقد قالوا لمسيلمة رحمان وقالوا أيضا فيه رحمان اليمامة ، وذكر بعض الرواة أنهم لما سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن قالت قريش: أتدرون ما الرحمن؟ هو كاهن اليمامة، فهذا يدل على أنهم كانوا لايحظرون التسمية به فاذا كان قد سمى به ثبت أن الاسم الذى لاسمي له فيه هو الله ، وهذا الاسم إنما يكون بهذا الوصف إذا لزمه الألف و اللام فأما إذا أخرجا منه وألحق الهمزة فقيل إ آله و الا آله فليس على حد قولهم الله فى الاستعمال ولا فى المعنى ألا ترى أنه إذا قال إ آله صار مشتركا غير مخصوص وجاز فيه الجمع ، و أما فى المعنى فأنه يعمل عمل الفعل كقوله تعالى « وهو الذى فى السماء إ آله » فالظرف يتعلق بما فى إ آله من معنى الفعل واذا دخلته الألف واللام لم يعمل هذا الحد

لخروجه عن حد المصادر ، فان قلت: وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم فان الظرف لا يتعلق بالاسم على حد ما تعلق بالآله إلا على حد ما ذكرناه لك وهو أن الاسم لما عرف منه معنى التدبير للاشياء والحفظ لها وتصورها فى نحو «إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا» صار إذا ذكر كأنه قد ذكر المدبر والحافظ المثبت فيجوز أن يتعلق الظرف بهذا المعنى الذى دل عليه الاسم بعد أن صار مخصوصاً ، وفى أحكام الأسماء الأعلام التى لا معنى فعل فيها فبهذا يتعلق الظرف ، وعلى هذا تقول هو حاتم جواداً وزهير شاعرا فتعلق الحال بما دخل فى هذه الأسماء من معنى الفعل لاشتهارها بهذه المعانى ولو لا ذلك لم يجز فاذا كان كذلك علمت أن هذا الاسم إذا خرجت منه الألف واللام فقلت إله لم يكن على حد قولنا الله وليس كذلك الناس والأناس لأن المعنى فى كلا الحالين فيه واحد ، ألا ترى أن اسم العين لا مناسبة بينه وبين الفعل ؟ وهذا الذى عناه سيبويه عندنا بقوله : وذلك أنه من قبل أنه اسم يلزمه الألف واللام لا يفارقانه فصار كأن الألف واللام فيه بمنزلة الألف واللام اللتين من نفس الحرف ، وليس فى الناس والأناس كذلك . ألا ترى أنك إذا أخرجتهما من الاسم دل على أن الأعيان التى يدل عليها حسبما يدل عليها وهما فيه؟ وليس فى اسم الله كذلك فاذا كان الأمر فيه على ما ذكرنا وضح الفصل بين الاسمين إذا أخرج منهما الألف واللام بما وصفنا لم يكن إخراج الألف واللام من اسم الله سبحانه كاخراجه من الناس حذو القذة بالقذة ، انتهى كلام أبى على ، وقد حذفنا عنه مقدار ما أثبتنا ، وسقنا هذا الكلام بطوله لكثرة فوائده

واعلم أنهم اختلفوا فى ناس فقال الجمهور : أصله أناس فقيل جمع إنسان وقيل اسم جمع له، وقال الكسائى : هو اسم تام وعينه واو من ناس ينوس إذا تحرك ، وعلى هذا فاطلاقه على الجن واضح ، قال فى القاموس : والناس يكون من الأنس والجن ، إلا أن قوله أصله أناس مع جعله من مادة نوس غير صحيح وصرح به جماعة من أهل اللغة. فأن العرب تقول ناس من الجن ، وفى الحديث : « جاء قوم وقفوا فقيل من أنتم قالوا ناس من الجن » ولذا جوز بعضهم فى قوله تعالى: « من الجنة والناس » أن يكون بيانا للناس ، وقيل: أصله نسى من النسيان فقدمت اللام على العين وقلبت ألفا فصار ناس.

وهذا البيت من أبيات لذى جدن الحميرى الملك كما فى كتاب المعمرين لأبى حاتم السجستانى ، قال : عاش ثلثمائة سنة وقال فى ذلك :

لكل جنب إجْتَنِى مضجع والموت لاينفع منه الجزع
اليوم تجزون بأعمالكم كل امرئ يَحصد ما يزرع
لو كان شيء مُفْلِتاً حتفه أفلت منه فى الجبال الصدع

(وقال أيضاً) :

يا إجتنى مهلا ذرينا أفى سفاء تعذلينا
يا إجتنى تستعتبينا فلا و ربك تعتبينا
يوم يغير ذا النعيم وتارة يشفى الحزينا
إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا
فيد عنهم شتى وقد كانوا جميعاً وافرينا

فقوله « اجتنى » اسم امرأة منقول من الفعل الماضى من اجتنى الثمرة وهو منادى بحرف النداء المحذوف ، ومفلتا اسم فاعل من أفلته إذا أطلقه ، والصدع ــ بفتح الصاد والدال ــ الوعل والسفاء بكسر السين المهملة ــ مصدر سافاه مسافاة وسفاء إذا سافهه واستعتب طلب الأعتاب والأعتاب مصدر أعتبه إذا أزال عتابه وشكواه ، فالهمزة للسلب وعتب عليه ــ من باب ضرب وقتل ــ إذا لامه فى تسخط ، والعتاب مصدر عاتبه ، وقوله تعتبينا مصدر (١) هو جواب القسم بتقدير لا النافية كقوله تعالى « تالله تفتؤ تذكر يوسف » وهذا بالبناء ، للمجهول ، وقوله يوم أى للدهر يوم يغير صاحب النعيم نعيمه ، ويشفى بالفاء ، والمنايا جمع منية وهى الموت ، ويطلعن يشرفن ويقربن ، والآمنين جمع آمن بمعنى مطمئن يقال أمن البلد إذا اطمأن ، وقوله « فيدعنهم » روى بدله « فيذرنهم » وشتى متفرقين وهو جمع شتيت ، ووافرين جمع وافر من وفر الشيء ــ من باب وعد ــ وفورا تم وكمل

وزعم بعضهم فيما كتبه على تفسير البيضاوى أن بيت الشاهد من قصيدة لعبيد ابن الابرص ، قال : وأولها كما فى الحماسة البصرية :

(١) كذا بالأصل والذى نراه أن كلمة « مصدر » زائدة

نحن الألى فاجمع جمو عك ثم وجههم إلينا

وفيه نظر(١) من وجهين (الأول) أن هذا البيت لم يذكره صاحب الحماسة فى تلك القصيدة (والثانى)أن أول القصيدة إنما هو

ياذا المخوفنا بقتـــل أبيه إذلالاً وحينا

والبيت الذى أورده من أواخرها كما تقدم

وذو جدن — بفتح الجيم والدال — اسم مرتجل وهو من أذواء اليمن ، والأذواء بعضهم ملوك و بعضهم أقيال ، والقيل دون الملك ، قال فى الصحاح : والقيل ملك من ملوك حمير دون الملك الأعظم والمرأة قيلة وأصله قيل — بالتشديد — كأنه الذى له قول أى ينفذ قوله. والجمع أقوال وأقيال أيضاً ومن جمعه على أقيال لم يجعل الواحد منه مشددا والمقول — بالكسر — القيل أيضاً بلغة أهل اليمن والجمع المقاول ، ومن الأذواء الأوائل أبرهة ذو المنار ،والمنار مفعل من النور، وابنه عمرو ذو الأذعار — بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة — زعموا أنه حمل معه إلى اليمن نسناسا فذعر الناس منه ، وصحفه ابن الشجرى فى أماليه بالدال المهملة فقال والادعار جمع دعر — أى بفتح فكسر — وهو العود الكثير الدخان ، وأنكر عليه فى بغداد فأصر عليه ، وبعد ذى الاذعار بدهر ذو معاهر — واسمه حسان — ومعاهر من العهر وهو الفجور ، وبعده ذو رعين الأكبر — واسمه يريم — ورعين اسم حصن كان له ، وهو فى الاصل تصغير رعن وهو أنف الجبل ، و يريم من قولك رام من مكانه أى برح وانفصل منه ، وذو رعين الأصغر واسمه عبد كلال — بضم الكاف وتخفيف اللامين — و بعده بدهر ذو شناتر — واسمه ينوف ،من ناف الشىء ينوف إذا طال وارتفع — والشناتر — بفتح الشين المعجمة والنون — الأصابع فى لغة اليمن ، ومنهم ذو القرنين واسمه الصعب — وذو غيمان وهو من الغيم الذى هو العطش وحرارة الجوف — بالغين المعجمة — وذو

(١) ووجه ثالث هو أن الياء التى قبل حرف الروى — الذى هو النون — ساكنة مفتوح ما قبلها فى قصيدة عبيد بن الأبرص وهى فى كلمة ذى جدن مكسور ما قبلها وهذا الوجه من أظهر الوجوه

أصبح — بفتح الهمزة — وإليه نسبت السياط الأصبحية ، وذو سحر — بفتح المهملتين — وذو شعبان ، وذو فائش — واسمه سلامة — وفائش من الفياش وهو المفاخرة ، وذو حمام والحمام — بضم المهملة — حمى الابل ، وذو ترخم — بضم المثناة والخاء المعجمة وفتحها وسكون الراء — من قولهم ماأدرى أى ترخم هو أى أي الناس ، وترخم قبيلة باليمن أيضاً ، وذو يحصب من قولهم حصبه يحصبه إذا رماه بالحصباء وهى الحصا الصغار — وذو عسيم — بفتح العين وكسر السين المهملتين — من العسم — بفتحتين — وهو يبس فى المرفق أو من العسم — بالسكون — وهو الطمع ، وذو قثاث — بضم القاف وتخفيف المثلثتين — من قولهم قث يقث إذا جمع ،وذو حوال — بالضم — واسمه عامر ،وحوال من المحاولة وهى الطلب .وذو مهدم وهو مفعل — بالكسر — من هدمت البيت واسمه شمر ، وذو أنس والأنس — بفتحتين — الجماعة من الناس ، وذو سحيم وهو تصغير أسحم وهو الشديد السواد . وذو الكباس — بضم الكاف وآخره مهملة — وهو الرجل العظيم الرأس ، وذو حفار — بالضم — من قولك حفر البئر ، وذو نواس واسمه ذرعة ونواس — بالضم — من النوس وهو تذبذب الشيء وشدة حركته ،وسمى بذلك لضفيرتين كانتا تنوسان على عاتقه وكان غلاماً حسناً من أبناء الملوك أراده على نفسه ذو الشناتر فوجأه بخنجر كان قد أعده له فقتله ورضيته حمير لنفسها لما أراحها من ذى الشناتر

وذو نواس هو صاحب الأخدود الذى ذكره الله عز وجل وكان يهوديا فخد الأخدود لقوم من أهل نجران تنصروا على يد رجل من قبل آل جفنة دعاهم إلى اليهودية فأبوا فحرقهم ثم ظهرت الحبشة على اليمن فحاربوا ذا نواس أشد حرب فلما أيقن بالهلاك اعترض بفرسه فكان آخر العهد به

ومنهم ذو الكلاع الأكبر، وذو الكلاع الأصغر وأدرك الأصغر الإسلام كتب إليه النبى صلى الله عليه وسلم مع جرير بن عبد الله البجلى فأسلم وأعتق يوم أسلم أربعة آلاف عبد وهاجر بقومه فى أيام أبى بكر رضى الله عنه إلى المدينة ثم سكنوا حمص ، واشتقاق الكلاع — بضم الكاف وفتحها — من الكلع — بالتحريك — وهو شقاق ووسخ يكون فى القدم يقال منه كلعت رجله ؛ ومنهم ذو عثكلان — بفتح العين

وسكون المثلثة — وهو اسم مرتجل ، وذو ثعلبان — بالضم — وهو ذكر الثعالب ، وذو زهران ، وذو مكارب أى ذو مفاصل شداد جمع مكرب كمكرم ، وذو مناخ — بالضم — وكان نزل ببعلبك ، وذو ظليم واسمه حوشب وهو العظيم البطن والظليم ذكر النعام وشهد ذو ظليم صفين مع معاوية ، ومنهم ذو يزن ملك اليمن بعد ذى نواس فهزمته الحبشة واقتحم البحر فهلك ، ويزن اسم مرتجل وهو غير منصرف لأن أصله يزأن على وزن يسأل فخففوا همزته فصار وزنه يفل ومنهم من رد عينه فى النسب فقال رمح يزأنى وقيل إن أصله من وزن يزن فحذفت الواو ثم أبدلت الكسرة فتحة ، واسم ذى يزن عامر بن أسلم بن زيد بن غوث الحميرى والله أعلم

وأنشد بعده

* (وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد المائة ، وهو من أبيات سيبويه) *

١٢٨ من اجلك ياالتى تيمت قلبى وأنت بخيلة بالوصل عنى

على أنه شاذ لأن فى لام التى اللزوم فقط وليس فيها العوضية أيضاً ، قال بعض شراح المفصل : ولو قلت تقديره من أجلك ياحبيبتى التى تيمت قلبى لم يبق إشكال لأن التى لم تكن منادى على هذا التقدير انتهى . وروى « فديتك ياالتى الخ » ومعنى تيمت ذللت واستعبدت ومنه تيم اللات أى عبد اللات وروى :

وأنت بخيلة بالودعنى

أى على ، ومن اجلك يقرأ بنقل فتحة ألف أجلك إلى نون من ، وقوله من أجلك علة معلولها محذوف أى من أجلك قاسيت ماقاسيت أو خبر مبتدأ محذوف أى من أجلك مقاساتى وكان القياس أن يقول تيمت بتاء التأنيث على الغيبة لكن جاء على نحو قوله

أنا الذى سمتن أمى حيدره

والقياس سمته وجملة «وأنت بخيلة» عاملها تيمت

وهذا من الأبيات الخمسين التى لم يعرف لها قائل ولا ضميمة

وأنشد بعده

* (وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد المائة) *

١٢٩ فيا الغلامان اللذان فرا إياكما أن تكسبانا شراً

على أنه أشذ مما قبله إذ ليس فى أل التى فى الغلامين لزوم ولا عوض ، وخرجه ابن الأنبارى فى الانصاف على حذف المنادى وإقامة صفته مقامه قال : التقدير فيه وفى الذى قبله فيأيها الغلامان، ويا حبيبتى التى، وهذا قليل بابه الشعر ، وايا كما تحذير وأن تكسبانا أي من أن تكسبانا وماضيه كسب يتعدى إلى مفعولين يقال كسبت زيداً مالا وعلماً أى أنلته قال ثعلب : كلهم يقول كسبك فلان خيراً إلا ابن الأعرابى فأنه يقول أكسبك — بالألف — كذا فى المصباح

وهذا البيت شائع فى كتب النحو ولم يعرف له قائل ولا ضميمة

وأنشد بعده

* (وهو الشاهد الثلاثون بعد المائة) *

١٣٠ إنى إذا ما حدث ألمّا أقــول يا اللهم يا اللهما

على أن اجتماع يا والميم المشددة شاذ

والحدث — محركة — مايحدث من أمور الدهر، وروى أبو زيد فى نوادره:

إنى إذا ما لَمَم ألمّا

هو — بفتحتين — مقاربة الذنب ، وقيل هو الصغائر ، وألم الشيء قرب ، وأقول خبر إن وإذا ظرف له

وهذا البيت أيضاً من الأبيات المتداولة فى كتب العربية ولا يعرف قائله ولا بقيته وزعم العيني أنه لأبى خراش الهذلى ، قال : وقبله :

إن تغفر اللهم تغفر جَمّا وأىُّ عَبْدٍ لك لا ألمّا

وهذا خطأ فان هذا البيت الذى زعم أنه قبله بيت مفرد لا قرين له وليس هو لأبى خراش وإنما هو لأمية بن أبى الصلت قاله عند موته ، وقد أخذه أبو خراش وضمه إلى بيت آخر وكان يقولها وهو يسعي بين الصفا والمروة وهما :

لاهم هذا خامس إن تما أتمه الله وقد أتمــا

إن تغفر اللهُم تَغْفِرْ جَمّا الخ

وقد تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم وصار من جملة الأحاديث المسطورة فى

كتب الأحاديث ، أورده السيوطي في جامعه الصغير ورواه عن الترمذي في تفسيره وعن الحاكم في الايمان والتوبة عن ابن عباس قال المناوي في شرحه الكبير: يجوز إنشاد الشعر للنبي صلى الله عليه وسلم وإنما المحرم إنشاؤه ومعناه إن تغفر ذنوب عبادك فقد غفرت ذنوبا كثيرة فأن جميع عبادك خطاؤن وقوله لاألما أي لم يلم بمعصية

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد المائة ، وهو من أبيات جمل الزجاجي)

١٣١ وما عليك أن تقول كلما   سبحت أو صليت يااللهم ما

أردد علينا شيخنا مسلما

على أن ما تزاد قليلا بعد يااللهم

هذا الرجز أيضا مما لا يعرف قائله ، وزاد بعد هذا الكوفيون :

من حيثما وكيفما وأينما   فأننا من خيره لن نعدما

فقوله « وما عليك الخ » ما استفهامية والمعنى على الأمر ، والتسبيح تنزيه الله وتعظيمه وتقديسه ، وصليت بمعنى دعوت أو الصلاة الشرعية ، وروى بدله هللت أي قلت لا إله إلا الله كما أن سبحت قلت سبحان الله ، والشيخ هنا الأب أو الزوج ، ومسلما اسم مفعول من السلامة ، وقوله « من حيثما » أي من حيثما يوجد الخ ، وقوله « فانا من خيره » الخير هنا الرزق والنفع ولن نعدما بالبناء للمفعول — أمر بنته أو زوجته بالدعاء له إذا سافر وغاب في أوقات الدعوات وفي مظان القبول كما فعلت بنت أعشى ميمون :

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا: يارب جنب أبي الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذى صليت فاغتمضي   نوماً فان لجنب المرء مضطجعاً

(وقال أيضا) :

تقول ابنتي حين جد الرحيل   أرانا سـواء ومن قد يتم

أبانا فلا رمت من عندنا   فأنا بخير إذا لم ترم

ويا أبتا لا تزل عندنا   فأنا نخاف بأن تخترم

أرانا إذا أضمرتك البلا د نجفى ويقطع منا الرحم

فقوله « قربت » بالبناء للمفعول ، والمرتحل الجمل الذى وضع عليه الرحل وهذا كناية عن الرحيل ، والأوصاب جمع وصب وهو المرض ، وصليت دعوت ، ويتم ييتم —من باب تعب وقرب— اذا صار يتيما ورام يريم بمعنى برح يبرح ، ولا تزل من زال يزول ،والأفعال الثلاثة بعده بالبناء للمفعول

(وأنشد بعده)

وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد المائة ،وهو من شواهد سيبويه

(١٣٢) ياتيم تيم عدى لا أبالكم لايلقينكم فى سوأة عمر

على أن تيما الأول يجوز فيه الضم والنصب ، وفى الثانى النصب لا غير ؛ وبينه الشارح المحقق

قال اللخمى فى شرح أبيات الجمل : وأضاف تيما إلى عدى للتخصيص، واحترز به عن تيم مرة فى قريش ، وهم بنو الأدرم ، وعن تيم غالب بن فهر فى قريش أيضا ، وعن تيم قيس بن ثعلبة ، وعن تيم شيبان ، وعن تيم ضبة ،وعدى المذكور هو أخو تيم فأنهما ابنا عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، ومعنى « لا أبالكم »الغلظة فى الخطاب وأصله أن ينسب المخاطب إلى غير أب معلوم شتماله واحتقارا ثم كثرت فى الاستعمال حتى جعلت فى كل خطاب يغلظ فيه على المخاطب، وحكى أبو الحسن بن الأخضر أن العرب كانت تستحسن لا أبالك وتستقبح لا أم لك لأن الأم مشفقة حنينة والأب جائر مالك ، وتقدم الكلام عليه مفصلا فى الشاهد الثانى عشر بعد المائة ، وقوله «لا يلقينكم» —بالقاف— من الألقاء وهو الرمى ، قال ابن سيده : من رواه بالفاء فقد صحف وحرف ، وروى « لا يوقعنكم » ، والنهى واقع فى اللفظ على عمر ، وهو فى المعنى واقع عليهم ،والسوءة —بالفتح— الفعلة القبيحة أي لا يوقعنكم عمر فى بلية ومكروه لأجل تعرضه لى ، أى امنعوه من هجائى حتى تأمنوا أن ألقيكم فى بلية فأنكم قادرون على كفه فأذا تركتم نهيه فكأنكم رضيتم بهجوه إياى

وهذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها عمر بن لجأ التيمي، ولجأ بفتح اللام والجيم، وآخره همزة ومنها :

تعرض التيم لي عمداً لأهجوَهَا ... كما تعرَّضَ لاستِ الخارئِ الحجر
أنت ابن برزة منسوب إلى لجأ ... عند العصارة والعيـدان تعتصر
خل الطريق لمن يبنى المنار به ... وابرز ببرزة حيث اضطرك القدر
أحين صرت سمـاما يابنى لجـأ ... وخاطرت بى عن أحسابها مضر

وهى قصيدة طويلة أفحش فيها فلما توعدهم فيها أتوه بهموثقا وحكموه فيه فاعرض عن هجوهم.

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : لما بلغ ذلك تيما أتوا عمر وقالوا عرضتنا لجرير وسألوه الكف فأبى وقال أكف بعد ذكره أمى ، وبرزة هى أم عمر بن لجأ ، يقال فلان عصارة فلان أى ولده وهو سب ، وقوله : « خل الطريق الخ » هذا من أبيات سيبويه أورده على أن فيه إظهار الفعل قبل الطريق والتصريح به ولو أضمره لكان حسنا على ما بينه ،يقول خل طريق المعالى والشرف والمفاخرة واتركه لمن يفعل أفعالا مشهورة كأنها الأعلام التي تنصب على الطريق وتبنى من حجارة ليهتدى بها، وعيره بأمه يقول ابرز بها عن الناس وصر إلى موضع يمكنك أن تكون فيه لما قضى عليك وقيل معناه دع سبيل الرشاد لطالبيه وابرز إلى سبيل الغى اذا اضطرك قضاء الله وقدره يعرض بأن أمه كانت فاجرة ،والسمام ــ بالكسر ــ جمع سم وهو الشيء القاتل ،وخاطره على كذا أى راهنه من الخطر وهو السبق بتحريكهما وهو الشيء الذى يتراهن عليه وروى بدله « وحاضرت » بالحاء المهملة والضاد المعجمة يقال حاضرته عند السلطان وهو كالمغالبة والمكابرة.

وأجابه عمر بن لجأ بقصيدة منها :

لقد كَذبْتَ وسوء القول أكذبه ... ما خاطرتْ بكَ عن أحسابها مُضَرُ
بل أنت نزوة خوّارٍ على أَمَةٍ ... لن يسبق الحَلَبُاتِ اللؤمُ والخور
ما قلت من هـذه أنى سأنقضها ... يا ابن الأتان بمثلى تنقض المرر

والنزوة مصدر نزا الذكر على الأنثى وهذا يقال فى الحافر والظلف والسباع،والخوار من الخور وهو ضعف القلب والعقل ، والحلبات ــ بالحاء المهملة

وكان سبب التهاجى بين جرير وعمر بن لجأ هو ماحكاه المبرد فى كتاب الاعتنان عن أبى عبيدة أن الحجاج بن يوسف الثقفي سأل جريرا عن سبب التهاجى بينه وبين شعراء عصره فبين له جرير سبب كل واحد إلى أن قال الحجاج ثم : من ؟ قال : ثم التيمى عمر بن لجأ قال : ومالك وله ؟ قال : حسدنى فعاب على بيتا كنت قلته فحرفه :

لقومىَ أحْمى للحقيقـة منكمُ وأضرب للجبار والنقعُ ساطع
وأوثقُ عنـد المرهفات عشـيةً لحاقا إذا ما جرد السـيف لامع

فقال لى : إنما قلت :

وأوثقُ عند المردفاتِ عشيةً

فصيرت نساءك قد أردفن غدوة ولحقتهن عشية وقد فضحن ، ولم أقله كما حكى ، قال الحجاج : فما قلت له ؟ قال : قلت له أحذره وأحذر قومه :

يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِىّ لاأبا لَـكمُ « البيت »

قال : فنقض على بأشد مما قلت له فقال :

لقـدْ كَذَبْتَ وشرُّ القول أكذبه « البيت »

قال أبو عبيدة : وأما كردين المسمعى فأخبرنى قال : كان بدء الشر بين ابن لجأ وجرير أن لقمان الخزاعى قدم على صدقات الرباب فحضرته وجوه الرباب وفيهم عمر بن لجأ فأنشده :

تأوبنى ذكـر لزَوْلة كالخَبْل وما حَيْثُ تلقى بالكثيب ولا السَّهْـل
تريدين أن أرضى وأنت بخيـلة ومن ذا الذى يرضى الأخلاء بالبخل

حتى فرغ منها فقال له لقمان : مازلنا نسمع بالشام أن هذه لجرير فقال عمر بن لجأ إنى لأكذب شيخ فى الأرض إن ادعيت شعر جرير ثم أنشدته على رءوس النـاس وجماعات الرباب فأبلغ لقمان جريرا مقالة عمر قال : فزعم عمر أنك سرقتها منه فقال جرير : وأنا أحتاج إلى أن أسرق شعر عمر وهو القائل فى إبله ووصفها حتى جعلها كالجبال ثم جعل لحلها كالظرب وهو الجبل الصغير فى الغلظ من الأرض فقال :

كالظَّرب الأسْوَدِ مِنْ ورائها

ثم قال :

جرّ العَروس الثنى مِنْ رِدائِها

والله ماشعره من نمط واحد وإنه لمختلف العيون ، فأبلغ لقمان عمر قول جرير وماعاب من قوله فقال عمر أيعيب جرير قولى :

جَرَّ الْعَرُوسِ الثّنى من رِدائها

وإنما أردت لينه ولم أرد أثره ، وقد قال هو أقبح من هذا حين يقول :

وأوثقُ عِنْدَ المردفاتِ عشيَّةً

فلحقهن بعد مانكحن وفضحن، فقال جرير : حرف قولى إنما قلت« عندالمرهفات عشية» فوقع الشر بينهما انتهى

وترجمة جرير تقدمت فى الشاهد الرابع من أوائل الكتاب

وانشد بعده

(وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه)

١٣٣ يازَيدُ زَيداليَعْمَلاتِ الذُّبّل تَطاوَلَ اللَّيلُ عَلَيْكَ فَانْزِلِ

لما ذكر فى البيت قبله وهو ظاهر ، واليعملات — بفتح الياء والميم — الأبل القوية على العمل ، والذبل جمع ذابل أى ضامرة من طول السفر ، وأضاف زيدا إليها لحسن قيامه عليها ومعرفته بحدائها ، وقوله « تطاول الليل عليك الخ » روى « هديت » بدل «عليك » وهو المناسب أى انزل عن راحلتك واحد الأبل فأن الليل قد طال ، وحدث للأبل الكلال ، فنشطها بالحداء ، وأزل عنها الأعياء

وهذا البيت لعبد الله بن رواحة الصحابى رضى الله عنه لا لبعض ولد جرير خلافا لشراح أبيات سيبويه وهما بيتان لاثالث لهما قالهما فى غزوة مؤتة ، وهى بأدنى البلقاء من أرض الشام ، وكانت فى جمادى الأولى من سنة ثمان من الهجرة ، قال ابن عبد البر فى الاستيعاب : ذكر ابن إسحق عن عبدالله بن أبى بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم قال : كان زيد بن أرقم يتيما فى حجر عبد الله بن رواحة فخرج به معه إلى مؤتة يحمله على حقيبة رحله فسمعه زيد بن أرقم من الليل وهو يتمثل أبياته التى يقول فيها:

إذا أدّيتني وحملت رحلي مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمى وخلاك ذم ولا أرجع إلى أهلى ورائى
وجاء المؤمنون وغادرونى بأرض الشام منتهى الثواء

فبكى زيد بن أرقم فخفقه عبد الله بن رواحة بالدرة وقال: ماعليك يالكع أن يرزقنى الله الشهادة وترجع بين شعبتي الرحل . ولزيد بن أرقم يقول عبد الله بن رواحة

يازيد زيد اليعملات الذبل تطاول الليل هديت فانزل

وقيل : بل قال ذلك فى غزوة مؤتة لزيد بن حارثة انتهى

وهذا الثانى بعيد فأنه يستبعد أن يقول لأمير الجيش انزل عن راحلتك واحدا الابل فأن زيد بن حارثة كان أمير الجيش فى غزوة مؤتة كما سيأتى.

ومؤتة — بضم الميم والهمز — وقوله « إذا أديتنى » خطاب لراحلته وقوله الحساء — بكسر الحاء المهملة و بعدها سين مهملة — قال المبرد فى الكامل : هو جمع حسى — بكسر فسكون — وهو موضع رمل تحته صلابة فأذا مطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فمنعته الصلابة أن يغيض ومنع الرمل الماء أن ينشفه فأذا بحث ذلك الرمل أصيب الماء و يقال حسى وأحساء وحساء ، وقوله « وخلاك ذم » أى تجاوزك الذم ، دعاء لها وقوله « ولاأرجع » مجزوم بالدعاء ، ومعناه اللهم لاأرجع انتهى ، وقوله « منتهى الثواء » هو اسم فاعل منصوب على الحال.

وعبد الله بن رواحة أنصارى خزرجى ، وهو أحد النقباء ، شهد العقبة و بدراً و أحد و الخندق والحديبية وعمرة القضاء والمشاهد كلها إلا الفتح . ومات بعده لأنه قتل يوم مؤتة شهيدا وهو أحد الأمراء فى غزوة مؤتة و أحد الشعراء المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و فيه وفى صاحبيه حسان و كعب بن مالك نزلت: « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا » الآية

وسبب غزوة مؤتة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحرث بن عمير الأزدى بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم ، وقيل إلى ملك بصرى ، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فأوثقه رباطا وضرب عنقه صبرا ، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره ، فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر ، فبعث بعثه صلى الله عليه وسلم

إلى مؤتةواستعمل عليهم زيدبن حارثة وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب فأن أصيب فعبدالله بن رواحة ،فتجهز ثلاثة آلاف رجل ثم مضوا حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل والعرب فى مشارف من قرى البلقاء ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة وكان الروم مائة الف وانضم إليهم من لخم وجذام والقيس وبهرام وبلى مائة ألف أخرى ، ثم التقوا فاقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل شهيداً فأخذها جعفر ثم قتل ثم أخذها عبدالله بن رواحة فقتل فأخذ الراية خالد بن الوليد ودافع الناس ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس إلى رسول الله الله صلى الله عليه وسلم

وأما زيد بن أرقم فهو أنصارى خزرجى من بنى الحرث بن الخزرج ، وزيد ابن أرقم هو الذى رفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن أبى بن سلول قوله «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل »فاكذبه عبدالله بن أبى وحلف فأنزل الله تصديق زيد بن أرقم فبشره أبو بكر بتصديق الله إياه وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بأذن زيد وقال وفت أذنك ياغلام وشهد مع على وقعة صفين، وهو معدود فى خاصة أصحابه ونزل الكوفة وسكنها وابتنى بها داراً وبها كانت وفاته فى سنة ثمان وستين

وأما زيد بن حارثة فهو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصابه سباء فى الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ،فوهبته خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل النبوة وهو ابن ثمان سنين ثم إن ناساً من كلب حجوا فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه فقال لهم: أبلغوا أهلى هذه الابيات فانى أعلم أنهم جزعوا على فقال:

أحنُّ إلى قَوْمى وإن كنت نائيا ... فانى قَعيدُ البيت عند المشاعر
فكفوا من الوجد الذى قد شجاكم ... ولاتعملوا فى الأرض نص الأباعر
فانى بحمد الله فى خير أسرة ... كرام مَعَدٍّ كابراً بعد كابر

فانطلق الكلبيون فأعلموا أباه فقال: ابنى ورب الكعبة ووصفوا له موضعه وعند من هو فخرج حارثة وكعب أخوه لفدائه ، وقدما مكة فدخلا على النبي صلى الله عليه وسلم

فى المسجد فقالا : ياابن عبدالمطلب ياابن هاشم ياابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون العانى و تطلقون الأسير جئناك فى ابننا عبدك فامنن علينا وأحسن إلينا فى فدائه قال: من هو؟ قال: زيد بن حارثة فقال صلى الله عليه وسلم: أدعوه فأخيره فأن اختاركم فهو لكم وإن اختارنى فوالله ماأنا بالذى أختار على من اختارنى أحدا . قالا: قدزدتنا على النصف وأحسنت ، فدعاه فقال: هل تعرف هؤلاء ؟ قال : نعم هذا أبى وهذا عمى قال : فأنا من قد علمت ورأيت صحبتى لك فاخترنى أو اخترهما ، قال زيد: ما أنا بالذى أختار عليك أحدا أنت منى مكان الأب والعم، فقالا: ويحك يازيد أتختار العبودية على الحرية ؟ قال : نعم قد رأيت من هذا الرجل شيأ ماأنا بالذى أختار عليه أحدا، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أخرجه إلى الحجر فقال يامن حضر اشهدوا أن زيدا ابنى يرثنى وأرثه . فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما فانصرفا ودعى زيد ابن محمد حتى جاء الله بالاسلام فنزلت « أدعوهم لآبائهم »فدعي يومئذ زيد بن حارثة ؛ وكان يقال له زيد بن حارثة حب رسول الله و شهد بدرا و زوجه مولاته أم أيمن فولدت له أسامة وقتل زيد بمؤتة سنة ثمان من الهجرة وهو كان الأمير على تلك الغزوة روى عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال :«أحب الناس إلى من أنعم الله عليه وأنعمت عليه» يعنى زيد ابن حارثة أنعم الله عليه بالاسلام وأنعم عليه صلى الله عليه وسلم بالعتق

ولخصت التراجم من الاستيعاب و الغزوة من سيرة ابن سيد الناس، واعلم أنى رأيت فى نوادر ابن الاعرابى أرجوزة عدتها اثنان وعشرون بيتاً مطلعها

يا زَيْدُ زَيدَ اليَعْمَلاتِ الذّبَّل

قال :أنشدنى بكير بن عبيد الربعى و لا أعلم من هو أهو سابق على عبدالله بن رواحة أم لاحق له والظاهر أنه بعده ، فان الرجز فى الجاهلية كان لايتجاوز الأبيات الثلاثة والأربعة وإنما قصده وأطاله الأغلب العجلى كما تقدم بيانه فى ترجمته والله أعلم

وأنشد بعده

وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد المائة

١٣٤ فلا والله لايُلْفَى لما بى ولا لِلما بِهِمْ أبداً دواءُ

على أن اللام الثانية فى قوله للما مؤكدة للام الأولى ويأتى إن شاء الله تعالى.

.مايتعلق به فى باب التوكيد وفى الباء والكاف أيضا من حروف الجر

وهذا البيت من قصيدة لمسلم بن معبد الوالبي ،قال أبو محمد الأسود الاعرابى فى ضالة الأديب: كان السبب فى هذه القصيدة أن مسلماً كان غائبا فكتب إبله للمصدق أى لعامل الزكاة وكان رقيع — وهو عمارة بن عبيد الوالبي — عريفا فظن مسلم أن رقيعا أغراه وكان مسلم ابن أخت رقيع وابن عمه فقال :

بكتْ إبلى وحُق لها البكاء ... وفرّقها المظالم والعداء
أذا ذَكرت عرافة آل بشر ... وعيشاً ما لأوّله انثناء
ودهراً قد مضى ورجالَ صِدْقٍ ... سَمَوْا قد كان بعدهم الشقاء
إذا ذُكر العريفُ لها اقشعرت ... ومسّ جُلودَها منه انزواء
فظلّتْ وهى ضامرةٌ تفادى ... من الجرات جاهدها البلاء
وكدنَ بذى الربا يدعون باسمى ... ولا أرضٌ لدىّ ولا سماء
تؤمل رَجْعةً منّى وفيها ... كتابٌ مِثْل ما لزِق الغِراء
عَدَرْتُ الناسَ غيْرَكَ فى أُمور ... خلوت بها فما نفع الخلاء
فليس على مَلامَتِناكَ لوْمٌ ... وليس على الذى نَلْقى بقاء
ألمّا أن رأيت الناس آبت ... كلابهم علىّ لها عواء
ثنيت ركاب رَحْلك معْ عدوّى ... لمختتل وقد برح الخفاء
ولا خيت الرجال بذات بينى ... وبينك حين أمكنك اللخاء
وأىُّ أخ لسلمك بعد حربى ... إذا قومُ العدوّ دعوا فجاءوا
فقام الشرُّ منك وقمتَ منه ... على رِجْلٍ وشال بك الجزاء
هنالك لايقوم مقام مثلى ... من القوم الظنون ولا النساء
وقد عيرتنى وجفوت عنى ... فما أنا وَيْبَ غيْرِكَ والجفاء
وقد يُغْنى الحبيبُ ولا ترجى ... مودته المغانم والحباء
ويوصل ذو القرابة وهو ناءٍ ... ويبقى الدين ما بقى الحياء
جزى الله الصحابة عنك شراً ... وكل صحابة لهم جزاء

بفعلهم فأنْ خيراً فخيراً وإنْ شرًّا كما مثل الحذاء
وإيَّاهُمْ جزى عنى وأدّى إلى كل بما بلغ الأداء
وقد أنصفتهم والنصف يُرْضى به الإسلام والرحم البواء
لددتهم النصيحة كل لدٍّ فمجوا النصح ثم ثنوا فقاءوا
وكنت لهم كداء البطن يوذى وراء صحيحه مرض عياء
جوىً من العداوة قد وراهم نشيش الغيظ والمرض الضناء
إذا مولًى رهبت الله فيه وأرحاما لهــا قبــلى رعاء
رأى ماقد فعلت به موال فقد غمرت صدورهم وداءوا
فكيف بهم فأن أحسنت قالوا: أسأت ، وإن غفرت لهم أساءوا
فلا وأبيك لايلفى لما بى ولا للما بهم أبدا شفاء

وبقى من القصيدة اثنا عشر بيتاً وصف إبله فيها، قوله «المظالم والعداء» هو جمع مظلمة ــ بكسر اللام ــ وهو ماأخذه الظالم وكذلك الظلامة والظليمة والعداء ــ بالفتح ــ الظلم وتجاوز الحد وهو مصدر عدا عليه ،وقوله « إذا ذكرت» ظرف لقوله بكت إبلى وفاعل ذكرت ضمير الابل ، واثناء انكفاف يقال ثناه إذا كفه وقوله « ورجال صدق سعوا» بالنصب معطوف على عرافة وسعوا أى تعاطوا أخذ الزكاة والساعى من ولى شيأ على قوم وأكثر مايقال ذلك فى ولاة الصدقة والانزواء التقبض وتفادى من كذا إذا تحاماه وانزوى عنه وقوله «عذرت الناس غيرك» خطاب لرقيع ابن عمه ،وخلوت بها يا الخطاب أى سخرت بها يقال خلوت به إذا سخرت منه وقوله « ملامتاك» أى لو متنا إياك وقوله « ألما» الهمزة استفهام توبيخى ولما بمعنى حين متعلقة بقوله ثنيت ، وآبت رجعت وبرح زال ولاخيت ــ بالخاء المعجمة ــ مالأت وساعدت، والظنون ــ بالفتح ــ الرجل السيء الظن وهو فاعل يقوم ، وويب بمعنى ويل، وقوله يغنى الحبيب أى يصير غنياً ولا ترخى المغانم والعطاء مودته والصحابة الأصحاب ،والحذاء ــ بالكسر ــ النعل واحتذى انتعل ، أراد كما صنع مثل الحذاء مطابقاً له،وأنصفت الرجل إنصافاً عاملته بالعدل والاسم النصفة ــ بالتحريك ــ والنصف ــ بفتح فسكون ــ والبواء ــ بفتح الموحدة والمد ــ السواء،وقوله«لددتهم النصيحة» اللدود ــ بالفتح ــ مايصب من الأدوية فى أحد شقى الفم

ولددته لدا صبيت فى فيه صباً، وبجه رماه، وثنوا عطفوا ومالوا ؛ وقوله وقاءوا بالقاف من القيء وصحفه العيني تحريفاً فاحشاً فقال: قوله وفاءوا خبر مبتدأ محذوف أي، وهم فاءوا والجملة حالية اهـ وهذا مما لايقضى منه العجب ؛ وقوله « و كنت لهم كداء البطن الخ» داء البطن الاسهال ، ويوذى من الأذية والواو مسهلة من همزة والجملة حال من الداء ، ووراء بمعنى خلف وبعد . وضمير صحيحه لداء البطن والمرض العياء — بالفتح — هو المرض الذى تعيا عنه الأطباء والجملة الاسمية حال أيضاً من البطن ير يد أن ما أضمروه من بغضي قاتلهم لامحالة لأنى كنت عندهم بمنزلة داء البطن المؤذى نشأ من أهونه ما عجز عنه الأطباء كالزحير والسل ، وقوله « جوين من العداوة الخ» هذا بيان لما قبله وجوين منصوب بفعل محذوف أى أراهم جوين وهو جمع جو صفة مشبهة من الجوى كعم من العمى جمع على طريقة جمع المذكر السالم والجوى الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن ، وورى اهم من ورى القيح جوفه وريا إذا أكله ونشيش فاعل وراهم والنشيش صوت الماء ونحوه إذا غلى على النار والضناء — بالفتح والمد — اسم مصدر ضنى ضنى — من باب تعب — مرض مرضاً ملازماً حتى أشرف على الموت كذا فى المصباح وقوله « إذا مولى رهبت الله فيه» أى خفت الله فى جانبه، وقوله قبلى — بفتح القاف وسكون الموحدة — والرعاء جمع راع من الرعاية وهي تفقد الشيء وتحفظه وقوله« رأى ماقدفعلت به الخ» ما موصولة أو نكرة موصوفة مفعول أول لرأى والمفعول الثانى محذوف أى سوأو نحوه، وموال فاعل رأى وهو جمع مولى، وغمرت من الغمر — بالكسر — وهو الحقد والغل يقال غمر صدره على بالكسر يغمر بالفتح غمراً — بسكون الميم وفتحها مع فتح الأول فيهما — وداؤا أي مرضوا وهو فعل ماض من الداء يقال داء الرجل يداء داء إذا أصابه المرض وقوله « فكيف بهم » أي فكيف أصنع بهم وقوله «فلا وأبيك الخ» جملة لايلفى جواب القسم أي لايوجد شفاء لما بي من الكدر ولا لما بهم من داء الحسد واللام الثانية مؤكدة للأولى وروى صاحب منتهى أشعار العرب

فلا واللهِ لايُلفى لما بى وشأنِهمُ من البلوى

وعليها فلا شاهد فيه

و مسلم شاعر إسلامي فى الدولة الأموية وهو ابن معبد بن طواف — بتشديد الواوين —

وحوح — بحاء بن مهملتين — ابن عويمر — مصغر عامر — الوالبي نسبة إلى والبة ابن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة

وأنشد بعده

وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد المائة وهو من أبيات سيبويه

١٣٥ وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤَثْفَيْنْ

على أنه يمكن أن تكون الكاف الثانية مؤكدة للأولى قياساً على اللامين في البيت الذى قبله فلا يكون فى البيت دليل على اسمية الكاف الثانية

وهو من قصيدة لخطام المجاشعى ، وهى من بحر السريع وربما حسب من لا يحسن العروض أنه من الرجز كما توهمه بعضهم لأن الرجز لا يكون فيه معولات فيرد إلى فعولات ومثله

قَدْ عَرَضَتْ أَرْوَى بِقَوْلٍ إِفْنَادْ

وهو مستفعلن مستفعلن فعولان . . . وأولها :

حَيِّ دَارَ الحَيِّ بين الشهبين وطلحة الدوم وقد تَعَفَّيْنْ

لم يبق من آيٍ بها يُحَلَّيْنْ غير حُطَامٍ وَرَمَادٍ كِنْفَيْنْ

وغير نُؤْيٍ وحِجَاجَيْ نُؤْيَيْنْ وغير ودٍّ جَاذِلٍ أو وَدَّيْنْ

وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤَثْفَيْنْ

ومنها :

وَمَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرْتَيْنِ ظَهْرَاهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ التُّرْسَيْنِ

جُبْتُهُمَا بِالنَّعْتِ لا بِالنَّعْتَيْنِ(١) عَلَى مَطَارِ الْقَلْبِ سَامِي الْعَيْنَيْنِ

فقوله حى فعل أمر من التحية والحى القبيلة ، والشهبان موضع وكذا طلحة الدوم . ولم يذكرهما البكرى فى معجم ما استعجم ، والنون فى تعفين ضمير ديار الحى وتعفى بمعنى عفى اللازم يقال عفا المنزل يعفو عفواً وعفواً وعفاء — بالفتح والمد — درس ويتعدى

(١) يروى : « جبتهما بالنعت لا بالنعتين »

أيضا فأنه يقال عفته الريح ، و الآى جمع آية بمعنى العلامه وضمير تحلين لديار الحى و التحلية الوصف يقال حليت الرجل تحلية إذا وصفته يقول لم يبق من علامات حلولهم فى ديارهم تحليها ووصفها غير ماذكر ومن زائدة وآى فاعل لم يبق وغير منصوب على الاستثناء وجملة تحلين صفة لآى وبها متعلق به والحطام — بضم المهملة — ما تكسر من الحطب والمراد به دق الشجر الذى قطعوه فظللوا به الخيام ورماد مضاف إلى كنفين أى رماد من جانبى الموضع ولو روى بالتنوين لم يكن خطأ فكنف — بفتح الكاف وسكون النون — الناحية والجانب و أصله بفتح النون وقيل هو هنا بكسر الكاف وسكون النون بمعنى وعاء يجعل الراعي فيه أداته ، والنؤى — بضم النون وسكون الهمزة — حفيرة حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر ويؤخذ ترابها ويجعل حاجزا للبيت فجعل ذلك الحاجز كحجاج العين وهو — بكسر المهملة و فتحها وبعدها جيمان — العظم الذى ينبت عليه الحاجب ، والجاذل بالجيم والذال المعجمة المنتصب جذل جذولا انتصب و ثبت ، والود الوتد ، وصاليات أرادبها الأثافى لأنها صليت بالنار أى أحرقت حتى اسودت و هي معطوفة على حطام أى وغير أثاف صاليات وليست الواو واو رب خلافا لابن يسعون بدليل أنه روى بدله وغير سفع ، جمع أسفع أرادبها الأثافى أيضا لأنها قد سفعتها أى سودتها و غيرت لونها و روى أيضا « ومائلات » أى منتصبات ، والأثافى جمع أثفية و هى الأحجار التى ينصب عليها القدر وما فى قوله ككما قال الفارسي فى التذكرة القصرية : يجوز أن تكون مصدرية كأنه قال : مثل الاثفاء ويجوز أن تكون موصولة بمنزلة الذى كقوله :

فَاِنَّ الَّذِى حَانَتْ بِفَلْـجٍ دِمَاؤُهُمْ اهـ

والكاف الأولى جارة والثانيـة مؤكدة لها كما قال الشارح وهذا مأخوذ من الكشاف قال فى تفسير قوله تعالى: «ليس كمثله شيء » لك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها من قال

وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤَثْفَيْنْ

و إذا كان من باب التوكيد جاز أن يكون الكافان اسمين أو حرفين فلا يكون دليل على اسمية الثانية فقط وقال ابن السيد فى شرح أدب الكاتب : أجرى الكاف الجارة مجرى مثل فأدخل عليها كافا ثانية فكأنه قال : كمثل مايؤثفين وما مع الفعل

بتقدير المصدر كأنه قال: كمثل إثفائها أى أنها على حالها حين أثفيت والكافان لا يتعلقان بشىء فان الأولى زائدة والثانية قد أجريت مجرى الاسماء لدخول الجار عليها ولو سقطت الأولى وجب أن تكون الثانية متعلقة بمحذوف صفة لمصدر مقدر محمول على معنى الصاليات لأنها نابت مناب مثفيات فكأنه قال: ومثفيات إثفاء مثل إثفائها حين نسبت للقدر ولا بد من هذا التقدير ليصح اللفظ والمعنى، وأما قوله يؤثفين فقد اختلف النحويون فى وزنه فقال قوم وزنه يؤفعلن والهمزة زائدة فكان يجب أن يقول يثفين لكنه جاء على الأصل ضرورة كما قال الآخر:

فأنه أهل لأنْ يُؤَكْرَما

وعلى هذا فأثفية أفعولة فأصلها أثفوية قلبت الواو ياء وأدغمت وكسرت الفاء لتبقى الياء على حالها واستدلوا على زيادة الهمزة بقول العرب ثفيت القدر إذا جعلتها على الأثافى وقال قوم وزنه يفعلين فالهمزة أصل ووزن أثفية على هذا فعلية واستدلوا بقول النابغة:

لا تَقْذِفَنّى بِرُكْنٍ لا كِفاءَ لَهُ وإنْ تَأَثَّفَكَ الأَعْداءُ بالرِّفَدِ

فقوله « تأثفك » وزنه تفعلك لا يصح فيه غيره ولو كان من سفيت القدر لقال تثفاك ومعناه صار أعدائى حولك كالأثافى تظافرا ، قال ابن جنى فى شرح تصريف المازنى: ويفعلين أولى من يؤفعلن لأنه لا ضرورة فيه ، وقوله ومهمهين قذفين الخ هذا البيت من شواهد النحاة أنشده الزجاج فى باب ماجاء من المثنى بلفظ الجمع وسيأتى إن شاء الله تعالى فى الشاهد الثالث والسبعين بعد الخمسمائة فى باب المثنى والمهمه القفر المخوف قال ابن السيد فى شرح شواهد الجمل: واشتقاقه من قولك مهمهت بالرجل إذا زجرته فقلت له مه مه أراد أن سالكه يخفى صوته وحركته من خوفه فان رفع صاحبه صوته قال له مه مه ونظير هذا ماذكره اللغويون فى قول أبى ذئب (١)

عَلَى أَطْرِقَا بالِياتِ الخِيامِ

فانهم ذكروا أن أطرقا موضع وأنه سمى بذلك لأن ثلاثة أنفس مروا به فتكلم أحدهم مع صاحبه فقال لهما الثالث أطرقا، والقذف — بفتح القاف والذال المعجمة — البعيد من الأرض والمرت — بفتح الميم وسكون المهملة — الارض التى لا ماء بها ولا نبات، والظهر ما

(١) كذا فى الاصل المطبوع فى بولاق وصوابه « أبى ذؤيب »

ارتفع من الارض شبهه بظهر ترس فى ارتفاعه وتعريه من النبت كما قال الأعشى :

وفلاة كأنها ظَهْرُ تُرْسٍ لَيْسَ إلاَّ الرَّجيع فيها علاق

وقوله « جبتهما بالنعت الخ » أى نعتاً لى مرة واحدة فلم أحتج إلى أن ينعتا لى مرة ثانية وصف نفسه بالحذق والمهارة ، وهذا يشبه ماأنشده الفارسى فى التذكرة :

ومَهْمَهٍ أعْوَرِ إحْدَى الْعَيْنَيْنْ بصيرِ الأُخْرَى وَأَصَمِّ الأُذْنَيْنِ

قَطَعْتُهُ بِالسَّمْتِ لاَ بالسَّمْتَيْنِ

قوله « أعور الخ » قال أبو علي : كانت فى هذا الموضع بئران فعورت إحداهما وبقيت الأخرى فلذلك قال أعور إحدى العينين وقوله « وأصم الأذنين » يعنى أنه ليس به جبل فيسمع صوت الصدى منه وقوله « بالسمت الخ » أى قيل لى مرة واحدة فاكتفيت . وواو ومهمهين واو رب وجوابها جبتهما

وخطام المجاشعي — بكسر الخاء المعجمة — ومعناه الزمام قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : هو خطام الريح المجاشعى الراجز ، وهو خطام بن نصر بن عياض بن يربوع من بنى الأبيض بن مجاشع بن دارم وهو القائل

وماثِلاتٍ كَكَمَا يؤثفَيْنْ اه

وذكر الصاغانى فى العباب أن اسمه بشر — بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة — وقال الآمدى . ومنهم من يقال له خطام الكلب واسمه بجير — بضم الموحدة وفتح الجيم — ابن دارم ذكره ابن الأعرابى ولم ينسبه وأنشد له :

والله ما أشبهنى عِصامُ لاخلق منه ولا قوامُ

نمت وعرق الخال لاينامُ

وأنشد بعده

* (وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد المائة ، وهو من أبيات سيبويه) *

١٣٦ بين ذِرَاعَيْ وَجَبْهَةِ الأَسَدِ

هذا عجز وصدره

يامَنْ رأى عارضاً أُسَرُّ به

على أن المضاف إليه محذوف بقرينة المضاف إليه الثانى أى بين ذراعى الأسد وجبهته

تقدم الكلام على مثل هذا فى الشاهد الثالث والعشرين ، ومن منادى . وقيل محذوف المنادى أى ياقوم ومن استفهامية ، والرؤية بصرية ، والعارض السحاب الذى يعترض الأفق ، وجملة أسر به صفة لعارض ، والذراعان والجبهة من منازل القمر الثمانية والعشرين : فالذراعان أربعة كواكب كل كوكبين منها ذراع قال أبو اسحق الزجاج فى كتاب الأنواء : ذراع الأسد المقبوضة وهما كوكبان نيران بينهما كواكب صغار يقال لها الأظفار كأنها فى موضع مخالب الأسد فلذلك قيل لها الأظفار وإنما قيل لها الذراع المقبوضة لأنها ليست على سمت الذراع الأخرى وهى مقبوضة عنها ونوءها يكون لليلتين تمضيان من كانون الثانى يسقط الذراع فى المغرب غدوة وتطلع البلدة والنسر الطائر فى المشرق غدوة وفيه يجمد الماء ويشتد البرد ، والجبهة أربعة كواكب فيها عوج أحدها براق وهو اليمانى منها وإنما سميت الجبهة لأنها جبهة الأسد ونوءها يكون لعشر تمضى من شباط تسقط الجبهة فى المغرب غدوة ويطلع سعد السعود من المشرق غدوة وفيه تقع الجمرة الثالثة ويتحرك أول العشب ويصوت الطير ويورق الشجر ويكون مطرجود ويسمى نوء الأسد لأنه يتصل بها كواكب فى جبهة الأسد ، وخص هاتين المنزلتين لأن السحاب الذى ينشأ بنوء من منازل الأسد يكون مطره غزيراً فلذلك يسر به ، والنوء غيبوبة الكوكب فى المغرب غدوة وطلوع رقيبه فى المشرق غدوة ، وسمى النوء لأنه ناء أى نهض للغيوب قال الزجاج : والذى أختار مذهب الخليل وهو أن النوء اسم المطر الذى يكون مع سقوط النجم فاسم مطر الكوكب الساقط النوء اهـ وكانت العرب تزعم أنه يحدث عند نوء كل منزل مطر أو ريح أو حر أو برد وهذا الذى روى فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من أمر الجاهلية : الطعن فى الأنساب ، والنياحة ، والاستسقاء بالأنواء » وهو أن تضيف المطر إلى الكوكب الذى ينوء ، قال الأعلم : وصف عارض سحاب اعترض بين نوء الذراع ونوء الجبهة وهما من أنواء الأسد وأنواؤه أحمد الأنواء وذكر الذراعين والنوء إنما هو للذراع المقبوضة منهما لاشتراكهما فى أعصاب الأسد ونظير هذا قوله

تعالى « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » يريد من البحرين الملح والعذب وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح لا منهما

وهذا البيت للفرزدق ، وتقدمت ترجمته فى الشاهد الثلاثين

وأنشد بعده

* (وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه) *

١٣٧ كِلِينى لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ

هذا صدر ، وعجزه قد أنشده فى باب النعت

وليلٍ أُقاسيه بطىء الكَواكِبِ

على أن أميمة جاء بفتح التاء والقياس ضمها ، واختلفوا فى التوجيه فقال الجمهور : إنه مرخم والأصل يا أميم ثم دخلت الهاء غير معتد بها وفتحت لأنها وقعت موقع ما يستحق الفتح وهو ما قبل هاء التأنيث ، ولأبى على الفارسى فيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ أن الهاء زائدة وفتحت إتباعا لحركة الميم ﴿ والثانى ﴾ أنها أدخلت بين الميم وفتحتها فالفتحة التى فى أولها هى فتحة الميم ثم فتحت الميم إتباعا لحركة الهاء ، وقيل جاء هذا على أصل المنادى ولم ينون لأنه غير منصرف ، وقيل هو مبنى على الفتح لأن منهم من يبنى المنادى المفرد على الفتح لأنها حركة تشابه حركة إعرابه فهو نظير لا رجل فى الدار

وقوله « كلينى » أمر من وكلت الأمر إليه وكلا — من باب وعد — ووكولا إذا فوضته إليه واكتفيت به ، وأميمة تصغير ترخيم أمامة وهى بنته ، وناصب بمعنى منصب من النصب وهو التعب فجاء به على طرح الزائد ، وحمله سيبويه على النسب أى ذى نصب كما يقال طريق خائف أى ذو خوف ، وأقاسيه أكابده ، يقول : دعينى لهذا الهم المتعب ومقاساة الليل البطىء الكواكب بالسهر ولا تزيدينى لوماً وعذلا ، وجعل بطء الكواكب دليلا على طول الليل كأنها لا تغرب فينقضى الليل وما أحسن قول بعضهم :

لا أَظْلِمُ اللَّيْلَ ولا أدَّعى أن نجوم الليل ليستْ تَغُورْ
لَيْلى كما شِئْتِ : فإن لَمْ تَجِىءْ طَالَ ، وإنْ جاءت فَلَيْلِى قصيرْ

وهذا البيت مطلع قصيدة للنابغة الذبيانى مدح بها عمرو بن الحرث الأعرج بن

لحرث الأكبر بن أبي شمر — بفتح فكسر — ويقال : شمر — بكسر فسكون — حين هرب إلى الشام لما بلغه سعي مرة بن ربيعة بن قريع به إلى النعمان بن المنذر وخافه ، وهذا عن أبي عبيدة ، وقال غيره : هو ابن الحرث الأصغر بن الحرث الأعرج ، ابن الحرث الأكبر بن أبي شمر ، وبعده :

تَطَاوَلَ حتى قلت ليس بِمُنْقَضٍ ... وَلَيْسَ الذي يَرْعَى النجومَ بآيبِ

وَصَدْرٍ أراحَ الليلُ عازِبَ همِّهِ ... تضاعَفَ فيه الحزن من كلِّ جانبِ

عَلَيَّ لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ بعد نعمةٍ ... لوالده ليست بذاتِ عقاربِ

ومنها :

ولا عَيْبَ فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فُلُولٌ من قِرَاعِ الكتائبِ

وسيأتي شرحه إن شاء الله تعالى في المستثنى

قوله « وصدر » معطوف على قوله لهم في أول البيت ، وأراح — بمهملتين — متعدي راحت الأبل بالعشي على أهلها أي رجعت من المرعى إليهم والعازب — بالعين المهملة والزاي المعجمة — الغائب من عزب الشيء عزوبا — من باب قعد — بعد ، وغرب — من بابي قتل وضرب — غاب وخفي ، وقوله « لوالده » أي لوالد عمرو ، صفة لنعمة أي بعد نعمة كائنة لوالده ، وقوله « ليست الخ » الجملة صفة إما النعمة المرفوعة أو لنعمة المجرورة أي نعمة غير مشوبة بنقمة كنعمة النعمان بن المنذر

وعمرو هذا هو الغساني من ملوك الشام ، قال ابن رشيق في العمدة : أول من ولي الشام من غسان الحرث بن عمرو محرق(١) ، سمي بذلك لأنه أول من حرق العرب في ديارها ، وهو الحرث الأكبر يكنى أبا شمر ، ثم ابنه الحرث بن أبي شمر وهو الحرث الأعرج ، وأمه مارية ذات القرطين ، وهي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية الكندي ، وأختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار الكندي ، وإلى الحرث الأعرج زحف المنذر الاكبر فانهزم جيشه وقتل هو ، ثم الحرث الاصغر ، ثم الحرث الاعرج بن الحرث ، ومن ولد الاعرج عمرو بن الحرث وكان يقال له أبو شمر الاصغر وله يقول نابغة بني ذبيان :

(١) في نسخة بولاق : « عمرو ومحرق »

عليّ لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

والنعمان بن الحرث هو أخو الحرث الأصغر وله يقول النابغة :

هَذا غلامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ مُستَقبِلُ الخير سَريعُ التمام

وللنعمان ثلاثة بنين : عمرو وحجر والنعمان ، ومن ولد الاعرج أيضا المنذر ، والايهم أبو جبلة ، وجبلة آخر ملوك غسان ، وكان طوله اثنى عشر شبراً ؛ وهو الذى تنصر فى أيام عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — وكان أصل هؤلاء من اليمن وكانوا من غسان وقيل من قضاعة وأول ملوكهم النعمان بن عمرو بن مالك ، ثم من بعده ابنه مالك ، ثم من بعد مالك ابنه عمرو إلى خروج مزيقيا ، وهو عمرو بن عامر ، من اليمن فى قومه من الأزد وسمى مزيقيا لأنه كان يمزق كل يوم حلة لا يعود إلى لبسها ثم يهبها وسمى عامر ماء السماء لأنه كان يجتني فى المحل فينوب عن الغيث بالعطاء ، ومزيقيا بن حارثة الغطريف بن ثعلبة البهلول بن امرىء القيس البطريق بن مازن قاتل الجوع بن الأزد لما خرج مزيقيا من اليمن كان معه رجل اسمه جذع بن سنان فنزلوا بلاد عك فقتل جذع ملك بلاد عك وافترقت الأزد والملك فيهم ثعلبة بن عمرو بن عامر فانصرف عامله لحارب جرهم فأجلاهم عن مكة واستولوا عليها زمانا ، ثم أحدثوا الأحداث وجاء قصى بن كلاب فجمع معدا وبذلك سمى مجمعا واستعان ملك الروم فأعانه وحارب الازد فغلبهم واستولى على مكة فلما رأت الازد ضيق العيش بمكة ارتحلت وانخزعت خزاعة لولاية البيت وبذلك سميت فصار بعض الأزد إلى السواد فملكوا عليهم مالك ابن فهم أبا جزيمة الابرش ، وصار قوم الى يثرب فهم الاوس والخزرج ، وصار قوم إلى عمان . وصار قوم إلى الشام وفيهم جذع بن سنان وأتاه عامل الملك فى خرج وجب عليه فدفع إليه سيفه رهنا فقال له الرومى : أدخله فى حر أمك ، فغضب جذع وقنعه به فقيل «خذ من جذع ما أعطاك» وسارت مثلا ، ثم استولوا على الشام كما تقدم ذكره والله أعلم .

* تتمة * روى المرزبانى فى الموشح عن الصولى بسنده أن الوليد بن عبد الملك تشاجر مع أخيه مسلمة فى شعر امرىء القيس والنابغة الذبيانى فى وصف طول الليل أيهما أجود فرضيا بالشعبي فأحضر فأنشده الوليد :

كِلِينى لهمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِ « الابيات الثلاثة »

وأنشده مسلمة قول امرىء القيس :

ولَيْلٍ كَمَوْجِ البحرِ أرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْواعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلى

السدول الستور و يبتلى ماعندى من صبر أوجزع

فقلت له لمَّا تمطى بصُلبِه وأَردف أعْجَازاً وناء بكَلْكَلِ

تمطى امتد ، وصلبه وسطه ، وأردف أتبع ، وأعجازه مآخيره ، وناء نهض ، والكلكل الصدر

ألا أَيها الليلُ الطويلُ ألا انْجَلى بصبحٍ وما الإصْبَاحُ مِنْكَ بأمْثَلِ

أى ما الأصباح بخيرلى منك

فيالك من ليلٍ كأنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

المغار الحبل المحكم الفتل ، ويذبل جبل

كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ في مَصَامِهَا بأَمْرَاسِ كِتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ

فى مصامها فى مقامها ، والأمراس الحبال ، والجندل الحجارة ، والصم الصلاب

قال : فضرب الوليد برجله طربا فقال الشعبى : بانت القضية ... قال الصولى : فأما قول النابغة :

وَصَدْرٍ أراحَ الليلُ عازِبَ همِّهِ

فأنه جعل صدره مألفا للهموم وجعلها كالنعم العازبة بالنهار عنه الرائحة مع الليل إليه كما تريح الرعاة السائمة بالليل إلى مكانها وهو أول من وصف أن الهموم متزايدة بالليل وتبعه الناس فقال المجنون :

يَضُمُّ إلىَّ الليل أطفال حُبِّها كما ضمَّ أزْرارَ القميص البنائقُ

وهذا من المقلوب أراد كما ضم أزرار القميص البنائق ومثل هذا كثير فجعل المجنون ما يأتيه فى ليله مما عزب عنه فى نهاره كالأطفال الناشئة ، وقال ابن الدمينة :

أظلُّ نهارى فيكُمُ متعلِّلاً ويجمعنى بالهم والليلَ جامع

ويروى صدره :

أقضى نهارى بالحديث وبالمُنى

فالشعراء على هذا متفقون ولم يشذ عنه منهم إلا أحذقهم بالشعر وهو امرؤ القيس. فأنه بحذقه وحسن طبعه وجودة قريحته كره أن يقول إن الهم فى حبه يخف عنه فى نهاره ويزيد فى ليله فجعل الليل والنهار سواء عليه فى قلقه وهمه وجزعه وغمه فقال : « ألا أيها الليل الطويل » البيت وقد أحسن فى هذا المعنى الذى ذهب إليه وإن كانت العادة غيره والصورة لا توجبه ، وقد صب الله على امرىء القيس بعده شاعراً أراه استحالة معناه فى المعقول وأن الصورة تدفعه والقياس لا يوجبه والعادة غير جارية به حتى لو كان الراد عليه من حذاق المتكلمين ما بلغ فى كثير نثره ما أتى به فى قليل نظمه. وهو الطرماح بن حكيم الطائى فأنه ابتدأ قصيدة فقال :

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبح ببم وما الأصباح فيك بأروح

فأتى بلفظ امرىء القيس ومعناه ثم عطف محتجا مستدركا فقال :

بلى إنَّ للعينين فى الصبح راحةً لطرحهما طرفيهما كل مطرح

فأحسن فى قوله وأجمل وأتى بحق لا يدفع وبين عن الفرق بين ليله ونهاره ، وإنما أجمع الشعراء على ذلك من تضاعف بلائهم بالليل وشدة كلفهم لقلة المساعد وفقد الحبيب وتقييد اللحظ عن أقصى مرام النظر الذى لا بد أن يؤدى إلى القلب بتأمله شيئاً يخف عنه أو يغلب عليه فينسى ما سواه ، وأبيات امرىء القيس فى وصف الليل اشتمل الأحسان عليها ولاح الحذق فيها وبان الطبع بها فما فيها معاب إلا من جهة واحدة عند الحذاق بنقد الشعر وهو قوله « فقلت لها لما تمطى » البيت لم يشرح فقلت له إلا فى بيت بعده وهذا عيب لأن خير الشعر مالم يحتج بيت منه إلى بيت آخر ، وقد تبع الناس امرأ القيس وصدقوا قوله وجعلوا نهارهم كليلهم فقال البحترى فى غضب الفتح عليه :

وألبستنى سخط امرىء بت موهناً أرى سُخطه ليلاً مع الليل مُظلما

وكأنه من قول أبى عيينة فى التذكر لوطنه :

طال من ذكره بجرجان ليلى ونهارى علىَّ كالليـل داجى

وترجمة النابغة الذبيانى قد تقدمت فى الشاهد الرابع بعد المائة

وأنشد فى الترخيم

وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه

(١٣٨) خُذُوا حَظَّكم يا آلَ عِكْرِمَ وَاذْكُرُوا أَوَاصِرَنَا وَالرَّحْمُ بالغَيْبِ تذْكَرُ

على أن الكوفيين اجازوا ترخيم المضاف ، ويقع الحذف فى آخر الاسم الثانى كما فى البيت وفى أبيات أخر كثيرة ، والأصل يا آل عكرمة. وقالوا : المضاف والمضاف إليه بمنزلة الشىء الواحد فجاز ترخيمه كالمفرد ، ومنع البصريون هـذا الترخيم ، وقالوا : لا حجة فى هذا البيت وأمثاله لأنه محمول على الضرورة ، والترخيم ضرورة جائز فى غير النداء أيضاً كقوله :

أَوْدَى بْنُ جُلْهُمَ عَبادُ بِصَفْتَتِهِ إنَّ ابن جلهم أمْسَى حَيَّةَ الوادِى

أراد جلهمة

وهذا البيت من أبيات تسعة لزهير بن أبى سلمى قالها لبنى سليم وبلغه أنهم يريدون الأغارة على غطفان وهي هذه :

رأيت بنى آل امرىء القيس أصْفَقُوا عَلَيْنا وقالوا إننا نحن أكْثَرُ

سليم بن منصـور وأفنـاء عامر وسـعد بن بكر والنصـور وأعصر

بنو آل امرىء القيس هوازن ، وسليم بالتصغير ، وقوله « أصفقوا علينا » أى اجتمعوا يقال أصفق القوم على كذا إذا اجتمعوا عليه وقوله « سليم بن منصور » أى منهم سليم ، وأفناء عامر قبائلها ، وسعد بن بكر من هوازن وهم الذين كان النبى صلى الله عليه وسلم مسترضعاً فيهم ، والنصور بنو نصر وهم من هوازن أيضاً سمى كل واحد منهم باسم أبيه ثم جمع ، وأعصر أبو غنى وباهلة ، وكل هؤلاء من ولد عكرمة بن خصفة ابن قيس عيلان بن مضر

خذوا حظكم يا آل عكرم واذكروا أواصرنا والرحم بالغيب تذكرُ
خذوا حظكم من وُدّنا إن قربنا إذا ضرستنا الحرب نار تسعَّر

الحظ النصيب ، يقول : صونوا حظكم من صلة القرابة ولا تفسدوا ما بيننا وبينكم فأن ذلك مما يعود مكروهه عليكم ، وآل عكرمة هم بنو عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر ، ورخم عكرمة ضرورة ، والأواصر جمع آصرة وهى ماعطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف ، والرحم موضع تكوين الولد وتخفف بسكون الحاء مع فتح الراء ومع كسرها أيضاً فى لغة بنى كلاب ثم سميت القرابة والوصلة من جهة الولاء رحماً فالرحم خلاف الأجنبي وهو مؤنث فى المعنيين ، والرحم التى بين قوم زهير وبينهم أن مزينة من ولد أد بن طابخة بن إلياس بن مضر وهؤلاء من ولد قيس عيلان بن مضر وقوله «إذا ضرستنا الحرب» أى عضتنا بأضراسها ، وهذا مثل للشدة يقول : إذا اشتدت الحرب فالقرب منا مكروه وجانبنا شديد وضرب النار مثلا لذلك ومعنى تسعر — وأصله تتسعر — تتقد

وإنا وإياكم إلى ما نسومكم لِمثْلانِ أَوْ أَنْتُمْ إلى الصلح أفْقَر

يقول : نحن وأنتم مثلان فى الاحتياج إلى الصلح وترك الغزو بل أنتم إلى ذلك أحوج وأشد افتقارا إليه ، ومعنى نسومكم نعرض عليكم وندعوكم ، يقال : سمته الخسف أى طلبت منه غير الحق وحملته على الذل والهوان

إذا ما سِمعْنا صارِخاً معجت بنا إلى صَوْتِهِ وُرْقُ الْمَراكِلِ ضُمّرُ

الصارخ هنا المستغيث ، ومعجت بنا أى مرت مرا سريعاً فى سهولة ، وقوله ورق المراكل ضمر هو جمع أورق وهو الأسود فى غبرة ، والمركل — كجعفر — موضع عقب الفارس من جنب الفرس أى قد تحات الشعر وتساقط عن مراكلها فاسود موضعه لكثرة الركوب فى الحرب

وإن شُلّ ريعان الجميع مخافة نقول جهاراً ويلكم لا تنفروا
على رِسْلِكُمْ إنا سنعدى وراءكم فتمنعكم أرماحنا أو سنعذر
وإلا فأنا بالشَّرَبَّةِ فاللِّوَى نعقر أُمّاتِ الرباع ونيسر

يقول : إن أحس القوم بالعدو فطردوا أوائل إبلهم وصرفوها عن المرعى أمرناهم بأن لا يفعلوا وقلنا لهم مجاهرة ويلكم لا تنفروا ولا تطردوها فنحن نمنعها من العدو ونقاتل دونها ، وشل ـ بالبناء للمفعول ـ طرد ، وريعان كل شيء أوله ، وقوله على رسلكم ـ بالكسر ـ أى على مهلكم ورفقكم ، والمعنى أمهلوا قليلا ، وقوله « سنعدى وراءكم » أى سنعدى الخيل وراءكم ، يقال عدى الفرس وأعداه فارسه ، وقوله ستعذر أى ستأتى بالعذر فى الذب عنكم يقال أعذر الرجل فى الأمر إذا اجتهد وبلغ العذر ، وقوله وإلا فأنا الخ . يقول وإن لم يكن قتال فأنا بالشربة أى بمنازلها التى تعلمون نحن فيها آمنون نضرب بقداح الميسر وننحر النوق الكريمة ، والرباع جمع ربع وهو ما نتج فى الربيع ، وقداح الميسر تعد عندهم من المكارم فيتفاخرون بلعبها فى القحط ، ويقال فيما لا يعقل أم وأمات وفيما يعقل أمهات وربما استعمل كل واحد منهما مكان صاحبه ، ونيسر نقامر وفعله من باب وعد ، وروى :

وإنْ شدَّ رعيانُ الجميعِ مَخافةً

وشد بمعنى فر ورعيان جمع راع ، ووراءكم أمامكم ، وستعذر روى بالمثناة الفوقية والضمير للرماح ، والشربة ـ بفتح الشين والراء وتشديد الموحدة ـ موضع ببلاد غطفان وكذلك اللوى

وزهير هو زهير بن أبى سلمى ، واسم أبى سلمى ربيعة بن رياح المزنى من مزينة ابن أدبن طابخة بن إلياس بن مضر ، وكانت محلتهم فى بلاد غطفان فيظن الناس أنه من غطفان أعنى زهيرا وهو غلط كذا فى الاستيعاب لابن عبد البر وكأن هذا رد لما قاله ابن قتيبة فى كتاب الشعراء فأنه قال : زهير هو ابن ربيعة بن قرط والناس ينسبونه إلى مزينة وإنما نسبه إلى غطفان اهـ وسلمى بضم السين قال فى الصحاح ليس فى العرب سلمى بالضم غيره ورياح بكسر الراء وبعدها مثناة تحتية . وزهير أحد الشعراء الثلاثة الفحول المتقدمين على سائر الشعراء بالاتفاق ، وإنما اختلفوا فى تقديم أحدهم على الآخر ، وهم امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة الذبيانى ، قال ابن قتيبة : يقال إنه لم يتصل الشعر فى ولد أحد من الفحول فى الجاهلية ما اتصل فى ولد زهير وفى الاسلام ما اتصل فى ولد جرير ، وكان زهير راوية أوس بن حجر ، وعن عكرمة

ابن جرير قال : قلت لأبى : من أشعر الناس ؟ قال : أجاهلية أم إسلامية ؟ قلت: جاهلية قال : زهير قلت فالأسلام قال : الفرزدق قلت : فالأخطل قال : يجيد نعت الملوك و يصيب صفة الخمر قلت له فأنت قال: أنا نحرت الشعر نحرا ، و قال ثعلب وهو ممن قدم زهيرا: كان أحسنهم شعرا وأبعدهم من سخف، و أجمعهم لكثير من المعنى فى قليل من المنطق ، و أشدهم مبالغة فى المدح ، و أكثرهم أمثالا فى شعره .وقال ابن الأعرابى : لزهير فى الشعر ما لم يكن لغيره ، كان أبوه شاعرا ، وخاله شاعرا وأخته سلمى شاعرة ، وأخته الخنساء شاعرة ، وأبناه كعب و بجير شاعرين ، وابن ابنه المضرب بن كعب شاعرا ، وهو الذى يقول :

إنى لأحبس نفسى وَهْىَ صَابِرَةٌ عَنْ مُصْعَبٍ ولقد بَانَتْ لىَ الطرقُ
رعوى عليه كما أرعى على هرم جدى زهير وفينا ذلك الخلق
مدح الملوك وسعى فى مسرتهم ثم الغنى ويد الممدوح تنطلق

.و كعب هو ناظم :

بَانَتْ سُعَادُ فقلبى اليومَ متبُولُ

وستأتى ترجمته إن شاء الله تعالى فى أفعال القلوب ، قال ابن قتيبة: وكان زهير يتأله و يتعفف فى شعره و يدل على إيمانه بالبعث وذلك قوله :

يُؤَخَّرْ فَيُودَعْ فى كِتَابٍ فَيُدَّخَرْ ليوم الحساب أو يُعَجل فينقم

.وشبه زهير امرأة بثلاثة أوصاف فى بيت واحد فقال :

تنازعت المها شبها ودرّ الـــبحور وشابهت (١) فيها الظباء

ففسر ثم قال :

فأماما فويق العِقدِ منها فمن أدْمَاءَ مرتعها الخلاء
وأما المقلتـــان فمن مهاة وللدرّ المـــلاحة والصفاء

.وقال بعض الرواة: لو أن زهيراً نظر إلى رسالة عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى مازاد على ماقال :

(١) يروى : « وشاكهت »

فأنّ الحقّ مقطعُه ثلاث : يمينٌ ، أو نفار ، أو جلاء

يعنى يمينا أو منا فرة إلى حاكم يقطع بالبينات أو جلاء وهو بيان وبرهان يجلو به الحق وتتضح الدعوي

وديوان شعر زهير كبير، وعليه شرحان، وهما عندى والحمدلله والمنة (أحدهما) بخط مهلهل الشهير الخطاط صاحب الخط المنسوب ، وغالب شعره مدح فى هرم ابن سنان أحد الأجواد المشهورين ومن شعره فيه قوله :

صَحَا القلبُ عنْ سَلْمى وقَدْ كادَلاَ يَسْلُو

قال صاحب الأغانى : هذه القصيدة أول قصيدة مدح بها زهير هرما ثم تتابع بعده، وكان هرم حلف أن لا يمدحه زهير إلا أعطاه، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه . عبدا ، أو وليدة ، أوفرسا . فاستحيا زهير منه ، فكان زهير إذا رآه فى ملأ قال : أنعموا صباحا غير هرم وخيركم استثنيت

وقال عمر بن الخطاب لبعض ولد هرم : أنشدنى بعض مدح زهير أباك فأنشده فقال عمر : إنه كان ليحسن فيكم المدح ، قال : ونحن والله كنا لنحسن له العطية ، قال قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم ، وفى رواية عمر بن شبة قال عمر لابن زهير: ما فعلت الحلل التى كساها هرم أباك؟ قال : أبلاها الدهر قال: لكن الحلل التي كساها أبوك هرما لم يبلها الدهر .. ويستجاد قوله فى هرم :

قدْ جعلَ المبتغون الخيرَ فى هَرِمٍ والسائلون إلى أبوابه طُرُقَا
من يلقَ يوما على عِلاّته هَرِماً يَلْقَ السّماحَةَ فيهوالندَى خُلُقَا

وروى أن زهيرا كان ينظم القصيدة فى شهر ، وينقحها ويهذبها فى سنة ، وكانت تسمى قصائده حوليات زهير ، وقد أشار إلى هذا البها زهير فى قوله من قصيدة :

هذا زهيرُكَ لا زهيرُ مُزَيْنَةٍ وافاكَ لا هَرِماً على علاّته
دعه وحولياته ثم اَستمع لزهير عصرك حسن لَيْليَّاتِهِ

وكان رأى زهير فى منامه فى أواخر عمره أن آتيا أتاه فحمله إلى السماء حتي كاد يمسها بيده ثم تركه فهوى إلى الارض، فلما احتضر قص رؤياه على ولده كعب ثم قال:

إنى لا أشك أنه كائن من خبر السماء بعدى فأن كان فتمسكوا به وسارعوا إليه ، ثم توفى قبل المبعث بسنة ، فلما بعث صلى الله عليه وسلم خرج إليه ولده كعب بقصيدته بانت سعاد وأسلم كما يأتى بيانها فى أفعال القلوب إن شاء الله تعالى ، وروى أيضا أن زهيرا رأى فى منامه أن سببا تدلى من السماء إلى الأرض كأن الناس يمسكونه وكلما أراد أن يمسكه تقلص عنه فأوله بنبي آخر الزمان فأنه واسطة بين الله و بين الناس وأن مدته لا تصل إلى زمن مبعثه ، وأوصى بنيه أن يؤمنوا به عند ظهوره

وأنشد بعده

وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد المائة

(١٣٩) أبا عُرْوَ لا تَبعَد فكُلُّ ابْنِ حرَّةٍ
سَيَدْعُوه رَاعِى مَوْته فَيُجِيبُ

لما تقدم فى البيت قبله ، فان أبا عرو منادى بحرف النداء المحذوف ، وأبا منادى مضاف لما بعده وعرو مرخم عروة ، والكلام عليه كما تقدم فى البيت قبله

قال ابن الشجرى فى أماليه : ومما يدل على مذهب سيبويه ولم يكن فيه ما تأوله أبو العباس بن المبرد فى بيت زهير فزعم أنه أراد يا آل عكرمة بالجر والتنوين قول الشاعر:

أبا عرو لا تبعد «البيت»

ألا ترى أنه لا يمكن أبا العباس أن يقول إن عروة قبيلة كما قال ذلك فى عكرمة ، ولا يمكنه أن يقول أراد أبا عرو ــ بالجر والتنوين ــ فمنعه من ذلك أن عروة لا ينصرف للتأنيث فى التعريف انتهى

وروى ابن الشجرى هذا البيت كرواية الشارح المحقق ، وأنشده ابن الأنبارى فى مسائل الخلاف ، وكذا ابن هشام فى شرح الألفية « سيدعوه داعى ميتة » بكسر الميم ، والميتة الحالة التى يموت عليها الأنسان وزاد ابن السكيت فى كتاب المذكر والمؤنث رواية « ستدعوه » بمثناة فوقية لا تحتية على أن قوله « داعى » اكتسب التأنيث من إضافته إلى المؤنث ، وكذلك أورده الفراء عند تفسير قوله تعالى « إنها إن تك مثقال حبة من خردل » قال : فأن قلت إن المثقال ذكر فكيف قال تك ؟ قلت : لأن المثقال

أضيف إلى الحبة وفيها المعني كأنه قال: إن تك حبة ثم أنشد البيت . فقال: أنث فعل الداعي وهو ذكر لأنه ذهب إلى الموتة

وقوله لا تبعد أى لا تهلك وهو دعاء خرج بلفظ النهى كما يخرج الدعاء بلفظ الأمر وإن كان ليس بأمر نحو « اللهم اغفرلنا » يقال: بعد الرجل يبعد بعدا — من باب فرح — إذا هلك وإذا أردت ضد القرب قلت بعد يبعد — بضم العين فيهما — والمصدر على وزن ضده وهو القرب وربما استعملوا هذا فى معنى الهلاك لتداخل معنيهما . فأن قيل: كيف قال لا تبعد وهو قد هلك ؟ أجيب بأن العرب قد جرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة فى الدعاء للميت ولهم فى ذلك غرضان (أحدهما) أنهم يريدون استعظام موت الرجل الجليل وكأنهم لا يصدقون بموته . وقد بين هذا المعنى النابغة الذبيانى بقوله:

يقولون حِصْنٌ ثم تأْبَى نفوسهم وكيف بحصن والجبال جنوح
ولم تَلْفِظِ الموتى القبورُ ولم تزل نجوم السماء والأديم صحيح

أراد أنهم يقولون مات حصن ثم يستعظمون أن ينطقوا بذلك ويقولون: كيف يجوز أن يموت والجبال لم تنسف والنجوم لم تنكدر والقبور لم تخرج موتاها وجرم العالم صحيح لم يحدث فيه حادث ؟ وهكذا تستعمله العرب فيمن هلك فساء هلاكه وشق على من يفقده ، قال الفرار السلمى:

ما كانَ يَنْفَعُنِى مَقَالُ نِسَائِهم وقتلت دون رجالهم: لا تَبْعَدِ

ومثله قول مالك بن الريب من قصيدة تقدمت:

يقولون لا تبعَدْ وهم يدفنوننى وأَيْنَ مكانُ البعد إلا مكانيا؟

(والغرض الثانى) أنهم يريدون الدعاء له بأن يبقى ذكره ولا ينسى لأن بقاء ذكر الانسان بعد موته بمنزلة حياته كما قال الشاعر:

فأثنوا علينا لا أبا لأبيكُمُ بأفعالنا إنَّ الثناءَ هوَ الخُلْدُ

وقال آخر:

فأن تك أَفْنَتْه الليالى فأَوْشكَتْ فأن له ذكراً سيُفْنِى اللياليا

وقال المتنبى وأحسن:

ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته مافاته وفضول العيش أشغال

وقد بين الفرار السلمي ومالك بن الريب ما في هذا من المحال في البيتين المذكورين وقوله « فكل ابن حرة » الفاء للتعليل يقول : لا أنسى الله ذكرك بالثناء الجميل في الدنيا فأن الأنسان لابد له من الموت فأن ذكر بالجميل فكأنه لم يمت ، وذكر الحرة وأراد المرأة أو تقول أبناء الحرائر إذا كان لابد لهم من الموت فموت أبناء الأماء من باب أولى ، والسين في قوله « ستدعوه » للتأكيد لا للتسويف ، وقوله « فيجيب » معطوف على ستدعوه

وأنشد بعده

وهو الشاهد الأربعون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه

(١٤٠) دِيَارَ مية إذْ مَىٌّ تُسَاعِفُنَا   وَلاَ يَرَى مِثْلَهَا عُجْمٌ وَلاَ عَرَبُ

على أن الترخيم في غير النداء ضرورة إذمى مرخم مية وهو غير منادى ، وأنشد سيبويه هذا البيت في كتابه في موضعين (أحدهما) هذا ، قال : وأما قول ذي الرمة :

دِيَارَ مَيَّةَ إذ مىٌّ تساعفنا   «البيت»

فزعم يونس أنه كان يسميها مرة ميا ومرة مية انتهى ، وكذا في الصحاح قال : مية اسم امرأة ومى أيضا ، وعلى هذا فيكون ما في البيت على أحد الوجهين فلا ترخيم ولا ضرورة فيكون مصروفا كما يصرف دعد لأنه ثلاثي ساكن الوسط ، قال ابن الشجري في أماليه : ومنع المبرد من الترخيم في غير النداء على لغة من قال « يا حار » — بالكسر — إلى أن قال: وكذلك يقولون في قول ذي الرمة:

يادَارَ مَيَّةَ إذْ مىٌّ تُساعِفُنَا   «البيت»

:إنه كان مرة يسميها ميا ومرة يسميها مية ، قال : ويجوز أن يكون أجراه في غير النداء على ياحار — بالضم — ثم صرفه لما احتاج إلى صرفه، قال: وهذا الوجه عندي لأن الرواة كلهم ينشدون

فيامىٌّ ما يُدْرِيكِ أَنَّ مَنَاخَنَا   «البيت»اه

(والموضع الثاني) من كتاب سيبويه أورده على أن ديار مية منصوب بأضمار فعل؛ كأنه قال: اذكر ديار مية ، ولا يذكر هذا العامل لكثرته في كلامهم ، ولما كان فيه من ذكر

الديار قبل ذلك ، ونص كتابه : « ومما التزم فيه الأضمار قول الشعراء ديار فلانة قال:

دِيَارَ مَيَّةَ إذْ مَىٌّ تساعفنا «البيت»

كأنه قال اذكر ولكنه حذف لكثرة الاستعمال .. ثم قال : ومن العرب من يرفع الديار كأنه يقول تلك ديار فلانة، انتهي ، ويجوز أن يكون مجرورا على أنه بدل من دار في بيته قبله بثلاثة أبيات وهو :

لاَ بَلْ هُوَ الشَّوْقُ من دارٍ تَخَوَّنَهَا مَرٌّ السَّحَابِ وَمَرٌّ بَارِحٌ تَرِب

وهما من قصيدة طويلة جدا في النسيب بمية ووصفها وهي أحسن شعره حتى قال جرير : ما أحببت أن ينسب إلى من شعر ذى الرمة إلا هذه القصيدة فأن شيطانه كان فيها ناصحا، ولو خرس من بعدها لكان أشعر الناس، وروى الأصمعي في شرح ديوانه عن أبي جهمة العدوى قال: سمعت ذا الرمة يقول : من شعرى ماساعدنى فيه القول ، ومنه ما أجهدت فيه نفسي ، ومنه ما جننت فيه جنونا ، فأما الذى جننت فيه فقولى :

مَا بَالُ عَيْنَيْكَ مِنْهَا المـاء ينسَكِبُ

وأما ماطاوعني فيه القول فقولى :

خليلى عُوجَا عن صُدُورِ الرَّوَاحِلِ

فأما ما أجهدت فيه نفسي فقولى :

أَأَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرْقَاءَ منزِلَةً اه

ومن أول القصيدة إلى بيت الشاهد عشرة أبيات لا بأس بأيرادها وهي هذه:

ما بال عينيك منها الماء ينسكب كأنه من كُلى مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ

الكلى جمع كلية وهي الرقعة تكون في أصل عرقة المزادة، والمفرية المقطوعة المخروزة يقال فريت الأديم إذا شققته وخرزته وأفريته إذا شققته،تفرى —بلا ألف— شق معه إصلاح وأفرى —مع ألف— شق في فساد ، وسرب رواه أبو عمرو بكسر الراء بمعنى السائل ورواه الأصمعي وابن الأعرابي بفتحها قال : السرب الماء نفسه الذى يصب في المزادة الجديدة لكي تبتل مواضع الخرز والسيور ،سرب قربتك أى صب فيها الماء حتى تستحكم مواضع الخرز

وفراء غرفية أثأى خَوَارِزُهَا مشاشل ضَيَّعَتْهُ بينها الـكتب

وفراء أى ضخمة صفة مفرية أى مزادة وفراء ، وغرفية منسوبة الى الغرف وهو دباغ بالبحرين وقيل شجر يدبغ به وقال أبو عمرو : هو الأرطي مع التمر والملح يدبغ به وأثأى أفسد ومفعوله محذوف أى الخرز يقال أثأيت الخرز إذا خرمته ، والخوارز فاعل أثأى وهو جمع خارزة وهى التى تخيط المزادة ، المشلشل نعت سرب وهو الماء الذى يتصل تقاطره ولا ينقطع والكتب — بالمثناة الفوقية — الخرز جمع كتبة وكل شىء ضممته فقد كتبته

أستحدث الركب عن أشياعهم خبراً أم راجع القلب من أطرابه طرب

الركب أصحاب الابل جمع راكب كصحب جمع صاحب ، والأشياع الأصحاب ، وأستحدث بفتح الهمزة استفهام يقول أبكاؤك وحزنك لخبر حدث أم راجع قلبك طرب ، والطرب استخفاف القلب فى فرح كان أو حزن ، وهذا البيت من شواهد شرح الشافية للشارح المحقق

من دمنة نسفت عنها الصبا سفعا كما تنشر بعد الطية الكتب

سيلا من الدعص أغشته معالمها نكباء تسحب أعلاه فينسحب

كأنه قال : راجع القلب طرب من دمنة أى من أجل دمنة وروى أم دمنة كأنه قال : أم دمنة هاجت حزنك والدمنة آثار الناس وما لطخوا وسودوا ، والسفع قال الأصمعى : هى طرائق الرمل سود وحمر ونصب سفعا بنسفت واتبع السيل سفعا وذلك السفع سيل من الدعص يريد رملا سال من دعص جعله كالنعت للسيل فكأنه قال : كشفت الصبا عن الدمنة سفعا وورد سيلا على السفع يقول فظهرت الأرض كما تنشر الكتب بعد أن كانت مطوية ، وقال ابن الأعرابى : السفع جمع سفعة وهو سواد تدخله حمرة تكون فى الأثافى ونصب سفعا على الحال ونصب سيلا بنسفت ، وخفض أبو عمرو سفع أتبعه الدمنة ، والطية — بالكسر — الحال التى يكون عليها الانسان والمفتوح منه فعلة واحدة ، وقوله وسيلا من الدعص الخ ، يقول : سيلا أغشته إياها النكباء ، والدعص رمل منفرد متلبد ليس بعظيم ، والنكباء كل ريح انحرفت بين ريحين ، وقوله أعلاه يعنى أعلى هذا السيل الذى سال من الدعص وليس سيل مطر إنما هو رمل انهال إلى هذه الدمنة فغشى آثارها ، والنكباء التى أغشت المعالم سيلا من الدعص فعطته فجاءت بعده فنسفته ، وتسحبه تجره وتذهب به ، وينسحب أى فينجر هو أيضا

لا بل هو الشوقُ من دارٍ تخوّنها   مر السحاب ومر بارح ترب

يقول : ليس هذا الحزن من أثر دمنة ولا من خبر الركب إنما هو شوق هيج الحزن من أجل دار ذكرت من كان يحلها ، وتخونها تعهدها وتنقصها يقال فلان تخونه الحمى أى تعهده والبارح الريح الشديدة الهبوب فى الصيف والترب التى تأتى بالتراب

يبدو لعينيك منها وهى مزمنة   نُؤْىٌ ومستوقد بالٍ ومحتطب

يبدو يظهر ، ومزمنة التى أتى عليها زمان ، والنؤى حاجز يحفر حول البناء ليرد السيل والمستوقد موضع الوقود ، والبالى الدارس ، والمحتطب موضع الحطب

إلى لوائح منْ أطلال أحوية   كأنها خلل موشية قشب

أى مع لوائح يقول : يبدو لك هذا مع ذاك ، واللوائح ما لاح لك من الأطلال ، والأحوية جماعة بيوت الحى الواحد حواء ، والخلل أغماد السيف جمع خلة — بالكسر — والقشب تكون الجدد والأخلاق ، شبه آثار الدار بأغماد السيوف الموشاة المخلقة والقشب هنا الجدد . وموشية موشاة

بجانب الزُّرْق لم تطمس معالمها   دَوَارِجُ الْمُورِ والأمطارُ والحِقَبُ

يقول : هذا النؤى مع هذه الأطلال بهذا المكان ، والزرق — بضم الزاى وسكون المهملة — أنقاء بأسفل الدهناء لبني تميم ، والدوارج الرياح التى تدرج تذهب وتجىء ، والمور — بالضم — التراب الدقيق ، والامطار بالرفع ، والحقب — بكسر ففتح — السنون الواحدة حقبة ، لم تطمس لم تمح ، ويقال دوارج الرياح أذيالها وما آخيرها

دِيَارَ مَيَّةَ إذْ مَىٌّ تُسَاعِفُنَا   «البيت»

تساعفنا تدانينا وتواتينا ، وعجم — بالضم — لغة فى العجم — بفتحتين — وهو فاعل يرى البصرية ، ثم أخذ بعد هذا فى وصفها

وترجمة ذى الرمة تقدمت فى الشاهد الثامن

وأنشد بعده

* (وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد المائة) *

(١٤١) لله ما فعل الصوّارِ موا لقنا   فى عمْرو حايِ وضَبَّةِ الأغنام

لما تقدم فى البيت قبله . فأن قوله حاب مرخم حابس فى غير النداء وهو ضرورة. وهو فى المضاف إليه أبعد، وأبقى كسرة الباء من حابس بعد الترخيم على حالها . وأصله عمرو بن حابس فحذف ابنا وأضاف عمراً إلى حابس ، وقال ابن سيده صاحب المحكم فى شرح ديوان المتنبي : أراد عمرو حابس فرخم المضاف إليه اضطراراً ، كقوله أنشده سيبويه :

أودى ابنُ جُلْهم عبادٌ بصرمته ان ابن جلهم أمسى حية الوادى

قال : أراد ابن جلهمة ، والعرب يسمون الرجل جلهمة والمرأة جلهمة كل هذا حكاه سيبويه

وهذا البيت من قصيدة لأبى الطيب المتنبى قالها فى صباه عند مااجتاز برأس عين فى سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ، وقد أوقع سيف الدولة بعمرو بن حابس من بنى أسد وبنى ضبة ورياح من بنى تميم ولم ينشده إياها فلما لقيه دخلت فى جملة المديح ، ومطلع القصيدة :

ذكر الصِّبا ومَرَاتعِ الآرَامِ جَلَبَتْ حِمَامِى قبل وَقْتِ حِمَامِى

الى أن قال فى مدح سيف الدولة :

وإذا امتحنت تكَشَّفَتْ عَزَماتُه عن أوْحَدِىّ النقض والإبْرَام

وإذا سألتَ بنانَهُ عن نَيْلِه لم يَرْضَ بالدنيا قضاءَ ذِمَام

مَهْــلاً ألا لِلهِ ما صــنع القَنَا في عَمْرِو حابِ وضَبَّةِ الأَغْنَام

جعل هؤلاء أغناما لأنهم كانوا جاهلين حين عصوه حتى فعل بهم مافعل ، وهو بالنون لا بالمثناة الفوقية ، إذ هو غير مناسب إذ الأغتم الأعجم الذى لا يفصح شيئاً والجمع الغتم، وزعم ابن سيده فى شرحه أن هذا هو المراد هنا قال : والاغتام جمع أغتم كسر أفعل على أفعال وهو قليل ، ونظيره أعزل وأعزال بأهمال الأول وهو الذى لا سلاح معه ، وأغرل وأغرال بأهمال الثانى وهو الذى لم يختن ، وبعده :

لما تحكَّمَتِ الأَسِنَّة فيهم جارت وهنَّ يجُرْنَ في الْأَحكَام

فتركتهم خلل البيوت كأنما غضبت رؤسهم على الْأَجسَامِ

أى غزوتهم فى عقر دارهم التى تركتهم خلال بيوتهم أجساماً بلا رءوس

وهذه ترجمة المتنبي ، نقلتها من كتاب إيضاح المشكل لشعر المتنبي من تصانيف أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني ، وهذا الأيضاح قاصر على شرح ابن جنى لديوان المتنبي يوضح ماأخطأ فيه من شرحه ، وهو ممن عاصر ابن جنى ، وألف الأيضاح لبهاء الدولة بن بويه ، قال : وقد بدأت بذكر المتنبي ومنشئه ومغتربه ومادل عليه شعره من معتقده إلى مختتم أمره ومقدمه على الملك نضر الله وجهه بشيراز وانصرافه عنه إلى أن وقعت مقتلته بين دير قنة والنعمانية واقتسام عقائله وصفاياه

حدثني ابن النجار ببغداد أن مولد المتنبي كان بالكوفة فى محلة تعرف بكندة بها ثلاثة آلاف بيت من بين رواء ونساج واختلف إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة فكان يتعلم دروس العلوية : شعرا ، ولغة ، وإعرابا ، فنشأ فى خير حاضرة ، وقال الشعر صبياً ثم وقع إلى خير بادية باديةوما بلاد لاقته (إلا دخلها) وحصل فى بيوت العرب فادعى الفضول الذى نبز به فنمى خبره إلى أمير بعض أطرافها فأشخص إليه من قيده وسار به إلى محبسه فبقى يعتذر إليه و يتبرأ مما وسم به فى كلمته التى يقول فيها :

فما لكَ تقبل زُورَ الكلام ... وقدرُ الشهادة قدرُ الشهود
وفى جودِ كفّك ما جدْتَ لى ... بنفسي ولو كنتُ أشقى ثمود

وقد هجاه شعراء وقته فقال الضبى :

إلزم مقال الشعر تحظ بقربة ... وعن النبوة لا أبالك فانتزحْ
تربحْ دَماً قد كنت توجب سفكه ... إن الممتع بالحياة لَمَنْ ربحْ

فأجابه المتنبي :

أمرى إلىّ فان سمحت بمهجة ... كرمت على فأن مثلى من سَمَحْ

وهجاه غيره فقال :

أطلَلْتَ يا أيها الشقىُّ دمَكْ ... بالهذيان الذى مَلأْتَ فمَكْ
أقْسَمْتُ لو أقْسَمَ الأميرعلَىَّ ... قتلِكَ قبلَ العِشاءِ ما ظَلَمَكْ

فأجابه المتنبي :

همُّكَ فى أمْرَدٍ تُقَلّبُ في ... عَيْنٍ دَوَاةٍ من صلبه قلمَكْ

وهمّى في انتضاء ذى شُطَبٍ أقد يوماً بحدّه أدمك
فاخس كليبا واقعد على ذنب واطل بما بين أليتيك فمك

وهو فى الجملة خبيث الاعتقاد ، وكان فى صغره وقع إلى واحد يكنى أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة فهوسه وأضله كما ضل.

وأما مايدل عليه شعره فتلون، وقوله :

هون على بصر ماشق منظره فأنما يقَظات العين كالحلم

مذهب السوفسطائية ، وقوله :

تمتع من سهـــاد أو رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام
فأن لثالث الحالين معنًى سوى معنى انتباهك والمنام

مذهب التناسخ ، وقوله :

نحن بنو الدنيا فما بالنا نعاف مالا بد من شربه
فهذه الأرواح من جوّه وهذه الأجسام من تربه

مذهب الفضائية ، وقوله فى أبى الفضل بن العميد:

فأن يكن المهدى قدبان هديه فهذا و إلافالهُدىذَا فما المَهْدِى!

مذهب الشيعة، وقوله :

تخالفَ الناس حتى لا اتِّفاقَ لهم إلا على شجب والخلف فى الشجب
فقيل تخلد نفس المرء باقيةً وقيل تشرك جسم المرء فى العطب

فهذا من يقول بالنفس الناطقة ، ويتشعب بعضه إلى قول الحشيشية ، والأنسان إذا خلع ربقة الاسلام من عنقه وأسلمه الله عزوجل إلى حوله وقوته وجد فى الضلالات مجالا واسعاً ، وفى البدع والجهالات مناديح وفسحاً

ثم جئنا إلى حديثه وانتجاعه ، ومفارقته الكوفة أصلا ، وتطوافه فى أطراف الشام ، واستقرائه بلاد العرب ، ومقاساته للضر وسوء الحال ، ونزارة كسبه ، وحقارة ما يوصل به ، حتى إنه أخبرنى أبو الحسن الطرائفى ببغداد ــ وكان لقى المتنبى دفعات

فى حال عسره ويسره — أن المتنبي قد مدح بدون العشرة والخمسة من الدراهم وأنشد فى قوله مصداقا لحكايته :

انصر بجودك ألفاظا تركت بها فى الشرق والغرب مَنْ عاداك مكبوتا
فقد نظرتك حتى حان مرتحل وذا الوداع فكن أهْلاً لما شيتا

وأخبرنى أبو الحسن الطرائفى قال : سمعت المتنبي يقول : أول شعر قلته وابيضت أيامى بعده قولى :

أيالائمى إن كنت وقت اللوائم
علمت بمابى بين تلك المعالم

فانى أعطيت بها بدمشق مائة دينار ، ثم اتصل بأبى العشائر فأقام ماأقام ، ثم أهداه إلى سيف الدولة فاشترط أنه لا ينشد إلا قاعدا وعلى الوحدة فاستحملوه وأجابوه إليه فلما سمع سيف الدولة شعره حكم له بالفضل وعد ماطلبه استحقاقا ، وأخبرنى أبو الفتح عثمان بن جنى أن المتنبي أسقط من شعره الكثير وبقي ماتداوله الناس ، وأخبرنى الحلبي أنه قيل للتنبي : معنى بيتك هذا أخذته من قول الطائى ؟ فأجاب المتنبي : الشعر جادة وربما وقع حافر على حافر ؛ وكان المتنبي يحفظ ديوانى الطائيين ويستصحبهما فى أسفاره ويجحدهما فلما قتل توزعت دفاتره فوقع ديوان البحترى إلى بعض من درس على وذكر أنه رأى خط المتنبي وتصحيحه فيه وسمعت من قال: إن كافورا لما سمع قوله :

إذا لم تنط بى ضيعة أو ولاية فجودك يكسونى وشغلك يسلب

يلتمس ولاية صيدا ، فأجابه: لست أجسر على توليتك صيدا لأنك على ما أنت عليه تحدث نفسك بما تحدث فأن وليتك صيدا فمن يطيقك ؟ وسمعت أنه قيل للمتنبى قولك لكافور

فارم بى حيثما أردت فأنى أسد القلب آدمىّ الرواء
وفؤادى من الملوك وإن كا ن لسانى يرى من الشعراء

ليس قول ممتدح ولا منتجع إنما هو قول مضاد ، فأجاب المتنبي إلى أن قال : هذه القلوب كما سمعت أحدها يقول :

يقر بعينى أن أرى قصد القنا وصرعى رجال من وغى أنا حاضره

وأحدها يقول :

يقر بعينى أن أرى من مكانها ذرا عقدات الأجرع المتقاود

ثم أقام المتنبي عند سيف الدولة على التكرمة البليغة فى إسناء الجائزة ورفع المنزلة ودخل مع سيف الدولة بلاد الروم وتأصل حالا فى جنبته بعد أن كان حويلة وكان سيف الدوله يستحب الاستكثار من شعره والمتنبي يستقله وكان ملقى من هذه الحال يشكوها أبدا وبها فارقه حيث أنشده :

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم ؟؟

وآخرها :

بأى لفظ يقول الشعر زعنفة يجوز عندك لا عرب ولا عجم

وقال فى أخرى :

إذا شاء أن يهزأ بلحية أحمق أراه غبارى ثم قال له الحق

فلما انتهت مدته عند سيف الدولة استأذنه فى المسير إلى أقطاعه فأذن له وامتد باسطاً عنانه إلى دمشق إلى أن قصد مصر فألم بكافور فأنزله وأقام ما أقام إلا أن أول شعره فيه دليل على ندمه لفراق سيف الدولة وهو :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكنَّ أمانيا

حتى انتهى إلى قوله :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

وأخبرنى بعض المولدين ببغداد — وخاله أبو الفتح يتوزر لسيف الدولة — أن سيف الدولة وسم إلى التوقيع إلى ديوان البر بأخراج الحال فيما وصل به المتنبي فخرجت بخمسة وثلاثين ألف دينار فى مدة أربع سنين ، ثم لما أنشد الثانية كافوراخرجت موجهة يشتاق سيف الدولة وأولها :

فراقٌ ومن فارقتَ غيرُ مُذَمَّمِ وأَمٌّ ومن يَمَّمْتَ غير ميمم

وأقام على كره بمصر إلى أن ورد فاتك غلام الأخشيدى من الفيوم وهى و بيئة فنبت به واجتواها وقادوا بين يديه فى مدخله إلى مصر أربعة آلاف جنيبة منعلة بالذهب فسماه أهل مصر بفاتك المجنون فلقيه المتنبى فى الميدان على رقبة من كافور فقال :

لاخَيْلَ عندكَ تُهديها ولا مال فليسعد النطق إنْ لم يُسعِدِ الحال

فوصل إليه من أنواع صلاته وأصناف جوائزه ما تبلغ قيمته عشرين ألف دينار ثم مضى فاتك لسبيله فرثاه المتنبى وذم كافورا :

أيموت مثل أبى شجاع فاتكٍ ويعيش حاسده الخصىُّ الأوكع

فاحتال بعده فى الخلاص من كافور ، فانتهز الفرصة فى العيد، وكان رسم السلطان أن يستقبل العيد بيوم وتعد فيه الخلع والحملانات وأنواع المبار لرابطة جنده وراتبة جيشه ، وصبيحة العيد تفرق ، وثانى اليوم يذكر له من قبل ومن رد واستزاد ، فاهتبل المتنبى غفلة كافور ودفن رماحه برا وسار ليلته وحمل بغاله وجماله وهو لا يألو سيرا وسرى هذه الليلة مسافة أيام حتى وقع فى تيه بنى إسرائيل إلى أن جازه على الحال والأحياء والمفاوز المجاهيل والمناهل الأواجن ونزل الكوفة وقال يقتص حاله :

ألا كُلُّ ماشية الخَيزلى فدا كلِّ ماشية الْهَيْدَبى

وفيها يقول :

ضربت بها التيه ضرب القما وإمّا لهــــذا وإمّا لذا

ثم مدح بالكوفة دبير بن يشكروز وأنشده فى الميدان فحمله على فرس بمركب ذهب ، وكان السبب فى قصده أباالفضل بن العميد على ما أخبرنى أبو على بن شبيب القاشانى — وكان أحد تلامذتى ودرس على بقاشان سنة ثلثمائة وسبعين وتوزر للاصبهبد بالجبل وأبوه أبوالقاسم توزر لو شمكير بجرجان — عن العلوى العباسى نديم أبى الفضل ابن العميد الذى يقول فيه :

أبلغ رسالاتى الشريفَ وقل له قدك اتئد أربيت فى الغلواء

أن المعروف المطوق الشاشى كان بمصر وقت المتنبى فعمد إلى قصيدته فى كافور :

أغالبُ فيكَ الشّوْقَ والشوْق أغلبُ

وجعل مكان أبا المسك أبا الفضل وسار إلى خراسان وحمل القصيدة — أعنى قصيدة

المتنبي إلى أبي الفضل — وزعم أنه رسوله فوصله أبو الفضل بألفي درهم ، واتصل هذا الخبر بالمتنبي ببغداد فقال : رجل يعطي لحامل شعرى هذا فما تكون صلته لى ؟ وكان ابن العميد يخرج فى السنة من الرى خرجتين إلى أرجان يجبى بها أربع عشرة مرة ألف ألف درهم، فنمى حديثه إلى المتنبي بحصوله بأرجان فلما حصل المتنبي ببغداد نزل ربض حميد فركب إلى المهلبي فأذن له فدخل وجلس إلى جنبه وصاعد خليفته دونه وأبو الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى فأنشدوا هذا البيت

سقى الله أمواها عرفت مكانها جراما وملكوما وبَذَّر فالغمرا

وقال المتنبي : هو جرابا وهذه أمكنة قتلتها علما وإنما الخطأ وقع من النقلة ، فأنكره أبو الفرج — قال الشيخ هذا البيت أنشده أبو الحسن الأخفش صاحب سيبويه فى كتابه جراما بالميم وهو الصحيح وعليه علماء اللغة — وتفرق المجلس عن هذه الجملة. ثم عاوده اليوم الثانى وانتظر المهلبي إنشاده فلم يفعل، وإنما صده ما سمعه من تماديه فى السخف واستهتاره بالهزل واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه . وكان المتنبي مر النفس صعب الشكيمة حادا مجدا . فخرج، فلما كان اليوم الثالث أغروا به ابن الحجاج حتى علق لجام دابته فى صينية الكرخ وقد تكابس الناس عليه من الجوانب وابتدأ ينشده :

ياشيخ أهل العلم فينا ومن يلزم أهل العلم توقيره

فصبر عليه المتنبي ساكتا ساكنا إلى أن نجزها ثم خلى عنان دابته ؛ وانصرف المتنبي إلى منزله وقد تيقن استقرار أبي الفضل بن العميد بأرجان وانتظاره له فاستعد للسير وحدثنا أبو الفتح عثمان بن جنى عن على بن حمزة البصرى قال : كنت مع المتنبي لما ورد أرجان فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدور والمساكن فضرب بيده على صدره وقال : تركت ملوك الأرض وهم يتعبدون بى وقصدت رب هذه المدرة فما يكون منه ؟ ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاما على راحلته إلى ابن العميد فدخل عليه وقال : مولاى أبو الطيب المتنبي خارج البلد — وكان وقت القيلولة وهو مضطجع فى دسته — فثار من مضجعه واستثبته ثم أمر حاجبه باستقباله فركب واستركب من لقيه فى الطريق ففصل عن البلد بجمع كثير فتلقوه وقضوا حقه وأدخلوه البلد.

فدخل على أبى الفضل فقام له من الدست قياما مستويا، وطرح له كرسى عليه مخدة ديباج وقال أبو الفضل : كنت مشتاقا إليك ياأبا الطيب، ثم أفاض المتنبى فى حديث سفره وإن غلاما له احتمل سيفا وشذ عنه ، وأخرج من كمه عقيب هذه المفاوضة درجا فيه قصيدته :

بادٍ هواك صبرْتَ أو لم تصبرا

فوحى أبو الفضل إلى حاجبه بقرطاس فيه مائتا دينار وسيف غشاؤه فضة وقال : هذا عوض عن السيف المأخوذ وأفرد له داراً نزلها فلما استراح من تعب السفر كان يغشى أبا الفضل كل يوم و يقول: ما أزورك إكبابا إلا لشهوة النظر إليك ويؤاكله وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذى جمعه ويتعجب من حفظه وغزارة علمه فأظلهم النيروز فأرسل أبو الفضل بعض ندمائه إلى المتنبي: كان يبلغني شعرك بالشام والمغرب وما سمعته دونه فلم يحرجوابا إلى أن حضره النيروز وأنشده مهنئا ومعتذرا فقال :

هل لعذرى إلى الهمام أبى الفضــل قبـولٌ سـواد عينى مداده
ما كفانى تقصير ما قلت فيه عن علاه حتى ثناه انتقاده
إننى أَصْيَدُ البزاة ولكنَّ أجل النجوم لاأصطاده
ما تعودت أن أرى كأبى الفتـــح وهذا الذى أتاه اعتياده

فأخبرنى البديهى سنة ثلثمائة وسبعين أن المتنبي قال: بأرجان الملوك قرود يشبه بعضهم بعضاً على الجودة يعطون، وكان حمل إليه أبو الفضل خمسين ألف دينار سوى توابعها وهو من أجاود زمان الديلم ، وكذلك أبو المطرف وزير مرداويج قصده شاعر من قزوين فأنشده وأمله مادة نفقة يرجع بها إلى بلده فكتب إليه أبياتا أولها :

أأقلامٌ بكفك أم رِمَاحُ وعزم ذاك أو أجلٌ متاحُ

فقال أبو المطرف: أعطوه ألف دينار، وكذلك أبو الفضل البلعمي وزير بخارى أعطى المطرانى الشاعر على قصيدته التى أولها :

لاشُرْبَ إلا بسير النای والعود

خمسة عشر ألف دينار، وكذلك خلف صاحب سجستان أعطى أبا بكر الحنبلى

خمسة آلاف دينار على كلمة فيه ، وكان سيف الدولة لا يملك نفسه ، وكان يأتيه علوى من بعض جبال خراسان كل سنة فيعطيه رسماً له جارياً على التأبيد، فأتاه وهو فى بعض الثغور فقال للخازن : أطلق له ما فى الخزانة ، فبلغ أربعين ألف دينار ، فشاطر الخازن وقبض عشرين ألف دينار إشفاقا من خلل يقع على عسكره فى الحرب ، وأخبرنى بعض أهل الأدب أنه تعرض سائل لسيف الدولة وهو راكب فأنشده فى طريقه :

أنت على وهذه حلب قد فنى الزاد وانتهى الطلب

فأطلق له ألف دينار ، وتعرض سائل لأبى على بن إلياس وهو فى موكبه فأمر له بخمسمائة دينار فجاءه الخازن بالدواة والبياض فوقع بألفى دينار فلما أبصره الخازن راجعه فيها فقال أبو على: الكلام ريح والخط شهادة ولا يجوز أن يشهد على بدون هذا

ثم إن أبا الطيب المتنبى لما ودع أبا الفضل بن العميد ورد كتاب عضد الدولة يستدعيه فعرفه ابن العميد فقال المتنبى: مالى وللديلم؟ فقال أبو الفضل: عضد الدولة أفضل منى ويصلك بأضعاف ما وصلتك به فأجاب بأنى ملقى من هؤلاء الملوك أقصد الواحد بعد الواحد وأملكهم شيأ يبقى ببقاء النيرين ويعطوننى عرضاً فانياً ولى ضجرات واختيارات فيعوقوننى عن مرادى فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبح الوجوه ، فكاتب ابن العميد عضد الدولة بهذا الحديث فورد الجواب بأنه مملك مراده فى المقام والظعن فسار المتنبى من أرجان فلما كان على أربعة فراسخ من شيراز استقبله عضد الدولة بأبى عمر الصباغ أخى أبى محمد الأبهرى صاحب كتاب حدائق الآداب، فلما تلاقيا وتسايرا استنشده فقال المتنبى: الناس يتناشدون فأسمعه فأخبر أبو عمر أنه رسم له ذلك عن المجلس العالى فبدأ بقصيدته التى فارق مصر بها :

ألا كل ماشية الخيزلى فدا كل ماشية الهيدبى

ثم دخل البلد فأنزل دار امفروشة ورجع أبو عمر الصباغ إلى عضد الدولة فأخبره بما جرى وأنشده أبياتا من كلمته وهى:

فلما أنخنـــا ركزنا الرما ح حول مكارمنا والعلا

وبتنـــا نقبل أســـيافنا ونمســـحها من دماء العـــدا

لتعلم مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم أنى الفتى
وأنى وفيت وأنى أبيت وأنى عتوت على من عتا

فقال عضد الدولة : هو ذا يتهددنا المتنبي، ثم لما نفض غبار السفر واستراح ركب إلى عضد الدولة فلما توسط الدار انتهى إلى قرب السرير مصادمة فقبل الارض واستوى قائما وقال: شكرت مطية حملتنى اليك، وأملا وقف بى عليك، ثم سأله عضد الدولة عن مسيره من مصر وعن على بن حمدان فذكره، وانصرف وما أنشده، فبعد أيام حضر السماط وقام بيده درج فأجلسه عضد الدولة وأنشد :

مغَانى الشّيب طيبا فى المغانى

فلما أنشدها وفرغوا من السماط حمل إليه عضد الدولة من أنواع الطيب فى الأردية الأمنان من بين الكافور والعنبر والمسك والعود، وقاد فرسه الملقب بالمجروح وكان اشترى له بخمسين ألف شاة وبدرة دراهمها عدلية ورداء حشوه ديباج رومى مفصل وعمامة قومت بخمسمائة دينار ونصلا هنديا مرصع النجاد والجفن بالذهب، وبعد ذلك كان ينشده فى كل حدث يحدث قصيدة، إلى أن حدث يوم نثر الورد فدخل عليه والملك على السرير فى قبة يحسر النظر فى ملاحظتها والأتراك ينثرون الورد فمثل المتنبي بين يديه وقال : ماخدمت عينى قلبى كاليوم وأنشأ يقول:

قد صدق الورد فى الذى زعما أنك صيرت نثره ديمَا
كأنما مائج الهــــواء به بحر حوى مثل مائه عَنَمَا

فحمل على فرس بمركب وألبس خلعة ملكية وبدرة بين يديه محمولة.

وكان أبو جعفر وزير بهاء الدولة مأمورا بالاختلاف إليه وحفظ المنازل والمناهل من مصر إلى الكوفة وتعرفها منه فقال : كنت حاضره وقام ابنه يلتمس أجرة الغسال فأحد المتنبي إليه النظر بتحديق فقال : ماللصعلوك والغسال ؟ يحتاج الصعلوك إلى أن يعمل بيده ثلاثة أشياء: يطبخ قدره، وينعل فرسه، ويغسل ثيابه، ثم ملأ يده قطيعات بلغت درهمين أو ثلاثة.

وورد كتاب أبى الفتح ذى الكفايتين بن أبى الفضل — وكان من أجاود زمان

الديلم ، فرق فى يوم واحد بشبديز قرميسين (١) ألفين وخمسمائة قطعة أبريسم — ومضمونه كتابة الشوق إلى لقاء المتنبي وتشوفه إلى نظرته فأجابه المتنبي :

بكتب الانام كتاب ورد فدت يدَ كاتبه كلُّ يد
إذا سمع الناس ألفاظه خلقن له فى القلوب الحسد
فقلت وقد فرس الناظرين كذا يفعل الأسد بن الأسد

فلما عاد الجواب إلى أبى الفتح جعل الأبيات سورة يدرسها ويحكم المتنبي بالفضل على أهل زمانه فقال أبو محمد بن أبى الثبات البغدادى :

لوارد شعر كذوب البرد أتانا به خاطر قد جمد
فأقبل يمضغه بعضنا وَهَمُّ السنانير أكل الغدد
وقالوا جواد يفوق الجياد ويسبق من عفوه المقتصد
ولو ولى النقد أمثاله لظلت خفافيشنا تنتقد

فاستخف أبو الفتح به وجره برجله ففارقهم وهاجر إلى أذربيجان والأمير أبو سالم ديسم بن شاركويه على الأمرة فاتصل به وحظى عنده على غاية الأكرام

وقال عضد الدولة :إن المتنبي كان جيد شعره بالعرب فأخبر المتنبي به فقال : الشعر على قدر البقاع

وكان عضد الدولة جالساً فى البستان الزاهر يوم زينته وأكابر حواشيه وقوف فقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الحكارى : ما يعوز مجلس مولانا سوى أحد الطائيين ، فقال عضد الدولة : لو حضر المتنبي لناب عنهما

فلما أقام مدة مقامه وسمع ديوان شعره ارتحل وسار بمراكبه وظهوره وأثقاله وأحماله إلى أن نزل الجسر بالأهواز

وأخبرنا أبو الحسن السوسى فى دار الوقف بين السورين قال : كنت أتولى الأهواز من قبل المهلبي وورد علينا المتنبي ونزل عن فرسه ومقوده بيده وفتح عيابه وصناديقه لبلل مسها فى الطريق وصارت الأرض كأنها مطارف منشورة فحضرته أنا وقلت :

(١) شبديز — ويقال شبداز — اسم لموضعين ، والمراد هنا موضع فى لحف جبل بيستون بين حلوان وقرميسين سمى باسم فرس كان لكسرى

قد أقمت للشيخ نزلا فقال المتنبي: إن كان تم فهاته، ثم جاءه فاتك الأسدى بجمع وقال: قدم الشيخ فى هذه الديار وشرفها بشعره والطريق بينه وبين ديرقنة خشن قد احتوشته الصعالكة وبنو أسد يسيرون فى خدمته إلى أن يقطع هذه المسافة ويبر كل واحد منهم بثوب ياض فقال المتنبي: ماأبقى الله بيدى هذا الأدهم وذباب الجراز الذى أنا متقلده فانى لا أفكر فى مخلوق: فقام فاتك ونفض ثوبه وجمع من رتوت الاعاريب الذين يشربون دماء الحجيج حسوا سبعين رجلا ورصدوا له. فلما توسط المتنبي الطريق خرجوا عليه فقتلوا كل من كان فى صحبته، وحمل فاتك على المتنبي وطعنه فى يساره ونكسه عن فرسه، وكان ابنه أفلت إلا أنه رجع يطلب دفاتر أبيه فقنع خلفه الفرس أحدهم وجز رأسه وصبوا أمواله يتقاسمونها بطرطورة. وقال بعض من شاهده: إنه لم تكن فيه فروسية وإنما كان سيف الدولة سلمه إلى النخاسين والرواض بحلب فاستجرأ على الركض والحضر فأما استعمال السلاح فلم يكن من عمله

وجملة القول فيه أنه من حفاظ اللغة ورواة الشعر، وكل ما فى كلامه من الغريب المصنف سوى حرف واحد هو فى كتاب الجمهرة وهو قوله «يطوى المجلحة العقد» وأما الحكم عليه وعلى شعره: فهو سريع الهجوم على المعانى ونعت الخيل والحرب من خصائصه، وما كان يراد طبعه فى شىء مما يسمح به، يقبل الساقط الردىء كما يقبل النادر البدع، وفى متن شعره وهى، وفى ألفاظه تعقيد وتعويص اهـ كلامه مع بعض اختصار

وأنشد بعده

* (وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد المائة، وهو من شواهد سيبويه) *

(١٤٢) ألا أضْحَتْ حبالُكُمُ رِماما وأضْحَتْ مِنْكَ شاسِعَةً أُماما

على ان ترخيم غير المنادى فى الضرورة جائز سواء كان على تقدير الاستقلال وهو لغة من لا ينتظر أو على نية المحذوف وهو لغة من ينتظر، كما فى هذا البيت، فأن أماما أصله أمامة فلما حذف الهاء أبقى الميم على حالها، والألف للاطلاق فلو كان على تقدير الاستقلال بجعل ما قبل الآخر فى حكم الآخر لضم الميم رفعاً لأنه اسم أضحى وشاسعة أي بعيدة خبرها،

قال الأعلم الشنتمرى: وكان المبرد يرد هذا ويزعم أن الرواية فيه:

وما عهدى كعهدك يا أُماما

وأن عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير أنشده هكذا،وسيبويه أوثق من أن يتهم فيما رواه اهـ

وقال أبو الحسن الأخفش فى شرح نوادر أبى زيد الانصارى : العرب فى الترخيم على لغتين (فنهم) من يقول إذا رخم حارثاً ونحوه ياحار ــ بكسر الراء ــ وهو الأكثر فالثاء على هذه اللغة فى النية فمن فعل هذا لم يجز مثله فى غير النداء إلا فى الضرورة وأنشد سيبويه لجرير :

ألا أضحت حبالكم رماماً «البيت»

فأجراه فى غير النداء لما اضطر كما أجراه فى النداء ، وهذا من أقبح الضرورات ، وأنشد المبرد هذا البيت عن عمارة :

وَمَا عَهْدى كَعَهْدِكِ يا أُمَامَا

على غير ضرورة.وأنشد سيبويه لعبد الرحمن بن حسان:

مَنْ يَفْعَلِ الحسناتِ اللهُ يَشْكُرُهَا

فحذف الفاء لما اضطر ، وأخبرنا المبرد عن المازنى عن الأصمعى أنه أنشدهم:

من يفعلِ الخيرَ فالرَّحمنُ يشكرُه

قال : فسألته عن الرواية الأولى فذكر أن النحويين صنعوها ، ولهذا نظائر ليس هذا موضع شرحها .(ومنهم) من يقول ياحار ــ بضم الراء ــ فلا يعتد بما حذف و يجريه مجرى زيد ، فحكم هذا فى غير النداء كحكمه فى النداء وعلى هذا أجرى قول ذى الرمة:

يَادَارَ مَيَّةَ إذْ مَىٌّ تساعفنَا

وهذا كثير وكل ما جاءك مما حذف فقسه على ما ذكرت لك اهـ

وفيه نظر فتأمل...والرمام قال الأعلم : جمع رميم وهو الخلق البالى ، يريد أن حبال الوصل بينه وبين أمامة قد تقطعت للفراق الحادث بينهما ، والصواب ما قاله النحاس فأن الرمام جمع رمة ــ بالضم ــ وهى القطعة البالية من الحبل

وهذا البيت مطلع قصيدة لجرير بن الخطفى و بعده :

يشق بها العساقل موجّدات ... وكل عرندس ينفى اللغاما

والعساقل جمع عسقلة أو عسقول وهو السراب واضطرابه يريد سيرها فى الفلوات راجعة إلى محضرها بعد انقضاء زمن الانتجاع ، ووهم العينى فقال : العساقل ضرب من الكمأة ، وروى النحاس عن الحسن الأخفش « يشق بها الأماعز » قال : يشق يعلو وضميرها لأمامة ، والأماعز جمع أمعز ومعزاء — بالعين المهملة والزاى المعجمة — وهو الموضع الصلب يخلطه طين وحصى صغار قال زهير :

يشج بها الأماعز وهى تهوى هوىّ الدلو أسلمها الرشاء

والموجدة — بضم الميم وفتح الجيم — الناقة القوية المحكمة قال فى الصحاح : ناقة أجد — بضمتين — إذا كانت قوية موثقة الخلق ولا يقال للبعير أجد . وآجدها الله فهى موجدة القرى أى موثقة الظهر، وبناء موجد . والحمد لله الذى آجدنى بعد ضعف أى قوانى ، والعرندس — كسفرجل — الجمل الشديد . واللغام — بضم اللام وبعدها غين معجمة — ما يطرحه البعير من الزبد لنشاطه

وترجمة جرير تقدمت فى الشاهد الرابع من أوائل الكتاب

وأنشد بعده

كِلينى لهمٍّ يا أُميمةَ ناصبِ وليل أقاسيه بطىء الكواكب

تقدم شرحه قبل هذا بأربعة شواهد

وأنشد بعده

وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه

(١٤٣) قفى قبْل التفرق ياضُباعا ولايك موقفٌ منك الوداعا

على أنه مرخم ضباعة فحذفت الهاء للترخيم وألف الترخيم تغنى عنها

قال الأعلم وغيره : الوقف عليها عوضا من الهاء لأنهم إنما رخموا ما فيه الهاء ثم لما وقفوا عليه ردوا الهاء للوقف فلما لم يمكنهم رد الهاء ههنا جعل الألف عوضا منها على ما بينه سيبويه

قال الدمامينى فى شرح التسهيل : قد يقال لانسلم أن هذه الألف عوض عن التاء المحذوفة بل هى ألف الأطلاق ، وهذه المسئلة لا يستدل عليها بالشعر فأن ثبت فى النثر مثل ذلك تمت الدعوى وإلا فلا

قوله ولايك موقف الخ يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون على الطلب والرغبة كأنه قال : لا تجعلي هذا الموقف آخر وداعي منك (والوجه الآخر) أن يكون على الدعاء كأنه قال : لاجعل الله موقفك هذا آخر الوداع : كذا في شرح أبيات الجمل للخمي . ففيه حذف مضاف من الوداع وقدره بعضهم ، موقف وداع ، وهذا أحسن وروى أبو الحسن الأخفش — وهو سعيد بن مسعدة المجاشعي — في كتاب المعاياة

ولا يَكُ مَوْقِفاً منكِ الوداعا

وقال : نصب موقفا لأنه أراد قفي موقفا و لا يكن الوداعا، هذا إنشاد بعضهم فيما ذكروا و رفع بعضهم موقف وهو أبينها اه وعليه فاسم يك ضمير المصدر والمفهوم من قفي كأنه قال : و لا يكن موقفك موقف الوداع، وقوله و رفع بعضهم موقف الخ هو المشهور في الرواية لكن فيه الأخبار بالمعرفة عن النكرة وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى في باب الأفعال الناقصة

وضباعة بنت زفر بن الحرث الآتي ذكره ، قال اللخمي : وفيه عطف المعرب على المبني لأنه عطف ولايك وهو معرب على قفي وهو مبني و إنما سوغ ذلك وجود العامل وهي لا كقوله تعالى « وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطايا كم » و لو قلت اقصدني وأكرمك بالجزم على اللفظ لم يجز على مذهب البصريين لأن اقصدني فعل مبني لا جازم له فلا يعطف على لفظه كما لا يجوز هذه حذام (١) فان قلت اقصدني فلاحدثك فأدخلت لام الأمر جازت المسئلة كما تقدم في الآية

(أقول) : هذا ما يتعجب منه فأن العطف فيه إنما هو من عطف جملة على جملة لا من عطف معرب على مبني ، ولا حاجة إلى التطويل من غير طائل

قال : وفيه حذف النون من يك تخفيفا وسوغ ذلك كثرة الاستعمال أو للجزم على مذهب أبي علي

وهذا البيت مطلع قصيدة للقطامي مدح بها زفر بن الحرث الكلابي ، وكان بنو أسد أحاطوا به في نواحي الجزيرة وأسروه يوم الخابور وأرادوا قتله فحال زفر بينه و بينهم وحماه ومنعه وحمله وكساه وأعطاه مائة ناقة فمدحه بهذه القصيدة وغيرها وحض قيسا وتغلب على السلم ، وبعد هذا البيت :

---

(١) لم يتضح لنا وجه التشبيه ولا وجه الامتناع

قفى فادى أسيرك إن قومى ... وقومك لا أرى لهم اجتماعا
وكيف تجامع مع ما استحلا ... من الحرم الكبار وما أضاعا
ألم يحزنك أن حبال قيس ... وتغلب قد تباينت انقطاعا
يطيعون الغواة وكان شراً ... لمؤتمر الغواية أن يطاعا
ألم يحزنك أن ابنى نزار ... أسالا من دمائهما التلاعا

الى أن قال :

أمور لو تلافاها حليم ... إذاً لنهى وهبّب ما استطاعا
ولكنّ الأديم إذا تفرّى ... بلى وتعيبا غلب الصّناعا
ومعصية الشفيق عليك مما ... يزيدك مرة منه استماعا
وخير الأمر ما استقبلت منه ... وليس بأن تتبعه اتباعا
كذاك ومارأيت الناس إلا ... إلى ما ضر غاويهم سراعا
تراهم يغمزون من استركوا ... ويجتنبون من صدق المصاعا

وقوله قفى فادى أسيرك خطاب لضباعة بنت زفر لأنه كان عند والدها أسيرا ، والمفاداة أخد الفدية من الأسير وإطلاقه ، والحبال المواصلة والعهود التى كانت بين قيس وتغلب ، وتباينت تفرقت ، روى أن ضباعة لما سمعت قوله ألم يحزنك الخ قالت بلى والله لقد حزننى ، وأحزننى وحزننى لغتان،والمؤتمر الذى يرى الغواية رأيا ويأمر بها نفسه يقول هو شر للغاوى أن يطاع فى غيه ، وابنانزار ربيعةومضر، والتلعة مسيل من الارتفاع إلى بطن الوادى،وتلافاهاتداركها ، وهبب بالقتل — بموحدتين — أى أمر به ، وتفرى تشقق السقاء والمزادة إذا رقت منها مواضع وتهيأت للخرق ، والصناع — بالفتح — الحاذقة بعمل اليدين ، وقوله ومعصية الشفيق الخ يقول : إذا عصيت الشفيق عليك الحريص على رشدك تبينت فى عواقب أمرك الزلل فزادك ذلك حرصا على أن تقبل نصحه ، وقوله وخير الأمرما استقبلت أى خير الأمرماقد تدبرت أوله فعرفت إلام تؤول عاقبته وشره ماترك النظر فى أوله وتتبعت أواخره بالنظر ، واستشهد به الزمخشرى عند قوله تعالى « فتقبلها ربها بقبول حسن » على أن تقبل بمعنى استقبل

كتعجله وتقصاه بمعنى استعجله واستقصاه من استقبل الأمر إذا أخذه بأوله كما فى البيت ، وقوله كذلك وما رأيت الناس الخ وروى :

إلى ماضرَّ جاهلَهم سراعا

أى يسارع الجاهل إلى ما يضره ؛ وقوله تراهم يغمزون الخ استركوا استضعفوا والركيك الضعيف ، والمصاع — بالكسر — المجالدة بالسيف يقول يستضعفون الضعيف فيطعنون فيه والغمز هنا الأشارة بالعين والرأس

والقطامى اسمه عمير بن شييم التغلبى تغلب بن وائل ، وعمير مصغر عمرو وكذلك شييم مصغر أشيم وهو الذى به شامة ويقال شيم — بكسر الشين أيضا — وضبطه عيسى بن ابراهيم شارح أبيات الجمل سييم — بسين مهملة مضمومة — وله لقبان أحدهما القطامى منقول من الصقر لأن الصقر يقال له قطامى — بفتح القاف وضمها — وهو مشتق من القطام — بالتحريك — وهو شهوة اللحم وشهوة النكاح يقال : فحل قطم إذا هاج للضراب وهو لقب غلب عليه لقوله :

يصكُّهنّ جانباً فجانباً صك القطامى القطا القواربا

واللقب الآخر صريع الغوانى ، قال النطاح أول من سمى صريع الغوانى القطامى بقوله :

صريع غوانٍ راقهنَّ ورقنه لدُنْ شبَّ حتى شاب سُود الذَّوائب

أى صرعه حبهن حتى لاحراك به والغوانى الشواب وقال أبو عبيدة ذوات الأزواج غنين بازواجهن ، وصريع الغوانى لقب مسلم بن الوليد أيضاً لقبه هرون الرشيد بقوله

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا وتغدو صريع الكاس والأعين النجل

والقطامى كان نصرانيا فأسلم وهو ابن أخت الأخطل النصرانى المشهور ، وعده الجمحى فى الطبقة الثانية من شعراء الأسلام ، قال بعض علماء الشعر : أحسن الناس ابتداءا فى الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

وفى الأسلام القطامى حيث يقول :

إنّا مُحيوكَ فاسلم أيها الطلل

ومن المولد بن بشار حيث يقول :

أبى طللٌ بالجزع أنْ يتكلما ... وماذا عليه لو أجاب متيماً ؟

وذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف من يقال له القطامى ثلاثة (أولهم) هذا (والثانى) القطامى الضبعى ضبيعة بن ربيعة بن نزار أحد ولد الساهرى وكان صاحب شراب ومن شعره

أفرُ إذا أصبحت من كل عاذل ... فأمسي وقد هانت على العواذل

وكان أبوه من أصحاب خالد القسرى (و الثالث) القطامى الكلبي واسمه الحصين وهو أبو الشرقى بن القطامي شاعر محسن وهو القائل لما بلغه خبر يزيد بن المهلب

لعل عينى أن ترى يزيدا ... يقود جيشاً جحفلا رشيدا

ترى ذوى التاج له سُجوداً

وأما زفر بن الحرث فهو أبو الهذيل زفر بن الحرث بن عبد عمرو بن معاذ بن يزيد بن عمرو بن الصعق بن خليد بن نفيل بن عمرو بن كلاب الكلابى ، كان كبير قيس فى زمانه ، وفى الطبقة الاولى من التابعين من أهل الجزيرة ، وكان من الأمراء ، سمع عائشة و معاوية ، وشهد وقعة صفين مع معاوية أميرا على أهل قنسرين ، وشهد وقعة مرج راهط مع الضحاك بن قيس فلما قتل الضحاك هرب إلى قرقيسا ولم يزل متحصنا فيها حتى مات فى خلافة عبد الملك بن مروان فى بضع وسبعين ، وكان الضحاك ابن قيس ومعه النعمان بن بشير الأنصارى يدعو فى الشام لعبد الله بن الزبير ومروان ابن الحكم مع بنى أمية يدعو لنفسه فالتقى الفريقان فى مرج راهط وكان مع الضحاك ستون ألف فارس ومع مروان ثلاثة عشر ألفا فقال عبيد الله بن زياد لمروان : إن فرسان قيس مع الضحاك فلا تنال منه إلا بكيد ، فأرسل مروان إلى الضحاك يسأله الموادعة حتى تنظر فى المبايعة لابن الزبير ، فأجابه الضحاك و وضع أصحابه سلاحهم ، فقال ابن زياد : دونك ، فشد مروان على الضحاك فقتل الضحاك والنعمان ورجال قيس ، ولما هرب زفر جاءته خيل مروان فقاتها و تحصن وقال فى ذلك :

أريني سلاحى لا أبالك إننى ... أرى الحرب لاتزداد إلا تماديا

أتانى عن مروان بالغيب أنه ... مقيد دمى أو قاطع من لسانيا

وفى العيس منْجاة وفى الأرض مهرب ... إذا نحن رفعنا لهن المبانيا
فلا تحسبونى إن تغيبت غافلا ... ولا تفرحوا إن جئتكم بلقائيا
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... له ورق من تحته الشر باديا
ويمضي ولا يبقى على الأرض دمنة ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا
أيذهب يوم واحد إن أسأته ... بصالح أيامى وحسن بلائيا؟!

وأنشد بعده

(وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد المائة)

(١٤٤) أطرق كرا

وهو صدر بيت وهو :

أطرِقْ كرا أطرق كرا ... إنّ النعام فى القرى

على أن الكرا ذكر الكروان وليس مرخما منه

وهذا بيت من الرجز ، وهو مثل وقد اختلف فى قدره ، وفى معنى الكرا والكروان ، وفى معنى البيت .

أما الاول : فقد أورده ابن الانبارى وابن ولاد وأبو على القالى والجوهرى فى الصحاح والصاغانى فى العباب كما ذكرنا ، وأورده المبرد فى الكامل والزمخشرى فى مستقصى الأمثال والشارح أيضا فى آخر بحث الترخيم هكذا :

أطرقْ كرا إنّ النعام فى القرى

بناء على أنه نثر لا نظم وصوابه « أطرق كرا » مرتين كما نبه عليه ابن السيد البطليوسى فيما كتبه على الكامل، وزاد الشارح هناك « ما إن أرى هنا كرا » ، ولم أر هذه الزيادة لغيره .

وأما الثانى: فالمشهور أن الكروان طائر طويل العنق والرجلين أغبر له صوت حسن وهو أكبر من الحمامة، وقال أبو حاتم فى كتاب الطير : الكروان الصيح أى الحجل وقيل هو الحبارى ، وقال الزمخشرى : هو ذكر الحبارى وقيل : هو الكركى والكرا يكتب بالألف قال المبرد : وهو مرخم الكروان، وتبعه من جاء بعده . قال القالى : الكرا الكروان وهو عند أهل النظر والتحقيق من أهل العربية .

ترخيم كروان، وإنما أراد الراجز أطرق يا كروان فرخم ، وما قاله الشارح من أن الكرا ذكر الكروان ذكره صاحب القاموس أيضا ونسبه ابن عقيل فى شرح التسهيل إلى المبرد والظاهر من كلام ابن الأنبارى وابن ولاد الترادف فأنهما قالا: الكرا الكروان ، لا أنه مرخم منه ، وكذلك قال الأعلم فى شرح ديوان طرفة إن الكروان طائر يقال له الكرا أيضاومنه المثل « أطرق كرا الخ » وكذلك قال فى أمثاله أبو فيد مؤرج بن عمر والسدوسى : إن كرا اسم وكروان اسم فأنهم قالوا هو مثل :مضبر وضبارم ، وعيطا وعيطموس، وأهوج وهيجموس ، وهو أشبه الأمرين لأنهم جمعوه فقالوا : كرا وكروان مثل فتى وفتيان قال طرفة :

لنا يوم وللكروان يوم تطير البائسات ولا نطير

فجعله جماعة الكرا ألاترى قال البائسات ، وكذلك تنشده العرب ، ولم ترهم رخموا ثم جمعوا على الترخيم وجمعوه على الكروان بالكسر ولم يقولوا الكراوين والكروانات انتهى

وعلى هذا فيسقط منه شذوذان الترخيم وتغييره ويبقى شذوذ واحد وهو حذف حرف النداء ؛أنشد ابن ولاد والزمخشرى للفرزدق قوله :

أألآن لمّا عضّ نابى بمسحلى وأطرق إطْراقَ الْكرا مَنْ أحاربُهُ

وقال آخر :

إذا رآنى كل بكرىّ بكي أطرق فى البيت كأطراق الكرى

وأما معناه: فقد قال ابن الانبارى والقالى : معنى البيت أغض فأن الأعزاء فى القرى ، والكروان طائر ذليل ، يقول : مادام عزيز موجودا فأياك أيها الذليل أن تنطق ، ضرب به مثلا ، وقال الشارح المحقق فى آخر بحث النداء : هو رقية يصيدون بها الكرا فيسكن ويطرق حتى يصاد ، وهو فى هذا تابع للزمخشرى فأنه قال : يقال للكروان ذلك إذا أريد اصطياده أى تطأطأ واخفض عنقك للصيد فأن أكبر منك وأطول أعناقا وهى النعام قد صيدت وحملت من الدو إلى القري ، يضرب لمن تكبر وقد تواضع من هو أشرف منه ، ومثله لصاحب القاموس فأنه قال : وأطرق كرا يضرب لمن يخدع بكلام يلطف له ويراد به الغائلة ، وقال ابن الحاجب فى الأيضاح:

وأطرق كرا مثل لمن يتكلم وبحضرته أولى منه بذلك ، كأن أصله خطاب للكروان بالأطراق لوجود النعام ولذلك يقال إن تمامه :

أطرق كرا إن النعام فى القرى

ويقال إن الكروان يخاف من النعام ، ومثله فى العباب للصاغانى فأنه قال : وأطرق أرخي عينه ينظر إلى الأرض وفى المثل « أطرق كرا » البيت ، يضرب للمعجب بنفسه وللذى ليس عنده غناء ويتكلم فيقال اسكت خوف انتشار ما تلفظ به كراهية مايتعقبه وقولهم « إن النعام فى القرى » أى تأتيك فتدوسك بمناسمها . ويقال أيضا « أطرق كرا يحلب لك » يضرب للأحمق فى تمنيه الباطل فيصدق ، وقال الأعلم الشنتمرى فى شرح الأشعار الستة : يضرب للرجل يظن أنك محتاج إليه فتقول له اسكن فقد أمكننى من هو أنبل منك وأرفع . والنعام إنما يكون فى القفار فأذا كان بالقرى فقد أمكن انتهى

(تتمة) كروان يجمع على كراوين كورشان يجمع على وراشين وقالوا يجمع أيضا على غير قياس على كروان — بكسر الكاف و سكون الراء — كما يجمع ورشان على ورشان وهو جمع بحذف الزوائد كأنهم جمعوا كرا مثل أخ وإخوان قال ابن جنى فى الخصائص : وذلك أنك لما حذفت ألفه ونونه بقى معك كرو فقلبت واوه ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها طرفا فصارت كرا ثم كسرت كرا على كروان كشبث وشبثان وخرب وخربان وعليه قولهم فى المثل « أطرق كرا » إنما هو عندنا ترخيم كروان على قولهم ياحار بالضم قالوا : والألف فى كروان إنما هى بدل من الألف المبدلة من واو كروان انتهى

وزعم الرياشى أن الكروان والكروان للواحد وكذلك ورشان وورشان ويرده قول ذى الرمة :

مِنَ آلِ أبى مُوسَى ترى النَّاس حوْلَهُ كأنَّهمُ الكِرْوانُ أبْصرْنَ بازِيا

وأنشد بعده

* (وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه) *

(١٤٥) فقالوا تعال يايزى بْنَ مُخرَّمٍ فقلت لهم إنى حليفُ صداء

على أن المرخم يجوز وصفه إلا عند الفراء وابن السراج ، أراد الشاعر يايزيد بن

مخرم ، وعند سيبويه حذفت الدال للترخيم والياء لالتقاء الساكنين ، وقال الفراء كلاهما حذف للترخيم فأن مذهبه حذف الساكن مع الآخر فى الترخيم فيقول فيمن اسمه قمطر يا قم كذا فى الأيضاح لابن الحاجب ، قال الشاطبى فى شرح الألفية : شرط المؤنث بالتاء المرخم أن لا يكون موصوفا لأن الترخيم حذف آخر الاسم للعلم به والصفة بيان للموصوف لعدم العلم به فهما متدافعان ولذلك قال سيبويه فى قوله :

إِنَّكَ يَا مُعَاوِ يَا ابنَ الأفضل

إنه ترخيم بعد ترخيم . وقد نص على هذا الرمانى وتبعه ابن خروف وقال فى البيت : لا يصلح فيه النعت لأنه منادى مرخم فهو فى نهاية التعريف فنعته بعيد ، فعلى هذا يكون قول يزيد بن مخرم وأنشده سيبويه

فقلتُمْ تَعَالَ يا يزى بْنَ مخرَّم «البيت»

شاذاً، ويجرى مجرى النعت — على هذا التقدير — التوابع كلها من العطف البيانى والتوكيد إلا البدل ففيه بحث ، و إلا العطف النسقى فأن كل واحد منهما — أعني من المعطوف والمعطوف عليه — مستقل بالعامل من جهة المعنى، وفيه نظر أيضاً انتهى ، ثم قال :وهذا الشرط منازع فيه وأجاب الشلوبين بأنه قد يتوجه العلم المشترط فى الترخيم على الاسم وعدم العلم على المسمى فلا يتدافعان ، وأما بيت سيبويه فلعله إغراب من سيبويه إذ كان الوجه الآخر لا غرابة فيه ، أو لعله اختيار منه لذلك الوجه لأنه موضع مدح فتكرير النداء فيه أفخم من الأتيان به وصفا، هذا ما قال، ويقويه أن سيبويه أنشد:

فقلتم تعالَ يا يزى بنَ مخرّم

على أنه ليس من الشاذ بل على أنه من الجائز بأطلاق وهو مع ترخيم الهاء أجود ومثله قول امريء القيس:

أَحَارِ بْنَ عَمْرٍو كأنى خَمِرٌ

وهذا الشاهد دال على جواز ترخيم الموصوف من باب الأولى لأنه من الموصوف بابن وتقرر فى الكلام صيرورة ابن مع الموصوف فى حكم المركب بدليل حذف التنوين ، فأن كان هذا يجوز ترخيمه فمن باب أولى جواز ترخيم نحو يا طلحة الفاضل و يا حرث الفاضل فتقول يا طلح الفاضل و يا حار الفاضل ، وكذلك المعطوف والمؤكد والمبدل منه انتهى

ومخرم — بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وكسر الراء المشددة — ويزيد بن المخرم من أشراف بنى الحرث من أهل اليمن ، والمخرم هو ابن شريح ابن المخرم بن حزن بن زياد بن الحرث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث ، وكان يزيد بن المخرم ممن جاء مع عبد يغوث الحارثى فى يوم الكلاب الثانى ، وقد مضى شرحه فى الشاهد الخامس والستين ، وقتل يزيد بن المخرم فى ذلك اليوم مع يزيد بن عبد المدان ويزيد بن الهوبر وأسر عبد يغوث كما تقدم شرحه ، ولما وقعت الهزيمة عليهم جعل رجل من بنى تميم يقول :

ياقوم لايفلتكم اليزيدان   يزيد حزن ويزيد الديان

ويروى:

مُخَرَّماً أَعْنِى به والدَّيَّانْ

وصداء — بضم الصاد وفتح الدال المهملتين وبالمد — حى من اليمن منهم زياد ابن الحرث الصدائى الصحابى رضى الله عنه ، والحليف المحالف والمعاهد وروى البيت هكذا :

فقلتم تعال يايزى بن مخرّم   فقلْتُ لكمْ إنّى حَليفُ صُداءِ

وهو من أبيات ليزيد بن المخرم المذكور آنفاً

وأنشد بعده

كِلِينى لهمٌّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِ

وتقدم شرحه قبل هذا بثمانية أبيات

وأنشد بعده

* (وهو الشاهد السادس والأربعون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه)*

(١٤٦) عجبت لمولود وليس له أب   وذى ولد لم يَلْدَهُ أبوان

على أن سيبويه استشهد به فى ترخيم استحار فى أنك تحركه بأقرب الحركات إليه. وكذا تقول انطلق إليه فى الأمر تسكن اللام فتبقى ساكنة والقاف ساكنة فتحرك القاف بأقرب الحركات إليها وهى حركة الطاء

قال أبو جعفر النحاس : فأن قيل فقد جئت بحركة موضع حركة فما الفائدة فى ذلك ؟ والجواب أن الحركة المحذوفة كسرة انتهى ، أى فالفتحة أخف منها فأصل يلده

يلده بكسر اللام وسكون الدال للجزم فسكن المكسور تخفيفاً فحركت الدال دفعاً لالتقاء الساكنين بحركة وهى أقرب المتحركات إليها وهى الفتحة لأن الساكن غير حاجز حصين ،قال المبرد فى الكامل : كل مكسور أو مضموم إذا لم يكن من حركات الأعراب يجوز فيه التسكين وأنشد هذا البيت وقال : لايجوز ذلك فى المفتوح لخفة الفتحة انتهى

ووقع هذا البيت فى رواية سيبويه

أَلا ربَّ موْلودٍ وليس له أبٌ

وكذا أورده ابن هشام فى مغنى اللبيب شاهداً على أن رب تأتى بقلة لأنشاء التقليل كهذا البيت وفى الأكثر أنها لأنشاء التكثير ، وكذا أورده غيره . ولا تلتفت إلي قول ابن هشام اللخمى مع رواية سيبويه : الصواب عجبت لمولود ، لأن الروايتين صحيحتان ثابتتان، ونسبه شراح أبيات سيبويه لرجل من أزد السراة وبعده :

وذى شامة سوداء في حُرِّ وجهِهِ مخلَّدة لا تنقضى لأَوانِ

ويكْمل في تَخمْسٍ وتِسْعٍ شَبَابه وَيهْرَمُ فى سبْعٍ معاً وثمانَ

وعلى هذه الرواية لاوصف لمجرور رب لأنه لايلزم وصفه عند سيبويه ومن تبعه، فجملة « وليس له أب » حال من مولود والعامل محذوف وهو جواب رب تقديره يوجد ونحوه والتزم المبرد وتابعوه وصف مجرورها فتكون الجملة صفة له والواو هى الواو التى سماها الزمخشرى واو اللصوق ، أى لصوق الصفة بالموصوف ، وجعل من ذلك قوله تعالى « وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم » وذى ولد معطوف على مولود ، وأراد بالأول عيسى بن مريم ، وبالثانى آدم أبا البشر عليهما السلام ؛ قال أبو على الفارسى : ان عمرا الجنبي سأل امرأ القيس عن مراد الشاعر فأجابه بهذا الجواب « وجنب» — بفتح الجيم وسكون النون — قبيلة فى اليمن،وعمرو هذا منسوب إليها، وقيل أراد بذى الولد البيضة ، وقيل أراد به القوس — وولدها السهم — لم يلده أبوان لأنه لاتتخذ القوس إلا من شجرة واحدة مخصوصة ، وهذان القولان من الخرافات فان البيضة متولدة من أنثى وذكر و القوس لاتتصف بالولادة حقيقة وإن أراد بها التولد وهو حصول شىء من شىء فليست مما ينسب إليه الوالدان، وأراد بذى شامة القمر فأنه ذو شامة وهى المسحة التى فيه يقال إنها من أثر جناح جبريل عليه

السلام لما مسحه ، والشامة علامة مخالفة لسائر البدن ، والخال هي النكتة السوداء فيه ، وأراد بكمال شبابه في خمس وتسع صيرورته بدرا في ليلة الرابعة عشر لأنه حينئذ في غاية البهاء والضياء كما أن الشاب في غاية قوته وحسن منظره في عنفوان شبابه ، وأراد بهرمه ذهاب نوره ونقصان ذاته في الليلة التاسعة والعشرين فأن السبعة والثمانية وهي خمسة عشر إذا انضمت مع الخمسة والتسعة المتقدمة وهي أربعة عشر صارت تسعة وعشرين ، وهذا الضم استفيد من قوله « معا » وروى « مضت » بدل معا وروى بعضهم « وذي شامة غراء » أي بيضاء ، وهذا غير مناسب ، وحر الشيء خالصه وحر الوجه مابدا من الوجنة أو ماأقبل عليك منه أو أعتق موضع فيه ، ومخلدة — بالخاء المعجمة والدال — أي باقية وهو بالجر صفة لشامة وبالنصب حال منها للمسوغ ، وروى بعضهم « مجللة » اسم فاعل من التجليل — بجيم ولا مين — وهو التغطية ، وهذا أيضاً غير مناسب وفسرها بعضهم بذات العز والجلال ، وروى أيضاً مجلحة — بتقديم الجيم على الحاء المهملة — وفسره بمنكسفة وهذا كله من ضيق العطن : لاالرواية لها أصل، ولا هذا التفسير ثابت في اللغة ، واللام في قوله « لأ وان » بمعنى في كقوله تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » وقولهم مضى لسبيله أو بمعنى عند كقولهم كتبته لخمس خلون ، أو بمعنى بعد كقوله تعالى : « أقم الصلاة لدلوك الشمس » قال البيضاوى في قوله تعالى : « لايجليها لوقتها الاهو » : لايظهر أمرها في وقتها ، والمعنى أن الخفاء بها استمر على غيره إلى وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام في قوله تعالى « لدلوك الشمس» وقال العيني : هي للوقت ولا يقال هذا إضافة الشيء إلى نفسه لأن المعنى لوقت وقت لأن التغاير في اللفظ كاف في دفع ذلك انتهى فتأمل ؛ وروى « لاتنجلي لزمان » ، وذكر العدد في الجميع لأنه باعتبار الليالي وجملة يكمل من الفعل وضميره المستتر معطوف على جملة لاتنقضي ولا يضر تخالفهما نفياً واثباتاً

وأزد السراة حي من اليمن، والأزد اسمه درء — بكسر الدال وسكون الراء المهملتين وبالهمز — والأسد لغة في الأزد بل قيل السين أفصح من الزاي ، والأزد ابن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، والغوث — بفتح الغين المعجمة والثاء المثلثة — ونبت بفتح النون وسكون الموحدة وبالتاء المثناة ،

وأدد بضم الهمزة وفتح الدال الأولى ، وسبأ بفتح السين المهملة وفتح الموحدة والهمزة ويشجب بفتح المثناة التحتية وسكون الشين المعجمة وضم الجيم وبالباء الموحدة ، ويعرب بفتح المثناة التحتية وسكون العين المهملة وضم الراء المهملة وبالباء الموحدة ؛ كذا فى جامع الأصول لابن الأثير وغيره من كتب الأنساب

والسراة — بفتح السين المهملة — هو أعظم جبال العرب ، روى أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم بسنده إلى سعيد بن المسيب أنه قال : لما خلق الله عز وجل الأرض مادت بأهلها فضربها بهذا الجبل — يعنى السراة — فاطمأنت قال أبو عبيدة : وطول السراة ما بين ذات عرق إلى حد نجران اليمن وبيت المقدس فى غربى طولها وعرضها ما بين البحر إلى الشرف فصار ما خلف هذا الجبل فى غربيه إلى أسياف الحرمين بلاد الأشعريين عك وكنانة إلى ذات عرق والجحفة وما والاها وصاقبها ، وغار من أرضها الغور غور تهامة، وتهامة تجمع ذلك كله ، وغور الشام لا يدخل فى ذلك . وصار ما دون ذلك فى شرقيه من الصحارى إلى أطراف العراق والسماوة وما يليها نجداً ، ونجد يجمع ذلك كله ، وصار الجبل نفسه سراته وهو الحجاز وما احتجز به فى شرقيه من الجبال وانحاز إلى ناحية فيد فذلك كله حجاز ، وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاها العروض وفيها نجد وغور لقربها من البحر وانخفاض مواضع منها ومسايل أودية فيها ، والعروض يجمع ذلك كله ، وصار ما خلف تثليث وما قاربها إلى صنعاء وما والاها من البلاد إلى حضرموت والشحر وعمان وما بينهما اليمن وفيهما التهائم والنجود ، واليمن يجمع ذلك كله . وذات عرق فصل ما بين تهامة ونجد والحجاز وقيل لأهل ذات عرق أمتهمون أنتم أم منجدون قالوا لا متهمون ولا منجدون انتهى كلام أبى عبيد

وقال ابن مكرم فى لسان العرب : السراة جبل بناحية الطائف قال ابن السكيت : الطود الجبل المشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء يقال لها السراة فأوله سراة ثقيف ثم سراة فهم وعدوان ثم الأزد انتهى

قال ابن عبد البر فى مقدمة الاستيعاب : الأزد جرثومة من جرائيم قحطان وافترقت — فيما ذكر ابن عبدة وغيره من علماء النسب — على نحو سبع وعشرين قبيلة ، ثم ذكرها ، ويقال لبعض منهم أزد السراة وهو من أقام منهم عند جبل السراة ولبعض آخر أزد

عمان ــ بضم العين المهملة و تخفيف الميم ــ وهو بلد على شاطىء البحر بين البصرة وعدن أضيفوا إليه لسكناهم فيه ، ولبعض آخر أزد غسان ــ بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة ــ وهو اسم ماء بين زبيد ورمع وهما واديان للأشعر يين فمن شرب منه منهم سمي أزد غسان وهم أربع قبائل ومن لم يشرب منه لا يقال له ذلك. قال حسان بن ثابت :

إما سألت فأنا معشر نجب الأزد نسبتنا والماء غسان

ومنهم من يقال له أزدشنوءه ــ على وزن فعولة ــ وهو اسم أبيهم ، سمي به لشنآن وقع بينهم . واسمه الحرث وقيل عبد الله بن كعب بن مالك بن النضر بن الأزد

قال فى الصحاح : أزد أبو حي من اليمن يقال : أزدشنوءة ، وأزدعمان ، وأزد السراة ، قال النجاشي :

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل بها ريب من الحدثان

فأما التي صحت فأزد شنوءة وأما التي شلت فأزد عمان

ورأيت فى الملحقات التى ألحقها صاحب المختصر الذى اختصره من جمهرة الأنساب لابن الكلبي بعد أن نقل كلام الصحاح مانصه : لم أجد فى الجمهرة لابن دريد لذلك ذكرا بل رأيت فى العجالة فى النسب أن شنوءة اسمه الحرث و قيل عبد الله فقوله إنه الحرث أقرب إلى الصواب فالحرث هو الذى ولد هذه البطون ، والقبائل من دوس ونصر وغامد وماسخة وغيرهم، وأهل عمان الآن يقولون إنهم شنوءة وهم من دوس ثم من مالك ابن فهم بن غنم بن دوس . وهذا الذى ظهر من صحة ذلك يبطل تقسيم الشاعر فى هذا البيت .وقوله إن أزدعمان غير أزد شنوءة وقول الجوهرى : يقال أزد شنوءة ، وأزد عمان ، وأزد السراة، إن أراد به التقسيم على ثلاث قبائل ففاسد ، وذلك أن أزدالسراة أيضا من أزد شنوءة : فيهم من يذكر : وهم ثمالة تحل بلدا بالسراة اسمه قوسى، ودوس منهم منهب بن دوس بالسراة ، والأقرب أن يقال إن هذا كقولهم غسان والأنصار وخزاعة وكلهم غسان وإنما تجدد للأنصار وخزاعة هذان الوصفان فبقيت تسمية غسان للشاميين اهـ

وأنشد بعده

وهو الشاهد السابع والأربعون بعد المائة

١٤٧ يا مَرْحَبَاهُ بِحِمَارِ نَاجِيَهْ

على أن هاء السكت الواقعة بعد الألف يضمها بعض العرب ويفتحها في حالة الوصل في الشعر، قال ابن جنى فى باب الحكم يقف بين الحكمين من الخصائص: ومن ذلك بيت الكتاب:

لهُ زَجلٌ كأنه صَوْت حاد

فحذف الواو من كأنه لا على حد الوقف ولا على حد الوصل: أما الوقف فيقتضى بالسكون كأنه، وأما الوصل فيقتضى بالمطل وتمكين الواو كأنه فقوله إذن كأنه منزلة بين الوصل والوقف وكذلك أيضا قوله:

يا مرحباهُ بحمارَ ناجيهْ إذا أتى قرَّبْتُهُ للسَّانيَهْ

فثبات الهاء فى مرحباه ليس على حد الوقف ولا على حد الوصل: أما الوقف فيؤذن بأنها ساكنة، وأما الوصل فيؤذن بحذفها أصلا، فثباتها فى الوصل متحركة منزلة بين المنزلتين اهـ

وقوله يا مرحباه المنادى محذوف ومرحبا مصدر منصوب بعامل محذوف أى صادف رحبا وسعة حذف تنوينه لنية الوقف ثم بعد أن وصل به هاء السكت عن له الوصل فوصل، والحمار مذكر الأنثى أتان، وحمارة — بالهاء — نادر، وهو مضاف إلى ناجية، وناجية — بالنون والجيم — اسم شخص، وبنو ناجية قوم من العرب وناجية ماء لبنى أسد وموضع بالبصرة والناجيـة الناقة السريعة وليست بمراد هنا، والباء متعلقة بقوله مرحباً، والسانية الدلو العظيمة وأداتها والناقة التى يسنى عليها أى يسقى عليها من البئر وفى المثل «سير السوانى سفر لا ينقطع» يقال سنت الناقة تسنو سناوة وسناية إذا سقت الأرض والسحابة تسنو الأرض والقوم يسنون لأنفسهم إذا أسقوا والأرض مسنوة ومسنية بالواو والياء، وأراد بتقريب الحمار للسانية أن يستقى عليه من البئر بالدلو العظيمة

وأنشد بعده

وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد المائة، وهو من شواهد سيبويه

١٤٨ (فى لجة أمسك فلاناً عن فل)

على أن فلا مما يختص بالنداء وقد استعمله الشاعر فى الضرورة غير منادى

قال صاحب اللباب: ووزنه فعل تقديراً والذاهب عنه الواو فيكون أصله فلو كفسق فذهبت الواو تخفيفاً وذلك لأن الاسم المتمكن لا يكون على حرفين فلا بد من تقدير حرف ثالث. وحرف العلة أولى لكثرة دوره. والواو أولى لأن بنات الواو أكثر

وهذا البيت من أرجوزة طويلة لأبى النجم العجلى وصف فيها أشياء كثيرة أولها:

الحمد لله العلى الأجلل الواسع الفضل الوهوب المجزل
أعطى فلم يبخل ولم يبخل كومَ الذرا من خول المخوّل
تبقلت من أوّل التبقل بين رِماحَىْ مالكٍ ونَهْشَل
يدفع عنها العز جهل الجهل

إلى أن قال:

وقد جعلنا في وضين الأحبل جوز خفاف قلبه مثقل
أحزم لا قوق ولا حزنبل موثق الأعلى أمين الأسفل
أقب من تحت عريض من على معاوَدٍ كرة أدبر أقبل

إلى أن قال:

وصدرت بعد أصيل الموصل تمشى من الردة مشى الحفل
مشي الروايا بالمزاد الأثقل

إلى أن قال:

تثير أيديها عجاج القسطل إذ عصبت بالعطن المغربل
تدافع الشيب ولم تقتل فى لجة أمسك فلانا عن فل

ومنها فى صفة الراعى :

تفلى له الريح ولما يفتلِ لمة قفر كشعاع السنبلِ
يأتى لها من أيمن وأشملِ وبدلت والدهر ذو تبدلِ
هيفا دبورا بالصبا والشمألِ

وهى طويلة جداً . قال الأصبهانى فى الأغانى : ورد أبو النجم على هشام بن عبد الملك فى الشعراء فقال لهم هشام : صفوا لى إبلا فقطروها وأوردوها وأصدروها حتى كأنى أنظر اليها فأنشدوه وأنشده أبو النجم هذه الأرجوزة بديهة . وكان أسرع الناس بديهة . قال الاصمعي : أخبرنى عمى قال : أخبرنى ابن بنت أبى النجم قال : قال جدى أبو النجم : نظمت هذه الأرجوزة فى قدر ما يمشى الأنسان من مسجد الأشياخ إلى مسجد حاتم الجزار، ومقدار ما بينهما غلوة سهم أي مقدار رمية . وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : أنشد أبو النجم هذه الأرجوزة هشام بن عبد الملك . وهى أجود أرجوزة للعرب ، وهشام يصفق بيده استحسانا لها حتى إذا بلغ قوله فى صفة الشمس :

حتى إذا الشمس جلاها المجتلى بين سماطى شفق مرعبلِ
صغواء قد كادت ولما تفعل فهْىَ على الأُفق كعين الأحولِ

أمر بوجء رقبته وإخراجه ، وكان هشام أحول اه

وقوله « الحمد لله العلى الأجلل » أورده علماء البلاغة على أن الأجلل — بفك الأدغام — مما يخل بالفصاحة والفصيح الأجل وهو القياس . وأورده ابن هشام أيضاً فى آخر الأوضح على أن فك الأدغام فيه للضرورة مع أن الأدغام واجب فى مثله ورواه سيبويه « الحمد لله الوهوب المجزل » وأنشده على أن حذف الياء المتصلة بحرف الروى جائز على ضعف تشبيها لها فى الحذف بياء الوصل الزائدة للترنم كما فى قوله « المجزل » ونحوه، وكأن هذه الرواية مركبة من بيتين، والمجزل من أجزل له فى العطاء إذا أوسعه والبخل عند العرب منع السائل مما يفضل عنده وفعله من باب تعب وقرب ، وبخله بالتشديد إذا نسبه إلى البخل ، وأما أبخله بالهمزة فمعناه وجده بخيلا . وكوم الذرا مفعول أعطى وهو جمع كوماء — بالفتح والمد — وهى الناقة العظيمة السنام، وذرا

الشيء — بالضم — أعاليه جمع ذروة — بالكسر والضم أيضاً — وهي أعلى السنام أيضاً ، والخول — بفتحتين — العطية ، والمخول اسم فاعل المعطي ، في العباب : الخول العطية . وقوله تعالى « وتركتم ما خولناكم » أي أعطيناكم وملكناكم وأنشد هذا البيت . وقوله « تبقلت الخ » البقل كل نبات اخضرت له الأرض وتبقلت الناقة مثلا وابتقلت رعت البقل ومالك هو ضبيعة بن قيس من هوازن ، ونهشل هو أبو دارم قبيلة من ربيعة . قال الأصفهاني في الأغاني : وكان سبب ذكرهاتين القبيلتين — أعني بني مالك ونهشل — أن دماء كانت بين بني دارم وبني نهشل وحروباً في بلادهم فتجافى جميعهم الرعي فيما بين فلج والصمان مخافة الشر حتى عفا كلؤه وطال . فذكر أن بني عجل جاءت لعزها إلى ذلك الموضع فرعته ولم تخف رماح هذين الحيين ففخر به أبو النجم اه

وفلج بفتح الفاء وسكون اللام وآخره جيم . والصمان بفتح الصاد المهملة وتشديد الميم . قال البكري في معجم ما استعجم : فلج موضع في بلاد مازن وهو في طريق البصرة إلى مكة وفيه منازل للحاج . وقال الزجاج : فلج بين الرحيل إلى المجازة وهو ماء لهم . وقال أبو عبيدة : لما قتل عمران بن خشيش السعدي رجلين من بني نهشل ابن درام اتهاماً بأخيه المقتول في بغاء إبله نشأت بين بني سعد بن مالك وبين بني نهشل حرب تحامى الناس من أجلها ما بين فلج والصمان ، وهو على وزن فعلان جبل يخرج من البصرة على طريق المنكدر لمن أراد مكة ، وقال ابن الاعرابي في نوادره كان رجل من عنزة دعا رؤبة بن العجاج فأطعمه وسقاه وأنشده فخره على ربيعة فساء ذلك العنزي فقال لغلامه سرا : اركب فرسي وجئني بأبي النجم فجاءه به وعليه جبة خز وبت في غير سراويل فدخل وأكل وشرب ثم قال العنزي : أنشدنا يا أبا النجم ، ورؤبة لا يعرفه . فانتحى في قوله:

الحمدُ للهِ الوهوب المجزل

ينشدها حتى بلغ:

تبقَّلَتْ من أوَّلِ التبقـل بين رِماحَيْ مالك ونهشـل

فقال له رؤبة : إن نهشلا من مالك يرحمك الله فقال يا ابن أخي الكمر أشباه الكمر

إنه ليس مالك بن حنظلة إنه مالك بن ضبيعة.فخزى رؤبة وحيي من غلبة أبي النجم له،ثم أنشد أبو النجم فخره على تميم فاغتم رؤبة وقال لصاحب البيت:لايحبك قلبي أبدا اه

واستشهد صاحب الكشاف بقوله«بين رماحي مالك ونهشل» عند قوله تعالى «اثنتى عشرة أسباطا» على جمع الأسباط مع أن مميز ما عدا العشرة لا يكون إلا مفردا لأن المراد بالأسباط القبيلة ولو قيل سبطا لأوهم أن المجموع قبيلة واحدة فوضع أسباطا موضع قبيلة كما وضع أبو النجم رماحا وهو جمع موضع جماعتين من الرماح وثنى على تأويل رماح هذه القبيلة ورماح هذه القبيلة فالمراد لكل فرد من أفراده هذه التثنية جماعة كما أن لكل فرد من أفراد هذا الجمع وهو أسباط قبيلة ،وفاعل تبقلت ضمير كوم الذرا زعم بعض شراح شواهد التفسير أن هذا البيت فى وصف رمكة مرتاضة عتادت ممارسة الحروب حتى تحسب أرض الحرب روضة تتبقل فيها ، ولا يخفى أن هذا كلام من لم يقف على سياق هذا البيت ولا سباقه مع أن هذا الزاعم أورد غالب الأرجوزة ولم يتفهم المعنى . وقوله «يدفع عنها العز الخ» العز فاعل يدفع وهو بمعنى القوة والمنعة وجهل الجهل مفعوله أى سفاهة السفهاء وضمير عنها راجع إلى كوم الذرا وقوله «وقد جعلنا فى وضين الخ» هذا فى وصف بعير السانية، والوضين نسع عريض كالحزام يعمل من أدم قال الجوهرى: الوضين للهودج بمنزلة البطان للقتب والتصدير للرحل والحزام للسرج وهما كالنسع إلا أنهما من السيور إذا نسج بعضه على بعض تقول وضنت النسع أضنه وضنا إذا نسجته، والأحبل جمع حبل، والجوز — بفتح الجيم وآخره زاء معجمة — مفعول جعلنا وجوز كل شيء وسطه .و الخفاف — بضم الخاء المعجمة وتخفيف الفاءين — بمعنى خفيف وهو منون،وقلبه فاعل خفاف وهو صفة لموصوف محذوف أى بعير خفاف ، والمثقل الثقيل صفة ثانية يريد شددنا الوضين فى وسط بعير خفيف القلب زكى من ثقل بدنه وضخامته ، والأحزم خلاف الأهضم وهو أن يكون موضع حزامه عظيما وهو صفة ثالثة.والقوق — بضم القاف الأولى — الفاحش الطول وهو صفة رابعة ،والحزنبل — بفتح الحاء المهملة والزاى المعجمة وسكون النون وفتح الموحدة — القصير، وقوله «موثق الأعلى الخ» بالجر صفة خامسة وأراد بالأعلى ظهره وبالأسفل بطنه ،وأمين بمعنى مأمون صفة سادسة ، وقوله «أقب الخ» مجرور بالفتحة صفة سابعة

وعريض صفة ثامنة والقبب الضمر يعني أن خصره ضامر والخصر تحت المتن وأن متنه عريض ، وتحت مبني على الضم ، ومن علي يكتب بالياء وليست الكسرة في اللام كسرة إعراب ألا ترى أنه معرفة وليس بنكرة ، ألا ترى أن معناه وكويته فوق نواظره أو النواظر منه فهو إذن معرفة لأنه يريد به شيئاً مخصوصا فهو إذن كقول أوس:

فملك بالليط الذي تحت قشره كغرقيء بيض كنه القيض من عل

أي من أعلاه ، وقال الشنفرى:

إذا وردت أصدرتها ثم إنهما تثوب فتأتي من تحيت ومن عل

وإنما تعرب على إذا كانت نكرة كقولهم في النكرة من فوق ومن عل إذا لم ترد أمرا معلوما فقوله «فوق النواظر من علي» على منه كشج وعم ووزنه فعل والياء فيه لام الفعل والكسرة في اللام قبلها ككسرة الضاد من قاض فاعرف ذلك ... وفيه عشر لغات أتيته من عل ومن عل ومن علي ومن علا ومن علو ومن علو ومن علو ومن علو ومن عال ومن معال . ومثله سواء قول العجلي :

أقبّ من تحتُ عَريض مِنْ على

أراد من أعلاه . ألا تراه قرنه بالمعرفة المبنية وهي تحت فعلى إذا معرفة فهو كشج وكسرة لامه ككسرة زاي غاز والكلمة مبنية على الضم وفي الياء تقدير ضمة البناء فبيت ربيعة وبيت العجلي هذان جميعا سواء ولكن بيت امرىء القيس الذي هو قوله:

كجلمُودِ صخرٍ حطّهُ السيلُ من عَلِ

عل فيه نكرة ألا ترى أنه لا يريد من أعلى شيء مخصوص فالكسرة إذا في لام عل كسرة إعراب ككسرة دال يد ودم اهـ كلام ابن جني مختصرا (١) ،وقد قرر ابن هشام أيضاً في المغني أن عل متى أريد به المعرفة كان مبنيا على الضم تشبيهاً بالغايات كما في قوله :

أرمضُ من تَحْتِ وأضحى من عَلُهْ

والهاء للسكت قال: إذ المراد فوقية معينة لا فوقية مطلقة ، والمعنى أنه تصيبه الرمضاء من تحته وحر الشمس من فوقه ، ومثله قول الآخر يصف فرسا :

أقب من تحتُ عريض من عَلِ اهـ

(١) لم نستطع أن نتبين أول المنقول عن ابن جني في هذا الموضع

وقد أشار بقوله: ومثله يصف فرسا، إلى أن ضمة البناء فى عل إما ملفوظة كما فى قوله « وأضحى من عله » وإما مقدرة كما فى قول أبى النجم « عريض من عل » فلا يرد الاعتراض عليه بأنه أنشده بالبناء على الضم والقوافى كلها مجرورة ، ولكن يبقى عليه أن البيت فى وصف بعير السانية لا فى وصف فرس فتأمل وأنصف

قوله « معاود كرة الخ » معاود اسم مفعول وهو بالجر صفة تاسعة أى يعاد عليه مرارا قول أقبل على البئر إذا تفرغت الدلو أدبر عنها إذا امتلأت وكرة بالرفع نائب فاعل معاود وهو مضاف لما بعده ، وقوله « تمشى من الردة » فى الصحاح والردة — بالكسر — امتلاء الضرع من اللبن قبل النتاج عن الاصمعى وأنشد لأبى النجم « تمشى من الردة » البيت اه ويجوز أن تكون مصدر قولك رده يرده ردا وردة والمردة الاسم من الارتداد .وقال ابن السيرافى فى شرح أبيات إصلاح المنطق: يصف إبلا قد أكثرت من شرب الماء فأثقلها الرى، والردة تراد فى أجوافها يقال أردت فهى مرد إذا انتفخت من الماء أو انتفخ ضرعها من غير لبن يقول تمشى من كثرة شرب الماء كمشى التى أثقلها كثرة ما فى ضرعها والحافل التى اجتمع فى ضرعها اللبن اه ومشى مصدر منصوب أى مشيا كمشى الحفل وهو جمع حافل من حفل اللبن فى الضرع إذا اجتمع .والروايا جمع راوية من روى البعير الماء حمله فهو راوية الهاء فيه للمبالغة ثم أطلقت الراوية على كل دابة يستقى الماء عليها .والمزاد جمع مزادة وهى الراوية التى تعمل من جلود .وقوله « تثير أيديها الخ » الضمير إلى كوم الذرا والقسطل — بالقاف — الغبار والعجاج ما ارتفع منه .وعصبت بالعين والصاد المهملتين قال فى الصحاح: وعصبت الأبل بالماء إذا دارت به قال الفراء: عصبت الأبل وعصبت بالكسر إذا اجتمعت ،والعطن — بفتحتين — مبرك الابل عند الماء لتشرب عللا بعد نهل فاذا استوفت ردت إلى المرعى ،والمغربل المنخول أى أن تراب العطن كأنه منخول لكثرة ما انسحق منه لشدة الحركة وقوله « تدافع الشيب » مصدر تشبيهى وعامله محذوف وهو معطوف على عصبت أى اجتمعت وتدافعت تدافعا كتدافع الشيوخ .والشيب بالكسر جمع أشيب وهو الشيخ ، وقوله « ولم تقتل » أصله تقتتل فأسكن التاء الأولى للادغام وحرك القاف لالتقاء الساكنين بالكسر فصار تقتل ثم أتبع أول الحرف ثانيه فصار تقتل بثلاث كسرات، واللجة — بفتح اللام وتشديد الجيم — اختلاط الأصوات فى الحرب ، فى

الصحاح: وسمعت لجة الناس – بالفتح – أى أصواتهم وضجتهم وأنشد هذا البيت، وفى متعلقة بتدافع، وقوله «أمسك فلاناً الخ» هو على إضمار القول أى فى لجة يقال فيها أمسك الخ قال اللخمى فى شرح أبيات الجمل تبعاً لابن السيد: شبه تزاحمها ومدافعة بعضها بعضا بقوم شيوخ فى لجة وشر يدفع بعضهم بعضا فيقال أمسك فلانا عن فلان أى أحجز بينهم وخص الشيوخ لأن الشباب فيهم التسرع إلى القتال فلذلك قال: تدافع الشيب الخ أى هى فى تزاحم ولا تقاتل كالشيوخ، وقد غفل عن هذا المعنى الأعلم الشنتمرى فى شرح أبيات سيبويه فقال: إن معناه خذ هذا بدم هذا وأيسر هذا بهذا. هذا كلامه وكأنه لم ينظر إلى ماقبله من الأبيات. وأعجب منه قول ابن السيد فيما كتبه على هـــذا الكتاب فى شرح بيت الشاهد إن معناه قد كثر أصوات الرعاة لقول بعضهم لبعض أمسك البعير الفلانى عن البعير الفلانى لئلا يضره. هذا كلامه مع أنه سطر ماقبله من الأبيات وشرحها من شرح اللباب للقالى. وقوله «تفلى له الريح الخ» الفلامصدر فليت رأسه من باب رمى إذا نقيته من القمل وافتلى هو إذا نقاه ويفتل مجزوم بلما محذوف الياء من آخره يريد أن الريح تهب على رأسه فتفرق شعره كأنها تفليه وهو لم يفتل شعره لشعثه وقلة تعهده نفسه. واللمة – بكسر اللام – الشعر الذى يلم بالمنكب أى يقرب منه وهو مفعول تفلى على التنازع. والقفر – بفتح القاف وسكون الفاء وأصله بالكسر – وصف من قفر يد – من باب فرح – إذا أقل لحمه. وشعاع السنبل بفتح الشين المعجمة سفاه وقد أشع الزرع أخرج شعاعه وأسفى الزرع إذا خشن أطراف سنبله. والسنبل هنا سنبل الحنطة والشعير ونحوهما. شبه شعره المنتفش بشوك سنبل الزرع، وقوله «يأتى لها الخ» فاعل يأتى ضمير الراعى وضميرلها لكوم الذرا قال صاحب الصحاح: أى يعرض لها من ناحية اليمين وناحية الشمال وذهب إلى معنى أيمن الأبل وأشملها لجمع لذلك اهـ وأورده سيبويه على أن الشاعر لما جر أيمن وأشمل بمن أخرجهما عن الظرفية، وزعم الأعلم الشنتمرى أن هذا البيت فى وصف ظليم ونعامة قال: يعنى كلما أسرعت إلى أدحيتها وهو بيضتها عرض لها يمينا وشمالا مزعجا لها، وهذا كما ترى لا أصل له، وقوله «وبدلت والدهر ذو تبدل» الخ نائب الفاعل ضمير الريح والهيف بفتح الهاء مثل الهوف بضمها ريح حارة تأتى من اليمن وهى النكباء التى تجرى بين الجنوب والدبور من تحت مجرى سهيل والصبا ريح ومهبها المستوى أن تهب من موضع مطلع الشمس إذا

استوى الليل و النهار،و الدبور الريح التى تقابل الصبا، والشمأل — بسكون الميم وفتح الهمزة بعدها — الريح التى تقابل الجنوب فكان الواجب أن يقابل الشمال بالجنوب لكنه لضرورة النظم أقام الهيف مقام الجنوب لقربها من الجنوب وفيه لفٌ و نشر غير مرتب أى بدلت الريح فجاءت الدبور بدل الصبا وجاءت الهيف أى الجنوب بدل الشمال ففيه دخول الباء على المتروك و هو المشهور وسمع خلافه أيضا.وأورده بن هشام فى المغنى على أن جملة « والدهر ذو تبدل» معترضة بين الفعل و مفعوله للتأكيد والتسديد ، وقوله «بين سماطى شفق مرعبل» السماط — بالكسر — الصف والجانب، والسماطان من الناس و النخل الجانبان يقال مشى بين السماطين وأنشد القصيدة بين السماطين،والمرعبل المقطع وروى بدله مهول — و صغواه — بالغين المعجمة،من صغت النجوم إذا مالت للغروب وقوله قد كادت أى قاربت الشمس أن تغيب و لم تغب بالفعل.روى صاحب الأغانى أن أبا النجم لما بلغ ذكر الشمس فقال «وهى على الأفق كعين» وأراد أن يقول « الأحول » فذكر حول هشام فلم يتم البيت وأرتج عليه فقال هشام أجز فقال «كعين الأحول» فأمر هشام بأخراجه من الرصافة — ويقال لها رصافة الشام وهى مدينة فى غربى الرقة بينهما أربعة فراسخ على طرف البرية بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام و كان يسكنها فى الصيف وكانت قبل من بناء الملوك الغسانيين — ثم قال لصاحب شرطته : إياك وأن أرى هذا فكلم وجوه الناس صاحب الشرطة أن يقره ففعل فكان يصيب من فضول أطعمة الناس و يأوى بالليل إلى المساجد ، قال أبو النجم:ولم يكن فى الرصافة أحد يضيف إلا سليم بن كيسان الكلبى وعمرو بن بسطام الثعلبى فكنت أتغدى عند سليم وأتعشى عند عمرو وآتى المسجد فأبيت فيه فاغتم هشام ليلة وأراد محدثا يحدثه فقال لخادم له : ابغنى محدثا أعرابيا أهوج شاعرا يروى الشعر ، فخرج الحاجب إلى المسجد فأذا هو بأبى النجم فضربه برجله وقال له:قم أجب أمير المؤمنين فقال : أنا اعرابى غريب قال : إياك أبغى قال : تروى الشعر ؟قال:نعم وأقول فأقبل به حتى أدخله القصر وأغلق الباب فأيقن بالشر ثم مضى به فأدخله على هشام فى بيت صغير بينه وبين أهله ستر رقيق والشمع بين يديه قال : فلما دخلت قال لى : أبو النجم ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين طريدك قال : اجلس

فسألنى وقال : أين كنت تأوى ؟ فأخبرته الخبر قال : ومالك من الولد والمال؟ قلت : أما المال فلا مال لى وأما الولد فلى ثلاث بنات وبنى يقال له شيان — بفتح الشين وتشديد الياء المثناة التحتية — قال : هل أخرجت من بناتك ؟ قلت : نعم زوجت اثنتين وبقيت واحدة تجمز فى أبياتنا كأنها نعامة قال: وما وصيت به الأولى ؟ — وكانت تسمى برة — قال :

أوصيت من برة قلباً حرًّا بالكلب خيراً والحماة شرًّا
لاتسأمى ضرباً لها وجرّا حتى ترى حلو الحياة مرّا
وإن كستك ذهباً ودرّا والحى عميهم بشرّ طرّا

فضحك هشام وقال : فما قلت فى الأخرى ؟ قال : قلت :

سبى الحماة وابهتى عليها وإن دنت فأزلفى إليها
وأوجعى بالفهر ركبتيها ومر فقيها واضربى جنبيها
وقعدى كفيك فى صدغيها لاتخبرى الدهر بذاك ابنيها

فضحك هشام حتى بدت نواجذه وسقط على قفاه وقال : ويحك ما هذه وصية يعقوب لولده ؟ قال : ولا أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين قال: فما قلت فى الثالثة؟ قال:قلت :

أوصيك يا ابنتى فإنى ذاهب أوصيك أن يحمدك الأقارب
والجار والضيف الكريم الشاغب ويرجع المسكين وهو خائب
ولاتنى أظفارك السلاهب لهن في وجه الحماة كاتب
والزوج إنّ الزوج بئس الصاحب

قال : فأى شىء قلت فى تأخير تزويجها ؟ قال : قلت :

كأن ظلامة أخت شيبان يتيمة ووالداها حيان
الجيد منها عطل والآذان وليس للرجلين إلا خيطان
وفضة قد شيطتها النيران تلك التى يضحك منها الشيطان

فضحك هشام وضحكت النساء لضحكه . وقال للخصى : كم بقى من نفقتك ؟ قال :

ثلثمائة دينار قال : أعطه إياها يجعلها فى رجل ظلامة مكان الخيطان

وتقدمت ترجمة أبى النجم فى الشاهد السابع من أوائل الكتاب

وأنشد بعده

وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد المائة

(١٤٩) أطوّف ما أطوّف ثم آوى   إلى بيتٍ قَعيدته لَكاعِ

على أن لكاع مما يختص بالنداء وقد استعمل فى غير النداء ضرورة

قال المبرد فى الكامل : يقال فى النداء للئيم يالكع وللأنثى يالكاع لأنه موضع معرفة فأن لم ترد أن تعد له عن جهة قلت للرجل ياألكع وللأنثى يالكعاء وهذا موضع لا تقع فيه النكرة وقد جاء فى الحديث : «لا تقوم الساعة حتى يلى أمور الناس لكع ابن لكع » فهذا كناية عن اللئيم ابن اللئيم وهذا بمنزلة عمر ينصرف فى النكرة ولا ينصرف فى المعرفة ، ولكاع مبنى على الكسر وقد اضطر الحطيئة فذكر لكاع فى غير النداء فقال يهجو امرأته :

أطوّفُ ما أطوّفُ ثم آوِى «البيت»

وقعيدة البيت ربة البيت وصاحبته وإنما قيل قعيدة لقعودها وملازمتها قال المدائنى فى كتاب النساء الفوارك : إن امرأة الحطيئة نشزت عليه وسألته الفرقة فقال :

أُجوّلُ ما أُجولُ ثم آوى «البيت»

قال المرزوقى فى شرح فصيح ثعلب : هذا البناء يراد به المبالغة ومعنى لكاع المتناهية فى اللؤم والفعل منه لكعت لكعاً ولكاعة وهى لكعاء وملكعانة ، والأصل فى اللكع الوسخ وما مع ما بعدها فى تأويل المصدر الذى يراد به الزمان ، والتقدير أطوف مدة تطويفى ، وأورد ابن عقيل فى شرح الألفية هذا البيت شاهداً على وصل ما المصدرية بالمضارع المثبت وهو قليل والكثير وصلها بالمضارع المنفى أو الماضى ، ومعنى البيت أطوف نهارى كله فى طلب الرزق فأذا أويت عند الليل فأنما آوى إلى بيت قيمته القاعدة فيه لئيمة ، والمصراع الأول مأخوذ من قول قيس بن زهير بن جذيمة :

أطوف ما أطوف ثم آوى   إلى جارٍ كجار أبى دواد

وأبو دواد هو أبو دواد الأيادى الشاعر المشهور ، وجاره كعب بن مامة الأيادى الجواد المشهور ، وقيل بل هو الحرث بن همام بن مرة وكان أسر أبا دواد وناسا من قومه فأطلقهم وأكرم أبا دواد وأجاره فمدحه أبو دواد وأعطاه وحلف أن لا يذهب له شيء إلا أخلفه له ، ويقال إن ولد أبي دواد لعب مع صبيان في غدير فغسموه فمات فقال الحرث : لا يبقى صبي في الحي إلا غرق فودى ابنه بديات كثيرة ، وآوى مضارع أوى إلى منزله — من باب ضرب — أويا إذا أقام به وانضم ولجأ إليه ، ومعنى أطوف أكثر الطواف أى الدوران ، ومثله أجول وزنا ومعنى

وهذا بيت مفرد (١) هجا به امرأته كما ذكرنا .

والحطيئة اسمه جرول بن أوس بن جؤية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة — بالتصغير — بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان ، وكنيته أبو مليكة — بالتصغير — واختلف في تلقيبه بالحطيئة — بضم الحاء وفتح الطاء المهملتين وسكون المثناة التحتية وبعدها همزة — فقيل : لقب بذلك لقصره وقربه من الأرض . في الصحاح : والحطيئة الرجل القصير قال ثعلب : وسمي الحطيئة لدمامته وقيل لأنه ضرط بين قوم فقيل له : ماهذا ؟ فقال: حطيئة . يقال حطأ إذا ضرط . وقيل لأنه كان محطوء الرجل والرجل المحطوءة التي لا أخمص لها . وهو أحد فحول الشعراء متصرف في فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب . وكان سفيهاً شريراً ينتسب إلى القبائل وكان إذا غضب على قبيلته انتمى إلى أخرى . قال ابن الكلبي : كان الحطيئة مغموز النسب وكان من أولاد الزنا الذين شرفوا قال : وكان أوس بن مالك العبسي تزوج بنت رباح بن عوف الشيبانية وكانت لها أمة يقال لها الضراء فأعلقها أوس وكان لبنت رباح أخ يقال له الأفقم فلما ولدت الضراء جاءت به شبيهاً بالأفقم فقالت مولاتها : من أين لك هذا الصبي ؟ قالت: من أخيك وهابت أن تقول من زوجك ثم مات الأفقم وترك ابنين من حرة وتزوج الضراء رجل من عبس فولدت له ابنين فكانا أخوى الحطيئة من أمه ، وأعتقت بنت

(١) أقول :وهذا البيت منسوب في كثير من كتب النحو والأدب للحطيئة ومع هذا فلم يروه أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى فيما رواه وشرحه من شعر الحطيئة

رباح الحطيئة وربته فكان أحدهم ثم اعترفت أمه بأنه من أوس، وترك الأقم نخيلا باليمامة فأتى الحطيئة أخويه من أوس فقال لهم : أفردوا لى من مالكم قطعة فقالا: لا ولكن أقم معنا نواسيك فهجاهما وسأل أمه من أبوه فخلطت عليه فغضب عليها وهجاها ولحق بأخوته من بنى الأقم ونزل عليهم فى القرية وقال يمدحهم :

ان القريه خير ساكنها أهل القرية منْ بنى ذُهْل(١)

الضامنون لمال جارهم حتى يتم نواهضُ البَقْل

قومٌ إذا انتسبوا ففرْعُهُم فرْعى وأثبت أصلِهِمْ أصْلى

وسألهم ميراثه من الأقم فأعطوه نخيلات فلم تقنعه فسألهم ميراثه كلا فلم يعطوه شيئاً فغضب عليهم وهجاهم ثم عاد إلى بنى عبس وانتسب إلى أوس بن مالك ، قال ابن قتيبة : وكان الحطيئة راوية زهير وكان جاهلياً إسلامياً ولا أراه أسلم إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنى لم أجد له ذكرا فيمن وفد عليه من وفود العرب غير أنى وجدته فى خلافة أبى بكر يقول :

أطعنا رسولَ الله إذْ كان حاضراً فيا لهفتى ما بالُ دين ِ أبى بكرِ

أيورِثها بكراً إذا ماتَ بعدهُ فتلك وبيتِ الله قاصمة الظَّهرِ

وقال ابن حجر فى الإصابة : كان أسلم فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد ثم أسر وعاد إلى الإسلام . وروى الأصمعي عن عمه قال : كان الحطيئة جشعاً سؤلا ملحفاً دنىء النفس كثير الشر بخيلا قبيح المنظر رث الهيئة مغموز النسب فاسد الدين،

---

(١) القرية — بضم القاف وفتح الراء وتشديد الياء — أصلها تصغير القرية ، وهى هنا اسم لأشهر قرى اليمامة ، قال الحفصى : بها قصر بناه الجن لسليمان بن داود عليه السلام وهو من صخر كله . وقد روى ياقوت بيتين للحطيئة وهما :

إن اليمامة شر ساكنها أهل القرية من بنى ذهل

قوم أباد الله غابرهم لجميعهم كالحمر الطحل

فانظر هذين البيتين مع ماروه مؤلف الكتاب

وما تشاء أن تقول فى شعر شاعر عيباً إلا وجدته وقلما تجد ذلك فى شعره ، وقال أبو عبيدة: التمس الحطيئة ذات يوم إنساناً يهجوه فلم يجده وضاق ذلك عليه فجعل يقول :

أبتْ شَفتاىَ اليومَ إلا تكلُّماً بسُوء ، فما أدْرى لمن أنا قائلُهْ

وجعل يهدر بذا البيت فى أشداقه ولا يرى إنساناً إذ اطلع فى حوض فرأى وجهه فقال :

أرى لىَ وجهاً شوَّه اللهُ وجهَهُ فقبِّح من وجهٍ وقُبِّح حاملُهْ

وكان الكلب بن كنيس تزوج الصراء أم الحطيئه فهجاه وهجا أمه فقال :

ولقد رأيتك فى النساء فسؤتنى وأبا بنيكِ فساءنى فى المجلس

فى أبيات ، وقال يهجو أمه :

جزاك الله شراً من عجوزٍ ولقَّاكِ العقُوقَ من البنين

فقد ملّكت أمرَ بنيك حتى تركتهم أدقّ من الطحين

لسانُكِ مِبردٌ لا عيب فيه ودرُّك در جارية دهين

(وقال يهجوها أيضاً) :

تنحَّىْ فاجلسى منّى بعيدا أراح الله منك العالمينا

أغرْبالاً إذا استودعتِ سراً وكانونا على المتحدثينا

حياتك ما علمت حياةُ سُوءٍ وموتك قد يسُرُّ الصالحينا

(وقال فى هجاء أبيه وعمه وخاله) :

لحاك الله ثم لحاكَ حقاً أباً ولحاكَ من عمٍّ وخالِ

فنعم الشيخ أنت على المخازى وبئس الشيخ أنت لدى المعالى

جمعتَ اللؤمَ لا حيّاكَ ربّى وأبوابَ السفاهةِ والضلالِ

قال ابن قتيبة : ودخل الحطيئة على عتيبة بن النهاس العجلى فسأله فقال : ماأنا فى عمل فأعطيك من عدده وما فى مالى فضل عن قومى ، فلما خرج قال له رجل من قومه: أتعرفه؟ قال :لا قال : هذا الحطيئة ، فأمر برده فلما رجع قال :إنك لم تسلم تسليم الاسلام

ولا استأنست استئناس الجار ولا رحبت ترحيب ابن العم قال : هو ذلك قال : اجلس فلك عندنا ماتحب فجلس فقال له : من أشعر الناس ؟ قال الذى يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عِرْضِهِ يفِرْه ومن لا يتّق الشتم يُشتم

قال : ثم من ؟ قال : أنا فقال عتيبة لغلامه : إذهب به إلى السوق فلا يشيرن إلى شيء إلا اشتريته له فانطلق به الغلام فجعل يعرض عليه الحبرة واليمنة وبياض مصر وهو يشير إلى الكرابيس والأكسية الغلاظ فاشترى له بمائتى درهم وأوقر راحلته براً وتمراً فقال له الغلام : هل من حاجة غير هذا ؟ قال : لا حسبى قال : إنه قد أمرنى أن لا أجعل لك علة فيما تريد قال : حسبك لاحاجة بى أن يكون لهذا يد على قومى أكثر من هذه ثم ذهب فقال :

سُئِلْتَ فلم تبخل ولم تُعطِ طائلا فسِيّانِ لا ذمٌّ عليك ولا حمدُ
وأنت امرؤ لا الجود منك سجية فتعطى وقد يعدى على النائل الوُجْدُ

وأتى الحطيئة كعب بن زهير فقال له : قد علمت روايتى لكم وانقطاعى إليكم وقد ذهب الفحول غيرى وغيرك فلو قلت شعراً تبدأ فيه بنفسك ثم تثنى بى فإن الناس لأشعاركم أروى فقال كعب :

فمن للقوافى شأنها من يحوكها إذا ما ثوى كعبٌ وفوّزَ جرول
نقول ولا نعنى بشيء نقوله ومن قائليها من يُسيء ويعمل
نثقفها حتى تلين متونها فيقصر عنها كل ما يتمثل

وفى الأغانى عن جماعة أن الحطيئة لما حضرته الوفاة اجتمع إليه قومه فقالوا : أوص يا أبا مليكة قال : ويل للشعر من رواية السوء قالوا : أوص يرحمك الله قال : من الذى يقول :

إذا نبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز

قالوا : الشماخ قال : أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب قالوا : ويحك أهذه وصية أوص بما ينفعك قال : أبلغوا أهل ضابى لأنه شاعر حيث يقول :

لكل جديد لذة غير أننى ... وجدت جديد الموت غير لذيذ(١)

قالوا : أوص ويحك بغير ذا قال : أبلغوا امرأ القيس أنه أشعر العرب حيث يقول:

فيالك مِنْ ليلٍ كأَنْ نجومَهُ ... بكل مُغَارِ الفتل شُدَّتْ بيَذْبُلِ

قالوا: اتق الله ودع عنك هذا قال : أبلغوا الأنصار أن صاحبهم(٢) أشعر العرب حيث يقول :

يُغْشَوْنَ حتى ما تَهِرّ كلابهم ... لا يَسألون عن السَّوادِ المقبل

قالوا : إن هذا لا يغنى عنك شيئاً فقل غير ما أنت فيه فقال :

الشِّعْرُ صعْبٌ وطويل سُلّمه ... إذا ارْتَقَى فيه الّذى لا يعلمُهُ

زلّتْ به إلى الحضيض قدمُهُ ... يريد أن يُعْرِبَه فيُعْجِمُهُ

قالوا : هذا مثل الذى أنت فيه فقال :

قد كنت أحياناً شديد المعتمد ... وكنت ذا غَرْبٍ على خصْمٍ أَلَدّ

فوردت نفسى وما كادت ترد

قالوا : يا أبا مليكة ألك حاجة قال : لا والله ولكن أجزع على المديح الجيد يمدح به من ليس له أهلا قالوا : فمن أشعر الناس ؟ فأومأ بيده إلى فيه وقال : هذا اللسان إذا طمع فى خير واستعبر باكيا قالوا له : قل لا إله إلا الله . فقال :

قالت وفيها حيدة وذعر ... عوذ بربى منكم وحجر

فقيل له : ما تقول فى عبيدك ، فقال : هم عبيد قن ماعاقب الليل النهار ، قالوا: فأوص للفقراء بشىء قال : أوصيهم بالإلحاح فى المسألة فإنها تجارة لن تبور ، واست المسئول أضيق . قالوا : فما تقول فى مالك ؟ قال : للأنثى من ولدى مثل حظ الذكر قالوا: ليس هكذا قضى الله قال : لكنى هكذا قضيت قالوا : فما توصى لليتامى قال : كلوا أموالهم

(١) ينسب هذا البيت للحطيئة نفسه ويروى بعده

له خبطة فى الحلق ليس بسكر ... ولا طعم راح يشتهي ونبيذ

(٢) هو حسان بن ثابت رضى الله عنه

ونيكوا أمهاتهم قالوا : فهل شيء تعهد فيه غير هذا ، قال : نعم تحملوني على أتان وتتركوني راكبها حتي أموت فأن الكريم لا يموت على فراشه والأتان مركب لم يمت عليه كريم قط فحملوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويجيئون (١) عليها حتى مات وفى الأصابة لابن حجر أنه عاش إلى زمن معاوية

وأنشد بعده

(وهو الشاهد الخمسون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه)

(١٥٠) بنا تميماً يُكْشَفُ الضبابُ

على أن المنصوب على الاختصاص ربما كان علما

(أقول) : تميم هو تميم بن مر بن أدبن طابخة بن الياس بن مضر وهذا ليس مراد الشاعر وانما مراده القبيلة ،والضباب جمع ضبابةوهو ندى كالغبار يغشى الأرض بالغدوات وأضب يومنا بالهمز إذا صار ذاضباب وضرب الضباب مثلا لغمة الأمر وشدته أى بنا تكشف الشدائد فى الحروب وغيرها. وأنشده سيبويه على أن تميما منصوب بأضمار فعل على معنى الاختصاص والفخر . وبنا متعلق بقوم يكشف وقدم للحصر

وهذا البيت من أرجوزة لرؤبة بن العجاج وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الخامس من أوائل الكتاب

وأنشد بعده

(وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد المائة)

(١٥١) إنّا بَنِي ضَبَّةً لا نفرُّ

على أن بنى ضبة منصوب على الاختصاص تقديره أخص بنى ضبة الجملة معترضة بين اسم إن وخبرها وهو جملة لانفر، جيء بها لبيان الافتخار ،وضبة هو ابن أدبن طابخة بن إلياس

---

(١) روى أنه قال فى هذه الحال

لا أحد أذل من حطيئة هجا بنيه وهجا المريئة

من لؤمه مات على فريئة

والفريئة : الاتانة وهى أنثى الحمار

ابن مضر وأبناء ضبة ثلاثة سعد وسعيد بالتصغير و باسل وهو أبو الديلم ، قال أبو عبيد القاسم بن سلام : خرج باسل بن ضبة معاضبا لأبيه فوقع بأرض الديلم فتزوج امرأة من العجم فولدت له ديلما فهو أبو الديلم

وأنشد بعده

(وهو الشاهد الثاني والخمسون بعد المائة)

(١٥٢) لنا يومٌ وللكِرْوانِ يومٌ تطيرُ البائِسَاتِ ولا نطيرُ

على أن البائسات منصوب على الترحم

وهذا البيت من قصيدة لطرفة بن العبد هجا بها عمرو بن المنذر بن امرىء القيس وأخاه قابوس بن المنذر وأمهما بنت الحرث بن عمرو الكندى آكل المرار وهذه أبيات ثمانية منها:

فليتَ لنا مكانَ الملكِ عَمْرٍو رَغُوثاً حولَ قُبَّتِنَا تَخُورُ
من الزَّمِراتِ أَسْبِلَ قادماها وضرتها مُرَكَّنَةٌ دَرُورُ
يشاركنا لنا رَخِلانِ فيها وتعلوها الكِباشُ وما تنُورُ
لَعمْرُكَ إنَّ قابُوسَ بْنَ هندٍ ليَخْلِطُ مُلْكَهُ نوكٌ كثيرُ
قَسَمْتَ الدهرَ فى زمنٍ رخيٍّ كذاك الحُكْمُ يَقصِدُ أو يَجُورُ
لنا يَوْمٌ وللكِرْوانِ يَوْمٌ «البيت»
فأما يَوْمُهُنَّ فيومُ سوءٍ تُطَارِدُهُنَّ بالحَدَبِ الصُّقُورُ
وأما يومنا فنظل رَكْباً وقوفا ما نحل ولا نسيرُ

وكان السبب فى هذه القصيدة على ما حكى المفضل بن سلمة فى كتابه الفاخر : أن عمرو بن المنذر كان يرشح أخاه قابوس بن المنذر ليملك بعده فقدم عليه المتلمس وطرفة فجعلهما فى صحابة قابوس وأمرهما بلزومه ، وكان قابوس شاباً يعجبه اللهو ، وكان يركب يوما فى الصيد فيركض يتصيد وهما معه يركضان حتى يرجعا عشية وقد تعبا فيكون قابوس من الغد فى الشراب فيقفان بباب سرادقه إلى العشى ، فكان قابوس يوماً على الشراب فوقفا ببابه النهار كله ولم يصلا إليه فضجر طرفة فقال هذه القصيدة

وقال يعقوب بن السكيت والأعلم الشنتمرى فى شرحهما لديوان طرفة إن عمرو ابن هند المذكور كان شريراً وكان له يوم بؤس ويوم نعمة فيوم يركب فى صيده يقتل من يلقى ويوم يقف الناس ببابه فأن اشتهى حديث رجل أذن له فكان هذا دهره كله فهجاه طرفة وذكر ذلك

فقوله « فليت لنا مكان الخ » الملك — بفتح الميم وسكون اللام وأصلها الكسر — وصف من ملك على الناس أمرهم إذا تولى السلطنة . ولنا خبر ليت مقدم . ورغوثا اسمها مؤخر ، ومكان الملك ظرف . وكان فى الأصل صفة لرغوث فلما قدم صار حالا ، والرغوث — بفتح الراء وضم الغين المعجمة وآخره ثاء مثلثة — النعجة المرضع يقال رغث الغلام أمه إذا رضعها . وتخور تصوت . وأصل الخوار للبقر فجعله طرفة للنعجة وقوله «من الزمرات الخ» بفتح الزاى المعجمة وكسر الميم أى القليلات الصوف وخصها لأنها أغزر ألبانا يقال رجل زمر المروءة إذا كان قليلها . والقادمان الخلفان وأصل القادمين للناقة لأن لها أربعة أخلاف قادمين وآخرين فاستعار القادمين للشاة ، وأسبل طال وكمل والضرة بفتح الضاد المعجمة لحم الضرع . والمركنة التى لها أركان أى جوانب وأصل ، وقيل هى المجتمعة ، والدرور بفتح الدال الكثيرة الدر وقوله يشاركنا الخ » الرخل بفتح الراء وكسر الخاء المعجمة الأنثى من أولاد الضأن ولنا حال من رخلان وكان قبل التقديم صفة أى يشاركنا فى لبنها رخلان لنا ، وتنور بالنور تنفر والنوار النفور يصف غزارة درها وكثرة أولادها وأنها قد ألفت الذكور فما تنفر منها وقوله نوك كثير النوك بالنون الحماقة وكثير يروى بالمثلثة وبالموحدة وكان قابوس يحمق ويزن فى نفسه وقوله «قسمت الدهر الخ» هو بالخطاب على طريقة الالتفات إما من قابوس على قول المفضل بن سلمة وإما من عمرو على القول الآخر يخاطبه ويذكر ما كان من يوم صيده ويوم « قوف الناس ببابه وقد بينه فى الأبيات التى بعده والرخى السهل اللين ، وكذلك الحكم جملة اسمية على حذف مضاف أى ذو الحكم أرسلها مثلا وقوله « يقصد الخ» بيان لجهة التشبيه ويقصد من قصد فى الأمر قصداً من باب ضرب إذا توسط وطلب الأسد ولم يجاوز الحد . وقوله «لنا يوم الخ» مبتدأ وخبر ، وروى فى أكثر الروايات «لنا يوما وللكروان يوما» بنصب يوما فى

الموضعين على إنه بدل كل من الدهر والكروان بكسر الكاف وسكون الراء قال الأعلم هو جمع كروان وهو طائر ونظيره شقذان وشقذان وورشان وورشان وحمار قلذان والجمع قلذان وقد يكون كروان جمع كرا مثل فتى وفتيان وخرب وخربان انتهى ، ولم يذكر فى أمثاله أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسى إلا الوجه الثانى كما تقدم فى الشاهد الرابع والأربعين بعد المائة قال قالوا : كرا وكروان مثل فتى وفتيان وأنشد هذا البيت وزعم ابن السيد فيما كتبه على هذا الكتاب أن الكروان هنا مفرد بفتح الكاف والراء وأن التأنيث باعتبار قصد الأفراد من الجنس انتهى، والبائسات منصوب على الترحم كما يقال مررت به المسكين وفاعل تطير ضمير الكروان وروى بالرفع أيضاً قال ابن السكيت : وهو الأكثر وقال الأعلم والرفع على القطع وقد يكون على البدل من المضمر فى تطير وهو جمع بائسة من البؤس بالضم وسكون الهمزة وهو الضر يقال بئس بالكسر إذا نزل به الضر فهو بائس وقوله لانطير بنون المتكلم مع الغير وقوله « فأما يومهن الخ » السوء بفتح السين — قال الأزهرى فى تهذيبه وتقول فى النكرة هذا رجل سوء وإذا عرفت قلت هذا الرجل السوء ولم تضف وتقول هذا عمل سوء ولا تقل عمل السوء لأن السوء يكون نعتا للرجل ولا يكون السوء نعتا للعمل لأن الفعل من الرجال وليس الفعل من السوء كما تقول قول صدق وقول الصدق ورجل صدق ولا تقول رجل الصدق لأن الرجل ليس من الصدق إنتهى وروى بدله «نحس» وهو بمعناه والحدب بفتح المهملتين ماارتفع من الأرض وغلظ يقول يوم الكروان يوم نحس « لمطاردة الصقور لهن وقوله ماتحل ولا نسير أى نحن قيام على بابه ننتظر الاذن فلا هو يأذن فنحل عنده ولا هو يأمرنا بالرجوع فنسير عنه . ونحل مضارع حل يحل حلولا من باب قعد إذا نزل

وطرفة هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل الشاعر المشهور وطرفة بالتحريك فى الأصل واحد الطرفاء وهو الاثل قال فى القاموس الطرفة محركة واحدة الطرفاء وبها لقب طرفة بن العبد واسمه عمر أو لقب ببيت قاله . وهو أشعر الشعراء بعد امرىء القيس ومرتبته ثانى مرتبة ولهذا ثنى بمعلقته وقال الشعر صغيرا قال ابن قتيبة هو أجود الشعراء قصيدة ، وله

بعد المعلقة شعر حسن و ليس عند الرواة من شعره وشعر عبيد الا القليل ، وقتل وهو ابن ست وعشرين سنة وكان السبب فى قتله أنه وفد مع خاله المتلمس على عمرو بن هند فأكرمهما وبقيا عنده مدة قال المفضل بن سلمة وكان لطرفة ابن عم عند عمرو بن هند واسمه عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة وكان طرفة عدوا لابن عمه عبد عمرو ، وكان سمينا بادنا فدخل على عمرو بن هند الحمام فلما تجرد قال عمرو بن هند : لقد كان ابن عمك طرفة رآك حين ماقال — وكان طرفة هجا عبد عمرو فقال فيه من جملة أبيات — :

ولا خيرَ فيه غير أنَّ له غِنًى وأن له كشـحاً إذا قام أهضَما

فلما أنشد الأبيات لعبد عمرو قال له عبد عمرو : وماقال لك شر مما قال لى ثم أنشده:

فليتَ لنا مكانَ الملكِ عَمْرٍو

الأبيات المتقدمة ، فصدقه عمرو بن هند وقال له ما أصدقك عليه مخافة أن تدركه الرحم وينذره فمكث غير كثير ثم دعا المتلمس و طرفة وقال لعلكما قد اشتقتما إلى أهلكما وسركما أن تنصرفا قالا : نعم ، فكتب لهما إلى عامله على هجر أن يقتلهما ، وأخبرهما أنه قد كتب لهما بحباء وأعطى كل واحد منهما شيأ فخرجا وكان المتلمس قد أسن فمر بنهر الحيرة على غلمان يلعبون فقال المتلمس : هل لك أن تنظر فى كتابينا فأن كان فيهما خير مضينا له و إن كان شرا ألقيناهما ؟ فأبى عليه طرفة ، فأعطى المتلمس كتابه بعض الغلمان فقرأه عليه فأذا فيه السوء ، فألقى كتابه فى الماء وقال لطرفة أطعنى وألق كتابك ، فأبى طرفة ومضى بكتابه إلي العامل فقتله ، ومضى المتلمس حتى لحق بملوك بنى جفنة بالشام اه

وروى يعقوب بن السكيت فى شرح ديوانه القصة بأبسط من هذا قال: إن طرفة لما هجا عمرو بن هند بالابيات المتقدمة لم يسمعها عمرو بن هند حتى خرج يوما إلى الصيد فأمعن فى الطلب فانقطع فى نفر من أصحابه حتى أصاب طريدته فنزل وقال لاصحابه : اجمعوا حطبا وفيهم ابن عم طرفة فقال لهم . أوقدوا فأوقدوا ناراً وشوى فبينما عمرو يأكل من شوائه وعبد عمرو يقدم إليه إذ نظر إلى خصر قيصه منخرقا فأبصر كشحه — وكان من أحسن أهل زمانه جسما وقد كان بينه وبين طرفة أمر وقع

بينهما منه شر فهجاه طرفة بأبيات — فقال له عمرو بن هند — وكان سمع تلك الابيات —
ياعبد عمرو لقد ابصر طرفة حسن كشحك ثم تمثل فقال :

ولا خير فيــه غير أن له غنى   وأن له كشحاً إذا قام أهضما

فغضب عبد عمرو مما قاله و أنف فقال لقد قال للملك أقبح من هذا قال عمرو وما الذى قال ؟ فندم عبد عمرو و أبى أن يسمعه فقال . أسمعنيه و طرفة آمن فأسمعه القصيدة التى هجاه بها وشرحنا منها ثمانية ابيات تقدمت . فسكت عمرو بن هند على ما و قر فى نفسه وكره أن يعجل عليه لمكان قومه فأضرب عنه و بلغ ذلك طرفة ، و طلب غرته و الاستمكان منه حتى أمن طرفة و لم يخفه على نفسه ، فظن أنه قد رضى عنه ، وقد كان المتلمس وهو جرير بن عبد المسيح هجا عمرو بن هند وكان قد غضب عليه فقدم المتلمس وطرفة على عمرو بن هند يتعرضان لفضله فكتب لهما إلى عامله على البحرين وهجر ، وكان عامله فيها فيما يزعمون ربيعة بن لحرث العبدى . وهو الذى كتب إليه فى شأن طرفة والمتلمس ، وقال لهما انطلقا إليه فاقبضا جوائزكما نخرجا ، فزعموا أنهما لما هبطا النجف قال المتلمس : ياطرفة إنك غلام غر حديث السن والملك من قد عرفت حقده و غدره و كلانا قد هجاه فلست آمنا أن يكون قد أمر فينا بشر فهلم ننظر فى كتابنا فأن يكن أمر لنا بخير مضينا فيه وإن يكن أمر فينا بغير ذلك لم نهلك أنفسنا ، فأبى طرفة أن يفك خاتم الملك وحرص المتلمس على طرفة فأبى وعدل المتلمس إلى غلام من غلمان الحيرة عبادى فأعطاه الصحيفة فقرأها فلم يصل إلى ما أمر به فى المتلمس حتى جاء غلام بعده فأشرف فى الصحيفة لايدرى من هو فقرأها فقال ثكلت المتلمس أمه فانتزع المتلمس الصحيفة من يد الغلام واكتفى بذلك من قوله : وأتبع طرفة فلم يدركه وألقى الصحيفة فى نهر الحيرة ، ثم خرج هاربا ، وقد كان المتلمس فيما يقال قال لطرفة حين قرأ كتابه تعلم أن فى صحيفتك لمثل الذى فى صحيفتى فقال طرفة إن كان اجترأ عليك فما كان ليجترىء على ولا ليغرنى ولا ليقدم على ، فلما غلبه سار المتلمس إلى الشام وسار طرفة حتى قدم على عامل البحرين و هو بهجر فدفع إليه كتاب عمرو بن هند فقرأه فقال هل تعلم ما أمرت به فيك قال نعم أمرت أن تجيزنى وتحسن إلى فقال لطرفة إن بينى و بينك

لخولة أنا لها راع فاهرب من ليلتك هذه فأنى قد أمرت بقتلك فاخرج قبل أن تصبح ويعلم بك الناس فقال له طرفة : اشتدت عليك جائزتى وأحببت أن أهرب وأجعل لعمرو بن هند على سبيلا كأنى أذنبت ذنبا ، والله لا أفعل ذلك أبدا فلما أصبح أمر بحبسه وجاءت بكر بن وائل فقالت قدم طرفة فدعا به صاحب البحرين فقرأ عليهم كتاب الملك ثم أمر بطرفة وحبس وتكرم عن قتله وكتب إلى عمرو بن هند أن ابعث إلى عملك فأنى غير قاتل الرجل فبعث إليه رجلا من بنى تغلب يقال له عبد بن هند بن جرذ واستعمله على البحرين وكان رجلا شجاعا وأمره بقتل طرفة وقتل ربيعة بن الحرث العبدى فقدمها عبد هند فقرأ عهده على أهل البحرين ولبث أياما واجتمعت بكر بن وائل فهمت به وكان طرفة يحضضهم وانتدب له رجل من عبد القيس ثم من الحواثر يقال له أبو ريشة فقتله فقبره اليوم معروف بهجر ، وزعموا أن الحواثر ردته إلى أبيه وقومه ، وقالت أخت طرفة تهجو عبد عمرو لما كان من إنشاده الشعر للملك :

ألا ثكلتك أمك عَبْدَ عَمْرٍو أَبِالخربابِ آخيت الملوكا
هم دَحَوكَ للوركين دحا ولو سألوا لأعطيت البروكا

ورثت طرفة أخته بقولها :

عددنا له ستا وعشرين حجة فلما توفَّاها اسْتَوَى سَيِّداً ضَخْمَا
فجعْنا به لمَّا رَجَوْنا إيابه على خير حال لا وليدا ولا قَحْمَا

ومثله فى كتاب الشعراء لابن قتيبة قال : وكان طرفة فى حسب من قومه جريأ على هجائهم وهجاء غيرهم ، وكانت أخته عند عبد عمرو بن بشر بن مرثد ، وكان عبد عمرو سيد أهل زمانه فشكت أخت طرفة شيأ من أمر زوجها إليه فقال :

ولا عيبَ فيه غيرَ أنَّ له غِنى «البيت»
وأنَّ نساء الحى يَعكفنَ حولَهُ يقلن عسيب من سرارة ملهما

واهضم منقبض ، وسرارة بالفتح خيار ، وملهم بالفتح موضع كثير النخل ، فخرج عمرو بن هند يتصيد ومعه عبد عمرو فأصاب حمارا فعقره فقال لعبد عمرو : انزل إليه فنزل اليه فأعياه فضحك عمرو بن هند وقال : لقد أبصرك طرفة حين قال

ولاعيبَ فيه غـير أنَّ له غنى «البيت»

وقال فى آخرها : ويقال إن الذى قتله المعلى بن خش العبدى والذى تولى قتله بيده معاوية بن مرة الأنفلى حى من طسم وجديس ... ثم قال : وكان أبو طرفة مات وطرفة صغير فأبى أعمامه أن يقسموا له ماله فقال :

ما تنظرون بمـال وردة فيكم صغر البنون ورهط وردة غيب
قد يبعث الأمرَ العظيمَ صغيرُه حتى تظـل له الدماء تَصَبَّبُ
والظلم فرّق بين حَيَّىْ وائل بَكْرٌ تساقيهـا المنـايا تَغْلبُ
والصدق يألفه الـكريم المرتجَى والكِذْبُ يألفه الدنىء الأخيبُ

ويقال : إن أول شعر قاله طرفة أنه خرج مع عمه فى سفر فنصب فخا فلما أراد الرحيل قال :

يالك من قبرة بمعمرِ[1] خلالكِ الجو فبيضى واصفرى
ونقّرى إن شئت أن تنقرى قد رفع الفخ فماذا تحـذرى
لا بد يوماً أن تصادى فاصبرى اه

وعمرو بن هند المذكور هو من ملوك الحيرة ، كان عاتياً جباراً ويسمى محرقاً أيضاً لأنه حرق بنى تميم . وقيل بل حرق نخل اليمامة

والنعمان بن المنذر صاحب النابغة أخو عمرو بن هند وسيأتى إن شاء الله تعالى نسبة عمرو بن المنذر فى نسبة أخيه النعمان بن المنذر فى الشاهد الثالث بعد هذا

(تتمة) ـ ذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف من اسمه طرفة من الشعراء أربعة أولهم هذا (والثانى) طرفة بن الآءة بن نضلة بن المنذر بن سلمى بن جندل بن نهشل ابن دارم (والثالث) طرفة الجذمى أحد بنى جذيمة العبسى (والرابع) طرفة أخو بنى عامر بن ربيعة

(١) تروى هذه الأبيات عن كليب وائل بن ربيعة مع زيادة فيها عما هنا ونقص

وأنشد بعده

(وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه)

(١٥٣)ويأوى إلى نسوة عطل وشُعْثاً مراضيعَ مثل السعالى

على أن قوله شعثاً منصوب على الترحم كالذى قبله

قال سيبويه : وشعثا منصوب بأضمار فعل . قال الأعلم : لأنه لما قال نسوة عطل علم أنهن شعث فكأنه قال : واذكرهن شعثاً إلا أنه فعل لا يظهر لأن ماقبله دل عليه فأغنى عن ذكره . وقال ابن خلف : الشاهد أنه نصب شعثاً كأنه حيث قال إلى نسوة عطل صرن عنده ممن علم أنهن شعث ولكنه ذكر ذلك تشنيعاً لهن وتشويهاً قال الخليل كأنه قال اذكرهن شعثاً إلا أن هذا فعل لا يستعمل إظهاره لأن ما قبله قد دل عليه فأغنى عن ذكره على ما يجرى الباب عليه فى المدح والذم

وأنشده سيبويه فى مواضع أخر أيضاً قبل هذا بجر « شعث » عطفاً على « عطل » وقال : وإن شئت جررت على الصفة ، وزعم يونس أن ذلك أكثر كقولك « مررت بزيد أخيك وصاحبك » ثم قال : ولو قال « فشعث » بالفاء لقبح ، قال النحاس : ومعنى قوله لقبح لا يجوز لأن عطلا وشعثاً صفتان ثابتتان معاً فى الموصوف فعطفت إحداهما على الأخرى بالواو لأن معناها الاجتماع ولو عطفت بالفاء لم يجز لأنه لم يرد أن الشعث حصل لهن بعد العطل

وأورد هذا البيت صاحب الكشاف عند قوله تعالى « وأولوا العلم قائماً بالقسط على أن المنتصب على المدح كما يجيء معرفة يجيء نكرة كما فى شعثاً فأنه منصوب على الترحم

وأورده أيضاً ابن الناظم وابن هشام فى شرح الألفية على أن قوله شعثاً منصوب بفعل مضمر على الاختصاص ليبين أن هذا الضرب من النساء أسوأ حالا من الضرب الأول الذى هو العطل منهن ، ومثل هذا يسمى نصبا على الترحم

قال ابن الحاجب فى أماليه : لا يجوز أن يكون شعثاً منصوباً مفعولا معه لأن شرطه التشريك مع المرفوع فى نسبة الفعل وقد توهم من لاعبرة به جواز سرت والجبل وهو غير جائز إذ الجبل لا يسير ، ولو سلم جوازه فلا بدمن تأويل وهو أن يجعل كأن كل جزء من الجبل سائر لأنه إذا سار من موضع نواحي الجبل فذاك مفارق له ،

والبيت مطلق الروى فهو بكسر اللام من السعالى كما أنشده سيبويه ، قال النحاس : هكذا أخذناه عن أبي اسحق وأبي الحسن وهو الصواب ، وأنشد هذا البيت العروضيون منهم الأخفش سعيد مثل السعال بأسكان اللام ولا يجوز إلا ذلك على ما رووه لأنهم جعلوه من المتقارب من الضرب الثاني من العروض الأولى

وقوله « ويأوى الخ » فاعل يأوى ضمير الصياد أى يأتى مأواه ومنزله إلى نسوة وعطل جمع عاطل قال فى الصحاح : والعطل — بالتحريك — مصدر عطلت المرأة إذا خلا جيدها من القلائد فهى عطل — بالضم — وعاطل ومعطال وقد يستعمل العطل فى الخلو من الشيء وإن كان أصله فى الحلى يقال عطل الرجل من المال والأدب فهو عطل — بضمة وبضمتين — وهذا هو المراد هنا لأن المعنى أن هذا الصياد يغيب عن نسائه للصيد ثم يأتى إليهن فيجدهن فى أسوأ الحال . والشعث جمع شعثاء من شعث الشعر شعثاً فهو شعث — من باب تعب — تغير وتلبد لقلة تعهده بالدهن ورجل أشعث وامرأة شعثاء ، والمراضيع جمع مرضاع — بالكسر — وهى التى ترضع كثيرا ، والسعالى بفتح السين قال أبو على القالى فى كتاب المقصور والممدود السعلى بالكسر وبالقصر ذكر الغيلان والأنثى ثعلاة وقال الأصمعى : يقال السعلاة ساحرة الجن حدثنا أبو بكر بن دريد قال : ذكر أبو عبيدة وأحسب الأصمعى قد ذكره أيضا قال لقيت السعلاة حسان بن ثابت فى بعض طرقات المدينة وهو غلام قبل أن يقول الشعر فبركت على صدره وقالت : أنت الذى يرجو قومك أن تكون شاعرهم ؟ قال : نعم قالت : فأنشدنى ثلاثة أبيات على روى واحد وإلا قتلتك فقال

إذا ما ترعرعَ فينا الغُلامُ فما إنْ يُقالُ له مَنْ هُوَهْ
إذا لم يَسُدْ قبل شدّ الإِزار فذلك فينا الذى لا هوه
ولى صاحب من بنى الشَّيْصَبان فحينا أقول وحينا هوه

فخلت سبيله اه

والشيصبان — بفتح الشين المعجمة وبعدها ياء مثناة تحتية وبعدها صاد مهملة مفتوحة وبعدها باء موحدة — قال ابن دريد فى الجمهرة : هو ابن جنى من الجن وأنشد هذا البيت ، وروى أبو سعيد السكرى هذا البيت فى أشعار هذيل كذا :

له نسوة عاطلات الصدو ر عُوجٌ مراضع مثل السّعالى

وقال : عوج مهازيل مثل الغيلان فى سوء الحال وهوجمع عوجاء قال فى الصحاح والعوجاء الضامرة من الابل ، وعلى هذه الرواية فلا شاهد فى البيت

وهذا البيت من قصيدة لأمية بن أبى عائذ الهذلى من قصيدة طويلة عدتها ستة وسبعون بيتاً على رواية أبى سعيد السكرى فى أشعار الهذليين ، وهذا مطلعها :

ألا يا لَقَوْمى لِطَيْفِ الخيالِ يُؤَرِّقُ من نازح ذى دلال

الطيف هنا مصدر طاف الخيال يطيف طيفاً ، ويؤرق يسهد ، وقوله « من نازح » أى من حبيب بعيد ، وهذا من أبيات سيبويه أورده شاهداً على فتح اللام وكسر الثانية فرقاً بين المستغاث به والمستغاث من أجله قال سيبويه : معناه من لطيف الخيال من نازح ذى دلال يؤرقنى . وذكر النازح لانه أراد الشخص ، والدلال الدلالة بحسن ومحبة ونحوها

أجاز إلينا على بُعْدِهِ مَهاوىَ خَرْقٍ مهابٍ مهال

أجاز الخيال أى قطع إلينا على بعده ، مهاوى مواضع يهوى ويسقط فيها وهو مفعول أجاز ، والخرق — بالفتح — الفلاة الواسعة ينخرق فيها الرياح ، ومهاب بالفتح موضع هبة ، ومهال موضع هول

صَحارٍ تَغَوَّلُ جِنَّانُها وأحداب طودٍ رفيع الجبال

صحار جمع صحراء ، وتغول تتلون كالغول ، والجنان — بالكسر — جمع جان وهو أبو الجن : وأحداب منصوب بالعطف على مهاوى وهو جمع حدب — بالتحريك — وهو ما ارتفع من الأرض

خيالٌ لجَعْدَةَ قد هاج لى نُكاساً من الحب بعد اندمال

أى ذلك الخيال خيال جعدة ، يقال : عرض لى نكس ونكاس بضمهما ، واندمل أفاق بعض الافاقة

تسدّى مع النوم تمثالها دنوّ الضباب بطلّ زلال

أى غشينا خيالها كما تغشى الضباب الأرض الأصمعى الضباب الغيم ، والطل الندى ، والزلال الصافى

فباتت تسائلنا في المنام وأحبب إلىّ بذاك السؤال
تثنى التحيـــة بعـــد الســـلام ثم تفـــدى بعم وخال
فقـــد هاجنى ذكرُ أمّ الصبيّ من بعـــد سقم طويل المطال

أى المطاولة

ومرّ المنون بأمرٍ يغـــو ل من رزء نفسٍ ومن نقص مال

مر بالجر عطف على قوله من بعد سقم

إلى الله أشكو الذى قد أرى من النائبات بعافٍ وعال

أى تأخذ بالعفو والسهولة أى تقهر فتعلو وتعظم يقال : عاله الأمر ، إذا تفاقم به ، شكا الى الله ما أصابه من دهره

وإظلالُ هذا الزمانِ الذى يُقلّبُ بالناسِ حالاً لحال

معطوف على الذى وهو مصدر أظل على الشيء بمعنى أشرف عليه

وجهدَ بَلاءٍ إذا ما أتى تطاول أيامُهُ والليـــال

عطف على الذى أيضاً

فسلّ الهمـوم بِعَيْرانةٍ مواشكة الرجـع بعـد انتقال

أى سريع رجع يديها ، والمناقلة ضرب من السير ثم أخذ فى وصف ناقته إلى أن شبهها بحمار الوحش ووصفه بشيء كثير الى أن ذكر أنه أورد أتنه الماء فقال :

فلما وردن صدرن النقيـــل أوْبَ مرامى غوىّ مغـال

النقيل المناقلة فى السير وأصله اذا وقع فى حجارة ناقل وهو أن ينقل قوائمه يضعها بين كل حجرين . والمغالى المرامى الذى يغالى فى الرمى أيهم أبعد سهما يقول آبت كأوب السهام وأوبها إذا نزع النازع فى القوس فاذا أرسل اليهم فقد آب من حيث نزع

فأسلكها مرصـدا حافظاً به ابن الدُّجى لاصقا كالطحال

أى فأسلكها الفحل — وهو حمار الوحش — مرصداً أى مكاناً يرصد به الرامى الوحش ، وقوله به أى بالمرصد ، وابن الدجى الصياد وهو جمع دجية وهى بيت الصائد

تكون حفيرة يستتر فيها لئلا يراه الوحش ، وقوله لاصقاً الخ يقول قد لصق الصياد بأرض حفيرته ليخفى عن الصيد كما لصق الطحال بالجنب

مُقيتا مُعيداً لأكل القنيـــص ذا فاقة ملحما للعيال

المقيت المقتدر من أقات على الشيء بمعنى اقتدر عليه ، والمعيد الذى قد اعتاد صيد القنيص ، والملحم اسم فاعل من ألحم إذا أطعم اللحم

ويأوِى إلى نِسْوَةٍ عُطُلٍ «البيت»

فاعله ضمير ابن الدجى وهو الصياد

تروح يداه بِمَحْشُورةٍ خَوَاظِى القِــداح عجاف النصَال

فى الصحاح وراحت يده بكذا خفت له ، والمحشورة نبل قد ألطف قذذها وهو أسرع لها وأبعد . وخواظى القداح جمع خاظية أى متينة مكتنزة . والقداح جمع قدح — بالكسر — وهو عود السهم . وعجاف النصال أى قد أرهفت حتى رقت..... ثم وصف قوسه ونباله وصدق رميه إلى أن قال :

فعما قليل ســـقاها معا بمزعف ذيفان قِشب ثُمـــال

المزعف الموت السريع . والذيفان السم والقشب بالكسر أن يخلط بشيء ليقتل وثمال بالضم منقع شبه السهام به

سوى العِلج أخطأه رائغا بشجراء ذات غِرار مسال

يقول سقاها بمزعف سوى العلج أخطأ فلم يصبه . والعلج بالكسر الحمار الغليظ وشجراء صقيلة عريضة. وغرارها حدها ومسال مطول ومنه خد أسيل وأسال

فَجَالَ عليهن فى نفرِهِ ليفتنهن لزول الزوال

جال عليهن أقبل واعتمد عليهن فى نفره حتى نفر ليفتنهن أى ليشنقهن أى ليزول بهن عن الرى

فلما رآهنّ بالجلهتـــين يكبـون في مطحرات الإِلال

الجلهة ما استقبلت من الوادى يكبون فى مطحرات يعنى سهاما والمطحر الملزق والالال بالكسر جمع ألة بالفتح والتشديد وهى الحربة

رمى بالحراميز عرض الوجين وأرمد في الجرى بعد انفتال

. رمى أى الحمار يقال رمى بالحراميز أى بنفسه ،والوجين ما اعترض لك من غلظ وأرمد أسرع
. فى العدو بعد أن كان انفتل انفتالة فجال . . . ثم وصف الحمار بشدة عدوه حين ما نفر من
الصياد و رأى أنه مصرعة إلى أن قال

أشبه راحلتى ما ترى جوادا ليسمع فيها مقالى

وأنجو بها عن ديار الهوان غير انتحال الذليل الموالى

بها أى براحلتى ، والموالى الذى يقول أنا مولاك يقول ليس كما ينتحل الذليل الموالى أى
لا أقول ذلك و لا أفعله أى انتحالا

وأطّلِبُ الحب بعد السلوّ حتى يقال امرؤ غير سال

أشتهى أن يعاود الحب والهوى بعد ما رأى الناس أنه قد أقلع

أسلّى الهموم بأمثالها وأطوى البلاد وأقضي الكوالى

أى وأقضى ما تأخر على من الحقوق يقال دين كالىء إذا تأخر أى أقضى الدين بوفادة
. على هذه الراحلة إلى ملك أو أضرب فى الأرض لمكسب

وأجعل فقرتها عدة إذا خفت بيوت أمر عضال

. وهذا آخر القصيدة يقال بعير ذو فقرة إذا كان قوياً على الركوب وبيوت هو أمر
جاء بياتا وعضال شديد يقول اجعلها عدة إذا نزل بى أمر معضل هربت عليها

وأمية هذا هو أمية بن أبى عائذ بالذال المعجمة العمرى أحد بني عمرو بن الحرث
ابن تيم بن سعد بن هذيل شاعر إسلامى مخضرم على ما فى الاصابة عن المرزبانى وفى الأغانى
أنه من شعراء الدولة الأموية أحد مداحهم له فى عبد الملك بن مروان وعبد العزيز
قصائد وقد وفد إلى عبد العزيز بن مروان مصر وأنشد قصيدته التى أولها

ألا إنّ قلبى مَعَ الظّاعنينا حزينٌ فمنْ ذا يُعزّى الحزينا

وسارَ بمدحةِ عبد العزيز ركبانُ مكةَ والمُنْجِدُونا

وقدْ ذهبُوا كل أوْبٍ بها فكلّ أناسٍ بها مُعجَبُونا

مُحبّرةً مِنْ صحيح الكلام ليستْ كما لفق المحدثونا

وطال مقامه بمصر عنده وكان يأنس به و وصله بصلات سنية فتشوق إلى البادية وإلى أهله فأذن له ووصله

وأنشد بعده

(وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد المائة)

(١٥٤) لحا الله جرما كلما ذر شارق وُجُوهَ كِلاَب هارشت فَازْبَأرَّت

على أن قوله وجوه كلاب منصوب على الذم

وهذا البيت من أبيات لعمرو بن معديكرب وهى

ولما رأيت الخيل زوراً كأنها جداول زرع أرسلت فاسبطرّت

فجاشت إلىَّ النفس أول مرة فردّت على مكروهها فستقرت

عَلاَمَ تقول الرمح يثقل عاتقى إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرت

لَحَا الله جَرْماً كلما ذرَّ شارق وجوهَ كِلاب هارشت فازبأرت

فلم تغن جرم نهدها إن تلاقيا ولكنّ جرما فى اللقاء ابذعرت

ظللت كأنى للرماح دريئة أقاتل عن أبناء جرم وفرت

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم نطقت ولكنّ الرماح أجرت

هذا المقدار أورده أبو تمام فى الحماسة وفى ديوانه أكثر من هذا وقصة هـذه الأبيات هو ماحكاه المفضل الطبرسى فى شرح الحماسة أن جرما ونهدا وهما قبيلتان من قضاعة كانتا من بنى الحرث بن كعب ، فقتلت جرم رجلا من أشراف بنى الحرث فارتحلت عنهم وتحولت فى بنى زبيد فخرجت بنو الحرث يطلبون بدم أخيهم فالتقوا فعبى عمرو جرما لنهد وعبى هو وقومه لبنى الحرث ففرت جرم واعتلت بأنها كرهت دماء نهد فهزمت يومئذ بنو زبيد فقال عمرو هذه الأبيات يلومها ثم غزاهم بعد فانتصف منهم

فقوله زورا هو جمع أزور وهو المعوج الزور بالفتح أى الصدر، يقول لما رأيت الفرسان منحرفين للطعن وقد خلوا عنه دوابهم وأرسلوها علينا كأنها أنهار زرع أرسلت مياهها فاسبطرت أى امتدت والتشبيه وقع على جرى الماء

فى الأنهار لا على الأنهار، فكأنه شبه امتداد الخيل فى انحرافها عند الطعن بامتداد الماء فى الانهار وهو يطرد ملتويا ومضطربا وهذا تشبيه بديع. وقوله فجاشت الخ جاشت ارتفعت من فزع وهذا ليس لكونه جبانا بل هذا بيان حال النفس ونفس الجبان والشجاع سواء فيما يدهمهما عند الوهلة الأولى ثم يختلفان. فالجبان يركب نفرته والشجاع يدفعها فيثبت، قال أبو عبيدة قال عبد الملك بن مروان: وجدت فرسان العرب ستة نفر ثلاثة منهم جزعوا من الموت عند اللقاء ثم صبروا وثلاثة لم يجزعوا قال عمرو:

فجاشتْ إلىَّ النفسُ أوّلَ مرّةٍ «البيت»

وقال ابن الأطنابة

وقَوْلِى كلّما جَشَأَتْ وجاشت مكانَكِ تُحمَدى أو تستريحى

وقال عنترة

ان يتقون بى الأسنّةَ لم أخم عنها ولكنى تضايق مقدمى

فأخبر هؤلاء الثلاثة أنهم هابوا ثم قدموا وقال عامر بن الطفيل

أقول لنفس ماأريد بقاءها أقلى المراحم اننى غير مدبر

وقال قيس ابن الخطيم

وإنى فى الحرب الضروس موكّلٌ بأقدام نفْسٍ ما أُريدُ بقاءها

وقال العباس بن مرداس

أشُدُّ على الكتيبة لا أبالى أحتفى كان فيها أم سواها

فأخبر هؤلاء أنهم لم يجزعوا

الفاء زائدة وجاشت جواب لما عند الكوفيين والأخفش وعند البصريين للعطف والجواب محذوف يقدر بعد قوله فاستقرت أى طاعنت أو أبليت والقرينة عليه قوله علام تقول الرمح البيت. كذا قال فى شرح الحماسة وهذا تعسف نشأ من أبى تمام فانه حذف بيت الجواب اختصارا كعادته لكن كان على الشارح مراجعة الأصل والجواب هو البيت الثالث المحذوف وهو :

هتفت فجاءت من زبيد عصابة إذا طردت فاءت قريبا فكرت

وفاءت بمعنى رجعت ، وأول مرة ظرف ، وقوله علام تقول الرمح الخ أورده بن هشام فى المغنى على أن على فيه تعليلية. وأورده فى شرح الألفية أيضاً شاهدا على إعمال تقول عمل ظن ، وما استفهامية ولهذا حذف ألفها وأثقله الشىء أجهده والعاتق مابين المنكب والعنق وهو موضع الرداء قال ابن جنى فى إعراب الحماسة يروى الرمح بالنصب والرفع فأما الرفع فعلى ظاهر الأمر وأما النصب فعلى استعمال القول بمعنى الظن وذلك مع استفهام المخاطب كقوله

أَجُهَّالاً تقول بَنِى لؤَىّ (١)

وعلى قوله

فمتى تقولُ الدارُ تجمَعُنا (٢)

وروى لنا أبو على بيت الحطيئة

إذا قلت أَنِى آيبٌ أهلَ بلدة حَطَطْتُ بها عنه الولية بالهجر

بفتح الهمزة من أنى،قال : ومعناها إذا قدرت وظننت أنى آيب. فان قيل فليس هنا استفهام فكيف جاز استعمال القول استعمال الظن ،قيل لم يجز هذا للاستفهام وحده بل لان الموضع من مواضع الظن ولو كان للاستفهام مجردا من تقاضى الموضع له وتلقيه إياه فيه لجاز أيضا أقول زيداً منطلقا ويقال زيد عمرا جالساً ولما لم يجز ذلك لأنه لا يكاد يستفهمه عن ظن غيره علمت به أى جوازه إنما هو لأن الموضع مقتض له وإذا كان الأمر كذلك جاز أيضا إذا قلت أنى آيب بفتح همزة أنى من حيث كان الموضع متقاضياً للظن ،وهذه رواية غريبة لطيفة ولو كسرت هنا همزة ان لكان كالرفع فى قولك أتقول زيد منطلق إذا حكيت ولم تعمل وأما اذا وإذا فى البيت ففيهما نظر. وذلك أن كل واحدة منهما محتاجة إلى ناصب هو جوابها وكل واحدة منهما جوابها محذوف يدل عليه ماقبلها وشرح ذلك أن تقول إن إذا الأولى جوابها محذوف حتى كأنه قال إذا أنا لم أطعن وجب طرحى الرمح عن عاتقى فدل قوله علام تقول الرمح

(١) هذا صدر بيت للكميت الأسدى ، وعجزه .«لعمر أبيك أم متجاهلينا »

(٢) هذا عجز بيت لعمر بن أبى ربيعة ، وصدره :« أما الرحيل فدون بعد غد »

يثقل عاتقى على ماأراده من وجوب طرح الرمح إذا لم يطعن به كقولك أنت ظالم إن فعلت أى إن فعلت ظلمت وذلك أنت ظالم على ظلمت وهذا باب واضح وإذا الأولى وما ناب عن جوابها فى موضع جواب إذا الثانيـة أى نائب عنه ودال عليـه و تلخيصه أنه كأنه قال إذا الخيل كرت وجب إلقائى الرمح مع تركى الطعن به ومثله من التركيب أزورك إذا أكرمتنى أى إذا لم يمنعنى من ذلك مانع فاعرف صحة الغرض فى هذا الموضع فانه طريق ضيق وكل محتار فيه قليل التأمل لحصول حديثه فانما يأنس بظاهر اللفظ ولا يوليه طرفا من البحث . انتهي باختصار

والتبريزى جعل إذا الأولى ظرفا لقوله يثقل و إذا الثانية ظرفا لقوله لم أطعن بضم العين لأنه يقال طعنه بالرمح من باب قتل ،وقوله لحا الله جرما الخ.أصل اللحو نزع قشر العود يدعو عليهم بالهلاك أي قشرهم الله غداة كل يوم، والذرور فى الشمس بالذال المعجمة أصله الانتشار و التفريق ويقال ذرت الشمس طلعت وشارق الشمس وكلما منصوب على الظرف ووجوه منصوب على الذم والشتم ويجوز أن يكون بدلا من جرما وهارشت فى الصحاح الهراش المهارشة بالكلاب و هو تحريش بعضها على بعض، وقوله فازبأرت أى انتفشت حتى ظهر أصول شعرها و تجمعت للوثب وهذه الحالة أشنع حالات الكلاب و هذا تحقيق للمشبه وتصوير لقباحة منظره شبه وجوههم بوجوه الكلاب فى هذه الحالة وقوله فلم تغن جرم الخ أى لم تقاوم جرم نهداً بل فرت منها وقال الطبرسى لم تغن أى لم تكف جرم نهداً ولكنها فرت قال الشاعر

وأَغْنِ نفسكَ عنها أيُّها الرَّجُلُ

وابذعرت تفرقت ، وقال الامام المرزوقى والمعنى لم ينصر جرم نهداً وقت الالتقاء ولكن جرما انهزمت وهامت على وجهها فمضت واصطلت نهد بنار الحرب ومست حاجتها إلى من ينصرها ويذب عنها الأعداء. وأضاف نهدها إلى ضمير جرم لأن اعتمادهم كان عليها و اعتقادهم الاكتفاء بها اه

وهذا غفلة عن سبب الأبيات وإضافة نهد إلى ضمير جرم للملابسة فان جرما أعدهم لمقاتله نهد كما أن زبيدا أعدت لمقاتلة بني الحرث . وقوله ظللت كأنى الخ، أى بقيت نهارى منتصبا فى وجوه الأعـــداء. والطعن يأتى من جوانبي أذب عن جرم

وقد هربت. فالدريئة هى الحلقة التى يتعلم عليها الطعن وأما المدرأة بالهمز — فهي ألدابة التى يستتر بها من الصيد يقال درأتها نحو الصيد، إلى الصيد وللصيد إذا سقتها من الدرء وهو الدفع. وجملة كأنى خبر ظللت وجملة أقاتل حال، ويجوز العكس، قال يوسف بن السيرافى فى شرح شواهد اصلاح المنطق: يقول صرت لكثرة الطعن فى ودخول الرماح فى جسدى كالحلقة التى يتعلم عليها الطعن

وحكايته أن جرما كانت مع زبيد، ونهد مع بنى الحرث بن كعب فالتقوا فانهزمت جرم وبنو زبيد، وكاد عمرو يؤخذ. وقاتل يومئذ قتالا شديداً

وقوله «فلو أن قومى» يقول لو صبروا وطعنوا برماحهم أعداءهم لأمكننى مدحهم ولكن فرارهم صيرنى كالمشقوق اللسان لأنى إن مدحتهم بما لم يفعلوا كذبت ورد على، يقال: أجررت لسان الفصيل إذا شققت لسانه لئلا يرضع أمه، قال أبو القاسم الزجاجى فى أماليه الوسطى: أخبرنا ابن شقير قال: حضرت المبرد وقد سأله رجل عن معنى قول الشاعر:

فلو أنَّ قومى أنْطَقَتْنى رماحُهمْ « البيت »

فقال هذا كقول الآخر:

وقافيةٍ قيلت فلم أستَطِعْ لها دفاعاً إذا لم تضربوا بالمناصل

فأدفع عن حق بحق ولم يكن ليدفع عنكم قلة الحق باطلى

قال أبو القاسم، معنى هذا أن الفصيل إذا لهج بالرضاع جعلوا فى أنفه خلالة محددة فاذا جاء يرضع أمه نخستها تلك الخلالة فمنعته من الرضاع فان كف وإلا أجروه، والاجرار أن يشق لسان الفصيل أو يقطع طرفه فيمتنع حينئذ من الرضاع ضرورة فقال قائل البيت الأول إن قومى لم يقاتلوا فأنا مجر عن مدحهم لأنى ممنوع كأن رماحهم حين قصروا عن القتال بها أجرتنى عن مدحهم كما يجر الفصيل عن الرضاع، ففسره أبو العباس بالبيتين اللذين مضيا، وللاجرار موضع آخر وهو أن يطعن الفارس الفارس فيمكن الرمح فيه ثم يتركه منهزما يجر الرمح فذلك قاتل لامحالة، ومنه قول الشاعر:

وآخر منهُمُ أجـررت رمحى وفى البجلىّ معبـلة وقيع

وقول الآخر:

ونَقى بأفضل مالنا أحساَبنا ونجر فى الهيجا الرماح وندعى اهـ

قوله « وندعي » أى تنتسب فى الحرب كما ينتسب الشجاع فى الحرب فيقول أنا فلان ابن فلان

وعمرو هو الصحابى ابن معد يكرب بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن زبيد الأصغر وهو منبه بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه بن زبيد الأكبر بن الحرث بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ومعدى اشتقاقه مثل اشتقاق معدان ، و يزيد عليه بأنه يجوز أن يكون من العدوان فقلبت الواو ياء لمابنى على مفعل ، أو يكون بنى على مفعول فقلبت الواو ياء ثم خففت الياء لطول الاسم لأنه جعل مع كرب كالاسم الواحد ، وكرب يجوز أن يكون من الكرب الذى هو أشد الغم ، ومن كرب فى معنى قارب ، أو من أكربت الدلو إذا شددتها بالكرب وهو الحبل الذى يشد على العراقى ، قال ابن جنى : فسره ثعلب أنه عداه الكرب أي تجاوزه وانصرف عنه ، وعصم — بضم العين — وسكون الصاد المهملتين — وزبيد — مصغر زبدة أو زبد — والزبد العطاء يقال زبده زبداً إذا أعطاه ، وقال شارح ديوانه : وسمى زبيداً لأنه قال من يزبدنى نصره أى يرفدنى والزبد فى كلام العرب الرفد والمعونة اهـ وكذا رأيت فى جمهرة الأنساب إنما سمى زبيداً لأنه قال : من يزبدنى نصره لما كثر عمومته وبنو عمه فأجابوه كلهم فسموا كلهم زبيدا مابين زبيد الأصغر إلى منبه بن صعب وهو زبيد الأكبر وأخوه زبيد الأصغر كلهم يدعى زبيداً اهـ وكنية عمرو أبو ثور ، وهو الفارس المشهور صاحب الغارات والوقائع فى الجاهلية والأسلام ، قال فى الاستيعاب : وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فى سنة تسع ، وقال الواقدى : فى سنة عشر فى وفد زبيد فأسلم اهـ وأقام مدة فى المدينة ثم رجع إلى قومه وأقام فيهم سامعاً مطيعاً وعليهم فروة بن مسيك فلما توفى النبى صلى الله عليه وسلم ارتد ، قال النووى فى تهذيب الأسماء واللغات : ارتد مع الاسود العنسى فسار إليه خالد بن سعيد فقاتله فضربه خالد على عاتقه فانهزم وأخذ

خالد سيفه فلما رأى عمرو الأمداد من أبى بكر رضى الله عنه أسلم ودخل على المهاجر بن ابى أمية بغير أمان فأوثقه وبعث به إلى أبى بكر فقال له أبو بكر: أما تستحى كل يوم مهزوما أو مأسوراً؟ لو عززت هذا الدين لرفعك الله، قال: لاجرم لأقبلن ولا أعود فأطلقه وعاد إلى قومه ثم عاد إلى المدينة فبعثه أبو بكر إلى الشام فشهد اليرموك اه

وله فى يوم اليرموك بلاء حسن وقد ذهبت فيه إحدى عينيه، ثم بعثه عمر رضى الله عنه إلى العراق وله فى القادسية أيضاً بلاء حسن وهو الذى ضرب خطم الفيل بالسيف فانهزمت الأعاجم، وكان سبب الفتح، ومات سنة إحدى وعشرين من الهجرة وفى كيفية موته خلاف، قيل مات عطشا يوم القادسية، وقيل قتل فيه، وقيل بل مات فى وقعة نهاوند بعد الفتح، وقيل غير ذلك، وعمره يومئذ مائة وعشرون وقيل مائة وخمسون ولم يذكره السجستانى فى المعمرين، روى أن رجلا رآه وهو على فرسه فقال لأنظر مابقى من قوة أبى ثور فأدخل يده بين ساقه وجنب الفرس ففطن لها عمرو فضم رجله وحرك الفرس فجعل الرجل يعدو مع الفرس ولا يقدر أن ينزع يده، حتى إذا بلغ منه صاح به فقال له ياابن أخى مالك قال يدى تحت ساقك فخلى عنه وقال له إن فى عمك بقية

وأنشد بعده

* (وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد المائة، وهو من شواهد سيبويه) *

(١٥٥) أقارعَ عَوْفٍ لاأحاولُ غيرها وُجوهَ قُرودٍ تبتغى مَنْ تُجادِعُ

لما تقدم فى البيت قبله أعنى أن نصب وجوه على الشتم، قال النحاس: ويجوز رفعه على إضمار مبتدأ أو على أن تجعله بدلا من أقارع عوف تبدل النكرة من المعرفة مثل: «لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة» ونقل ابن السيد البطليوسى عن يونس بن حبيب فى أبيات المعانى أنه قال: لو شئت رفعت مانصبته على الابتداء وتضمر فى نفسك شيئاً لو أظهرته لم يكن مابعده إلا رفعاً كأنك قلت لهم وجوه قرود اه

وهذا البيت للنابغة الذبيانى من قصيدة يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر مما وشت به بنو قريع، وقبله:

لَعَمْرِى وما عَمْرِى على بهينٍ لقد نطقت بُطْلاً على الأقارع

واستشهد به ابن هشام فى المغنى على أن جملة « وما عمرى على بهين » معترضة بين القسم وجوابه ، العمر — بفتح العين — هو العمر — بضمها — لكن خص استعمال المفتوح فى القسم أى ما قسمى بعمرى هين على حتى يتهم متهم بأنى أحلف به كاذباً ، والبطل — بالضم — هو الباطل ونصب على المصدر أى نطقت نطقاً باطلا ، وقوله « أقارع عوف » بدل من الأقارع ، ولا أحاول لاأريد ، والمجادعة — بالجيم والدال المهملة — هو أن يقول كل من شخصين جدعا لك أى قطع الله أنفك وهى كلمة سب من الجدع وهو قطع الأذن والأنف يقول : هم سفهاء يطلبون من يشاتمهم والأقارع هم بنو قريع بن عوف بن كعب بن زيدمناة بن تميم الذين كانوا سعوا به إلى النعمان حتى تغير له وسماهم أقارع لأن قريعاً أباهم سمى بهذا الاسم وهو تصغير أقرع ولهذا جمعه على الأصل والعرب إذا نسبت الأبناء إلى الآباء فربما سمتهم باسم الأب كما قالوا المهالبة والمسامعة فى بنى المهلب وبنى مسمع ، وزعم الدمامينى فى الحاشية الهندية أن الأقارع جمع أقرع ثم نقل من الصحاح أن الأقرعين الأقرع بن حابس وأخوه مرثد وهذا كما ترى لا مناسبة له هنا

والسبب فى غضب النعمان على النابغة هو ماحكاه شارح ديوانه وغيره عن أبى عمرو وابن الأعرابى أنهما قالا . كان النابغة من مجالس النعمان ويسمر عنده ورجل آخر من بنى يشكر يقال له المنخل وكان جميلا يتهم بالمتجردة امرأة النعمان ، وكان النعمان قصيراً دميما قبيح الوجه أبرش ، وكانت المتجردة ولدت للنعمان غلامين ، وكان الناس يزعمون أنهما ابنا المنخل ، وكان النابغة رجلا حليما عفيفاً وله منزلة يحسد عليها فقال له النعمان يوماً وعنده المتجردة والمنخل : صفها يانابغة فى شعرك فقال قصيدته الدالية التى أولها

أمن آل مية رائح أو مغتدى

وستأتى إن شاء الله تعالى فى هذا الكتاب ، فوصف النابغة فيها بطنها وروادفها وفرجها ولذة مجامعتها ، فلما سمع المنخل هذه القصيدة لحقته غيرة فقال للنعمان مايستطيع أن يقول هذا الشعر إلا من قد جرب ، فوقر ذلك فى نفس النعمان ، ثم أتى النعمان بعد ذلك رهط من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم وهم بنو قريع فبلغوه أن النابغة يصف المتجردة

ويذكر فيها وأن ذلك قد شاع بين الناس ، فتغير النعمان عليه ، وكان للنعمان بواب يقال له عصام بن شهبر الجرمى فأتى النابغة فقال له عصام : إن النعمان واقع بك فانطلق فهرب النابغة إلى غسان ملوك الشام وهم آل جفنة ومكث عندهم ومدحهم بقصائد ، كما تقدم فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة

وكان سبب وقوع بنى قريع فى النابغة عند النعمان هو ما حكاه أبو عبيد والأصمعى قالا : كان لمرة بن ربيعة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم سيف جيد فحسدهم النابغة فدل على السيف النعمان بن المنذر فأخذه من مرة فحقد مرة على النابغة وأرصد له بشر حتى تمكن منه فوقع فيه عند النعمان

فبعد أن هرب النابغة ومكث عند آل جفنة أرسل إلى النعمان قصائد يعتذر اليه بها ويحلف له أنه ما فرط منه ذنب ، واشتد ذلك على النعمان وعرف أن الذى بلغه كذب ، فبعث النعمان إلى النابغة إنك لم تعتذر من سخطة إن كانت بلغتك ولكنا تغيرنا لك من شيء مما كنا لك عليه . ولقد كان فى قومك ممنع وتحصين فتركته ثم انطلقت إلى قوم قتلوا جدى وبينى وبينهم ما قد علمت . وكان النعمان وأبوه وجده قد أكرموا النابغة وشرفوه وأعطوه مالا عظيما حتى كان لا يأكل ولا يشرب إلا فى أوانى الذهب والفضة ، ثم بلغ النابغة أن النعمان ثقيل من مرض أصابه حتى أشفق عليه منه فأتاه النابغة فرضى عنه النعمان ووهب له مائة بعير من عصافيره وهى إبل كانت للنعمان تسمى بها

والنابغة قد تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى بعد المائة

والنعمان هذا آخر ملوك الحيرة ثم ولى بعده إياس بن قبيسة الطائى ثمانية أشهر واضطرب ملك فارس وضعفوا ، وكانت ملوك الحيرة من تحت أيديهم وأتى الله عز وجل بالأسلام فغزا أهله النبى صلى الله عليه وسلم

وأول من ملك الحيرة مالك بن فهم بن عمرو بن دوس بن الأزد ملك العرب بالعراق عشرين سنة ، والحيرة هى أرض فى العراق بلدة قريبة من الكوفة ، قال الهمدانى فى جزيرة العرب : سار تبع أبو كرب فى غزوته الثانية فلما أتى موضع الحيرة خلف هناك مالك بن فهم بن غنم بن دوس على أثقاله وتخلف معه من ثقل من أصحابه

فى نحو اثنى عشر ألفا وقال : تحيروا هذا الموضع ، فسمى الموضع الحيرة ، وهو من قولهم تحير الماء إذا اجتمع وزاد ، وتحير المكان بالماء إذا امتلأ . فالك أول ملوك الحيرة وأبو هم وكانوا يملكون ما بين الحيرة والأنبار وهيت ونواحيها وعين التمر وأطراف البرارى الغمير والقطقطانة وحفية وكان مكان الحيرة أطيب البلاد ، وأرقه هواء وأخفه ماء وأعذبه تربة ، وأصفاه جوا ، قد تعالى عن عمق الأرياف ، واتضع عن حزونة الغائط : واتصل بالمزارع والجنان والمتاجر العظام ، لأنها كانت من ظهر البرية على مرفأ سفن البحر من الهند والصين وغيرهما اه

قال ابن رشيق فى العمدة : وملك بعد مالك بن فهم ابنه جذيمة بن مالك وهو الأبرش والوضاح وكان ملكه ستين سنة ، ثم عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمى وعمرو هذا هو ابن أخت جذيمة الأبرش ، وفيه قيل «شب عمرو عن الطوق» ، ثم مرؤ القيس بن عمرو بن عدى ويقال بل الحرث بن عمرو وأنه هو الذى كان يدعى محرقا ، ثم النعمان بن امرىء القيس وهو النعمان الأكبر الذى بنى الخورنق ، ثم المنذر بن امرىء القيس وهو المنذر الأكبر ابن ماء السماء أبو النعمان الأكبر ، ثم المنذر بن المنذر وهو الأصغر ، ثم أخوه عمر بن المنذر وهو عمر بن هند وسمى محرقا أيضا لأنه حرق بنى تميم وقيل بل حرق نخل اليمامة ، ثم النعمان بن المنذر بن المنذر صاحب النابغة وهو آخر ملوك لخم كما ذكرنا

واعلم أن هذه القصيدة غالب أبياتها شواهد كتب العربية وهى خمسة وثلاثون بيتا فلا بأس بإيرادها مختصرة تتميما للفائدة ، وهى على هذا الترتيب :

عفا ذو حُسًى من فَرْتَنَى فالفوارع   فجنبا أُريك فالتِّلاعُ الدوافع

عفا درس وانمحى ، وذوحسى بلد فى بلاد بنى مرة وهو بضم الحاء والسين المهملتين والقصر وفرتنى اى من منازل فرتنى وهو — بفتح الفاء وسكون الراء وبعدها تاء مفتوحة يليها نون — قال فى الصحاح : هو مقصور وهو اسم امرأة والعرب تسمى المرأة فرتنى . والفوارع جمع فارعة قال فى الصحاح : وفارعة الجبل أعلاه ، وتلاع فوارع مشرفات المسايل ، وأريك — بفتح الهمزة وكسر الراء — قال البكرى فى معجم ما استعجم : هو موضع فى ديار غنى بن يعصر وأنشد هذا البيت ثم قال : وقال :

أبو عبيدة أريك فى بلاد ذبيان قال : وهما أريكان أريك الأسود وأريك الأبيض ، والأريك الجبل الصغير ، وقال الأخفش : إنما سمي أريكا لأنه جبل كثير الأراك، والتلاع — بالكسر — مجارى الماء إلى الأودية وهى مسائل عظام ، والدوافع تدفع الماء إلى الميث والميث يدفع إلى الوادى الأعظم كذا فى الشرح

فَمُجْتَمَعُ الأَشْراجِ غَيَّرَ رُسُومَهَا مصايفُ مرَّتْ بَعدنا ومرابِعُ

قال أبو عبيدة ، مجتمع الأشراج مسايل فى الارض تصب إلى الأودية والواحد شرج — بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وآخره جيم — والرسوم الآثار ، وعفى درس ومحا . والمصايف جمع صيف ، ومرابع جمع ربيع

توهمْت آياتٍ لها فعرفتُها لستَّةِ أعوامٍ وذا العامُ سابع

أراد آيات الدار واللام بمعنى بعد أى بعدستة أعوام ، وتوهمت تفرست ، وهذا البيت من شواهد أبيات سيبويه أنشده على أن العام صفة ذا وسابع خبر اسم الاشارة ، وأورده ابن هشام أيضاً فى شرح الألفية على أن سابعا استعمل مفردا ليفيد الاتصاف بمعناه مجرداً وهذا بخلاف مايستعمله الشخص مع أصله ليفيد أن الموصوف به بعض العدد المبين نحو سابع سبعة وثامن ثمانية ونحوهما

رمادٌ ككُحْلِ العين ما إنْ تبينه ونؤىٌ كجِذْمِ الحَوْضِ أثلمُ خاشعُ

أي من الآيات رماد ونؤى استأنف وفسر بعض الآيات ، زعموا أن الرماد يبقى ألف سنة وروي لأيا أبينه ، اللأى بفتح اللام وسكون الهمزة البطء ونصب على نزع الخافض أى أستبينه بعد بطء ، والنؤى — بضم النون وسكون الهمزة — حفيرة تحفر حول الخباء ويجعل ترابها حاجزاً لئلا يدخله المطر ، والجذم — بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة — الأصل والباقى، وخاضع لاطىء بالأرض قد اطمأن وذهب شخوصه

كأن مجر الرامسات ذيولها عليه قضيم نمقته الصوانع

هذا البيت أورده الشارح المحقق فى شرح الشافية فى باب المنسوب على أن فيه حذف مضاف أى كأن أثر مجر الرامسات ، ومجر مصدر ميمى لا اسم مكان فان اسم المكان والزمان والآلة لاترفع فضلا عن أن تنصب ، وذيولها قد انتصب بمجر فمجر مصدر مضاف لفاعله وذيولها مفعوله ، وإنما كان بتقدير مضاف وهو أثر مجرأو مكان

بجر لأنه إن كان مصدراً فلا يصح الأخبار بقوله قضيم ، وإن كان اسم مكان فلا يصح نصبه المفعول ، والرامسات الرياح الشديدة الهبوب من الرمس وهو الدفن وذيولها مآخيرها ، وذلك أن أوائلها تجىء بشدة ثم تسكن ، وروى « بجر ذيولها » على أنه بدل من الرامسات وعليه فالجر اسم مكان ولاحذف ، والقضيم حصير منسوج ، خيوطه سيور ، كذا فى القاموس وكذا قال شارح ديوانه ، شبه آثار هذه الرامسات فى هذا الرسم بحصير من جريد أو أدم ترمله الصوانع أى تعمله وتخرزه ومثله لذى الرمة :

رِيحٌ لها من هباب الصيفِ تَنْمِيمُ

أى نمنمة كالوشى ، وقال العجاج

سبحاحة الأولى درُوج الأذْيالْ

ولا يناسبه قول الجاربردى فى شرح الشافية إن القضيم جلد أبيض يكتب فيه فان الصوانع جمع صانعة والمعهود فى نساء العرب النسج وما أشبهه لا الكتابة والمعنى يقتضيه أيضاً فان الرمل الذى تمر عليه الريح يشبه نسج الحصير والصنع إجادة الفعل وليس كل صنع فعلا ولا يجوز نسبته إلى الحيوانات غير الآدميين ولا إلى الجمادات وإن كان الفعل ينسب اليهما ولا يقال صنع — بفتحتين — إلا للرجل الحاذق المجيد ولا صناع — بالفتح — إلا لامرأة تتقن ماتعمله ضد الخرقاء ، وفى القاموس رجل صنع اليدين — بالكسر وبالتحريك — وصنيع اليدين وصناعهما حاذق فى الصنعة وامرأة صناع اليدين — كسحاب — حاذقة ماهرة بعمل اليدين وجمعهما صنع ككتب ، وقوله نمقته أى حسنته قال الشارح : كل ما ألزق بعضه إلى بعض وأقيم سطوره من نخل أو كتاب فهو معمق

على ظهر مِبْناةٍ جديد سيورها يطوف بها وسط اللطيمة بائع

قال أبو عبيدة : المبناة — بكسر الميم وسكون الباء الموحدة — نطع ، يقول : هذا الحصير على هذا النطع يطوف به بائع فى الموسم ، وقال الأصمعى : كان من يبيع متاعا يفرش نطعا ويضع عليه متاعه والنطع يسمى مبناة فيقول نشر هذا التاجر حصيرا على نطع وإنما سميت مبناة لأنها كانت تتخذ قباباً والقبة والبناء سواء والأنطاع تبنى عليها

القباب والنطع — بكسر فسكون ، وبفتحتين ، وكعنب — بساط من الأديم : واللطيمة قال أبوعمرو : سوق فيها بز وطيب وقال أبوعبيدة اللطيمة العير التى تحمل دق المتاع وأفضله وتحمل إلى الأسواق والمواسم ولاتسمى لطيمة إلا وفيها طيب ، وقوله جديد سيور ها أراد الأديم وأنشد :

وقُدّتْ من أديمهم سيُورى

فأسبل منى عبرة فرددتُها ... على النَّحْر منها مستهلٌ وهامع

مستهل سائل منصب له وقع ومنه استهلت السماء بالمطر إذا دام مطرها ، وهامع قاطر

على حين عاتبت المشيب على الصبا ... فقلت ألما تصح والشيب وازع

يأتى شرحه إن شاء الله فى باب الظروف

وقد حالَ همٌّ دون ذلك داخلٌ ... دخول الشغاف تبتغيه الأصابع

أى دون هذا الذى أشيب به وأبكى عليه هو الصبا ، وروى ، وقد جال هم ، وروى أيضا

ولكن همًّا دونَ ذلك داخلٌ ... مكانَ الشغافِ

أى غلاف القلب وقال الأصمعى . الشغاف داء يدخل تحت الشراسيف فى البطن فى الشق الأيمن إذا التقى هو والطحال مات صاحبه يقول : هذا للهم الذى هو لى هو موضع الشغاف الذى يكون فيه القلب ، ثم رجع إلى الشغاف فقال تبتغيه الأصابع أى تلتمسه أصابع المتطببين ينظرون أنزل من ذلك الموضع أم لا وإنما ينزل عند البر ، قال ابن السيد فى شرح أبيات أدب الكاتب : هذا قول الأصمعى وأبى عبيدة وقيل معناه تلتمسه هل انحدر نحو الطحال فيتوقع على صاحبه الموت أم لم ينحدر فترجى له السلامة وقال أبو على البغدادى : يعنى أصابنى الأطباء يلمسوننى هل وصل إلى القلب أم لا لأنه إذا اتصل بالقلب تلف صاحبه وإنما أراد النابغة أنه من موجدة النعمان عليه بين رجاء ويأس كهذا العليل الذى يخشى عليه الهلاك ولا يأس مع ذلك من برئه ، وهذان التأويلان أشبه بغرض النابغة من التأويل الأول

وعيدُ أبى قابوسَ فى غير كنهه ... أتانى ودونى راكس فالضواجع

أبو قابوس كنية النعمان بن المنذر قال الأصمعى : أى جاءنى وعيده فى غير قدر

الوعيد أى لم أكن بلغت ما يغضب على فيه ، و را كس واد . والضواجع جمع ضاجعة وهو منحنى الوادى

فبِتُّ كأنى ساورتنى ضَئيلةٌ   من الرقش في أنيابها السُّمُّ ناقعُ

المساورة المواثبة ، والأفعى لاتلدغ إلا وثبا ، وضئيلة هى الحية الدقيقة القليلة اللحم والعرب تقول سلط الله عليه أفعى حارية تحرى أى ترجع من غلظ إلى دقة و يقل دمها و يشتد سمها قال

داهيةٌ قد صغُرت من الكبر   جاءَ بها الطُّوفانُ أيامَ زَخَرْ

وقوله « ناقع » أى ثابت يقال نقع ينقع نقوعا إذا ثبت ، والرقش من الحيات المنقطة بسواد وهى من شرارها فلذا خصها بالذكر وقال شارح ديوان الحطيئة فى شرح هذا البيت من شعره :

كأنى ســـاورتنى ذاتُ سُمٍّ   نقيــع مايلائمـــا رقاها

النقيع المنقوع المجموع وذلك أن الحية تجمع سمها من أول الشهر إلى النصف منه فأن أصابت شيأ لفظته فيه و إن جاء النصف ولم تصب شيأ تنهشه لفظته من فيها بالأرض. ثم استأنفت تجمع إلى رأس الشهر ثم تفعل كفعلها الأول فهذا دأبها الدهر كله اه

وهذا البيت من أبيات سيبويه أورده على أن ناقعاً رفع على أنه خبر عن السم. ويجوز فى غير الشعر ناقعاً على الحالية ، وقوله « فى أنيابها » هو الخبر ، وأورده المرادى فى شرح الألفية وكذلك ابن هشام فى المغنى على أن بعضهم قال ناقع صفة للسم وهو ابن الطراوة فأنه قال : يجوز وصف المعرفة بالنكرة إذا كان الوصف خاصاً لا يوصف به. إلا ذلك الموصوف وهذا لا يجيزه أحد من البصريين إلا الأخفش ولا حجة فى هذا البيت قال هشام انه خبر للسم والظرف متعلق به أو خبر ثان

يُسَهَّدُ في ليل التِّمَامِ سليمُها   لِحَلْيِ النساءِ فى يَدَيْهِ قعاقعُ

ليل التمام — بكسر التاء — أطول ليلة فى السنة ، والسليم اللديغ قال الزجاجى فى أماليه الصغرى : سمت العرب الملسوع سليما تفاؤلا كما سموا المهلكة مفازة من قولهم فوز الرجل إذا مات كأنهما لفظتان لمعنى وكان ينشد قول الشاعر :

كأنى من تذكر آل ليلى   إذا ما أظلم الليل البهيم

سليمٌ بانَ عنهُ أقربوه وأسلمهُ المداوى والحميم

ولوكان على ما ذهب إليه فى السليم لقيل لكل من به علة صعبة سليم مثل المبرسم والمجنون والمفلوج بل كان يلزم أن يقال للميت سليم اه وفيه أن المنقول عنه أنه هو وابن الأعرابى قالا إن بنى أسد تقول إنما سمي السليم سليما لأنه أسلم لما به على أن العلة لا يجب اطرادها فتأمل . وقوله « لحلى النساء الخ » كأن الملدوغ يجعل الحلى فى يديه والجلاجل حتى لا ينام فيدب السم فيه

تناذرها الراقون من سوء سمها تطلقه طورا وطورا تراجع

وروى أيضاً « تناذرها الحاوون » وهو جمع حاو وهو الذى يمسك الحيات أى أنذر بعضهم بعضاً بأنها لا تجيب راقياً وروى « من سوء سمعها » يعنى أنها حية صماء وقوله تطلقه تخف عنه مرة وتشتد عليه مرة قال المبرد فى الكامل — عند ما أنشد هذه الأبيات الأربعة — من قوله وعيد أبى قابوس إلى هذا البيت — ومن التشبيه الصحيح هذه الأبيات وهى صفة الخائف المهموم ومثل ذلك قول الآخر :

تبيت الهموم الطارقات يَعُدْنَنى كما تعترى الأوصابُ رأس المطلق

والمطلق هو الذى ذكره النابغة فى قوله تطلقه طوراً الخ وذلك أن المنهوش إذا ألح الوجع به تارة وأمسك عنه تارة فقد قارب أن يؤيس من برئه وإنما ذكر خوفه من النعمان وما يعتريه من لوعة فى أثر فترة والخائف لا ينام إلا غراراً فلذلك شبه بالملدوغ المسهد اه

أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى وتلك التى تستك منها المسامع

مقالةُ أن قد قلت : سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائع

قال ابن الأنبارى فى شرح المفضليات : قوله أبيت اللعن أى أبيت أن تأتى من الأخلاق المذمومة ما تلعن عليه وكانت هذه تحية لخم وجذام ، وكانت منازلهم الحيرة وما يليها ، وتحية ملوك غسان « يا خير الفتيان » وكانت منازلهم الشام ، وحكى ثعلب عن الفراء أن المشيخة كانوا يضيفونه على الغلط لأنه إذا أضافه خرج ذما فيقول أبيت اللعن كأنهم شبهوه بالاضافة على الغلط وقال أراد بيت اللعن أى يامن هو بيت اللعن .

والقول هو الأول اه وتستك تنسد ولا تسمع ، وروائع مفزع ومخوف ، وقوله مقالة أن قد قلت ، تفسير للآتى ، رواه الأصمعى برفع مقالة على أنه بدل من « أنك لمتنى » وروى بفتح التاء أيضاً ، قال الأخفش فى كتاب المعاياة . انه نصب ملامة على انك لمتنى لجاء به من بعد ماتم الاسم وهو من الصلة وهذا ردىء اه

وقال ابن هشام فى المغنى ويحكى أن ابن الاخضر سئل بحضرة ابن الابرش عن وجه النصب فى قول النابغة « مقالة أن قد قلت » وأنشد البيتين فقال

ولا تصحبِ الأَرْدَى فتردَى مع الرَّدِى

فقيل له الجواب فقال ابن الابرش : قد أجاب يريد أنه لما أضيف إلى المبنى اكتسب منه البناء فهو مفتوح لا منصوب ومحله الرفع بدلا من أنك لمتنى ، وقد روى بالرفع وهذا الجواب عندى غير جيد لعدم إبهام المضاف ولو صح لصح البناء فى نحو غلامك وفرسه ونحو هذا مما لا قائل به ثم قال وانما هو منصوب على إسقاط الباء أو باضمار أعنى أو على المصدرية وفى البيت إشكال لو سأل السائل عنه كان أولى وهو إضافة مقالة إلى أن قد قلت فانه فى التقدير مقالة قولك ولا يضاف الشىء إلى نفسه وجوابه أن الأصل مقالة بحذف التنوين للضرورة لا للاضافة وأن وصلتها بدل من مقالة أو من أنك لمتنى أو خبر لمحذوف وقد يكون الشاعر إنما قال مقالة ان باثبات التنوين ونقل حركة الهمزة فأنشده الناس بتحقيقها فاضطروا إلى حذف التنوين اه

ولا يخفى أن هذا كله تعسف وإنما هو من إضافة الاعم إلى الاخص لان مقالة أعم من قولك وهى من الاضافة البيانية كشجر أراك أي مقالة هى هذا القول

أتوعد عبْداً لم يخُنْكَ أمانةً وتترُكُ عبْداً ظالماً وهوَ ضالعُ

قال أبو عبيدة : ظالم جائر متحامل وضلع أى جار ، وروى « ظالع » أى مذنب أخذ من ظلع البعير وهو أن يتقى ويعرج

حملت علىَّ ذنبه وتركته كذى العر يكوى غيره وهو راتع

هذا البيت من شواهد أدب الكاتب لابن قتيبة . قال الأصمعى : العر ـــ بالفتح ـ الجرب نفسه وأنشد

كالعَرِّ يَكْمُنُ حيناً ثمَّ ينتشرُ

والعر بالضم قرح يأخذ الأبل فى مشافرها وأطرافها شبيه بالقرع وربما تفرق فى مشافرها مثل القوباء يسيل منه ماء أصفر .قال ابن السيد فى شرحه لأدب الكاتب فى معناه خمسة أقوال (أحدها) أن هذا أمر كان يفعله جهال الاعراب كانوا إذا وقع العر فى إبل أحدهم اعترضوا بعيرا صحيحا من تلك الابل فكووا مشفره وعضده وفخذه يرون أنهم إذا فعلوا ذلك ذهب العر عن إبلهم كما كانوا يعلقون على أنفسهم كعوب الارانب خشية العطب ويفقؤن عين فحل الابل لئلا تصيبها العين وهذا قول الاصمعي وأبي عمرو وأكثر اللغويين (ثانيها) قال يونس سألت رؤبة بن العجاج عن هذا فقال هذا وقول الآخر

كالثَّوْرِ يُضْرَبُ لمَّا عافت البقرُ

شيء كان قديما ثم تركه الناس ويدل عليه قول الراجز :

كأنَّ شكرَ القوْمِ عند المنِنِ كيُّ الصَّحيحاتِ وفَقْءُ الأَعْيُنِ

(ثالثها) قيل إنما كانوا يكوون الصحيح لئلا يتعلق به الداء لا ليبرأ السقيم حكى ذلك ابن دريد.(رابعها) قال أبو عبيدة هذا لم يكن . وإنما هو مثل لاحقيقة أى أخذت البرىء وتركت المذنب فكنت كمن كوى البعير الصحيح وترك السقيم لو كان هذا مما يكون قال ونحو من هذا قولهم

يشربُ عجلانَ ويسكرُ ميسرهْ

ولم يكونا شخصين موجودين (خامسها) قيل : أصل هذا أن الفصيل كان إذا أصابه العر لفساد فى لبن أمه عمدوا إلى أمه فكووها فتبرأ ويبرأ فصيلها ببرئها لأن ذلك الداء إنما كان سرى إليه فى لبنها ، وهذا أغرب الأقوال وأقربها إلى الحقيقة. ومن روى كذى العر بفتح العين فقد غلط لأن العر الجرب ولم يكونوا يكوون من الجرب وإنما يكوون من القروح التى تخرج فى مشافر الابل وقوائمها خاصة. وقوله كذى العر حال من مفعول تركته أو تقديره تركا كترك ذى العر وجملة «يكوى غيره» تفسيرية وجملة «وهو راتع» حال من غير ،وهذا ضربه مثلا لنفسه يقول «أنا برىء وغيرى سقيم» فحملتنى ذنب السقيم وتركته وقد قال الكميت

ولا أكوى الصحاح براتعات بهنّ العر قبلى ما كوينا

قال ابن أبى الاصبع فى التحبير أنشد ابن شرف القيروانى ابن رشيق

غيرى جنى وأنا المعاقب فيكم فكأننى سبَّابةُ المُتندِّم

وقال له هل سمعت هذا المعنى ؟ فقال : سمعته وأخذته أنت وأفسدته ، فقال : ممن ؟ فقال : من النابغة الذبيانى حيث يقول :

وكلفتنى ذنب امرىءٍ وتركته كذى العر يكوى غيره وهو راتع

أما إفساده فلأنك قلت فى صدر بيتك إنك عوقبت بجناية غيرك ولم يعاقب صاحب الجناية ثم قلت فى عجز بيتك إن صاحب الجناية قد شركك فى العقوبة فتناقض معناك، وذلك أنك شبهت نفسك بسبابة المتندم ، وسبابة المتندم أول شىء يألم فى المتندم ثم يشركها المتندم فى الألم فأنه متى تألم عضو من الحيوان تألم كله لأن المدرك من كل مدرك حقيقته ، وحقيقته على المذهب الصحيح هى جملته المشاهدة منه ، والمكوى من الأبل يألم وما به عر وصاحب العر لا يألم جملة . فمن ههنا أخذت المعنى وأفسدته انتهى ، وهذا تدقيق فلسفى لامدخل له فى الشعر

وذلك أمرٌ لم أكُنْ لأَقولَهُ ولو كبلت فى ساعدَىَّ الجوامعُ

كبلت جمعت من الكبل وهو القيد ، والجوامع الأغلال جمع جامعة

أتاك بقولٍ لهلَهِ النسجِ كذباً(١) ولم يأت بالحق الذى هو ناصع

يقال : ثوب لهله النسج وهلهل النسج إذا كان رقيقاً وكذلك هلهال . ولهذا سمى الشاعر المشهور المهلهل لأنه أول من أرق الشعر . وقيل سمى ببيت قاله (٢) وناصع بين واضح

لعمرى وما عمرى علىَّ بهيّنٍ « البيت »

أقارع عوفا لا أحاولُ غيرَها « البيت »

تقدم شرحهما

أتاك امرؤٌ مستَعلِنٌ لىَ بغضه لهُ من عدوٍّ مثل ذلكِ شافعُ

---

(١) يروى « أتاك بقوله هلهل النسج كاذب

(٢) هذا البيت هو قوله :

لما توغل فى الكراع هجينهم * هلهلت آثار مالكا أو صنبلا

فان كنت لاذاالضغن عنى منكلا(١) ولا حَلِفِى على البراءة نافعُ
ولا أنا مأمون بشىء أقـــوله وأنت بأمرٍ لامحـــالة واقع
حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو إمة وهو طائع

الضغن — بالكسر — الحقد ، والأمة — — بالكسر — الدين بالكسر والقصد والاستقامة يقول هل يأثم من كان على طريقة حسنة وهو طائع

بمصطحبات من لصافٍ وثَبْرةٍ يزرن ألالاً سيرهن تدافع

الباء متعلقة بحلفت ، وأراد بالمصطحبات الأبل التى يحج عليها من لصاف وبثرة ولصاف بفتح اللام وكسر الفاء ، كحذام — ويجوز أن يكون كسحاب وهو جبل فى بلاد بنى يربوع،وبثرة فى بلاد بنى مالك ، والألال — بضم الهمزة (٢) ولامين — جبل صغير عن يمين الامام بعرفة . وقوله « سيرهن تدافع » أى من الاعياء أى يتحاملن تحاملا من الجهد والتعب

سمام تبارى الشمس خوصاً عيونُها لهن رذايا بالطريق ودائع

قال الشارح سمام — بالفتح — طير يشبه السمالى سريع الطيران ، شبه الأبل بها. تبارى الشمس يعنى فى ارتفاعها ويروى « تبارى الريح » أى تعارضها لسرعتها ، والخوص — بالخاء المعجمة — جمع خوصاء أى غائرة عيونها ذاهبة فى الرأس من الجهد ، والرذايا المعييات أرذاهن السفر فلم تنبعث فتركت وأخذ عنها رحلها وقد أرذيت الشىء طرحته يقال جمل رذى وناقة رذية وكذلك المعية والطليح والطلح والرجيع ، وودائع قد استودعت الطريق

---

(١) يروى هذا الشطر على وجوه أحدها الذى رواه عليه مؤلف الكتاب ، ويروى : « فان كنت لاذو الضغن عنى مكذب » وهذه الرواية بضم التاء فى « كنت » للمتكلم ومكذب بصيغة اسم المفعول ، ويروى :«فان كنت لاذا الضغن عنى مكذبا» والتاء فى هذه الرواية مفتوحة للمخاطب ومكذب بصيغة اسم الفاعل

(٢)ضبطه فى القاموس بفتح أوله وبكسره ولم يذكر الضم .وذكر ياقوت روايتى القاموس ثم قال :قال الزبير بن بكار بكسر إلأل — أى الهمزة —هو البيت الحرام، والاول أصح اه ويريد بالاول فتح الهمزة

عليهن شُعْثٌ عامدون لبرهم فهن كآرام الصّريم خواضعُ

ويروى «فهن كأطراف الحنى» ، وهو جمع حنية وهى القوس التى حنيت يقول: قد ضمرت الأبل ودقت من السير، وخواضع خواشع ، والآرام جمع ريم ،والصريم «المنفرد من الرمل

إلى خير دين نسكه قد علمته وميزانه فى سورة المجد ماتع

إلى متعلقة بقوله عامدون . وميزانه سننه وشرائعه ، والسورة — بالضم — المنزلة . وماتع مرتفع يقال متع النهار اذا علا

فأنك كالليل الذى هو مدركي وان خلتُ أنّ المنتأى عنك واسع

المنتأى على وزن مفتعل من النأى وهو البعد ، يقال انتأى القوم أى تباعدوا . قال أبو على فى إيضاح الشعر : يحتمل أن تكون إن نافية كأنك قلت ماخلت أن المنتأى عنك واسع لأنك كالليل المدركى أينما كنت ، ويجوز أن تكون التى للجزاء كأنه قال إن خلت أن المنتأى عنك واسع أدركتنى ولم أفتك كما يدركنى الليل والأول أشبه اهـ

وقد اعترض الأصمعى على النابغة فى هذا البيت فقال : تشبيه الأدراك بالليل يساويه إدراك النهار فلم خصه دونه ؟ وانما كان سبيله أن يأتى بما ليس له قسيم حتى يأتى بمعنى ينفرد به

(أقول) : إنما قال كالليل ولم يقل كالصبح مثلا لانه وصفه فى حال سخطه فشبهه بالليل وهو له ، فهى كلمة جامعة لمعان كثيرة كذا . فى تهذيب الطبع

وهذا البيت من شواهد تلخيص المفتاح أورده شاهداً لمساواة اللفظ للمعنى ، وما أحسن قول ابن هانىء الاندلسى فى هذا المعنى :

أين المفر ولا مفر لهارب ولك البسيطان الثرى والماء

(خطاطيفُ حُجْنٌ فى حبالٍ متينة تمد بها أيدٍ اليك نوازع)

الخطاطيف جمع خطاف وهى الحديدة التى تخرج بها الدلاء وغيرها من البئر ، وحجن معوجة جمع أحجن وحجناء ، يقول : أنا فى قبضتك تقدر على متى شئت لاأستطيع الهرب منك ، وهو مثل ، ونوازع جواذب ، يقال: نزعت من البئر دلوا أو دلوين وبئر نزوع إذا كان يستقى منها باليد

سيبلغ عذرا أو نجاحا من امرئ إلى ربه رب البرية راكع

راكع فاعل سيبلغ، وهو بمعنى الخاضع والذليل يعني نفسه

وأنت ربيعٌ ينعش الناس سَيْبُهُ وسيف أُعيرَتْهُ المنيةُ قاطعُ

أي أنت بمنزلة الربيع، ينعش يرفع ويجبر، وسيبه عطاؤه، أي أنت سيب وعطاء لوليك وسيف لأعدائك

وتسقى إذا ماشئت غير مُصَرَّدٍ بزوراء في أكنافها المسك كارع

غير مصرد أي غير ممنوع ولا مقطوع. يقال: صرد على الشرب إذا سقاه دون الرى وهو التصريد. والزوراء إناء مستطيل من فضة. وقال صاحب الصحاح: هو القدح. وكارع أي أن المسك على شفاه ذلك الاناء. وقال الاصمعي: الزوراء دار بالحيرة وحدثني من رآها، وزعم أن أبا جعفر هدمها

أبى اللهُ الاّ عدلَهُ ووفاءَهُ فلا النُّكْرُ موصوف ولا العرف ضائع

وهذا آخر القصيدة، أي مايريد الله إلا عدل النعمان بن المنذر وإلا وفاءه فلا يدعه أن يجور ولا أن يغدر فلا النكر يعرفه النعمان ولا الجميل يضيع عنده

باب الاشتغال

أنشد فيه

(وهو الشاهد السادس والخمسون بعد المائة)

(١٥٦) فكلا أراهم أصبحوا يعقلونه صحيحات مال طالعات بمخرم

على أنه مما اشتغل الفعل فيه بنفس الضمير إذ التقدير يعقلون كلا

هذا البيت من معلقة زهير بن أبي سلمى، وضمير الجمع في المواضع الثلاثة عائد الى الحي وهم قبيلة بني ذبيان، وقوله فكلا أي فكل واحد من المقتولين المذكورين قبل هذا البيت، وروى الاعلم «يعقلونهم» بارجاع الضمير إلى كل مجموعا باعتبار المعنى نحو قوله تعالى: «كل في فلك يسبحون» ويعقلونه أي يؤدون عقله أي ديته، يقال: عقلت القتيل — من باب ضرب — أديت ديته قال الاصمعي: سميت الدية عقلا تسمية بالمصدر لان الابل كانت تعقل بفناء ولي

القتيل ثم كثر الاستعمال حتى أطلق العقل على الدية إبلا كانت أونقدا ، وعقلت عنه غرمت عنه مالزمه من دية وجناية ، وهذا هو الفرق بين عقلته وعقلت عنه ، ومن الفرق بينهما أيضاً عقلت له دم فلان إذا تركت القود للدية وعن الأصمعى : كلمت القاضى أبا يوسف بحضرة الرشيد فى ذلك فلم يفرق بين عقلته وعقلت عنه حتى فهمته. كذا فى المصباح. فتفسير الأعلم فى شرحه للديوان يعقلونه بقوله يغرمون ديته غير جيد، والمعنى أرى حى ذبيان أصبحوا يعقلون كل واحد من المقتولين من بنى عبس،فالرؤية واقعة على ضمير الحى والعقل واقع على ضمير كل فلايصح قول أبى جعفر النحوى وقول الخطيب التبريزى فى شرحهما لهذه المعلقة إن كلا منصوب بأضمار فعل يفسره مابعده كأنه قال : فأرى كلا و يجوز الرفع على أن لايضمر لكن النصب أجود لتعطف فعلا على فعل لأن قبله « و لا شاركت فى الحرب » اه و وجه الرفع حينئذ أن يكون كل مبتدأ و جملة يعقلونه الخبر وما بينهما اعتراض . وقوله « صحيحات مال » أى ليست بعدة ولا مطل يقال مال صحيح إذا لم تدخله علة فى عدة ومطل اه و المال عند العرب الأبل وعند الفقهاء مايتمول أى مايعد مالا فى العرف ، وقوله « طالعات بمخرم » هو بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة وهو الثنية فى الجبل والطريق يعنى أن إبل الدية تعلو فى أطراف الجبل عند سوقها إلى أولياء المقتولين يشير إلى وفائهم. و روى أبو جعفر والخطيب المصراع الثانى :

عُلالة أَلْفٍ بعد أَلْفٍ مُصَتَّمِ

والعلالة — بضم المهملة — ههنا الزيادة و بناء فعالة للشئ اليسير نحو القلامة ، والمصتم — بضم الميم وفتح الصاد المهملة وتشديد المثناة الفوقية — التام والكامل وروى صدرا فى شرحه لديوان زهير

صحيحاتُ أَلْفٍ بعد أَلْفٍ مصتَّمِ

وقال مصتم مكمل يقال مال صتم تام كثير ويقال أعطيه ألفا مصتمة أى كاملة ، والبيت المذكور على رواية الأعلم ملفق من بيتين وهذه روايته :

فكلا أراهم أصبحوا يعقلونهم علالة ألف بعد ألف مصتم
تساق إلى قَوْم لقوم غرامةً صحيحات مال طالعات بمخرم

وقال : وقوله تساق إلى قوم أى يدفع إبل الدية قوم إلى قوم ليبلغوها هؤلاء.

وينبغى أن نورد ماقبل هذا البيت حتى يتضح معناه ، وكذلك السبب الذى قيلت هذه القصيدة لأجله فنقول :

قال الشراح : إن زهيراً مدح بهذه القصيدة الحرث بن عوف وهرم بن سنان المريين وذكر سعيهما بالصلح بين عبس وذبيان وتحملهما الحمالة . وكان ورد بن حابس العبسى قتل هرم بن ضمضم المرى فى حرب عبس وذبيان قبل الصلح ، وهى حرب داحس ، ثم اصطلح الناس . ولم يدخل حصين بن ضمضم أخو هرم بن ضمضم فى الصلح ، وحلف لايغسل رأسه حتى يقتل ورد بن حابس أو رجلا من بني عبس ثم من بني غالب . ولم يطلع على ذلك أحداً وقد حمل الحمال الحرث بن عوف بن أبى حارثة وهرم بن سنان بن أبى حارثة . فأقبل رجل من بني عبس ثم من بنى غالب حتى نزل بحصين ابن ضمضم فقال : من أنت أيها الرجل ، فقال : عبسى . فقال : من أى عبس ؟ فلم يزل ينتسب حتى انتسب إلى غالب ، فقتله حصين . فبلغ ذلك الحرث بن عوف وهرم بن سنان فاشتد عليهما . وبلغ بنى عبس فركبوا نحو الحرث فلما بلغ الحرث ركوب بنى عبس وماقد اشتد عليهم من قتل صاحبهم — وإنما أرادت بنو عبس أن يقتلوا الحرث — بعث اليهم بمائة من الأبل معها ابنه وقال للرسول : قل لهم آللبن أحب اليكم أم أنفسكم ؟ فأقبل الرسول حتى قال ماقال فقال لهم الربيع بن زياد إن أخاكم قد أرسل اليكم الأبل أحب اليكم أم ابنه تقتلونه ، فقالوا : نأخذ الأبل ونصالح قومنا ويتم الصلح ، فقال زهير فى ذلك هذه القصيدة وبعد أن تغزل بخمسة عشر بيتاً قال :

سعى ساعيا غَيْظِ بن مُرَّة بعدما تبزَّلَ ما بين العشيرةِ بالدَّمِ

الساعيان الحرث بن عوف وهرم بن سنان ، وقيل خارجة بن سنان وهو أخو هرم بن سنان وهما ابنا عم للحرث بن عوف لأنهما ابنا سنان بن حارثة والحرث هو ابن عوف بن أبى حارثة وهو بن مرة بن نشبة بن مرة بن غيظ بن عوف بن سعد بن ذبيان ، ومعنى سعيا أى عملا حسنا حين مشيا للصلح وتحملا الديات ، وتبزل أى تشقق يقول : كان بينهم سلح فتشقق بالدم الذى كان بينهم فسعيا فى إحكام العهد بعد ماتشقق بسفك الدماء.

فأقسمت بالبيت الذى طاف حوله ... رجالٌ بَنَوْهُ من قُرَيْشٍ وجُرْهُمِ

أراد بالبيت الكعبة المعظمة ، وجرهم أمة قديمة كانت أرباب البيت قبل قريش ، وبنوه بفتح النون من البناء وضمها خطأ

يمينا لنعم السيدان وجِدْتُمَا ... على كل حال من سحيل ومبرم

يمينا مصدر مؤكد لقوله أقسمت وجملة « لنعم السيدان الخ » جواب القسم ، وهذا البيت أورده الشارح المحقق فى باب أفعال المدح على أن المخصوص بالمدح إذا تأخر عن نعم يجوز دخول نواسخ المبتدأ عليه فان ضمير التثنية فى « وجدتما » هو المخصوص بالمدح وقد دخل عليه الناسخ وهو وجد وعلى متعلقة به . والسحيل — بفتح السين وكسر الحاء المهملة — المسحول أى الذى لم يحكم فتله . والمبرم مفعول من أبرم القاتل الحبل إذا أعاد عليه الفتل ثانيا بعد أول فالاول سحيل والثانى مبرم وقيل السحيل ماقتل من خيط واحد والمبرم ماقتل من خيطين وأراد بالسحيل الأمر السهل الضعيف وبالمبرم الشديد القوى

تدارَكْتُما عَبْساً وذُبْيانَ بعدما ... تفانَوْا ودقُّوا بينهم عِطْرَ مَنْشِمِ

عبس وذبيان أخوان وهما ابنا بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر . أى تداركتماهما بالصلح بعد ماتفانوا بالحرب . ومنشم المشهور بفتح الميم وسكون النون وكسر الشين المعجمة . زعموا أنها امرأة عطارة من خزاعة تحالف قوم فأدخلوا أيديهم فى عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا فضرب زهير بها المثل أى صار هؤلاء شدة الأمر بمنزلة أولئك ، وقيل : كانوا إذا حاربوا اشتروا منها كافوراً لموتاهم فتشاءموا بها وزعم بعضهم أنها امرأة من بنى غدانة ، وهى صاحبة يسار الكواعب ، وكانت امرأة مولاه . وكان يسار من أقبح الناس ، وكان الناس يضحكن من قبحه ، فضحكت منه منشم يوماً فظن أنها خضعت إليه فراودها عن نفسها فقالت له : مكانك فان للحرائر طيباً فأتت بموسى فأشمته طيباً ثم أنحت على أصل أنفه فاستوعبته قطعاً فخرج هاربا ودمه يسيل فضرب المثل فى الشر بطيب منشم ، وقيل غير ذلك

وقد قلتما إنْ ندرك السلم واسعا ... بمال ومعروف من القول نسلم

السلم الصلح يذكر ويؤنث وهنا مذكر لقوله واسعاً أى ممكنا ، وقال الأعلم : أى كاملا مكينا ، وقوله نسلم أى من أمر الحرب ، وروى بضم النون أى نوقع السلم بين القوم والصلح

فأصبحتما منها على خير موطن   بعيدين فيها من عقوق ومأثم

أى أصبحتما من الحرب على خير منزلة . ومن للبدل وبعيدين خبر بعد خبر ، والعقوق قطيعة الرحم ، والمأثم الأثم

عظيمين فى عَلْيا مَعَدٍّ وغيرها   ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم

عليا معد مؤنث أعلى أى فى علياء منزلة هذه القبيلة وروى بدل وغيرها « هديتما » وهو دعاء أى دامت هدايتكما إلى طريق الفلاح ، ومعنى « يستبح كنزاً » يصب مجداً مباحا والكنز كناية عن الكثرة يقول من فعل فعلكما فقد أبيح له المجد واستحق أن يعظم عند الناس . روى يعظم — بالفتح — أى يصر عظيما ، وبالضم مع كسر الظاء أى يات بأمر عظيم ، ومع فتح الظاء أى يعظمه الناس ، وعظيمين خبر ثالث

فأصبح يحدى فيهم من تلادكم   مغانم شتى من إفال المزنم

يحدى يساق من الحداء وروى « يجرى » والتلاد — بالكسر — ماولد عندهم أصله وهو المال القديم ثم كثر استعمالهم إياه حتى قيل لملك الرجل كله تلاد ، وشتى متفرقة ، والأفال — بالكسر — جمع أفيل وأفيلة وهو الفصيل وإنما خص الأفال لأنهم كانوا يغرمون فى الدية صغار الأبل ، والمزنم فحل معروف نسب الأفال إليه ، والتزنيم سمة يوسم بها البعير وهو أن يشق طرف أذنه ويفتل فيتعلق منه كالزمنه وروى « من إفال مزنم ، ومن نتاج مزنم »

تعَفّى الكلوم بالمئين فأصبحت   ينجمها مَنْ ليس فيها بمُجرِمِ

أى تمحى الجراحات بالمئين من الأبل ، وإنما يعنى أن الدماء تسقط بالديات .وقوله « ينجمها » أى تجعل نجوما على غارمها ، ولم يجرم فيها أى لم يأت بجرم : من قتل تجب عليه الدية ، ولكنه تحملها كرما وصلة للرحم

ينجمها قومٌ لقومٍ غرامةً   ولم يُهَرِيقوا بينهم مِلْءَ محجم

يعنى أن هذين الساعيين حملا دماء من قتل وغرم فيها قوم من رهطهما على أنهم لم يصبوا دم أحد مل‌ء محجم أى أنهم أعطوا فيها ولم يقتلوا ويهريقوا أصله يريقوا وزيدت الهاء المفتوحة.

فمن مُبْلغ الأحلاف عنى رسالة ... وذُبيانَ هل أقسمتم كل مقسم

فلا تكتمنّ الله مافى نفوسكم ... ليخفى ومهما يُكتَم اللهُ يعلم

الأحلاف أسد وغطفان وطيء . ومعنى « هل أقسمتم الخ » أى هل حلفتم كل الحلف لتفعلن مالاينبغي . وهذا البيت أورده ابن هشام فى المغنى فى بحث «هل» وقوله « فلا تكتمن الله الخ » أى لاتضمروا خلاف ماتظهرونه فان الله يعلم السر . فلا تكتموا مافى أنفسكم من الصلح وتقولوا لاحاجة لنا إليه . وقيل : معنى قوله هل أقسمتم هل حلفتم على إبرام حبل الصلح فتخرجوا من الحنث فلا تخفوا الله ماتضمرون من الغدر ونقض العهد . ويكتم بالبناء للمفعول بخلاف يعلم فانه للفاعل.

يُؤَخَّرْ فيوضَعْ فى كتاب فيُدَّخرْ ... ليوم الحساب أو يُعَجَّلْ فيُنقِم

جميع الأفعال بالبناء للمفعول ماعدا الأخير يقال نقم منه — من باب ضرب — بمعنى عاقبه وانتقم منه . ويؤخر بدل من يعلم وقيل جزم فى جواب النهي وهو الصواب

وما الحربُ إلا ما علمتم وذُقتمُ ... وما هو عنها بالحديث المرجم

يقول : ماالحرب إلا ماجربتم وذقتم فإياكم أن تعودوا إلى مثلها . وقوله « وما هو عنها » أى ماالعلم عن الحرب بالحديث أى ماالخبر عنها بحديث يرجم فيه بالظن . فقوله هو كناية عن العلم لأنه لما قال إلا ماعلمتم دل على العلم كذا. قال الخطيب وأبو جعفر النحوى وقال صعوداً فى شرحه : هو ضمير ما وكأنه قال وما الذى علمتم . وقال الزوزنى : هو ضمير القول لا العلم لأن العلم لايكون قولا أى وما هذا الذى أقول بحديث مرجم أى هذا ماشهدت عليه الشواهد الصادقة من التجارب وليس من أحكام الظنون . وقال الأعلم : فهو كناية عن العلم . يريد وما علمتم بالحرب وعن بدل من الباء أى ماهو بالحديث الذى يرمى به بالظنون ويشك . وأورد الشارح المحقق هذا البيت فى باب المصدر على أن ضمير المصدر يعمل فى الجار والمجرور . وقال : أى

ماحديثى عنها ، لجعله ضمير الحديث ، والمرجم الذى يرجم بالظنون والترجيم الظن والمعنى أنه يحضهم على قبول الصلح ويخوفهم من الحرب

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضرى إذا ضريتموها فتضرم

أى ان لم تقبلوا الصلح وهجتم الحرب لم تحمدوا أمرها،والبعث الأثارة ، وذميمة أى تذمون عاقبتها . وروى « دميمة » بالمهملة أى حقيرة وهذا باعتبار المبدأ وضرى بالشيء — من باب تعب — ضراوة اعتاده واجترأ عليه ويعدى بالهمزة والتضعيف قال صعودا فى شرحه : من العرب من يهمز ضرى فيقول قد ضرىء به، فمن هذه اللغة تقول وتضرأ إذا ضرأتموها ، وضرمت النار — من باب تعب أيضاً — التهبت

فتعرُكُكُمْ عَرْكَ الرحا بثفالِهَا وتلقح كشافا ثم تحمل فتتأم

معطوف على جواب الشرط ويقرأ بضم الميم للوزن.قال صعودا : وإن رفعته مستأنفا كان صوابا (أقول) : يمنعه مابعده من الأفعال السبعة فأنها مجزومة أى تطحنكم وتهلكهم ، وأصل العرك دلك الشيء .والثفال — بكسر المثلثة — جلدة تكون تحت الرحا إذا أديرت يقع عليها الدقيق . والباء للمعية نحو قوله تعالى «تنبت بالدهن »أى ومعها الدهن، وجاء فلان بالسيف أى ومعه السيف والمعنى عرك الرحا طاحنة لأن الرحا لا تطحن إلا وتحت مجرى الدقيق ثفال . فعرك مصدر مضاف إلى فاعله والمفعول محذوف أى الحب قال صعودا . فظع بهذا أمر الحرب وأخبر بأشد أوقاتها قال : والكشاف فى لغة كنانة وهذيل وخزاعة الابل التى لم تحمل عامين ، وتميم وقيس وأسد وربيعة يقولون الكشاف التى إذا نتجت ضربها الفحل بعد أيام فلقحت وبعضهم يقول هى التى يحمل عليها فى الدم، وأبو مضر يرد هذا كله ويزعم أن الفحل لا يدنو من الناقة مادامت فى دمها وأنشد

طب بعس البَوْلِ غير ظلام

قال فهو لا يدنو منها حاملا فكيف يدنو إليها فى دمها . وقال الكشاف أن يحمل عندنا على الناقة عامين متواليين وذلك مضربها وهو أردأ النتاج وإلى هذا ذهب زهير أى أن الحرب تتوالى عليكم فينالكم منها هذا الضرر ،وروى «ثم يحمل فتأم »والأتام أن تضع اثنين وليس فى الابل إتام انما الأتام فى الغنم خاصة، وإنما يريد بذلك تفظيع الحرب وتحذيرهم إياها ، جعل آفة الحرب إياهم بمنزلة طحن الرحا الحب وجعل

صنوف الشر تتولد من تلك الحروب بمنزلة الأولاد الناشئة من الأمهات قال أبو جعفر والخطيب. شبه الحرب بالناقة لأنه جعل ما يحلب منها من الدماء بمنزلة ما يحلب من الناقة من اللبن كما قال

إنّ المهالبَ لا يزال لهم فتى يمرى قوادم كلّ حربٍ لاقِحِ

وقيل : إنما شبه الحرب بالناقة إذا حملت ثم ارضعت لأن هذه الحروب تطول وهى أشبه بالمعنى وقوله تتأم أى تأتى بتوأمين الذكر توأم والأنثى توأمة

فتنتج لكم غلمان أشأم كلُّهمْ كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

معطوف على قوله فتتأم نتجت الناقة ولداً بالبناء للمفعول إذا وضعته وأشأم قال أبو جعفر والخطيب : فيه قولان (أحدهما) أنه مصدر كأنه قال: غلمان شؤم (والآخر) أنه صفة لموصوف أى غلمان امرىء أشأم أى مشؤوم .وقال الأعلم أشأم هنا صفة للمصدر على معنى المبالغة والمعني غلمان شؤم أشأم كما يقال شغل شاغل وكلهم مبتدأ وكأحمر عاد خبره وقال صعودا : وإن شئت رفعت كلا بأشأم كما تقول مررت برجال كريم أبوهم وفيه أن كلا إذا أضيفت للضمير لا تقع معمولة لعامل لفظي . ويريد بأحمر عاد عاقر الناقة واسمه قدار بن سالف . وأحمر لقبه. قال الأصمعي أخطأ زهير فى هذا لأن عاقر الناقة ليس من عاد وانما هو من ثمود وقال المبرد لا غلط لأن ثمود يقال لها عاد الآخرة ويقال لقوم هود عاد الأولى والدليل على هذا قوله تعالى «وأنه أهلك عادا الأولى» وقال صعودا والأعلم لا غلط لكنه جعل عادا سكان ثمود إتساعا ومجازا إذ قد عرف المعنى مع تقارب ما بين عاد وثمود فى الزمن والأخلاق . والإرضاع والفطم معروفان أى لا تنزع الا عن حولين وإنما أراد طول شدتها وإنما لا تنقطع إلا عن تمام لأن المرأة إذا أرضعت ثم فطمت فقد تمت

فتغْلِلْ مالا تغلّ لأهلها قرًى بالعراق قفيز ودرهم

معطوف على قوله فتفطم أى فتغلل لكم هذه الحرب من الديات بدماء قتلاكم ما لا تغل قرى بالعراق وهى تغل القفيز والدرهم. وهذا تهكم بهم واستهزاء يقال أغلت الضيعة بالألف صارت ذاغلة والغلة كل شيء من ريع الأرض أو من أجرتها ونحو ذلك

لعمرى لنعم الحى جر عليهم بما لا يواتيهم حصين بن ضمضم

جر من الجريرة وهى الجناية وفاعله حصين ، والجملة صفة لموصوف محذوف و هو المخصوص بالمدح أى لنعم الحى حى جر عليهم الخ. وعمرى مبتدأ خبره محذوف أى قسمى وجملة لنعم الحى الخ جواب القسم ولا يوانيهم لا يوا فقهم روى « لا يماليهم » و الممالأة المعاونة ، وحصين بن ضمضم هو ابن عم النابغة الذبيانى لأن النابغة هو ابن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن عوف بن سعد بن ذبيان وحصين هو ابن ضمضم بن ضباب إلى آخر النسب وجنايته أنه لما اصطلحت قبيلة ذبيان مع قبيلة عبس أبى حصين بن ضمضم أن يدخل فى الصلح واستتر منهم ثم عدا على رجل من بنى عبس فقتله كما تقدم بيانه و إنما مدح حى ذبيان لتحملهم الديات إصلاحاً لذات البين

وكان طوى كشحا على مستكنة فلا هو أبداها ولم يتجمجم

طوى باضمار قد عند المبرد قال لأن كان فعل ماض اسمها ضمير حصين و لا يخبر عنه إلا باسم أو بما ضارعه ، وخالفه أصحابه فى هذا و الكشح الجنب وقيل الخاصرة يقال طوى كشحه على فعلة إذا أضمرها فى نفسه و المستكنة المستترة وهي صفة لموصوف أى غدرة مضمرة أو نية مستترة أو حالة مستكنة لأنه كان قد أضمر قتل ورد بن حابس القاتل أخاه هرم بن ضمضم أو يقتل رجلا من بنى عبس ولهذا كان أبى من الصلح وقوله « ولم يتجمجم » أى لم يدع التقدم فيما أضمروا ، لم يتردد فى إنفاذه . يقال جمجم الرجل و تجمجم إذا لم يبين كلامه و سيأتى هذا البيت إن شاء الله فى خبر كان

وقال سأقضى حاجتى ثم أتقى عدوّى بألف من ورائى ملجم

حاجته هى إدراك ثأره وملجم قال صعودا يروى بكسر الجيم أى ألف فارس ملجم فرسه و روى بفتحها أى ألف فرس ملجم والفرس مما يذكر و يؤنث

فشد ولم تفزع بيوت كثيرة لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم

أورد ابن هشام هذا البيت فى المغنى على أن حيث قد تجر بغير من على غير الغالب وقوله فشد الخ أى حمل حصين على ذلك الرجل من عبس فقتله ولم تفزع بيوت كثيرة أى لم يعمل أكثر قومه بفعله وأراد بالبيوت أحياء و قبائل يقول لو علموا بفعله لفزعوا أى لأغاثوا الرجل المقتول و لم يدعوا حصيناً يقتله و إنما أراد بقوله هذا أن لا يفسدوا صلحهم بفعله و روى ولم يفزع بيوت بالبناء للمفعول قال الخطيب أى لم يفزع أهل بيوت يقول

شد على عدوه وحده فقتله ولم يفزع العامة بطلب واحد أى لم يستعن عليه بأحد وإنما قصد الثأر وقيل معناه أى لم يعلموا به وروى « ولم ينظر بيوتا » أى لم يؤخر أهل بيت ورد ابن حابس فى قتله لكنه عجل فقتل هذا الرجل يقال أنظرته — بالألف — أى أخرته وروى أيضاً « ولم ينظر » من نظرت الرجل أي انتظرته وقوله « لدى حيث » الخ أى حيث كان شدة الأمر يعنى موضع الحرب ، وأم قشعم هى الحرب . ويقال هى المنية، والمعنى أن حصينا شد على الرجل العبسى فقتله بعد الصلح وحين حطت رحلها الحرب ووضعت أوزارها وسكنت . ويقال هو دعاء عل حصين أى عدا على الرجل بعد الصلح وخالف الجماعة فصيره الله إلى هذه الشدة ويكون معنى ألقت رحلها على هذا ثبتت وتمكنت . وقيل أم قشعم كنية العنكبوت وقيل كنية الضبع . والمعنى فشد على صاحب ثأره بمضيعة من الأرض ، وقال صعودا فى شرحه : وقال قوم أم قشعم أم حصين هذا الذى شد أى فلم يفزع البيوت التى بحضرة بيت أمه والرحل ما يستصحبه المسافر من المتاع والثياب . وسيأتى هذا البيت إن شاء الله تعالى فى الظروف

لدى أسدٍ شاكي السلاحِ مقاذف له لِبَدٌ أظفارُه لم تُقلَّمِ

لدى متعلقة بقوله ألقت رحلها . وهذا البيت من أبيات تلخيص المعانى وغيره على أن التجريد والترشيح قد يجتمعان فان شاكى السلاح تجريد لأنه وصف بما يلائم المستعار وهو الرجل الشجاع، وما بعده ترشيح لأن هذا الوصف مما يلائم المستعار منه وهو الأسد الحقيقى . قاله الأعلم والخطيب : أراد بقوله لدى أسد الجيش، وحمل لفظ البيت على الأسد . وقال الزوزنى . البيت كله من صفة حصين بن ضمضم وهو الصواب . وقوله شاكى السلاح أى سلاحه شائك حديدة ذو شوكة وأراد شائك فقلبت الياء من عين الفعل إلى لامه ويجوز حذف الياء فيقال شاك ويكون شاك على وزن فعل كما قالوا رجل خاف ومال وأصله خوف ومول فيقال شاك ومقاذف مرامى يروى باسم الفاعل والمفعول وروى أيضاً مقذف اسم مفعول وهو الغليظ الكثير اللحم ، واللبد — بكسر اللام — جمع لبدة وهى زبرة الأسد والزبرة شعر متراكب بين كتفى الأسد إذا أسن والأظفار السلاح وتقليمها نقصها يقول سلاحه تام جديد. قال الأعلم وأول من كني بالأظفار عن السلاح أوس بن حجر فى قوله :

لعمرك انا والأحاليف هولا لفى حقبة أظفارها لم تقلم

ثم تبعه زهير والنابغة فى قوله :

وبنو جذيمة لا محاله أنهم آتوك غير مقلمى الأظفار

أى ليس سلاحهم بناقص . وقال الزوزنى . قوله لم تقلم يريد أنه لايعتريه ضعف ولا يعيبه عدم شوكة كما أن الأسد لا تقلم براثنه

جرىء متى يُظْلم يعاقب بظلمه سريعا وإلا يُبدَ بالظلم يظلم

جرىء — بالجر — صفة لأسد المراد به حصين بن ضمضم ، ويجوز رفعه ونصبه ومتى يظلم وإلا يبد كلاهما بالبناء للمفعول ويعاقب ويظلم بالبناء للفاعل والجرىء ذو الجراءة والشجاعة يقول : هو شجاع متى ظلم عاقب الظالم بظلمه سريعاً ، وإن لم يظلمه أحد ظلم الناس إظهارا لعزة نفسه وشدة جراءته وسريعاً حال أو صفة مصدر أى يعاقب عقاباً سريعاً ، وقوله « وإلا يبد » الاصل فيه الهمزة من بدأ يبدأ إلا أنه لما اضطر أبدل من الهمزة ألفاً ثم حذف الألف للجزم ، وهذا من أقبح الضرورات ولهذ أورده الشارح المحقق فى أول شرح الشافية وحكى عن سيبويه أن أبا زيد قال له : من العرب من يقول قريت فى قرأت فقال سيبويه كان يجب أن يقول أقرى حتى تكون مثل رميت أرمى وإنما أنكر سيبويه هذه لأنه إنما يجىء فعلت أفعل بفتح العين فيهما إذا كان عين الفعل أو لامه من حروف الحلق ولا يكاد يكون هذا فى الألف إلا أنهم قد حكوا أبا يأبى فجاء على فعل يفعل قال أبو اسحق : إنما جاء هذا فى الألف لمضارعتها حروف الحلق فشبهت بالهمزة يعنى فشبهت بقولهم قرأ يقرأ وما أشبهه

رعوا مارعوا من ظمئهم ثم أوردوا غمارا تسيل بالرماح وبالدم

هذا اضراب عن قصة حصين إلى تقبيح الحرب والحث على الصلح ، الظمء — بالكسر وآخره همزة — أصله العطش وهو هنا ما بين الشربتين ، والغمار جمع غمر — بالفتح — وهو الماء الكثير يريد أقاموا فى غير حرب ثم أوردوا خيلهم وأنفسهم الحرب أى أدخلوها فى الحرب أى كانوا فى صلاح من أمورهم ثم صاروا إلى حرب تستعمل فيها السلاح وتسفك الدماء ، وضرب الظمء مثلا لما كانوا فيه من ترك الحرب ، وضرب الغمار مثلا لشدة الحرب . وروى « تفرى بالسلاح وبالدم » وأصله تتفرى بتاءين أى تنفتح وتتكشف

فقضوا منايا بينهم ثم أصدروا   إلى كلأ مستو بل متوخم

الكلأ العشب ، وقضاه أحكمه ونفذه ، وأصدر ضد أورد ، واستوبلت الشيء استثقلته والوبيل الوخيم الذي لا يمرى ، يقول فقتل كل واحد من الحيين الآخر. فقوله فقضوا منايا بينهم أي أنفذوها بما بعثوا من الحرب ثم أصدروا إلي الكلأ أي رجعوا إلى أمر استوبلوه وضرب الكلأ مثلا والمستوبل السيء العاقبة أي صار آخر أمرهم إلى وخامة وفساد.

لعمرك ما جرّت عليهم رماحهم   دم ابن نهيك أو قتيل المثلم

ولا شاركوا في القوم في دم نوفل   ولا وهب منهم ولا ابن المحزم

يقول : هؤلاء الذين يعطون دية القتلى لم تجر عليهم رماحهم دماء المذكورين وابن نهيك — بفتح النون وكسر الهاء — ونوفل ووهب — بفتح الواو والهاء — وابن المحزم بالحاء المهملة وتشديد الزاى المعجمة المفتوحة — كلهم من عبس . وجرت جنت، والمعنى أن رماحهم لم تقتل أحدا من هؤلاء الذين يدونهم، وإنما يعطون الديات تبرعا ولم يشاركوا قاتلهم في سفك دمائهم ، وروى «ولا شاركت في الحرب» والضمير للرماح قصد بهذا أن يبين براءة ذمتهم عن سفك دمهم ليكون ذلك أبلغ في مدحهم لعقلهم القتل.

فكُلاً أراهُمْ أصبحوا يعقلونه   « البيت »

أي فكل واحد من هؤلاء المقتولين المذكورين في البيت الذي قبله

لحيّ حلال يعصم الناس أمرهم   إذا طلعت إحدى الليالي بمعظم

كرام فلاذو الوتر يدرك وتره   لديهم ولا الجاني عليهم بمسلم

قوله لحي هو حال من قوله صحيحات مال أو أنه بدل من قوله لقوم أوخبر مبتدأ محذوف، أي هي لحي حلال أي المال الصحيحات لحي، وأراد بهذا الحي حي الساعين بالصلح بين عبس وذبيان ، وقال الأعلم : الحلال جمع حلة — بالكسر — وهي مائة بيت يقول : ليسوا بحلة واحدة ولكنهم حلال كثيرة ، وقوله « يعصم الناس أمرهم » اى يلجئون إلى هذا الحي ويتمسكون به فيعصمهم مما نابهم وأصل الحلة الموضع الذي ينزل فاستعير لجماعة الناس . وقوله « إحدى الليالي » أراد ليلة من الليالي ، وفي الكلام

معنى التفخيم والتعظيم كما يقال أصابته إحدى الدواهي أي داهية شديدة ، والمعظم الأمر العظيم . وقوله فلاذو الوتر يقول هم أعزة لاينتصر منهم صاحب دم ولايدرك وتره فيهم ، وقوله بمسلم أى إذا جنى عليهم جان منهم شرا إلى غيرهم لم يسلموه لهم لعزهم ومنعتهم . واعلم أن هذه الأبيات التى أوردناها على هذا الترتيب هى رواية الأعلم وقدم بعضهم هذين البيتين وأوردهما بعد قوله سابقا:

فتغْلِلْ لـكم ما لا تُغل لأَهلِها «البيت»

والله أعلم

(وأنشد بعده)

قد أصبحت أم الخيار تدعى على ذَنْباً كله لم أصنع

تقدم شرحه فى الشاهد السادس والخمسين (١)

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد السابع والخمسون بعد المائة وهو من شواهدسيبويه)

(١٥٧) ألقى الصَّحيفةَ كي يُخفّفَ رَحْلَهُ والزَّادَ حتَّى نعْلَهُ ألقاها

على أن حتى وإن كانت يستأنف بعدها الكلام إلا أنها ليست متمحضة للاستئناف فلم يكن الرفع بعدها أولى فهى كسائر حروف العطف ، يعنى أنه يجوز فى نعله النصب و الرفع : أما النصب فمن وجهين (أحدهما) نصبه بأضمار فعل يفسره ألقاها كأنه قال : حتى ألقى نعله ألقاها كما يقال فى الواو وغيرها من حروف العطف (ثانيهما) أن يكون نصبه بالعطف على الصحيفة وحتى بمعنى الواو كأنه قال : ألقى الصحيفة حتى نعله يريدونعله كما تقول أكلت السمكة حتى رأسها بنصب رأسها أى ورأسها فعلى هذا الهاء عائدة على النعل أوالصحيفة وألقاها تكرير وتوكيد ، فان قلت: شرط المعطوف بحتى أن يكون :إما بعضا من جمع كقدم الحجاج حتى المشاة ، أوجزأمن كل نحو أكلت السمكة حتى رأسها ، أوجزء نحو أعجبتنى الجارية حتى حديثها ، فكيف جازعطف نعله مع أنه ليس واحداً مما ذكر ؟ قلت : جاز لأن ألقى الصحيفة والزاد فى معنى ألقى مايثقله فالنعل بعض مايثقل ، وأما الرفع فعلى الابتداء وجملة ألقاها هو

(١) أنظرص ٢٤٥ من الجزء الأول

الخبر ، فحتى على هذا وعلى الوجه الأول من وجهى النصب حرف ابتداء والجملة بعدها مستأنفة ، وزعم ابن خلف أن حتى هنا عاطفة والجملة بعدها معطوفة على الجملة المتقدمة ، وهذا شيء قاله ابن السيد نقله عنه ابن هشام في المغني ورده بقوله : لأن حتى لاتعطف الجمل ، وذلك لأن شرط معطوفها أن يكون جزأ مما قبلها أو كجزء ، وهذا لايتأتى إلا فى المفردات ، وقد نازعه الدماميني فى هذا التعليل

وأنشد سيبويه هذا البيت على أن حتى فيه حرف جر وأن مجرورها غاية لما قبله. كأنه قال: ألقى الصحيفة والزاد ومامعه من المتاع حتى انتهى الألقاء إلى النعل،وعليه فجملة ألقاها للتأكيد . والضمير يجوز فيه أيضا أن يعود على النعل وعلى الصحيفة فقوله « حتى نعله ألقاها » روى على ثلاثة أوجه

وهذ البيت لأبي مروان النحوى . و بعده :

ومضي يظنُّ بَرِيدَ عَمْرٍو خلفه خوفاً وفارَقَ أرْضَه وقَلاها

وهما فى قصة المتلمس حين فر من عمرو بن هند . حكى ذلك الأخفش عن عيسى ابن عمر فيما ذكره الفارسى. وكان المتلمس قد هجا عمرو بن هند وهجاه أيضا طرفة فكتب لهما إلى عامله بالبحرين كتابين أوهمهما أنه أمر لهما بجوائز وهو قد أمره فيهما بقتلهما ، فلما وصلا إلى الحيرة دفع المتلمس كتابه إلى غلام ليقرأه فأذا فيه: « أما بعد فأذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا » فرمى المتلمس كتابه فى نهر الحيرة وهرب إلى الشام . وقد ذكرنا خبرهما فى الشاهد الذى قبل هذا بأربعة شواهد فصارت صحيفة المتلمس مثلا فيما ظاهره خير وباطنه شر . والصحيفة الكتاب : وقوله « القي الصحيفة» أى رماها بنهر الحيرة كما أخبر المتلمس عن نفسه بقوله :

قذفت بهافي النهر من جنب كافر كذلك أقنو كل قط مضلل

وروى أيضا « ألقى الحقيبة » وهى خرج يحمل فيه الرجل متاعه ، وروى أيضا « ألقى الحشية » وهى الفراش المحشى بالقطن أو الصوف ينام عليه قال عنترة :

وَحَشِيَّتِى سَرْجٌ على عَبْلِ الشوى

وأوضحه محمد بن هانىء الأندلسى بقوله :

قومٌ يبيت على الحشايا غيرُهُمْ ومبيتهم فوق الجياد الضُّمَّرِ

وزعم ابن السيد — وتبعه غيره — أن الحشية مايركب عليه الراكب ، وأورد بيت عنترة ، وهذا غير لائق به . . قال ابن هشام اللخمى : الحشية هي البرذعة المحشوة والرحل هنا بمعنى الأثاث والمتاع وقد انكره الحريرى فى درة الغواص بهذا المعنى ، ورد عليه ابن برى فيما كتبه عليه ؛ فقال : قال الجوهرى : الرحل منزل الرجل وما يستصحبه من الأثاث . والرحل أيضا رحل البعير وهو أصغر من القتب فقد ثبت فيه الرحل بمعنى الاثاث وقدفسر بيت متمم بن نويرة على ذلك وهو قوله :

كريم الثنا حلو الشمائل ماجد . صبور على الضراء مشترك الرحل

قالوا: أراد بالرحل الأثاث ومثله قول الآخر :

أَلْقَى الصحيفةَ كَيْ يخففَ رَحْلَهُ « البيت »

قالوا: رحله أثاثه وقماشه والتقدير عندهم ألقى قماشه وأثاثه حتى ألقى نعله مع جملة أثاثه ، وإنما قدروه بذلك ليصح كون مابعد حتى فى هذا الموضع جزأ مما قبلها .وعليه فسر قوله تعالى حكاية عن يوسف: « قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه » قالوا: رحله أثاثه بدليل « فاستخرجها من وعاء أخيه » انتهى كلام ابن برى . وقد فسر ابن السيد الرحل فى شرح أبيات الجمل بقوله : الرحل للناقة كالسرج ، وتبعه عليه ابن هشام اللخمى ، وابن خلف ، وغيرهما ، وهذا مع كونه غير مناسب كان الصواب أن يقول والرحل للبعير لاللناقة قال الأعلم : كان الواجب فى الظاهر أن يقول ألقى الزاد كى يخفف رحله والنعل حتى الصحيفة فيبدأ بالأثقل ثم يتبعه الأخف فلم يمكنه الشعر ، أو يكون قدم الصحيفة لأن الزاد والنعل أحق عنده بالأبقاء لأن الزاد يبلغه الوجه الذي يريده والنعل يقوم له مقام الراحلة إن عطبت واحتاج إلى المشى فقد قالوا : كاد المنتعل أن يكون راكباً ، والبريد الرسول ومنه قول العرب « الحمى بريد الموت »

وعمرو هو عمرو بن هند الملك ملك الحيرة وقدذكرنا ترجمته قبل هذا الشاهد ببيتين

قال ابن خلف : أنشد سيبويه هذا البيت لأبى مروان النحوى قاله فى قصة المتلمس حين فر من عمرو بن هند حكى ذلك الأخفش عن عيسى بن عمر فيما ذكره الفارسى ونسبه الناس إلى المتلمس انتهى ، ونسبه ياقوت الحموى فى معجم الأدباء إلى مروان النحوى لأبى مروان قال : سمعت بعض النحويين ينسب إليه هذا البيت... وقال فى

ترجمته: هو مروان بن سعيد بن عباد بن حبيب بن المهلب ابن أبي صفرة المهلبي النحوي ، أحد أصحاب الخليل المتقدمين فى النحو المبرزين

وأنشد بعده

« (وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه) »

(١٥٨) فلا حسباً فخرت به لتيم ٭ ولا جداً إذا ازدحم الجدود

على أنه يجوز النصب فى قوله « حسبا » والرفع لوقوعه بعد حرف النفي: أما نصبه فبفعل مقدر متعد إليه بنفسه فى معنى الفعل الظاهر ، والتقدير فلا ذكرت حسبا فخرت به ، ولا جدا معطوف على قوله حسبا وهو بمنزلة قولك أزيداً مررت به، وإنما لم يجز إضمار الفعل المتعدى بحرف الجر لأن ذلك يؤدى إلى إضمار حرف الجر ولا يجوز إضماره لأنه مع المجرور كشيء واحد وهو عامل ضعيف فلا يجوز أن يتصرف فيه بالأضمار والأظهار كما يتصرف فى الفعل، وأما الرفع فعلى الابتداء وجملة فخرت به صفته . ولتيم هو الخبر . وروى بدل قوله لتيم « كريم » وهو الثابت، وجدا معطوف على حسبا . قال السيرافى : لما جاز الرفع مع الاستفهام وإن كان الاختيار النصب كان الرفع فى حروف النفي أقوى لأنها لم تبلغ أن تكون فى القوة مثل حروف الاستفهام . والحسب الكرم وشرف الانسان فى نفسه وأخلاقه . والجد أبو الأب . يقول ما ذكرت لتيم حسبا تفتخر به لأنك لم تجد لها شيئاً تذكره ولا لك جد شريف تعول عليه عند ازدحام الناس للمفاخر عليه . وقيل الجد هنا الحظ أي ليس لتيم حظ فى علو المرتبة والذكر الجميل

وهذا البيت من قصيدة طويلة لجرير هجا بها الفرزدق وتيم الرباب وليست من النقائض وهى إحدى القصائد الثلاث التى هي خير شعره كذا فى منتهى الطلب من أشعار العرب، وزعم الاعلم وتبعه ابن خلف وغيره أن جريرا هجا بها عمر بن لجأ وهو من تيم عدى ، والرباب — بكسر الراء — جمع رب — بضمها — قال ابن الكلبي فى جمهرة الأنساب: ولد مناة بن أد تيما وهم الرباب وعديا بطن وعوفا والأشيب وثوراً وإنما سموا الرباب لأن تيما وعديا وثورا ، عوفا وأشيب وضبة بن أد غمسوا أيديهم

فى الرب فتحالفوا على بنى تميم فسموا الرباب فهم جميعاً الرباب وخصت تيم أيضاً بالرباب انتهى . ومن هذه القصيدة :

لقد أخزى الفرزدق رهط ليلى ... وتيم قد أقادهم مقيد
خصيت مجاشعا وجدعت تيما ... وعندى فاعلموا لهم مزيد
أتيماً تجعلون إلىّ ندا ... وهل تيمٌ لذى حسب نديدُ ؟
أزيدَ مناةَ تدعو يا ابن تيم ... تبيَّنْ أين تاه بك الوعيد !؟
أتوعدنا وتمنع ما أردنا ... ونأخذ من رواتك ما نريد ؟
ويُقضى الأمر حين تغيب تيم ... ولا يستأذنون وهم شهود
فلا حسب فخرت به كريم ... ولا جد إذا ازدحم الجدود
لئامُ العالمين كرامُ تيمٍ ... وسيدهم وإن زعموا مَسودُ
وإنك لو لقيت عبيد تيم ... وتيما قلت : أيهما العبيد
أرى ليلا يخالفه نهار ... ولؤم التيم ما اختلفا جديد
بخبث البذر ينبت بَذْرُ تيمٍ ... فما طال النبات ولا الحصيد
تمنى التيم أن أباه سعدٌ ... فلا سعد أبوه ولا سعيد
ومالكم الفوارس يا ابن تيم ... ولا المستأذنون ولا الوفود
أهانك بالمدينة يا ابن تيم ... أبو حفص وجدَّعك النشيد
وإن الحاكمين لغير تيم ... وفينا العز والحسب التليد
وإن التيم قد خبثوا وقلوا ... فما طابوا ولا كثر العديد
إذا تيمٌ ثوت بصعيد أرض ... بكى من خبثِ ريحهم الصعيد
أتيما تجعلون إلى تميم ... بعيد فضل بينهما بعيد ؟!!
كساكَ اللؤمُ لؤمُ أبيك تيمٍ ... سَرابيلا بَنائِقُهُنّ سودُ

وقوله أتيما تجعلون إلى ندا البيت أورده صاحب الكشاف والقاضى على أن

الندمن قوله تعالى «فلا تجعلوا لله أنداداً » بمعنى المثل المناوى المعادى وهو من ندندو دا إذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل فى الذات كما خص المناوى بالمماثل فى القدر ، قال السعد : و إلى كان فى الأصل صفة لقوله ندا فلما قدم صار حالا منه ؛ و إلى بمعنى اللام . وقال السيد : هذا لا يصح لأن ندا خبر المبتدأ فى الأصل و إنما هو حال من قوله تيما.وفيه أن تيما فى الأصل مبتدأ ، وعند سيبويه يجوز مجىء الحال من المبتدأ وعند الأخفش من الخبر . والاستفهام للانكار ، والتنوين فى ذى حسب للتحقير ، يعنى أن تيما ليس ندا لذى نسب حقير فكيف يجعل ندا لمثلى ، و يجوز أن يكون للتعظيم ، و يريد بذى حسب نفسه ، والنديد بمعنى الند

وترجمة جرير تقدمت فى الشاهد الرابع من أوائل الكتاب

وأنشد بعده

(وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد المائة ، وهو من الحماسة)

(١٥٩) إذا الخصمُ أبْزَى مائل الرأسِ أنْكَبُ

وقبله :

فهلاّ أعدّونى لمثْلى تفَاقدوا

على أن إذا الشرطية يجوز عند الكوفين وقوع الجملة الاسمية بعدها لكن بشرط كون خبرها فعلا إلا فى الشاذ كهذا البيت

قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : يروى إذ و إذا جميعاً : فمن رواه إذ حكى الحال المتوقعة كقول الله سبحانه « إذ الأغلال فى أعناقهم » ومن رواه إذا فهو كقولك أتيتك إذا زيد قائم . وهذا جائز على رأى أبى الحسن ، وذلك أنه يجيز الابتداء بعد إذا الزمانية المشروط بها انتهى

وأبزى من قولهم رجل أبزى وامرأة بزواء وهو الذى يخرج صدره و يدخل ظهره ، وأبزى ههنا مثل ومعناه الراصد الخاتل لأن الخاتل ربما انثنى فيخرج عجزه وقال أبو رياش : أبزى تحامل على خصمه ليظلمه ، فجعل أبزى فعلا ولا يمتنع ذلك وإنما المعروف أن يقال بزوت الرجل ، ومنه اشتقاق البازى من الطير إذا استعمل على وزن القاضى ، وعليه فالخصم مرفوع بفعل يفسره أبزى ، ويرفع مائل الرأس على أنه

بدل من الخصم، والأنكب المائل وأصله الذى يشتكى منكبيه فهو يمشى فى شق وماثل الرأس أى مصعر من الكبر، وقوله تفاقدوا دعاء قد اعترض به بين أول الكلام وآخره، يقول: هلا جعلونى عدة لرجل مثلى فقد بعضهم بعضا وقد جاءهم الخصم متأخر العجز مائل الرأس منحرفا، وهذا تصوير لحال المقاتل إذا انتصب فى وجه مقصوده وهو أبلغ فى الوصف من كل تشبيه، ومثله قول الآخر:

جاؤا بمذقٍ هل رأيتَ الذئب قطّ

ألا ترى أنه لو صور لون المذق لما قال هل رأيت

وهذا البيت من أبيات خمسة فى الحماسة لبعض بنى فقعس أولها:

رأيت مواليّ الألى يخذلوننى على حَدَثانِ الدّهرْ إذْ يتقلّب

الموالى هنا أبناء العم، والألى فى معنى الذين، ويخذلوننى من صلته. يقول رأيت: أبناء عمي هم الذين يقعدون عن نصرتى على تقلب الزمان وتصرف الحدثان، وقوله على حدثان الخ حال أى يخذلوننى مقاسيا لما يحدث فى أوان تقلبه وتغيره

فهلا أعدونى لمثلى ؟ تفاقدوا إذ الخصم أبزى مائل الرأس أنكب

وهلا أعدونى لمثلى ؟ تفاقدوا وفى الأرض مبثوث شجاع وعقرب

كرره تأكيداً وتفظيعاً للامر، والمعنى: هلا جعلونى عدة لرجل مثلى فى الناس، فقد بعضهم بعضا وقد انتشر أعداء كثيرة وأنواع من الشر فظيعة، والشجاع الحية وكنى به وبالعقرب عن الأعداء والشر. وارتفاع شجاع يجوز أن يكون على البدل من مبثوث، ويجوز أن يكون على الابتداء ومبثوث خبره قدم عليه، قال ابن جنى فى اعراب الحماسة: يروى مبثوثا ومبثوث فمن نصب فلأنه صفة نكرة قدم عليها فنصب على الحال منها، ومن رفع رفع بالابتداء وجعل شجاع وعقرب بدلا من مبثوث فإن قلت: فهلا قال: وفى الأرض مبثوثون أو مبثوثان ؟ قلت: فيه جوابان (أحدهما) أنه لم يرد بشجاع وعقرب الاثنان الشافعان للواحد وإنما أريد به الأعداء الذين بعضهم شجعان وبعضهم عقارب أى أعداء فى خبثهما ونكرهما فلما لم يرد حقيقة التثنية وإنما أراد الأعداء ذهب به مذهب الجنس (والوجه الآخر) أن يكون أراد وفى الأرض مبثوثا شجاع أى شجاع مبثوث فلما قدمه عليه نصبه حالا منه ثم عطف عقرب على

الضمير فى مبثوثا ، وكذلك إذا رفعت تعطف عقرب على الضمير فى مبثوث فأذا سلكت هذه الطريق سقطت عنك كلفة الاعتذار من ترك التثنية انتهى ملخصا

فلا تأخذوا عقــلاً من ٱلقوم إنّنى   أرى العار يبقى والمعاقلَ تذهبُ
كأنّك لم تسبَقْ من الدّهْرِ ليلةً   إذا أنت أدركت الذى أنت تطلُبُ

لك فى المعاقل الرفع على الاستئناف والنصب عطفا على العار ، يقول : لا ترغبوا فى قبول الدية فأنه عار والعار يبقى أثره والأموال تفنى والمعاقل جمع المعقلة ، والمعقلة — بضم القاف وكسرها والميم فيهما مفتوحة — والعقل الدية وأصله الابل كانت تعقل بفناء ولى المقتول وهو مصدر وصف به ، وحكى الأصمعى صار دمه معقلة على قومه أى صاروا يدونه . وقوله « كأنك لم تسبق » الخ يقول : من أدرك ما طلبه من الثأر فكأنه لم يصب ولم يوتر . وهذا بعث وتحضيض على طلب الدم والزهد فى الدية

وبنو فقعس حى من بنى أسد ، وفقعس اسم مرتجل غير منقول وقيل الفقعسة البلادة . قال ابن الكلبي فى جمهرة الأنساب : فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين — بالتصغير — ابن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ونسب صاحب الحماسة البصرية هذه الأبيات إلى عمرو بن أسد الفقعسى . والله أعلم

وأنشد بعده

لا تجزعي إنْ منفِسٌ أهلكْتُه   وإذا هلكْت فعِنْدَ ذَلِكِ فاجزعي

تقدم شرحه مستوفى فى الشاهد السادس والأربعين (١)

وأنشد بعده

(وهو الشاهد الستون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه)

(١٦٠) إذَا ابنُ أبي موسَى بِلالاً بلغْتِهِ   فقامَ بفأسٍ بين وِصْلَيْكِ جازِرُ

على أنه يقدر على مذهب المبرد فى رواية رفع ابن إذا بلغ ابن أبى موسى بلغ — بالبناء للمفعول — فيكون ابن نائب الفاعل لهذا الفعل المحذوف ، وبلا لا ينبغي أن

(١) انظر ص ٢١٥ من الجزء الأول

يكون بالرفع لأنه بدل من ابن أو عطف بيان له وقد رأيته مرفوعا فى نسختين صحيحتين من إيضاح الشعر لأبى على الفارسى إحداهما بخط أبى الفتح عثمان بن جنى، وفى نسخ المغنى وغيره نصب بلال مع رفع ابن قال الدمامينى فى شرحه : و بلالا منصوب بفعل محذوف آخر يفسره بلغته والتقدير إذا بلغ ابن أبى موسى بلغت بلالا بلغته ، ولا يخفى ما فيه من التكلف والتقدير المستغنى عنه ، وقد روى بنصب ابن أيضاً قال سيبويه : والنصب عربى كثير والرفع أجود . قال النحاس : وغلطه المبرد فى الرفع لأن إذا بمنزلة حروف المجازاة فلا يجوز أن يرتفع ما بعدها بالابتداء قال أبو إسحق الزجاج : الرفع فيه بمعنى إذا بلغ ابن أبى موسى وكذلك قال أبو على : إن إذا هذه تضاف إلى الأفعال وهى ظرف من الزمان ومعناها على أن تدخل من الأفعال لأن معناها الشرط والجزاء ، وقد جوزى بها فى الشعر فاذا وقع بعدها اسم مرتفع فليس ارتفاعه بالابتداء ولكن بابه فاعل والرافع له يفسره الفعل الذى بعد الاسم كأنه قال : إذا بلغ ابن أبى موسى بلال بلغته وكذلك إذا وليها اسم منصوب صار على تقدير إذا بلغت ابن أبى موسى بلالا بلغته وقال أبو على أيضاً فى ايضاح الشعر : قال القطامى :

إذا التياز ذو الفضلات قلنا إليك إليك ضاق بها ذراعا

فاعل ضاق ضمير التياز وضاق جواب إذا والتياز يرتفع بفعل مضمر يفسره قلنا التقدير إذا خوطب التياز و قلنا معناه قلنا له وهو مفسر لخوطب أو كلم و نحو ذلك مما يفسره قلنا له وهو رافع التياز كانشاد من أنشد :

إذا ابنُ أبى موسي بِلالا بلغته

والمعنى ضاق ذرع التياز بأخذ هذه الناقة لأنه لا يضبطها من شدتها ونشاطها فكيف من هو دونه، ومن أنشده « إذا ابن أبى موسى بلالا » بالنصب نصب التياز أيضاً فهو بمنزلة إذا زيداً مررت به جئتك ويقوى إنشاد من أنشد إذا ابن أبى موسى بالرفع قول لبيد

فأن أنتَ لم ينفعْكَ علمك فانتسب لعلك تهديك القرون الأوائل

الا ترى أن « أنت » يرتفع بفعل فى معنى هذا الظاهر كان لو أظهرته فان لم تنتفع ، ولو حمل أنت على هذا الفعل الظاهر الذى هو ينفعك لوجب أن يكون موضع أنت إياك

لأن الكاف الذي هو سيبه هي مفعولة منصوبة فهذا البيت يقوى إنشاد من أنشده إذا ابن أبي موسى، بالرفع على إضمار فعل فى معنى الظاهر نفسه انتهى

وقوله « فقام بفأس »هو جواب إذا و دخلت الفاء على الفعل الماضي لأنه دعاء كما تقول إن أعطيتنى فجزاك الله خيراً ولو كان خبراً لم تدخل عليه الفاء، والفأس معروفة وهي مهموزة وروى بدلها بنصل —بفتح النون— والنصل حديدة السيف والسكين والوصل بكسر الواو المفصل وهو ملتقى كل عظمين و هو واحد الأوصال والمراد بوصليها المفصلان اللذان عند موضع نحرها. والجازر إسم فاعل من جزر الناقة إذا نحرها وهو فاعل قام، وبلال هذا هو بلال ابن أبي بردة ابن أبي موسى الأشعرى، والتاء من بلغته مكسورة خطاب لناقته وكذلك الكاف فى وصليك دعاء عليها بالنحر و الجزر إذا بلغته إلى ابن أبي موسى. وقد عيب عليه كما سيأتى

وهذا البيت من قصيدة لذى الرمة غيلان مدحها بلالا مطلعها

لمية أطلالٌ بحزوى دوائر ... عفتها السوافى بعدنا والمواطرُ

إلى أن قال :

إلى ابن أبي موسى بلال طوت بنا ... قلاصٌ أبوهنّ الجديل وداعر

بلاداً يبيت البوم يدعو بناته ... بها ومن الأصداء والجنّ سامر

تمرّى برحلى بكرة حميرية ... ضناكٌ التوالى عيطلُ الصدر ضامر

تمرى تمضي. والضناك بالكسر المكتنزة الغليظة ، وتواليها مآخرها، والعيطل الطويلة

أقول لها إذ شمر السير واستوت ... بها البيد واستنت عليها الحرائر

إذا ابنُ أبي موسي بلالاً بلغته ... «البيت»

شمر السير قلص، واستوت بها البيد أى لا علم بها، واستنت اطردت، والحرائر جمع حرور وهى ريح السموم

و بلال هو ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعرى قال ابن حجر فى التهذيب: وهو من الطبقة الخامسة من التابعين مات سنة نيف وعشرين ومائة ، وقال فى تهذيب التهذيب : هو أمير البصرة وقاضيها ؛ روى عن أنس فيما قيل وعن أبيه وعمه أبي بكر روى له الترمذى حديثاً وذكره، البخارى فى الأحكام، وذكره الصقلى فى كتاب

الضعفاء. قال خليفة الخياط: ولاه خالد القسرى القضاء سنة تسع ومائة. وحكى عن مالك ابن دينار أنه قال لما ولى بلال القضاء:

يالكِ أُمّةً هالكتْ ضياعاً

فلم يزل قاضياً حتى قدم يوسف ابن عمر سنة عشرين ومائة فعزله، وروى المبرد أن أول من أظهر الجور بين القضاة فى الحكم بلال. وكان يقول: إن الرجلين ليختصمان إلى فأجد أحدهما أخف على قلبي فأقضى له. وروى ابن الانبارى أنه مات فى حبس يوسف ابن عمر وأنه قتله دهاؤه وقال للسجان: اعلم يوسف أنى قدمت ولك مني مايغنيك فقال يوسف: أحب أن أراه ميتاً فرجع إليه السجان فألقى عليه شيئاً فغمه حتى مات ثم أراه يوسف. وقال جويرية بن أسماء: لما ولى عمر بن عبد العزيز وفد إليه بلال فهنأه ثم لزم المسجد يصلي ويقرأ ليله ونهاره فدس عمر إليه ثقة له فقال له: إن عملت لك ولاية العراق ما تعطيني؟ فضمن له مالا جزيلا فأخبر بذلك فنفاه وأخرجه وكتب إلى عامله على الكوفة: إن بلالا غرنا بالله فكدنا نغتر به ثم سبكناه فوجدناه كله خبثاً.

وترجمة ذى الرمة تقدمت فى الشاهد الثامن فى أوائل الكتاب

روى المرزبانى فى كتاب الموشح عن أبى بكر الجرجانى عن المبرد عن التوزى أنه قال: أنشد ذو الرمة قصيدته فى بلال بن أبى بردة فلما بلغ قوله:

إذا ابن أبى موسى بلالاً بلغته «البيت»

قال له عبد الله بن محمد بن وكيع: هلا قلت كما قال سيدك الفرزدق:

قد استبطأت ناجيــــة ذمولا وإن الهم بي وبها تســـامى

أقول لناقتى لمـــا تَرَامَتْ بنا بيـــدٌ مُسرْبَلة الْقَتَام

إلامَ تلفّتـــين وأنتِ تحتّى وخـــيرُ الناس كلهم أمامى ؟

متى تَرِدِى الرصافة تستريحى من التصدير والدبر الدّوامى اهـ

قال الأصبهانى فى الأغانى: وقد أخذ هذا المعنى من الفرزدق داود بن سلم فى مدحه قثم بن العباس أخا عبد الله بن العباس رضى الله عنهم فأحسن وقال:

غنيت من حلى ومن رحلى يا ناق إن أدنيتنى[1] من قثم

(١) كذا بالأصل والأفضل «أدنيتنى»

إنكِ إن أدنيت منــــه غدا حالفنى اليسر وزال العــــدم
فى كفه بحر وفي وجهه بدر وفى العرنين منه شمم

وقال التاريخى : لمـا أنشد مروان بن أبى حفصة يحيى بن خالد :

إذا بلّغتنا العيسُ يحيى بنَ خالدٍ أُخذنا بحبل اليسر وانقطع العسر

قال له يحيى : لاعليك أن لاتقول شيئا بعد هذا

(أقول): الفرزدق قد سلك طريقة أعشى ميمون فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله :

فاليت لا أرثى لها من كلالةٍ ولا من وجًى حتى تلاقى محمدا
متى ماتُناخى عند باب ابنِ هاشم تراحى وتلقَى من فواضله ندى

وذو الرمة مأخذه من قول الشماخ .

رَأَيْتُ عَرَابةَ الأوْسِيّ يسمو إلى الخيراتِ منقطعَ القرين
إذا ما رايةٌ رفعتْ لمجـــدٍ تلقّاهــا عــرابة باليمـــين
إذا بلّغتِني وحملتِ رَحْلى عَرابةَ فاشْرَقى بدمِ الوتين

قال المبرد فى الكامل : وقد أحسن كل الاحسان فى قوله

إذا بلغتنى وحملت رحـلى «البيت»

يقول : لست أحتاج أن أرحل إلى غيره ، وقد عاب بعض الرواة قوله « فاشرقى بدم الوتين » وقال : كان ينبغى أن ينظرلها مع استغنائه عنها فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصارية المأسورة بمكة وقد نجت على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله إنى نذرت إن نجوت عليها أن أنحرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لبئسما جزيتها وقال صلى الله عليه وسلم : لا نذر فى معصية الله جل وعز . ولا نذر للأنسان فى غير ملكه ، وممـا لم يعب فى هذا المعنى قول عبد الله بن رواحة الأنصارى لمـا أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زيد وجعفر على جيش مؤتة :

إذا بلغتنى وحملت رحلى مسيرة أربع بعد الحساء

فشأنك فأنعمي وخلاك ذم ولا أرجع إلى أهلي ورائى اهـ

قال بعض العلماء فيما كتبه على الكامل : هذه المرأة غفارية لا أنصارية وقد تبع الشماخ فى إساءته أبو دهبل الجمحى أيضا فى قوله يمدح المغيرة بن عبد الله وهو مطلع أبيات له فيه :

يا ناق سيرى واشرقى بدم إذا جئت المغيرة
سيثيبنى أخرى سوا لكِ وتلك لى منه يسيره
إن ابن عبدالله نعـــم أخو الذرا وابن العشيرة

وتبعه أيضاً ابن أبى العاصية السلمي فأنه لما قدم على معن بن زائدة بصنعاء نحر ناقته على بابه فبلغ ذلك معنا فتطير وأمر بأدخاله فقال : ما صنعت ؟ قال : نذرت أصلحك الله قال : وما هو ؟ فأنشد من أبيات :

نذر على لئن لقيتك سالما أن يستمر بها شفار الجازر

فقال معن : أطعمونا من كبد هذه المظلومة ، وأول من عاب على الشماخ عرابة ممدوحه فأنه قال له : بئسما كافأتها به ، وكذا عاب عليه أحيحة بن الجلاح فأن الشماخ لما أنشده البيت قال له أحيحة : بئس المجازاة جازيتها ، وممن رد عليه من الشعراء أبو نواس روى المرزبانى فى كتاب الموشح بسنده عن أبى نواس أنه قال : كان قول الشماخ عندى عيبا فلما سمعت قول الفرزدق تبعته فقلت :

وإذا المطى بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرحال(١) حرام
قربننا من خير من وطىء الحصا فلها علينا حرمة وذمام

وقلت أيضاً :

أقول لناقتى إذ قربتنى لقد أصبحت عندى باليمين
فلم أجعلك للغربان نحلا ولا قلت اشرقى بدم الوتين
حرمت على الأزمة والولايا واعلاق الرحالة والوضين

الولايا جمع ولية وهى البرذعة ، والأعلاق ما علق على الرحل من العهون وغيره والوضين حزام الرحل ، قال ابن خلكان فى ترجمة ذى الرمة : أبو نواس هو الذى

(١) يروى : « الرجال »

كشف هذا المعنى وأوضحه حتى قال بعض العلماء — ولا أستحضر الآن من هو القائل — لما وقف على بيت أبى نواس : هذا المعنى والله الذى كانت العرب تحوم حوله فتخطئه ولا تصيبه فقال الشماخ بذا وقال ذو الرمة كذا وما أبانه إلا أبو نواس بهذا البيت وهو فى نهاية الحسن اه

وقد تقدم أن أول من كشف هذا المعنى الأعشى لا أبو نواس

ورد أبو تمام أيضاً على الشماخ تابعاً لأبى نواس :

لست كشماخ المذمم فى سوء مكافاته ومجترمه
أشرقها من دم الوتين لقد ضل كريم الأخلاق عن شيمه
ذلك حكم قضي بفيصله أحيحة بن الجلاح فى أطمه

وروى المرزبانى أيضا عن أحمد بن سليمان بن وهب أن محمد بن على القنبرى الهمدانى أنشد عبيد الله بن يحيي بن خاقان قوله من قصيدة :

إلى الوزير عبيد الله مقصدها أعنى ابن يحيي حياة الدين والكرم
إذا رميت برحلى فى ذراه فلا نلت المنى منه إن لم تشرقى بدم
وليس ذاك لجرم منك أعلمه ولا لجهل بما أسديت من نعم
لكنه فعل شماخ بناقته لدى عرابة إذ أدته للاطم

فلما سمع عبيد الله هذا البيت قال : ما معنى هذا فقال له ابن سليمان : أعز الله الوزير إن الشماخ بن ضرار مدح عرابة الأوسى بقصيدة وقال فيها يخاطب ناقته :

إذا بلّغتنى وحملت رحلى «البيت»

فعاب من فعله هذا أبو نواس فقال :

أقول لناقتى إذ قرّبتنى «الأبيات»

فقال عبيد الله : هذا على صواب والشماخ على خطأ فقال له ابن سليمان : قد أتى مولانا الوزير بالحق وكذا قال عرابة الممدوح للشماخ لما أنشده هذا البيت : بئسما كافأتها به اه

«(تنبيهات) » الأولى : قول الشماخ « تلقاها عرابة باليمين » قال المبرد فى الكامل :

قال أصحاب المعانى : معناه بالقوة وقالوا مثل ذلك فى قول الله عز وجل « والسموات مطويات بيمينه» اهقال الحاتمى : أخذ الشماخ هذا من قول بشر بن أبى خازم :

إذا ما المكرُماتُ رفعن يوماً   وقصر مبتغوها عن مَداها
وضاقت أذرُعُ المثرين عنها   سما أوْسٌ إليها فاحتواها اهـ

ورأيت فى الحماسة البصرية نسبة البيت لجندب بن خارجة الطائى الجاهلى . ورواه هكذا

إذا ما راية رفعت لمجد   سما أوس اليها فاحتواها

وذكر بيتين قبله وهما :

إلى أوس بن حارثة بن لام   ليقضى حاجتى فيمن قضاها
فما وطىء الحصي مثل ابن سعدى   ولا لبس النعال ولا احتذاها

وروى أبو الفرج صاحب الأغانى عن الحسين بن يحيى عن حماد بن اسحق عن أبيه أنه قال :عرابة الذى عناه الشماخ بمدحه هو أحد أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن أوس بن قيظى بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحرث بن الخزرج وإنما قال له الشماخ الأوسى وهو من الخزرج نسبة إلى أوس بن قيظى : قال أبو الفرج : لم يصنع بن اسحق شيئاً : عرابة من الأوس لا من الخزرج وانما وقع عليه الغلط فى هذا لأن فى نسب عرابة الخزرج ، وفى الأوس رجل يقال له الخزرج ليس هو الجد الذي ينتمي اليه الخزرجيون الذى هو أخو الاوس ، هذا الخزرج بن النبيت بن مالك ابن الأوس ورده رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد لصغره مع تسعة نفر منهم ابن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدرى وأسيد بن ظهير ، وأبوه أوس من المنافقين الذين شهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم أحداً وهو الذى قال : « إن بيوتنا عورة . وماهي بعورة » وكان من وجوههم وقد انقرض عقب عرابة فلم يبق منهم أحد اهـ

قال المبرد فى الكامل: قال معاوية لعرابة بن أوس بن قيظى الانصاري : بم سدت قومك ؟ قال : لست بسيدهم ولكنى رجل منهم فعزم عليه فقال : أعطيت فى نائبتهم . وحلمت عن سفيهم ، وشددت على يدى حليمهم ، فمن فعل منهم مثل فعلى فهو مثلى ومن قصر عنه فأنا أفضل منه ، ومن تجاوزنى فهو أفضل منى

وكان سبب ارتفاع عرابة أنه قدم من سفر فجمعه الطريق والشماخ بن ضرار

المرى فتحادثا فقال له عرابة : ما الذى أقدمك المدينة ؟ فقال : قدمت لأمتار بها فملأ له عرابة رواحله براً وتمراً وأتحفه بغير ذلك فقال الشماخ ذلك اه

« (الثانية تتعلق بشعر الفرزدق) » قال القالى فى أماليه : حدثنا أبو بكر قال : أخبرنى أبو عثمان عن التوزى عن أبى عبيدة قال : خرج جرير والفرزدق إلى هشام بن عبدالملك مرتدفين على ناقة فنزل جرير يبول فجعلت الناقة تتلفت فضربها الفرزدق وقال :

علامَ تلفَّتينَ وأنت تحتى «البيتين»

ثم قال: الآن يجىء جرير فأنشده هذين البيتين فيرد على :

تلفَّتُ أنها تحتَ ابن قَيْنٍ إلى الكِرَين والفأس الكَهامِ

متى ترد الرصافة تخزفيها كخزيك فى المواسم كلّ عامِ

فجاء جرير والفرزدق يضحك فقال : مايضحكك ياأبافراس ؟ فأنشده البيتين فقال جرير:

تلفَّتُ أنها تحتَ ابن قَيْنٍ

كما قال الفرزدق سواء ... قال الفرزدق : والله لقد قلت هذين البيتين فقال جرير : أما علمت أن شيطاننا واحد اه

« والثالثة تتعلق بشعر أبى نواس الأول » . قال ابن خلكان فى ترجمته : لهذا البيت حكاية جرت لى مع صاحبنا جمال الدين محمود بن عبد الله الاربلى الاديب المجيد فى صنعة الالحان وغير ذلك فأنه جاءنى إلى مجلس الحكم العزيز بالقاهرة المحروسة فى بعض شهور سنة خمس وأربعين وستمائة وقعد عندى ساعة وكان الناس مزدحمين لكثرة أشغالهم حينئذ ثم نهض وخرج فلم أشعر إلا وقد جاء غلام وفى يده رقعة مكتوب فيها هذه الابيات:

يا أيُّها المَوْلى الذى بوجودِه أبدتْ محاسنَها لنا الأَيَّامُ

إنى حججت إلى جنابك حجة الأشواق لا مايوجب الأسلام

وأنخت بالحرم الشريف مَطِيَّتى فتسربت واستاقها الأقوام

فظللت أنشد عند نشدانى لها بيتا لمن هو فى القريض إمام

وإذا المطى بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرّحال حرام

فوقفت عليها وقلت لغلامه : ما الخبر؟ فقال: إنه لما قام من عندك وجد مداسه قد سرق فاستحسنت منه هذا التضمين ، والعرب يشبهون النعل بالراحلة ، وقد جاء هذا في شعر المتقدمين والمتأخرين واستعمله المتنبي في مواضع من شعره . ثم جاءني من بعد جمال الدين المذكور وجرى ذكر هذه الابيات فقلت له : ولكن أنا اسمى احمد لا محمد فقال : علمت ذلك ولكن أحمد ومحمد واحد . وهذا التضمين حسن ولو كان الاسم أى شيء كان اه

(وأنشد بعده)

وهو الشاهد الحادى والستون بعد المائة . وهو من شواهد سيبويه

(١٦١) فمتى واغل يزرهم يحيـــوه وتعطف عليه كأس الساقى

على أنه فصل اضطرارا بين متى ومجزومه فعل الشرط بواغل ، فواغل فاعل فعل محذوف يفسره المذكور أى متى يزرهم واغل يزرهم . وروى أيضا « يجئهم » وروى أيضا « ينبهم » من ناب ينوب . والواغل الرجل الذى يدخل على من يشرب الخمر ولم يدع وهو فى الشراب بمنزلة الوارش فى الطعام وهو الطفيلى يقال: وغل — بالفتح — يغل — بالكسر — وغلا — بالسكون — فهو واغل ووغل — أيضاً بالسكون — كذا فى كتاب النبات للدينورى . والكأس — بالهمزة — مؤنثة قال أبو حنيفة فى كتاب النبات — وذكر أسماء الخمر فقال — : ومنها الكأس وهو اسم لها ولا يقال للزجاجة كأس إن لم يكن فيها الخمر ثم أورد حججا على ذلك منها قول الله تعالى « يطاف عليهم بكأس من معين » وقد رد عليه أبو القاسم على بن حمزة البصرى اللغوى فى كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة فيما كتبه على كتاب النبات فقال : قد أساء فى هذا الشرط . الكأس نفس الخمر كما قال والكأس الزجاجة وقول الله تعالى الذى احتج به هو حجة عليه ومثله قوله تعالى «بأكواب وأباريق وكأس من معين » أى ظرف فيه خمر من هذه التى هذه صفتها وقد قال سبحانه « وكأسا دهاقا » والدهاق الملأى ولا يجوز انه اراد خمرا ملأى وهذا من فاسد من القول ، والعرب تقول سقاه كأسا مرة وجرعه كأسا من السم وقال :

وقدْ سقى القومْ كأسَ النعسة السَّهرُ

وأوضح من هذا كله وأبعد من قول أبي حنيفة ماانشده ابو زياد لريسبان بن عميرة. من بني عبد الله بن كلاب :

وأول كأس من طعام تذوقه ذرا قضب يجلو نقيا مفلجاً

فجعل سواكها كأساً وجعل الكأس من الطعام وبعض من تبعيضا يدل على صحة ماقلناه وقال آخر :

من لم يمت عبطة يمت هرماً للموت كأس والمرء ذائقها

وقال كراع : الكأس الزجاجة والكأس أيضاً الخمر فبدأ بقولنا اه

وتعطف بالبناء للمفعول . . . .وهذا البيت من قصيدة لعدى بن زيد العبادى وبعده :

ويقول الأعداء أوْدى عدىٌّ وبنوه قد أيقنوا بعلاق

وقد تقدمت ترجمته فى الشاهد الستين

وأنشد بعده

(وهو الشاهد الثانى والستون بعد المائة . وهو من شواهد سيبويه)

(١٦٢) صعدة نابتة فى حائر أينما الريح تميلها تمل

لما تقدم قبله فتكون الريح فاعلة بفعل محذوف يفسره المذكور أى أينما تميلها الريح تميلها

وهذا البيت من قصيدة لابن جعيل منها هذه الأبيات :

وضجيعٍ قدْ تعللْتُ به طيِّبٍ أرْدانُه غيرِ تَفِلْ

في مكان ليس فيه برم وفراش متعال متمهل

فاذا قامت الى جاراتها لاحت الساق بخلخال زجل

وبمتنين إذا ما أدبرت كالعنانين ومرتج رهل

صعْدةٌ قد سمقت فى حائر «البيت»

الضجيع المضاجع مثل النديم بمعنى المنادم والجليس بمعنى المجالس من الضجوع وهو وضع الجنب على الأرض وهو مجرور برب المقدرة بعد الواو . وجملة قدتعللت

جواب رب وهو العامل فى مجرورها . وقد وقع جواب رب قبل وصفه . والتعلل التلهى ، وطيب صفة ضجيع ، وأرد انه فاعله . والتفل — بفتح المثناة الفوقية وكسر الفاء — وصف من تفلت المرأة تفلا فهى تفلة — من باب تعب — تركت الطيب والأدهان . والبرم — بفتحتين — مصدر برم به — بالكسر — إذا سئمه وضجر منه ، وفراش معطوف على مكان ، ومتمهل اسم فاعل من اتمهل الشيء — على وزن اقشعر — أى طال واعتدل وأصل المادة تمهل بمثناة فوقية فميم فهاء فلام . وزجل — بفتح الزاء المعجمة وكسر الجيم — أى مصوت وذلك أنهم كانوا يجعلون فى الخلاخيل جلاجيل . وقوله « و بمتنين » هو تثنية متن وهو — كما قال ابن فارس — مكتنفا الصلب من العصب واللحم وهو متعلق بمحذوف أى و إذا ماأدبرت أدبرت بمتنين كالعنانين و بمرتج الخ هو مثنى عنان الفرس و عنانا المتن حبلاه أراد أن خصرها مجدول لطيف وأراد بالمرتج الكفل . والرهل — بفتح فكسر — المضطرب . وقوله « صعدة » أى هى صعدة والصعدة القناة التى تنبت مستوية فلا تحتاج الى تثقيف وتعديل وامرأة صعدة مستوية القامة شبهها بالقناة . وأنشده الجوهرى فى مادة صعد ولم ينسبه إلى أحد . وقال العينى : نسبه الجوهرى إلى الحسام بن صداء الكلبى . ولاأدرى أين ذكره والحائر — بالحاء المهملة — قال أبو نصر : يقال للمكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف حائر وأنشد هذا البيت . وإنما قيل له حائر لأن الماء يتحير فيه فيجىء و يذهب . قال الأعلم الحائر القرارة من الأرض يستقر فيها السيل فيتحير ماؤه أى يستدير ولا يجرى وجعلها فى حائر لأن ذلك أنعم لها وأسد لنبتها إذا اختلفت الريح اه وقال بكر الزبيدى فى كتاب لحن العامة : ويقولون للحظيرة تكون فى الدار حيرا و يجمعونه أحيارا والصواب حائر وجمعه حوران وحيران و بالبصرة حائر الحجاج معروف ، وقال أحمد بن يحيى ثعلب : الحائر هو الذى تسميه العامة حيرا وهو الحائط اه وروى بدل نابتة « قد سمقت » أى طالت وارتفعت

وابن جعيل صاحب هذا الشعر بضم الجيم مصغر جعل واسمه كعب بن جعيل ابن قمير — مصغر قمر — ابن عجرة بن ثعلبة بن عوف بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب بن وائل . وهو شاعر مشهور إسلامى كان فى زمن معاوية وفيه يقول عتبة بن الوغل التغلبى :

سميت كعبا بشر العظام ... وكان أبوك يسمى الجعل

وإن مكانك من وائل ... مكان القراد من أست الجمل

هكذا ذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف ونسب إليه الشعر الذى منه بيت الشاهد

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : وكعب بن جعيل هو الذى قال له يزيد بن معاوية اهج الأنصار فدله على الأخطل، ولكعب هذا أخ يقال له عمير بن جعيل —بالتصغير— وهو شاعر أيضا وهو القائل يهجو قومه :

كسا الله حيىَّ تغلب ابنة وائل ... من اللؤم أظفاراً بطيأ فصولها

ثم ندم فقال :

ندمتُ على شتمى العشيرةَ بعدما ... مضتْ واستتبّتْ للرواة مذاهبُهْ

فأصبحتُ لا أسطيع دفعاً لما مضى ... كما لا يَرُدُّ الدَّرَّ فى الضرْع حالبُهْ

وفى الشعراء شاعر آخر يقال له ابن جعيل — بالتصغير — واسمه شيبب التغلبى وستأتى ترجمته إن شاء الله تعالى فى خبر ما ولا . وفيهم أيضا من يقال له ابن جعل مكبرا وهو تغلبى أيضا كاللذين قبله واسمه عميرة — بفتح العين — ابن جعل بن عمرو ابن مالك بن الحرث بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل شاعر جاهلى ، وهو القائل :

فمن مبلغ عنى إياس بن جندل ... أخا طارق والقول ذو نفيان

فلا توعدنى بالسلاح فأنما ... جمعت سلاحي رهبة الحدثان

جمعت ردينيا كأن سنانه ... سنى لهب لم يتصل بدخان

كذا فى المؤتلف أيضا للآمدى

(وأنشد بعده)

وهو الشاهد الثالث والستون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه

(١٦٣) ألا رجلاً جزاهُ اللهُ خيراً ... يدل على مُحصّـلةٍ تبيتُ

على أن ألا عند الخليل قد تكون للتحضيض كما فى هذا البيت ، أى ألا ترونى رجلا ، هو بضم التاء من الأراءة لا بفتحها من الرؤية ، قال سيبويه : وسألت الخليل

عن هذا البيت فزعم أنه ليس على التمنى ولكن بمنزلة قول الرجل فهلا خيرا من ذاك كأنه قال : ألا ترونى رجلا جزاه الله خيرا . قال ابن هشام فى المغنى : ومن معانى ألا العرض والتحضيض ومعناهما طلب الشىء ولكن العرض طلب بلين والتحضيض طلب بحث وتختص ألا هذه بالفعلية ومنه عند الخليل هذا البيت والتقدير عنده ألا ترونى رجلا هذه صفته فحذف الفعل مدلولا عليه بالمعنى . وزعم بعضهم أنه محذوف على شريطة التفسير أى ألا جزى الله رجلا جزاه خيرا وألا على هذا للتنبيه . وقال يونس : ألا للتمنى ونون الاسم للضرورة . وقول الخليل أولى . لأنه لاضرورة فى إضمار الفعل بخلاف التنوين . وإضمار الخليل أولى من إضمار غيره لأنه لم يرد أن يدعو لرجل على هذه الصفة وإنما قصد طلبه . وأما قول ابن الحاجب فى تضعيف هذا القول : إن يدل صفة لرجل فيلزم الفصل بينهما بالجملة المفسرة وهى أجنبية — فمردود بقوله تعالى « ان امرؤ هلك ليس له ولد » ثم الفصل بالجملة لازم وإن لم تقدر مفسرة إذ لا تكون مفسرة لأنها إنشائية اهـ كلام المغنى . وقدر العامل غير الخليل ألا أجد رجلا . وقدره بعضهم ألا هات رجلا . وروى « ألا رجل » بالرفع والجر : فالرفع اختاره الجوهرى على أنه فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور أى ألا يدل رجل وقيل رجل مبتدأ تخصص بالاستفهام والنفى وجملة يدل خبره . والجر على تقدير ألا دلالة رجل فحذف المضاف وبقى المضاف إليه على حاله . وقال الصاغانى فى العباب : الجر على معنى أما من رجل وهما ضعيفان . وجملة جزاه الله خيرا دعائية لامحل لها

وهذا البيت من قصيدة طويلة لعمرو بن قعاس المرادى وهذا مطلعها وأبيات منها :

ألا يابيت بالعلياء بيت ... ولولا حب أهلك ما أتيت
ألا يا بيت أهلك أوعدونى ... كأنى كل ذنبهم جنيت
ألا بكر العواذل فاستميت ... وهل من راشد إمّا غويت
إذا ما فاتنى لحم غريض ... ضربت ذراع بكرى فاشتويت
وكنت متى أرى رقا مريضا ... يصاح على جنازته بكيت
أمشى فى سراة بنى غطيف ... اذا ما سامنى ضيم أبيت
أرجل لمتى وأجر ذيلى ... وتحمل بزّتى أفق كميت

وبيت ليس من شعر وصوف على ظهر المطية قد بنيت
ألا رجلا جزاه الله خيراً يدل على محصلة تبيت
ترجل لمتى وتقم بيتى وأعطيها الأتاوة ان رضيت

والبيت الأول منشواهد سيبويه نسبه إلى عمرو بن قعاس وأورده فى بابالنداء قال الأعلم : الشاهد فيه رفع البيت لأنه قصده بعينه ولم يصفه بالمجرور بعده فينصبه لأنه أراد لى بالعلياء بيت ولكنى أو ثرك عليه لمحبتى فى أهلك ، وقوله « كانى كل ذنبهم أتيت » قال المازنى : معناه كانى جنيت كل ذنب أتاه إليهم آت ، وقوله « فاستميت » أى علوت عن سماع عذلهن وهو افتعلت من السمو أى أنا أعلى من أن ألام على شىء وهل من راشد لى إن غويت ، واللحم الغريض الطرى والبكر بالفتح والرق بكسر الراء المهملة يصف نفسه بالعفة ورقة القلب . وأمشي — بالتشديد — لغة فى أمشى بالتخفيف ، وغطيف — بالتصغير — جده الأعلى ، والبزة قال فى المصباح : يقال فى السلاح بزة بالكسر مع الهاء وبز بالفتح مع حذفها وروى بدله « وتحمل شكتي » بكسر الشين وهى السلاح أيضا ، وأفق — بضمتين — الفرس الرائع للأنثى والذكر كذا فى العباب وأنشد هذا البيت ، والكميت من الخيل بين الأسود والأحمر وقال أبو عبيد : ويفرق بينه وبين الأشقر بالعرف والذنب فأن كانا أحمرين فهو أشقر وان كانا أسودين فهو الكميت ، وقوله « وبيت ليس من شعر الخ » يريد أنى جعلت ظهر المطية بدلا من البيت وهذا أبلغ من قول محمد بن هانىء الاندلسى :

قوم يبيت على الحشايا غيرهم ومبيتهم فوقالجياد الضمر

والحشايا جمع حشية وهى الفراش ، وقوله « يدل على محصلة تبيت » المحصلة — بكسر الصاد — قال الجوهرى وابن قابوس وتبعهما صاحب العباب والقاموس وغيرهما هى المرأة التى تحصل تراب المعدن وأنشدوا هذا البيت ، قال ابن فارس : وأصل التحصيل استخراج الذهب من حجر المعدن وفاعله المحصل ، وهذا كما ترى ركيك والظاهر ماقاله الأزهرى فى التهذيب فأنه أنشد هذا البيت وما بعده وقال : هما لأعرابى أراد أن يتزوج امرأة بمتعةفصاده مفتوحة ، وأنشد الأخفش هذا البيت فى كتاب المعاياة وقال : قوله محصلة موضع يجمع الناس أى يحصلهم وتبيت

فعل ناقص مضارع بات اسمها ضمير المحصلة وجملة ترجل لمتى فى محل نصب خبرها، وفيه العيب المسمى بالتضمين وهو توقف البيت على بيت آخر، وخرجه بعضهم على أنه بضم أوله من أبات أى تجعل لى بيتا أى امرأة بنكاح وعليه فلا تضمين لكنى لم أجد أبات بهذا المعنى فى كتب اللغة، وزعم الأعلم أنه فعل تام فقال: طلبها للبيت إما للتحصيل أو الفاحشة وروى بعضهم «تبيث» بالمثلثة وقال: العرب تقول بثت بالشىء بوثاً وبثته بيثاً إذا استخرجته أراد امرأة تعينه على استخراج الذهب من تراب المعدن، وهذا غفلة عما قبله وما بعده، والترجيل التسريح وإصلاح الشعر، واللمة — بالكسر — الشعر الذى يجاوز شحمة الأذن، وقم البيت قما — من باب قتل — كنسه، والأتاوة قال فى المصباح وأتوته آتوه إتاوة — بالكسر — رشوته.

وعمرو بن قعاس — بكسر القاف بعدها عين — قال الصاغانى فى العباب: ويقال بن قنعاس أيضاً أى بزيادة نون بينهما. وهذه نسبته من جمهرة ابن الكلبى: عمرو بن قعاس بن عبد يغوث بن مخدش بن عصر — بالتحريك — ابن غنم — بفتح فسكون — بن مالك بن عوف بن منبه بن غطيف بن عبد الله بن ناجية بن مالك بن مراد المرادى المذحجى، ومن ولد ابن قعاس هانىء بن عروة بن نمران بن عمرو بن قعاس قتله عبيد الله بن زياد مع مسلم بن عقيل بن أبى طالب وصلبهما اهـ.

وأنشد بعده

وهو الشاهد الرابع والستون بعد المائة

(١٦٤) تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ
بَنِى ضَوْطَرَى لَوْلاَ الْكَمِىَّ الْمُقَنَّعَا

على أن الفعل قد حذف بعد لولا بدون مفسر أى لولا تعدون قال المبرد فى الكامل: لولا هذه لا يليها إلا الفعل لأنها للأمر والتحضيض مظهراً أو مضمراً كما قال تعدون «عقر النيب البيت» أى هلا تعدون الكمى المقنعا، ومثله قدرا بن الشجرى فى أماليه وقال: أراد لولا تعدون الكمى أى ليس فيكم كمى فتعدوه، وكذلك قدره أبو على فى إيضاح الشعر فى باب الحروف التى يحذف بعدها الفعل وغيره وقال: فالناصب للكمى هو الفعل المراد بعد لولا وتقديره لولا تلقون الكمى أو تبارزون أو نحو ذلك إلا أن الفعل حذف

بعدها لدلالتها عليه ، فكل هؤلاء كالشارح جعل لو لا تحضيضية وقدر المضارع لأنها مختصة به ، وخالفهم ابن هشام فى المغنى فجعلها للتوبيخ والتنديم وتختص بالماضى وقال: الفعل مضمر أى لولا عددتم وقول النحويين لو لا تعدون مردود إذ لم يرد أن يحضهم على أن يعدوا فى المستقبل ، بل المراد توبيخهم على ترك عده فى الماضى، وإنما قال تعدون على حكاية الحال . فان كان مراد النحويين مثل ذلك فحسن اه

وتعدون اختلف فى تعديته إلى مفعولين قال ابن هشام فى شرح الشواهد : اختلف فى تعدى عد بمعنى اعتقد إلى مفعولين ، فمنعه قوم وزعموا فى قوله :

لا أعد الإقتار عُدْماً ولكن فقدُ مَنْ قد رُزِيتُه الاعدامُ

أن عدما حال وليس المعنى عليه ، وأثبته آخرون مستدلين بقوله :

فلا تَعْدُدِ الْمَوْلَى شريكك فى الغنى ولكنما المولى شريكُكَ فى العُدْم

وقوله تعدّون عقر النيب .... الخ اه

وجه الاستدلال فى البيت الأول أن قوله شريكك وفى البيت الثانى أن قوله أفضل مجدكم معرفتان لا يجوز نصبهما على الحالية لأنها واجبة التنكير ، وقوله « الكمى المقنعا » منصوب على أنه المفعول الأول لتعدون المحذوف بتقدير مضاف والمفعول الثانى محذوف أى لولا تعدون عقر الكمى أفضل مجدكم ولا يجوز أن يكون من العد بمعنى الحساب . قال اللخمى فى شرح أبيات الجمل : وأما عد من العدد وهو إحصاء الشىء فيتعدى لمفعولين أحدهما بحرف الجر وقد يحذف تقول عددتك المال وعددت لك المال اه فهو متعد باللام وتقدير من لا يستقيم ، وقدر بعضهم من حروف الجر من وقال هلا تعدون ذلك من أفضل مجدكم نقله ابن المستوفى فى شرح أبيات المفصل ، وفيه نظر وذكر أيضاً وجوهاً أخر (منها) أن أفضل مجدكم بدل من عقر النيب ، وفيه أن هذا ليس بدل اشتمال ولا بدل بعض لعدم الضمير ولا بدل كل لأنه غيره ولا بدل غلط لأنه لم يقع فى الشعر ، (ومنها) أنه منصوب على المصدر بتقدير مضاف أى تعدون عقر النيب عد أفضل مجدكم ، (ومنها) أنه نعت أو عطف بيان ، والعقر مصدر عقر الناقة بالسيف من باب ضرب إذا ضرب قوائمها به ، فقال فى المصباح : لا يطلق العقر فى غير القوائم وربما قيل عقر البعير إذا نحره ، والنيب جمع ناب وهى الناقة المسنة ، والمجد العز والشرف ، وبنى

ضوطرى منادى، قال ابن الأثير فى المرصع: بنو ضوطرى ويقال فيه أبو ضوطرى هو ذم وسب وأنشد هذا البيت وقال: وضوطرى هو الرجل الضخم اللئيم الذى لاغناء عنده وكذلك الضوطر والضيطر، ومثله فى سفر السعادة وزاد ضيطاراً وقال: وجمع ضيطار ضياطرة، وقال حمزة بن حسين: العرب تقول ياابن ضوطر أى ياابن الأمة وقال اللخمى: الضوطر المرأة الحمقاء والكمى الشجاع المتكمى فى سلاحه لأنه كمي نفسه أى سترها بالدرع والبيضة كذا فى الصحاح، والمقنع بصيغة اسم المفعول الذى على رأسه البيضة والمغفر، حاصل المعنى إنكم تعدون عقر الأبل المسنة التى لاينتفع بها ولا يرجي نسلها أفضل مجدكم هلا تعدون قتل الشجعان أفضل مجدكم وهذا تعريض بجبنهم وضعفهم عن مقارعة الشجعان ومنازلة الأقران

وهذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الفرزدق

وقضية عقر الأبل مشهورة فى التواريخ محصلها أنه أصاب أهل الكوفة مجاعة فخرج أكثر الناس إلى البوادي، وكان غالب أبو الفرزدق رئيس قومه، فاجتمعوا فى أطراف السماوة من بلاد كلب على مسيرة يوم من الكوفة فعقر غالب لأهله ناقة صنع منها طعاما وأهدى إلى قوم من تميم جفاناً، وأهدى سحيم جفنة فكفأها وضرب الذى أتى بها وقال أنا مفتقر إلى طعام غالب ونحر سحيم لأهله ناقة. فلما كان من الغد نحر غالب لأهله ناقتين ونحر سحيم ناقتين، وفى اليوم الثالث نحر غالب ثلاثا فنحر سحيم ثلاثا فلما كان اليوم الرابع نحر غالب مائة ناقه ولم يكن لسحيم هذا القدر فلم يعقر شيئاً ولما انقضت المجاعة ودخل الناس الكوفة قال بنو رياح لسحيم: جررت علينا عار الدهر هلا نحرت مثل ما نحر غالب وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين فاعتذر أن إبله كانت غائبة ونحر نحو ثلثماية ناقة، وكان فى خلافة على ابن أبى طالب رضى الله عنه فمنع الناس من أكلها وقال: إنها مما أهل لغير الله به، ولم يكن الغرض منه إلا المفاخرة والمباهاة. فجمعت لحومها على كناسة الكوفة فأكلها الكلاب والعقبان والرخم، وقد أورد القالى هذه الحكاية فى ذيل أماليه بأبسط مما ذكرناه وأورد ماقيل فيها من الأشعار: ما مدح به غالب وهجى به سحيم

(تتمة) بيت الشاهد نسبه ابن الشجرى فى أماليه للأشهب بن رميلة وكذا غيره والصحيح أنه من قصيدة لجرير لاخلاف بين الرواة أنها له، وهى جواب عن قصيدة

تقدمت للفرزدق على قافيتها ، وكان الفرزدق تزوج حدراء الشيبانيـة ، وكان أبوها نصرانيا وهى من ولد قيس بن بسطام وماتت قبل أن يصل إليها الفرزدق وقد ساق إليها المهر فترك المهر لأهلها وانصرف ، وكان جرير عاب عليه فى تزويجها فقال الفرزدق فى ذلك من قصيدة :

يقولون ذرْ حَدْرَاءَ والتُّرْبُ دونَها وكيْفَ بشىءٍ وصلُه قدْ تقطَّعا؟!
يقول ابن خنزير بكيت ولم تكن على امرأة عينى ـ إخال ـ لِتَدْمَعا
وأهون رزء لامرئ غير عاجز رزية مُرْتج الروادف أفرعا
وما مات عند ابن المراغة مثلها ولا تبعته ظاعنا حيث دعدعا

فأجابه جرير بقصيدة طويلة منها :

وحدراء لو لم ينجها الله برزت إلى شر ذى حرث دمالا ومن رعا
وقد كان رجسا طهرت من جماعه وآب إلى شر المضاجع مضجعا

ثم قال :

تعدون عقر النيب أفضل سعيكم بنى ضوطرى هلا الكمى المقنعا
وقد علم الأقوام أنّ سيوفنا عجمن حديد البيض حتى تصدعا
ألا رب جبـار عليه مهـابة سـقيناه كأس الموت حتى تضـلعا

والقصيدتان مسطورتان أيضاً فى منتهى الطلب من أشعار العرب
وترجمة جرير تقدمت فى الشاهد الرابع من أوائل الكتاب
وتقدمت ترجمة سحيم بن وثيل أيضاً فى الشاهد الثامن والثلاثين

(وأنشد بعده)

وهو الشاهد الخامس والستون بعد المائة

(١٦٥) ونُبِّئْتُ لَيْلى أَرْسَلَتْ بشَـفاعةٍ
إلىَّ فَهـلاَّ نَفْسُ لَيْلى شـفيعها

على أن الجملة الاسمية قد وقعت فيه بعد أداة التحضيض شذوذا

هذا البيت أورده أبو تمام فى أول باب النسيب من الحماسة مع بيت ثان وهو :

أأكرم من ليلى على فتبتغى به الجاه أم كنت امرأ لا أطيعها؟

قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : هلا من حروف التحضيض و بابه الفعل إلا أنه فى هذا الموضع استعمل الجملة المركبة من المبتدأ والخبر فى موضع المركبة من الفعل والفاعل . وهذا فى نحو هذا الموضع عزيز جداً . وكذا قال شراح الحماسة . وخرجه ابن هشام فى المغنى على إضمار كان الشانية أى فهلا كان هو أى الشأن ثم قال : وقيل التقدير فهلا شفعت نفس ليلى لأن الأضمار من جنس المذكور أقيس . وشفيعها على هذا خبر لمحذوف أى هى شفيعها . و نسب أبو حيان الوجه الأول لأبى بكر بن طاهر ، ونسب الوجه الثانى إلى البصريين . و نبىء يتعدى لثلاثة مفاعيل: المفعول الأول التاء وهى نائب الفاعل . و ليلى المفعول الثانى . وجملة أرسلت فى موضع المفعول الثالث و قوله « بشفاعة » أى بذى شفاعة فالمضاف محذوف أى شفيعاً . يقول : خبرت أن ليلى أرسلت إلى ذا شفاعة تطلب به جاها عندى هلا جعلت نفسها شفيعها . و قوله : « أأكرم من ليلى الخ » الاستفهام إنكار و تقريع أنكر منها استعانتها عليه بالغير ، وقوله « فتبتغى » منصوب فى جواب الاستفهام لكنه سكنه ضرورة . وأم متصلة كأنه قال أى هذين توهمت طلب إنسان أكرم على منها أم اتهامها لطاعتى لها ، وخبر أكرم على محذوف والتقدير أكرم من ليلى موجود أو فى الدنيا . وقد أورد ابن هشام هـذا البيت فى الباب الخامس من المغنى شـاهداً على اشـتراط الصفة لما وطىء به من خبر أو صفة أو حال . وفى أمالى ابن الشجرى : فى البيت إعادة ضمير من أطيعها ضمير متكلم وفاقا لكنت ، ولم يعد ضمير غائب وفاقا لامرأ على حد « بل أنتم قوم تجهلون »

والبيتان نسبهما ابن جنى فى إعراب الحماسة للصمة بن عبدالله القشيرى . قال أبو رياش فى شرح الحماسة : وكان من خبر هذين البيتين أن الصمة بن عبدالله كان يهوى ابنة عمه تسمى ريا فخطبها إلى عمه فزوجه على خمسين من الأبل فجاء إلى أبيه فسأله فساق إليه تسعاً وأربعين فقال : أكملها فقال : هو عمك وما ينظرك فى ناقة ، فجاء إلى عمه بها فقال : والله لا أقبلها إلا كلها فلج عمه ولج أبوه فقال : والله ما رأيت الألأم

منكما و أنا ألأم منكما إن أقمت معكما ، فرحل إلى الشام فلقي الخليفة فكلمه فأعجب به و فرض له وألحقه بالفرسان فكان يتشوق إلى نجد وقال هذا الشعر اه

والصمة كما فى جمهرة الأنساب هو الصمة بن عبد الله بن الحرث بن قرة بن هبيرة كان شريفاً شاعراً ناسكا عابدا . وقرة بن هبيرة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكرمه وكساه واستعمله على صدقات قومه . وينتهى نسبه إلى قشير بن كعب ابن ربيعه بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس عيلان بن مضر

(تتمة) نسب العينى البيت الشاهد إلى قيس بن الملوح قال: و يقال قائله ابن الدمينة ونسبه ابن خلكان فى وفيات الأعيان على ما استقر تصحيحه فى آخر نسخة منها لأبراهيم بن الصولى ، و إن أبا تمام أورده فى باب النسيب من الحماسة و ذكر أن وفاة إبراهيم بن الصولي فى سنة ثلاث وأربعين ومائتين ووفاة أبي تمام فى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين والله تعالى أعلم

باب التحذير

أنشد فيه

وهو الشاهد السادس والستون بعد المائة . وهو من شواهد سيبويه

(١٦٦) فأيك إياك المراء فأنه   إلى الشر دعاء وللشر جالب

على أن حذف الواو شاذ قال سيبويه : اعلم أنه لايجوز أن تقول إياك زيداً كما أنه لايجوز أن تقول رأسك الجدار وكذلك إياك أن تفعل إذا أردت إياك والفعل فأذا قلت إياك أن تفعل تريد إياك أعظ مخافة أن تفعل أو من أجل أن تفعل جاز ، يعنى أن تقع بعد إياك على وجهين ﴿ أحدهما ﴾ أن تجعل أن تفعل مصدراً هو مفعول به كما تقول إياك و زيدا وأصله أن تقول إياك وأن تفعل كما قلت إياك وزيداً ولكنهم حذفوا الواو لطول الكلام و يقدر أيضاً إياك من أن تفعل إذا حذرته الفعل (والوجه الآخر) أن تجعل أن تفعل مفعولا له وهذا لايحتاج إلى حرف عطف ، ويجوز أن يقع المصدر موقعه ، فأذا وقع أن والفعل بمنزلة المفعول ثم أوقعت المصدر موقعه لم

يك بدمن إدخال الواو عليه كما تدخل على غيره من المفعولات ،ثم قال سيبويه : إلا أنهم زعموا أن ابن أبى اسحق أجاز هذا البيت وهو قوله « فأياك إياك المراء الخ » والشاهدفيه أنه أتى بالمراء وهو مفعول به بغير حرف عطف، وعند سيبويه أن نصب المراء باضمار فعل لأنه لم يعطف على إياك . وابن أبى إسحق ينصبه ويجعله كأنوالفعل وينصبه بالفعل الذى نصب إياك.وسيبويه يقدر فيه اتق المراء كما يقدر فعلا آخر ينصب إياك . وقال المازنى : لما كرر إياك مرتين كان أحدهما عوضا من الواو . وعند المبرد المراء بتقدير أن تمارى كما تقول إياك أن تمارى أى مخافة أن تمارى

وهذا البيت نسبه أبو بكر محمد التاريخى فى طبقات النحاة . وكذلك ابن برى فى فى حواشيه على درة الغواص الحريرية، وكذلك تلميذه ابن خلف فى شرح شواهد سيبويه.للفضل بن عبد الرحمن القرشى يقوله لابن القاسم بن الفضل قال ابن برى وقبل هذا البيت :

من ذا الذى يرجو الأباعدُ نفعهُ   إذا هو لم تصلح عليه الأقاربُ

والأباعد فاعل يرجو يريد كيف يرجو الأجانب نفع رجل أقاربه محرومون منه' والمراء مصدر ماريته أماريه مماراة ومراء أى جادلته ويقال ماريته أيضاً إذاطعنت فى قوله تزييفاً للقول وتصغيراً للقائل.ولا يكون المراء إلا اعتراضاً بخلاف الجدال فأنه يكون ابتداء واعتراضاً . والجدال مصدر جادل إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، كذا فى المصباح

وأنشد بعده

* (وهو الشاهد السابع والستون بعد المائة . وهو من شواهدسيبويه) *

(١٦٧) أخاك أخاك، إنّ من لا أخاله   كساع إلى الهيجا بغير سلاح

على أن أخاك منصوب على الأغراء وهو مكرر يريد الزم أخاك غيرأن هذامما لايحسن فيه إظهار الفعل عند التكرير ويحسن إذا لم يكرر لأنهم إذا كرروا جعلوا أحد الأسمين كالفعل والاسم الآخر كالمفعول وكأنهم جعلوا أخاك الأول بمنزلة الزم فلم يحسن أن تدخل الزم على ماقد جعل بمنزلة الزم ، وجملة « إن من لا أخا له الخ » استئناف بيانى وأكد لأنه جواب عن السبب الخاص ، ومن نكرة موصوفة بالجملة

بعدها ، وقيل موصولة ولا نافية للجنس ، وأخا اسمها ، واللام مقحمة بين المتضايفين نحو قولهم « يابؤس للحرب » (١) والخبر محذوف أي موجود ونحوه . قال ابن هشام في المغني : ومن ذلك قولهم لاأبا لزيد ولا أخاله ولا غلامى له على قول سيبويه إن اسم لامضاف لما بعد اللام ، وأما على قول من جعل اللام وما بعدها صفة وجعل الاسم مشبها بالمضاف لأن الصفة من تمام الموصوف وعلى قول من جعلهما خبراً وجعل أبا وأخا على لغة من قال « إن أباها وأبا أباها » وجعل حذف النون على وجه الشذوذ فاللام للاختصاص وهي متعلقة باستقرار محذوف اهـ وقوله « كساع إلى الهيجا الخ » خبر إن يقول : استكثر من الأخوان فهم عدة تستظهر بها على الزمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « المرء كثير بأخيه » وجعل من لاأخا له يستظهر به كمن قاتل عدوه ولا سلاح معه وقد صدق فأن من قطع أخاه وصرمه كان بمنزلة من قاتل بغير سلاح

وقد أورد هذا البيت أبو عبيد القاسم بن سلام في أمثاله وقال : هو مثل في استغاثة الرجل بأهل الثقة . والهيجا الحرب تمد وتقصر قال ابن خالف : وهي فعلاء أو فعلى فيمن قصرها فيكون المحذوف منها المدون ألف التأنيث، وإنما كان حذف ألف المد أولى من حذف ألف التأنيث لوجهين . (أحدهما) أن ألف التأنيث لمعنى وألف المد لغير معنى فكان حذف ماليس لمعنى أولى مما جاء لمعنى (والثاني) أن جميع ماقصر مما همزته للتأنيث لاينصرف بعد القصر ولو كان المحذوف منه همزة التأنيث لانصرف الاسم لزوال علامة التأنيث كما صرفت قر يقرو حبير مصغر قرقرى وحبارى لزوال علامة التأنيث منه ألا ترى قوله

يارُبَّ هَيْجَا هيَ خَــيْرٌ منْ دَعَهْ

قصره ولم يصرفه . والقصر فيها ضرورة وقيل هو لغة . ولوكان المحذوف منه ألف التأنيث لقال يارب هيجا هو خير وكان ينون هيجا فيذكرها ويقول هو خير ولا يقول هي خير اهـ

---

(١) هذه قطعة من بيت هو مطلع كلمة لسعد بن مالك . وهو بتمامه :

يا بؤس للحرب التي وضعت أراهط فاستراحوا

وانظر (ج ١ ص ٣١٥) من هذا الكتاب

وهذا البيت أول أبيات لمسكين الدارمي وبعده :

وإن ابن عم المرء — فاعلم — جناحه   وهل ينهض البازي بغير جناح؟

وما طالب الحاجات إلا معذبا   وما نال شيئا طالب لنجاح

لحا الله من باع الصديق بغيره   وما كل بيع بعته برباح

كمفسد أدناه ومصلح غيره   ولم يأتمر في ذاك غير صلاح

في الأغاني وغيره أن مسكينا الدارمي لما قدم على معاوية أنشده :

إليك أمير المؤمنين رحلتها   تثير القطا ليلا وهن هجود

على الطائر الميمون والجد ساعد   لكل أناس طائر وجدود

إذا المنبر الغربي حل مكانه   فإن أمير المؤمنين يزيد

وسأله أن يفرض له فأبى عليه وكان لا يفرض إلا لليمن فخرج من عنده وهو يقول:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لاَ أَخَالَهُ   «الأبيات»

ولم يزل معاوية كذلك حتى كثرت اليمن وعزت قحطان وضعفت عدنان فبلغ معاوية أن رجلا من اليمن قال : هممت أن لا أحل حبوتي حتى أخرج كل نزاري بالشام ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس . فقدم لذلك على معاوية عطارد بن حاجب فقال له : ما فعل الفتى الدارمي الصبيح الوجه الفصيح اللسان — يعني مسكينا — فقال : صالح يا أمير المؤمنين قال : أعلمه أني قد فرضت له فله شرف العطاء وهو في بلاده فإن شاء يقيم بها أو عندنا فليفعل فإن عطاءه سيأتيه وبشره بأني قد فرضت لأربعة آلاف من قومه فكان معاوية يغزي اليمن في البحر وتميما في البر فقال النجاشي وهو شاعر اليمن :

ألا أيها الناس الذين تجمعوا   بعكاء أُناسٌ أنتمُ أمْ أباعرُ ؟

أيترك قيساً آمنين بدارهم   ونركب ظهر البحر والبحر زاخر؟!

فوالله ما أدري وإني لسائل   أهمدان تحمي ضيمها أم يحابر ؟

أم الشرف الأعلى من أولاد حمير   بنو مالك أن تستمر المرائر ؟

أأوصى أبوهم بينهم أن تواصلوا   وأوصى أبوكم بينكم أنْ تدابروا ؟!

فرجع القوم جميعاً عن وجههم فبلغ ذلك معاوية فسكن منهم وقال : أنا أغزيكم فى البحر لأنه أرفق من الخيل وأقل مؤنة وأنا أعاقبكم فى البر والبحر ففعل ذلك

ومسكين الدارمى اسمه ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبدالله بن درام بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، قال الكلبي : كل عدس فى العرب بضم العين وفتح الدال إلا عدس بن زيد هذا فأنه مضموم الدال ، هكذا فى جمهرة النسب . ومسكين الدارمى شاعر شجاع من أهل العراق ولقب المسكين لقوله :

أنا مسكين لمن أنكرنى ولمن يعرفنى جد نطق

ولقوله :

وسميت مسكيناوكانت لحاجة[1] وإنى لمسكين إلى الله راغب

وهذه القصيدة من أحسن شعره

اتق الأحمق أنْ تصْحَبَهُ إنما الأَحْمَقُ كالثَّوب الْخلق
كلما رقِّعْت منه جانباً حركته الريح وهْناً فانْخرق
أوكَصَدْعٍ في زجاج فاحش هل ترى صدع زجاج يتفق ؟
وإذا جالسته فى مجلس أفسد المجلس منه بالخرق
وإذا نَهْنَهْتَهُ كى يرعوى زاد جَهْلاً وتمادى فى الحمق
وإذا الفاحش لاقى فاحشاً فهنا كم وافق الشن الطبق
إنما الفحش ومن يعتاده كغراب السوء ماشاء نعق
أو حمار السوء : إن أشبعته رَمَحَ الناس، وإن جاع نهق
أو غلام السوء : إن جوّعته سرق الجار ، وإن يشبع فسق
أو كغيرى رفعت من ذيلها ثم أرخته ضراطاً فامزق
أيها السائل عما قد مضى هل جديد مثل ملبوس خلق
أنا مسكين لمن أنكرنى ولمن يعرفنى جد نطق

(١) يروى « وسميت مسكينا وما بى حاجة »

لا أبيع الناس عرضي ، إنني لو أبيع الناس عرضي لنفق

ومن شعره يرثى ابن سمية :

رأيت زيادة الأسلام ولت جهارا حين ودعنا زياد

ورد عليه الفرزدق بقوله :

أمسكين ، أبكي الله عينك ، إنما جرى في ضلال دمعها إذ تحدرا

بكيت امرأ من أهل ميسان كافراً ككسرى على أعدائه أو كقيصرا

أقول لهم لما أتاني نعيه : به لا بظبي بالصريمة أعفرا

قال الزمخشري فى أمثاله : « به لا بظبي » مثل أى جعل الله ما أصابه لازما مؤثرا فيه ولا كان مثل الظبي فى سلامته منه يضرب فى الشماتة وأنشد هذا البيت ، ثم رأيت الميداني قال : الأعفر الأبيض أى لتنزل به الحادثة لا بظبي يضرب عند الشماتة ، قال جرير حين نعى إليه زياد بن أبيه وأنشد هذا البيت وقال : ومثله :

به لا بكلاب نابح في السباسب

ومن شعر مسكين :

اصْحَبِ الأخيار وارْغَبْ فيهم رُبَّ من صُحْبَتُهُ مِثْلُ الجرب

واصدق الناس إذا حدثتهم ودع الكِذْبَ لمن شاء كذب

رب مهزول سمين عرضه وسمين الجسم مهزول الحسب

(ومن شعره الجيد مما أثبته السيد المرتضى علم الهدى فى أماليه الدرر والغرر) :

إن أدع مسكيناً فما قصرت قدري بيوت الحي والجدر

مامس رجلي العنكبوت ولا جدياته من وضعه غبر

لا آخذ الصبيان ألثمهم والأمر قد يعزى به الأمر

ولرب أمر قد تركت وما بيني وبين لقائه ستر

ومخاصم قاومت فى كبد مثل الدهان فكان لى العذر

ما علتي قومي بنو عدس وهم الملوك وخالى البشر

عمي زرارة غير منتحل وأبى الذى حدثته عمرو

في المجـــد غرتنا مبينـــة   للناظرين كأنهـــا البـــدر
لا يرهب الجـــيران غدرتنا   حتى يوارى ذكرنا القـــبر
لســـنا كأقوام إذا كلحت   إحدى الســـنين فجارهم تمر
مولاهم لحم على وضم   تنتابه العقبـــان والنسر
ناري ونار الجـــار واحدة   وإليه قبلى تنزل القـــدر
ما ضر جارى أن أجاوره   أن لا يكون لبيته ســـتر
أعشى إذا ما جارتى خرجت   حتى يوارى جارتى الخدر
ويصم عما كان بينهمـــا   ســـمعى ومابى غـــيره وقر

وقوله « فما قصرت قدرى الخ » أى سترت يريد أنها بارزة لا يحجبها السواتر والحيطان. وقوله « مامس رجلى العنكبوت الخ » هذه كناية مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن. لأن العنكبوت إنما ينسج على مالا تناله الأيدى ولا يكثر استعماله والجديات جمع. جدية بالسكون وهي باطن دفة الرحل ، وقوله « لا آخذ الصبيان الخ » يقول لا أقبل. الصبي وأنا أريد التعرض لأمه ، ومثله لغيره :

ولا أُلقى لذى الْوَدعاتِ سَوْطِي   أُلاعِبُــهُ ورِبَّتَهُ أُرِيدُ

وأنشد ابن الاعرابى فى مثله :

إذا رأيت صبي القوم يلثمه   ضخم [illegible]كب لاعم ولا خال
فاحفظ صبيك منه أن يدنسه   ولا يغرنك يوما قـــلة المال

وقوله « قاومت فى كبد الخ » الكبد المزلة التى لايثبت فيها إلا رجل، والدهان الأديم، الأحمر وقوله « فكان لى العذر » إنما يكون العذر إذا كان ثم ظلم فيقول إنما أقاوم. وأخاصم مظلوما متعدى عليه وإذا كان كذلك فيجب الاعتذار على الظالم ويكون. العذر لى كقوله :

فأن كان سحراً فاعذريني على الهوى   وإن كان داء غيره فلك العذر

وقوله « فجارهم تمر » أى يستحلى الغدر به كما يستحلى التمر ، وقوله « نارى ونار الجار واحدة الخ » يقال إنه كانت له امرأة تماضه فلما قال ذلك قالت له : أجل إنما ناره.

ونارك واحدة لأنه أوقد ولم توقد والقدر تنزل إليه قبلك لأنه طبخ ولم تطبخ وأنت تستطعمه ، وقوله « أن لا يكون لبيته ستر» يقال إنهاقالت له : أجل إن كان له ستر هتكته ، وقوله « أعشى إذا ما جارتى خرجت » استشهد به فى التفسير عند قراءة « ومن يعش عن ذكر الرحمن » بفتح الشين ولأجله أوردت هذه القصيدة فأن شراح شواهد التفسير اختلفوا فى هذا البيت فبعضهم نسبه إلى حاتم الطائى وبعضهم نسبه لغيره قال صاحب الكشاف : ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة فى بصره قيل عشى وإذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج : قال الحطيئة « متى تأته تعشو إلى ضوء ناره » أى تنظر اليها نظر العشى لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين فى قول حاتم:

أعشو إذا ما جارتى برزت حتى يوارى جارتى الخدر

وقرىء يعشو ، ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن ، وأما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره أى يعرف أنه الحق وهو يتجاهل ويتغابى اه مختصرا

باب المفعول فيه

(أنشد فيه)

وهو الشاهد الثامن والستون بعد المائة ، وهو من شواهد سيويه

(١٦٨) فلأبغينكم قنا وعوارضا ولأقبلن الخيل لابة ضرغد

على أن قنا وعوارضا منصوبان على إسقاط حرف الجر ضرورة لأنهما مكانان مختصان لا ينتصبان انتصاب الظرف وهما بمنزلة ذهبت الشام فى الشذوذ ، أوعد أعداءه بتتبعهم والايقاع بهم حيث حلوا فى المواضع المنيعة ، ومعنى لأبغينكم لأطلبنكم والبغى له معنيان : أحدهما الطلب يقال بغيت الضالة فهو متعد إلى مفعول واحد ، والآخر الظلم والتعدى يتعدى بعلى يقال بغى فلان على فلان فهو فعل لازم وقنا قال أبو عبيد البكرى فى معجم مااستعجم : هو بفتح القاف وبعده نون وهو

اسم مقصور يكتب بالألف لأنه يقال فى تثنيته قنوان ، هو جبل فى ديار بنى ذبيان قال النابغة :

فأما تنكرى نسبى فأنى من الصهب السبال بنى ضباب
فأن منازلى وبلاد قومى جنوب قنا هنالك كالهضاب

وقال أبو عمرو الشيبانى : قنا ببلاد بنى مرة وقال الشماخ :

تربع من جنبى قنا فعوارض نتاج الثريا نوءها غير مخدج

وينبئك أن قنا جبلان قول الطرماح :

تحالف يشكر واللؤم قدما كما جبلا قنا متحالفان

ولكونه اسم جبلين يثنى فيقال قنوين قال الشماخ :

كأنها وقد بدا عُوارض والليل بين قَنَوَيْنِ رابض
بجلهة الوادى قطا نواهض

وبما ذكرنا لا يلتفت إلى قول ابن القوطية كما نقله أبو حيان فى تذكرته : لا أعرف قنا فى الأمكنة وإنما هو قبا بالموحدة وليس قبا المدينة ولا قبا بطريق مكة هذان يذكران ويؤنثان وذلك يذكر لا غير ومن ذكره قصره وصرفه ومن أنثه مده ولم يصرفه اهـ وأقول : لم يذكر أحد ممن ألف فى المقصور والممدود أن قنا يمد ، وروى ابن الأنبارى فى المفضليات

فلأُنْعِيَنَّكُمُ الْمَلَا وعُوارضاً

والملا بالفتح من أرض كلب ، وانعينكم من النعى بالنون أى لأذكرن معايبكم وقبح أفعالكم يقال فلان ينعى على فلان ذنوبه أى يذكرها ويصفها ، وروى الجرمازى « فلأبغينكم الملا » من البغى وهو الطلب ولم يقع فى رواية ابن الأنبارى قنا بدل الملا وعوارض — بضم العين المهملة وكسر الراء وبعدها ضاد معجمة — جبل لبنى أسد ، وقال أبو رياش : هو جبل فى بلاد طيء وعليه قبر حاتم وهذا هو الصحيح كذا فى معجم ما استعجم ، واللابة الحرة — بالفتح — وهى أرض ذات حجارة ، وضرغد — بفتح الضاد والغين وسكون الراء — قال أبو عبيد

البكرى : هي أرض لهذيل و بني غاضرة و بنى عامر بن صعصعة، وقيل هى حرة بأرض غطفان من العالية ، وقال الخليل : ضرغد اسم جبل و يقال موضع ماء ونخل اهـ و قال أبو محمد الاعرابى : ضرغد من مياه بنى مرة . وقوله « و لأقبلن الخيل » هكذا رواه سيبويه وفيه قولان (أحدهما) لأبى على الفارسى وهو أنه فعل لازم يتعدى بحرف الجر والأصل لأقبلن بالخيل إلى لابة ضرغد كذا حكاه عنه أبو البقاء فى شرح الايضاح للفارسى وابن خلف فى شرح أبيات سيبويه والسخاوى فى سفر السعادة قال : لأن أقبل فعل غير متعد كقوله تعالى « فأقبل بعضهم على بعض » وتقول أقبلت بوجهى عليه فأجاز هنا حذف حرف جر فى فعل واحد وهذا تعسف مع أنه منع حذف على من قولهم كررت على مسمعى وهو حرف واحد (والقول الثانى) للعبدرى شارح الايضاح وهو أن أقبل هنا متعد بمعنى جعل مقابلا وليس ضد أدبر والمعنى لأجعلن الخيل تقابل فهو متعد إلى مفعولين وهذا هو المعروف فى اللغة فأن قبل بدون همزة يتعدى إلى مفعول واحد بمعنى استقبل وأقبل بالهمز يتعدى إلى مفعولين ، قال أبو زيد فى نوادره : قبلت الماشية الوادى تقبله قبولا إذا استقبلته وأقبلتها إياه ، وقال صاحب الصحاح : وأقبلته الشيء أى جعلته يلى قبالته وأقبلت الابل أفواه الوادى ، وحكى السخاوى فى سفر السعادة عن شيخه الامام الشاطبى : أقبلته الرمح إذا جعلته قبله ، وقال أبو حيان فى تذكرته : ما نقله أبو زيد نقله الهجرى أيضاً فى نوادره . وفى الحديث أن حكيم بن حزام كان يشترى العير من الطعام والأدام ثم يقبلها الشعب وأنشد الشيبانى :

أُكَلِّفها هواجر حاميات وأقبل وجهها الريح القبولا اهـ

وروى غير سيبويه منهم ابن الانبارى فى شرح المفضليات :

وَلَأُهْبِطَنَّ الخَيْلَ لابَةَ ضَرْغَدِ

قال : وروى أيضاً « ولأوردن الخيل »

وهذا البيت من قصيدة عدتها ثلاثة عشر بيتاً لعامر بن الطفيل العامرى ، قال أبو محمد الأعرابى : قالها عامر يوم الرقم يوم هزمتهم بنو مرة ففر عامر واختنق أخوه الحكم بن الطفيل ، وفى ذلك اليوم قتل عقبة بن أنيس الأشجعى مائة وخمسين رجلا من بنى عامر أدخلهم شعب الرقم فذبحهم فسمى عقبة ذلك اليوم مذبحاً ، والمخاطب

بشعر عامر بنو مرة وفزارة ، وقنا وعوارض جبلان من بنى فزارة ، وأولها :

وَلَتَسْأَلَنْ أسمــاء وهى حَفِيَّةٌ نصحاءها أطُرِدْتُ أم لم أطرد

قال ابن الانبارى : أسماء بنت قدامة بن سكين الفزارى ، قال أبو محمد الاعرابى : كان يهواها عامر و يشبب بها فى شعره وكان قد جربها انتهى ، ونصحاء جمع نصيح ، وروى شارح ديوانه فصحاءها بالفاء قال هو جمع فصيح ، وطردت بالبناء للمفعول والتكلم

قالوا لهـا فلقـد طردنا خيـله قَلَحَ الكلاب وكنت غير مطرد

قلح منصوب على الذم والقلح صفرة تعلو الاسنان ، شبه عامر بنى فزارة بها وجملة وكنت إلى آخره حال

لاضير قد عركت بمرة بركها وتركن أشجع مثل خشب الغرقد

هذا البيت لم يروه المفضل فى المفضليات ولا شراحها قال شارح الديوان : يقال للصدر برك بالفتح وبركة بالكسر ، وأشجع قبيلة ، والغرقد شجر

فلأبغيَنَّكم قَنـاً وعُوارضـاً «البيت»

هذا التفات من الغيبة إلى التكلم ، خاطب بنى فزارة

بالخيل تعثر فى القصيد كأنها حِدَأٌ تتابع فى الطريق الأقْصَدِ

القصيد كسر القنا جمع قصيدة ، والحدأ كعنب جمع حدأة كعنبة وهى طائر معروف ، و بالخيل متعلق بأقبلن فى البيت قبله ، وجملة تعثر حال من الخيل

في ناشيء من عامر ومجرب ماض إذا سقط العنان من اليد

لم يرو هذا البيت أيضاً لصاحب المفضليات ، قال شارح الديوان : الناشيء الحدث حين نشأ وقوله سقط العنان أى لشدة الجهد

ولأثأرن بمـالك وبمـالك وأخى المروراة الذى لم يسند

معطوف على قوله « فلأبغينكم » يقول : لأدركن بثأر مالك ومالك أى لأقتلن بهما والمروراة — بالفتح — موضع بظهر الكوفة ، وقال البكرى فى المعجم : هو جبل لأشجع ، وقوله « لم يسند » أى لم يدفن ولكن تركه للسباع تأكله

وقتيـل مرة أثأرن فأنه فرْغٌ وإن أخاهم لم يقصـد

قتيل يروى بالحركات الثلاثة : بالجر عطفاً على ما قبله أو الواو للقسم، و بالرفع على المبتدأ والخبر أثأرن، و بالنصب على أنه مفعول لفعل محذوف يدل عليه أثأرن وليس مفعول أثأرن المذكور لأن الفعل المؤكد لا يتقدم معموله عليه ، ومرة قبيلة ، وأثأرن توكيده يأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى في أدوات القسم ، وفرغ : روى بكسر الفاء والغين المعجمة بمعنى الهدر وروى بفتحها مع العين المهملة ، أراد أنه رأس عال في الشرف، ولم يقصد لم يقتل يقال أقصدت الرجل إذا قتلته ، يقول : قتيل بني مرة صار دمه هدرا فلا بد من أخذ ثأره منهم فأن أخا بني مرة لم يقتل إلى الآن فلا بد من قتلهم وأخذ الثأر منهم ، وبقية الأبيات لا حاجة لنا بها

وعامر بن الطفيل هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري ، وهو ابن عم لبيد الصحابي ، وكنية عامر : في الحرب أبو عقيل ، وفي السلم أبو علي ، وكانت أصيبت إحدى عينيه في بعض الحروب ، قال ابن الانباري في شرح المفضليات : كان عامر من أشهر فرسان العرب بأسا ونجدة ، وأبعدها اسما ، حتى بلغ أن قيصر كان إذا قدم عليه قادم من العرب قال : ما بينك وبين عامر بن الطفيل ؟ فأن ذكر نسبا عظم عنده ، حتى وفد عليه علقمة بن علاثة فانتسب له فقال : ابن عم عامر بن الطفيل فغضب علقمة ، وكان ذلك مما أوغر صدره وهيجه إلي أن دعاه إلى المنافرة ، وكان عمرو ابن معد يكرب — وهو فارس اليمن — يقول : ما أبالي أي ظعينة لقيت على ماء من أمواه معد ما لم يلقني دونها عبداها أو حراها ، ويعني بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحرث بن شهاب اليربوعي ، وعني بالعبدين عنترة العبسي والسليك بن السلكة ، قال الأثرم : ويقال كانت المنافرة أن علقمة بن علاثة شرب الخمر فضربه عمر الحد فلحق بالروم فارتد ، فلما دخل على ملك الروم قال : انتسب ، فانتسب له علقمة فقال : أنت ابن عم عامر بن الطفيل ؟ فقال : ألا أراني لا أعرف هنا إلا بعامر ! فغضب فرجع فأسلم .

وتقدم بيان المنافرة في الشاهد السادس والعشرين

ولما قدمت وفود العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسع من الهجرة قدم وفد بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس أخو لبيد الصحابي

لأمه وكانا رئيسي القوم ومن شياطينهم فقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد الغدر به وقد قال له قومه : يا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم قال : والله لقد كنت آليت أن لا أنتهى عن تتبع العرب عقبي فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش ، ثم قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل فأنى شاغل عنك وجهه فأذا فعلت ذلك فاعله بالسيف ، فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يحير شيئاً فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال له عامر : أتجعل لى نصف ثمار المدينة وتجعلني ولى الأرض بعدك فاسلم ؟ فأبى عليه صلى الله عليه وسلم ، فانصرف عامر وقال : أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا ، فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اكفني عامر بن الطفيل فلما خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لأربد : ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل أخوف عندى على منك وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا قال : لا أبالك لا تعجل على والله ماهممت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخلت بينى وبين الرجل حتى ماأرى غيرك أفأضربك بالسيف ؟ وخرجا راجعين إلى بلادهم حتي اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سلول فجعل يقول : يا بني عامر ، أغدة كغدة البكر فى بيت امرأة من بني سلول (١) ثم خرج أصحابه حين واروه التراب حتى قدموا أرض بنى عامر فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لا شيء والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندى الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما ، وروى ابن الأنبارى فى شرح المفضليات : لما مات عامر نصبت بنو عامر نصابا ميلا فى ميل حمي على قبره لا تنشر فيه راعية ولا يرعي ولا يسلكه راكب ولا ماش ، وكان جبار بن سلمى بن عامر بن مالك غائبا فلما قدم قال : ما هذه الأنصاب ؟ قالوا : نصبناها حمى على قبر عامر فقال : ضيقتم على أبى على . إن أباعلى بان من الناس بثلاث : كان لا يعطش حتى يعطش الجمل ، وكان لا يضل حتي يضل النجم ، وكان لا يجبن حتى يجبن السيل ، ه لعامر وقائع فى مذحج وخثعم وغطفان وسائر العرب

(١) يروى : أغدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد التاسع والستون بعد المائة.وهو من شواهد سيبويه)

(١٦٩) لَدْنٌ بِهزِّ الكَفِّ يَعسِلُ مَتْنُهُ فيهِ كما عَسلَ الطريقَ الثَّعْلَبُ

على أن حذف حرف الجر من الطريق شاذ والأصل «كما عسل فى الطريق الثعلب» قال ابن هشام فى المغنى : وقول ابن الطراوة إنه ظرف مردود بأنه غير مبهم ، وقوله إنه اسم لكل مايقبل الاستطراق فهو مبهم لصلاحيته لكل موضع - : منازع فيه بل هو اسم لما هو مستطرق انتهى

وقال الأعلم: استشهد به سيبويه على وصول الفعل إلى الطريق وهو اسم خاص للموضع المستطرق بغير واسطة حرف جر تشبيها بالمكان لأن الطريق مكان وهو نحو قول العرب « ذهبت الشام » إلا أن الطريق أقرب الى الأبهام من الشام لأن الطريق تكون فى كل موضع يسار فيه وليس الشام كذلك

وهذا البيت من قصيدة طويلة عدتها اثنان وخمسون بيتا لساعدة بن جؤية الهذلى ، وقبل بيت الشاهد هذه الأبيات :

فتعاوروا ضَبْراً وأشْرع بينهم أَسَلاتِ ما صاغ القيونُ وركبوا
من كل أسحم ذابل لاضره قصر ولا راشُ الكعوب مُعلَّبُ
خِرْقٍ من الخطىّ أغمض حده مِثلِ الشهاب رفعته يتلهب
مما يترص فى الثقاف يزينه أخذى كخافية العقاب محرب
لَدْنٌ بهزِّ الكفِّ يَعسلُ مَتْنُهُ «البيت»

التعاور التداول بالطعن وغيره ، والضبر بفتح المعجمة وسكون الموحدة مصدر ضبر إذا وثب ، والضبر الجماعة أيضا ، وروى موضعه «ضربا» وأشرعت الرمح أى أملته ، والأسلات الرماح ، والقيون جمع قين وهو الحداد ، وأراد بما صاغ القيون الأسنة ، وقوله « من كل أسحم » أى أسود وروى بدله « أسمر » وكذلك روى « أظمى » وهو بمعناه وأراد به الرمح ، وذابل قد جف وفيه لين يقول : ليس به قصر فيضره ولا ضعف فيشد .فى الصحاح : ورمح راش أى خوار وناقة راشة

ضعيفة وهو من مادة الريش وهو خبر مبتدأ محذوف أي ولا هو راش الكعوب ومعلب خبر بعد خبر ، والمعلب اسم مفعول من علبت الشيء إذا شددته وحزمته علباء البعير ، والعلباء — بالكسر والمد — عصب العنق ، وقوله « خرق من الخطى هو — بكسر الخاء وسكون الراء وبالجر — صفة لأسحم ذابل ، قال السكري في شرح أشعار هذيل : يعني بالخرق الرمح ضربه مثلا يقول هو في الرماح مثل الخرق في الفتيان والخرق الذي يتصرف في الأمور ويتخرق فيها ، وأغمض حده يعني ألطف ورقق حد السنان والشهاب السراج شبه السنان به عن غير أبي نصر ، وقال الأخفش : خرق ماض وروى بعضهم:

خرِقٍ من الخَطِّيِّ أُلْزِم لهذما

والخرق — أي بفتح فكسر — الطويل واللهذم الحديد القاطع انتهى ، وقوله « مثل الشهاب » بالجر صفة أخرى ، وقوله « مما يترص الخ » يعني هذا الرمح مما يترص أي يحكم في الصحاح : أترصته وترصته أي أحكمته وقومته فهو مترص وتريص وهو بالتاء المثناة والراء والصاد المهملتين ، والثقاف — بالكسر — الخشبة التي يقوم بها الرمح ، وقوله « أخذى » أي سنان أخذى ، وهو بالخاء والذال المعجمتين وهو صفة قال السكري : أخذى منتصب مثل الأخذة من الكلاب وهو المنتصب الأذن ، وشبهه بخافية العقاب في الدقة ، والخافية ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح وهي ريشة بيضاء ، ومخرب — بالخاء المعجمة — يقول : كأنه غضبان من الحرص أن يقع في الدم ، يقال خربته — بالتشديد — نخرب — كفرح — أي أغضبته فغضب » وقوله « لدن بهز الكف الخ » بجر لدن صفة أخرى لأسحم ذابل ، ويجوز رفعه على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو لدن ، واللدن اللين الناعم ، ويعسل يشتد اهتزازه وعسل الثعلب والذئب في عدوه إذا اشتد اضطرابه بفتح السين في الماضي وكسرها في المستقبل والمصدر عسلا وعسلانا بتحريكهما ، والباء في قوله «بهز» بمعنى عند متعلقة بلدن قال ابن خلف في شرح أبيات سيبويه : والأحسن أن يكون ظرفا ليعسل أي يعسل متنه عند هزه ، فان قيل : إن فيه ظرف قد عمل فيه يعسل فكيف يعمل في ظرف آخر ؟ فالجواب أنهما ظرفان مختلفان لأن فيه ظرف مكان وبهز ظرف زمان ،

والهز مصدر مضاف إلى الفاعل والمفعول محذوف أى بهز الكف إياه وقال أبو على فى إيضاح الشعر : التقدير فى قوله يعسل متنه يعسل هو يريد أنه لا كزازة فيه إذا هززته ولا جسو ومثل ذلك قول الآخر :

أو كاهتزاز رُدَيْنى تَعَاوَرُهُ أيدى التِّجار فزادوا مَتْنَهُ لينا

ومثل ذكر المتن فى هذه المواضع والمراد الجمهور قول الآخر :

يَغشى قرا عارية أقراؤهُ

ألا ترى أن المعنى يغشى هذه الفلاة ولا يريد تخصيص مكان منها دون مكان. قال ابن خلف : ويجوز أن يريد ثعلب الرمح وهو طرفه الداخل فى جلبة السنان أى يضطرب وسطه كما يضطرب طرفه لاعتداله واستوائه ونبه بالأبعد على الأقرب لأنه إذا اهتز وسطه فأطرافه أولى انتهى

ولا يخفى أن ذكر الطريق على هذا يكون لغوا ، والهاء من فيه ضمير الهز كما قاله أبو على وابن الشجرى ، وأعاده ابن خلف على لدن ، وجملة يعسل متنه مفسرة لقوله لدن، وما ذكر هو رواية سيبويه ورواه السكرى فى أشعار هذيل كذا :

لذّ بهزّ الكفّ يعسلُ نصلُهُ

واللذ — بالفتح — اللذيذ ، يقول : هذا الرمح إذا هز بالكف فهو لذيذ أى تلتذه الكف والالتذاذ فى التحقيق لصاحب الكف ، وقال السكرى : يضطرب نصله كما يضطرب الثعلب فى الطريق إذا عدا ، والنصل السنان ، ورواية سيبويه هى الجيدة.

وابن جؤية كما قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : ساعدة بن جؤية أخو بنى كعب بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر ، شاعر محسن ، جاهلى ، وشعره محشو بالغريب والمعانى الغامضة ، وليس فيه من الملح ما يصلح للمذاكرة انتهى ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام وأسلم وليست له صحبة ، كذا قال ابن حجر فى الاصابة فقول الآمدي جاهلى ليس كما ينبغى ، وجؤية — بضم الجيم بعدها همزة مفتوحة وبعد الهمزة ياء مشددة — هذا هو المشهور وهو مصغر ، وفى مكبره خمسة أقوال بينها ابن خلف فى أوائل شرح أبيات سيبويه ومقابل.

المشهور أنه ساعدة بن جوين و الله أعلم ، و ذكر الآمدى أن ابن جؤية شاعر آخر اسمه عائذ بن جؤية النضرى اليربوعى

(و أنشد بعده)

(و هو الشاهد السبعون بعد المائة ، و هو من شواهد سيبويه)

(١٧٠) عزمت على إقامة ذى صباح لامر ما يسوّد من يسود

على أن الشاعر جرذى صباح على لغة خثعم و هو ظرف لا يتمكن و الظروف التى لا تتمكن لا تجر و لا ترفع و لا يجوز مثل هذا إلا فى لغة هؤلاء القوم أو فى ضرورة. قال سيبويه : و ذو صباح بمنزلة ذات مرة تقول سير عليه ذا صباح ، خبرنا بذلك يونس إلا أنه قد جاء فى لغة خثعم ذات مرة و ذات ليلة ، و أما الجيدة العربية فأن تكون بمنزلتها ، يريد بمنزلتها ظرفا قال رجل من خثعم: « عزمت على إقامة ... البيت » فهو على هذه اللغة يجوز فيه الرفع انتهى

و قال أبو البقاء فى شرح الايضاح : قيل هو بمنزلة ذات مرة إلا أنه أخرجه عن الظرف بالاضافة إليه ، و قيل ذو زائدة أى على إقامة صباح ، و جعل ابن جنى فى الخصائص إضافة ذى إلى صباح من إضافة المسمى إلى الاسم نحو كان عندنا ذات مرة أى الدفعة المسماة مرة و الوقت المسمى صباحا و أنشد هذا البيت

قال أبو على الفارسى فى التذكرة : هذا البيت قاله الشاعر و لم يقل بيتاً غيره ، و كان استعان هو و قومه بملك على أعدائهم فقال : إن أردتم أعنتكم على أن يكون النهب لى فقالوا : لا نريد ذلك فقاتلوا أعداءهم بأنفسهم فاستظهر عليهم أعداؤهم فلما رأى استظهارهم عليهم أعانهم راضيا بأن لا يكون له النهب فقال هذا الشاعر هذا البيت فقط بمدحه ، فاللام متعلقة بيسود كأنه قال يسود لأمر من يسود أى بعقله وفضله يسود ليس للاشىء بل لأمر فيه انتهى

و فيه أنه ليس بيتا مفردا و إنما هو من أبيات و ليست القصة كما ذكرها ، قال أبو محمد الأعرابى فى فرحة الأديب : هذا البيت لأنس بن مدركة الخثعمى و ذلك أنه غزا ورئيس آخر من قومه بعض قبائل العرب متساندين فلما قربا من القوم أمسيا فبات حيث جن عليهم الليل فقام صاحبه فانصرف ولم يغنم وأقام أنس حتى أصبح

فشن عليهم الخيل فأصاب وغنم وغنم أصحابه، فهذا معنى قوله «عزمت على إقامة ذى صباح» وهو آخر الأبيات، قال أبو الندى: وكان أنس مجاوراً لبنى الحرث بن كعب فوجد أصحابه منهم جفاء وغلظة فأرادوا أن يفارقوهم فقال لهم: أقيموا إلى الصباح فلما ظفر بنو الحرث ببنى عامر يوم نيف الريح قال عند ذلك ما قال، وأول الأبيات

دعوتُ بنى قحافة فاستجابوا ... فقلت: رِدُوا فقدْ طابَ الْوُرودُ

دعوت إلى الصباح فجاوبونى ... بورد ما ينهنهــه المــديد

كأن غمــامة برقت عليهم ... من الأصياف ترجنها الرعود

عزمْتُ على إقامةِ ذى صَباح ... «البيت» اهـ

ولا يخفى أن هذه الأبيات أجنبية لا يظهر ارتباطها بالبيت الأخير، والمصاع مصدر ماصع (١) أى قاتل والمصع الضرب بالسيف، وقوله «على إقامة ذى صباح» لا يبعد أن يكون على تقدير على إقامة ليل ذي صباح وما زائدة للتوكيد يقول عزمت على الاقامة إلى وقت الصباح لأنى قد وجدت الرأى والحزم قد أوجبا ذلك ثم قال:

لأمرٍ مّا يُسَوَّدُ مَنْ يَسُودُ

يريد أن الذى يسوده قومه لايسودونه إلا لشىء من الخصال الجميلة والأمور المحمودة رآها قومه فيه فسودوه لأجلها، وأنشد صاحب الكشاف هذا البيت فى سورة الأخلاص فى جواب السائل لم كانت هذه السورة مع قصرها عدل القرآن قال الجاحظ فى كتاب شرائع المروءة: وكانت العرب تسود على أشياء: أما مضر فتسود ذا رأيها وأما ربيعة فمن أطعم الطعام، وأما اليمن فعلى النسب، وكان أهل الجاهلية لايسودون إلا من تكاملت فيه ست خصال: السخاء، والنجدة، والصبر، والحلم، والتواضع والبيان، وصار فى الأسلام سبعاً، وقيل لقيس بن عاصم: بم سدت قومك؟ قال: يبذل الندى، وكف الأذى، ونصرة المولى، وتعجيل القرى، وقد يسود الرجل بالعقل والعفة، والأدب والعلم، قال بعضهم: السؤدد اصطناع العشيرة، واحتمال الجريرة، وقال الأصمعى: ذكر أبو عمرو بن العلاء عيوب جميع السادة وما كان فيهم

(١) ليس فيما ذكر المؤلف من الابيات وألفاظ القصة كلمة «مصاع» فليت شعرى كيف شرح هذه الكلمة؟!

من الخلال المذمومة إلى أن قال : مارأيت شيأ يمنع من السؤدد إلا قد رأيناه فى سيد وجدنا الحداثة تمنع السؤدد وساد أبو جهل بن هشام وماطر شاربه ودخل دار الندوة وما استوت لحيته ، ووجدنا البخل يمنع السؤدد وكان أبو سفيان بخيلا عاهرا ، وكان عامر بن الطفيل بخيلا فاهرا وكان سيدا ، والظلم يمنع من السؤدد وكان كليب بن وائل ظالما وكان سيد ربيعة ، وكان حذيفة بن بدر ظالما وكان سيد غطفان ، والحمق يمنع السؤدد وكان عيينة بن حصن أحمق وكان سيدا ، وقلة العدد تمنع السؤدد وكان السيل بن معبد سيدا ولم يكن بالبصرة من عشيرته رجلان ، والفقر يمنع السؤدد وكان عتبة بن ربيعة مملقاً وكان سيدا

وناظم هذا البيت أنس بن مدرك الخثعمى كما ذكرنا وهو جاهلى وصحفه ابن خلف فى شرح أبيات سيبويه بأوس بن مدرك ، وقال : أوس من الأسماء المنقولة إلى العلمية والأوس هنا الذئب وإن أمكن أن يكون من العطية ، وكشفت عن اسمه فى الجمهرة لابن الكلبي فوجدته قال فى جمهرة خثعم بن أنمار مانصه : أنس بن مدرك بن كعيب — بالتصغير — بن عمرو بن سعد بن عوف بن العتيك بن حارثة بن سعد بن تامر ابن تيم الله بن مبشر بن أكلب بن ربيعة بن عفرس ابن خلف بن أقتل وهو خثعم ، وهو أبو سفيان الشاعر وقد رأس ، انتهى ، ونقل ابن خلف عن الجاحظ أن هذا البيت لأياس بن مدركة الحنفى ، وهذا غير مناسب فأنهم نقلوا أن قائل هذا البيت خثعمى لا حنفى ، وخثعم أبو قبيلة من اليمن وهو خثعم بن أنمار بن اراش بن عمرو بن الغوث ابن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ

وأنشـــد بعـــده

وهو الشاهد الحادى والسبعون بعد المائة

(١٧١) صلاءة ورس وَسْطُها قد تفلقا

على أن وسط — ساكنة السين — قد تتصرف وتخرج عن الظرفية كما فى هذا البيت وصدره

أتته بمجلوم كأنَّ جبينَه

فوسطها مرفوع على أنه مبتدأ وجملة قد تفلق خبره ، كذا أورده أبو على الفارسى

فى الأيضاح الشعرى ، وابن جنى فى الخصائص ، وأورد له نظائر قال ثعلب فى الفصيح : جلس وسط القوم بسكون السين وجلس وسط الدار واحتجم وسط رأسه بفتح السين ، قال شارحه الأمام المرزوقى : النحويون يفصلون بينهما ويقولون وسط — بسكون السين — اسم الشيء الذى ينفك عن المحيط به جوانبه ، تقول :وسط رأسه دهن لأن الدهن ينفك عن الرأس و وسط رأسه صلب لأن الصلب لاينفك عن الرأس و ربما قالوا إذا كان آخر الكلام هو الأول فاجعله « سطا بالتحريك و إذا كان آخر الكلام غير الأول فاجعله وسطا بالتسكين، وحكى الأخفش أن وسطا قد جاء فى الشعر اسما وفارق الظرفية و أنشد بيتاً آخره «وسطها قد تفلقا» وسطها مبتدأ مرفوع و يقال وسطت الأمر أسطه وسطاً بالسكون ،وأبو العباس ثعلب راعي فيما اختاره هنا أن وسطاً إذا كان بعض ما أضيف إليه يحرك السين منه و إذا كان غير ما أضيف إليه يسكن سينه ألا ترى أن وسط الدار بعضها وأن وسط القوم غيرهم فأما تفسيرهم الوسط ببين فبين الشيئين يتباين أحدهما عن الآخر فصاعدا تقول بين زيد وعمرو بين لتباينهما و إن كررت بين للتأكيد جاز ، ووسط الشيئين يتصل أحدهما بالآخر تقول : وسط الحصير قلم و لا تقول بين الحصير قلم إلا أنه يستعار فيوضع بدلا منه انتهى

وقال ابن هشام اللخمى فى شرح الفصيح : وسط الشيء وأوسطه مابين طرفيه فأذا سكنت السين كان ظرفاً ، و إذا فتحتها كان اسما ، فأنما يكون اسما إذا أردت به الوسط كله ، ويكون ظرفا إذا لم ترد به الوسط كله ، وذلك إذا أحسنت فيه فى. تقول : قعدت وسط الدار فوسط الدار ساكن الوسط وهو السين لأنه ظرف ولأنك لا تأخذ بقعودك وسط الدار كله و إنما تريد قعدت فى وسط الدار فلما أسقطت فى انتصب على الظرف ، فأن قلت : ملأت وسط الدار قمحا فتحت السين لأنه مفعول به لأن ملأت لايقع إلا على الوسط كله فقمح نصب على التمييز لأن التقدير ملأت وسط الدار من قمح ، وكذلك تقول : حفرت وسط الدار بئراً و بنيت وسط الدار مجلساً فوسط مفعول به و بئرا ومجلسا منصوبان على الحال .قال أبو على فى التذكرة : فأن قلت : إنه فى حال مايحفر ليس ببئر فأن ذلك تجوز ألاترى قوله تعالى « إنى أرانى أعصر خمراً » فالبئر أقرب من هذا ألاترى أن هذا فى حال

العصر ليس بخمر حتى يشتد ، و بعض الآبار فى العمق أقل من بعض و لايخرجه ذلك عن أن يكون بئراً و يجوز أن يحمل حفرت على معنى جعلت فتنصبه على أنه مفعول فأن هذا مذهب البصريين ، وأ كثر اللغويين يجعلون الوسط والوسط بمعنى واحد وهو مذهب أبى العباس وتمثيله يدل على ذلك لأنه قال : وجلس وسط الناس يعنى بينهم بسين ساكنة على أن وسطا ظرف ولذلك قدره بالظرف ... ثم قال : وجلس وسط الدار واحتجم وسط رأسه بتحريك السين وهذا لايجوز عند البصريين لأنه إذا فتح السين كان اسما و إذا كان اسما لم ينصبه إلا الفعل المتعدى ، فقوله: جلس وسط الدار واحتجم وسط رأسه بفتح السين لايجوز لما قدمنا فأن سكنت السين كان ظرفا وكان العامل فيه جلس فاعلم ذلك انتهى.

و هذا مخالف لما قاله الإمام المرزوقى فتأمل

وروى أبو الحسن على بن محمد المدائنى فى كتاب النساء الناشزات كما سيأتى ونصفها قد تعلقا ، وعليه لاشاهد فيه ، والمجلوم — بالجيم واللام — اسم مفعول من جلمت الشىء جلما — من باب ضرب — قطعته فهو مجلوم وجلمت الصوف والشعر قطعته بالجلمين، وهذا هو المراد هنا قال صاحب المصباح : الجلم — بفتحتين — المقراض والجلمان بلفظ التثنية مثله كما يقال فيه المقراض والمقراضان والقلم والقلمان ، و يجوز أن يجعل الجلمان والقلمان اسما واحداً على فعلان كالسرطان و الدبران و يجعل النون حرف إعراب و يجوز أن يبقيا على بابهما فى إعراب المثنى فيقال شريت الجلمين والقلمين انتهى

وهذه رواية أبى زيد وغيره ، ورواه أبو حاتم « أتته بمحلوق » من حلق رأسه بالموسى مثلا — من باب ضرب — والجبين ناحية الجبهة من محاذاة النزعة إلى الصدغ وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها قاله الأزهرى وابن فارس وغيرهما فتكون الجبهة بين جبينين وجمعه جبن — بضمتين — وأجبنة — مثل أسلحة — كذا فى المصباح ، والصلاية — بفتح الصاد — الحجر الأملس الذى يسحق عليه شىء ويقال صلاءة أيضا — بالهمزة — وروى هنا بهما، قال فى الصحاح: والصلاية الفهر أى حجر ملء الكف وإنما قال امرؤ القيس :

مَدَاكَ عَرُوسٍ أو صَلايَةَ حنظلِ

فأضافه إليه لأنه يفلق به إذا يبس . والورس — بفتح الواو وسكون الراء — نبت أصفر يزرع باليمن ويصبغ به ، وقيل صنف من الكركم ، وقيل يشبهه ، وقوله « قد تفلقا » يقال فلقته فلقا — من باب ضرب — شققته فانفلق وفلقته — بالتشديد — مبالغة ومنه خوخ مفلق اسم مفعول وكذلك المشمش ونحوه إذا تفلق عن نواه وتجفف فأن لم يتجفف فهو فلوق — بضم الفاء واللام مع تشديدها — وتفلق الشيء تشقق كذا فى المصباح

وهذا البيت من أبيات ثمانية للفرزدق رواها أبو الحسن على بن محمد المدائنى فى كتاب النساء الناشزات قال : زوج جرير بن الخطفى بنته عضيدة ابن عضيدة ابن أخى امرأته وكان منقوص العضد فخلعها منه أى طلقها بفدية فقال الفرزدق :

ما كان ذنب التى أقبلت تعتلها ... حتى اقتحمت بها أسكفة الباب؟!
كلاهما حين جد الجرى بينهما ... قد أقلعا وكلا أنفيهما رابى
يا ابن المراغة جهلا حين تجعلها ... دون القلوص ودون البكر والناب

وقال الفرزدق أيضا :

لئن أم غيلان استحل حرامها ... حمار الفضا من ثقل ما كان رنقا
لما نال راق مثلها من كعابة ... علمناه ممن سار غربا وشرقا
حبته بمحلوق كأن جبينه ... صلاية ورس نصفها قد تفلقا
إذا برك الأبن الشغور ونوخت ... على ركبتيها للبروك وألحقا
فما من درك فاعلمن لقادم ... وإن صك عينيه الحمار وصفقا
وكيف ترى تداى أم غيلان بعدما ... جرى الماء فى أرحامها وترقرقا
ستعلم من يخزى ويفضح قومه ... إذا ألصقت عند السفاد وألصقا
أبيلق رقاء أسيد رهطه ... إذا هو رجلى أم غيلان فرقا

فأجابه جرير بن الخطفى :

هلا طلبت بعقر جعثن منقرا ... ومجرها وتركت ذكر الأبلق
سبعون والوصفاء مهر بناتنا ... إذ مهر جعثن مثل حزر البندق

كم قد أثير عليكم من خزية ليس الفرزدق بعدها بفرزدق

انتهى ماأورده المدائنى

وقوله اقبلت تعتلها يقال عتلت الرجل أعتله — من بابى نصر وضرب — إذا جذبته جذبا عنيفا وضمير المؤنث لعضيدة بنت جرير ، وروى أبو زيد فى نوادره :

ما بال لومكما إذ جِئْتَ تَعتِلُها

خطابا لجرير وزوجته من اللوم وهو التعنيف وروى المبرد فى الاعتنان « مابال لومكها » بضمير المؤنث فيكون ضمير بنته عضيدة . وقوله « حتى اقتحمت بها الخ » أى إلى أن أدخلتها عتبة بابك . وقوله « كلاهما حتى جد الجرى الخ » ضمير التثنية لابنة جرير عضيدة ولزوجها . وزعم العينى وغيره أن الضمير للفرسين وزاد شارح شواهد المغنى أن فيه التفاتاً . والأصل كلا كما ورد عليه شارح المغنى الحلبى بأنه يأباه قول الشارحين إن البيت فى وصف فرسين تجاريا . وهذا لا أصل له . وكأنهم فهموه من ظاهر البيت . وسببه أنهم لم يقفوا على منشأ الشعر . وقوله «جدالجرى» أى اشتدالعدو . وقوله «قدأقلعا» يقال : أقلع عن الأمر إقلاعا إذا تركه . والصلة هنا محذوفة أى أقلعا عن الجرى. وقوله« رابى »من الربو وهوالنفس العالى المتتابع يقال : ربا يربو إذا أخذه الربو والبهر — بضم الباء — وهو تتابع النفس، وهذا تمثيل وتشبيه يقول إن بنت جرير وزوجها قد افترقا حين حصلت الألفة بينهما ولم يمضيا على حالهافهما كفرسين جدافى الجرى ووقفاقبل الوصول إلى الغاية.

وهذا البيت من شواهد مغنى اللبيب وغيره من كتب النحو ، أورد شاهداً على أن « كلا » يجوز مراعاة لفظها فيعود الضمير إليها مفرداً ومراعاةمعناها فيعود الضمير عليها مثنى وقد اجتمعا فى هذا البيت

وقوله « ياابن المراغةالخ »المراغة الأتان لاتمنع الفحولة وبذلك هجا الفرزدق جريراً. وقال بعضهم : المراغة أم جرير لقبها بهالأخطل يريد أنها كانت مراغة للرجال. كذا فى العباب للصاغانى، وقوله «جهلا حين تجعلهاالخ» يريدأنك جهلت فى تزويجك إياها لغير أهل الإبل، وقوله «لئن أم غيلان الخ» أم غيلان هى بنت جرير وأراد بحمار الفضلا

زوجها وهو فاعل استحل وحرامها مفعوله يقول : إن استحل بضعها ما كان حراما عليه قبل العقد، ورتق — بالراء المهملة والنون — بمعنى أقام فى العباب ورنق القوم بالمكان إذا أقاموا به ورنق الطائر إذا خفق بجناحيه ورفرف فوق الشيء ولم يطر ،أراد من كثرة إقامته مع الالحاح وقوله «لما نال راق الخ» هذا جواب القسم وجواب الشرط محذوف وراق — بالتنوين — اسم فاعل من رقيت السطح و الجبل علوته يتعدى بنفسه . ومثلها مفعوله وكعابة — بكسر الكاف — مصدر كعبت الجارية تكعب كعوبا وكعابة إذا بدا ثديها فهى كاعب وكعاب بالفتح وفيه مضاف محذوف أى من ذات كعابة، وقوله «علمناه» الجملة صفة راق وقوله «حبته بمحلوق أى خصصته باعطاء فرج محلوق وروى «أتته بمحلوق» وهذا البيت فى صفة الفرج وقوله «إذا بركت لابن الشغور الخ» هذه كلمة سب والشغور فى الأصل الناقة التى تشغر بقوائمها إذا أخذت لتركب أو تحاب، وقوله «ونوخت» بالنون والخاء المعجمة بالبناء للمفعول يقال تنوخ الجمل الناقة أناخها ليسفدها و البروك مصدر برك بروكا أى استناخ قال جرير

وقد دميت مواقع ركبتيها من التبراك ليس من الصلاة

وقوله «ألحقا» من ألحق الشيء بالشيء أى أوصله به معطوف على بركت، وقوله «فامن درك الخ» أى لايقدر أن يلحقهما قادم عليهما أى لايتفرقا منه لشدة شبقهما، وقوله «وإن صك الخ» إن وصلية و صكه ضربه والحمار فاعله و التصفيق الرد و الصرف، وقوله «أبيلق رقاء» مصغر أبلق وهو اسم زوج بنت جرير ورقاء مبالغة راق صفة لأبليق وأسيد مفعوله مضاف لما بعده، قال المبرد فى الاعتنان: كان جرير زوج بنته الأبياق الأسيدى. أسيد بنى عمرو بن تميم فلم يحمده وذكر هجاء جرير إياه ورهطه، وقوله «هلا طلبت بعقر الخ» العقر — بالضم — دية فرج المرأة إذا غصبت على نفسها، وجعثن — بكسر الجيم والمثلثة — اسم أخت الفرزدق، ومنقر — بكسر الميم وفتح القاف — أراد أولادالأشد المنقرى، وكان عمران بن مرة المنقرى أسر جعثن أخت الفرزدق يوم السيدان وفيه يقول جرير:

غَمَزَ ٱبْنُ مُرَّةَ يافَرَزْدَقُ كَينَها غَمْزَ ٱلطبيبِ نغانغَ الْمَعْذُورِ

خزى الفرزدق بعد وقعة تسعة كالحصن من ولد الأشد ذكور

وقال أيضاً

على حفر السيدانِ (١) لاقيتَ خزْيةً ولم الدحا لم ينق ثوبك غاسله
وقد نوختها منقر قد علمتم لمعتلج الدايات شعر كلاكله
يفرج عمران بن مرة كينها وينزو نزاء العير أعلق حائله

والغمز شبه الطعن والدفع. والكين لحم الفرج. والنغانغ أورام تحدث في الحلق. والمعذور الذي أصابته العذرة وهو وجع الحلق. يريد أن أخته نكحها حين أسرت تسعة من ولد الأشد المنقري. ويقال علقت الأنثى من الذكر وأعلقت إذا حملت. والحائل التي يضربها الفحل فلا تحمل. وهذا افتراء من جرير على جعثن فانها كانت من النساء الصالحات وقد اعترف جرير بقذفه إياها وندم عليه وكان يستغفر الله مما قذفها به كما مر. والأبلق زوج بنت جرير. وقوله سبعون والوصفاء هو جمع وصيف. يريد أن مهر بناتنا سبعون من الأبل مع الوصفاء

وأنشد بعده

وهو الشاهد الثاني والسبعون بعد المائة

(١٧٢) ألا قالتِ الخنساء يومَ لقيتُها أراكَ حديثاً ناعمَ البالِ أفرعَا

على أن صفة الزمان القائمة مقام الموصوف يلزمها الظرفية عند سيبويه كما في هذا البيت أي زمانا حديثاً

وهذا البيت أول أبيات ثلاثة مذكورة في الحماسة ثانيها

فقلت لها لا تُنكريني فقلَّما يَسُودُ الفتى حتى يَشيبَ ويَصلَعا

---

(١) السيدان — بكسر أوله وآخره نون — أكمة وقال المرزوقي موضع وراء كاظمة بين البصرة وهجر. وقيل ماء لبني تميم في ديارهم والسيدان — أيضا — جبل بنجد وقال جرير أيضا:

بذي السيدان يركضها وتجري كما تجري الرجوف من المحال
وبالسيدان قيظك كان قيظاً على أم الفرزدق ذا وبال

وللقارح اليعبوب خير علالة من الجذع المرخى وأبعد منزعا

الرواية فى الحماسة وشروحها

ألا قالتِ الْعَصماء لمَّا لقِيتُها

والعصماء امرأة. والحديث هنا نقيض القديم وهو هنا ظرف. يقول :قالت لى هذه المرأة لما التقيت معها : أعلمك عن قريب ناعم الحال أفرع أى تام شعر الرأس لم يتسلط صلع ولا حدث انحصار شعر فكيف تغيرت مع قرب الأمد؟ والرؤية بصرية وناعم البال مفعوله، وأفرع صفته وناعم من نعم الشيء بالضم أى صار ناعما لينا وكذلك نعم ينعم مثل حذر يحذر وفيه لغة ثالثة مركبة بينهما نعم ينعم بكسر الاول وضم الثانى ولغة رابعة نعم ينعم بكسر عينهما وهو شاذ كذا فى الصحاح، والبال القلب، وخطر ببالى أى بقلبى وهو رخى البال أى واسع الحال وهذا هو المراد قال ابن الانبارى فى شرح المفضليات: والأفرع بالفاء والراء والعين المهملتين هو الكثير شعر الرأس يقال رجل أفرع وامرأة فرعاء وقد فرع — من باب فرح — وضد الأفرع الأزعر والمرأة زعراء انتهى. وقال صاحب الصحاح: الفرع بفتحتين مصدر الأفرع وهو التام الشعر. وقال ابن دريد: امرأة فرعاء كثيرة الشعر قال: ولا يقال للرّجل إذا كان عظيم اللحية أو الجمة أفرع وإنما يقال أفرع لضد الأصلع انتهى

وهذا المصراع الثانى قد وقع فى قصيدة متمم بن نويرة التى رثى بها أخاه مالك بن نويرة وهو:

تقول ابنة العمرى ما لك بعدما أراك حديثاً ناعم البال أفرعا

وقوله « فقلت لها الخ » يقول : قلت لها لا تستنكرى ما رأيت من شحوب لونى وانحسار شعر رأسى فما ينال الفتى السيادة حتى يستبدل بشبيبته شيبا وبوفور شعر رأسه صلعا ، وقوله « وللقارح اليعبوب الخ » القارح من الخيل بمنزلة البازل من الأبل وهو الذى تمت واستحكمت قوته والقروح انتهاء السن ، واليعبوب الفرس الكثير الجرى ، والجذع ماله سنتان . والعلالة — بالضم — بقية الجرى ويريد به هنا الجرى، والمرخى الذى يرخى فى سيره قليلا قليلا لا يكافأ أكثر من ذلك ، ويروى « المرخي » بكسر الخاء والأرخاء لين فى العدو ، ويروى بفتح الخاء وهو المرسل المهمل ،والمنزع النزوع إلى الغاية وانتصاب منزعا وعلالة على التميز ، وهذا مثل ضرب فى تفضيل نفسه مع شيخوخته وقد أدبه الدهر على الأحداث الذين لم يجربوا الأمور فيقول

للفرس المتناهي في القوة والسن الذي يجري جرية الماء سهولة ونفاذا خير بقاء وأبعد غاية من ابن ستين وهو مهمل لم يؤدب بأسراج ولا إلجام

وهذا الشعر لم يذكر قائله أحد من شراح الحماسة

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد المائة)

(١٧٣) باكَرْتُ حاجَتَها الدَّجاجَ بِسُحْرَةٍ

عجزه : لِأُعَلَّ عجزه منها حين هبَّ نيامُها

على أن الدجاج منصوب على الظرف بتقدير مضافين أي وقت صياح الدجاج إذا كانت باكرت بمعني بكرت لا غالبت بالبكور ، أقول: باكر متعد بنفسه الى مفعول واحد كما قال في المصباح و باكرت بمعنى بكرت إليه دجاجتها مفعول بكرت وبكر —بالتخفيف من باب قعد — فعل لازم يتعدى بألى يقال بكر إلى الشيء بمعني بادر اليه أي وقت كان ، وقال أبو زيد في كتاب المصادر : بكر بكورا وغدا غدوا هذان من أول النهار فأذا نقل إلى فاعل للمغالبة تعدى الى مفعول واحد . ومعنى المغالبة أن يفعل الفاعل المفعول في معنى المصدر فضمير المتكلم الذي هو التاء فاعل وقد غالب الدجاج وهو المفعول في البكور فغلبه فيه فيكون حاجتها منصوبا بنزع الخافض وهو إلى لأن أصل باكر يتعدى به كما ذكرنا فأذا كان باكر من باب المغالبة كان للتكثير في البكور إلى الحاجة نحو ضاعفت الشيء بمعنى كثرت أضعافه فيكون قوله حاجتها مفعوله ويكون الدجاج منصوبا على الظرف بتقدير مصدر مضاف والتقدير صياح الدجاج ، وهذا المصدر نائب عن اسم الزمن الواقع ظرفا أي وقت صياحه . وقد ذكر ابن قتيبة هذا البيت في أبيات المعاني وحمله على المغالبة مع تقديره المضاف فقال : أي بادرت بحاجتي إلى شربها أصوات الديكة لأشرب منها مرة بعد مرة وهو العلل انتهى ، ومعنى بادرت سبقت وكذا قال شراح المعلقات

وهذا البيت من معلقة لبيد بن ربيعة المشهورة وقبله :

أُغْلِي السِّباءَ بكلِّ أَدْكَنَ عاتِقٍ أو جَوْنَةٍ قُدِحَتْ وَفُضَّ خِتامُها

بِصَبُوحِ صافيةٍ وَجَذْبِ كَرِينةٍ بِمُوَتَّرٍ تأْتالُهُ إِبْهامُها

باكرت حاجتها الدجاج بسحرة « البيت »

يقول: أغلى — بضم — الهمزة أي اشترى غاليا، والسباء — بالكسر والمد — اشتراء الخمر ولا يستعمل فى غيرها يقال: سبأت الخمر بالهمز أسبؤها بالضم سبأ بسكون الباء ومسبأ إذا اشتريتها لتشربها قال ابن هرمة:

كأسا بفيها صهباء معرقة يغلو بأيدى التجار مسبؤها

أى أنها من جودتها يغلو اشتراؤها، واستبأتها مثله والاسم السباء على فعال بكسر الفاء ومنه سميت الخمر سبيئة على وزن فعيلة وخمارها سباء على فعال بالتشديد، وأما إذا اشتريتها لتحملها إلى بلد آخر قلت سبيت الخمر بلا همز كذا فى الصحاح. والباء بمعنى مع، والأدكن الزق الأغبر. والعاتق قيل هى الخالصة يقال لكل ماخلص عاتق، وقيل التى عتقت، وقيل التى لم تفتح فهو من صفة الخمر وهو الصحيح لأنه يقال اشترى زق خمر وإنما اشترى الخمر فعاتق مضاف إليه. وقيل العاتق من صفات الزق فهو وصف لأدكن، والجونة بفتح الجيم الخابية، وقدحت بالبناء للمفعول بمعنى غرفت والمقدحة بالكسر المغرفة، وقيل قدحت مزجت، وقيل معناه بزلت يقال بزلت الشىء زلا بالموحدة والزاى المعجمة إذا ثقبته واستخرجت مافيه، وفض كسر، وختامها طينها، وفيه تقديم وتأخير أى فض ختامها وقدحت لأنه مالم يكسر ختامها لا يمكن اغتراف مافيها يقول: أشترى الخمر غالية السعر باشتراء كل زق أدكن أو خابية سوداء قد فض ختامها واغترف منها، وتحرير المعنى أشترى الخمر للندماء عند غلاء السعر وأشترى كل زق مقيرا وخابية مقيرة وإنما قيرا لئلا يرشحا بما فيهما، وقوله « بصبوح صافية الخ » الصبوح شرب الغداة. ويريد بالصافية الخمر، والكرينة بفتح الكاف وكسر الراء المهملة المغنية بالعود، والكران بكسر الكاف وهو العود، والموتر العود الذى له أوتار، وتأتاله بفتح اللام الجارة من قولك تأتيت له كأنها تفعل ذلك على مهل وترسل، ويروى تأتاله بضم اللام من قولك ألت الأمر إذ أصلحته كذا فى شروح المعلقات وروى « وصبوح صافية » بواو رب والمعنى كم صبوح من خمر صافية استمتعت باصطباحها وجذب عوادة عودا موترا معالجة إبهام العوادة استمتعت بالأصغاء إلى غنائها. وقوله « باكرت حاجتها الخ » باكرت متعلق قوله بصبوح

صافية على رواية الباء وهو جواب واو رب على رواية الواو وروى «بادرت» موضع «باكرت»، وضمير حاجتها راجع إلى الصافية المراد منها الخمر ومعناه حاجتى فى الخمر فأضاف الحاجة إلى ضمير الخمر اتساعاً وجعله الشارح المحقق فيما يأتى قريباً من باب إضافة المصدر إلى ظرفه وقال: إلا أنه كالمضاف إلى المفعول به المنصوب بنزع الخافض أى حاجتى إليهـا وهو فى الحقيقة بمعنى اللام . وروى فى ديوانه «باكرت لذتها الدجاج» وهو جمع دجاجة ـ بفتح الدال وكسرها ـ يطلق على الذكر والأنثى والهاء للواحد من الجنس والمراد هنا الديوك والمعنى باكرت بشربها صياح الديكة . والسحرة ـ بالضم ـ أول السحر . وقوله «لأعل» متعلق بباكرت وبالبناء للمفعول من العلل وهو الشرب الثانى وقد يقال للثالث والرابع علل من قولهم تعللت به أى انتفعت به مرة بعد مرة والنهل ـ محركة ـ الشرب الأول أي تعاطيت شربها قبل صدح الديك لأسقى منها مرة بعد أخرى أى حين استيقظ نيام السحر . وهب من نومه استيقظ . ونيام جمع نائم ومثله للنابغة الجعدى :

سبقْتُ صِـيَاحَ فَرَارِيجِهـا وصَوْتَ نواقيسَ لم تُضرَبِ

قال الأصمعى : الفراريج الديكة وقال جرير مثله :

لما تذكرت بالديرين أرقنى صوتُ الدَّجاجِ وضربٌ بالنواقيس

وترجمة لبيد بن ربيعة تقدمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة

وأنشد بعده

وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد المـائة

(١٧٤) ياسارقَ اللَّيْلةِ أهْلَ الدارِ

على أنه قد يتوسع فى الظروف المتصرفة فيضاف إليها المصدر والصفة المشتقة منه فان الليل ظرف متصرف وقد أضيف إليه سارق وهو وصف

وقد وقع هذا فى كتاب سيبويه وأورده الفراء أيضا فى تفسيره عند قوله تعالى : «فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله» وقال : أضاف سارق إلى الليلة ونصب أهل وكان بعض النحويين ينصب الليلة ويخفض أهل فيقول :

ياسارقَ اللَّيلةَ أهلِ الدَّارِ

هذا كلامه ، قال ابن خروف فى شرح الكتاب : أهل الدار منصوب بأسقاط الجار ومفعوله الأول محذوف ، والمعنى : ياسارق الليلة لأهل الدار متاعا فسارق متعد لثلاثة أحدها الليلة على السعة ، والثانى بعد إسقاط حرف الجر ، والثالث مفعول حقيقى ، وجميع الأفعال متعديها ولازمها يتعدى إلى الأزمنة والامكنة انتهى ، وفيه نظر فأن أهل اللغة نقلوا أن سرق يتعدى بنفسه إلى مفعولين قال صاحب المصباح وغيره : سرقه مالا يسرقه — من باب ضرب — وسرق منه ما لا يتعدى إلى الأول بنفسه وبالحرف على الزيادة انتهى ، فجعل من فى المثال الثانى زائدة فالصواب أن الليلة هو المفعول الأول وأهل الدار بدل منها فيقتضى أن يكون منصوبا بسارق آخر لأن البدل على نية تكرار العامل والمفعول الثانى حذف لأرادة التعميم أى متاعا ونحوه قال السيد فى شرح الكشاف : وأهل الدار منصوب بسارق لاعتماده على حرف النداء كقولك ياضاربا زيدا وياطالعا جبلا ، وتحقيقه أن النداء يناسب الذات فاقتضى تقدير الموصوف أى ياشخصا ضاربا انتهي ، ولم يجر للمفعول الثانى ذكرا وكأنه لوضوحه تركه ، وقول الفنارى فى حاشية المطول الظاهر أن انتصاب أهل الدار بمقدر أى احذر أهل الدار خلاف المعنى المقصود قال السيد : والاتساع فى الظرف أن لايقدر معه فى توسعا فينصب نصب المفعول به كقوله « ويوما شهدناه » أو يضاف إليه على وتيرته « مالك يوم الدين ، وسارق الليلة » حيث جعل اليوم مملوكا والليلة مسروقة وأما « مكر الليل والنهار » فأن جعلا ممكورا بهما كما يقتضيه سياق كلامه فى المفصل كان مثالا لما نحن فيه من اجراء الظرف مجرى المفعول به وإن جعلا مؤكدين كانا مشبهين به فى اعطاء الظرف حكم غيره والاضافة فى الكل بمعنى اللام ولم يقيد المصنف — يعنى الزمخشرى — الأضافة بمعنى فى وإن كانت رافعة مؤنة الاتساع وما يتبعه من الأشكال إما لأن إجراء الظرف مجرى المفعول به قد تحقق فى الضمائر بلا خلاف وصورة الأضافة لما احتملت وجهين كانت محمولة على ما تحقق فلا إضافة عندهم بمعنى فى ، وإما لأن الاتساع يستلزم فخامة فى المعنى فكان عند أرباب البيان بالاعتبار أولى ، ومن أثبتها من النحاة فلنظره فى تصحيح العبارة على ظاهرها انتهى كلامه ، وقوله « وما يتبعه من الأشكال » هو وصف المعرفة بالنكرة لأن الأضافة على الاتساع لفظية فيشكل كونه صفة للاسم الكريم فلو كانت الأضافة بمعنى فى لكانت معنوية وصح الوصف به لحصول

التعريف للمضاف بناء على أن الأضافة اللفظية لاتكون على تقدير حرف ، واعلم أن صاحب الكشاف قال فى « مالك يوم الدين » معنى الأضافة على الظرفية بعد أن قال إن يوم الدين أضيف إليه مالك على الاتساع فظاهره التنافى بينهما لأن الاضافة على الاتساع لفظية وكون المعنى على الظرفية يقتضى أن الأضافة معنوية فدفعه السيد بقوله: « يعنى أن الظرف وإن قطع فى الصورة عن تقدير فى وأوقع موقع المفعول به إلا أن المعنى المقصود الذى سبق الكلام لأجله على الظرفية لأن كونه مالكا ليوم الدين كناية عن كونه مالكا فيه للأمر كله فأن تملك الزمان كتملك المكان يستلزم تملك جميع ما فيه » انتهى ، وإضافة الوصف إلى الظرف المذكور من قبيل المجاز اللغوى عند السيد ومن باب المجاز الحكمى عند التفتازانى ورده السيد بقوله : ومن قال الاضافة فى « مالك يوم الدين » مجاز حكمى ثم زعم أن المفعول به محذوف عام يشهد لعمومه الحذف بلا قرينة ورد عليه أن مثل هذا المحذوف مقدر فى حكم الملفوظ فلا مجاز حكميا كما فى « واسئل القرية » إذ كان الأهل مقدرا انتهى

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه)

(١٧٥) أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْباً

هو قطعة من بيت وهو :

أستغفرُ اللهَ ذَنْباً لستُ أُحْصِيَهُ رَبَّ الْعِبادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ والْعَمَلُ

على أن الأصل استغفر الله من ذنب فحذف من ، لأن أستغفر يتعدى الى المفعول الثانى بمن ومعناه طلب المغفرة أى الستر على ذنوبه وأراد بالذنب جميع ذنوبه فأن النكرة قد تعم فى الأثبات ويدل عليه قوله « لست أحصيه » أى أنا لا أحصى عدد ذنوبى التى أذنبتها وأنا أستغفر الله من جميعها . ورب العباد صفة للاسم الكريم ، قال الاعلم : والوجه هنا القصد والمراد وهو بمعنى التوجه أى إليه التوجه فى الدعاء والطلب والمسألة والعبادة والعمل له يريد هو المستحق للطاعة

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التى لايعرف قائلها

وأنشد بعده

(وهو الشاهد السادس والسبعون بعد المائة ، وهو من شواهد المفصل)

(١٧٦) كَوْكَبُ الخَرْقَاءِ

وهو قطعة من بيت وهو :

إذا كوكبُ الخرقاءِ لاحَ بِسُحْرَةٍ سُهَيْلٌ أذاعتْ غَزْلَهَا فى القرائبِ

على أن الشيء قد يضاف إلى الشيء لأدنى ملابسة ، بيانه أن الخرقاء هي المرأة التي لاتحسن عملا والأخرق الرجل الذى لايحسن صنعة وعملا ، يقال خرق بالشيء — من باب قرب — إذا لم يعرف عمله وذلك إما من تنعم وترفه أو من عدم استعداد قابلية . . ومنه الخرقاء صاحبة ذى الرمة فأنه أول مارآها أراد أن يستطعم كلامها فقدم إليها دلوا فقال : اخرزيها لى . فقالت : إنى خرقاء لاأحسن العمل . وليس الخرقاء هنا المرأة الحمقاء كما توهم ، فأضاف الكوكب إلى الخرقاء بملابسة أنها لما فرطت فى غزلها فى الصيف ولم تستعد للشتاء استغزلت قرائبها عند طلوع سهيل سحرا وهو زمان مجيء البرد فبسبب هذه الملابسة سمى سهيل كوكب الخرقاء . والأضافة لأدنى ملابسة من قبيل المجاز اللغوى عند السيد ومن المجاز العقلى عند التفتازانى قال السيد فى شرح المفتاح فى بيان الأضافة لأدنى ملابسة : الهيئة التركيبية فى الأضافة اللامية موضوعة للاختصاص الكامل المصحح لأن يخبر عن المضاف بأنه للمضاف إليه فأذا استعملت فى أدنى ملابسة كانت مجازاً لغويا لاحكميا كما توهم لأن المجاز فى الحكم إنما يكون بصرف النسبة عن محلها الأصلى إلى محل آخر لأجل ملابسة بين المحلين وظاهر أنه لم يقصد صرف نسبة الكوكب عن شيء إلى الخرقاء بواسطة ملابسة بينهما بل نسب الكوكب إليها لظهور جدها فى تهيئة ملابس الشتاء بتفريقها قطنها فى قرائبها ليغزل لها فى زمان طلوعه الذى هو ابتداء البرد فجعلت هذه الملابسة بمنزلة الاختصاص الكامل وفيه لطف انتهى كلامه . وبه يسقط أيضاً ما للسيد عيسى الصفوى فى جعله هذه الأضافة حقيقية وليست من المجاز فى شيء فأنه قال فى مناقشته : فأن ذلك مما لم يفهم من كلامهم والأصل الحقيقة مع أنهم صرحوا بأن اللام معناه الحقيقي مطلق الاختصاص بمعنى المناسبة التامة وزيادة الخصوصية فلا مجاز فى قولنا كوكب الخرقاء انتهى . وكوكب

الخرقاء فاعل بفعل محذوف يفسره لاح ، وسهيل — بالرفع — عطف بيان لكوكب الخرقاء ، وجملة أذاعت جواب إذا ، وأذاعت أى فرقت ، وفاعله ضمير المضاف إليه أعنى الخرقاء وروى ، أشاعت غزلها ، أى فرقته متعدى شاع اللبن فى الماء إذا تفرق وامتزج به قال الأصمعى : إذا طلع سهيل عند غروب الشمس أول الليل كان وقت تمام السنة وفى الشتاء يطلع من أول الليل وفى آخر الصيف قبيل الشتاء من آخر الليل

وقد أنشد ابن السكيت هذا البيت فى أبيات المعانى وأورد بعده :

وقالت سماء البيت فوقك منهج ولما تيسر أحبلا للركائب

وقال : تقول لزوجها إذا لاح سهيل: سماء البيت فوقك منهج أى مخلق ولم تيسر لركائبنا أحبلا فكيف ننتجع على هذه الحالة انتهى . فجملة قالت معطوف على أذاعت ، قال ابن الأنبارى : البيت عند العرب إنما هو من صوف أو شعر فإذا كان من شجر فهو خيمة والسماء السقف مذكر وكل عال مظل سماء . والمنهج اسم فاعل من أنهج الثوب إذا أخذ فى البلى . وتيسر تسهل وتهيء مجزوم بلما . وأحبل جمع حبل وهو الرسن ونحوه . والركائب جمع ركاب والركاب — بالكسر — الإبل التى يسار عليها الواحدة راحلة وليس له واحد من لفظه

باب المفعول له

أنشد فيه

* (وهو الشاهد السابع والسبعون بعد المائة . وهو من شواهد سيبويه) *

(١٧٧) يَرْكَبُ كلَّ عاقِرٍ جُمْهورِ مَخافَةً وزَعَلَ الْمَحْبُورِ

والْهَوْلَ مِنْ تَهَوُّلِ الهبور

على أن زعل المحبور والهول مفعول لأجله ، وفيه رد على الجرمى فى زعمه أن المسمى مفعولا لأجله هو حال فيلزم تنكيره ، وبيان الرد أن الأول معرف بالاضافة وهى إضافة معنوية والثانى معرف بأل فلا يكونان حالين فتعين أن يكون كل منهما مفعولا لأجله ، وقال ابن برى فى شرح أبيات الايضاح : وانتصاب مخافة وزعل والهول المعطوفين عليه على المفعول له وأصله اللام فلما سقط الخافض تعدى إليه الفعل ،

والرياشي زعم أنه لايكون إلا نكرة كالحال والتميز وسيبويه يجيز الأمرين انتهى

وهذا من أرجوزة للعجاج، شبه بعيره فى السرعة بالثور الوحشى الموصوف بهذا الوصف، فقوله «يركب» فاعله ضمير الثور الوحشى الذى خاف من الصياد فذهب على وجهه مسرعا يصعد تلال الرمل ويعتسف المشاق. والعاقر العظيم من الرمل الذى لاينبت شيئاً شبه بالعاقر التى لا تلد. قال أبو عبيدة: العاقر من الرمل العظيم وقال غيره: المشرف الطويل وهذا التفسير كله واحد لأن المشرف الطويل والرمل العظيم لاينبت لعدم التراب والرطوبة التى يكسبها المطمئن السهل من الرمل. والجمهور — بالضم — الرملة المشرفة على ماحولها وهي المجتمعة وهو صفة لعاقر وإنما خصه لأن بقر الوحش إذا دهمها القانص اعتصمت بركوب الرمل فلا تقدر الكلاب عليها، وقوله «مخافة» مفعول لأجله قال صاحب اللباب: المفعول له علة الأقدام على الفعل يكون سبباً غائياً كقوله:

وأَغفرُ عَوْراءَ الكريمِ ادِّخارَهُ

وسبباً باعثاً ليس غاية يقصد قصدها نحو قوله. وأنشد شعر العجاج. فالخوف والزعل والهول كل منها سبب باعث على ركوب الجمهور لاسبب غائى وزعل معطوف على مخافة وهو — بالزاء المعجمة والعين المهملة — بمعنى النشاط مصدر زعل — من باب فرح — والوصف زعل — بالكسر — قال ذو الرمة يصف ثوراً:

ولّى يهز انهزاماً وسْطَها زَعِلاً ... جذلانَ قد أفرخت عن روعه الكرب

وقال طرفة بن العبد:

وبلاد زَعِل ظلْمانُها

والمحبور اسم مفعول من حبرنى الشيء إذا سرنى — من باب قتل — فزعل مصدر مضاف إلى فاعله فليس مفعولا لأجله لاختلاف الفاعل وإنما هو مصدر تشبيهى أى زعلا كزعل المحبور فالمحذوف هو المفعول له، وقوله «والهول» معطوف على مخافة وهو مصدر هاله يهوله هولا إذا أفزعه قال الشارح: فالهول معناه الأفزاع لا الفزع والثور ليس بمفزع بل هو فزع فالفاعلان مختلفان وقد جوزه بعض النحويين وهو الذى يقوى فى ظني وإن كان الاغلب هو الأول

انتهى ، وقد فسره شراح أبيات الكتاب بالفزع وهو المشهور وعليه فالفاعل متحد ، ونقل أبو البقاء فى شرح الايضاح الفارسى عن بعضهم بأنه معطوف على كل عاقر أى يركب كل عاقر ويركب الهول فيكون مصدراً بمعنى اسم المفعول ، والتهول تفعل منه وهو أن يعظم الشىء فى نفسك حتى يهولك أمره ، والهبور جمع هبر — بفتح فسكون — وهو ما اطمأن من الأرض وما حوله مرتفع وروى شارح اللب :

والهَـوْلِ من تَهَوُّرِ الهبورِ

وقال : الهول الخوف . والتهور الانهدام أى ولمخافته من تهور الأمكنة المطمئنة ، وقد استدل صاحب اللب لتعريف المفعول بزعل المحبور فقط من هذا الشعر . قال شارحه : وإنما لم يذكر آخر البيت ليكون شاهداً أيضاً للمفعول له المعرف باللام وهو الهول كما ذكر المعرف بالأضافة لأنه ذكر فى شرح أبيات الكتاب أن الهول عطف على كل وعلى هذا يكون مفعولا به لا مفعولا له فلا يكون الاتيان به نصاً فى الاستشهاد انتهى ، قال ابن خلف : زعل المحبور عطف على مخافة . والهول معطوف على كل . ثم قال : والأصل لمخافة ولزعل المحبور وللهول أى لأجل هذه الأشياء يركب كل كثيب . هذا كلامه

وترجمة العجاج تقدمت فى الشاهد الحادى والعشرين

وأنشد بعده

وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد المائة قول ابن دريد :

١٧٨ والشيخ إن قَوَّمْتَهُ من زَيْغِهِ   لم يقم التثقيف منه ما التوى

على أنه يجوز أن يقال ضربته تقويماً فما استقام إذ قد يطلق أنه حصل التأثير ، والتقويم التعديل يقال : قومته تقويماً فتقوم بمعنى عدلته فتعدل . ومثله أقامه أى عدله والزيغ الميل يقال : زاغت الشمس تزيغ زيغاً وإزاغة أى إمالة ، والتثقيف تعديل المعوج ، ومنه متعلق بيقم . وما موصولة أو موصوفة ويجوز أن تكون مصدرية ، والتوى تعوج وفاعله ضميرما على الأول وضمير الشيخ على الثانى ، وجملة الشرط والجزاء فى محل رفع خبر المبتدأ الذى هو الشيخ

وهذا البيت من مقصورة ابن دريد المشهورة وقبل هذا البيت :

والناسُ كالنَّبْتِ فمِنْهُ رائقٌ غضٌّ نَضيرٌ عُودُهُ مُرُّ الجَنى
ومنه ما تَقْتَحِمُ العــينُ فإنْ ذُقْتَ جَناه انْساغَ عذباً في اللَّها
يقوم الشارخ من زيغانه فيستوى ما انْعاجَ منهُ وانْحَنَى
والشيخُ إنْ قوَّمْتَهُ من زَيْغِهِ «البيت»
كذلكَ الغُصْنُ يسيرٌ عطفهُ لَدْناً شديدٌ غَمْزُهُ إذا عسا
مَنْ ظَلَمَ الناسَ تَحامَوْا ظُلْمَهُ وعَزَّ فيهِمْ جانباهُ واحْتَمى
وهم لمن لانَ لَهُمْ جانبهُ أظلم من حيات أنبات السفى
والناس كلا ان فحصت عنهم جميع أقطار البلاد والقرى
عبيد ذى المال وإن لم يطعموا من غمره في جرعة تشفى الصدى
وهم لمن أملق أعداء وان شاركهم فيما أفاد وحوى

وتقتحمه العين تفوته وتزدريه . واللها — بالفتح — جمع لهاة وهى مابين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم . والشارخ الشاب . والزيغان العدول عن الحق . وانعاج انعطف . وما فيه الوجهان . وقوله « كذلك الغصن » الاشارة راجعة الى تقويم الشارخ والشيخ . واللدن اللين والطرى . والغمز العصر باليد والهز . وعسا صلب واشتد . وقوله « أظلم من حيات الخ » الانبات جمع نبث — بنون فوحدة فمثلثة — فى القاموس النبث كفأس النبش وقيل التراب المستخرج من البئر . والسفي — بسين مهملة مفتوحة وفاء — التراب وهذا من قولهم فى المثل « أظلم من حية » لأنها لا تحفر جحراً وإنما تأتى الى جحر قد احتفره غيرها فتدخل فيه وتغلب عليه فكل بيت قصدت اليه هرب أهله منه وخلوه لها

وهذه القصيدة طويلة عدتها مائتان وتسعة وثلاثون بيتاً لها شروح لا تحصى كثرة وأحسن شروحها شرح العلامة الأديب أبى على محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللخمى السبتى وقد شرحتها أنا شرحاً موجزاً مع إيضاح واف وتبيين شاف فى أيام الشبيبة نفع الله به

ومدح ابن دريد بهذه المقصورة الشاه وأخاه أبا العباس اسمعيل ابنى ميكال يقال :

إنها اشتملت على نحو الثلث من المقصور وفيها كل مثل سائر ، وخبر نادر ، مع سلاسة ألفاظ ، ورشاقة أسلوب . وانسجام معان تأخذ بمجامع القلوب

وهذه نبذة من نسبه وأحواله ، وهو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد وينتهى نسبه إلى الأزد بن الغوث ومنه إلى قحطان وهو أبو قبائل اليمن ، ولد بالبصرة فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين . ونشأ بها وتعلم فيها ، ثم ارتحل منها مع عمه عند ظهور الزنج ، وسكن عمان وأقام بها اثنتى عشرة سنة . ثم عاد إلى البصرة وسكن بها زماناً . ثم خرج إلى نواحي فارس وصحب ابنى ميكال . وكانا يومئذ على عمالة فارس ، وعمل لهما كتاب الجمهرة ، وقلداه ديوان فارس ، فكانت الكتب لا تكتب إلا عن رأيه ولا ينفذ أمر إلا بعد توقيعه . وكان سخياً لا يمسك درهماً . ومدحهما بهذه القصيدة المقصورة فوصلاه عشرة آلاف درهم ، ثم انتقل من فارس إلى بغداد ودخلها سنة ثمان وثلثمائة بعد عزل ابني ميكال وانتقالهما إلى خراسان ، ولما دخل بغداد أنزله على بن محمد فى جواره وافضل عليه . وعرف الخليفة المقتدر العباسى مكانه من العلم فأجرى عليه فى كل شهر خمسين دينارا . ولم تزل جارية إلى حين وفاته ، وتوفى يوم الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ببغداد . وكان مواظباً على شرب الخمر . قال أبو منصور الأزهرى دخلت عليه فرأيته سكران . فلم أعدل إليه . وقال ابن شاهين كنا ندخل عليه فنستحي مما نرى عنده من العيدان والشراب المصفى . وعرض له فى رأس التسعين من عمره فالج وسقى الترياق فبرىء وصح ورجع الى أفضل أحواله . ثم عاده الفالج بعد عام لغذاء ضار تناوله فكان يحرك يديه حركة ضعيفة . وبطل من محزمه الى قدميه . فكان اذا دخل عليه داخل ضج وتألم لدخوله . قال تلميذه أبو على القالى كنت أقول فى نفسي إن الله عز وجل عاقبه لقوله فى هذه المقصورة يخاطب الدهر

مارَسْتَ مَنْ لَوْهَوَتِ الأَفْلاكُ مِنْ   جَوانِبِ الجَوِّ عَلَيْهِ مَاشَكَا

وكان يصيح من الداخل عليه صياح من ينخس بالمسال والداخل بعيد ، وكان مع هذه الحال ثابت الذهن ، كامل العقل ، وعاش مع الفالج عامين ، وكنت أسأله عن أشياء فى اللغة فيرد بأسرع من النفس بالصواب ، وقال لى مرة وقد سألته عن بيت

: لئن طفئت شحمتا عينى لم تجد من يشفيك من العلم ! وكان ينشد كثيراً

فواحزنى أن لاحيـاة لذيذة   ولا عمـل يرضى به الله صالح

وأشهر مشايخه . أبوحاتم السجستانى . والرياشى . وعبدالرحمن ابن أخى الأصمعى . والأشناندانى . وسمع الأخبار من عمه الحسين بن دريد، ومن غيره . وله من التآليف . الجمهرة فى اللغة . وكتاب السرج واللجام ، وكتاب الأنواء . وكتاب المجتبى ، وهذه الكتب عندى والحمد لله والمنة ، وله كتاب الاشتقاق . وكتاب الخيل الكبير والصغير ، وكتاب الملاحم ، وكتاب زوار العرب ، وكتاب الوشاح ، وغير ذلك ، وكان واسع الرواية ، لم ير أحفظ منه ، وكانوا يقرؤون عليه دواوين العرب فيسابق الى إتمامها من حفظه . وله شعر رائق . قال بعض المتقدمين : ابن دريد أعلم الشعراء ، وأشعر العلماء ، قال المسعودى فى مروج الذهب : كان ابن دريد ببغداد ممن برع فى زماننا فى الشعر ، وانتهى فى اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها . وأورد أشياء فى اللغة لم توجد فى كتب المتقدمين ، وشعره أكثر من أن يحصى .

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه)

(١٧٩) وأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الكريمِ ادِّخارَهُ   وأُعرِضُ عَنْ شَتْمِ اللَّئيمِ تكرُّماً

على أنه يرد على من اشترط التنكير فى المفعول له هذا البيت وبيت العجاج السابق ، فان قوله « ادخاره » مفعول له وهو معرفة ، قال الأعلم : نصب الادخار والتكرم على المفعول له ، ولا يجوز مثل هذا حتى يكون المصدر من معنى الفعل المذكور قبله فيضارع المصدر المؤكد لفعله كقولك قصدتك ابتغاء الخير فان كان المصدر لغير الأول لم يجز حذف حرف الجر لأنه لا يشبه المصدر المؤكد لفعله كقولك قصدتك لرغبة زيد فى ذلك لأن الراغب غير القاصد انتهى .

لكن المبرد أخرجهما من هذا الباب وجعلهما من باب المفعول المطلق ، قال فى الكامل: قوله « ادخاره » أى أدخره ادخاراً ، وأضافه اليه كما تقول ادخاراً له وكذلك تكرماً ، إنما أراد التكرم فأخرجه مخرج تكرم تكرماً انتهى .

وأغفر أستر ، يقال غفر الله لى أى ستر عنى العقوبة فلم يعاقبنى ، والعوراء — بالفتح —

الـكلمة القبيحة ، ومنـه العورة للسوءة وكل ما يستحى منه ، والادخار افتعال من الذخر ، وروى أبوزيد فى نوادره :

وأغفرُ عوراءَ الكريم اصطناعهُ

وهو افتعال أيضاً من الصنع وهو الفعل الجميل ، والاعراض عن الشيء الصفح عنه ، يقول: اذا بلغتنى كلمة قبيحة عن رجل كريم قالهـا فى غفرتها له لأجل كرمه وحسبه ، وأبقيت على صداقته وادخرته ليوم أحتاج إليه فيه ، لأن الكريم إذا فرط منه قبيح ندم على ما فعل ومنعه كرمه أن يعود إلى مثله، وأعرض عن ذم اللئيم إكراماً لنفسى عنه . وما أحسن قول طرفة بن العبد:

وعوراءَ جاءتْ مِنْ أخٍ فرددتها　　بسالمةِ العينين طالبةٍ عُذْرَا

وهذا من إحكام صنعة الشعر ، ومقابلة الألقاب بما يشاكلها ويتمم معانيها . وذلك أنه لما كان الكلام القبيح يشبه بالأعور العين سمى ضده سالم العينين

وقد أورد صاحب الكشاف هذا البيت فى التفسير عند قوله تعالى (حذر الموت) على أنه مفعول له معرفا بالاضافة كما فى « ادخاره »

وهو من قصيدة طويلة لحاتم الطائى تتعلق بالكرم ومكارم الاخلاق ، وهى مسطورة فى الحماسة البصرية وغيرها وهى هذه :

وعاذلتين هَبَّتَا بعدَ هجعةٍ　　تلومان متلافاً مفيداً مَلوّمَا
تلومان لمَّا غوّرَ النجمُ ضلة　　فتًى لا يرى الإنفاقَ فى الحمد مَغْرَمَا
فقلت وقد طال العتاب عليهما　　وأوعدتمانى (١) أن تبينا وتصرما
: ألا لا تلومانى على ماتقـدما　　كفَى بصُروف الدهر للمرء محكما
فانـكما لا ما مضى تدركانه　　ولست على ما فاتنى متندما
فنفسـك أكرمها فأنك إنْ تَهِنْ　　عليك فلن تلقى لك الدهر مُكْرِمَا
أهن للذى تهوى التلاد فأنه　　إذا مت كان المال نهبا مقسما
ولا تشقين فيه فيَسْعَدَ وارث　　به حين تغشى أغبر الجوف مظلما
يقسمه غنما ويشرى كرامة　　وقد صرت فى خط من الأرض أعظُما

(١) كذا بالأصل وخير منه « وأوعدتانى .. الخ » والذى فى ديوان حاتم : « ولو عذرانى أن تبينا وتصرما » فانظر

قليلاً به ما يحمد نَّكَ وارث ... إذا نال مما كنت تجمع مغنما
تحلم عن الأدنين واستبق وُدَّهمْ ... ولن تستطيع الحلم حتى تحلما
وعوراء قد أعرضت عنها فلم تضر ... وذى أَوَدٍ قومته فتقوما
وأغفرُ عوراء الكريم ادخاره ... « البيت »
ولا أخذل المولى وإن كان خاذلاً ... ولا أشتم ابن العم إن كان مفحما
ولا زادنى عنه غناى تباعدا ... وإن كان ذا نقص من المال مصرما
وليل بهيم قد تسربلتُ هَوْلَهُ ... إذا الليل بالنِّكْسِ الدنىء تجهّما
ولن يكسب الصعلوك حمداً ولا غنى ... إذا هو لم يركب من الأمر معظما
لحا الله صعلوكا مناه وهمه ... من العيش أن يلقى لبوسا ومغنما
ينام الضحى حتى إذا نومه استوى ... تنبَّه مثلوجَ الفؤاد مورما
مقيما مع المثرين ليس ببارح ... إذا نال جدوى من طعام ومجثما
ولله صعلوك يساور همه ... ويمضى على الأحداث والدهر مقدما
فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة ... ولا شبعة إن نالها عدّ مغنما
يرى الخمص تعذيبا ولم يلق شبعة ... يبت قلبه من قلة الهم مبهما
إذا ما رأى يوما مكارم أعرضت ... تيمم كبراهن ثُمَّتَ صمّما
ويغشي إذا ما كان يوم كريهة ... صدورَ العوالى فهو مختضب دما
يرى رمحه ونبله ومجنه ... وذا شطَبٍ عضب الضريبة مخذما
وأحناء سرج قاتر ولجامه ... عتاد فتى هيجا وطرفا مسوما
فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه ... وإن عاش لم يقعد ضعيفا مُذمَّما

قوله هبتا أى استيقظتا ، وغور النجم أى غابت الثريا . وقوله ضلة هو قيد فى اللوم لامه ضلة إذا لم يوفق للرشاد فى لومه ، والمغرم — بالفتح — الغرامة . وأغبر الجوف القبر ومثله خط من الارض ، وقوله حتى تحلما أي تتحلم أى تتكلف الحلم ، وهذا البيت من شواهد مغنى اللبيب ، وقوله فلم تضر من ضار يضير ضد نفع والأود — بفتحتين — الاعوجاج والنكس — بكسر النون — الردىء وأصله السهم الذى كسر فوقه ، وتجهم كلح وجهه ، ولحا الله قبح الله ، والصعلوك — بالضم — الفقير ، ومثلوج الفؤاد البليد

الذى ليست فيه حرارة من الهمة ، والمجثم — بفتح الميم وكسر المثلثة — مكان الجثوم وهو بروك الطائر . وقوله ولله صعلوك تعجب ومدح يقال عند استغراب الشيء واستعظامه أى هو صنع الله ومختاره إذ له القدرة على خلق مثله . و يساور يواثب ، وهمه أى عزمه مفعول . وقوله و يمضى على الأحداث أى لا يشغله الدهر وحوادثه فى حالة إقدامه على ما يريد . وقوله فتى طلبات إشارة إلى علو همته . والخمص — بالفتح — الجوع . و الترحة ضد الفرحة . والشبعة المرة من الشبع . وثمت حرف يعطف الجمل ، ورمحه وما عطف عليه مفعول أول ليرى . وعتاد هو المفعول الثانى . وذا شطب هو السيف جمع شطبة وهى الطريقة فى متن السيف . والجن — بالكسر — الترس والدرقة ، والعضب القاطع . والضريبة موضع الضرب . والخذم — بكسر أوله و بالمعجمتين — السيف القاطع . و بأعجام الثانى فقط من الخذم وهو القطع السريع . والأحناء جمع حنو — بالكسر — يطلق على ما فيه اعوجاج من القتب والسرج وغيرهما . و القاتر — بالقاف و بالمثناة الفوقية — الواقى والحافظ لا يعقر ظهر الفرس . وعتاد — بالفتح — العدة . وطرفاً معطوف على رمحه الذي هو أول مفعولى يرى وهو الكريم من الخيل . والمسوم المعلم تشهيراً لعتقه ولكرمه من السومة وهى العلامة أو المسيب فى الرعى ولا يركب إلا فى الحروب . وقوله فذلك إن يهلك الخ الحسنى مصدر كالبشرى وقيل اسم للاحسان والمعنى سر فتيير يواثب همته و يمضى مقدماً على الدهر والحال أنه فتى طلبات يتجدد طلبه كل ساعة والدهر يسعف بمطلوبه بجده ورشده ولا يرى الجوع شدة ولا الشبع غنيمة لعلو همته فان يهلك فله ثناء حسن و إن يعش يعش ممدحاً معززاً

واستشهد صاحب الكشاف بهذه الابيات من قوله « ولله صعلوك يساور همه » إلى آخر الأبيات السبعة عند قوله « أولئك على هدى من ربهم » على أن اسم الاشارة وهو « أولئك » مؤذن بأن المذكورين قبله أهل لاكتساب ما بعده للخصال التي عدت لهم فأنه تعالى ذكر المتقين بقوله « هدى للمتقين » ثم عدد لهم خصالا من كونهم يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله و يؤمنون بما أنزل على رسوله و يوقنون بالآخرة ثم عقب ذلك بقوله

فذلكَ إنْ يَهلِكْ فَحُسْنَى ثَنَاؤُهُ « البيت »

وحاتم هو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدى بن أحزم

الطائى ، الجواد المشهور ، وأحد شعراء الجاهلية . ويكنى أبا عدى ، وأبا سفانة - بفتح السين وتشديد الفاء - وابنه أدرك الاسلام وأسلم . وقد مضت ترجمته فى الشاهد الثامن والخمسين ، أخرج أحمد فى مسنده عن ابنه عدى قال: قلت يارسول الله : إن أبى كان يصل الرحم ويفعل كذا وكذا قال: إن أباك أراد أمراً فأدركه . يعنى الذكر ، وكانت سفانة بنته أتى بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا محمد هلك الوالد . وغاب الوافد ، فان رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فأن أبى سيد قومه: كان يفك العانى ، ويحمى الذمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يطلب اليه طالب قط حاجة فرده . أنا ابنة حاتم طيء ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياجارية هذه صفة المؤمن لو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه . خلوا عنها فأن أباها كان يحب مكارم الاخلاق ، قال ابن الاعرابى: كان حاتم من شعراء الجاهلية . وكان جواداً يشبه جوده شعره . ويصدق قوله فعله ، وكان حيثما نزل عرف منزله . وكان مظفراً إذا قاتل غلب . وإذا غنم أنهب . وإذا ضرب بالقداح فاز . واذا سابق سبق ، وإذا أسر أطلق . وكان أقسم بالله لا يقتل واحد أمه وكان اذا أهل رجب نحر فى كل يوم عشرة من الابل وأطعم الناس واجتمعوا عليه ، وكان أول ما ظهر من جوده أن أباه خلفه فى إبله وهو غلام فمر به جماعة من الشعراء فيهم عبيد بن الأبرص وبشر بن أبى خازم والنابغة الذبيانى يريدون النعمان بن المنذر فقالوا له :هل من قرى ؟ ولم يعرفهم فقال: أتسألونى القرى وقد رأيتم الابل والغنم انزلوا فنزلوا فنحر لكل واحد منهم وسألهم عن أسمائهم فأخبروه ففرق فيهم الابل والغنم وجاء أبوه فقال: ما فعلت قال :طوقتك مجد الدهر طوق الحمامة ، وعرفه القضية فقال أبوه : إذاً لا أساكنك بعدها أبدا ولا آويك فقال حاتم : إذاً لا أبالى ، وأخبار كرم حاتم كثيرة وشهيرة . ونذكر قضية قراه بعد موته : روى محرز مولى أبى هريرة قال : مر نفر من عبد القيس بقبر حاتم فنزلوا قريباً منه فقام اليه رجل يقال له أبو الخيبرى وجعل يركض برجله قبره ويقول: أقرنا فقال له بعضهم: ويلك مايدعوك أن تعرض لرجل قد مات قال: إن طيئا تزعم أنه ما نزل به أحد إلا قراه ، ثم أجنهم الليل فناموا فقام أبو الخيبرى فزعاً وهو يقول : واراحلتاه فقالوا له : مالك ؟ قال : أتانى حاتم فى النوم وعقر ناقتى بالسيف وأنا أنظر إليها ثم أنشدنى شعراً حفظته يقول فيه :

أبا الخيبرىّ وأنت امرؤ ظَلُومُ العشيرة شتّامُها
أتيت بصحبك تبغى القِرى لدى حفرة قد صدت هامُها
أتبغى لى الذم عند المبيت ؟ وحَوْلَك طَىٌّ وأنعامُها ؟
فإنا سنُشبعُ أضيافنا وتأتى المطىّ فنعتامها

فقاموا وإذا ناقة الرجل تكوس عقيرا فانتحروها وباتوا يأكلون وقالوا : قرانا حاتم حياً وميتاً وأردفوا أصحابهم وانطلقوا سائرين وإذا برجل راكب بعيرا ويقود آخر قد لحقه وهو يقول: أيكم أبو الخيبرى ؟ قال الرجل: أنا قال فخذ هذا البعير أنا عدى بن حاتم جاءنى حاتم فى النوم وزعم أنه قراكم بناقتك وأمرنى أن أحملك فشأنك والبعير، ودفعه إليهم وانصرف، وإلى هذه القضية أشار ابن دارة الغطفانى فى قوله يمدح عدى بن حاتم:

أبوك أبو سفّانة الخير لم يزل لدن شبّ حتى مات فى الخير راغبا
به تُضربُ الأمثالُ فى الشعر متعا وكان له إذ ذاك حيا مصاحبا
قَرى قبرُه الأضيافَ إذ نزلوا به ولم يقر قبرٌ قبله الدهرَ راكبا

باب المفعول معه

(أنشد فيه)

(وهو الشاهد الثمانون بعد المائة)

(١٨٠) جمعتَ وفُحشاً غيبةً ونميمةً ثلاث خلال لست عنها بمرعوى

على أن أبا الفتح ابن جنى أجاز تقدم المفعول معه على المعمول المصاحب متمسكا بهذا البيت والأصل جمعت غيبة وفحشا، والأولى المنع رعاية لأصل الواو، والشعر ضرورة

(أقول) ذكره ابن جني فى الخصائص وقال: ولا يجوز تقديم المفعول معه على الفعل من حيث كانت صورة هذه الواو صورة العاطفة ألا تراك لا تستعملها إلا فى الموضع الذى لو شئت لاستعملت العاطفة فيه فلما سوفت حرف العطف قبح « والطيالسة جاء البرد » كما قبح « وزيد قام عمرو » ولكنه يجوز « جاء والطيالسة البرد » كما تقول « ضربت وزيدا عمرا » قال :

(١) فى الديوان : « وكان له إذ كان حيا مصاحباً » وهى أفضل

جمعْتَ وفحشاً غَيبةً ونميمةً « البيت » اه

وقال ابن الشجرى فى أماليه: ولا يجوز تقديم التابع على المتبوع للضرورة إلا فى العطف دون الصفة والتوكيد والبدل ، ثم قال :وإنما جاز فى الضرورة تقديم المعطوف لأن المعطوف غير المعطوف عليه والصفة هى الموصوف وكذلك المؤكد عبارة عن المؤكد والبدل إما أن يكون هو المبدل أو بعضه أو شيئاً ملتبساً به ومثله :

ألا يا نخلة من ذاتِ عِرْقٍ عليكِ ورحمةُ اللهِ السلامُ

انتهى

فجعله من باب تقديم المعطوف لامن باب تقديم المفعول معه لأنه هو الأصل لكن فى تنظيره نظر فأن قوله « ورحمة الله » معطوف عند سيبويه على الضمير المستكن فى الظرف أعنى قوله « عليك » كما تقدم بيانه وقوله « خلالا » بدل من قوله « غيبة ونميمة وفحشاً » جمع خلة — بالفتح — كالخصلة لفظاً ومعنى ، وارعوى عن القبيح رجع عنه

وهذا البيت من قصيدة جيدة فى بابها ليزيد بن الحكم بن أبى العاص الثقفى قال الاصبهانى فى الاغانى: عاتب فى هذه القصيدة ابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبى العاص وله قصائد أخر يعاتب فيها أخاه عبد ربه بن الحكم ، وأورد هذه القصيدة القالى فى أماليه والاصبهانى فى أغانيه و ابن الشجرى فى أماليه مختصرة وفى رواية كل واحد منهم ماليس فى رواية الآخر ، وأوردها أبو على الفارسى بتمامها فى المسائل البصرية وهذه روايته لكنه قال: قالها لاخيه من أبيه وأمه عبد ربه بن الحكم وليس كذلك كما يظهر منها

تكاشرنى كرها كأنك ناصح وعينك تبدى أنّ صدرك لى دَوِى

لسانك لى أرْىٌ وعينُكَ علْقمٌ وشرك مبسوط وخيرك ملتوى

تفاوض من أطوى طوى الكشح دونه ومن دون من صافيته أنت منطوى

تصافح من لاقيت لى ذا عداوة صفاحا وعنى بينُ عينك منزوى

أراك إذا استغنيت عنا هجرتنا وأنت إلينا عند فقرك منضوى

إليك انعوى نصحى ومالى كلاهما ولست إلى نصحى ومالى بمنعوى

أراك إذا لم أهو أمراً هويتـــه	ولست لما أهوى من الأمر بالهوى
أراك اجتويت الخير منى وأجتوى	أذاك فكل مجتو قرب مجتوى
فليت كفافا كان خيرك كله	وشرك عنى ما ارتوى الماء مرتوى
لعلك أن تنأى بأرضك نيـــة	وإلا فأنى غير أرضك منتوى
تبدل خليلاً بى كَشَكْلِكَ شكلُه	فأنى خليلاً صالحاً بك مقتوى
فلم يغوِنى ربّى فكيف اصطحابنا	ورأسك في الأغوا من الغى منغوى
عدوّك يخشى صولتى إن لقيته	وأنت عدوى ، ليس ذاك بمستوى
وكم موطن لولاى طحت كما هوى	بأجرامه من قـــلة النيق منهوى
نداك عن المولى ونصرك عاتم	وأنت له بالظلم والغمر مختوى
تود له لو نا له ناب حيـــة	ربيب صفاة بين لهبين منحوى
إذا ما بنى المجـدَ ابن عمك لم تعن	وقلت: ألا بل ليت بنيـانه خوى
كأنك إن قيـل : ابن عمك غانم	شج، أو عميد ، أو أخو مغـلة لوى
ملأت من غيظ علىّ ، فلم يزل	بك الغيظ حتى كدت فى الغيظ تنشوى
فما برحت نفس حسود حشيتها	تذيبك حتى قيل: هل أنت مكتوى؟
وقال النطاسيون : إنك مشـعر	سلالا، ألا بل أنت من حسد جوى
فديت امرأ لم يدو للنأى عهـده	وعهدك من قبل التنائى هو الدوى
جمعت وفحشاً غيبـــة ونميمـة	خلالا ثلاثا لست عنهـا بمرعوى
أفحشا وخباً واختناء على الندى	كأنك أفعى كُديَةٍ فر محجوى
فيدحو بك الداحى إلى كل سوءة	فياشر من يدحو بأطيش مدحوى
أنجمع تَسْـآلَ الأخلاّء مالهمْ	ومالك من دون الأخـلاء تحتوى
بدا منـك غش طالما قد كتمته	كما كَتَمَتْ داءَ ابنِها أمُّ مُدّوِى

قوله تكاشرنى الخ يقال كاشر الرجل الرجل إذا كشر كل واحد منهما لصاحبه وهو أن يبدى له أسنانه عند التبسم، وكرها بضم الكاف وفتحها مصدر وضع فى موضع الحال، والدوى وصف من الدوى بالفتح والقصر المرض دوى يدوى كفرح يفرح ودوى صدره.

أيضاً أي ضغن ، وقوله لسانك لي أري الخ الأري العسل والعلقم الحنظل وحذف أداة التشبيه للمبالغة . قال أبو علي في الايضاح الشعري : اللسان هنا إما بمعنى الجارحة أو بمعنى الكلام فان جعلته من هذا أمكن أن يكون لي متعلقا به كقولك كلامك لي جميل وان جعلته بمعنى الجارحة احتمل ان تريد المضاف فتحذفه فاذا حذفته احتمل وجهين (أحدهما) أن يكون من قبيل صلى المسجد أي أهله (والآخر) أن تحذف المضاف فتجعل اللسان كالكلام كما قالوا اجتمعت اليمامة أي أهل اليمامة فجعلوهم كأنهم اليمامة فاذا جعلته كذلك أمكن أن يتعلق به لي كما يتعلق بالوجه الأول ويجوز أن يكون لي وقوله أري الخبر مثل حلو حامض ويجوز فيه أن تجعله خبراً لقوله لسانك وتريد به الجارحة لأنك تقول فلان لطيف اللسان تريد به الكلام وتلقى الناس بالجميل فيحتمل ضمير المبتدأ وتجعل أريا بدلا من الضمير في لي ويجوز أن يكون لي حالا كأنه أراد لسانك أري لي فيكون صفة فلما تقدم صار حالا

(فأن قلت) إن أري معناه مثل أري فالعامل معنى فعل لم يجز تقدم الحال عليه

(فأقول)لك أن تضمر فعلا يدل عليه هذا الظاهر فينصب الحال عنه كأنه قال لسانك يستحلي ثابتا لي أو لأنها كالظرف فعمل فيها المعنى وان تجعل اللسان حدثاً أشبه التشاكل لأنه عطف عليه وهو الغيب ا ه

وقوله تفاوض من أطوي الخ فاوضه إذا أظهر له أمره وأطوي ضـــد النشر والطوي الجوع وهو مصدر طوي يطوي من باب فرح وهو مفعول أطوي أي تظهر أمرك لمن أخفي عنه جوعي أي تنبسط في الكلام عند عدو لأظهره على شيء من أموري وتنقبض عن أصدقائي ولا تظهرهم على شيء من أمرك نكاية في ، وقوله وعني بين عينك منزوي بين مرفوع بالابتداء لأنه اسم لاظرف ومنزوي خبره وعني متعلق به يقال انزوت الجلدة في النار أي اجتمعت وتقبضت وزوي مابين عينيه أي قبضها وقوله «الينا عند فقرك منضوي» انضوي اليه لجأ وانضم إليه وقوله « إليك انعوي نصحي ومالي » انعوي بمعنى عطف وهو مضارع عويته أي عطفته ، وقوله « أراك إذا لم أهو أمرا » هوي الشيء يهواه هوي من باب فرح إذا أحبه وهوي بالفتح يهوي بالكسر هويا وكذلك انهوي إذا سقط إلى أسفل وقد جاء في قوله :

وَكَمْ مَوْطِنٍ لولاىَ طِحْتَ كما هَوَى « البيت »

وقوله «أراك اجتويت الخير» اجتواه بالجيم أى كرهه. وقوله «فليت كفافا كان خيرك الخ» يأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى ليت من أخوات الحروف المشبهة فى أواخر الكتاب وقوله «لعلك أن تنأى الخ» أى أرجو أن تنأى من أرضك أى تبعد عنها من النأى وهو البعد وإلا أى وإن لم تنأ فأنى عازم عن الرحيل عنها يقال نويت نية وكذلك انتويت أى عزمت وقوله «بك مقتوى» قال فى الصحاح: القتو الخدمة وقتوت أقتو قتوا ومقتى أى خدمت يقال للخادم مقتوى بفتح الميم وتشديد الياء كأنه منسوب إلى المقتى وهو مصدر ويجوز تخفيف ياء النسبة قال أبو على فى الايضاح الشعرى. نصب خليلا بفعل مضمر يدل عليه مقتوى أى أقتو خليلا ويأتى شرح هذه الكلمة مفصلة فى الشاهد الثالث والخمسين من بعد الخسمائة . وقوله «وكم موطن الخ» طاح الرجل يطوح ويطيح إذا هلك والاجرام جمع جرم ـ بالكسر ـ وهو الجسم كأنه جعل أعضاءه أجراما توسعة ى سقط بجسمه وثقله وليس معناه ههنا الذنوب كما فسره ابن الشجرى به فانه غير مناسب. والنيق ـ بكسر النون ـ أرفع الجبل وقلته ما استدق من رأسه ، وسيأتى إن شاء الله تعالى شرح هذا البيت فى باب الضمائر . وقوله «نداك عن المولى» الندى الجود والمولى ابن العم ، وعن متعلقة بعاتم أى بطىء يقال عتم من باب ضرب إذا أبطأ وقصر ونصرك معطوف على نداك وخبره محذوف. والغمر ـ بكسر الغين المعجمة ـ الحقد والغل يقال غمر صدره على من باب فرح. ومختوى بالخاء المعجمة الجائر المسقط وقوله «تود له لو نابه باب حية» الحية معروفة تكون للذكر والانثى قالوا فلان حية ذكر والتاء للواحد من الجنس كبطة ودجاجة وهنا بمعنى الذكر بدليل الوصف بالربيب من رب فلان ولده بمعنى رباه فعيل بمعنى مفعول والصفاة الصخرة الملساء، واللهب ـ بكسر اللام ـ ومثله اللصب قال أبو على فى المسائل البصرية :هو الشق فى الجبل . والمنحوى بالنون والحاء المهملة المجتمع وقوله «ليت بنيانه خوى» يقال خوى المنزل من باب رضى يرضى ورمى يرمى لغتان أى سقط قال تعالى «فهى خاوية على عروشها» أى ساقطة على سقوفها وقوله «شج أو عميد الخ» هو خبر كان والشجى الحزين المهموم والعميد الذى قد عمده المرض أى هده حتى احتاج إلى أن يعمد أى يشتد فهو فعيل بمعنى مفعول، والمغلقـ بفتح الميم وسكون الغين

المعجمة ـ قال أبو علي: علة تكون في الجوف. واللوى الذي في جوفه وجع تقول لوى لوى كفرح فرحاً. وقوله «فما برحت نفس حسود الخ» النفس تذكر وتؤنث ولهذا وصفها بالمذكر وأنث لها الفعل والضمير وحشيتها للبناء للمفعول والخطاب من الحشو يقال حشوت الوسادة وغيرها حشواً وروى حسبتها بضمير المتكلم من الحساب وهو الظن والنطاسيون العلماء بالطب الواحد نطاسي، ومشعر اسم مفعول أي ملبس شعار ـ بالكسر ـ وهو ما ولي الجسد من الثياب. والسلال ـ بالضم ـ مرض السل، والجوى من الجوى وهو داء قلب وفعله من باب فرح. وقوله «لم يدو للنأى عهده» تقدم تفسير دوى، وقوله «أخشا وخبا الخ» الخب ـ بكسر الخاء المعجمة ـ مصدر خببت يارجل تخب خبا ـ من باب علم ـ إذا خدع ومكر. والاختناء ـ بالخاء المعجمة وبعد المثناة الفوقية نون ـ قال أبو علي القالي في أماليه: هو التقبض، والندى الجود، والكدية ـ بالضم ـ الأرض الصلبة وأراد بالأفعي الأفعوان وهو ذكر الحيات ولهذا أرجع الضمير إليه مذكرا. ومحجوى ـ بتقديم المهملة على الجيم ـ قال أبو علي القالي في أماليه نقلا عن ابن دريد: المحجوى المنطوى، وقوله «فيدحو بك الداحي الخ» الدحو الرمي يقال: ادحه أي ارمه ويقال للفرس: مر يدحو دحوا وذلك إذا رمى بيديه رميا لا يرفع سنبكه عن الأرض كثيرا، والسوأة ـ بالفتح ـ العيب، وأطيش من الطيش وهو الخفة، ومدحوى أي مرمى بناه من ادحواه لغة في دحاه أي رماه وقوله «كما كتمت داء ابنها أم مدوى» قال الأصمعي في كتاب الصفات وابن دريد في الجمهرة وأبو علي القالي في أماليه وابن الاثير في المرصع واللفظ له: أم مدوى يضرب بها المثل لمن يوري بالشيء عن غيره ويكنى به عنه وأصله أن امرأة من العرب خطبت على ابنها جارية فجاءت أمها إلى أم الغلام تنظر إليه فدخل الغلام فقال لأمه: أدوى ـ بتشديد الدال على افتعل ـ فقالت له: اللجام معلق بعمود البيت في السرج في جانبه، فأظهرت أن ابنها أراد أدارة الفرس للركوب فكتمت بذلك زلة ابنها عن الخاطبة، وإنما أراد ابنها بقوله أدوى أكل الدواية ـ بضم الدال، وهي القشرة التي تعلو اللبن والمرق: تقول منه دوى ـ بتشديد الواو ـ وقد ادويت ـ على وزن افتعلت ـ فأنا مدو ـ بتشديد الدال فيهما ـ أي أكلت الدواية وأنشد هذا البيت

وترجمة يزيد بن الحكم تقدمت في الشاهد التاسع في أوائل الكتاب

(وأنشد فيه)

(وهو الشاهد الحادي والثمانون بعد المائة)

(١٨١) عَلَفْتُهَا تِبْناً وماءً بارِداً

على أن التقدير وسقيتها ماء، وقال ابن هشام فى مغنى اللبيب: وقيل لاحذف بل ضمن علفتها معنى أنلتها وأعطيتها وألزموا صحة نحو «علفتها ماء باردا و تبنا» فالتزموه محتجين بقول طرفة

لها سببٌ تَرْعَى به الماءَ والشَّجَرْ اه

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى. «أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله» على تضمين أفيضوا معنى ألقوا ليصح انصبابه على الشراب والطعام معا أو على تقدير بعد أو أى أو ألقوا مما رزقكم الله كهذا البيت فى الوجهين

وأورد له العلامة الشيرازى والفاضل اليمنى صدرا وجعل المذكور عجزاً هكذا:

لمَّا حَطَطْتُ الرَّحْلَ عنها وارداً علفتُها تبناً وماءً بارداً

وجعله غيرهما صدراً وأورد عجزاً كذا:

حتى شتت همَّالَةً عَيْنَاهَا

ولا يعرف قائله، ورأيت فى حاشية نسخة صحيحة من الصحاح أنه لذى الرمة ففتشت ديوانه فلم أجده فيه. وشتت بمعنى أقامت شتاء، فى القاموس: شتا بالبلد أقام به شتاء كشتى وتشتى وفاعله ضمير مستتر عائد إلى ماعاد إليه ضمير علفتها وهمالة حال من الضمير المستتر وهو من هملت العين إذا صبت دمعها، وعيناها فاعله، وزعم العينى أن شتت بمعنى بدت ولم أر هذا المعنى فى اللغة وأن عيناها فاعله وهمالة تميز وهذا خلاف الظاهر فتأمل

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد الثانى والثمانون بعد المائة، وهو من شواهد سيبويه)

(١٨٢) وما النَّجْدِيُّ والمُتَغَوِّرُ؟

وهو قطعة من بيت لجميل بن معمر وهو:

وانتَ امرُؤٌمن أهلِ نجْدٍ وأهلُنا تَهامٍ وما النَّجْدىُّ والمتغوِّرُ ؟!

على أن الرفع فى مثله أولى من النصب على المفعول معه . قال المبرد فى الكامل:
قولهم ماأنت وزيداً الرفع فيه الوجه لأنه عطف اسما ظاهرا على اسم مضمر منفصل
وأجراه مجراه ، وليس ههنا فعل فيحمل على المفعول فكأنه قال ما أنت ومازيد ،
وهذا تقديره فى العربية ومعناه لست منه فى شىء ، وهذا الشعر كما أصف لك ينشد :

وأنت امرؤ من أهل نجد وأهلُنا تَهامٍ ، فما النجدى والمتغوِّر ؟!

وكذلك قوله :

تكلفنى سويق الكرم جرم وما جَرَمٌ وما ذاكَ السَّويقُ ؟!

فان كان الأول مضمراً متصلا كان النصب لئلا يحمل ظاهر الكلام على مضمر
تقول : مالك وزيدا فأنما تنهاه عن ملابسته إذ لم يجز وزيد وأضمرت لأن حروف
الاستفهام للأفعال فلوكان الفعل ظاهراً لكان على غير إضمار نحو قولك : مازلت
وعبد الله حتى فعل لأنه ليس يريد مازلت ومازال عبد الله ولكنه أراد مازلت
بعبد الله فكان المفعول مخفوضا بالباء فلما زال ماىخفضه وصل الفعل إليه فنصبه كما قال
تعالى : « واختار موسى قومه سبعين رجلا » فالواو فى معنى مع وليست بخافضة فكان
مابعدها على الموضع فعلى هذا ينشد هذا الشعر :

فمالكَ والتَّلَدُّد حولَ نجْـدٍ وقدْ غصَّتْ تِهـامَةُ بالرِّجالِ

ولوقلت ماشأنك وزيدا لاختير النصب لأن زيدا لايلتبس بالشأن لان المعطوف
على الشىء فى مثل حاله ، ولوقلت ماشأنك وشأن زيد لرفعته لان الشأن يعطف على
الشأن ، وهذه الآية تفسر على وجهين من الاعراب (أحدهما) هذا وهو الأجود
وهو قوله تعالى « فأجمعوا أمركم وشركاءكم » فالمعنى والله أعلم مع شركائكم لانك تقول
جمعت قومى وجمعت أمرى ويجوز أن يكون لما أدخل الشركاء مع الامر حمله على مثل لفظه
لان المعنى يرجع الى شىء واحد فيكون كقوله :

ياليْتَ زوجَكِ قدْ غدَا متقَلِّداً سيفاً ورُمْحاً

وقال الآخر :

شَرّاب ألْبانٍ وسَمْنٍ وأقِطْ

أه كلام المبرد ، ولجودته سقناه برمته

وقوله « وما النجدى والمتغور » ما مبتدأ ، والنجدى خبره ، والمعنى إن أهلى يرتابون بك إذا وجدوك عندهم لأنك غريب بعيد الدار منهم فينكرون كونك بينهم فيجب أن تتجنب وتعرض ، تحذره بنى عمها كما يأتى بيانه فى الأبيات . وتهام - بفتح التاء - منسوب إلى التهم - بفتحتين - بمعنى التهامة - بكسر التاء - وقد بيناهذامشروحا فى الشاهد الثامن عشر من أوائل الكتاب ، وتهام خبر عن قوله وأهلنا وإعرابه كقاض ولم يقل تهامون لأنه نظر إلى لفظ أهل وهو مفرد ويجوز نظرا إلى المعنى تهامون وقال ابن خلف : إنما قال تهام لأنه اكتفى بالواحد عن الجمع كقوله :

كأنَّ عَيْنَيَّ فيها الصَّابُ مذْبُوحُ

هذا كلامه فتأمله . . . ونجد قال فى الصحاح : هو من بلاد العرب وهو خلاف الغور والغور هو تهامة وكل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد وهو مذكر وتقول أنجدنا أى أخذنا فى بلاد نجد وفى المثل « أنجد من رأى حضنا » وذلك إذا علا من الغور ، وحضن محركة جبل . والمتغور اسم فاعل من تغور فلان إذا انتسب إلى الغور وغار وغور أيضا - بالتشديد - إذا أتى الغور ، قال فى المصباح : والغور المطمئن من الأرض والغور قيل يطلق على تهامة وما يلى اليمن وقال الأصمعى : ما بين ذات عرق والبحر غور وتهامة فتهامة أولها مدارج ذات عرق من قبل نجد إلى مرحلتين وراء مكة وما وراء ذلك إلى البحر فهو الغور . . . والبيت من قصيدة وقبله :

وآخر عَهْدٍ لى بها يوم ودَّعَتْ ولاح لها خَـدٌّ مليح ومحجر
عشية قالت : لايضيعن سرنا إذا غبت عنا ، وارعه حين تدبر
وأعرض إذا لاقيت عينا تخافه وظاهر ببغض ، إنَّ ذلك أسْتَرُ
فأنك إنْ عَرَّضت بى فى مقالة يزد فى الذى قد قلت واش مُكَثِّر
وينشر سراً فى الصديق وغيره يعز علينــا نشره حـين ينشر
وما زلتَ فى إعمال طرفك نحونا إذا جئتَ، حتى كاد حبُّك يظهرُ
لأهْـلِيَ ،حتى لامنى كل ناصح شـفيق له فرى لدىّ وأبصر

و(١) قيد الصديق ملامةً وإنى لأعصى نهيهم حين أزجر
وما قلت هـذا فاعلمن تجنبا لصرم ولا هذا بساعة يقصر
ولـكننى — أهلى فداؤك — أتقى عليك عيون الكاشحين وأحذر
وأخشى بنى عمى عليك ، وإنما يخاف ويتقى عرضه المتفكر
وأنت امرؤ من أهل نجد وأهلنا تهام وما النجـدىّ والمتغوّر
وطرفك إمّا جئتنا فاحفظنه فزيغ الهـوى بادٍ لمن يتبصر
وقد حدثوا أنا التقينا على هوى فكلهمُ من غلة الغيظ موقر
فقلت لها : يا بثن ، أوصيت حافظا وكل امرئ لم يرعه الله معور
سأمنح طرفى حين ألقاكِ غيرَ كُمْ لـكيما يروا أن الهوى حيث أنظر
وأكنى بأسماءٍ سواكِ ، وأتقى زيارتكم ، والحب لا يتغير
فكم قد رأينا واجداً بحبيبه إذا خاف يُبْدى بُغْضَهُ حين يَظْهرُ

وفى هذه الأبيات استشهاد ولهذا ذكرناها

وترجمة جميل بن معمر العذرى تقدمت فى الشاهد الثانى والستين

وأنشد بعده

* (وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد المائة قول الراعى . وهو من شواهد سيبويه) *

(١٨٣) أزمانَ قَوْمِى والجماعةَ كالّذى مَنَعَ الرِّحالةَ أن تَميلَ مَمِيلاَ

على أنه على تقدير أزمان كان قومى والجماعة فالجماعة مفعول معه على تقدير إضمار الفعل

قال سيبويه : زعموا أن الراعى كان ينشد هذا البيت نصبا ... وقال : كأنه قال : أزمان كان قومى مع الجماعة وحذف كان لأنهم يستعملونها كثيرا فى هذا الموضع ولا لبس فيه ولا تغيير معنى ، ومثله قوله تعالى : « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان » أراد ما كانت تتلوا

قال ابن عصفور : وإنما حمل على إضمار كان ولم يحمل على تقدير حذف مضاف إلى قومى فيكون التقدير أزمان كون قومى والجماعة لأن المصدر المقدر بأن والفعل

(١) هكذا بياض بالأصل

من قبيل الموصولات وحذف الموصول وإبقاء شيء من صلته لا يجوز . (فإن قلت) ما الدليل على أن قومي من قوله « أزمان قومي » محمول على فعل مضمر ؟ (قلت) : لأنه ليس من قبيل المصادر ، وأسماء الزمان لا يضاف شيء منها إلا إلى مصدر أو جملة تكون في معناه نحو هذا يوم قدوم زيد وقولهم يوم الجمل ويوم حليمة فهو على حذف مضاف أي يوم حرب الجمل ونحوه

قال الأعلم : وصف ما كان من استواء الزمان واستقامة الأمور قبل قتل عثمان وشمول الفتنة ، وأراد التزام قومه الجماعة وتركهم الخروج على السلطان ، والمعنى : أزمان قومي والتزامهم الجماعة وتمسكهم بها كالذي تمسك بالرحالة ومنعها من أن تميل وتسقط والرحالة ـ بالكسر ـ الرحل وهي أيضا السرج ضربها مثلا اهـ

وهذا البيت من قصيدة طويلة عدتها تسعة وثمانون بيتا للراعي مدح بها عبدالملك ابن مروان وشكا فيها من السعاة وهم الذين يأخذون الزكاة من قبل السلطان ، وهي قصيدة جيدة ، كان يقول : من لم يروِ لي من أولادي هذه القصيدة وقصيدتي التي أولها

بانَ الأَحبَّةُ بالْعهدِ الَّذي عهدوا

ـــ وهي في هذا المعنى أيضاـــ : فقد عقني، وقبل بيت الشاهد :

أَوَلِيَّ أمْرِ اللهِ ، إنا معشرٌ حُنفاء نسجدُ بُكرةً وأصيلا
عَرَبٌ نَرى للهِ في أموالنــــا حقَّ الزكاة مُنزَّلاً تنزيلا
قوم على الأسلام لما يمنعوا ما عونهم ويضيّعُوا التهليلا
فادفع مظالم عيلت أبناءنا عنا وأنقذ تلونا المأكولا
فنرى عطية ذاك إن أعطيته من ربنا فضلا ومنك جزيلا
أنت الخليفــــه حلمه وفعاله وإذا أردت لظالم تنكيــــلا
وأبوك ضارب بالمدينة وحده قوماً هم جعلوا الجميع شكولا
قتلوا ابن عفان الخليفة مُحْرِماً ودعا فلم أر مثلهُ مخْـذولا
فتصدعت من بعد ذاك عصاهُمُ شققا وأصبح سيفهم مسلولا
حتى إذا قرَّتْ عجاجة فتنــــة عمياء كان كتـــابها مفعولا

وزنتْ أُميّة أمرها فدعت له ... من لم يكن غمرا ولا مجهولا
مرْوانُ أحزمها إذا نزلت به ... حدب الأمور وخيرها مسؤولا
أزمان رقّع بالمدينة ذيله ... ولقد رأى زرعا بها ونخيلا
وديار ملك خربتها فتنة ... ومشيدا فيه الحمام ظليلا
إنى حلفت على يمين برّةٍ ... لا أكذبُ اليوم الخليفة قيلا
ما زرت آل أبى خبيب وافداً ... يوما أريد لبيعتى تبديلا
من نعمة الرحمن لا من حيلتى ... إنى أعدّ له علىّ فضولا
أزمان قومى والجماعة كالذى ... لزم الرحالة أن تميل مميلا

إلى أن قال:

إن السعاة عصوْك حين بعثتهم ... وأتوا دواعى لو علمت وغولا
إن الذين أمرتهم أن يعدلوا ... لم يفعلوا مما أمرت فتيلا
أخذوا المخاض من الفصيل غُلُبّةً ... ظلما ويكتب للأمير أفيلا
أخذوا العريف فقطعوا حيزومه ... بالأصبحية قائما مغلولا
أخذوا حمولته فأصبح قاعداً ... ما يستطيع من الديار حويلا
يدعو أمير المؤمنين ودونه ... خرق تجر به الرياح ذيولا

قوله «قوم على الأسلام لما يمنعوا ماعونهم» أورده الزمخسرى فى تفسيره عند قوله تعالى: «ويمنعون الماعون» على أن الماعون الزكاة والتهليل هوقول لاإله إلا الله أراد كلمة التوحيد، وقوله «عيلت أبناءنا» التعييل سوء الغذاء وعيل الرجل فرسه إذا سيبه فى المفازة، والأنقاذ التخليص، والشلو — بالكسر — العضو، والشكول جمع شكل — بفتح أوله وكسره — الشبه والمثل أى جعلوا الناس متخالفين بعدأن كانوا متحدين وقوله «قتلوا ابن عفان الخ» يقال أحرم الرجل إذا دخل فى حرمة لاتهتك قال العسكرى فى باب ماوهم فيه علماء الكوفيين من كتاب التصحيف: أخبرنا أبو على الكوكبى حدثنى محمد بن سويد حدثنى محمد بن هبيرة قال: قال الأصمعى للكسائى وهما عند الرشيد: ما معنى قول الراعى:

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما « البيت »

فقال الكسائى: كان محرما بالحج قال الأصمعى: فقوله :

قتلوا كسرى بليل محرما فتولى لم يمتع بكفن

هل كان محرما بالحج ؟ قال الرشيد للكسائى : ياعلى اذا جاء الشعر فأياك والأصمعي قال الأصمعى : محرم أى لم يأت ما تستحل به عقوبته ،ومن ثم قيل مسلم محرم أى لم يحل من نفسه شيأ يوجب القتل ، وقوله « قتلوا كسرى محرما » يعنى حرمة العهد الذى كان له فى أعناق أصحابه اه وقوله « حدب الأمور » جمع أحدب وحدباء أراد الأمور المشكلة ، وقوله « مازرت آل أبى خبيب الخ » أبو خبيب هو عبد الله بن الزبير وكان ادعى الخلافة يومئذ فى الحجاز ، وقوله « إنى أعدله على فضولا » هو جمع فضل بمعنى الأحسان والأنعام وهو العامل النصب على الظرفية فى أزمان . ويجوز رفعه على الابتداء والخبر محذوف أى من الفضول أزمان قومى الخ قال صاحب كتاب التنبيه على ما أشكل من كتاب سيبويه : ويجوز رفع أزمان على أنه خبر مبتدأ محذوف دون إظهار كان والواو واو مع أيضا فيكون إضافة أزمان إلى الجملة الاسمية على هذا .. ثم قال: والأول أى النصب على الظرفية أحسن وأكثر اه والسعاة جمع ساع وهو كل من ولى شيئا على قوم وأكثر ما يقال ذلك فى ولاة الصدقة أى الزكاة وقوله « أخذوا المخاض من الفصيل الخ » المخاض النوق الحوامل واحدها خلفة والفصيل ابنها والغلبة ــ بضم الغين واللام وتشديد الموحدة ــ هى الغلبة ــ بالتحريك والتخفيف ــ وهو وظلما مصدران وقعا حالين من فاعل أخذوا ويجوز نصب الثانى بالأول على أنه مصدر معنوى والأفيل ــ ككريم ــ من أولاد الأبل ما أتى عليه سبعة أشهر وهو منصوب يكتب بالبناء للفاعل أى يكتب الساعى وعلى رواية البناء للمفعول وهى المشهورة مفعول لفعل محذوف أى ويكتب أخذنا من فلان أفيلا ، وأورد ابن هشام هذا البيت فى المغنى على أن من فيه للبدل أى نأخذ المخاض بدل الفصيل قال ابن يسعون: ويجوز أن لاتكون بدلية بل متعلقة بأخذوا أى انتزعوه من أمه وروى بدله « من العشار » فهى بيانية أى كائنة من العشار ، وقوله « أخذوا العريف » هو رئيس القوم ومتكلمهم . والأصبحية هى السياط منسوبة إلى ذى أصبح من ملوك اليمن فأنه الذى اخترعها ، والخرق ــ بالفتح ــ الفلاة

والراعي اسمه عبيد بن حصين — بتصغيرهما — ابن معاوية بن جندل بن قطن بن ربيعة ابن عبدالله بن الحرث بن نمير بن عامر بن صعصعة . وكنية الراعي أبو جندل . ولقب الراعي لكثرة وصفه الأبل والرعاء فى شعره . وقيل لقب به ببيت قاله . وقال ابن قتيبة: اسمه حصين بن معاوية وكان يقال لأبيه فى الجاهلية الرئيس وولده وأهل بيته فى البادية سادة أشراف ، وهو شاعر فحل مشهور من شعراء الأسلام مقدم . ذكره الجمحي فى الطبقة الأولى من الشعراء الأسلاميين وكان يقدم الفرزدق على جرير فاستكفه جرير فأبى فهجاه بقصيدته البائية التى مطلعها :

أقلّى اللوم عاذل والعتابا

ففضحه بها وتقدم بيانه فى ترجمة جرير فى أوائل الكتاب . وفى المؤتلف والمختلف للآمدى : من لقبه الراعي من الشعراء اثنان (أحدهما) هذا (والثانى) اسمه خليفة بن بشير بن عمير بن الأحوص من بنى عدى بن جناب وقيل غير ذلك

باب الحال

(أنشد فيه)

* (وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد المائة) *

(١٨٤) يقول وقد تَرَّ الوظيفُ وساقُها ألستَ ترى أنْ قدْ أتيتَ بمُؤيِدِ

على أنه يخرج عن تعريف الحال الحال التى هى جملة بعد عامل ليس معه ذو حال بيانه أن جملة « وقد تر الوظيف » حال ، وعاملها يقول ، ولا صاحب لها ، وأما فاعل يقول وهو الضمير المستتر فليس صاحب الحال لأنها لم تبين هيئته إذ ليست من صفاته ، وهذا إنما يرد على تعريف المصنف الحال ، فأنه اعتبر فيه تبيين الهيئة ، ولا يرد على تعريف الشارح فأنه لم يعتبر فى الحد تبيين الهيئة ، وقد أول الناس تعريف المصنف على وجوه ، منهم السيد ركن الدين فى شرحه الكبير على الكافية ، وابن هشام فى شرح التسهيل ومغنى اللبيب ، وكذا الدماميني ، وغيره

وتر — بالمثناة الفوقية والراء المهملة — قال ابن دريد: تر العظم يتره ترا إذا قطعه وكذلك كل عضو انقطع بضربة واحدة فقد تر ترا وينشد بالوجهين قول طرفة وأنشد

هذا البيت فى الجمهرة يريد أن تر ورد لازما ومتعديا ، وروى برفع الوظيف على أنه فاعل تر اللازم بمعنى انقطع . وفسره يعقوب بن السكيت فى شرح ديوان طرفة وتبعه الأعلم فى شرحه بقوله طن وندر . وروى بنصب الوظيف على أنه مفعول تر المتعدى بمعنى قطع وفاعله ضمير العضب فى بيت قبله ، وقوله « وساقها » معطوف عليه بالوجهين . وضمير المؤنث راجع إلى الكهاة فى بيت قبله وهى الناقة الضخمة ، والوظيف مابين الرسغ وفى اليد مابين الرسغ والذراع . وقوله « ألست ترى الخ » مقول القول . والخطاب فى الثلاثة لطرفة ، والاستفهام للتوبيخ والرؤية يجوز أن تكون بصرية فأن مع مابعدها فى تأويل مفرد منصوب على أنه مفعول الرؤية ، وأن تكون علمية فأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن وجملة « قد أتيت » خبرها وهى مع معمولها سادة مسد المفعولين للرؤية . والمؤيد — على وزن اسم الفاعل — قال الأعلم : هو الداهية وأصلها من الأيد وهو القوة كأنها داهية ذات شدة وقوة ، ورواه الخطيب التبريزى فى شرح المعلقات بزنة اسم المفعول أيضاً وقال : أى جئت بأمر شديد يشدد فيه من عقرك هذه الناقة ، وليس المؤيد من الوأد كما توهمه السيد فى حواشى هذا الكتاب فأنه قال : وأده أى دفنه حياً . والمؤيد الداهية قال ابن جنى فى المنصف — وهو شرح تصريف المازنى — :الفعل المعتل العين إذا صح ماقبل عينه نقلت حركته إلى الساكن قبلها نحو أقام واستقام فأما مااعتلت فاؤه فأنك لاتنقل إليها حركة العين وذلك قولك فى أفعلت نحو آيمت وآولت من آم وآل لأنه لما اعتلت الفاء وهى همزة فقلبت ألفاً صحت العين وعلى ذلك قول الشاعر :

كرأس الفدن المؤيد فهذا مفعل — بزنة اسم المفعول — من الأيد وهو القوة ولم يقل المآد أى بهمزة ممدودة بعد الميم المضمومة وقال طرفة :

أَنْ قَدْ أَتَيْتَ بِمُؤْيِدِ

وهى الداهية وهي بزنة اسم الفاعل من الأيد أيضاً ولم يقل المئيد ، أى بميم مضمومة فهمزة مكسورة بعدها مثناة تحتية ، وقالوا آيدته فى أفعلته من الأيد وأيدته فعلته وآيدته قليلة مكروهة لأنك إن صححت فهو ثقيل وإن أعللت جمعت بين إعلالين فعدل عن أفعلته إلى فعلته فى غالب الأمر اه

وهذا البيت من معلقة طرفة بن العبد المشهورة وهذا ماقبله :

وَبَرْكٍ هُجُودٍ قدْ أثارتْ مخافتي نوادِيها أمْشي بِعَضْبٍ مُجَرَّدِ
فمرّتْ كَهاةٌ ذاتُ خَيْفٍ جُلالةٌ عقيلةُ شيْخٍ كالْوَبِيلِ يَلَنْدَدِ
يقول وقد تر الوظيف وساقها «البيت»
وقال إلى ماذا ترون بشارب شديد علينا بغيه متعمد
فقالوا : ذروه إنما نفعها له وإن لا تردوا قاصى البرك يزدد
فظل الأماء يمتلن حوارها وتسعى علينا بالسديف المسرهد

قوله « وبرك » بفتح الموحدة مجرور بواو رب ، قال أبو عبيدة : البرك يقع على جميع مايبرك من الجمال والنوق على الماء وبالفلاة من حر الشمس أو الشبع الواحد بارك وباركة وقيل البرك جماعة إبل الحى وقيل لها برك لاجتماع مباركها وبرك البعير إذا ألقي صدره على الأرض .والهجود النيام جمع هاجد وهاجدة ومصدره الهجود أيضاً بمعنى النوم كالقعود والجلوس ، ومخافتي فاعل أثارت وهو مصدر مضاف إلى المفعول والفاعل محذوف أى مخافتها إياى ، ونواديها مفعول أثارت . أى أوائلها وما سبق منها وهو بالنون يقال لايندالك منى أمر تكرهه أى لايسبق إليك منى ، وإنما خص النوادى لأنها أبعدمنه عند فرارها فيقول لايفلت من عقرى ماقرب ولا ماشذ فند وقال ابن السكيت : النوادى الثقال أيضاً من الأبل الواحدة نادية ، وجملة أمشى حال من الياء فى مخافتى ، والعضب السيف القاطع ، والمجرد المسلول من غمده يقول : رب إبل كثيرة باركة قد أثارت نوادى هذا البرك عن مباركها مخافتها إياى فى حال مشى إليها بسيف مسلول قاطع ، يريد أنه أراد أن ينحر لأضيافه بعيراً فنفرت منه لتعودها ذلك منه . وقوله « فمرت كهاة الخ » الكهاة — بفتح الكاف — قال ابن السكيت : هى الناقة الضخمة وهذا هو المناسب لاماقاله شراح المعلقات من أنها الناقة المسنة الضخمة ، والخيف — بفتح الخاء المعجمة — قال ابن السكيت : هو جلد الضرع وقالوا جلد الضرع الأعلى الذى يسمى الجراب ، يقال : ناقة خيفاء إذا كان ضرعها كبيراً ، وجلالة — بالرفع — صفة كهاة وهى — بضم الجيم — بمعنى الجليلة والعظيمة ، وعقيلة شيخ صفة ثالثة أى خير ماله والعقيلة الكريمة وهذا الشيخ قال ابن السكيت : هو بعض بنى عم

طرفة كان طرفة عقر له ناقة، وقال الزوزني : أراد بالشيخ أباه يريد أنه نحر كرائم مال أبيه لندمائه، وقيل: بل أراد غيره ممن يغير على ماله. وقوله «كالوبيل» صفة شيخ قال ابن السكيت الوبيل العصا وقال الزوزني فى الصحاح الوبيل الحزمة فعلى هذا شبه عظامه فى اليبوسة بالحطب والشيخ بأنه حزمة من الحطب ، واليلندد السيء الخلق الشديد الخصومة صفة ثانية للشيخ ، وقوله «يقول وقد تر الوظيف الخ» أي قال الشيخ فى حال عقرى هذه الناقة الكريمة النجيبة ومثلها الايعقر للاضياف ، وقوله «وقال إلى ماذا ترون الخ » فاعل قال ضمير الشيخ صاحب الناقة وذا اسم موصول وما استفهام منصوب بترون والباء متعلقة بمحذوف أي قال الشيخ مستشيراً أصحابه ما الذى ترون أن نفعل بطرفة شارب الخمر يبغي علينا بعقر كرائم أموالنا: وقوله « فقالوا ذروه الخ» أى ذروا طرفة فان نفعها للشيخ فان طرفة يخلف عليه ويزيده و إن لم تردوا قاصى إبلكم يعقر منها أيضاً. وقيل معناه إن لم تردوا قاصى البرك و تردوه إلى أوله زاد فى نفاره و ذهب . والقاصى اسم فاعل من قصا يقصو قصوا إذا بعد، وقوله « فظل الاماء الخ» يمتللن بكسر اللام أى يشوين فى الملة وهى الرماد الحار، والأماء الخدم، والحوار بضم المهملة ولد الناقة والسديف قطع السنام والمسرهد المرىء الحسن الغذاء وقيل السمين أى فظل الأماء يشتوين الولد الذى خرج من بطنها تحت الجمر والرماد الحار وتسعى الخدم علينا بقطع سنامها المقطع يريد أنهم أكلوا أطايبها وأباحوا غيرها للخدم وذكر الحوار يدل على أنها كانت حبلى وهى من أنفس الأبل عندهم

وترجمة طرفة بن العبد تقدمت فى الشاهد الثانى والخمسين بعد المائة

(وأنشد بعده)

وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد المائة

(١٨٥) وقدْ أَغتدِي والطيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بمُنْجَرِدٍ قيْـدِ الأَوابِدِ هَيْكلِ

لما تقدم قبله وقد بيناه

وهذا البيت من معلقة امرىء القيس المشهورة

وقوله «وقد اغتدى» أى أخرج غدوة للصيد، والوكنات — الواو مضمومة والكاف يجوز ضمها وفتحها وسكونها — جمع وكنة — بضم فسكون — قال ابن جنى فى المحتسب و من ذلك

قراءة عبد الكريم الجزرى «فتكن فى صخرة» بكسر الكاف من قولهم وكن الطائر يكن وكونا إذا استقر فى وكنته وهى مقره ليلا وهى أيضا عشه الذى يبيض فيه وكأنه من مقلوب الكون لأن الكون الاستقرار اه والقاف لغة فى الكاف يقال وقنة ووقنات وروى فى «وكراتها» بضمتين جمع وكر — بضمة فسكون — وهو جمع وكر — بفتح فسكون — والوكر مأوى الطائر فى العش والطير جمع طائر كصحب جمع صاحب

• وهذا المصراع قد استعمله امرؤ القيس فى قصيدته اللامية قال :

وقد أغتدى والطير في وكناتها لغيث من الوسمى رائده خالى

وفى الصادية أيضا وتمامه :

بمُنجردٍ عبْلِ الْيَدَيْنِ قَبيصِ

وفى البائية أيضاً وتمامه :

وماءُ النَّدى يجْرى على كلّ مذنب

وهذا البيت قد وقع فى قصيدة لعلقمة الفحل أيضا

وجملة والطير فى وكناتها حال من ضمير المتكلم أى أغدو إلى الصيد ملابسا لهذه الحالة والمنجر من الخيل قيل الماضى فى السير وقيل القليل الشعر القصيره، وبمنجرد متعلق بقوله اغتدى والأوابد الوحوش جمع آبدة يريد أن هذا الفرس من سرعته يلحق الأوابد فيصير لها بمنزلة القيد، قال أبو على فى التذكرة : قيد الأوابد صفة وهو مصدر كأنه قال يقيد الأوابد ثم استعمل المصدر بحذف الزيادة فوصف به، وقال التبريزى: تقدير قيد الأوابد ذى تقييد الأوابد ؛ قال الباقلانى فى إعجاز القرآن: قوله قيد الأوابد عندهم من البديع ومن الاستعارة ويرونه من الألفاظ الشريفة وعنى بذلك أنه إذا أرسل هذا الفرس على الصيد صار قيداً لها وكانت بحال المقيد من جهة سرعة عدوه، وقد اقتدى به الناس واتبعه الشعراء فقيل قيد النواظر، وقيد الالحاظ، وقيد الكلام، وقيد الحديث، وقيد الرهان، قال ابن يعفر:

بمقلص عتد جهير شده قيد الأوابد والرهان جواد

وقال أبو تمام :

لها منظر قيد الأوابد لم يزل يروح ويغدو فى خفارته الحب

وقال آخر:

أُلحاظُــــه قيــد عيون الورى فليس طرفٌ يتعَــــداهُ

وقال آخر:

قيّد الحسن عليه الحدقان

و الهيكل قال ابن دريد هو الفرس العظيم الجرم

و بعد هذا البيت بيت هو من شواهد مغنى اللبيب وهو:

مكَرّ مفَرّ مُقبلٍ مُدْبِرٍ معاً كجُلْمُودِ صخرٍ حطّهُ السيْلُ من عَلِ

مكر ومفر — بكسر الميم فيهما وجرهما — أى فرس صالح للكر والفر والكر العطف يقال كر فرسه على عدوه أى عطفه عليه، ومفعل يتضمن مبالغة كقولهم فلان مسعر حرب و فلان مقول و مصقع، وإنما جعلوه متضمناً مبالغة لأن مفعلا يكون من أسماء الأدوات فكأنه أداة للكر والفر وآلة لتسعر الحرب أى تلهبها وآلة الكلام، ومقبل ومدبر — بضم ميمهما — اسما فاعل من الأقبال والادبار، والجلمود بالضم الصخر العظيم الصلب، والحط إلقاء الشىء من علو إلى أسفل، وعل بمعنى عال أى من مكان عال

وفى هذا البيت الاتساع قال ابن أبى الأصبع فى تحرير التحبير: الاتساع أن يأتى الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظر فيه وبحسب ما تحتمل ألفاظه كقوله فى صفة فرس:

مِكَرّ مفر مُقبل مُدْبرٍ معاً «البيت»

لأن الحجر يطلب جهة السفل لكونها مركزه إذ كل شىء يطلب مركزه بطبعه فالحجر يسرع انحطاطه إلى السفل من العلو من غير واسطة فكيف إذا أعانته قوة دفاع السيل من عل فهو حال تدحرجه يرى وجهه فى الآن الذى يرى فيه ظهره بسرعة تقلبه و بالعكس ولهذا قال «مقبل مدبر معاً» يعنى يكون إدباره و إقباله مجتمعين فى المعية لا يعقل الفرق بينهما وحاصل الكلام وصف الفرس بلين الرأس وسرعة الانحراف فى صدر البيت وشدة العدو فى عجزه وقيل أنه جمع وصفى الفرس بحسن الخلق وشدة العدو ولكونه قال فى صدر البيت إنه حسن الصورة كامل النصبة فى حالتى إقباله و إدباره وكره وفره ثم شبهه بجلمود صخر حطه السيل من العلو بشدة

العدو فهو فى الحالة التى ترى فيها لبه ترى فيها كفله وبالعكس . هذا ولم تخطر هذه المعانى بخاطر الشاعر فى وقت العمل وإنما الكلام إذا كان قويا من مثل هذا الفحل احتمل لقوته وجوها من التأويل بحسب ماتحتمل ألفاظه . وعلى مقدار قوى المتكلمين فيه ومثله أيضا

إذا قامتا تضوَّعَ المِسكُ منهما نسيمُ الصَّبا جاءتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ

فأن هذا البيت اتسع النقاد فى تأويله . فمن قائل تضوع المسك منهما بنسيم الصبا ومن قائل تضوع نسيم الصبا منهما . ومن قائل تضوع المسك منهما تضوع نسيم الصبا وهذا هو الوجه . ومن قائل تضوع المسك منهما بفتح الميم — يعنى الجلد — بنسيم الصبا . وقال ابن المستوفى فى شرح أبيات المفصل : حدثنى الأمام أبو حامد سليمان قال : كنا فى خوارزم وقد جرى النظر فى بيت امرىء القيس:

إذا قامتا تضوَّعَ المسك منهما «البيت»

فقالوا : كيف شبه تضوع المسك بنسيم الصبا والمشبه ينبغى أن يكون مثل المشبه به والمسك أطيب رائحة ؟ وطال القول فى ذلك فلم يحققوه . وكان سألنى عنه فأجبت لوقتى إنه شبه حركة المسك منهما عند القيام بحركة نسيم الصبا لأنه يقال تضوع الفرخ أى تحرك ومنه تضوع المسك تحرك وانتشرت رائحته . وذلك أن المرأة توصف بالبطء عند القيام فحركة المسك تكون إذاً ضعيفة مثل حركة النسيم وانتشاره كانتشاره فالتشبيه صحيح ، والنسيم الريح الطيبة ونسيم الريح أولها حين تقبل بلين . ولقائل أن يقول: إن نسيم الصبا وهى الريح الطيبة إذا جاء بريا القرنفل وهى أيضا ريح طيبة قاربت ريح المسك .. وبعد أن جرى ذلك بمدة طويلة وقع إلى كتاب أبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى فى شرح القصائد السبعيات فوجدته ذكر عند هذا البيت قولا حسنا وهو قوله : ومعنى تضوع أخذ كذا وكذا وهو تفعل من ضاع يضوع يقال للفرخ إذا سمع صوت أمه فتحرك قد ضاعته امه تضوعه ضوعا فلا حاجة مع قوله أخذ كذا وكذا إلى تمحل لذلك ويكون التقدير تضوع المسك منهما تضوع نسيم الصبا أى أخذ كذا وكذا كما أخذ النسيم كذا وكذا اه

وترجمة امرىء القيس تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين

* (وأنشد بعده)

* (وهو الشاهد السادس والثمانون بعد المائة)

(١٨٦) كأنّ حواميه مدبرا خضبن وان لم تكن تخضب

على أن مدبراً حال من المضاف إليه وهو الهاء فى حواميه

وهذا البيت من قصيدة فى وصف فرس للنابغة الجعدى، وقبله :

كأنَّ تماثيلَ أرساغِهِ رقاب وُعُولٍ على مَشْرَبِ

كأَنَّ حواميَهُ مُدْبِراً «البيت» وبعده :

حجارة غيل برضراضة كُسِينَ طِلاءً من الطُّحْلُبِ

التماثيل جمع تمثال ـ بالكسر ـ وهى الصورة ، والأرساغ جمع رسغ ـ بالضم ـ وهو من الدواب الموضع المستدق بين الحافر وموضع الوظيف من اليد والرجل ومن الانسان مفصل مابين الكف والساعد والقدم إلى الساق . والوعول جمع وعل قال ابن فارس: هو ذكر الأروى وهو الشاة الجبلية. وكذلك قال فى البارع و زاد : والانثى وعلة ـ بكسر العين وتسكن فيهما والمشرب ـ بالفتح ـ موضع الشرب

وهذا البيت من التشبيه البديع الذى لم يسبق إليه ، شبه أرساغه فى غلظها وانحنائها وعدم الانتصاب فيها برقاب وعول قد مدتها لتشرب الماء ، وهذا البيت من شواهد أدب الكاتب قال : ويستحب أن تكون الأرساغ غلاظاً يابسة. وأنشد هذا البيت

وقوله «كأن حواميه الخ» الحوامى جمع حامية ـ بالحاء المهملة ـ وهي مافوق الحافر وقيل هى ماعن يمين الحافر وشماله ولكل حافر حاميتان . قال ابن قتيبة : هما عن يمين السنبك وشماله . والسنبك ـ بالضم ـ طرف مقدم الحافر، وتخضب بدل من تكن بدل اشتمال لاشتمال الخضاب على الكون وهو من قبيل بدل الفعل من الفعل ولهذا ظهر الجزم وكسر للقافية . والحجارة جمع حجر وهى الصخرة والغيل ـ بفتح الغين المعجمة ـ الماء الجارى على وجه الارض ، والرضراضة الأرض الصلبة قال ابن السكيت فى أبيات المعانى : ورضراضة أرض مرصوصة بحجارة ـ بالضاد المعجمة والمهملة ـ قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب : ويستحب أن تكون الحوافر صلابا غير نقدة، والنقد ـ بالتحريك ـ

أن تراها متقشرة وتكون سوداً أو خضراً لا يبيض منها شيء لأن البياض فيها رقة اه شبه حوافره بحجارة مقيمة فى ماء قليل وذلك أصلب لها يقال للصخرة التى بعضها فى الماء وبعضها خارج «أتان الضحل» والضحل الماء القليل وذلك النهاية فى صلابتها وإياها عنى المتنبى بقوله :

أناصخرة الوادى إذا مازوحمت وإذا نطقت فأنَّنِى الجوزاء

وإذا كانت جوانب الحوافر صلابا على الوصف الذى ذكر وكانت سوداً أو خضراً فمقاديمها أصلب وأشد سوادا وخضرة ، وكسين - بالبناء للمفعول - من الكسوة والنون ضمير الحجارة والجملة حال من ضمير الظرف أعنى قوله برضراضة . والطلاء - بالكسر - كل مايطلى به وهو المفعول الثانى لكسا يقال طليته به أى لطخته به . والطحلب - بضم اللام وفتحها مع ضم الطاء وتكسر أيضا مع كسر الطاء - وهو خضرة تعلو الماء المزمن وقد طحلب الماء فهو مطحلب - بكسر اللام وفتحها - قال ابن الشجرى فى المجلس الثالث من أماليه عند قول المسيب بن عامر فى مدح عمارة بن زياد العبسى :

كيف الفرند العضب أخلص صقله ترى وجه أيدى الرجال قياما (١)

- : إن قوله قياما نصب على الحال من الرجال والحال من المضاف إليه قليلة ومن ذلك قول الجعدى :

كأن حواميه مدبراً

نصب مدبراً على الحال من الهاء، وأنشدوا فى الحال من المضاف إليه قول تأبط شر

سلبْتَ سلاحى بائساً وشتَمْتَنى فياخيْرَ مسلوبٍ ويا شرَّ سالِبِ

ولست أرى أن بائساً حال من الياء فى سلاحى ولكنه عندى حال من مفعول سلبت المحذوف والتقدير سلبتنى بائساً سلاحي ومثله قوله تعالى : « ذرنى ومن خلقت وحيداً » وقوله تعالى : « أهذا الذى بعث الله رسولا » أى خلقته وبعثه ، وإنما وجب العدول إلى ماقلنا لعزة حال المضاف إليه فإذا وجدت مندوحة وجب تركه ، وسلب يتعدى إلى مفعولين يجوز الاقتصار على أحدهما كقولك سلبت زيداً ثوبا وقالوا سلب زيد ثوبه بالرفع على بدل الاشتمال وثوبه بالنصب على أنه مفعول ثان ، وفى التنزيل : « وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه » فيجوز على هذا أن يجعل بائساً مفعولا

(١) كذا بالأصل . ولا يستقيم وزن هذا البيت

ثانياً بتقدير حذف الموصوف أى سلبت سلاحي رجلا بائساً كما تقول لتعاملن منى رجلا منصفاً، ومما جاءت الحال فيه من المضاف إليه قوله تعالى: «قل بل ملة إبراهيم حنيفا» قيل أن حنيفا حال من ابراهيم وأوجه من ذلك عندى أن تجعله حالا من الملة وإن خالفها بالتذكير لأن الملة فى معنى الدين ألا ترى أنها قد أبدلت من الدين فى قوله تعالى: «ديناً قيما ملة إبراهيم» فأذا جعلت حنيفاً حالا من الملة فالناصب له هو الناصب للملة وتقديره بل نتبع ملة إبراهيم حنيفاً وإنما أضمر نتبع لأن ماحكاه الله عنهم من قولهم: «كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا» معناه اتبعوا اليهودية أو النصرانية فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: «قل بل نتبع ملة إبراهيم حنيفا» وإنما ضعف مجيء الحال من المضاف إليه لأن العامل فى الحال ينبغي أن يكون هو العامل فى ذى الحال اهـ كلامه. وقال أيضاً فى المجلس الرابع والعشرين: وأما قوله «مدبراً» فحال من الهاء والعامل على رأى أبى على ماتقدره فى المضاف إليه من معنى الجار. يعنى أن التقدير كأن حوامى ثابتة له مدبراً أو كائنة له قال: ولا يجوز تقديم هذه الحال لأن العامل فيها معنى لافعل محض. قال: ولا يجوز أن يكون العامل مافى كأن من معني الفعل لأنه إذا عمل فى حال لم يعمل فى أخرى يعنى إن كان قد عمل فى موضع «خضبن» النصب على الحال فلا يعمل فى قوله «مدبراً». وهذا القول يدل على أنه يجيز أن ينصب حال المضاف إليه العامل فى المضاف وإذا كان هذا جائزاً عنده فأن جعل «خضبن» خبر كأن فالعامل إذا فى مدبراً مافى كأن من معنى الفعل. وهذا إنما يجوز إذا كان المضاف ملتبساً بالمضاف إليه كالتباس الحوامى بما هي له. ولا يجوز فى «ضربت غلام هند جالسة» أن ينصب جالسة بضربت لأن الغلام غير ملتبس بهند كالتباس الحوامى بصاحبها، ولا يجوز عندى أن تنصب جالسة بما تقدره من معنى اللام فى المضاف إليه فكأنك قلت ضربت غلاما كائناً لهند جالسة لأن ذلك يوجب أن يكون الغلام لهند فى حال جلوسها خاصة وهذا مستحيل وكذلك قوله:

كأن جواميه مدبراً

إن قدرت فيه حوامي ثابتة له مدبرا وجب أن يكون الحوامي له فى حال إدباره دون حال إقباله، وهذا يوضح لك فساد إعمالك فى هذه الحال معنى الجار المقدر فى المضاف

إليه فلا يجوز إذن ضربت غلام هند جالسة لذلك ولعدم التباس المضاف بالمضاف إليه ، ونظير ماذكرناه من جواز مجيء الحال من المضاف إليه إذا كان المضاف ملتبساً به قوله تعالى : « فظلت أعناقهم لها خاضعين » أخبر بخاضعين عن المضاف إليه ولو أخبر عن المضاف لقال خاضعة أو خضعاً أو خواضع وإنما حسن ذلك لأن خضوع أصحاب الأعناق بخضوع أعناقهم . وقد قيل فيه غير هذا وذلك ماجاء فى التفسير من أن المراد بأعناقهم كبراؤهم . وقال أهل اللغة أعناقهم جماعاتهم كقولك جاءنى عنق من الناس أى جماعة فالخبر فى هذين القولين عن الأعناق ، وقوله « خضبن » عند أبى على فى موضع نصب بأنه حال من الحوامى ولم يجعله خبر كأن لأنه جعل خبرها قوله « حجارة غيل » ولم يجز أن يكونا خبرين لكأن على حد قولهم «هذا حلو حامض» أى قد جمع الطعمين قال : لأنك لاتجد فيما أخبروا عنه بخبرين أن يكون أحدهما مفرداً والآخر جملة لاتقول زيد خرج عاقل والقول عندى أن يكون موضع « خضبن » رفعا بأنه خبر كأن وقوله « حجارة غيل » خبر مبتدأ محذوف أى هى حجارة غيل وأداة التشبيه محذوفة كما قال :

فهنَّ أضاءٌ صافياتُ الغلائلِ

أى مثل أضاء والأضاء الغدران واحدها أضاءة فعلة جمعت على فعال كرقبة ورقاب شبه الدروع فى صفائها بالغدران .

والنابغة الجعدى كنيته أبو ليلى وهو — كما فى الاستيعاب — قيس بن عبد الله ، وقيل حيان بن قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وقيل اسمه حيان بن قيس بن عبد الله بن وحوح بن عدس ابن ربيعة بن جعدة ، وإنما قيل له النابغة لأنه قال الشعر فى الجاهلية ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لايقول الشعر ثم نبغ فيه فقاله فسمى النابغة ، وهو أسن من النابغة الذبيانى لأن الذبيانى كان مع النعمان بن المنذر وكان النعمان بن المنذر بعد المنذر بن محرق وقد أدرك النابغة الجعدى المنذر بن محرق ونادمه ، ذكر عمر بن شبة أنه عمر مائة وثمانين سنة وأنه أنشد عمر بن الخطاب :

لبستُ أُناساً فأفنيتُهمْ وأفنيْتُ بعدَ أُناسٍ أُناسا
ثلاثة أهلين أفنيتهم وكان الالهَ هو المستآسا

فقال له عمر: كم لبثت مع كل أهل؟ قال: ستين سنة، وقال ابن قتيبة: عمر الجعدى مائتين وعشرين سنة ومات بأصبهان، ولا يدفع هذا مامر فأنه أفنى ثلاثة قرون فى مائة وثمانين سنة ثم عمر إلى زمن ابن الزبير وبعده

والبيتان من قصيدة سينية والمستآس المستعاض مستفعل من الأوس. والأوس العطية عوضاً.. وبعدها

وعشت بعيشين إن المنو ن تلقى المعايش فيها خساسا

فحيناً أصـــادف غراتهـا وحينا أصادف منهـــا شماسا

شهدتهم لا أرجى الحيـا ة حتى تساقوا بسمر كياسا

وهو جمع كأس. قال السجستانى فى كتاب المعمرين: وقال حين وفت له مائة واثنتا عشرة سنة:

مضت مائة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذاك وحجتـان

فأبقى الدهر والأيام منى كما أبقى من السيف اليمـانى

تفلل وهـــو مأثور جراز إذا جمعت بقائمـه اليدان

ألا زعمت بنـــو كعب بأنى ـ ألا كذبوا ـ كبير السن فانى

فمن يحرص على كبرى فأنى من الفتيـان أزمان الخنـان

الخنان مرض أصاب الناس فى أنوفهم وحلوقهم وربما أخذ النعم وربما قتل اه وهو بضم الخاء المعجمة وبعدها نون مخففة فى القاموس: والخنان ـ كغراب ـ زكام الأبل، وزمن الخنان كان فى عهد المنذر بن ماء السماء وماتت الأبل منه،

ووفد الجعدى على النبى صلى الله عليه وسلم مسلما وأنشد ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أول ماأنشده قوله فى قصيدته الرائية:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً كالمجرة نيرا

وجاهدت حتى ما أحس ومن معى سهيلا اذا ما لاح ثمت غورا

أقيم على التقوى وأرضى بفعلها وكنت من النار المخوفة أحذرا

إلى أن قال :

وإنا لَقَوْمٌ ما نُعَوِّدُ خيلَنا إذا ما التَقَيْنا أن تَحيدَ وتنفرا
وننكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتى نحسب الجَوْنَ أشقرا
وليس بمعروف لنا أن نردها صحاحا ولا مستنكراً أن تعقرا
بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

وفى رواية عبد الله بن جراد :

علونا على طر العباد تكرما وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : الى أين ياأباليلى ؟ فقال : إلى الجنة . قال : نعم إن شاء الله:

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايفضض الله فاك . فكان من أحسن الناس ثغرا ، وكان إذا سقطت له ثنية نبتت ، وكان فوه كالبدر المتهلل يتلألأ ويبرق

وهذه القصيدة طويلة نحو مائتى بيت وأنشد جميعها للنبى صلى الله عليه وسلم وأولها:

خليلى غضا ساعة وتهجّرا ولوما على ما أحدث الدهرُ أوذرا

وهي من أحسن ماقيل من الشعر فى الفخر بالشجاعة سباطة ونقاوة وحلاوة ومنها :

تذكرت والذكرى تهيج على الفتى ومن حاجة المحزون أن يتذكرا
ندامای عبد المنذر بن محرق أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقفرا
تقضّى زمانُ الوصل بينى وبينها ولم ينقض الشوق الذى كان أكثرا
وإنى لأستشفى برؤية جارها إذا ما لقاؤها على تعذّرا
وألقى على جيرانها مسحة الهوى وإنْ لم يكونوا لى قَبيلاً ومعشرا
ترديت ثوب الذل يوم لقيتها وكان ردائى نجوة وتجبرا
حسبنا زمانا كل بيضاء شحمة ليالى إذ نغزو جُذاماً وحميرا

إلى أن لقينا الحى بكر بن وائل ... ثمانين ألفاً دارعين وحسّرا
فلما قرعنا النبعَ بالنبع بعضَهُ ... ببعضٍ أبتْ عيدانه أن تكسرا
سقيناهُمُ كأساً سقونا بمثلها ... ولكننا كنا على الموت أصبرا

قال عمر بن شبة: كان النابغة الجعدى شاعرا مقدما إلا أنه كان إذا هاجى غلب، وقد هاجي أوس بن مغراء وليلى الأخيلية وكعب بن جعيل فغلبوه، وهو أشعر منهم مرارا ليس فيهم من يقرب منه، وكان قد خرج مع على رضى الله عنه إلى صفين فكتب معاوية إلى مروان فأخذ أهل النابغة وماله فدخل النابغة على معاوية وعنده مروان وعبيد الله بن مروان فأنشده :

من راكب يأتى ابنَ هند بحاجتى ... على النأى، والأنباء تنمى وتجلب
ويخبر عنى ما أقول ابنَ عامر ... ونعم الفتى يأوى إليه المعصب
فأن تأخذوا أهلى ومالى بظنة ... فأنى لأحرار الرجال مجرب
صبورٌ على ما يكره المرء كله ... سوى الظلم، إنى إن ظُلِمْتُ سأغضب

فالتفت معاوية إلى مروان فقال: ماترى؟ قال: أرى أن لاترد عليه شيأ. فقال: ماأهون عليك أن يقطع على عرضى ثم ترويه العرب، أما والله إن كنت لممن يرويه أردد عليه كل شيء أخذته . ثم أقحمته سنة فدخل على ابن الزبير فى المسجد الحرام يستجديه ومدحه بأبيات فأعطاه من بيت المال قلائص سبعا وفرسا رجيلا وأوقر له الركاب برا وتمرا وثيابا . وفى تاريخ الاسلام للذهبي أن النابغة قال هذه الأبيات :

المرء يهوى أن يعيش وطول عمر قد يضره
وتتابع الأيام حتى ما يرى شيئاً يسره
تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره

ثم دخل بيته فلم يخرج منه حتى مات، وفى الاستيعاب : كان النابغة يذكر فى الجاهلية دين إبراهيم والحنيفية ويصوم ويستغفر فيما ذكروا وقال فى الجاهلية كلمته التى أولها :

الحمدُ للهِ لا شريكَ لهُ ... مَنْ لم يقُلْها فنفسَه ظلما

وفيها ضروب من دلائل التوحيد والأقرار بالبعث والجزاء والجنة والنار وصفة بعض ذلك على نحو شعر أمية بن أبى الصلت . وقد قيل إن هذا الشعر لأمية بن أبى الصلت ولكنه قد صححه يونس بن حبيب وحماد الراوية ومحمد بن سلام وعلى بن سليمان الأخفش للنابغة الجعدى

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد السابع والثمانون بعد المائة)

(١٨٧) عَوْذٌ وبهثَةَ حاشدونَ عليهمُ حَلَقُ الحديد مضاعفا يتلهب

على أنه قد جاء فيه الحال من المضاف إليه كالبيت الذى قبله. أعنى قوله «مضاعفا» حال من « الحديد » قال أبو على فى المسائل الشيرازيات : قد جاء الحال من المضاف إليه فى نحو ما أنشده أبو زيد :

عوذ وبهثة حاشدون عليهم حلق الحديد مضاعفا يتلهب

اهـ كلامه . قال ابن الشجرى فى المجلس السادس والسبعين فى أماليه : الوجه فى هذا البيت — فيما أراه — أن مضاعفا حال من الحلق لا من الحديد لأمرين (أحدهما) أنه إذا أمكن مجىء الحال من المضاف كان أولى من مجيئها من المضاف إليه ولا مانع فى البيت من كون « مضاعفا » حالا من الحلق لأننا نقول حلق محكم ومحكمة (والآخر) أن وصف الحلق بالمضاعف أشبه كما قال المتنبي :

أقبلت تبسم والجياد عوابس يخببن بالحلق المضاعف والقنا

ويجوز أن يجعل «مضاعفا» حالا من المضمر فى يتلهب ويتلهب فى موضع الحال من الحلق فكأنه قال : عليهم حلق الحديد يتلهب مضاعفا ، وقال فى المجلس الخامس والعشرين مثل هذا .... ثم قال : ويتوجه ضعف ما قاله من جهة أخرى: وذلك أنه لا عامل له فى هذه الحال إذا كانت من الحديد إلا ما قدره فى الكلام من معنى الفعل بالأضافة وذلك قوله ألا ترى أنه لا تخلو الأضافة من أن تكون بمعنى اللام أو من وأقول إن «مضاعفا» فى الحقيقة إنما هو حال من الذكر المستكن فى «عليهم» إن رفعت الحلق بالابتداء فأن رفعته بالظرف على قول الأخفش والكوفيين فالحال منه لأن الظرف حينئذ يخلو من ذكراه

وعوذ — بفتح المهملة وآخره ذال معجمة — هو عوذ بن غالب بن قطيعة — بالتصغير —

ابن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان . و بهثة — بضم الموحدة — وهو بهثة بن عبد الله بن غطفان، فبهثة ابن عم بغيض وغطفان هو ابن سعد بن قيس عيلان بن مضر كذا فى جمهرة الأنساب لابن الكلبي . وحلق الحديد قال صاحب العباب : الحلقة — بالتسكين — الدرع والجمع الحلق — بفتحتين — على غير قياس . وقال الأصمعى : حلق — بالكسر — مثل بدرة و بدر وقصعة وقصع وفى المصباح الحلقة السلاح كله ثم أورد الجمع مثل ما أورده صاحب العباب . وقال : وحكى يونس عن أبى عمرو بن العلاء أن الحلقة — بالفتح — لغة فى السكون . وعلى هذا فالجمع بحذف الهاء قياس مثل قصبة وقصب وجمع ابن السراج بينهما وقال : فقالوا حلق ثم خففوا الواحد حين ألحقوه الزيادة وغير المعنى قال : وهذا لفظ سيبويه وأما حلقة الباب فقد قال صاحب العباب والمصباح : هى بالسكون أيضاً تكون من حديد وغيره وحلقة القوم كذلك وهم الذين يجتمعون مستديرين وقال صاحب العباب : قال الفراء فى نوادره : الحلقة — بكسر اللام — لغة لبلحرث بن كعب فى الحلقة — بالسكون — والحلقة — بالفتح — قال ابن السكيت : سمعت أباعمرو الشيبانى يقول : ليس فى كلام العرب حلقة — بالتحريك — إلا فى قولهم هؤلاء حلقة للذين يحلقون الشعر جمع حالق اه فقول الشاعر « حلق الحديد » المراد من الحلق الدروع سواء كسرت الحاء أو فتحت وإضافتها إلى الحديد كقولهم خاتم فضة وثوب خز فالمضاعف لا يكون حالا إلا من ضمير الحلق المستقر فى الجار والمجرور الواقعين خبرا . أو من الحلق على مذهب سيبويه من تجويزه مجىء الحال من المبتدأ، أو من ضمير يتلهب، ولا يصح أن يكون حالا من الحديد إذ لا معنى له فتأمل . وأيضاً الدرع المضاعفة هى المنسوجة حلقتين حلقتين . قيل : ويجوز أن يراد بالمضاعفة درع فوق أخرى . ويتلهب يشتعل استعير للمعانه . والحشد يكون لازما متعديا يقال حشد القوم — من باب قتل وضرب — إذا اجتمعوا وحشدتهم أى جمعتهم.

وهذا البيت من أبيات لزيد الفوارس أوردها أبو محمد الأعرابى فى كتاب ضالة الأديب وهى :

دُلِّهْتِ — إنْ لمْ تسألى أىَّ امرىء ... بلوى النقيعة إذ رجالك غيب

إذ جاء يومٌ ضوؤُهُ كظلامِهِ ... بادى الكواكب مقمطرٌّ أشهبُ

عَوْذٌ وبهثةٌ حاشدونَ عليهمُ حَلَقُ الحديدِ مضاعفاً يتلهبُ
ولّوا تكبهمُ الرماحُ كأنهمْ أثل جافَتْ أصولَهُ أو أثأبُ
لدُ غدوة حتى أغاث شريدَهمْ جو العشاوة فالعيونُ فزنقَبُ
فتراكت زرا فى الغبار كأنه بشقيقتى قُدَمِيَّةٍ مُتَلَبِّبُ

قال أبو محمد الأعرابى : كان سبب هذه الأبيات أنه أغار زر بن ثعلبة أحد بني عوذ ابن غالب بن قطيعة بن عبس فى بنى عبس وعبد الله بن غطفان فأصابوا نعما لبني بكر ابن سعد بن ضبة فطردوها فأتاهم الصريخ ورئيسهم يومئذ زيد الفوارس حتى أدركوهم بالنقيعة تحت الليل فقتلوا زرا والجندبن تيجان من بنى مخزوم وابن ازنم من بنى عبدالله ابن غطفان فقال زيد الفوارس هذه الأبيات فى ذلك اه ...قوله دلهت — بالبناء للمفعول وخطاب المؤنثة — من التدلهة وهو ذهاب العقل من هم وعشق ونحوه دعا عليها إن لم تسأله عنه أى فارس كان هناك . وأى امرىء خبر مبتدأ محذوف أى أنا ويجوز نصبه على أنه خبر كان المحذوفة مع اسمها أى أى امرىء كنت وبما يتعلق الظرفان وإذ الثانية بدل من إذ الأولى . والنقيعة — بالنون — موضع بين بلاد بنى سليط وضبة . واللوى ما التوى من الرمل. ويوم مقمطر مشتد . قطر أى اشتد . وأشهب من الشبهة وهو بياض يصدعه سواد . وقوله « ولوا تكبهم الخ » ولوا أدبروا وجملة تكبهم حال من الواو . كبه قلبه وصرعه . والرماح جمع رمح وجأفت الشجرة — بعد الجيم همزة — أى قلعتها . والأثاب — بالمثلثة كجعفر — شجر الواحدة أثأبة . والشريد الطريد المهزوم وهو مفعول . وجو العشاوة فاعله وهو موضع . وكذلك العيون وزنقب — بالزاى والنون والقاف — وقوله « بشقيقتى قدمية » هو مثنى شقيقة والشقيقة كل ما انشق نصفين وكل منهما شقيقة أى كأنه ملفوف بشقتى ثوب قدمية وقدم — بضم القاف وفتح الدال — حى باليمن وموضع تصنع فيه ثياب حمر . ومتلبب من تلبب بثوبه إذا التف به وتشمر . ولببته تلبيبا إذا جمعت ثيابه عند نحره فى الخصومة ثم جررته

وزيد الفوارس هو ابن حصين بن ضرار الضبى، وهو جاهلى. وذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف ولم يرفع نسبه ولا ذكر له شيئاً من شعره، وهذه نسبته من جمهرة ابن

الكلبي : زيد الفوارس بن حصين بن ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

وضرار بن عمرو كان يقال له الرديم لأنه كان إذا وقف فى الحرب ردم ناحيته أى سدها. وطالت رياسته. وشهد يوم القرنتين ومعه ثمانية عشر من ولده يقاتلون معه وزيد الفوارس كان فارسهم ولهذا قيل له زيد الفوارس

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد المائة)

(١٨٨) وأنا سوف تدركنا المنايا   مقــدرة لنــا ومقدرينا

على أنه يجوز عطف أحد حالى الفاعل والمفعول على الآخر كما فى هذا البيت فأن مقدرة حال من الفاعل وهو المنايا . ومقدرينا حال من المفعول أعنى ضمير المتكلم مع الغير . أى تدركنا المنايا فى حال كوننا مقدرين لأوقاتها وكونها مقدرة لنا . والمنايا جمع منية وهى الموت وسمى منية لأنه مقدر من منى له أى قدر. قال أبو قلابة الهذلى :

فلا تقولَنَّ لشيءٍ سوفَ أفعَلُهُ   حتى تُلاقِيَ ما يمنى لكَ المانى

أى ما يقدر لك القادر

وهذا البيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي . وهذا مطلعها :

ألا هبى بصحنك فاصبحينا   ولا تبقى خمور الأندرينا
مشعشــعة كأن الحص فيها   إذا ما الماء خالطها سخينا
تجور بذى اللبــانة عن هواه   إذا ما ذاقهــا حتى يلينا
ترى اللحِزَ الشحيح إذا أُمِرَّتْ   عليــه لما له فيها مهينا
صددتِ الكأس عنا أمَّ عمرو   وكان الكأسُ مجراها اليمينا
وما شرُّ الثــلاثة أمَّ عمرو   بصاحبك الذى لا تصبحينا ؟
وأنا سوفَ تدركُنا المنـايا   « البيت »

ألاحرف يفتتح به الكلام ومعناه التنبيه . وهي معناه قومي من نومك يقال : هب من نومه يهب هبا إذا انتبه و قام من موضعه . والصحن القدح الواسع الضخم، وقوله « فاصبحينا » أي اسقينا الصبوح وهو شرب الغداة يقال : صبحه ــ بالتخفيف ــ صبحا بالفتح . و الأندرين قرية بالشام كثيرة الخمر . وقيل هو أندر ثم جمعه بما حواليه، وقيل هو أندرون وفيه لغتان : منهم من يعربه إعراب جمع المذكر السالم . ومنهم من يلزمه الياء ويجعل الأعراب على النون . وقال الزجاج يجوز مع هذا لزوم الواو أيضا ، وقوله « مشعشعة كأن الخ » المشعشعة الرقيقة من العصر أومن المزاج يقال : شعشع كأسك أي صب فيها ماء . منصوب على أنه مفعول اصبحينا أي اسقينا ممزوجة . وقيل حال من خمور . وقيل بدل منها . والحص ــ بضم المهملة ــ الورس وهو نبت أصفر يكون باليمن . وقيل هو الزعفران قال أبو عمرو الشيباني : كانوا يسخنون لها الماء في الشتاء ثم يمزجونها به فهو على هذا حال من الماء . وقيل هو صفة موصوف محذوف أي فاصبحينا شرابا سخينا . وفيه نظر . وقيل «سخينا» فعل أي جدنا يقال سخي يسخي ــ من باب تعب ــ والفاعل سخ وفيه لغتان أخريان إحداهما سخا يسخو فهو ساخ ــ من باب علا ــ والثانية سخو يسخو ــ مثل قرب يقرب ــ سخاوة فهو سخي . ويروى « شحينا » بالشين المعجمة أي إذا خالطها الماء مملوءة به، والشحن الملء والفعل من باب نفع والشحين بمعنى المشحون . وقوله « تجور بذي اللبانة الخ » من الجور وهو العدول . واللبانة الحاجة يمدح الخمر ويقول : تعدل بصاحب الحاجة عن حاجته وهواه إذا ذاقها حتى يلين أي هي تنسى الهموم والحوائج أصحابها فأذا شربوها لانوا ونسوا أحزانهم وحوائجهم . وقوله « ترى اللحز الخ » اللحز ــ بفتح اللام وكسر المهملة وآخره زاء معجمة ــ الضيق البخيل . وقيل هو السيء الخلق اللئيم، وقوله « إذا أمرت عليه » أي أديرت الكأس عليه، والمعنى إن الخمر إذا كثر دورانها عليه أهان ماله وجاد به . وقوله « صددت الكأس عنا الخ » أي صرفت الكأس عنا إلى غيرنا . وهذا البيت من شواهد سيبويه على أن قوله « اليمينا » نصب على الظرف ، وفيه أربعة أوجه (أحدها) أن يكون مجراها بدلا من الكأس وهو مصدر لا مكان واليمين ظرف خبر كان (الثاني) أن اليمين خبر كان لا ظرف لكن على حذف مضاف

أى مجرى اليمين (الثالث) مجراها مبتدأ واليمين ظرف خبره والجملة خبر كان (الرابع) أن يجعل المجرى مكانا بدلا من الكأس واليمين خبر كان لا ظرف . وأم عمرو منادى قال ابن خلف : هى أم الشاعر وكان هو جالسا مع أبيه وأبى أمه وكانت تسقى أباها وزوجها وتعرض عنه استصغارا له فقال لها إذا سقيت إنسانا كأسا اجعلى الكأس بعده للذى على يمينه حتى ينقضى الدور ولا ينبغى أن تحقرينى فلست بشر الثلاثة يعنى نفسه وأباه وأباها اه وهذا بعيد قال شراح المعلقات : وبعضهم يروي هذين البيتين لعمرو ابن أخت جذيمة الأبرش . وذلك أنه لما وجده مالك وعقيل فى البرية وكانا يشربان وأم عمرو هذه تصد عنه الكأس فلما قال هذا الشعر سقياه وحملاه إلى خاله جذيمة وله خبر طويل مشهور . وقوله « وأنا سوف تدركنا الخ » معنى هذا البيت فى اتصاله بما قبله أنه لما قال لها هى بصحنك حثها على ذلك والمعنى فاصبحينا من قبل حضور الأجال فأن الموت مقدر لنا ونحن مقدرون له . وهذه القصيدة أنشدها عمرو بن كلثوم فى حضرة الملك عمرو بن هند — وهو ابن المنذر . وهند أمه — ارتجالا يذكر فيها أيام بنى تغلب ويفتخر بهم وأنشد أيضا عند الملك يومئذ الحرث بن حلزة قصيدته التى أولها :

آذنتنا ببينها أسماء

وتقدمت حكايتها... قال معاوية بن أبى سفيان : قصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة الحرث بن حلزة من مفاخر العرب . كانتا معلقتين بالكعبة دهرا . قال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : قصيدة عمرو بن كلثوم من جيد شعر العرب وإحدى السبع ولشغف تغلب بها قال بعض الشعراء :

أَلْهَى بنى تغلبٍ عن كل مكرُمَةٍ قصيدةٌ قالها عَمْرو بن كلثوم

يفاخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسؤوم !

وكان سبب هذه القصيدة ما رواه أبو عمرو الشيبانى قال : كانت بنو تغلب بن وائل من أشد الناس فى الجاهلية وقالوا لو أبطأ الأسلام قليلا لأكلت بنو تغلب الناس يقال : جاء ناس من بنى تغلب إلى بكر بن وائل يستسقونهم فطردتهم بكر للحقد الذى كان بينهم فرجعوا فمات منهم سبعون رجلا عطشا ، ثم إن بنى تغلب اجتمعوا

لحرب بنى بكر بن وائل واستعدت لهم بكر حتى إذا التقوا كرهوا الحرب وخافوا أن تعود الحرب بينهم كما كانت فدعا بعضهم بعضا إلى الصلح فتحا كموا إلى الملك عمرو ابن هند فقال عمرو : ماكنت لأحكم بينكما حتى تأتونى بسبعين رجلا من أشراف بكر بن وائل فأجعلهم فى وثاق عندى فأن كان الحق لبنى تغلب دفعتهم إليهم وإن لم يكن لهم حق خليت سبيلهم . ففعلوا ذلك وتواعدوا ليوم بعينه يجتمعون فيه فجاءت تغلب فى ذلك اليوم يقودها عمرو بن كلثوم حتى جلس إلى الملك وقال الحرث بن حلزة لقومه وهو رئيس بكر بن وائل : إنى قد قلت قصيدة فمن قام بها ظفر بحجته وفلج على خصمه . فرواها ناسا منهم فلما قاموا بين يديه لم يرضهم فحين علم أنه لايقوم بها أحد مقامه قال لهم : والله . إنى لأكره أن آتى الملك فيكلمنى من وراء سبعة ستور وينضح أثرى بالماء إذا انصرفت عنه — وكان لبرص كان به — غير أنى لا أرى أحدا يقوم بها مقامى وأنا محتمل ذلك لكم ، فانطلق حتى أتى الملك فلما نظر إليه عمرو ابن كلثوم قال للملك : أهذا يناطقنى وهو لايطيق صدر راحلته فأجابه الملك حتى أفحمه وأنشد الحرث قصيدته :

آذنتنا ببينها أسماء

وهو من وراء سبعة ستور ، وهند تسمع فلما سمعتها قالت : تالله ما رأيت كاليوم قط رجلا يقول مثل هذا القول يكلم من وراء سبعة ستور فقال الملك : ارفعوا سترا ودنا ، فما زالت تقول ويرفع ستر وستر حتى صار مع الملك على مجلسه ثم أطعمه فى جفنته وأمر أن لاينضح أثره بالماء وجز نواصى السبعين الذين كانوا فى يديه من بكر ودفعها إلى الحرث وأمره أن لاينشد قصيدته إلا متوضئا (١) فلم تزل تلك النواصى فى بنى يشكر بعد الحرث وهو من ثعلبة بن غنم من بنى مالك بن ثعلبة وأنشد قصيدته عمرو بن كلثوم . . هكذا نقل الخطيب التبريزى عن أبى عمرو الشيبانى وهذا مخالف لما نقلناه عنه عند ذكر معلقة الحرث بن حلزة والله أعلم

وعمرو صاحب هذه المعلقة هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد ابن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل، قال أبو عبيد

(١) أنظر ما معنى ذلك

البكري في شرح نوادر القالي: عمرو بن كلثوم شاعر، فارس، جاهلي، وهو أحد فتاك العرب. وهو الذي فتك بعمرو بن هند، وكنيته أبو الأسود. وأخوه مرة هو الذي قتل المنذر بن النعمان. وأمه أسماء بنت مهلهل بن ربيعة. ولما تزوج مهلهل هندا بنت عتيبة ولدت له جارية فقال لأمها: اقتليها وغيبيها فلما نام هتف به هاتف يقول:

كم من فتى مؤمل وسيد شمرذل
وعدد لا يجهل في بطن بنت مهلهل

فاستيقظ فقال: أين بنتي؟ فقالت: قتلتها فقال: لا وإله ربيعة — وكان أول من حلف بها — ثم رباها وسماها أسماء. وقيل ليلى. وتزوجها كلثوم بن مالك فلما حملت بعمرو أتاها آت في المنام فقال:

يا لك ليلى من ولد يقدم إقدام الأسد
من جشم فيه العدد أقول قولا لا فند

فلما ولدت عمرا أتاها ذلك الآتي فقال:

أنا زعيم لك أم عمرو بماجد الجد كريم النجر
أشجع من ذي لبد هزبر وقاص أقران شديد الأسر
يسودهم في خمسة وعشر

وكان كما قال سادهم وهو ابن خمس عشرة سنة ومات وهو ابن مائة وخمسين سنة. انتهى... وقال ابن قتيبة في كتاب الشعراء: عمرو بن كلثوم جاهلي قديم، وهو قاتل عمرو ابن هند الملك. وكان سبب ذلك أن عمرو بن هند قال ذات يوم: هل تعلمون أحدا من العرب تأنف أمه من خدمة أمي؟ قالوا: لا نعلمها إلا ليلى أم عمرو بن كلثوم قال: ولم ذلك؟ قالوا: لأن أباها مهلهل بن ربيعة، وعمها كليب وائل أعز العرب، وبعلها كلثوم بن مالك فارس العرب، وابنها عمرو بن كلثوم سيد من هو منه، فأرسل عمرو ابن هند إلى عمرو بن كلثوم ليستزيره ويسأله أن يزير أمه أمه. فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة في جماعة من بني تغلب، وأقبلت ليلى في ظعن من بني تغلب، وأم عمرو بن هند برواقه. فضرب ما بين الحيرة والفرات وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا

ودخل عمرو بن كلثوم رواقه ودخلت ليلى بنت مهلهل على هند قبتها ، وهند أم عمرو ابن هند عمة امرىء القيس الشاعر . وليلى بنت مهلهل هى بنت أخي فاطمة بنت ربيعة أم امرىء القيس . فدعا عمرو بن هند بمائدة فنصبها ثم دعا بالطرف فقالت هند : ياليلى ناوليني ذلك الطبق : فقالت : لتقم صاحبة الحاجة إلي حاجتها فأعادت عليها فلما ألحت صاحت ليلى : واذلاه يا لتغلب ، فسمعها ابنها عمرو بن كلثوم فثار الدم فى وجهه فقام إلى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق وليس هناك سيف غيره فضرب به رأس عمرو بن هند حتى قتله ونادى فى بنى تغلب فانتهبوا جميع مافى الرواق واستاقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة . وابنه عتاب بن عمرو بن كلثوم قاتل بشر بن عمرو بن عدس ، وأخوه مرة بن كلثوم قاتل المنذر بن النعمان بن المنذر ولذلك قال الأخطل :

أبنى كُليبٍ إنَّ عَمَّىَّ اللّذا قتَلا الملوك وفكّكا الأغلالا[1]

والله أعلم

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد المائة)

(١٨٩) كأنه خارجا من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفتأد

على أن خارجا حال من الفاعل المعنوى وهو الهاء ، لأن المعنى يشبه خارجاً ، وقد بينه الشارح المحقق ، وعامل الحال مافى كأن من معنى الفعل ، قال أبو على الفارسى فى الايضاح الشعرى — وقد أورد هذا البيت فى باب الحروف التى تتضمن معنى الفعل — : لأن العامل فى خارجاً مافى كأن من معنى الفعل ، فأن قلت : لم لايكون العامل مافى الكلام من معنى التشبيه دون ماذكرت مما فى كأن من معنى الفعل؟ فالقول أن معنى التشبيه لا يمتنع انتصاب الحال عنه نحو زيد كعمرو مقبلا إلا أن إعمال ذلك فى البيت لايستقيم لتقدم الحال وهي لاتتقدم على مايعمل فيها من المعانى . والهاء فى كأنه عائدة على المدرى المراد به قرن الثور ، والضمير فى صفحته راجع إلى ضمران وهو اسم كلب ، والسفود خبر كأن بفتح السين وتشديد الفاء.

---

(١) أنظر شرح شواهد الموصول من هذا الكتاب

المضمومة وهى الحديدة التى يشوى بها الكباب . والشرب — بالفتح — جمع شارب، ونسوه أى تركوه حتى نضج مافيه . شبه قرن الثور النافذ فى الكلب بسفود فيه شواء . والمفتأد — بفتح الهمزة قبل الدال — المستوى والمطبخ وهو محل الفأد — بسكون الهمزة — وهو الطبخ والنضج سواء كان قدراً أو اشواء . والمفتئد — بكسر الهمزة — اسم فاعل وهو الذى يعمل الملة ، والفئيد — على فعيل — كل نار يشوى عليها

وهذا البيت من قصيدة للنابغة الذبيانى يمدح بها النعمان بن المنذر ويعتذر إليه فيها مما بلغه عنه . وقد يناسبب اعتذاره فى ترجمته فى الشاهد الرابع بعد المائة . وهذه القصيدة أضافها أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسمعيل النحوى إلى المعلقات السبع لجودتها. وقد أورد الشارح المحقق فى شرحه عدة أبيات منها . وقبل هذا البيت :

كأن رحْلى وقد زال النهار بنا ... بذى الجليل على مستأنس وحد
من وحش وجْرةَ موْشِىّ أكارعُه ... طاوى المصير كسيف الصيْقَل الفرد
سرت عليه من الجوزاء سارية ... تزجى الشمالُ عليه جامدَ البرَد
فارتاع من صوت كلابٍ فبات له ... طوع الشوامت من خوف ومن صرد
فبثّهنّ عليه واستمر به ... صمع الكعوب بريئات من الحرَد
فهاب ضمران منه حيث يوزعه ... طعن المعارك عند المحجر النجُد
شك الفريصة بالمدرى فأنفذها ... شك المبيطر إذ يشفى من العضد
كأنه خارجا من جنب صفحته ... سفود شَرْبٍ نسوه عند مفتأد
فظل يعجم أعلى الروق منقبضاً ... فى حالك اللون صدق غير ذى أوَد
لما رأى واشقٌ إقعاصَ صاحبه ... ولا سبيل إلى عقلٍ ولا قوَد
قالت له النفس : إنى لا أرى طمعاً ... وإن مولاك لم يسلم ولم يصد
فتلك تبلغنى النعمان إنّ له ... فضلاً على الناس فى الأدنى وفى البعد

الرحل الناقة . وزال النهار أى انتصف وهو من الزوال . وبنا الباء بمعنى على . والجليل — بضم الجيم — الثمام وهو موضع أى بموضع فيه هذا النبت . وهذا النبت لاتأكله الدواب . والمستأنس الناظر بعينه وروى « مستوجس » وهو الذى قد أوجس

فى نفسه الفزع فهو ينظر . والوحد — بفتحتين — الوحيد المنفرد وهو صاحبها . وعلى بمعنى مع . وجملة وقد زال النهار الخ حال . وهذه الأمور مما توجب الأسراع فأن المسافر فى فلاة يجد فى السير بعد الزوال ليصل إلى منزل يجد فيه رفقاً وعلفاً لدابته . وقوله « من وحش » شبه ناقته بثور وحشى موصوف بهذه الصفات الآتية وخص وحش وجرة لأنها فلاة بين مران وذات عرق ستون ميلا والوحش يكثر فيها ويقال إنها قليلة الشرب فيها . والموشى — بفتح الميم — اسم مفعول من وشيت الثوب أشيه وشيا وشية أى لونته ألواناً مختلفة وأراد به الثور الوحشى فأنه أبيض وفى أكارعه أى قوائمه نقط سود وفى وجهه سفعة . وموشى — بالجر — صفة وحش . وأكارعه فاعله . وطاوى المصير أى ضامره والمصير المعى وجمعه مصران وجمع مصران مصارين . وقوله « كسيف الصيقل » أى يلمع . والفرد — بكسر الراء وفتحها وسكونها — الثور المنفرد عن أتاه وكذلك الفارد والفريد . وقوله « سرت عليه الخ » السارية السحابة التى تأتى ليلا ومعنى سرت عليه الخ أى مطر بنوء الجوزاء . وتزجى مصدره الأزجاء — بالزاى والجيم — وهو السوق . والشمال فاعله وهى ريح معروفة . وجامد البرد مفعوله أى ماصلب من البرد . وقوله « فارتاع من صوت الخ » أى فزع الثور وخاف . والكلاب — بالفتح — الصياد صاحب الكلاب . وله أى للكلاب . والفاء فى قوله « فبات » عاطفة . وطوع مرفوع ببات والمعنى عند الأصمعى فبات للكلاب ماأطاع شوامته من الخوف والصرد . وعند أبى عبيدة فبات له ما يسر الشوامت . وروى طوع بالنصب فرفوع بات ضمير الكلاب . وله أى لأجل الثور . والشوامت القوائم جمع شامتة أى فبات قائماً بين خوف وصرد وهو مصدر صرد — من باب فرح — إذا وجد البرد . وقوله « فبثهن الخ » بث فرق وفاعله ضمير الكلاب وضمير المؤنث المجموع للكلاب المفهومة من الكلاب وضمير عليه للثور وكذلك ضمير به . وأراد بصمع الكعوب قوائم الكلاب والصمع الضوامر الخفية الواحدة صمعاء والكعوب جمع كعب وهو المفصل من العظام . قال أبو الفرج الأصبهانى فى الأغانى يعنى بصمع الكعوب أن قوائمه لازقة محددة الاطراف ملس ليست بهزيلات وأصل الصمع دقة الشىء ولطافته . وبريئات حال من الكعوب . والحرد — بفتح المهملتين — أراد به العيب وأصله استرخاء عصب فى يد البعير من شدة العقال وربما كان خلقة وإذا كان به نفض يديه وضرب

بهما الارض ضرباً شديداً . وقوله « فهاب ضمران » هو — بضم الضاد المعجمة — اسم كلب . منه أى من الثور . وروى الأصمعي وأبو عبيدة « فكان ضميران منه » ويوزعه يغريه . فى الصحاح : أوزعته بالشيء فأوزع به فهو موزع به أى معرى به . أى كان الكلب من الثور حيث أمره الكلاب أن يكون . وطعن المعارك ـ بالنصب ـ أراد يطعن طعنا مثل طعن المعارك وروى « ضرب المعارك » وهو مثله . والمعارك اسم فاعل بمعنى المقاتل والمجحر اسم مفعول من أجحرته — بتقديم الجيم على المهملة — أى ألجأته إلى أن دخل جحره فانجحر . والنجد يروى بفتح النون وضم الجيم بمعنى الشجاع من النجدة وهي الشجاعة يقال نجد الرجل — بالضم — فهو وصف للمعارك . وروى النجد بفتح النون وكسر الجيم وهو إما بمعنى الشجاع فان الوصف من النجدة جاء بضم الجيم وكسرها وإما وصف من نجد الرجل — من باب فرح — أى عرق من عمل أو كرب وشدة واسم العرق النجد — بفتحتين — ومنه قوله فى هذه القصيدة « بعد الأين والنجد » وقد نجد ينجد — بالبناء للمفعول — نجدا — بفتحتين — أى كرب فهو منجود ونجيد أى مكروب . وعلى هذا فهو وصف المجحر . وروى أيضاً النجد — بفتحتين — فهو على حذف مضاف أى ذى النجد . وروى أبو عبيدة « حيث يوزعه طعن » بالرفع وقال : رفع ضمران بكان وجعل الخبر فى منه أى كان الكلب من الثور كأنه قطعة منه فى قربه وارتفع الطعن بيوزعه . وقال : سمعت يونس بن حبيب يجيب بهذا الجواب فى هذا البيت . وقوله « شك الفريصة الخ » فاعل شك ضمير الثور والفريصة اللحمة بين الجنب والكتف التى لا تزال ترعد من الدابة وهي مقتل . وأراد بالمدرى قرن الثور أى شك الثور بقرنه فريصة الكلب . وشك منصوب على المصدر التشبيهى أى شكا مثل شك المبيطر وهو البيطار . ويشفى يداوى ليحصل الشفاء . والعضد ـ بفتحتين ـ داء يأخذ الأبل فى أعضائها فيبط تقول منه عضد البعير من باب فرح . وقوله « كأنه خارجا الخ » أى كأن القرن فى حال خروجه سفود ومثله قول أبى ذؤيب الهذلى :

فكأن سفودين لما يقترا عجلا له بشواء شرب ينزع

أى فكأن سفودين لم يقترا بشواء شرب ينزع أى هما حديدان شبه قرنيه بالسفودين . وقوله « عجلا له » أى للثور بالطعن الواقع بالكلاب . وقوله « فظل يعجم الخ » عجمه

يعجمه إذا مضغه. والروق ـ بالفتح ـ القرن. والحالك الشديد السواد. والصدق ـ بالفتح هو الصلب ـ بالضم ـ والأود ـ بفتحتين ـ العوج أى ظل الكلب يمضغ أعلى القرن لما خرج من جنبيه فى حالك يعنى القرن فى شدة سواده أى تقبض واجتمع فى القرن لما يجد من الوجع كما تقول صلى فى ثيابه قال ابن قتيبة فى أبيات المعانى وقد شرح أبياتا خمسة إلى هنا : من عادة الشعراء إذا كان الشعر مديحا وقال كأن ناقتى بقرة أو ثور أن تكون الكلاب هى المقتولة ، فاذا كان الشعر موعظة ومرثية أن تكون الكلاب هى التى تقتل الثور والبقرة ليس على أن ذلك حكاية قصة بعينها . وقوله « لما رأى واشق إقعاص الخ » واشق اسم كلب . والاقعاص الموت السريع يقال رماه فأقعصه إذا قتله وأصله من القعاص ـ بالضم ـ وهو داء يأخذ الغنم فتموت سريعا. والعقل إعطاء الدية يقول قتل صاحبه فلم يعقل به ولم يقده. وقوله « قالت له النفس الخ » هذا تمثيل أى حدثته نفسه بهذا أى باليأس منه. والمولى الناصر والصاحب وهو هنا الكلب، لم يسلم من الموت ولم يصد الثور. وقيل المولى صاحب الكلاب لم يسلم من الضرر لأن كلبه قتل . وقوله « فتلك تبلغنى النعمان الخ » أى تلك الناقة التى تشبه هذا الثور تبلغنى النعمان . وقوله « فى الأدنى الخ » البعد ـ بفتحتين ـ قيل إنه مصدر و يستوى فيه لفظ الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، وقيل إنه جمع باعد مثل خادم وخدم وعلى هذا اقتصر صاحب الصحاح وأنشد البيت أى فى القريب والبعيد ، وروى ابن الاعرابى « وفى البعد » بضمتين وهو جمع بعيد . وروى أبو زيد « وفى البعد » بضم ففتح وهو جمع بعدى مثل دنا جمع دنيا وسفل جمع سفلى . وقد لخصت شرح هذه الأبيات مع إيضاح وزيادات من شرح ديوان النابغة ومن شرح القصيدة للخطيب التبريزى ومن أبيات المعانى لابن قتيبة ولله الحمد

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد التسعون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه)

(١٩٠) فأرسلها العراك ولم يذدها ... ولم يشفق على نغص الدخال

على أن المصدر المعرف باللام قد يقع حالا كما فى البيت، فأن العراك مصدر عارك

يعارك معاركة وعراكا كما يقال أورد إبله العراك إذا أوردها جميعا الماء كما فى قولهم اعترك القوم أى ازدحموا فى المعركة

وفيه مذاهب (الأول) مذهب سيبويه أنه مصدر وقع حالا (الثانى) مذهب أبى على الفارسى وبينهما الشارح المحقق (الثالث) مذهب ابن الطراوة وهو أن العراك نعت مصدر محذوف وليس بحال أي فأرسلها الأرسال العراك وزعم ثعلب أن الرواية «وأوردها العراك» وان العراك مفعول ثان لأوردها . وأما قولهم أرسلها العراك فهو عند الكوفيين مضمن أرسلها معنى أوردها فهو مفعول ثان لأوردها والأرسال بمعنى التخلية والأطلاق وفاعله ضمير الحمار وضمير المؤنث لأتنه وهى جمع أتانة . والذود الطرد . ولم يشفق أى الحمار من أشفق عليه إذا رحمه . والنغص ـ بفتح النون والغين المعجمة وإهمال الصاد ـ مصدر . فى الصحاح : نغص الرجل ـ بالكسر ـ ينغص نغصاً إذا لم يتم مراده وكذلك البعير إذا لم يتم شربه وأنشد هذا البيت وروى «نغض» بالضاد المعجمة أيضاً لكنه بسكون الغين وهو التحرك وإمالة الرأس نحو الشيء يريد أنها تميل أعناقها إلى الماء بشدة وتعب . قال السيرافى : يريد أن بعضها يزحم بعضاً حتى لا يقدر أن يتحرك لشدة الازدحام فهو واقف مزحوم لا يقدر أن يشرب ولا يتمكن من الحركة والدخال ـ بكسر الدال ـ أن يداخل بعير قد شرب مرة فى الأبل التى لم تشرب حتى يشرب معها إذا كان البعير كريماً أو شديد العطش أو ضعيفاً وقال الأعلم: الدخال أن يدخل القوى بين ضعيفين أو الضعيف بين قويين فيتنغص عليه شربه

وهذا البيت من قصيدة للبيد بن ربيعة الصحابى وصف به حمر وحش تعدو إلى الماء . يقول : أورد العير أتنه الماء دفعة واحدة مزدحمة ولم يشفق على بعضها أن يتنغص عند الشرب ولم يذدها لأنه يخاف الصياد بخلاف الرعاء الذين يدبرون أمر الأبل فأنهم إذا أوردوا الأبل جعلوها قطعا قطعا حتى تروى وقبله :

رفعن سرادقا فى يوم ريح يصفق بين ميل واعتدال

أراد بالسرادق الغبار . ويصفق يردد تارة مائلا وتارة مستويا . والنون ضمير الأتن . ورأيت فى ديوانه «فأوردها العراك» وفاعله ضمير العير ... وهذه القصيدة مطلعها

أَلَم تُلْمِمْ على الدِّمَنِ الخوالى لسَلْمَى بالمـذانب فالقفال

وترجمة لبيد تقدمت فى الشاهد الثانى والعشرين بعد المائة

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد المائة . وهو من شواهد سيبويه)

(١٩١) جاؤا قَضَّهُمْ بقضيضهم

هذا مأخوذ من بيت أورده سيبويه :

أتتنى سُلَيم قضها بقضيضها تمسح حولى بالبقيع سبالها

أنشده على أن قضهم مصدر وقع حالا ، وبينه الشارح المحقق بما لامزيد عليه . وقال الأعلم : معنى قضها بقضيضها منقضا آخرهم على أولهم . وأصل القض الكسر وقد استعمل الكسر موضع الانقضاض كقولهم عقاب كاسر أى منقضة انتهى . والكسر الوقوع على الشىء بسرعة

وهذا البيت للشماخ وبعده :

يقولون لى : يا احلف ، ولست بحالفٍ أخادعهم عنها لكيما أنالها

ففرَّجتُ غمّ النفس عنى بحالفة كما قدّت الشقراء عنها جلالها

فقوله « أتتنى سليم » بالتصغير وروى بدله « تميم » وهما قبيلتان . والسبال جمع سبلة وهى مقدم اللحية أراد أنهم يمسحون لحاهم وهم يتهددونه ويتوعدونه . وقال الأعلم : يمسحون لحاهم تأهبا للكلام ، والبقيع موضع بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقوله « يقولون لى يا احلف » أى يارجل احلف أو يا للتنبيه . وقوله « أخادعهم عنها » أى عن الحلفة التى طالبونى أن أحلف بها فأقول لهم لا أحلف وأظهر أن الحلف يشق على حتى يلحوا فى استحلافى فأذا استحلفونى انقطعت الخصومة بيننا . وقوله « لكيما أنالها » أى أنال الحلفة واليمين ومثله قول بعضهم :

سألونى اليمين فارتعت منها ليغروا بذلك الأخداع

ثم أرسلتها كمنحدر السيل تعالى من المكان اليفاع

ومثله لابن الرومى :

وإنى لذو حلفٍ كاذب إذا مااضطررت وفى الحال ضيق

وهل من جناح على مسلم يدافع بالله مالا يطيق ؟!

وقد بمعنى شق وقطع طولا يريد كشفت هذا الغم عنى باليمين الكاذبة كما كشفت الشقراء ظهرها بشق جلها عنه

وسبب هذه الأبيات على ما روى محمد بن سلام قال : كانت عند الشماخ امرأة من بنى سليم فنازعته وادعت عليه طلاقا فحضر معها قومها فأعانوها فاختصموا إلى بشر بن الصلت — وكان عثمان رضى الله عنه قد أقعده للنظر بين الناس — فرأى بشر أن لهم عليه يمينا فالتوى الشماخ باليمين يحرضهم عليها ثم حلف وقال هذه الابيات . وعن القاسم بن معن قال : كان للشماخ امرأة من بنى سليم فأساء إليها وضربها وكسر يدها ثم لما دخل المدينة فى بعض حوائجه تعلقت به بنو سليم يطلبون بظلامة صاحبتهم فأنكر فقالوا له : احلف . فجعل يغاظ أمر اليمين وشدتها عليه ليرضوا بها حتى رضوا فحلف وقال :

ألا أصبحت عرسى من البيت جامحاً بخير بلاء ، أىّ أمْرٍ بدا لهـا ؟

على خيرة كانت ، أم العرس جامح فكيف وقد سقنا إلى الحى مالها ؟؟!

سترجع غضبى نزرة الحظ عندنا كما قطعت عنا بليل وصالها

أتتنى سُلَيْمٌ قضها بقضيضها « الأبيات الثلاثة »

وقيل سببها أنه هجا قوما فاستحلفوه فحلف وتخلص منهم

والشماخ اسمه معقل بن ضرار الغطفانى . وهو مخضرم أدرك الجاهلية والأسلام . وله صحبة ، وجعله الجمحى فى الطبقة الثانية من شعراء الأسلام وقرنه بالنابغة الجعدى ولبيد وأبى ذؤيب الهذلى . وقال : إنه كان شديد متون الشعر . أشد كلاما من لبيد . وفيه كزازة ولبيد أسهل منه منطقا ، وقال الحطيئة فى وصيته : أبلغوا الشماخ أنه أشعر غطفان . وهو أوصف الناس للحمير ، يروى أن الوليد بن عبد الملك أنشد شيئا من شعره فى وصف الحمير فقال : ما أوصفه لها إنى لأحسب أن أحد أبويه كان حمارا ، وكان الشماخ يهجو قومه وضيفه ويمن عليهم بقراه ، وهو أوصف الناس للقوس ، وأرجز الناس على البديهة . وشهد الشماخ وقعة القادسية ، قال المرزبانى : وتوفى فى غزوة موقان فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، قال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : أم الشماخ من

ولد الخرشب وفاطمة بنت الخرشب أم ربيع بن زياد واخوته العبسيين الذين يقال لهم الكملة

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد الثاني والتسعون بعد المائة قول المتنبي)

(١٩٢) وقبلتني على خوفٍ فماً لفم

وصدره :

قبلتُها ودموعي مزجُ أدمُعِها

على أن قوله « فما » حال وصاحب الحال ضمير قبلتني المستتر أي جاعلة فاها على في

وهذا البيت من قصيدة قالها في صباه ، مطلعها :

ضيفٌ ألمّ برأسي غير محتشم والسيف أحسن فعلا منه باللمم

أبعد بعدت بياضاً لا بياض له لأنت أسود في عيني من الظلم

بحب قاتلتي والشيب تغذيتي هواي طفلا وشيبي بالغ الحلم

فما أمرّ برسم لا أسائله ولا بذات خمار لا تريق دمي

تنفّستْ عن وفاء غير منصدع يوم الرحيل وشعب غير ملتئم

قبلتها ودموعي مزجُ أدمعها وقبلتني على خوفٍ فماً لفم

فذقتُ ماءَ حياةٍ من مقبَّلِها لو صاب ترباً لأحيا سالف الأمم

قوله « ضيف ألمّ برأسي الخ » عنى بالضيف الشيب ، والمحتشم المنقبض المستحي يريد أن الشيب ظهر في رأسه دفعة من غير أن يظهر في تراخ وهذا معنى قوله « غير محتشم » ثم فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب به لأن الشيب أقبح ألوان الشعر وهذا مأخوذ من قول البحتري :

وددت بياض السيف يوم لقيتني مكان بياض الشيب منه بمفرقي

وقوله « أبعد بعدت بياضاً الخ » دعاء على الشيب وبعد يبعد — من باب فرح — إذا هلك وذل ، والبياض الأول الشيب والثاني الرونق والحسن ، وأسود هنا واحد السود والظلم الليالي الثلاث في آخر الشهر ، يقول لبياض شيبه أنت عندي واحد من تلك الظلم كقول أبي تمام فيه :

له منظر فى العين أبيض ناصع ولكنه فى القلب أسود أسفع

وقيل أسود أفعل تفضيل جاء على مذهب الكوفيين وهذا من أبيات مغنى اللبيب وقوله «بحب قاتلى الخ» عنى بقاتلته حبيبته يعنى أن حبها يقتله والباء من صلة التغذية يقول تغذيت بهذين الحب والشيب ثم فسر ذلك بما بعده يقول: هويت وأنا طفل وشبت حين احتلمت لشدة ماقاسيت من الهوى فصار غذائى فقوله «هواى» مبتدأ وطفلا حال سد مسد الخبر ومثله مابعده، وقد فصل بهذا ماأجمله أولا لأنه بين وقت العشق ووقت الشيب وقوله «فما أمر برسم الخ» الرسم من أثر الدار ماكان ملاصقاً بالأرض والطلل ما كان شاخصاً يقول: كل رسم يذكرنى رسم دارها فأسأله تسلياً وكل ذات خمار تذكرنيها فتريق دمى. وقوله «تنفست عن وفاء الخ» يقول تنفست يوم الوداع تحسرا على يوم فراقى عن وفاء يعنى عما فى قلبها من وفاء صحيح غير منشق، ويريد بالشعب الفراق من قولهم شعبته إذا فرقته والمعنى: وعن حزن شعب فحذف المضاف، وقوله «قبلتها ودموعى الخ» أى بكينا جميعا حتى امتزجت دموعى بدموعها فى حال التقبيل، والمزج المزاج مصدر سمى به الفاعل يقول: دموعى مازجت دموعها، ونصب «فما» على الحال

قال أبو حيان فى الارتشاف: قال الفراء: أكثر كلام العرب «كلمته فاه إلى فى» بالنصب والرفع صحيح، وفيما أشبه هذا نحو حاذيته ركبته إلى ركبتى، والأكثر فيه بالرفع وإذا كان نكرة فالنصب المؤثر المختار نحو كلمته فما لفم وحاذيته ركبة لركبة ورفعه وهو نكرة جائز على ضعف إذا جعلت اللام خبرا لفم وإن وضعت الواو موضع الصفة فقلت كلمته فوه وفى وحاذيته ركبته وركبتى فالواو تعمل ما تعمل إلى والنصب معها سائغ على إعمال المضمر اه كلام الفراء، قال أبو حيان: ويعنى بقوله والنصب معها أى مع الواو فى الثانى سائغ على إعمال المضمر يعنى جاعلا أى جاعلا فاه وجاعلا ركبته ويقتصر فى هذا على مورد السماع، ولو قدمت حرف الجر فقلت كلمنى عبدالله إلى فى فوه لم يجز النصب بإجماع من الكوفيين وتقتضيه قاعدة قول سيبويه فى أنه لايجوز إلى فى تبيين، كلك بعد سقيا لك، وتقديم لك على سقيا لا يجوز فينبغى أن لا يجوز هذا فلو قدمت فاه إلى فى على كلمته فقلت فاه إلى فى كلمت زيدا فأجازه سيبويه وأكثر البصريين واتفق الكوفيون على منعه وتبعهم بعض البصريين فلو قلت فوه إلى فى كلمنى عبدالله لم يجز ذلك.

عند أحد من الكوفيين ولا أحفظ أيضاً عن البصريين والقياس يقتضى الجواز .... اه

وقوله «فذقت ماء حياة الخ» جعل ريقها ماء الحياة على معنى أن العاشق إذا ذاقه حيي به ومعنى لو صاب تربا لو نزل على تراب من قولهم صاب المطر يصوب صوباً بمعنى أصاب يقول لو وقع ريقها على الأرض لأحيا الموتى من الأمم المتقدمة .... وأول هذا المعنى للأعشى :

لو أسندت ميتاً إلى نحرها   عاش ولم ينقل إلى قابر

فنقل أبو الطيب الأحياء إلى ريقها وما شرحت به هذه الأبيات فهو من شرح الإمام الواحدى لخصته منه باختصار

وترجمة المتنبي تقدمت فى البيت الحادى والأربعين بعد المائة

وأنشد بعده

ولقد أمرُّ على اللَّئيم يسبُّنى   فمضيت ثُمَّتَ قلت لا يعنينى

على أن اللام فى اللئيم زائدة .... قد تقدم الكلام على هذا البيت فى الشاهد الخامس والخمسين

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد المائة)

(١٩٣) فما بالنا أمس أسد العرين   وما بالنا اليوم شاء النجف

على أن أسد العرين وشاء النجف حالان: إما على تقدير مثل. وإما على تأويلهما بوصف أى شجعانا وضعافا ، وهذا ظاهر

وهذا البيت آخر أبيات أربعة لأحد أصحاب على بن أبى طالب رضى الله عنه وهى:

أيمنعنا القومُ ماءَ الفُراتِ   وفينا السيوف وفينا الحجف ؟

وفينا علىٌّ لهُ صولة   إذا خوفوه الردى لم يخفْ

ونحن الذين غداة الزبير   وطَلْحَةَ خضنا غمار التلف

فما بالُنا أمسِ أُسْدَ الْعَرينِ   الخ

ومنشؤها على ماذكر فى كتاب الفتوح وكتاب الروضة للحجورى : أن على بن أبى طالب رضى الله عنه لما نزل بصفين — وصفين مدينة عتيقة من بناء الأعاجم على

شاطىء الفرات بالقرب من قنسرين ــ فسبقه معاوية إلى الفرات ومنع علياً وأصحابه من الماء فأرسل على رضى الله عنه إلى معاوية الأشعث بن قيس وصعصعة بن صوحان وقال: اذهبا إلى معاوية وقولا له: خيلك حالت بيننا وبين الماء ونحن نكره قتالكم قبل الأعذار فأبلغاه الرسالة وجرى بينهم فقال الأشعث: إنك إن تمنعنا من الماء ترمنا ما لا نريد فخل عن الماء قبل أن تغلب عليه ، وقال ابن صوحان : إنا لا نموت عطشاً وسيوفنا على عواتقنا . فاستشار معاوية أصحابه فقال الوليد بن عتبة وهو أخو عثمان من أمه : امنعهم كما منعوا عثمان ، فقال عمرو بن العاص : ما أظن علياً يظمأ وفى يده أعنة الخيل وهو ينظر إلى الفرات فخل عنه وعن الماء . وقال ابن أبي سرح : امنعهم الماء منعهم الله إياه . فقال ابن صوحان : إنما منعه الله الفجرة مثلك ومثل هذا الفاسق الوليد ، وبقى أصحاب على يومهم وليلتهم عطاشا فسمع على رضى الله عنه صبيا ينشد:

أيمنعنا القومُ ماءَ الفُرات ؟ «الأبيات الأربعة»

ورجع الأشعث فقال : أيمنعنا القوم وأنت فينا ؟ خل عنى وعنهم غدا ، قال على: ذلك إليك. فنادى مناد له من كان يريد الماء والموت فيعاده الصبح . فأصبح على باب مضربه أربعة عشر ألفا وسار القوم وكل يرتجز برجزه، ثم قال الأشعث : تقدموا فلما أشرفوا على الماء قال لأصحاب معاوية :خلوا عن الماء وإلا وردناه ، فقال أبو الأعور السلمى : لا والله حتى تأخذنا السيوف وإياكم. فقال الأشعث للأشتر: أقحم الخيل. فأقحمها حتى غمست سنابكها فى الماء وأخذ القوم السيوف فولوا عن الماء اه.

فقوله « وفينا السيوف وفينا الحجف » هو جمع حجفة ــ بفتح الحاء المهملة والجيم ــ يقال للترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب حجفة ودرقة كذا فى العباب وقال ابن دريد فى الجمهرة : هى جلود من جلود الإبل يطارق بعضها على بعض ويجعل منها الترسة ، وقوله « ونحن الذين غداة الزبير » يشير به إلى وقعة الجمل . والغمار جمع غمرة ــ بالفتح ــ وهى الشدة وقوله « أسد العرين » هو بفتح العين المهملة فى الصحاح: العرين والعرينة مأوى الأسد الذى يألفه يقال ليث عرينة وليث غابة وأصل العرين جماعة الشجر ، وقوله « شاء النجف» الشاء جمع شاة، فى الصحاح: الشاة من الغنم تذكر وتؤنث والجمع شياه بالهاء فى أدنى العدد تقول ثلاث شياه إلى العشرة فأذا جاوزت

فبالتاء فأذا كثرت قيل هذه شاء كثيرة وجمع الشاء شوى . والنجف — بفتح النون والجيم — قال ابن الأعرابي : هو الحلب الجيدحتى ينفض الضرع يقال:انتجفت الغنم إذا استخرجت أقصى ما فى الضرع من اللبن وانتجفت الريح السحاب إذا استفرغته وانتجاف الشيء استخراجه وكذلك استنجافه . والنجف والنجفة أيضا مكان لايعلوه الماء مستطيل منقادوالجمع نجاف . وقال ابن الاعرابي : النجفة المسناة والنجف التل .وقال الأزهري : النجفة التي هي بظاهر الكوفة هي المسناة تمنع ماء السيل أن يعلو منازل الكوفة ومقابرها وفيه مرقد علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال إسحق ابن ابراهيم الموصلي يمدح النجف :

ما إن أرى الناس فى سهل وفى جبل أصفى هواء ولا أغذى من النجف

والبال هنا بمعنى الشأن والحال وهو الفاعل فى أمس وفى الحال لكونه بمعنى الفعل قال التفتازاني عند ما قال الزمخشري فى سورة آل عمران مابالـه وهو آمن : قوله وهو آمن حال عامله ما فى بال من معنى الفعل ولم نجد فى الاستعمال هذه الحال بالواو قال:

ما بالُ عينِك منها الماءُ ينسكبُ اهـ

واعلم أن مجيء الحال بعد ما بال أكثري . وقد يأتى بدونها كقوله تعالى « فما بال القرون الأولى »وقدوردت الحال بعده على وجوه (منها) مفردة كبيت الشاهد وكقوله:

فما بال النجوم معلَّقاتٍ بقلبِ الصبِّ ليسَ لها براحُ

(ومنها) ماضية مقرونة بقد كقول العامري :

ما بال قلبِكَ يامجنونُ قدهلَما من حُبِّ مَنْ لا ترى فى نيلِه طمعا

وبالواو معها كقوله :

ما بال جهلك بعد الحلم والدين وقد علاك مشيبٌ حين لا حين

وبدون قد كقوله أيضاً :

فما بال قلبي قدَّه الشوْقُ والهَـوَى وهذا قميصي من جوى الحزن باليا

ومضارعية مثبتة كقول أبي العتاهية :

ما بال دينِك ترضى أن تدنِّسهُ وثوبُ دنياكَ مغسولٌ من الدنس

و بالواو كقوله :

فما بال من أسعى لأُجبُر عظمَهُ حِفاظاً وينوى من سفاهتهِ كَسرى

ومنفية كما أنشده ابن الاعرابى :

وقائلةٍ ماباله لا يزورُها

(ومنها) اسمية غير مقترنة بوا وكقول ذى الرمة :

مابال عينِك منها الماء ينسكبُ

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد المائة ،وهو من شواهد سيبويه)

(١٩٤) وما حل سعدىٌّ غريبا ببلدة

على أنه يجوز تنكير صاحب الحال إذا سبقه نفى ، فأن غريبا حال من سعدى وهو نكرة وجاز لانه قد تخصص بالنفى ، و ببلدة متعلق بقوله « حل » أى نزل وأقام وهذا صدر وعجزه :

فَيُنْسَبَ إلا الزِّبرِقان له أب

قال أبو على الفارسى فى التذكرة القصرية : قيل نصب الشاعر «غريبا» على الحال فى قوله فينسب كأنه قال وما حل سعدى بلدة فينسب إلى الغربة ، وهذا لا يجوز أعنى نصب غريبا بينسب لتقدمه عليه لان تقديم الصلة على الموصول لا يجوز ،والفرار مما يجوز إلى مالا يجوز مرفوض ولكنه حال من النكرة فاعلم ذلك اه

و روى أيضا « وما حل سعدى غريب » بالرفع فعلى هذا هو وصف لسعدى استشهد به سيبويه على نصب ينسب بعد الفاء على الجواب مع دخول إلا بعده للايجاب لأنها عرضت بعد اتصال الجواب بالنفى ونصبه على ما يجب له ، و يجوز الرفع أيضا وأورده الشارح المحقق فى نواصب الفعل المضارع أيضا على أن النفى راجع إلى ينسب أى يحل ولاينسب ، قال : و لولا أن مابعد الفاء منفى لماجاز الاستثناء إذ المفرع لا يكون فى الواجب إذ التقدير مانسب ذلك السعدى إلى أحد إلا إلى الزبرقان فالزبرقان منصوب بنزع الخافض وهو إلى وجملة «له أب» حال من الزبرقان أى فى حال كون الزبرقان أبا لذلك السعدى ، والزبرقان سيد قومه وأشهرهم فإذا تغرب رجل من بنى سعد — وهم رهط

الزبرقان — فسئل عن نسبه ينتسب إليه لشرفه وشهرته

والزبرقان من الصحابة وهو حصين بن بدر بن امرىء القيس بن خلف بن بهدلة ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، قال ابن عبد البر فى الاستيعاب: وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قومه، وكان أحد ساداتهم فأسلموا، وذلك فى سنة تسع فولاه صدقات قومه، وأقره أبو بكر وعمر على ذلك، وإنما سمى الزبرقان لحسنه شبه بالقمر لأن القمر يقال له الزبرقان، قال الأصمعى: الزبرقان القمر، والزبرقان الرجل الخفيف اللحية، وقد قيل إن اسم الزبرقان القمر بن بدر، والأكثر على أنه الحصين بن بدر، وقيل بل سمى الزبرقان لانه لبس عمامة مزبرقة بالزعرفان والله أعلم اه

وهذا البيت من قصيدة للعين المنقرى، واسمه منازل بن زمعة وكنيته أبو أكيدر — مصغر أكدر — من بنى منقر — بكسر الميم وفتح القاف — وهو منقر بن عبيد — بالتصغير — بن مقاعس، وهو الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم

واللعين شاعر إسلامى فى الدولة الأموية، قال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء والمبرد فى الاعتنان واللفظ له قال راويا عن أبى عبيدة: اعترض لعين بن منقر لجرير والفرزدق فقال:

سأقضى بين كلب بنى كليب　　　وبين القين قين بنى عقال

بأن الكلب مرتعه وخيم　　　وأن القين يعمل فى سفال

فلم يجبه أحد منهما فقال:

فما بُقيا على تركتمانى　　　ولكن خفتما صرد النبال

فدونكما انظرا أهجوت أم لا　　　فذوقا فى المواطن من نبالى

وما كان الفرزدق غير قين　　　لئيم خاله للؤم تالى

ويترك جده الخطفى جرير　　　وينـدب حاجبا وبنى عقال

فلم يلتفتا إليه فسقط اه

قوله « فما بقيا على الخ » البقيا — بالضم — الرحمة والشفقة ، وصرد السهم — من باب فرح — من الاضداد إذا نفذ وإذا نكل فيكون المعني على النفوذ إنكما خفتما نفوذ سهامى فيكما أى هجائى وعلى معنى النكول أى خفتما أن لا تنفذ سهامكما فى فعجزتما عنى ، وقد تمثل بهذا البيت هرون الرشيد لما أراد قتل جعفر بن يحيى البرمكى ، قال ابن قتيبة : وكان اللعين هجاء للأضياف قال :

وأبغض الضيف مابى جل مأكله إلا تنفجه عندى إذا قعدا

ما زال ينفج كتفيه وحبوته حتى أقول لعل الضيف قد ولدا

ووجه تلقيب اللعين بهذا على ما رواه صاحب زهر الآداب قال : سمعه عمر بن الخطاب ينشد شعرا والناس يصلون فقال : من هذا اللعين ؟ فعلق به هذا الاسم

﴿ وأنشد بعده ﴾

(وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد المائة)

(١٩٥) لميَّةَ موحشاً طَلَلٌ قديمٌ

على أنهم استشهدوا به لتقدم الحال على صاحبها المنكر ، وفيه ما بينه الشارح المحقق ، قال ابن الحاجب فى أماليه على أبيات المفصل : يجوز أن يكون موحشا حالا من الضمير فى لمية فجعل الحال عن المعرفة أولى من جعلها من النكرة متقدمة عليها لأن هذا هو الكثير الشائع وذلك قليل فكان أولى ، وممن استشهد بهذا البيت على ماذكره الشارح ابن جنى فى شرح الحماسة عند قوله :

وهلاَّ أَعَدّونى لمثلى تفاقدوا وفى الأرض مبثوثاً شجاعٌ وعقرب

قال : من نصب مبثوثا فلأنه وصف نكرة قدم عليها فنصب على الحال منها كقوله :

لعزة موحشاً طللٌ قديمُ

ومنهم صاحب الكشاف أورده عند قوله تعالى « وجعلنا فيها فجاجا سبلا » على أن فجاجا كان وصفا لقوله سبلا فلما تقدم صار حالا منه ، ومنهم الخبيصى فى شرحه للكافية الحاجبية قال : قدم الحال وهو موحشا على ذى الحال وهو طلل لئلا يلتبس بالصفة ، قال شارح شواهده الكرمانى : هذا لا يصلح لمطلوبه من وجوه : (الأول) أنه محتمل غير منصوص إذ لا نسلم أنه حال من طلل لجواز كونه حالا من ضمير الظرف

فلا يكون ذو الحال نكرة، (الثانى) أنه لو تأخر عن ذى الحال لايلتبس بالصفة لأن ذا الحال مرفوع والحال منصوب ، (الثالث) أنه لايجوز أن يكون حالا من طلل لأنه مبتدأ والحال لاتكون إلا من الفاعل أو المفعول أو مافى قوتهما اه

وفى كل من الأخيرين نظر ظاهر ، وقد تكلم السخاوى على هذا البيت فى سفر السعادة بما يشبه كلام الشارح إلاأن فيه زيادة تتعلق بمذهب الأخفش وهذا ملخصه قال النحاة: انتصب «وحشا على الحال من طلل والعامل الجار والمجرور ، وهذا كلام فيه نظر لأن الجار والمجرور إما أن يقال فيه ما قال سيبويه أوما قال الأخفش ، وبين مذهب سيبويه وما يرد عليه من اختلاف العامل فى الحال وذيها ثم قال : وإن قلنا بقول الأخفش فارتفاع طلل على أنه فاعل والرافع له الجار والمجرور ولا مرية على قول الأخفش أن العامل فى الحال هو العامل فى ذيها فأذا كان العامل غير متصرف لم تتقدم الحال عليه ولا على صاحب الحال، ألا ترى أنه لايجوز هذا قائما زيد ولا قائما هذا زيد ، والذى ينبغى أن يقال العامل فى الحال الجار والمجرور ، وصاحب الحال الضمير الذى فى الجار والمجرو اه

وبعد هذا :

عفاهُ كلّ أسْحم مستديم

والطلل ماشخص من آثار الدار ، والموحش من أوحش المنزل إذا ذهب عنه الناس وصار ذا وحشة وهى الخلوة والهم كذا فى الصحاح ، وعفاه بمعنى درسه وغيره وعفا يأتى متعديا يقال عفت الريح المنزل ويأتى لازما يقال عفا المنزل إذا اندرس وتغير ، والأسحم هو الأسود والمراد هنا السحاب لأنه إذا كان ذا ماء يرى أسود لامتلائه ، والمستديم صفة كل وهو السحاب الممطر مطر الديمة ، والديمة مطر أقلها ثلث النهار أو ثلث الليل

وهذا البيت من روى أوله «لعزة موحشا الخ» قال : هو لكثير عزة ، منهم أبو على فى التذكرة القصرية ومن رواه «لمية موحشا» قال : إنه لذى الرمة فأن عزة اسم محبوبة كثير ومية اسم محبوبة ذى الرمة

والشاهد المشهور فى هذا المعنى هو :

لميّةَ موحشاً طللُ يلوحُ كأنه خِللُ

وقد قيل إنه لكثير عزة والخلل - بالكسر - جمع خلة قال الجوهرى: الخلة - بالكسر - واحدة خلل السيوف وهى بطائن يغشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب وغيره

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد السادس والتسعون بعد المائة)

*(١٩٦) لئن كان برد الماء حران صاديا إلىّ حبيبا إنها لحبيب

على أن الحال تقدمت على صاحبها المجرور بالحرف ، فان قوله «حران صاديا» حالان إما مترادفتان أو متداخلتان تقدمتا على صاحبهما وهو الياء المجرور بألى ، وإلى بمعنى عند متعلقة بقوله «حبيبا» وهو خبر كان ، قال ابن جنى فى إعراب الحماسة :وقد يجوز فى هذا عندى وجه آخر لطيف المعنى وهو أن يكون حران صاديا حالا من الماء أى كان برد الماء فى حال حرته وصداه حبيباً إلى ،وصف الماء بذلك مبالغة فى الوصف وجاء بذلك شاعرنا فقال :

وجبت هجيرا يترك الماء صاديا

و إذا صدى فحسبك به عطشا فأن أمكن هذا كان حمله عليه جائزاً حسناً ورأيت أبا على يستسهل تقديم حال المجرور فى نحو هذا عليه ويقول هو قريب من حال المنصوب اه

أقول : أراد بشاعره أى بشاعر عصره أبا الطيب المتنبى الوجه الذى أبداه تخيل صحيح فأن الانسان يحب أن يكون الماء بارداً فى حال كونه حاراً ولكن الوجه الأول أحسن وأبلغ فأن الماء البارد أحب إلى الانسان عند عطشه وحرارته من كل شىء ،وهذا المعنى هو المتداول الشائع قال المبرد فى الكامل :هو معنى صحيح وقد اعتوره الحكماء وكلهم أجاد فيه ، ومثل بيت الشاهد قول عمر بن أبى ربيعة :

قلتُ وَجْدى بها كوَجْدِكَ بالما ءِ إذا ما مُنِعْتَ بَرْدَ الشرابِ

فأن قوله « إذا مامنعت برد الشراب » يفيد ماأفاده قوله «إلى حران صاديا» فأنه يريد عند وقت الحاجة إليه وبذلك صح المعنى ومثله قول القطامى :

فهن ينبذن من قول يصبن به مواقعَ الماءِ من ذى الغُلَّةِ الصَّادى

ينبذن يرمين به ويتكلمن ، والغلة - بالضم - حرارة العطش ،ويروى عن على رضى الله عنه

أن سائلا سأله فقال: كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ، والقول فيه كثير وتعليق كونها حبيبة إليه على كون الماء حبيباً إليه فى تلك الحالة من باب التعليق على المحقق وقد تعسف بعضهم فى جعل البرد مصدرا ناصباً لحران وصاديا على المفعولية بتقدير الموصوف أى جوفا حران وأن المراد جوف نفسه وذلك هربا من وقوع الحال فى مثل هذه الصورة حتي إن بعضهم مع عدم التأويل يقول: لاحجة فيه لأن الشعر محل الضرورة وقوله «لئن كان» اللام هى اللام المؤذنة وهى الداخلة على أداة شرط للايذان لأن الجواب بعدها مبنى على قسم قبلها لا على الشرط وتسمى الموطئة أيضاً لأنها وطأت الجواب للقسم أى مهدته له سواء كان القسم غير مذكور كقوله تعالى «لئن أخرجوا لايخرجون» أو كان مذكوراً قبلها كاهنا، فأن قبل هذا البيت قوله:

حلفت برب الراكعين لربهم خشوعا وفوق الراكعين رقيب

فجملة إنها لحبيب جواب القسم المذكور وهو حلفت وقد أخطأ من قال إن هذه الجملة جواب الشرط مع أن هـذا القائل نقل ضابطة اللام الموطئة عن مغنى اللبيب وضمير إنها لعفراء بنت عم عروة بن حزام ...... والبيتان له من قصيدة أولها:

وإنى لتعرونى لذكراك روعة لها بين جلدى والعظام دبيب
وما هو إلا أن أراها فجاءةً فأُبْهَتَ حتى ما أكاد أجيب
وأصرف عن رأيى الذى كنت أرتئى وأنسى الذى أعددت حين تغيب
ويضمر قلبي عذرها ويعينها عليه فمالى فى الفؤاد نصيب
وقد علمت نفسي مكان شفائها قريباً، وهل مالا ينال قريب؟
حلفت برب الراكعين لربهم البيتين
وقلت لعراف اليمامة داونى فأنَّكَ إنْ أبرأْتَنِى لطبيب
فما بى من سقم ولا طيف جنة ولكنّ عمىّ الحميرىّ كذوب
عشيةَ لا عفْراءُ دان مزارُها فتُرْجى ولا عفراء منك قريب
فلست برائى الشمسِ إلا ذكرتُها ولا البدر إلا قلتُ سَوْفَ تؤوب

عشية لاخلفى مفرّ ولا الهوى قريب ولا وَجْدى كوجد غريب
فوا كبد أمست رفاتا كأنما يلذعها بالكف كف طبيب

وفى البيتين الأخيرين إقواء

وعروة بن حزام هو من عذرة أحد عشاق العرب المشهورين بذلك إسلامى، كان فى مدة معاوية ابن أبى سفيان قال أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدى فى روايته ديوان عروة بن حزام عن أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب عن لقيط بن بكر المجادى قال: كان من حديث عروة بن حزام وابنة عمه عفراء ابنة مالك العذريين أنهما نشآ جميعاً فتعلقها علاقة الصبى ، وكان قديماً فى حجر عمه وبلغ فكان يسأله أن يزوجه إياها فيسوفه حتى خرج فى عير لأهله إلى الشأم فقدم على أبى عفراء ابن عم لها من أهل البلقاء وكان حاجا فخطبها فزوجه إياها فحملها. وأقبل عروة فى عيره حتى إذا كان بتبوك نظر إلى رفقة مقبلة من قبل المدينة فيها امرأة على جمل فقال لأصحابه: والله لكأنها شمائل عفراء فقالوا: ويحك ماتزال تذكر عفراء ماتخل بذكرها فى حال من الأحوال؟ فلم يرع إلا بمعرفتها فوقف متحيرا لايرد جواباً حتى إذا فقدها قال:

وإنى لتعرونى لذكراكِ روعةٌ « الأبيات المتقدمة »

ثم أخذه مرض السل حتى لم يبق منه شيئاً فقال قوم: هو مسحور وقال قوم: به جنة ، وكان باليمامة طبيب يقال له سالم فصار إليه ومعه أهله فجعل يسقيه الدواء فلا ينفعه فخرجوا به إلى طبيب بحجر فلم ينتفع بعلاجه فقال:

جعلتُ لعرّافِ اليمامة حكمه وعراف حجر(١) إن هما شفيانى
فما تركا من حيلة(٢) يعلمانها ولاسلوة إلا بها سقيانى
فقالا : شفاك الله ، والله مالنا بما حملت منك الضلوع يدان

قال النعمان بن بشير: بعثني معاوية مصدقا على بنى عذرة فصدقتهم ثم أقبلت راجعاً

(١) فى الأمالى: « وعراف نجد الخ »
(٢) يروى: « فما تركا من رقية الخ »

فاذا أنا ببيت مفرد ليس قربه أحد وإذا رجل بفنائه لم يبق منه إلا عظم وجلد، فلما سمع وجسى ترنم بقوله :

وعينان ما أوفيت نشزا فتنظرا بمأقيهما إلا هما تكفان
كأن قطاة علقت بجناحها على كبدى من شدة الخفقان

قال : وإذا إخوته حوله أمثال الدمى فنظر فى وجوههن ثم قال :

من كان من أخواتى باكيا أبداً فاليوم إني أرانى اليوم مقبوضا
يسمعننيه فأنى غير سامعه إذا علوت رقاب الناس معروضا

قال : فبرزن ـ والله ـ يضربن وجوههن وينتفن شعورهن فلم أبرح حتى قضى فهيأت من أمره ودفنته، كذا قال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء ، وحكى هذه الرواية راوى شعره عن عروة بن الزبير ، ثم قال : ومر ركب بوادى القرى فسألوا عن الميت فقيل عروة ابن حزام وكانوا يردون البلقاء فقال بعضهم لبعض : والله لنأتين عفراء بما يسوءها فساروا حتى مروا بمنزلها وكان ليلا فصاح صائح منهم وهى تسمع فقال :

ألا أيها البيت المغفل أهله إليكم نعينا عروة بن حزام

ففهمت عفراء الصوت ونادت بهم :

ألا أيها الركب المخبون ويحكم أحقا نعيتم عروة بن حزام ؟

فقال بعضهم :

نعم قد دفناه بأرض بطينة مقيما بها فى سبسب وأكام

فأجابته وقالت :

فإن كان حقا ما تقولون فاعلموا بأن قد نعيتم بدر كل تمام
نعيتم فتى يسقى الغمام بوجهه إذا هى أمست غير ذات غمام
فلا نفع الفتيان بعدك لذة ولا ما لقوا من صحة وسلام
وبتن الحبالى لا يرجين غائبا ولا فرحات بعده بغلام

ثم أقبلت على زوجها فقالت له : إنه قد بلغنى من أمر ذلك الرجل ما قد بلغك ،

والله ما كان إلا على الحسن الجميل ، وقد بلغنى أنه مات فأن رأيت أن تأذن لى فأخرج إلى قبره ، فأذن لها فخرجت فى نسوة من قومه تندبه وتبكى عليه حتى ماتت ، قال : وبلغنى أن معاوية بن أبى سفيان قال : لو علمت بهما لجمعت بينهما

(تنبيه) نسب المبرد فى الكامل بيت الشاهد إلى قيس بن ذريح وذكر ماقبله كذا :

حلفت لها بالمشعرين وزمزم ... وذو العرش فوق المقسمين رقيب
لئن كان برد الماء حران صاديا ... (البيت)

ونسبه العينى إلى كثير عزة وقال : هو من قصيدة أولها :

أبى القلبُ إلا أمَّ عَمْرٍو وبُغِّضَتْ ... إلىَّ نساءٌ ما لهنَّ ذنوب
حلفت لها بالمأزمين وزمزم ... ولله فوق الحالفين رقيب
لئن كانَ برد الماء حران صاديا ... « البيت »

والصحيح ماقدمناه ، والبيتان من شعر غيره دخيل ، والله أعلم

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد السابع والتسعون بعد المائة)

(١٩٧) إذا المرء أعيته المروءة ناشئا ... فمطلبها كهلا عليه شديد

لما تقدم قبله ، قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : « كهلا » حال من الهاء فى « عليه » تقديره فمطلبها عليه كهلا شديد ، ثم قال : فأن قلت : فهلا جعلت كهلا حالا من الضمير فى المطلب ؟ قيل : المصدر الخبر لا يضمر فيه الفاعل بل يحذف معه حذفا .... انتهي

وهذا البيت أحد أبيات أربعة مذكورة فى الحماسة ، وهى :

متى ما يرى الناسُ الغنيِّ وجارُهُ ... فقيرٌ يقولوا : عاجزٌ وجليد
وليس الغنى والفقرُ من حيلة الفتى ... ولكن أحاظٍ قسمَتْ وجدود
إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً ... «البيت»
وكائن رأينا من غنى مُذَمَّمٍ ... وصُعْلوكِ قومٍ ماتَ وَهْوَ حميد

جملة « وجاره فقير » من المبتدأ والخبر حال من الغني ، ويقولوا جواب الشرط ،

وقوله «عاجز وجليد» خبر مبتدأ محذوف أى هـذان عاجز وجليد والجملة مقول القول ، والجليد من الجلادة وهى الصلابة أراد القوة على السعى وتحصيل المـال ، وقوله «ولـكن أحاظ» قال الأعلم : جمع حظ على غير قياس ويقال هو جمع أحظ وأحظ جمع حظ وأصله أحظظ فأبدل من إحدى الظاءين ياء كراهة التضعيف ويجوز عندى أن يكون أحظ جمع حظوة وهى بمعنى الحظ وفعلها حظيت أحظى فلا شـذوذ انتهى ، والحظ النصيب ، والجـدود جمع جد — بفتح الجيم — وهو البخت أى أن الغنى والفقر مما قدره الله فهو حظوظ وجدود خلقوا لهـا على ماعلم الله من مصالح عباده ، وقوله «أعيته» أى أتعبته متعدى عي بالأمر إذا عجز عنه من باب تعب ، والمروءة آداب نفسانية تحمل مراعاتها الأنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات يقال : مرؤ الانسان وهو مرىء — مثل قرب فهو قريب — أو ذو مروءة قال الجوهرى ، وقد تشدد فيقال مروة ورُوي أعيته السيادة ، وناشئاً مهموز اللام فى الصحاح : الناشىء الحدث الذى جاوز حد الصغر والجارية ناشىء أيضا وهو حال من مفعول أعيته ، والمطلب مصدر بمعنى الطلب ، والـكهل الرجل الذى جاوز الثلاثين ووخطه الشيب وقيل من بلغ الأربعين والمرأة كهلة ، وكائن بمعنى كم للتكثير ومذمم أى غير محمود كثيراً والتشديد للمبالغة من الذم وهو خلاف المدح ، والصعلوك — بالضم — الفقير أى كم من غنى ساعدته الدنيا ثم أصبح مذموما لبخله ودناءته وكم من فقير تجمل وأنفق مانال فحمده الناس

وهذه الأبيات لرجل من بنى قريع — بالتصغير — وهو قريع ابن عوف بن كعب ابن زيد مناة بن تميم ، كـذا فى حماسة أبى تمام وحماسة الأعلم وعينه ابن جنى فى إعراب الحماسة فقال : هو المعلوط بن بدر القريعي ، وفى حاشية صحاح الجوهرى فى مادة حظ هي للمعلوط السعدى وتروى لسويد بن حذاق العبدى ، وكـذا قال ابن برى فى أماليه على الصحاح والله أعلم

والمعلوط اسم مفعول من علطه بسهم علطا إذا أصابه وهو بالعين والطاء المهملتين ثم رأيت فى كتاب العباب فى شرح أبيات الآداب تأليف حسن بن صالح العدوى اليمني قال : البيت الشاهد للمخبل السعدي من أبيات مشهورة متداولة فى أفواه الناس أولها :

ألا يا لقومى للرسـوم تبيد وعهدُكَ ممن حلّهنَّ جديد

وللدار بعد الحي يبكيك رسمها   وما الدار إلا دمنة وصعيد
لقد زاد نفسي بابن ورد كرامة   عليّ رجال في الرجال عبيد
يسوقون أموالا وما سعدوا بها   وهم عند مثناة القيام قعود
ولا سوّد المال اللئيم ولادنا   كذاك ، ولكن الكريم يسود
وكائن رأينـا من غنى مذمم   وصعلوك قوم مات وهو حميد
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى   ولكن أحاظٍ قسمت وجدود
وما يكسب المال الفتى بجلادة   لديه ولكن خائب وسعيد
إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً   «البيت»

وترجمة المخبل السعدى تأتى فى الشاهد الرابع والثلاثين بعد الأربعمائة

وأنشد بعده

فما بالنا أمسِ أُسْدَ العرين   وما بالنا اليوم شاءَ النجف

وتقدم شرحه قريبا.

وأنشد بعده

وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد المائة

(١٩٨) بَدَتْ قمراً ومالت خوط بان   وفاحتْ عنبراً ورنَتْ غزالا

على أن «قمراً» وما بعده من المنصوبات أحوالا (١) مؤولة بالمشتق أى بدت مضيئة كالقمر ومالت متثنية كخوط بان وفاحت طيبة النشر كالعنبر ورنت مليحة المنظر كالغزال

قال الواحدى: هذه أسماء وضعت موضع الحال والمعنى بدت مشبهة قمرا فى حسنها ومالت مشبهة غصن بان فى تثنيها ، وفاحت مشبهة عنبراً فى طيب رائحتها ، ورنت مشبهة غزالا فى سواد مقلتها. وهذا يسمى التدبيج فى الشعر ومثله:

لاحتْ هلالا وفاحتْ عنبراً وشَدَتْ   مِسكاً وماسَتْ قضيباً وانْثَنَتْ غصناً

ومثله:

سَفَرْنَ بدوراً وانْتَقَبْنَ أهِلَّةً   ومسن غصوناً والْتَفَتْنَ جآذراً اهـ

فقوله «بدت» يقال بدا يبدو بدواً ، أى ظهر ظهوراً بيناً، والخوط بضم الخاء المعجمة الغصن الناعم لسنة وقيل كل قضيب، وفاحت من فاح المسك فوحا وفيحاً انتشرت

(١) كذا بالأصل . وتأمل

ر إنحته خاص فى الطيب، و رنا من الرنو – كدنو – وهو إدامة النظر بسكون الطرف كالرنا ولهو مع شغل قلب و بصر وغلبة هوى والرنا ما يرنى إليه لحسنه كذا فى القاموس وضمير ريدت، راجع إلى حبيبته فى قوله قبل هذا :

بجسمى من برته فلو أصارت   وشاحى ثقب لؤلؤة لجـــلا

أى أفدى بجسمي الحبيبة التى نحلته و برته حتى لو جعلت قلادتى ثقب درة لجال جسمي فيه لدقته :

وهذا البيت من قصيدة لأبى الطيب المتنبى مدحها بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدى

وترجمة المتنبي تقدمت فى البيت الحادى والأربعين بعد المائة

و أنشد بعده

وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد المائة

(١٩٩) كدأبك من أم الحويرث قبلها   وجارتها أم الرّباب بمأسل

على أن الدأب يعبر به عن كل حدث لازم كالحسن والجمال أو غير لازم كالضرب والقتل ولهذا يتعلق به الجار و المجرور و الظرف و الحال فقوله « كدأبك بمعنى كتمتعك فكنى و لم يصرح

(أقول) :جعل الدأب هنا كناية عن التمتع لا وجه له كما يعلم قريباً

و هذا البيت من معلقة امرىء القيس المشهورة و مطلعها:

قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها   لما نسجتها من جنوب و شمأل

وقوفا بها صحبى علىّ مطيهم   يقولون لا تهلك أسى و تحمل

وإن شـــفائى عـــبرة مُهَراقة   فهل عند رسم دارس من معوّل

كدأبك من أم الحويرث قبلها   وجارتها أم الرباب بمأسل

والبيتان الأولان يأتى شرحهما إن شاء الله عز و جل فى أواخر الكتاب فى الفاء العاطفة

« وقوفا بها صحبي الخ » متعلق بقوله « قفا نبك » فكأنه قال قفا وقوف صحبي بها على مطيهم أو قفا حال وقوف صحبي، وقوله بها متأخر فى المعنى يريد قفا نبك فى حال وقف أصحابى مطيهم

على ، وقوله « وإن شفائى عبرة الخ » العبرة الدمعة ، والمهراقة المصبوبة وأصلها مراقة من الأراقة والهاء زائدة ، ومعول موضع عويل أى بكاء أو بمعنى موضع ينال فيه حاجة يقال عولت على فلان أى اعتمدت عليه

قال الباقلانى فى معجز القرآن عند الكلام على معايب هذه القصيدة : هذا البيت مختل من جهة أنه جعل الدمع فى اعتقاده شافيا كافيا فما حاجته بعد ذلك إلى طلب حيلة أخرى عند الرسوم، ولو أراد أن يحسن الكلام لوجب أن يدل على أن الدمع لايشفيه لشدة مابه من الحزن ثم يسائل هل عند الربع من حيلة أخرى وفى هذا مع قوله سابقا« لم يعف رسمها» تناقض الكلامان وليس فى هذا اقتصار لأن معنى عفا ودرس واحد فأذا قال لم يعف رسمها ثم قال قد عفا فهو تناقض لامحالة، واعتذار أبى عبيدة أقرب لوصح ولكن لم يرد هذا القول مورد الاستدراك على ماقاله زهير فهو إلى الخلل أقرب انتهى

وقوله « كدأبك من أم الخ » قال أبو جعفر النحاس فى شرحه وتبعه الخطيب التبريزى : الكاف تتعلق بقوله قفانبك كأنه قال قفانبك كدأبك فى البكاء فهي فى موضع مصدر ، والمعنى بكاء مثل عادتك، ويجوز أن تتعلق بقوله« وإن شفائى عبرة » والتقدير كعادتك فى أن تشفى من أم الحويرث ، والباء فى قوله « بمأسل» متعلقة بدأبك كأنه قال: كعادتك بمأسل وهو جبل ، وزاد الخطيب : وأم الحويرث هى هرة أم الحرث بن حصين بن ضمضم الكلبى ، وأم الرباب من كلب أيضاً ، يقول : لقيت من وقوفك على هذه الديار وتذكرك أهلها كما لقيت من أم الحويرث وجارتها ، وقيل المعنى كأنك أصابك من التعب والنصب من هذه المرأة كما أصابك من هاتين المرأتين انتهي ،وقال أبو عبيد البكرى فى شرح أمالى القالى : أم الحويرث التى كان يشبب بها فى أشعاره هى أخت الحرث بن ضمضم من كلب وهى امرأة حجر أبى امرىء القيس فلذلك كان أبوه طرده ونفاه وهم بقتله انتهى ، وهذا هو الصواب ، وقال الزوزنى : يقول عادتك فى حب هذه كعادتك فى تينك، أى قلة حظك من وصال هذه كمعاناتك الوجد بهما ، وقوله «قبلها» أى قبل هذه التى شغفت بها الآن ، والدأب العادة وأصلهما متابعة العمل والجد فى السعى انتهى كلامه ، فجعل الزوزنى قوله« كدأبك» خبر مبتدأ محذوف

وهذا أقرب من الأولين ، فعلم مما ذكرنا أن الدأب كناية: إما عن البكاء، وإما عن المعاناة والمشقة ، والتمتع لامساس له ههنا فتأمل

وترجمة امرىء القيس تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد الموفى المائتين)

(٢٠٠) ولقدْ نزَلْتِ فلا تظنى غيرَه　　منى بمنزلة المُحَبِّ المُكْرَمِ

على أن معناه نزلت قريبة منى قرب المحب المكرم ، وإنما عدى بمن لكون معنى بمنزلة فلان قريبا قربه أو بعيداً بعده

وهذا البيت من معلقة عنترة العبسى ، قال أبوجعفر النحاس فى شرحه وتبعه الخطيب التبريزى : الباء فى قوله « بمنزلة » متعلقة بمصدر محذوف لأنه لما قال نزلت دل على النزول وقوله بمنزلة فى موضع نصب أى ولقد نزلت منى منزلة مثل منزلة المحب ، وقال الزوزنى : يقول ولقد نزلت من قلبي منزلة من يحب ويكرم ، والتاء فى نزلت مكسورة لأنه خطاب مع محبوبته عبلة المذكورة فى بيت قبل هذا ، وقوله « فلا تظنى غيره » مفعول ظن الثانى محذوف اختصارا لااقتصارا أى فلاتظنى غيره واقعا أوحقا أى غير نزولك منى منزلة المحب ، وبه استشهد شراح الألفية وغيرهم بهذا البيت ، والمحب اسم مفعول جاء على أحب وأحببت وهو على الأصل، والكثير فى كلام العرب محبوب ، قال الكسائى : محبوب من حببت وكأنها لغة قد ماتت أى تركت ، وقال الأصمعى : تحب بفتح التاء ولا أعرفه فى غير التاء ولاأعرف حببت وحكى أبوزيد أنه يقال حببت أحب وأنت تحب ونحن نحب ، والمكرم اسم مفعول أيضا ، والواو فى « ولقد »عاطفة ، وجملة« لقد نزلت الخ» جواب قسم محذوف والله لقد نزلت كقوله تعالى: « ولقد صدقكم الله وعده » وقوله « فلاتظنى غيره » جملة معترضة بين المجرور ومتعلقه فأن منى متعلقة بنزلت ، ولقد خبط هنا خبطا فاحشا شارح شواهد الألفية فى قوله: الواو للقسم وجواب القسم قوله فلاتظنى غيره ، ثم قال : قوله فلاتظنى نهى معترض بين الجار والمجرور ومتعلقه والباء فى بمنزلة بمعنى

فى أى نزلت منى فى منزلة الشىء المحبوب المكرم ؛ هذا كلامه ، ولا يقع فى مثله أصاغر الطلبة

وترجمة عنترة تقدمت فى الشاهد الثانى عشر من أوائل الكتاب

(وأنشد بعده)

(وهو الشا الحادى بعد المائتين)

(٢٠١) خرجت مع ٱلبازى على سوادُ

هذا عجز وصدره :

إذا أنكرتنى بلدة أو نَكِرْتُها

على أن الجملة الاسمية الحالية إذا لم يكن مبتدؤها ضمير صاحب الحال فأن كان الضمير فيما صدر به الجملة فلا يحكم بضعفه مجرداً عن الواو ، كجملة «على سواد» فأنها حال من التاء فى خرجت ، فى المصباح أنكرته إنكاراً خلاف عرفته ونكرته — مثل تعبت — كذلك غير أنه لا يتصرف ، أى إذا لم يعرف قدرى أهل بلدة أو لم أعرفهم خرجت منهم مبتكراً مصاحبا للبازى الذى هو أبكر الطيور فى حال اشتمالى على شىء من سواد الليل ، والبازى على وزن القاضى فى الأصل صفة من بزا يبز و إذا غلب ، ويعرب إعراب المنقوص ، والجمع بزاة

وهذا البيت من أبيات لبشار بن برد مدح بها خالداً البرمكى ، وكان قد وفد عليه وهو بفارس فأنشده :

أخالد لم أَهبِطْ إليك بذمة ... سوى أننى عافٍ وأنت جواد
أخالد إنّ الأجرَ والحمدَ حاجتى ... فأيهما تأتى فأنت عماد
فأن تعطنى أفرغْ عليك مدائحى ... وإن تأبَ لم تضرب علىّ سداد
ركابى على حرف وقلبى مشيع ... ومالى بأرض الباخلين بلاد
إذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها ... خرجت مع البازى علىّ سواد

يقال : هبط من موضع إلى موضع إذا انتقل إليه ، والهبوط الحدور كرسول فيهما ، والذمة

هنا العهد والحرمة،والعافى من عفوتة إذا أتيته طالباً لمعروفه و جمعه العفاة وهم طلاب المعروف،وهذا مثل قول دعبل لما وفد على عبدالله بن طاهر:

جئتك مستشفعا بلا سبب إليك إلا لحرمة الأدب
فاقض ذمامى فأننى رجل غير مُلحٍّ عليك في الطلب

فبعث إليه عبدالله بعشرة آلاف درهم و بهذين البيتين:

أعجلتنا فأتاك عاجلُ برِّنا ولو انتظرت كثيره لم نقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تسل ونكون نحن كأننا لم نفعل

وقد تداول هذين البيتين كثير من الكرماء فيظن الناس أنهما لمن تداولهما

والحرف الناقة القوية ،والمشيع —على وزن اسم المفعول— الشجاع كأن له شيعة أى أتباعا وأنصارا . . . روى الأصفهانى فى الأغانى أن بشاراً لما أنشد هذه الأبيات دعا خالد بأربعة أكياس فوضع واحدا عن يمينه وآخر عن شماله وآخر بين يديه وآخر من ورائه وقال : ياأبا معاذ هل استقل العماد ؟ فلمس الأكياس ثم قال : استقل والله أيها الأمير

وبشار بن برد أصله من طخارستان من سبى المهلب بن أبى صفرة ، وهى ناحية كبيرة مشتملة على بلدان على نهر جيحون من وراء النهر ، وكنيته أبو معاذ ولقبه المرعث —وهو الذى فى أذنه رعاث وهو جمع رعثة وهى القرطة— لقب به لأنها كانت فى صغره معلقة فى أذنه ،وهو عقيلى بالولاء نسبة إلى عقيل بن كعب —بالتصغير— وهى قبيلة ، وقيل أنه ولد على الرق أيضا وأعتقته أمرأة عقيلية ،وولد أكمه جاحظ الحدقتين قد تغشاهما لحم أحمر ،وكان ضخما عظيم الخلق والوجه مجدرا ؛ وهو فى أول مرتبة المحدثين من الشعراء المجيدين ،وقد نشأ بالبصرة ثم قدم بغداد ومدح المهدى بن المنصور العباسى ورمى عنده بالزندقة ،روى أنه كان يفضل النار على الأرض و يصوب رأى إبليس فى امتناعه من السجود لآدم عليه السلام ونسب اليه قوله :

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

فأمر المهدى بضربه فضرب سبعين سوطاً فمات من ذلك و ذلك فى سنة ثمان وستين ومائة و قد نيف على تسعين سنة ......ومن شعره:

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشقُ قبل العين أحيانا
قالوا: بمن لا ترى تهذى؟ فقلت لهم: الأذن كالعين توفى القلب ما كانا

ومن هجائه للمهدى قوله:

خليفـــةٌ يزنى بعماته يلعب بالدبوق والصولجان
أبدلنا الله به غـــيره ودس موسى فى حرا الخيزران

و بينه وبين حماد عجرد أهاج فاحشة، ومن هجوه فيه:

نعم الفتى لو كان يعبدُ ربَّهُ ويقيم وقت صـلاته حَمَّاد
وابيضُ من شرب المدامة وجههُ وبياضه يوم الحساب سواد

وقتل حماد عجرد على الزندقة أيضاً فى سنة ست وستين ومائة، ودفن بشار على حماد عجرد فى قبر واحد فكتب أبو هشام الباهلى على قبرهما:

قد تبع الأعمى قفا عجردٍ فأصبحا جارين فى دار
صارا جميعـــا فى يدى مالك فى النار والـــكافر فى النار
قالت جميع الأرض: لا مرحبا بقرب حمـــاد وبشـــار

وترجمته فى الأغانى طويلة

وأما خالد فهو خالد بن برمك البرمكى، وكان برمك من مجوس بلخ، وكان يخدم النور بها، وهو معبد للمجوس بمدينة بلخ توقد فيه النيران، وكان برمك عظيم المقدار وساد ابنه خالد ووزر لأبى العباس عبد الله السفاح العباسى وهو أول من وزر من آل برمك ولم يزل وزيرا إلى أن توفى السفاح ثم وزر لأخيه أبى جعفر المنصور إلى أن توفى سنه ثلاث وستين ومائة، وكانت ولادته فى سنة تسعين من الهجرة، ويحيى البرمكى هو أبو جعفر والفضل، قال المسعودى: لم يبلغ مبلغ خالد بن برمك أحد من ولده فى جوده ورأيه ورياسته وعلمه وجميع خلاله: لا يحيى فى رأيه ووفور عقله، ولا الفضل ابن يحيى فى جوده ونزاهته، ولا جعفر بن يحيى فى كتابته وفصاحة لسانه، ولا محمد بن يحيى فى سروره وبعد همته، ولا موسى ابن يحيى فى شجاعته ورياسته

وأنشد بعده

وهو الشاهد الثانى بعد المائتين

(٢٠٢) نصفَ النهارِ الماءُ غامرُهُ

هذا صدر وعجزه:

ورفيقه بالغَيْبِ ما يَدْرِى

على أن ضمير صاحب الحال إذا كان فى آخر الجملة الحالية فلا شك فى ضعفه وقوته فأن الماء مبتدأ وغامره خبره والجملة حال من ضمير نصف العائد إلى الغائص والضمير الذى ربط جملة الحال بصاحبها فى آخرها، وهذا على رواية نصب النهار على أنه مفعول به قال صاحب المفتاح: نصفت الشىء نصفاً ـ من باب قتل ـ بلغت نصفه ، وأما على رواية رفعه فالجملة حال منه ولا رابط فتقدر الواو، وعليها كلام صاحب المغنى قال: وقد تخلو الجملة الحالية من الواو والضمير فيقدر الضمير فى نحو مررت بالبر قفيز بدرهم أو الواو كقوله يصف غائصاً لطلب اللؤلؤ انتصف النها وهو غائص وصاحبه لا يدرى ما حاله

نصفُ النهارُ المـــاءُ غامرُه «البيت» اه

فنصف على هذا أيضاً ـ من باب قتل ـ قال صاحب المفتاح: إن بلغ الشىء نصف نفسه ففيه لغات: نصف ينصف من باب قتل يقتل، وأنصف بالألف، وتنصف، وانتصف النهار بلغت الشمس وسط السماء وهو وقت الزوال، وقد أثبت هاتين الروايتين العسكرى فى كتاب التصحيف والسيد الجرجانى فى شرح المفتاح: أما العسكرى فهذا كلامه: قال الرياشى: الذى يروى نصف النهار بالرفع يريد معنى الواو أى انتصف النهار والماء غامره وهو تحت الماء يعنى الغواص وشريكه بالغيب اى بحيث يغيب عنه ولا يدرى ما حاله وإنما يغوص بحبل معه طرفه وطرفه الآخر مع صاحبه، قال الرياشى: الحال إذا لم يرجع إلى الأول منها شىء فهو قبيح فى العربية ، قال: وإذا صيرته ظرفا فهو جيد فى العربية ، وقال المازنى: الجيد نصف النهار على الظرف انتهى ، وكون النصب على الظرف تجوز والصواب على المفعولية ، وأما السيد فقد قال: النهار منصوب من نصفت الشىء بلغت نصفه والمراد طول مكثه تحت المـاء ، وفى الصحاح برفع النهار من نصف الشىء بمعنى انتصف

فالجملة الحالية حينئذ خالية عن الضمير أيضا فاحتاج إلى أن قدر الواو محذوفة أى، والماء غامره أى ساتره انتهى

فعلم من هذا أن من قال بوجود الضمير فى هذه الجملة جعل صاحب الحال ضمير الغواص المستتر فى نصف الناصب للنهار، وأن من قال بعدم الضمير جعل الجملة حالا من النهار المرفوع بنصف وقدر الواو للربط وأما الضمير الموجود فغير رابط لأنه ليس عائدا على صاحب الحال وهو النهار بل هو عائد على الغواص، والعجب من كلام ابن الشجرى فى أماليه، فأنه جعل الجملة حالا من النهار المرفوع وقال: الرابط الضمير وهذا لا يصح فأن الضمير ليس للنهار، وهذه عبارته: ولو حذفت الضمير من جملة الحال المبتدأ به واكتفيت بالواو جاز نحو جاء زيد وعمر وحاضر ولو حذفت الواو اكتفاء بالضمير فقلت خرج أخوك يده على وجهه جاز كقوله:

نِصْفَ النهار الْماءُ غامِرُهُ اهـ

وأعجب منه قول ابن السيد فى شرح شواهد أدب الكاتب فى جعله الجملة حالا وصاحب الحال غير مذكور فى هذا البيت بل هو فى بيت قبل هذا بأبيات، وهذا كلامه: جملة الماء غامره حال وكذلك الجملة التي بعدها، وكان ينبغى أن يقول «والماء غامره» فيأتى بواو الحال ولكنه اكتفى بالضمير منها ولو لم يكن فى الجملتين عائد الى صاحب الحال لم يجز حذف الواو، وأما صاحب هاتين الحالين فليس بمذكور فى البيت ولكنه مذكور فى البيت الذى قبله وهو:

كَجُمَانَةِ الْبَحْرِىْ جَاءَ بِهَا غَوَّاصُهَا مِنْ لجَّةِ الْبَحْرِ

انتهى

وأغرب من هذين القولين صنيع ابن جنى فى سر الصناعة، فأنه حكم على هذه الجملة بأنه لا رابط معها ثم نقض كلامه بجعل الضمير رابطا للحال بصاحبها المحذوف، وهذا ماسطره: إذا وقعت الجملة الاسمية بعد واو الحال كنت فى تضمينها ضمير صاحب الحال وترك تضمينها إياه مخيرا، فالأول نحو جاء زيد وتحته فرس، والثانى جاء زيد وعمرو يقرأ، فأما إذا لم يكن واو فلابد من الضمير نحو أقبل محمد على رأسه قلنسوة،

وإذا فقدت جملة الحال هاتين الحالتين انقطعت مما قبلها ولم يكن هناك ما يربط الآخر بالأول ، وعلى هذا قول الشاعر :

نِصْفُ النَّهَارِ المَاءُ غَامِرُهُ «البيت» اه

يصف غائصا غاص فى الماء من أول النهار وهذه حاله . فالهاء من غامره ربطت الجملة بما قبلها حتى جرت حالا على ما فيها ، فكأنك قلت انتصف النهار على الغائص غامراً له الماء : كما أنك إذا قلت جاء زيد ووجهه حسن فكأنك قلت جاء زيد حسنا وجهه . هذا كلامه فتأمله

وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمون مدح بها قيس بن معد يكرب الكندى ، وقد أجاد فى التغزل بمحبوبته فى أولها إلى أن شبهها بالدرة ثم وصف تلك الدرة كيف استخرجت من البحر فقال :

كجُمَانَةِ الْبحرىِّ جاءَ بها غوَّاصُها من لجَّةِ الْبَحْرِ
صلب الفؤاد رئيسَ أَرْبعةٍ متخالفى الألوان و النجر
فتنازعوا حتى إذا اجتمعوا أَلْقَوْا إليه مقالدَ الأمر
وعلت بهم سجحاء خادمة تهوى بهم فى لجة البحر
حتى إذا ماساء ظنُّهمُ ومضى بهم شهرٌ إلى شهرْ
ألقى مراسيَهُ بتهلكة ثبتت مراسيها فما تجرى
فانصبَّ أسقف رأسه لبد نزعت رباعيتاه للصبر
أشفى يمج الزيت ملتمس ظمآن ملتهب من الفقر
قتلت أباه فقال : أتبعه أو أستفيد رغيبةَ الدهر
نصف النهار الماء غامره وشريكه بالغيب مايدرى
فأصاب مُنْيَتَهُ فجاء بها صدفية كمضيئة الجمر
يعطى بها ثمنا و يمنعها ويقول صاحبه : ألا تشرى
وترى الصوارى يسجدون لها ويضمها بيديه للنحر
فتلك شبه المالكيَّة إذْ طلعت ببهجتها من الخدْرِ

الجمانة ــ بضم الجيم ــ حبة تعمل من فضة كالدرة وجمعها جمان أى هي كجمانة البحري ، وصلب الفؤاد ــ بالضم ــ أي قوى الفؤاد وشديده هو صفة لغواص ، ورئيس أربعة ــ بالنصب ــ حال منه . وقوله « متخالفى الألوان» صفة أربعة والاضافة لفظية ، والنجر ــ بفتح النون وسكون الجيم ــ الأصل أى أن هؤلاء الأربعة أصلهم مختلف وكذلك ألوانهم مختلفة . والسجحاء ــ بتقديم الجيم على الحاء المهملة ــ الظهر وأراد بها السفينة ، والمراسى جمع مرساة ــ بالكسر ــ وهى آلة ترسى بها السفينة . وقوله « فانصب أسقف الخ » أى رمى بنفسه فى البحر وغاص لأخراج الدر . والأسقف ــ بفتح الالف والقاف ــ من السقف ــ بفتحتين ــ وهو طول فى انحناء . ولبد ــ بكسر الباء ــ أى متلبد . وأشفى فعل ماض يقال أشفى على الشئ أى أشرف عليه . و يمج يقذف من فيه كما هو عادة الغائص . وفاعلهما ضمير أسقف . وملتمس وما بعده من الوصفين نعوت لاسقف . وقوله « قتلت أباه الخ » أى أن أباه هلك فى حب هذه الدرة أو فى تحصيلها فقال هذا الغائص : أتبع أبى فى الهلاك أو أستفيد مالا كثيرا . والرغيبة العطاء الكثير . وقوله « نصف النهار الى آخره » روى « ورفيقه » بدل « وشريكه » ومنيته هي ما يتمناه . وصدفية حال من الضمير المجرور بالباء ، ويعطى ــ بالبناء للمفعول ــ ويمنعها أى و يمنع الدرة من البيع . وقوله « ألا تشرى » أى ألا تبيعها ، والصوارى جمع صار وهو الملاح والبحرى وروى « الشوارى » بدله وهو جمع شار بمعنى المشترى . وسجودهم لها لعزتها ونفاستها والتجر مصدر تجر تجرا وتجارة من باب نصر . ومن أبيات المديح :

أنت الرئيس إذا همُ نزلوا ... وتواجهوا كالأُسْـــدِ والنمر
أو فارس اليحموم يتبعهم ... كالطلق يتبع ليلة البهر
ولأنت أشجع من أسامة اذ ... يقع الصراخ ولج في الذعر(١)
ولأنت أجود بالعطاء من الريان لما ضن فى القطر
ولأنت أحيى من مخبأة ... عذراء تقطن جانب الكسر

---

(١) فى شعر زهير بن أبى سلمى :
ولنعم حشو الدرع أنت إذا ... دعيت نزال ولج فى الذعر

ولأنت أحكم حين تنطق من لقمانَ لمـــا عىّ بالأمر
لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليــــلة البدر (١)

فارس اليحموم هو ملك العرب النعمان بن المنذر . واليحموم اسم فرسه . والطلق — بالفتح — الليلة التى لا حر فيها ولا برد . وليلة البهر ليلة البدر حين يبهر النجوم أى يغلبها بنوره

وقيس بن معديكرب الكندى مات فى الجاهلية يقال له الأشج لأنه شج فى بعض أيامهم . وله عدة أولاد أكبرهم حجية وبه كني زمانا، ثم كنى بولده الأشعث واسمه معديكرب وسمي الأشعث لأنه كان أبداً أشعث الرأس . وقد أسلم وولد له النعمان بن الأشعث ، وقد بشر به وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والله لجفنة من ثريد أطعمها قومى أحب إلى منه، وهلك صغيرا ، وللأشعث عدة أولاد أيضا منهم قيس بن الأشعث ، وأخذ قطيفة الحسين رضى الله عنه يوم قتل فكان يقال له قيس قطيفة ، ولقيس بن معديكرب بنت اسمها قتيلة تزوجها رسول الله صلى الله وسلم فتوفى قبل أن تصل إليه ، وابنه سيف بن قيس وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فأمره أن يؤذن لهم فأذن حتى مات ، كذا فى جمهرة الأنساب لابن الكلبى

وأعشى ميمون صاحب الشعر تقدمت ترجمته فى الشاهد الثالث والعشرين وقال(٢) نقلت شعره هذا من ديوانه ، وقد رواها له أبو عبيدة وابن دريد وغيرهما . وأما الأصمعى فقد أثبتها للمسيب بن علس الجماعى ، وهو خال أعشى ميمون المذكور ، وهو أحد الشعراء الثلاثة المقلين الذين فضلوا فى الجاهلية ، قال أحمد بن أبى طاهر : كان الأعشى راوية المسيب بن علس والمسيب خاله وكان يطرى شعره ويأخذ منه كذا فى الموشح للمرزبانى

والمسيب اسم فاعل لقب به لأنه كان يرعي إبل أبيه فسيبها فقال له أبوه : أحق

(١) هذا البيت رواه غير الأصمعى ختام قصيدة زهير بن أبى سلمى التى مطلعها فيما زعم غير المفضل الضبي :

لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر

(٢) كذا بالأصل والذى يظهر لى أن العبارة : « وقد نقلت شعره هذا من ديوانه »

أسمائك المسيب فغلب عليه . وقال ابن دريد فى كتاب الاشتقاق : إن اسمه زهير ، وإنه لقب بالمسيب لقوله

فإن سركم أن لاتؤوب لقاحكم غزاراً فقـــولوا للمسيِّب يلحق

وهو جاهلى ولم يدرك الأسلام ، ونسبه فى الجمهرة كذا :المسيب بن علس بن مالك ابن عمرو بن قمامة بن زيد بن ثعلبة بن عدى بن مالك بن جشم بن بلال بن جماعة بن جلى بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار بن مضر ، وعلس — بفتح العين واللام — منقول من اسم القراد . وقمامة بضم القاف ، وجماعة بضم الجيم . وروى ابن السكيت خماعة بالخاء المعجمة المضمومة . وجلى بضم الجيم وفتح اللام وتشديد المثناة التحتية وأحمس أفعل من الحماسة . وضبيعة بالتصغير

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد الثالث بعد المائتين)

(٢٠٣) فألحقه بالهاديات،ودونه جواحرُها ، فى صرة لم تزيل

على أن قوله « ودونه جواحرها » جملة حالية . لا الظرف وحده حال والمرفوع بعده فاعله . خلافا لمن زعمه فى نحو جاءنى عليه جبة وشى . لأنه لوكان من الحال المفردة لامتنعت الواو فأنها لا تكون مع الحال المفردة فلما ذكرت فى بعض المواضع عرف أن الجملة حال لا الظرف وحده ، وصاحب الحال الهاء فى قوله فألحقه وهى ضمير المفعول . وفاعل ألحقه ضمير مستتر راجع إلى الغلام فى بيت قبله ، والهاء ضمير الكميت . أى فألحق الغلام الكميت بالهاديات ، ويجوز العكس فيكون فاعل ألحق ضمير الكميت والهاء ضمير الغلام أى فألحق الكميت الغلام بالهاديات . وأراد بالهاديات أوائل الوحش ومتقدماتها . يقال : أقبلت هوادى الخيل إذا تقدمت أوائلها جمع هادية والهادى أول كل شىء ، وضمير دونه يعود على ماعاد عليه الهاء . وجواحرها أى متأخراتها والهاء ضمير الهاديات وهو جمع جاحرة — بتقديم الجيم على الحاء المهملة — يقال جحر فلان أى تأخر . وجواحرها مبتدأ ودونه الخبر تقدم عليه ، والجملة حال كما تقدم ، أى ودون مكانه ، أو ودون غايته التى وصل إليها ، أو دون بمعنى عند ، وقيل دون هنا بمعنى أقرب ، ورده الزوزنى بأنه إنما يكون دون بمعنى أقرب منه إذا أتى باسمين نحو هذا دون

ذاك ، والصرة — بفتح الصاد وتشديد الراء المهملتين — يجوز أن يكون هنا إما بمعنى الضجة والصيحة ، وإما بمعنى الجماعة ، وإما بمعنى الشدة من كرب أو غيره ، وقيل الصرة هنا الغبار ، فقوله فى صرة فى بعض الوجوه حال من الهاديات وفى بعضها حال من جواحرها كذا قال الزوزنى، ويجوز أن يتعلق الجار فى جواحرها، وجملة «لم تزيل» صفة صرة وأصله تتزيل — بتاءين — أى تتفرق

وصف بهذا البيت شدة عدو فرسه يقول : إن هذا الفرس لما لحق أوائل الوحش بقيت أواخرها لم تتفرق فهى خالصة له

وهذا البيت من جملة أبيات فى وصف الفرس من معلقة امرىء القيس المشهورة والأبيات هذه :

وقدْ أَغْتدِي والطَّيْرُ فى وُكُنَاتِها ... بمنْجردٍ قَيْدِ الْأَوابِد هيْكَل
مِكَرٍّ مِفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً ... كَجلْمود صخرٍ حطَّه السَّيلُ من علِ
كميْتٍ يزِلُّ اللبْدُ عن حالِ متنه ... كما زلَّتِ الصفواء بالمتنزل
على الذبْل جيَّاشٍ كأن اهتزامه ... إذا جاش فيه حَمْيُهُ غَلْىُ مِرْجل
يزِلُّ الغُلامُ الخِفُّ عن صهَواتِه ... ويلوى بأثواب الْعنيف المثقَّلِ
دَريرٍ كخُذرُوفِ الْوليد أَمَرَّهُ ... تتابُعُ كفَّيْه بخيْطٍ موَصَّل
له أَيْطَلا ظَبْىٍ وساقا نعامةٍ ... وإرخاء سِرحانٍ وتقريبُ تتْفُل
مِسَحٍّ إذا ما السابحات على الْونا ... أثرْنَ غُباراً بالكديد الْمُركَّل
ضَليعٍ إذا اسْتدْبرْتهُ سدَّ فرْجهُ ... بضافٍ فُوَيْقَ الأرْضِ ليس بأعزل
كأن على الكتفين منه إذا انتحى ... مَداكَ عروسٍ أوْ صَلاية حنظل
كأن دماء الهاديات بنحرِهِ ... عُصارةُ حِنَّاءٍ بشيْبٍ مُرَجَّل
فعن لنا سربٌ كأن نِعاجهُ ... عَذارى دَوارٍ في ملاءٍ مُذيَّل
فأدبرن كالجزع المفصل بينه ... بجيد مُعِمٍّ فى العشيرة مُخْوِلِ

فألحقه بالهاديات ، ودونه جواحرها ، في صرة لم تزيل
فعادَى عداءً بين ثورٍ ونعجةٍ دِراكاً ولم يَنْضَحْ بماءٍ فيغْسلِ
فظلَّ طُهاة اللَّحم ما بين منضج صفيفَ شِواءٍ أو قديرٍ مُعجَّل
فرُحنا يكاد الطرْفُ يقصُرُ دونه متى ما ترَقَّ العينُ فيه تسهَّلِ
فباتَ عليه سرْجُهُ ولجامهُ وباتَ بعيْنى قائماً غيرَ مُرْسَلِ

قوله « وقد أغتدى الخ » تقدم شرحه قريباً . وقوله « مكر مفر الخ » بكسر أولهما وفتح ثانيهما ، وهما بالجر صفتان لقوله «منجرد» وكذلك مقبل ومدبر صفتان له لكنهما اسما فاعل بضم أولهما ، قال صاحب القاموس : كر عليه عطف وعنه رجع فهو كرار ومكر بكسر الميم ، وقال الزوزنى : مفعل يتضمن مبالغة كقولهم : فلان مسعر حرب وإنما جعلوه متضمناً مبالغة لأن مفعلا يكون من أسماء الأدوات كأنه أداة للكر والفر وآلة لتسعر الحرب . والجلمود بالضم الصخرة الملساء ، وعل بمعنى فوق ، واستشهد به سيبويه وصاحب مغنى اللبيب على أنه بمعناه وأن الجر بمن لأنه قدره نكرة غير مضاف إلى شىء فى النية ، قال ابن رشيق فى باب الاتساع من العمدة : إن الشاعر يقول بيتاً يتسع فيه التأويل فيأتى كل واحد بمعنى وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى ، من ذلك قول امرىء القيس :

مِكَرٍّ مفرٍ مُقبلٍ مُدْبرٍ معاً «البيت»

فأنما أراد أنه يصلح للكر وللفر ويحسن مقبلا ومدبراً ، ثم قال معاً أى جميع ذلك فيه ، وشبهه فى سرعته وشدة جريه بجلمود حطه السيل من أعلى الجبل ، وإذا انحط من عل كان شديد السرعة فكيف إذا أعانته قوة السيل من ورائه ، وذهب قوم منهم عبد الكريم إلى أن معنى قوله : « كجلمود صخر الخ » إنما هو الصلابة لأن الصخر عندهم كل ما كان أظهر للشمس والريح كان أصلب ، وقال بعض من فسره من المحدثين : إنما أراد الأفراط فزعم أنه يرى مقبلا مدبراً فى حال واحدة عند الكر والفر لشدة سرعته، واعترض على نفسه فاحتج بما يوجد عيانا فمثله بالجلمود المنحدر من قنة الجبل فأنك ترى ظهره فى النصبة على الحال التى يرى فيها بطنه وهو مقبل إليك

ولعل هذا ما مرقط ببال امرىء القيس ولا خطر فى وهمه ، انتهى ، وحاصل هذا وصفه بلين الرأس وسرعة الانحراف فى صدر البيت و شدة العدو فى عجزه ، وقيل إنه جمع وصفى الفرس بحسن الخلق وشدة العدو لكونه قال فى صدر البيت إنه حسن الصورة كامل النصبة فى حالتى إقباله و إدباره و كره وفره ، ثم شبهه فى عجز البيت بجلمود صخر حطه السيل من العلو لشدة العدو ، فهو فى الحالة التى ترى فيها لببه ترى فيها كفله وبالعكس وقوله « كميت يزل اللبد الخ » الكميت الذى عرفه وذنبه أسودان وهو مجرور صفة منجرد ، و الحال مقعد الفارس من ظهر الفرس ، والمتن ما اتصل بالظهر من العجز والصفواء الصخرة الملساء التى لا يثبت فيها شىء ، و المتنزل اسم فاعل الطائر الذى يتنزل على الصخرة ، وقيل هو السيل لأنه يتنزل الأشياء ، و قيل هو المطر والباء للتعدية يقول: هذا الكميت يزل لبده عن حال متنه لأغلاس ظهره وا كتناز لحمه وهما يحمدان من الفرس كما يزل الحجر الأملس النازل عليه فلا يثبت عليه شىء ، وقوله « على الذبل جياش الخ » الذبل الضمور ، و الجياش الفرس الذى يجيش عدواً كما تجيش القدر فى غليانها ، واهتزامه صوته ، وحميه غليه ، والمرجل — بكسر الميم — كل قدر من حديد أو حجر أو نحاس أو خزف أو غيره ، يقول : يغلى حرارة نشاطه على ذبول خلقه وضمر بطنه وكأن تكسر صهيله فى صدره غليان قدر ، جعله ذكى القلب نشيطاً فى العدو مع ضمره ثم شبه تكسر صهيله فى صدره بغليان القدر ، وروى « على العقب جياش » و العقب — بفتح فسكون — جرى بعد جرى ، وقيل معناه إذا حركته بعقبك جاش ولم تحتج إلى السوط فإذا كان آخر عدوه على هذه الحالة فما ظنك بأوله ، و جياش بالجر صفة منجرد ، و قوله « يزل الغلام الخف الخ » يزل يزلق و الخف — بكسر المعجمة — الخفيف ، وسمع أبو عبيدة فتحها ، والصهوة موضع اللبد وهو مقعد الفارس وجمعها بما حولها ، ويلوى — بالضم — أى يذهبها و يبعدها ، والعنيف من ليس له رفق ، والمثقل الثقيل ، قال بعضهم : إذا كان راكب الفرس خفيفاً رمى به وإن كان ثقيلا رمى بثيابه ، والجيد أن المعنى بأثواب العنيف نفسه لأنه غير حاذق بركوبه ، وقيل معناه أنه إذا ركبه العنيف لم يتملك أن يصلح ثيابه وإذا ركبه الغلام الخف زل عنه لسرعته ونشاطه و إنما يصلح له من يداريه ، وقوله « درير كخذروف الوليد الخ » درير مستدر فى العدو يصف سرعة جريه ، والخذروف — بالضم — الفرارة التى يلعب بها الصبيان يسمع لها صوت

وأمره أحكم فتله، يقول: هو يدر الجرى أي يديمه ويواصله ويسرع فيه أسرع من خذروف الصبي إذا أحكم فتل خيطه وتتابعت كفاه فى فتله وإدارته بخيط انقطع ثم وصل وذلك أشد لدورانه لأغلاسه، وقوله « له أيطلا ظبي الخ » الأيطل الخاصرة وإنما شبهه بأيطل الظبي لأنه طاو، وقال «ساقا نعامة» والنعامة قصيرة الساقين صلبتهما وهى غليظة ظمياء ليست برهلة ويستحب من الفرس قصر الساق لأنه أشد لرميها وظيفها ويستحب منه مع قصر الساق طول وظيف الرجل وطول الذراع لأنه أشد لدحوه أى لرميه بها، والإرخاء جرى ليس بالشديد وفرس مرخاء وليس دابة أحسن إرخاء من الذئب، والسرحان الذئب، والتقريب أن يرفع يديه معا ويضعهما معا، والتتفل — بضم التاء الأولى وفتحها مع الفاء — ولد الثعلب وهو أحسن الدواب تقريباً، وقوله « مسح إذا ما السابحات الخ » المسح — بكسر الميم — الفرس الذى كأنه يصب الجرى صبا، والسابحات اللواتى عدوهن سباحة والسباحة فى الجرى أن تدحو بأيديها دحواً أى تبسطها، والونا — بفتح الواو والنون يمد ويقصر — الفتور، والكديد — بفتح الكاف — الموضع الغليظ، والمركل اسم مفعول الذى يركل بالأرجل، يقول: إن الخيل السريعة إذا فترت فأثارت الغبار بأرجلها من التعب جرى هذا الفرس جريا سهلا كما يسح السحاب المطر، وعلى تتعلق بأثرن وكذلك الباء، وقوله « ضليع إذا استدبرته الخ » الضليع العظيم الأضلاع المنتفخ الجبين، ضلع يضلع ضلاعة، والاستدبار النظر إلى دبر الشيء، والفرج هنا ما بين الرجلين، والضافى السابغ، والأعزل المائل الذنب ويكره من الفرس أن يكون أعزل ذنبه إلى جانب وأن يكون قصير الذنب وأن يكون طويلا يطأ عليه، ويستحب أن يكون سابغاً قصير العسيب، وقوله « كأن سراته لدى البيت الخ » (١) السراة — بالفتح — الظهر، والمداك — بالفتح — الحجر الذى يسحق به، والمدوك — بالكسر — الحجر الذى يسحق عليه من الدوق وهو السحق والصحن، والصلاية — بالفتح — الحجر الأملس الذى يسحق عليه شيء، يقول: إذا كان قائماً عند البيت غير مسرج رأيت ظهره أملس فكأنه مداك عروس فى

---

(١) هذا شرح لبيت فى المعلقة يلي البيت الذى انتهى من شرحه ولكنه لم يذكر هذا البيت مع الأبيات التى جاء بها

صفائها وانملاسها ، وإنما قيد المداك بالعروس لأنه قريب العهد بالطيب وقيد الصلاية بالحنظل لأن حب الحنظل يخرج دهنه فيبرق على الصلاية

ورواه العسكري فى التصحيف « صراية » قال : ومما يروى على وجهين « مداك عروس أو صراية حنظل » رواه الأصمعى صراية بالصاد مفتوحة غير معجمة وتحت الياء نقطتان وهى الحنظلة الخضراء وقيل هى التى اصفرت لأنها إذا اصفرت برقت وهى قبل أن تصفر مغبرة ، قال : ومثله :

إذا أعرضت قلت دُبَّاءَةٌ من الخضر مغموسة في الغدر

أي من بريقها كأنها قرعة قال الشاعر :

كأن مفارقَ الهاماتِ منهمْ صراياتٌ تهـــاداها الجَوارى

ورواه أبو عبيدة صراية بكسر الصاد وقال : هو المـاء الذى ينقع فيه الحنظل ويقال صرى يصرى صريا وصراية وهو أخضر صاف ، ورواه بعضهم صرابة حنظل بباء تحتها نقطة واحدة فمن قال هذا أراد الملوسة والصفا يقال اصراب الشيء أي املاس انتهى

وقوله « كأن دماء الهاديات بنحره الخ » الهاديات المتقدمات والأوائل ، ويريد بعصارة الحناء مابقى من الأثر ، والمرجل — بالجيم — المسرح والترجيل التسريح ، يقول : إنه يلحق أول الوحش فأذا لحق أولها علم أنه قد أحرز أخراها وإذا لحقها طعنها فتصيب دماؤها نحره . وقوله « فعن لنا سرب الخ » عن عرض وظهر ، والسرب — بالكسر — القطيع من البقر والظباء والنساء ، والنعاج جمع نعجة وهى الأنثى من بقر الوحش ومن الضأن ، ودوار — بالفتح — صنم كانوا يدورون حوله أسابيع كما يطاف بالبيت الحرام ، والملاء — بضم الميم — جمع ملاءة وهى الملحفة ، والمذيل السابغ ، وقيل معناه له هدب وقيل إن معناه له ذيل أسود وهو أشبه بالمعنى لأنه يصف بقر الوحش وهى بيض الظهور سود القوائم يقول إن هذا القطيع من البقر يلوذ ببعضه ويدور كما تدور العذارى حول دوار وهو نسك كانوا فى الجاهلية يدورون حوله

وقال العسكرى فى التصحيف : ويروى دوار — بدال مضمومة — ودوار — بدال مفتوحة وواو مخففة — وهو نسك كان لهم فى الجاهلية يدار حوله ، ودوار فى

غير هذا بفتحة الدال وتشديد الواو سجن فى اليمامة ، ودوار – مضموم الدال مثقل الواو موضع انتهى

وقال الزوزنى : والمذيل الذى أطيل ذيله وأرخى يقول : تعرض لنا قطيع من بقر الوحش كأن إناثه عذارى يطفن حول حجر منصوب يطاف حوله فى ملاء طويلة الذيل ، شبه البقر فى بياض ألوانها بالعذارى لأنهن مصونات بالخدور لايغير ألوانهن غيرة ، وشبه طول أذنابها وسبوغ شعرها بالملاء المذيل . وشبه حسن مشيها بحسن تبختر العذارى فى مشيهن

وقوله « فأدبرن كالجزع المفصل الخ » الجزع – بالفتح – الخرز وقال أبو عبيدة بالكسر ، وهو الخرز الذى فيه سواد وبياض ، وبجيد أى فى جيد وهو العنق ، ومعنى « معم مخول » له أعمام وأخوال وهم فى عشيرة كأنه قال كريم الأبوين وإذا كان كذلك كان خرزه أصفى وأحسن ، يصف أن هذه البقر من الوحش تفرقت كالجزع أى كأنها قلادة فيها خرز قد فصل بينه بالخرز وجعلت القلادة فى عنق صبى كريم الأعمام والأخوال ، شبه بقر الوحش بالخرز اليمانى لأنه يسود طرفاه وسائره أبيض وكذلك بقر الوحش يسود أكارعها وخدودها وسائرها أبيض ، شرط كونه جيد معم مخول لأن جواهر قلادة مثل هذا الصبى أعظم من جواهر قلادة غيره ، وشرط كونه مفصلا لتفرقهن عند رؤيته ، وقوله « فألحقه بالهاديات » تقدم شرحه ، وقوله « فعادى عداء بين ثور ونعجة الخ » عادى والى بين اثنين فى طلق ولم يعرق أي أدرك صيده قبل أن يعرق ، وقوله « فيغسل » أى لم يعرق فيصير كأنه قد غسل بالماء ، ودراكا بمعنى مداركة فى موضع الحال ، ولم يرد ثورا أونعجة فقط وإنما أراد الكثير ، والدليل عليه قوله « دراكا » ولو أرادهما فقط لاستغنى عنه بعادى وفيه مبالغة لاتخفى ، وقوله « فظل طهاة اللحم الخ » هو جمع طاه وهو الطباخ والصفيف الذى قد صفف مرققاً على الجمر وهو شواء الأعراب ، والقدير ماطبخ فى قدر ، ووصف بمعجل لأنهم كانوا يستحسنون تعجيل ما كان من الصيد ويستطرفونه ، يقول : ظل المنضجون اللحم وهم صنفان : صنف ينضجون شواء مصفوفا على الحجارة فى النار والجمر ، وصنف يطبخون اللحم فى القدر ، يقول : كثر الصيد فأخصب القوم فطبخوا واشتووا ، ومن للتفصيل والتفسير نحو « هم من بين عالم أو زاهد » يريد أنهم لايعدون

الصنفين ، وصفيف منصوب بمنضج وهو اسم فاعل ، وقدير مجرور بتقدير مضاف معطوف على منضج والتقدير أو طابخ قدير أولا تقدير لكنه معطوف على صفيف وخفض على الجوار أو على توهم ان الصفيف مجرور بالاضافة وعند البغداديين هو معطوف على صفيف من قبيل العطف على المحل ولا يشترطون أن يكون المحل بحق الاصالة كذا فى مغنى اللبيب ، وقوله «ورحنا يكاد الطرف الخ» يقول إذا نظرت العين إلى هذا الفرس أطالت النظر الى ماينظر منه لحسنه فلا تكاد العين تستوفى النظر الى جميعه ويحتمل أن يكون معناه أنه إذا نظرت إلي هذا الفرس لم تدم النظر إليه لئلا يصاب بالعين لحسنه ، وقوله «متى ماترق الخ» أى متى نظرت إلى أعلاه نظرت إلى أسفله لكماله ليستتم النظر إلى جميع جسده وأصلهما تترق وتتسهل - بتاءين - وجزما على أن الأول فعل الشرط والثانى جوابه وما زائدة ، ويروى «ورحنا وراح الطرف ينفض رأسه» والطرف - بالكسر - الكريم الطرفين ، وينفض رأسه من المرح والنشاط وقوله «فبات عليه سرجه» فى بات ضمير الكميت وجملة عليه سرجه خبر بات ، وبات الثانى معطوف على الأول ، وبعينى خبره أى بحيث أراه ، وقائما حال ، وغير مرسل أى غير مهمل ، ومعناه انه لما جىء به من الصيد لم يرفع عنه سرجه وهو عرق ولم يقلع لجامه فيتعلق على التعب فيؤذيه ذلك ، ويجوز أن يكون معنى «فبات عليه سرجه الخ» أنهم مسافرون كأنه أراد الغدو فكان معداً لذلك والله أعلم

وترجمة امرىء القيس تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين.

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد الرابع بعد المائتين)

(٢٠٤) وإن امْرأً أَسْرى إليكِ ودونه ... من الأَرض مَوْماةٌ وبيداءُ سَمْلَق

لما تقدم قبله ، فان جملة قوله «ودونه من الأرض موماة» من المبتدأ والخبر حال لا الظرف وحده كما بيناه . وصاحب الحال الفاعل المستتر فى قوله «أسرى» العائد إلى امرىء بمعنى سرى قال فى الصحاح وسريت سرى ومسرى وأسريت بمعنى إذا سرت ليلا ، وبالألف لغة أهل الحجاز وجاء القرآن بهما جميعاً ، والكاف من إليك مكسورة لأنه خطاب مع ناقته ، ودون هنا بمعنى أمام وقدام ، والموماة - بالفتح - الأرض التى لا ماء فيها ، وفى

القاموس . الموماء والموماة الفلاة والجمع الموامى ، وأشار إلى أنها فوعلة لأنه ذكرها فى المعتل الآخر بالواو ، والبيداء القفر فعلاء من باد يبيد إذا هلك ، والسملق الأرض المستوية وبيداء معطوف على موماة وسملق صفته ،وجملة أسرى إليك صفة امرئ . وخبر إن «لمحقوقة» فى بيت بعده وهو :

لمحقوقة ان تستجيبى لصوته وان تعلمى أن المعان موفق

وقد أنشد المحقق الشارح هذين البيتين فى باب الضمير على أن الكوفيين استدلوا بهذا على أنه يجوز ترك التأكيد بالمنفصل فى الصفة الجارية على غير من هى له عند أمن اللبس والأصل لمحقوقة أنت وهذه مسئلة خلافية بين البصريين والكوفيين يأتى الكلام فيها ان شاء الله تعالى فى باب الضمير ، ومطلع هذه القصيدة

أرقت وما هذا السهاد المؤرّق وما بىَ من سُقْم ومابى مَعْشَقُ

قال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : سمع كسرى أنوشروان يوما الأعشى يتغنى بهذا البيت فقال :مايقول هذا العربى : قالوا ؟ يتغنى بالعربية قال : فسروا قوله ،قالوا زعم:أنه سهر من غير مرض ولا عشق قال : فهذا إذا لص ، وبعد هذا المطلع بابيات فى وصف الخمر وهو من أبيات الكشاف والقاضى :

تُريك القذى من دونها وهى دونه إذ ذاقها من ذاقها يتمطق

وهذا وصف بديع فى صفاء الخمرة ، والتمطق التذوق قال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء: أراد أنها من صفائها تريك القذاة عالية و القذى فى أسفلها فأخذه الأخطل فقال :

ولقد تباكرنى على لذاتها صهباء عالية القذى خرطوم اهـ

وسيأتى - إن شاء الله عز وجل - بعض هذه القصيدة فى باب الضمير و بعضها فى عوض من باب الظروف

وترجمة الأعشى تقدمت فى الشاهد الثالث والعشرين

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد الخامس بعد المائتين)

(٢٠٥) كما انتفَضَ العصفورُ بلَّله القَطْرُ

هذا عجز وصدره :

وإنى لتعرُونى لذكراكِ هِزّةٌ

على أن الأخفش والكوفيين استدلوا بهذا على أنه لم تجب قد مع الماضى المثبت الواقع حالا فان جملة « بلله القطر » من الفعل والفاعل حال من العصفور، وليس معها قد لاظاهرة ولا مقدرة

وهذه المسألة أيضاً خلافية : ذهب الكوفيون إلى أن الماضى المثبت بدون قد يقع حالا بدليل قوله تعالى «أو جاؤكم حصرت صدورهم »فحصرت حال بدليل قراءة الحسن البصري ويعقوب والمفضل عن عاصم «أوجاؤكم حصرة صدورهم »وقول أبى صخر الهذلى

كما انتفضَ العُصفور بلّله القطر

وقال البصريون:لايجوز وقوعه حالا بدون قد لوجهين (أحدهما) أنه يدل على الحال (والثانى) أنه إنما يصلح أن يوضع موضع الحال مايصلح أن يقال فيه الآن نحو مررت بزيد يضرب ، وهذا لا يصلح فى الماضى ، ولهذا لم يجز مازال زيد قام وليس زيد قام لأن مازال وليس يطلبان الحال وقام ماض ،ولايلزم على كلامنا إذا كان مع الماضى قد لأن قد تقرب الماضى من الحال ، وأما الآية والبيت فقد فيهما مقدرة وقال بعضهم حصرت صفة لقوم المجرور فى أول الآية وهو «إلا الذين يصلون الى قوم »وما بينهما اعتراض ويؤيده انه قرىء باسقاط أو وعلى ذلك يكون جاؤكم صفة لقوم ويكون حصرت صفة ثانية ، وقيل صفة لموصوف محذوف أى قوما حصرت صدورهم قال صاحب اللباب وهذا مذهب سيبويه وهو ضعيف لأنه إذا قدر الموصوف يكون حالا موطئة وصفة لموطئة فى حكم الحال فى إيجاب تصدرها بقد وهو يمنع حذف قد لاسيما والموصوف محذوف فان الصفة تكون فى صورة الحال فالاتيان بقد يكون أولى وقال المبرد: جملة حصرت إنشائية معناها الدعاء عليهم فهى مستأنفة ، ورد بان الدعاء عليهم بضيق قلوبهم عن قتال قومهم لايتجه وقيل حصرت بدل اشتمال من جاءوكم لأن المجىء مشتمل على الحصر وفيه بعد لأن الحصر من صفة الجائين لا من صفة المجىء ، وقد بسط ابن الانبارى الكلام على هذه المسئلة فى كتاب الانصاف فى مسائل الخلاف

واستشهد ابن هشام بهذا البيت فى شرح الألفية على أن المفعول له يجر باللام إذا

فقد بعض شروطه ، فأن قوله هنا لذكراك مفعول له جر باللام لأن فاعله غير فاعل الفعل المعلل وهو قوله لتعروني فأن فاعله هزة وفاعل ذكراك المتكلم فأنه مصدر مضاف لمفعوله وفاعله محذوف أي لذكرى إياك

والهزة — بفتح الهاء — الحركة يقال هززت الشيء إذا حركته وأراد بها الرعدة وروى بدلها « رعدة » وروى القالي في أماليه « فترة » وسئل ابن الحاجب هل تصح رواية القالي؟ فأجاب يستقيم ذلك على معنيين (أحدهما) أن يكون معنى لتعروني لترعدني أي تجعل عندي العرواء وهي الرعدة كقولهم عرا فلان إذا أصابه ذلك لأن الفتور الذي هو السكون عن الأجلال والهيبة يحصل عنه الرعدة غالبا عادة فيصح نسبة الارعاد إليه فيكون « كما انتفض » منصوبا انتصاب قولك أخرجته كخروج زيد إما على معنى كاخراج خروج زيد وإما لتضمنه معنى خرج غالبا فكأنه قيل خرج فصح لذلك مثل خروج زيد . وحسن ذلك تنبيها على حصول المطاوع الذي هو المقصود في مثل ذلك فيكون أبلغ في الاقتصار على المطاوع إذ قد يحصل المطاوع دونه مثل أخرجته فلا يخرج (والثاني) أن يكون معنى لتعروني لتأتيني وتأخذني فترة أي سكون للسرور الحاصل من الذكرى وعبر بها عن النشاط لأنها تستلزمه غالباً تسمية للمسبب باسم السبب كأنه قال ليأخذني نشاط كنشاط العصفور فيكون « كما انتفض » إما منصوبا نصب « له صوت صوت حمار » وله وجهان (أحدهما) أن يكون التقدير يصوت صوت حمار وإن لم يجز إظهاره استغناء عنه بما تقدم (والثاني) أن يكون منصوبا بما تضمنته الجملة من معنى يصوت ، وإما مرفوعا صفة لفترة أي نشاط مثل نشاط العصفور ، وهذه الأوجه الثلاثة المذكورة في الوجه الثاني في إعراب « كما انتفض » تجري على تقدير رواية رعدة وهزة ، وروى الرماني عن السكري عن الأصمعي :

إذا ذكرت يرتاح قلبي لذكرها كما انتفض العصفور بلله القطر

وهذا ظاهر اه

وانتفض بمعنى تحرك يقال: نفضت الثوب والشجر إذا حركته ليسقط ما فيه ، وبله يبله بلا إذا نداه بالماء ونحوه ، والقطر المطر

وفي شرح بديعية العميان لابن جابر أن هذا البيت فيه من البديع صنعة الاحتباك

وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره فى الثانى و يحذف من الثانى ما أثبت نظيره فى الأول. فأن التقدير فيه و إنى لتعرونى لذكراك هزة وانتفاضه كهزة العصفور وانتفاضه فحذف من الأول الانتفاض لدلالة الثانى عليه وحذف من الثانى الهزة لدلالة الأول عليه اه

وهذا البيت من قصيدة لأبى صخر الهذلى أورد بعضها أبو تمام فى باب النسيب من الحماسة. وكذلك الأصبهانى بعضها فى الأغانى. ورواها تماما أبو على القالى فى أماليه عن ابن الأنبارى وابن دريد. وهى هذه:

لِلَيْلى بذات الجيش دارٌ عرفْتُها ... وأخرى بذات البين آياتها سطر
كأنهما مِلآن لم يتغــيرا ... وقد مرَّ للدارين من عهدنا عصر
وقفت بِرَبْعَيْهَا فعيَّ جوابها ... فقلت وعينى دمعها سَرِبٌ هَمْرُ:
ألا أيها الركب المُخِبُّون هل لكم ... بساكن أجْراع الحمى بعدنا خُبْر ؟
فقالوا: طوينا ذاك لَيْـلا و إن يكن ... به بعض من تهوى فما شعر السفر
أما والذى أبكى وأضحك، والذى ... أمات وأحيا، والذى أمره الأمر
لقد كنت آتيها وفى النفس هجرها ... بَتَاتاً لأخرى الدهر ماطلع الفجر
فما هـو إلا أن أراها فجـاءة ... فأبهت لاعرف لدى ولا نكر
وأنسى الذى قد كنت فيه هجرتها ... كما قد تنسى لب شـاربها الخمر
وما تركت لى من شَذَى أهتدى به ... ولا ضِلَعٍ إلا وفى عظمها كسر
وقد تركتنى أغبط الوحش أن أرى (١) ... قرينين منها لم يفزعهما نفر
و يمنعنى من بعض إنكار ظلمها ... إذا ظلمت يوما وإن كان لى عذر
مخافة أنى قد علمت لئن بدا ... لى الهجر منها ماعلى هجرها صبر
و إنى لاأدرى إذا النفس أشرفت ... على هجرها مايبلغنّ بها الهجر
أبى القلبُ إلا حُبَّهـا عامِرِيَّة ... لها كنيةٌ عَمْرٌو وليس لها عمرو

---

(١) يروى: «لقد تركتنى أحسد الوحش .. الخ»

تكاد يدى تندى إذا ما لمستها ... وينبت فى أطرافها الورق الخضر
وإنى لتعرونى لذكراك فترة ... كما انتفض العصفور بلَّلهُ القطر
تمنيت من حبى عُلَيَّة أننا ... على رَمَثٍ فى البحر ليس لنا وفر
على دائم لا يعبر الفلك موجهُ ... ومن دوننا الأعداء واللجج الخضر
فنقضى هموم النفس فى غير رقبة ... ويغدو (١) من نخشى نميمته البحر
عجبت لسعى الدهر بينى وبينها ... فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فياحبَّ ليلى قد بلغتَ بى المدى ... وزدت على ما ليس يبلغه الهجر
ويا حبها زدنى جوًى كل ليلة ... ويا سَلْوَةَ الأيام موعدك الحشر
فليس عشيات الحمى برواجع ... لنا أبداً ما أبرم السلم النضر
هجرتك حتى قيل ما يعرف الهوى ... وزرتك حتى قيل ليس له صبر
صدقت أنا الصب المصاب الذى به ... تباريح حب خامر القلب أو سحر
فيا حبذا الأحياء مادمت حية ... ويا حبذا الأموات ما ضمك القبر

فقوله « ملآن » أصله من الآن . وقوله « أما والذى أبكى وأضحك الخ » هو من أبيات الكشاف ومغنى اللبيب أنشده فى أما وقوله « فما هو إلا أن أراها فجاءة الخ » هو مثل (٢) أبيات سيبويه ويأتى شرحه إن شاء الله عز وجل فى نواصب الفعل . وقوله « وماتركت لى من شذى » هو — بفتح الشين والذال المعجمتين — بمعنى الشدة وبقية القوة . والضلع - بكسر الضاد وفتح اللام - وقوله « تمنيت من حبى علية انا على رمث » هو - بفتح الراء والميم وبالثاء المثلثة - قال القالى : أعواد يضم بعضها إلى بعض كالطوق يركب عليها فى البحر . قوله « ما أبرم السلم النضر » يقال أبرم

(١) فى الحماسة : « ويغرق من نخشى نميمته البحر »

(٢) كذا بالأصل ولعل الصواب : « هو من أبيات سيبويه » وقد بحثنا كتاب سيبويه فلم نجد هذا البيت

السلم إذا خرجت برمته وهى ثمرته قال فى الصحاح البرم محركة ثمر العضاه الواحدة برمة وبرمة كل العضاه صفراء الا العرفط فأن برمته بيضاء وبرمة السلم أطيب البرم ريحاً

حكى الأصبهانى فى الأغانى عن أبى اسحق ابراهيم الموصلى قال: دخلت على الهادى. فقال: غنى صوتاً ولك حكمك فغنيته

وإنّى لَتَعْرُونى لذكْراكِ هَزّةٌ كما انتفض الْعصفورُ بلَّهُ الْقطْرْ

فقال: أحسنت والله وضرب بيده إلى جيب دراعته فشق منها ذراعا ثم قال: زدنى فغنيته

هَجَرْتك حتى قيل لا يعْرفُ الْهوي وزُرْتُكِ حتى قيل لَيْسَ له صَبْرُ

فقال: أحسنت ثم ضرب بيده إلى جيب دراعته فشق منها ذراعا آخر ثم قال: زدنى فغنيته:

فياحبها زدنى جوىً كل ليلة ويا سلوة الاحباب موعدك الحشر

فقال: أحسنت وشق باقى دراعته من شدة الطرب ثم رفع رأسه إلى وقال: تمن واحتكم. فقلت: أتمنى عين مروان بالمدينة قال: فرأيته قد دارت عيناه فى رأسه فخلتهما جمرتين ثم قال: ياابن اللخناء أتريد أن تشهرنى بهذا المجلس وتجعلنى سمرا وحديثاً يقول الناس أطربه فوهبه عين مروان؟ أما والله لولا بادرة جهلك التى غلبت على صحة عقلك لألحقتك بمن غبر من أهلك. وأطرق إطراق الأفعوان فخلت ملك الموت بينى وبينه ينتظر أمره. ثم رفع رأسه وطلب إبراهيم بن ذكوان وقال: ياإبراهيم خذ بيد هذا الجاهل أدخله بيت المال فان أخذ جميع مافيه فدعه وإياه. قال: فدخلت وأخذت من بيت المال خمسين ألف دينار

وأبو صخر الهذلى هو عبد الله بن سالم السهمى الهذلى شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية كان متعصباً لبنى مروان، مواليا لهم، وله فى عبد الملك بن مروان وأخيه عبد العزيز مدائح كثيرة. ولما ظهر عبدالله بن الزبير فى الحجاز وغلب عليها بعد موت يزيد ابن معاوية وتشاغل بنو أمية فى الحرب بينهم فى مرج راهط وغيره دخل عليه أبو صخر الهذلى فى هذيل ليقبضوا اعطاءهم وكان عارفا لهواه فى بنى أمية فمنعه عطاءه. فقال: تمنعنى حقاً لى وأنا امرؤ مسلم ماأحدثت فى الاسلام حدثا ولا أخرجت من طاعة.

يدا . قال: عليك ببنى أمية اطلب منهم عطاءك قال: إذا أجدهم سبطة أكفهم، سمحة أنفسهم، بذلا لأموالهم، وهابين لمجتديهم، كريمة أعراقهم، شريفة أصولهم، زاكية فروعهم قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبهم وسببهم . لهم سؤدد فى الجاهلية والملك فى الاسلام لا كمن لا يعد فى عيرها ولا نفيرها . ولا حكم آباؤه فى نقيرها وقطميرها . ليس من أحلافها المطيبين . ولا من ساداتها المطعمين، ولا من هاشميها المنتخبين . ولا عبد شمسها المسودين . وكيف تقاس الأروس بالأذناب؟ وأين النصل من الجفن؟ وأين السنان من الزج . والذنابى من القدامى؟ وكيف يفضل الشحيح على الجواد، والسوقة على الملوك . والجائع بخلا على المطعم فضلا؟ فغضب ابن الزبير حتى ارتعدت فرائصه وعرق جبينه واهتز من قرنه إلى قدمه وانتقع لونه ثم قال له: يا ابن البوالة على عقبيها يا جلف يا جاهل أما والله لولا الحرمات الثلاث: حرمة الاسلام، وحرمة الشهر الحرام، وحرمة الحرم لأخذت الذى فيه عيناك ثم أمر به إلى سجن عارم فحبس فيه مدة ثم استوهبته هذيل ومن له فى قريش خؤلة فأطلقه بعد سنة وأقسم أن لا يعطيه عطاء مع المسلمين أبدا فلما كان عام الحجاج وولى عبد الملك بن مروان وحج لقيه أبو صخر فقربه وأدناه وقال له: انه لم يخف على خبرك مع الملحد . ولا ضاع لدى هواك ولا موالاتك فقال إذ شفا الله منه نفسى ورأيته قتيل سيفك وصريع أوليائك مصلوبا مهتوك الستر مفرق الجمع فما أبالى مافاتنى من الدنيا ثم استأذنه فى مديح فأنشده قصيدة وأمر له عبد الملك بما فاته من العطاء ومثله من ماله وحمله وكساه. كذا فى الأغانى

(وأنشده بعده)

يقول وقدْ ترَّ الوظيف وساقُها ... ألست ترى أن قد أتيت بمُؤيدِ؟

تقدم شرحه فى الشاهد الرابع والثمانين بعد المائة

وأنشد بعده

(وهو الشاهد السادس بعد المائتين، وهو من شواهد سيبويه).

(٢٠٦) أفى السِّلْمِ أعياراً جَفَاءً وغِلْظَةً ... وفى الحَرْبِ أشْباهَ النساء العَوارِكِ

على أن أعيارا وأشباه النساء منصوبان على الحال عند السيرافى ومن تبعه وعلى المصدر عند سيبويه

قال السهيلى فى الروض الأنف: هذا البيت لهند بنت عتبة قالته لفل قريش حين

رجعوا من بدر .... يقال: عركت المرأة إذا حاضت ونصب أعيار على الحال والعامل فيه مختزل لأنه أقام الأعيار مقام اسم مشتق فكأنه قال فى السلم بلداء جفاة مثل الأعيار ونصب «جفاء» وغلاظة نصب المصدر الموضوع موضع الحال كما تقول زيد الأسد شدة أى مماثله مماثلة شديدة فالشدة صفة للمماثلة كما أن المشافهة صفة للمكالمة إذا قلت كلمته مشافهة فهذه حال من المصدر فى الحقيقة وتعلق حرف الجر من قولها «أفى السلم» بما أدته الأعيار من معنى الفعل فكأنها قالت أفى السلم تتبلدون وهذا الفعل المختزل الناصب للأعيار ولا يجوز إظهاره اهـ

وزعم العيني أن قوله «جفاء» منصوب على التعليل أى لأجل الجفاء والغلظة ولا يخفى سقوطه

والهمزة للاستفهام التوبيخى. والسلم - بكسر السين وفتحها - الصلح يذكر ويؤنث والأعيار جمع عير - بالفتح - الحمار أهليا كان أم وحشيا وهو مثل فى البلادة والجهل والجفاء قال فى المصباح: جفا الثوب يجفو إذا غلظ فهو جاف ومنه جفاء البدو وهو غلظتهم وفظاظتهم والغلظة - بالكسر - الشدة ضد اللين والسلاسة وروى «أمثال» بدل قوله «أشباه» والعوارك جمع عارك وهى الحائض من عركت المرأة تعرك - كنصر ينصر - عروكا أى حاضت وبختهم وقالت لهم: أتجفون الناس وتغلظون عليهم فى السلم فاذا أقبلت الحرب لنتم وضعفتم كالنساء الحيض. حرضت المشركين بهذا البيت على المسلمين. والفل - بفتح الفاء - القوم المنهزمون

وهند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية العبشمية والدة معاوية بن أبى سفيان أخبارها قبل الاسلام مشهورة وشهدت أحداً وفعلت ما فعلت بحمزة ثم كانت تؤلب وتحرض على المسلمين إلى أن جاء الله بالفتح فأسلم زوجها ثم أسلمت هى يوم الفتح. كذا فى الاصابة لابن حجر

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد السابع بعد المائتين . وهو من شواهد سيبويه)

(٢٠٧) أنا ابنُ دارة مشهوراً بها نسبى وهل بدارة يالَلنّاس من عارِ

على أن قوله «مشهورا» حال مؤكدة لمضمون الخبر، ومضمونه هنا الفخر وروى «أنا ابن دارة معروفا بها نسبي» وقوله «نسبي» نائب الفاعل لقوله «مشهوراً» والباء من بها متعلقة به لا نائب الفاعل كما وهم العيني، وهذه الحال سببية. وهل للاستفهام الأنكارى ومن زائدة. وعار مبتدأ منع من رفعه حركة حرف الجر الزائد، وبدارة خبره، و ياللناس اعتراض بين المبتدأ والخبر، ويا للنداء لا للتنبيه وللناس منادى إلا أن المنادى محذوف تقديره قومى واللام للاستغاثة وهى تدخل على المنادى إذا استغيث نحو يالله لا أنها للتعجب المجرد خلافا للعيني فى الثلاثة

ودارة اسم أم الشاعر، وهو سالم بن أبى دارة قال ابن قتيبة: وهى من بنى أسد وسميت بذلك لأنها شبهت بدارة القمر من جمالها. وقال الحلوانى فى كتاب أسماء الشعراء المنسوبين إلى امهاتهم: دارة لقب أمه واسمها سيفاء كانت أخيذة أصابها زيد الخيل من بعض غطفان من بني أسد وهى حبلى فوهبها زيد الخيل لزهير بن أبى سلمى فربما نسب سالم ابن دارة إلى زيد الخيل اه وقال أبو رياش فى شرح الحماسة والأصبهانى فى الأغانى: دارة لقب جده. واسمه يربوع وعلى هذا قد روى

أَنَا ٱبْنُ دَارَةَ مَعْرُوفاً بِهَا نَسَبِى

وروى أيضا «معروفا له نسبي» وهذا البيت من قصيدة طويلة لسالم بن دارة هجا بها زميل ابن أبير أحد بنى عبد الله بن مناف الفزارى، منها:

بلغ فزارة أنى لنْ أسالمها حتى ينيك زميل أمَّ دينار
لا تأمنن فَزَاريا خَلوْت به بعد الذى امتل أير العير فى النار
وإن خلوت به فى الأرض وحدكما فاحفظ قَلُوصَك واكْتُبها بأسيْار
إنّى أخاف عليها أن يبيتها عارى الجواعر يغشاها بقُسبْارِ
أنا ابن دارة معروفاً له نسبي وهل بدارة ياللناس من عار
جُرْثومةٌ نبتت فى العز واعتدلت تبغى الجرائيم من عرف وإنكار
من جذم قيس وأخوالى بنو أسد من أكرم الناس زندى فيهم وارى

وأم دينار هى أم زميل، وقوله «بعد الذى امتل أير العير الخ» العير بالفتح الحمار

وامتل أير العير أى شوى أير الحمار فى الملة وهى الرماد الحار، و بنو فزارة يرمون بأكل أير الحمار مشويا و سيأتى إن شاء الله تعالى شرح هذا مستوفى فى باب المثنى : والقلوص الناقة الشابة .والكتيبامن كتب الناقة يكتبها ـ بضم التاء وكسرها ـ ختم حياءها أوخزمها بسير أو حلقة حديد لئلا ينزي عليها . والاسيار جمع سير من الجلد وعارى الجواعر أى بارز الاست والفقحة والقسبار ـ بضم القاف ـ الذكر الطويل العظيم وجرثومة الشيء ـ بالضم ـ أصله وتبغى من البغى يقال بغى عليه بغياً إذا علا عليه واستطال فأصله تبغي على الجرائيم والعرف ـ بالضم ـ المعروف والجزم ـ بالكسر والفتح ـ الأصل وورى الزند كرمى خرج ناره و يقال ورت بك زنادى يقال هذا فى التمدح والافتخار

وتقدم سبب هجوه لبنى فزارة وسبب هذه القصيدة مع ترجمته فى الشاهد الخامس بعد المائة

باب التمييز

(أنشد فيه وهو الشاهد التاسع (١) بعد المائتين)

(٢٠٩) وستُّوك قدْ كَرَبَتْ تَكْمُلُ

على أن العدد الذى فى آخره النون يضاف إلى صاحبه أكثر من إضافته إلى المميز أى قرب أن يكمل ستون سنة من عمرك

وهذا المصراع من قصيدة للكميت بن زيد مدح بها عبدالرحمن بن عنبسة بن سعيد ابن العاص بن أمية وأولها :

أأبكاكَ بالعُرُفِ المَنْزلُ ؟ وما أنْتَ والطَّلَلُ المُحْوِلُ؟

و ماأنت وَيْكَ وَرَسْم الديار وسِتُّوكَ قدْ كَرَبَتْ تكمُلُ؟!!

قال الأصبهانى فى الاغانى : كان بين بنى أسد و بين طيء حرب فاصطلحوا وبقى لطيء دم رجلين فاحتمل ذلك رجل من بنى أسد فمات قبل أن يوفيه فاحتمله الكميت فاعانه

---

(١) كذا بالاصل . وهذا الشاهد هو الثامن بعد المائتين على الطريقة التي جرى عليها المؤلف فى عد الشواهد : وقد جرى الترتيب على هذا الخطأ من هنا على التوالى وقد آثرنا بقاءه مع التنبيه عليه فى أول أمره.

فيه عبدالرحمن ابن عنبسة فمدحه الكميت بهذه القصيدة وأعانه الحكم بن الصلت الثقفى فمدحه بقصيدته التى أولها

هلْ للشَّبابِ الذى قدْ فتَ منْ طَلَبِ

ثم جلس الكميت وقد خرج العطاء فاقبل الرجل يعطى الكميت المائتين والثلثمائة وأكثر وأقل وكانت دية الاعرابى ألف بعير . ودية الحضرى عشرة آلاف درهم وكانت قيمة الجمل عشرة دراهم . فأدى الكميت عشرين ألفا عن قيمة ألفى بعير اه

فقوله «أأبكاك» يخاطب نفسه ويقررها مستفهما . والعرف ـ بضم العين والراء المهملتين ـ موضع . والمنزل فاعل أبكاك قال الزمخشرى فى كتاب الامكنة والمياه : عرفة الاملح وعرفة رقد وعرفة أعيال مواضع تسمي العرف وأنشد بيت الكميت . وفى المحكم لابن سيده : العرف ـ بضمتين ـ موضع . وقيل جبل وأنشد البيت أيضاً . وكذا ضبطه أبو عبيد البكرى فى معجم مااستعجم وقال : هو ماء لبنى أسد وأنشد البيت وقال : ويخفف بسكون الراء قال عباس بن مرداس :

خفافية بطنُ الْعَقِيق مصيفُها وتحتل في البادين وجرة والعُرْفَا

فدل قول عباس أن العرف بوادى بنى خفاف اه وقوله «وماأنت الخ» استفهام توبيخى : ينكر بكاءه وهو شيخ على الاطلال . والطلل الشاخص من آثار الدار وشخص كل شيء . والمحول اسم فاعل من أحول الشيء إذا مر عليه حول وهى السنة . وويك كلمة تفجع وأصله ويلك . وستوك مبتدأ ومابعده خبر والجملة حالية . وكرب ـ بفتح الراء ـ كروبا دنا وكرب من اخوات كاد تعمل عملها واسمها ضمير الستين وجملة تكمل فى موضع نصب خبرها

وترجمة الكميت بن زيد تقدمت فى الشاهد السادس عشر

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد العاشر بعد المائتين)

(٢١٠) فيالكَ منْ ليْلٍ كأنَّ نُجومَهُ بكلِّ مُغَارِ الْفتْلِ شدَّتْ بيَذْبُلِ

على أن قوله «من ليل» تميز عن المفرد الذى هو الضمير المبهم فى قوله «يالك» وفيه أن الضمير غير مبهم لتقدم مرجعه فى البيت قبله وهو قوله «ألا أيها الليل الطويل» كما يأتى فالتمييز فيه عن النسبة لاعن المفرد ، ومن لبيان الجنس . وقال المرادى

فى شرح الألفية : من زائدة فى الكلام الموجب ولهذا يعطف على موضع مجرورها بالنصب كقول الحطيئة :

يا حسنَهُ منْ قوامٍ مًّا ومنْتَقَبا

وصحح هذا أبو حيان فى الارتشاف . ويا حرف نداء . واللام للتعجب تدخل على المنادى إذا تعجب منه ولأجل هذا أورد ابن هشام هذا البيت فى المغني قال فى شرح بانت سعاد : الأصل يا إياك أو ياأنت ثم لما دخلت لام الجر انقلب الضمير المنفصل المنصوب أوالمرفوع ضميراً متصلا مخفوضاً . وأورده المرادى فى شرح الألفية على أن اللام فيه للاستغاثة استغاث به منه لطوله كأنه قال : ياليل ما أطولك . قال ابن هشام : وإذا قيل يالزيد — بفتح اللام — فهو مستغاث . فأن كسرت فهو مستغاث لأجله والمستغاث محذوف . فأن قيل : يالك احتمل الوجهين . والباء فى قوله « بكل » متعلقة بشدت . والمغار — بضم الميم — اسم مفعول بمعنى المحكم من أغرت الحبل إغارة إذا أحكمت فتله . ويذبل اسم جبل لاينصرف للعلمية ووزن الفعل وصرفه للضرورة يقول : إن نجوم الليل لاتفارق محالها فكأنها مربوطة بكل حبل محكم الفتل فى هذاالجبل . وإنما استطال الليل لمقاساة الأحزان فيه

وهذا البيت من معلقة امرئ القيس المشهورة وفيها خمسة أبيات فى وصف الليل وهى :

وليلٍ كموْجِ البحْرِ أرْخَى سدولَه ... علىَّ بأنواع الهُمُوم ليبْتَلى

فقلت له لما تمطَّى بصُلْبِهِ ... وأرْدفَ أعجازاً وناء بكلكل

: ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلى ... بصبحٍ وما الاصباحُ منك بأمثل

فيالك من ليل كأنَّ نجومه ... « البيت »

كأن الثريا عُلقَتْ فى مصامِها ... بأمْراسِ كِتَّانٍ إلى صُمِّ جندلِ

فقوله « وليل » الواو واو رب ، والسدول الستور جمع سدل وسدل ثوبه إذا أرخاه يقول : رب ليل يحاكى أمواج البحر فى توحشه وهوله وقد أرخى على ستور

ظلامه مع أنواع الحزن ليختبرنى أأصبر أم أجزع . وهذا بعد أن تغزل (١) تمدح بالصبر والجلد وقوله « فقلت له لما تمطى الخ » تمطى امتد ، وناء نهض . والكلكل الصدر ، والأعجاز الأواخر جمع عجز وهو من استعمال الجمع موضع الواحد ، وقد استشهد ابن مالك بهذا البيت على أن الواو لاتدل على الترتيب لأن البعير ينهض بكلكله . والأصل فقلت له لما ناء بكلكله وتمطى بصلبه وأردف أعجازه . وقوله « ألا أيها الليل الطويل الخ » انجلى أمر بمعنى انكشف والياء إشباع ، والأصباح الصباح ، والأمثل الأفضل . وأورد هذا البيت فى تلخيص المفتاح على أن صيغة الأمر فيه للتمنى ومعناه معناه تمنى زوال ظلام الليل بضياء الصبح ثم قال : وليس الصباح بأفضل منك عندى لاستوائهما فى مقاساة الهموم أو لأن نهاره يظلم فى عينه لتوارد الهموم فليس الغرض طلب الانجلاء من الليل لأنه لا يقدر عليه لكنه يتمناه تخلصا عما يعرض له فيه ولاستطالة تلك الليلة كأنه لا يرتقب انجلاءها ولا يتوقعه فلهذا حمل على التمنى دون الترجى

قال الأمام الباقلانى فى إعجاز القرآن : ومما يعدونه من محاسن هذه القصيدة هذه الأبيات الثلاثة وكان بعضهم يعارضها بقول النابغة :

كلينى لهمّ يا أُميمةَ ناصبِ وليلٍ أُقاسيه بطىء الكواكب
تقاعَس حتى قلت ليس بمُنقضٍ وليس الذى يتلو النُّجومَ بآيبِ
وصدْرٍ أراحَ الليلُ عازب همِّه تضاعف فيه الحُزْنُ من كل جانب

وقد جرى ذلك بين يدى بعض الخلفاء فقدمت أبيات امرىء القيس واستحسن استعارتها وقد جعل لليل صدرا يثقل تنحيه ، ويبطىء تقضيه ، وجعل له أردافا كثيرة . وجعل له صلبا يمتد ويتطاول . ورأوا هذا بخلاف مايستعيره أبو تمام من الاستعارات الوحشية البعيدة المستنكرة . ورأوا أن الألفاظ جميلة . واعلم أن هذا صالح جميل ، وليس من الباب الذى يقال إنه متناه عجيب ، وفيه إلمام بالتكلف ودخول فى التعمل ، انتهى

(١) كذا بالأصل . ولعل واو العطف قد سقطت من العبارة وأصلها : « بعد أن تغزل وتمدح الخ »

وقوله «كأن الثريا علقت الخ» المصام — بفتح الميم — موضع الوقوف ، والأمراس الحبال جمع مرس — محركة — والجندل الحجارة ، يقول : كان الثريا مشدودة بحبال إلى حجارة فليست تضيء

قال العسكرى فى التصحيف : ومما خالف فيه ابن الأعرابى الأصمعى فى المعنى لافى اللفظ قوله «كأن الثريا علقت ... البيت» فالهاء فى مصامها عند الأصمعى ترجع إلى الثريا ، ومعنى مصامها موضعها ومقامها ، وهو يصف الليل وأن نجومه لاتسير من طوله فكأن لها أواخى فى الأرض تحبسها ، هذا مذهب الأصمعى ، ورأيت هذا البيت فى نوادر ابن الأعرابى وفسره بتفسير عجيب فقال : ورواه

كأنَّ نجوماً عُلقتْ فى مَصامهِ

ثم فسر وقال : شبه مابين الحوافر وجثمانه بالأمراس وصم جندل يعنى جثمانه فأخذ هذا البيت وصيره فى وصف الفرس وحمله على أنه بعد

وقدْ أغتدى والطيرُ فى وكُناتِها   بمنجردٍ قيْدِ الأوابدِ هَيْكلِ اﻫ

وترجمة امرىء القيس قد تقدمت فى الشاهد التاسع والأربعين

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد الحادى عشر بعد المائتين)

(٢١١) ويلمها روحة والريح مُعْصِفَةٌ   والغَيثُ مرتجز ، والليل مقترب

لما تقدم قبله أعنى كون التميز يكون عن المفرد إذا كان الضمير مبهما لا يعرف المقصود منه ، فأن الضمير فى «ويلها» لم يتقدم له مرجع فهو مبهم ففسره بقوله «روحة» فهو تميز عن المفرد أى ويلم هذه الروحة فى حال عصف الريح ، فجملة «والريح معصفة» حال ، ومعصفة شديدة يقال أعصفت الريح وعصفت لغتان ، والغيث هنا الغيم ، ومرتجز مصوت ، يريد صوت الرعد والمطر ، ومقترب قد قرب

وهذا البيت من قصيدة طويلة جداً لذى الرمة وهذا البيت من أواخرها ، شبه بعيره بالنعام فى شدة العدو ثم وصف النعام بما يقتضى شدة إسراعه فقال :

حتى إذا الهَيْقُ أمسى شامَ أفرُخَهُ   وهن لامؤيس نأيا ولا كَثَبُ

يرقد فى ظل عرّاص ويطرده حَفيفُ نافجة عُنوانُها حَصِبُ
تبرى له صعلة خرجاء خاضعة فالخرق دون بنات البَيْضِ منهب
كأنها دلو بئر جــد ماتحهـا حتى إذا مارآها خانهـا الكرب
ويلها روحة «البيت»
لايذخران من الأيغال باقيـة حتى تكاد تفرّى عنهما الأهب

الهيق — بالفتح — ذكر النعام، وشام نظر إلى ناحية فراخه . وأفرخ جمع فرخ، وهن أى الأفرخ والنأى البعد . والكثب — بفتح الكاف والمثلثة — القرب يقول موضعهن ليس منه بالبعد الذى يؤيسه من أن يطلبهن أى يحمله على اليأس ولا بالقرب فيغير . وقوله « يرقد » أى يعدو الهيق عدواً شديداً ، والعراص — بمهملات — غيم كثير البرق . والحفيف — بأهمال الأول — صوت الريح . والنافجة الريح الشديدة الباردة ، وعنوانها أوائلها . وحصب — بفتح فكسر — فيه تراب وحصباء وهذا مما يوجب الأسراع إلى المأوى . وقوله « تبرى له صعلة الخ » تبرى تعرض لهذا الهيق ، صعلة نعامة دقيقة وصغيرة الرأس . خرجاء مؤنث الأخرج وهو مافيه سواد وبياض خاضعة فيها طمأنينة . والخرق — بالفتح — الأرض البعيدة تتخرق فيها الرياح ، وبنات البيض الفراخ لأنها تخرج من البيضة . يقول الهيق والصعلة يعدوان عدواً شديداً كأنهما ينتهبان الأرض انتهابا كأنهما يأكلانها من شدة العدو فهما يركضان إلى أفراخهما خائفين البرد والمطر وغيرها . وقوله « كأنها دلو الخ » أى كأن هذه الصعلة دلو انقطع حبلها بعد أن وصلت إلى فم البئر فمضت تهوى ، شبهها بهذه الدلو التى هوت إلى أسفل ، وجد اجتهد . والماتح — بالمثناة الفوقية — المستقى من البئر بالدلو ، والكرب العقد الذى على عراق الدلو ، والعراق العودان اللذان فى وسط الدلو والمراد «بخانها الكرب» انقطع ، وقوله « ويلها روحة الخ » أى ويل أم هذه الروحة . وإنما لم يجز أن يعود الضمير على صعلة كما عاد عليها ضمير كأنها فى البيت المتقدم لأنه قد فسر بروحة والتفسير يجب أن يكون عين المفسر والروحة غير الصعلة فلا يفسرها ولو قال ويلها رائحة لكان مرجع الضمير معلوما من صعلة وكان من تمييز

النسبة لا المفرد . والروحة مصدر راح يروح رواحة وروحة نقيض غدا يغد وغدوا، والرواح أيضاً اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل . وقوله « لا يذخران » أى لا يبقيان يعنى الهيق والصعلة . والاٌيغال الجد فى العدو . والباقية التبقية . وتفرى تشقق . والاُهب — بضمتين — جمع إهاب أراد جلودهما وهذا غاية فى شدة العدو.

واعلم أن قولهم ويلمه وويلمها قال ابن الشجرى : يروى بكسر اللام وضمها والأصل ويل لأمه فحذف التنوين فالتقى مثلان لام ويل ولام الخفض فأسكنت الأولى وأدغمت فى الثانية فصار ويل أم مشدداً واللام مكسورة فخفف بعد حذف الهمزة بحذف إحدى اللامين . فأبو على ومن أخذ أخذه نصوا على ان المحذوف اللام المدغمة فأقروا لام الخفض على كسرتها . وآخرون نصوا على أن المحذوفة لام الخفض وحركوا اللام الباقية بالضمة التي كانت لها فى الأصل انتهى.

قال أبو على فى الأيضاح الشعرى : حذف الهمزة من أم فى هذا الموضع لازم على غير قياس كقوله :

يابا المُغيرَةِ والدُّنيا مفجعة

ثم سئل لم لا يجوز أن يكون الأصل وى لأمه فتكون اللام جارة وى للتعجب، فأجاب بأن الذى يدل على أن الأصل ويل أمه والهمزة من أم محذوفة قول الشاعر:

لأُم الأرض ويل ما أجنت غـــداة أضر بالحسن السبيل

وقال ابن السيد فى شرح شواهد أدب الـكاتب: ويلمه بكسر اللام وضمها . فالضم أجاز فيه ابن جنى وجهين (أحدهما) أنه حذف الهمزة واللام وألقى ضمة الهمزة على لام الجر كما روى عنهم الحمد لله بضم لام الجر (وثانيهما) أن يكون حذف الهمزة ولام الجر ويكون اللام المضمومة هى لام ويل . وأما كسر اللام ففيها ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون أراد ويل أمه بنصب ويل وإضافته إلى الأم ثم حذف الهمزة لـكثرة الاستعمال وكسر لام ويل إتباعا لـكسرة الميم (والثانى) أن يكون أراد ويل لأمه برفع ويل على الابتداء ولأمه خبره وحذف لام ويل وهمزة أم كما قالوا أيش لك يريدون أى شىء فاللام المسموعة على هذا لام الجر (والثالث) أن يكون الأصل وى لأمه فيكون على هذا قد حذف همزة أم لا غير . وهذا عندى

أحسن هذه الاوجه لانه أقل للحذف والتغيير، وأجاز ابن جني أن تكون اللام المسموعة هى لام ويل على أن يكون حذف همزة أم ولام الجر وكسر لام ويل إتباعا لكسرة الميم . وهذا بعيد جداً

هذا إعلالها، وأما معناها فهو مدح خرج بلفظ الذم والعرب تستعمل لفظ الذم فى المدح يقال أخزاه الله ما أشعره ولعنه الله ما أجرأه وكذلك يستعملون لفظ المدح فى الذم يقال للأحمق ياعاقل وللجاهل ياعالم، ومعنى هذا ياأيها العاقل عند نفسه أو عند من يظنه عاقلا، وأما قولهم أخزاه الله ما أشعره ونحو ذلك من المدح الذى يخرجونه بلفظ الذم فلهم فى ذلك غرضان (أحدهما) أن الانسان إذا رأى الشىء فأثنى عليه ونطق باستحسانه فربما أصابه بالعين وأضر به فيعدلون عن مدحه إلى ذمه لئلا يؤذوه (والثانى) أنهم يريدون أنه قد بلغ غاية الفضل وحصل فى حد من يذم ويسب، لان الفاضل يكثر حساده والمعادون له. والناقص لا يلتفت إليه، ولذلك كانوا يرفعون أنفسهم من مهاجاة الخسيس ومجاوبة السفيه

وفى القاموس رجل ويلمة — بكسر اللام وضمها — داه. ويقال للمستجاد ويلمه أى ويل لأمه كقولهم لاأب لك فركبوه وجعلوه كالشىء الواحد ثم لحقته الهاء مبالغة كداهية انتهى

وهذا استعمال ثان جعل المركب فى حكم الكلمة الواحدة، وليست الهاء فى آخره ضميرا بل هى هاء تأنيث للمبالغة فلا تعريف ولهذا يقع وصفا للنكرة قال أبو زيد فى كتاب مسائية : يقال هو رجل ويلمة وروى ابن جنى فى سر الصناعة عن أبى على عن الأصمعى أنه يقال رجل ويلمة قال وهو من قولهم:

ويْلُمِّ سَعْدٍ سَعْدًا

والاشتقاق من الأصوات باب يطول استقصاؤه وعلى هذا يجوز دخول لام التعريف عليه قال الرياشى: الويلمة من الرجال الداهية الشديد الذى لا يطاق ولا يلتفت إلى قول أبى الحسن الأخفش فيما كتبه على كتاب مسائية من كلام العرب السائر أن يقولوا للرجل الداهية أنه لويلمه صمحمحا والصمحمح الشديد هذا هو المعروف والذى

حكاه أبو زيد غير ممتنع جعله اسما واحداً فأما حكاية الرياشى فى إدخال الألف واللام على اسم مضاف فلا أعلم له وجهاً انتهى

أقول : الذى رواه عن العرب من قولهم إنه لو يلمه صمحمحاً غير الذي قاله أبو زيد كما بيناه فأنه جعل الكلمتين فى حكم كلمة واحدة فلا إضافة فيه والهاء للمبالغة والكلمة حينئذ نكرة فيدخل عليها لام التعريف فتأمل

وترجمة ذى الرمة تقدمت فى الشاهد الثامن فى أوائل الكتاب

وأنشد بعده

وهو الشاهد الثانى عشر بعد المائتين

(٢١٢) ويلم أيام الشباب معيشة مع الكثر يعطاه الفتى المتلف الندى

على أن قوله « معيشة » تميز عن النسبة الحاصلة بالاضافة كما بينه الشارح المحقق

وقوله « ويلم » أيام الخ » دعاء فى معنى التعجب أى ما ألذ الشباب مع الغني وقد بينا قبل هذا البيت أصلها ومعناها

قال الطبرسى فى شرح الحماسة: ويل إذا أضيفت بغير لام فالوجه فيه النصب تقول ويل زيد أى ألزم الله زيد ويلا فاذا أضيفت باللام فقيل ويل لزيد فالوجه أن ترفع على الابتداء وجاز ذلك مع أنه نكرة لأن معنى الدعاء منه مفهوم والمعنى الويل ثابت لزيد فالأصل فى البيت ويل لأم لذات الشباب قصد الشاعر إلى مدح الشباب وحمد لذاته بين لذات المعاش وقد طاع لصاحبه الكثر وهو كثرة المال فاجتمع الغنى والشباب له وهو سخى انتهى

وهذا البيت أول أبيات أربعة لعلقمة بن عبدة وهى ثابتة فى ديوانه وقد اقتصر أبو تمام فى الحماسة على البيت الأول والثانى وهو

وقد يعقل القل الفتى دون همه وقد كان لولا القُلُّ طَلاعَ أَنْجُدِ

ونسبهما لبعض بنى أسد ونسبهما فى مختار أشعار القبائل لابنه وهو خالد بن علقمة بن عبدة ونسبهما بعضهم لابن ابنه وهو عبد الرحمن بن على بن علقمة بن عبده ونسبهما الأعلم الشنتمرى فى حماسته لحميد بن سجار الضبى وكذا هو فى حاشية الصحاح منسوب لحميد

والكثر بضم الكاف ومثله القل المال الكثير والمال القليل يقال ماله قل ولا كثر قال أبو عبيد: سمعت أبو زيد يقول: الكثر والكثير واحد قال فى الصحاح: هما بالضم والكسر وقوله « مع الكثر » فى موضع النصب صفة لمعيشة وجملة يعطاه الخ بالبناء للمفعول حال من الكثر والهاء ضمير الكثر وهو المفعول الثانى للعطاء والفتي نائب الفاعل وهو مفعوله الأول والمتلف بالرفع صفة للفتى وكذلك الندى وروى «يعطاها» بضمير المؤنث على أنه عائد على المعيشة مع قيدها والفتى قال فى الصحاح هو السخى الكريم يقال هو فتى بين الفتوة وقد تفتّى وتفاتى والجمع فتيان وفتية وفتو على فعول وفتى مثل عصى. والمتلف المفرق لماله يقال رجل متلف لماله ومتلاف بالمبالغة ، والندى السخى قال فى الصحاح : وندوت من الجود يقال سن للناس الندى فندوا بفتح الدال ويقال فلان ندي الكف إذا كان سخياً وقد روى فى ديوانه البيت هكذا

وبْل بلذّاتِ الشّبابِ معيشةً الخ

وروى أيضا

فوَيْلُمّ لذاتِ الشّباب معيشة

وقوله «وقد يعقل القل» من عقله من باب ضرب إذا منعه والقل بالضم فاعل والفتى مفعول وروى « وقد يقصر القل » من قصره إذا حبسه أو من قصرت قيد البعير إذا ضيقته من باب دخل يدخل وروى أيضا «وقد يقعد القل» من أقعده إذا منعه من القيام لحاجته . والهم بالفتح أول العزيمة قال ابن فارس : الهم ما هممت به وهممت بالشىء هما من باب قتل إذا أردته ولم تفعله ومثله الهمة بالكسر وبالتاء وقد يطلق على العزم القوى كذا فى المصباح ودون بمعنى قبل وأنجد جمع نجد وهو ما ارتفع من الارض قال فى الصحاح : ومنه قولهم فلان طلاع أنجد وطلاع الثنايا إذا كان سامياً لمعالي الامور

ومعنى هذا البيت قد تداوله الشعراء وتصرفوا فيه منهم مسلم بن الوليد فقال:

عرف الحقوق وقصرت أمواله عنها ، وضاق بها الغنىُّ الباخل

ومنه قول آخر :

أرى نفسى تتــــوق إلى أمور يقصر دون مبلغهن مالى
فلا نفسى تطاوعنى ببخــــل ولا مالى يبلغـــنى فعـــالى

ومنه قول الآخر :

رُزِقتُ لُبّاً ولم أرزق مروءته وما المروءة إلا كثرة المال
إذا أردتُ مساماة تقاعدني عما أحاول منها رقة الحال

وقريب منه قول الآخر :

الناس اثنان فى زمانك ذا لو تبتغي غير ذين لم تجد
هذا بخيل وعنده سعة وذا جواد بغير ذات يد

وأما البيتان الأخيران من الأبيات الأربعة فهما :

وقد أقطع الخرق المخوف به الردى بعنس كجفن الفارسى المفرد
كأن ذراعيها على الخل بعدما ونين ذراعا مائح متجرد

والخرق بالفتح الارض الواسعة التي تتخرق فيها الرياح والردى نائب فاعل المخوف والعنس بفتح العين وسكون النون الناقة القوية الشديدة والخل مصدر خل لحمه خلا وخلولا أى قل ونحف كذا فى العباب وقوله «ونين» فعل ماض من الونى بالقصر وهو الضعف والفتور والكلال والاعياء ، والمائح الذى ينزل البئر فيملأ الدلو وذلك إذا قل ماؤها وفعله ماح يميح . وأما الماتح بالمثناة الفوقية فهو مستقى الدلو ، والمتجرد المشمر ثيابه.

وعلقمة شاعر جاهلى ، ونسبته كما فى الجمهرة لابن الكلبي والمؤتلف والمختلف للآمدى علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك بن زيدمناة بن تميم انتهى وعبدة بفتح العين والباء . وأما عبدة بن الطيب فهو بسكون الباء كذا فى الصحاح والعبدة محركة بمعنى القوة والسمن والبقاء وصلاءة الطيب والانفة قال صاحب المؤتلف والمختلف : علقمة فى الشعراء جماعة ليس ممن اعتمد ذكره ولكن اذكر علقمة الفحل وعلقمة الخصى ، وهما من ربيعة الجوع . فأما علقمة الفحل فهو علقمة بن عبدة ، إلى آخر نسبه المذكور . ثم قال : وقيل له علقمة الفحل من أجل رجل آخر يقال له علقمة الخصى واما علقمة الخصى فهو علقمه بن سهل أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، ذكر أبو اليقظان أنه كان يكنى أبا الوضاح قال : وكان له إسلام وقدر ، وكان سبب خصائه أنه أسر باليمن فهرب فظفر به فهرب ثانية فأخذ وخصى وكان شاعرا وهو القائل

يقول رجال من صديق وصاحب أراك أبا الوضاح أصبحت ثاويا
فلا يعدم البانون بيتا يكنهم ولا يعدم الميراث منى المواليا
وخفت عيون الباكيات وأقبلوا إلى بالهم قد بنت عنه بماليا
حراصا على ما كنت أجمع قبلهم هنيئا لهم جمعى وما كنت آليا. اهـ

وقال غيره : إنما لقب بالفحل لانه خلف على امرأة امرىء القيس لما حكمت له بانه أشعر منه ، وذلك ماحكاه الاصمعى أن امرأ القيس لما هرب من المنذر بن ماء السماء وجاور فى طيء تزوج امرأة منهم يقال لها أم جندب ثم إن علقمة بن عبدة نزل عنده ضيفا وتذاكرا الشعر فقال امرؤ القيس : أنا أشعر منك وقال علقمة : انا اشعر منك واحتكما إلى امرأته ام جندب لتحكم بينهما فقالت : قولا شعرا تصفان فيه الخيل على روى واحد فقال امرؤ القيس :

خليلى مرابى على أم جندب لنقضى حاجات الفؤاد المعذب

وقال علقمة :

ذهبتَ من الهجران فى كل مذهب ولم يك حقاً كل هذا التجنب

ثم انشداها جميعا فقالت لامرىء القيس : علقمة اشعر منك قال وكيف ذلك قالت لانك قلت :

فللسوط ألهوب وللساق درة وللزجر منه وقع أهوج منعب

فجهدت فرسك بسوطك ومريته بساقك وقال علقمة :

فأدركهن ثانيا من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب

فادرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه لم يضربه بسوط ولا مراه بساق ولا زجره قال : ماهو باشعر منى ولكنك له وامق ، فطلقها فخلف عليها علقمة فسمى بذلك الفحل

وقد أورد ابن حجر فى الاصابة ابنه فى المخضرمين فيمن أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره .قال على ابن علقمة بن عبدة التيمي ولد علقمة الشاعر المشهور الذى يعرف بعلقمة الفحل وكان من شعراء الجاهلية من أقران امرىء القيس ، ولعلى هذا ولد اسمه عبد الرحمن ذكره المرزبانى فى معجم الشعراء ، فيلزم من ذلك أن يكون أبوه من أهل هذا القسم لأن عبد الرحمن لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم اهـ

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد الثالث عشر بعد المائتين)

(٢١٣) للهِ دَرُّ أنوشروانَ من رجلٍ ما كان أعرفه بالدون والسفل

على أن قوله «من رجل» تمييز عن النسبة الحاصلة بالاضافة وقد بينه الشارح المحقق رحمه الله تعالى

وأنو شروان هو أشهر ملوك الفرس، وأحسنهم سيرة وأخباراً. وهو أنو شروان ابن قباذ بن فيروز، وفى أيامه ولد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ملكا جليلا محبا للرعايا، فتح الأمصار العظيمة فى الشرق، وأطاعته الملوك وقتل مزدك الزنديق وأصحابه وكان يقول بأباحة الفروج والأموال فعظم فى عيون الناس بقتله، وبنى المبانى المشهورة منها السور العظيم على جبل الفتح عند باب الأبواب، ومنها الايوان العظيم الباقى الذكر وليس هو المبتدىء ببنائه بل ابتدأ به سابور وأنوشروان أتمه وأتقنه حتى صار من عجائب الدنيا وانشق لولادة النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبار أنو شروان مشهورة فلا نطيل بها

وقوله «ما كان أعرفه» كان زائدة بين ما وفعل التعجب، والدون بمعنى الردىء وهو صفة ومنه ثوب دون وقيل مقلوب من الدنو والأدنى الردىء وفى القاموس أن الدون للشريف والخسيس ضد، والسفل - بكسر السين وفتح الفاء - جمع سفلة بكسر الأول وسكون الثانى والأصل فتح الأول وكسر الثانى نحو كلمة وكلمة، قال صاحب القاموس وسفلة الناس - بالكسر وكفرحة - أسافلهم وغوغاؤهم، وسفلة البعير - كفرحة - قوائمه انتهى والاول مستعار من الثانى وأصل الأول كفرحة وقد يخفف بحذف حركة الأول ونقل الكسر إليه كما يقال فى لبنة لبنة أو أن سفله جمع سفيل كعلية جمع على كذا فى الأساس والفعل سفل ككرم سفالة - بالفتح - أى نذل نذالة وأما السفلة بالتحريك فهو جمع سافل، وقول ابن مكانس:

واترك كلام السفله والنكبة المبتذله

يجوز أن يقرأ بفتحتين وبفتحة فكسرة قال فى المصباح سفل سفولا - من باب قعد، وسفل من باب قرب - لغة صار أسفل من غيره فهو سافل وسفل فى خلقه وعمله سفلا من باب قتل -

وسفالا والاسم السفل - بالضم - وتسفل خلاف جاد ومنه قيل للاراذل سفلة - بفتح فكسر - وفلان من السفلة ويقال أصله سفلة البهيمة وهى قوائمها ويجوز التخفيف والسفل خلاف العلو - بالضم والكسر لغة - وابن قتيبة يمنع الضم والاسفل خلاف الأعلى.

(وأنشد بعده):

(وهو الشاهد الرابع عشر بعد المائتين):

(٣١٤) والأكرمينَ إذا ما يُنْسَبونَ أباً

هذا عجز وصدره:

سيرى أمامُ فإن الأكثرين حصاً

على أنه كان الظاهر أن يقول آباء بالجمع وإنما وحد الأب لأنهم كانوا أبناء أب واحد وقوله «سيرى» فعل أمر للمؤنثة. وأمام — بضم الهمزة — منادى مرخم أى يا أمامة. وحصا تمييز للأكثرين وكذلك أبا تمييز للأكرمين. ومعنى الحصى العدد وإنما أطلق على العدد لأن العرب أميون لا يقرءون ولا يعرفون الحساب إنما كانوا يعدون بالحصا فأطلق الحصا على العدد واشتق من الفعل فقيل أحصيت الشىء أى عددته. وإذا ظرف للأكرمين. وينسبون — بالبناء للمفعول — والأكرمين معطوف على اسم إن. وخبرها قوم فى البيت الذى بعده وهو:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا ؟!

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهمُ شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

وهذه الأبيات من قصيدة للحطيئة يمدح بها بغيض بن عامر بن لأى بن شماس ابن لأى بن أنف الناقة. واسمه جعفر بن قريع — بالتصغير — ابن عوف بن كعب بن سعد بن زيدمناة بن تميم. ويهجو الزبرقان واسمه حصين — بالتصغير — ابن بدر بن امرىء القيس بن خلف بن عوف بن كعب المذكور نسبه. وإنما لقب جعفر بهذا لأن أباه نحر جزورا فقسمها بين نسائه فقالت له أمه — وهى الشموس من بنى وائل ابن سعد هذيم — : انطلق الى أبيك فانظر هل بقى شىء من الجزور عنده؟ فأتاه فلم يجد إلا رأسها فاخذ بأنفها يجره فقالوا: ما هذا؟ قال: أنف الناقة فسمي أنف الناقة وكان آل شماس فى الجاهلية يعيرون به ويغضبون منه ولما مدحهم الحطيئة بهذا — وإنما

مدح منهم بغيض بن عامر – صار فخراً لهم ، وأراد بأنف الناقة بغيضا وأهل بيته ، وأراد بالذنب الزبرقان وأهل بيته

قال ابن رشيق فى باب من رفعه الشعر ومن وضعه من العمدة : كان بنو أنف الناقة يفرقون من هذا الاسم حتى إن الرجل منهم كان يسئل ممن هو ؟ فيقول : من بنى قريع فيتجاوز جعفرا أنف الناقة ويلغى ذكره فرارا من هذا اللقب ، الى أن قال الحطيئة هذا الشعر فصاروا يتطاولون بهذا النسب ويمدون به أصواتهم فى جهارة

وقوله « قوم إذا عقدوا عقدا الخ » هذا البيت من شواهد أدب الكاتب عقد الحبل والعهد يعقد عقدا . والعناج – بكسر المهملة والنون والجيم – حبل يشد أسفل الدلو العظيمة إذا كانت ثقيلة ثم يشد إلى العراقى فيكون عونا لها وللوذم فإذا انقطعت الأوذام فانقلبت أمسكها العناج ، لم يدعها تسقط فى البئر . يقال: عنجت الدلو أعنجها عنجا – من باب نصر – والعناج اسم ذلك الحبل . يقال : قول لا عناج له إذا أرسل على غير روية وإذا كانت الدلو خفيفة فعناجها خيط يشد فى إحدى آذانها إلى العرقوة . والوذم السيور التى بين آذان الدلو وأطراف العراقى . والكرب – بفتحتين – الحبل الذى يشد فى وسط العراقى ثم يثنى ويثلث ليكون هو الذى يلى الماء فلا يعفن الحبل الكبير ، يقال : أكربت الدلو فهى مكربة . والعراقى العودان المصلبان تشد إليهما الأوذام . وأراد الحطيئة أنهم إذا عقدوا عقدا أحكموه وأوثقوه كأحكام الدلو إذا شد عليها العناج والكرب . وليس هناك عناج ولا كرب فى الحقيقة وإنما هو تمثيل ومطلع هذه القصيدة :

طَافَتْ أُمامةُ بالرُّكْبانِ آوِنةً يا حُسْنَهُ من قوامٍ مًّا ومُنْتَقَبا

واستشهد به المرادى فى شرح الألفية على أن « من » فى التمييز زائدة ولهذا صح عطف المنصوب على مجرورها أى يا حسنها قواما ومنتقبا ، وآونة جمع أوان كأزمنة جمع زمان ، وقوله « يا حسنه » لفظه لفظ النداء ومعناه التعجب فيا للتنبيه لا للنداء والضمير مبهم قد فسر بالتمييز ، والقوام – بالفتح ، ووهم من ضبطه بالكسر – القامة يقال امرأة حسنة القوام أى القامة ، وما زائدة ، والمنتقب – بفتح القاف – موضع النقاب ، وبعده بأبيات :

إنَّ امرأً رهطُهُ بالشام منزلُهُ برملِ يبرينَ جاراً شدَّ ما اغتربا

وأورده ابن هشام فى أواخر الباب الخامس من المغنى على أن أصله «ومنزله برمل يبرين» فحذف حرف العطف ــ وهو الواو ــ وبابه الشعر ثم قال: كذا قالوا ولك أن تقول: الجملة الثانية صفة ثانية لا معطوفة وقوله «امرأ» عنى الحطيئة بالمرء نفسه، وقوله «رهطه بالشام» جملة اسمية صفة لاسم إن وأراد بناحية الشام فأن الحطيئة عبسى. ومنزل بنى عبس شرج والقصيم والجوى وهى أسافل عدنة وكان الحطيئة جاور بغيض ابن شماس المذكور برمل يبرين وهى قرية كثيرة النخل والعيون بالبحرين بحذاء الأحساء لبنى عوف بن سعد بن زيد مناة ثم لبنى أنف الناقة، وإعرابها بالواو رفعاً وبالياء نصباً وجراً وربما التزموا الياء وجعلوا الأعراب بالحركات على النون، ويقال أيضاً رمل أبرين ولابن جنى فيه كلام جيد نقله ياقوت فى معجم البلدان، وقوله «منزله برمل يبرين» جملة اسمية ثانية إما معطوفة بالواو المحذوفة، وإما صفة ثانية لاسم إن «وجارا» حال من المضمر المستقر فى قوله «برمل يبرين» العائد على المنزل، وقوله «شد ما اغتربا» منصوب على التعجب، وما مصدرية أى ما أشد اغترابه، والجملة خبر اسم إن ومثله قول جرير:

فقلت للركب أوجد المسير بنا ما بعد يبرين من باب الفراديس

وباب الفراديس من أبواب الشام، وإنما بسطت شرح هذا البيت لأنه وقع فى مغنى اللبيب ولم يشرحه أحد من شراحه بشىء

وسبب مدح الحطيئة بغيضا وهجو الزبرقان هو ما ذكره الأصبهانى فى الأغانى: أن الزبرقان قدم على عمر رضى الله عنه فى سنة مجدبة ليؤدى صدقات قومه فلقيه الحطيئة بقرقرى ومعه ابناه أوس وسوادة وبناته وامرأته فقال له الزبرقان وقد عرفه ولم يعرفه الحطيئة: أين تريد؟ فقال: العراق فقد حطمتنا هذه السنة قال: وتصنع ما ذا؟ قال: وددت أن أصادف بها رجلا يكفينى مؤنة عيالى وأصفيه مدائحي، فقال له الزبرقان: قد أصبته فهل لك فيه يوسعك تمرا ولبنا ويجاورك أحسن جوار؟ قال: هذا وأبيك العيش وما كنت أرجو هذا كله، عند من؟ قال: عندى قال: ومن أنت؟ قال: الزبرقان، فسيره الى أمه وهى عمة الفرزدق وكتب إليها أن أحسنى إليه وأكثرى

له من التمر واللبن، وقال آخرون : بل سيره إلى زوجته عبيدة بنت صعصعة المجاشعية فأكرمته وأحسنت إليه فبلغ ذلك بغيض بن عامر من بنى أنف الناقة وكان ينازع الزبرقان الشرف وكان الحطيئة دميما سيء الخلق فهان أمره عليها وقصرت به فأرسل إليه بغيض وإخوته أن ائتنا فأبى وقال: شأن النساء التقصير والغفلة ولست بالذى أحمل على صاحبها ذنبها وألحوا عليه فقال: إن تركت وجفيت تحولت إليكم وأطمعوه ووعدوه وعداً عظيما فدسوا إلى زوجة الزبرقان أن الزبرقان يريد أن يتزوج ابنته مليكة وكانت جميلة فظهر منها جفوة وألحوا عليه فى الطلب فارتحل إليهم فضربوا له قبة وربطوا بكل طنب من أطنابها حلة هجرية وأراحوا عليه وأكثروا عليه التمر واللبن فلما قدم الزبرقان سأل عنه فأخبر بقصته فنادى فى بنى بهدلة بن عوف وركب فرسه وأخذ رمحه وسار حتى وقف على القريعيين وقال: ردوا على جارى قالوا: ماهو لك بجار وقد اطرحته وضيعته وكاد أن يقع بين الحيين حرب فاجتمع أهل الحجا وخيروا الحطيئة فاختار بغيضا وجعل يمدح القريعيين من غير أن يهجو الزبرقان وهم يحرضونه على ذلك وهو يأبى حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النمر بن قاسط يقال له دثار بن شيبان فهجا بغيضاً وفضل الزبرقان فقال من جملة أبيات :

وجدنا بيت بهدلة بن عوف ... تعالى سمكه ودحى الفناء
وما أضحى لشماس بن لأى ... قديم فى الفعال ولا رباء
سوى أن الحطيئة قال قولا ... فهذا من مقالتــــه جزاء

ولما سمع الحطيئة هذا ناضل عن بغيض وهجا الزبرقان فى عدة قصائد منها قوله:

والله مامعشر لاموا امرأ جنباً ... من آل لأى بن شماس بأكياس
ما كان ذنب بغيض لا أبالكم ... فى بائس جاء يحدو آخر الناس ؟
لقد مريتكم لو أن درتكم ... يوما يجيء بها مسحى وإبساسى
فما ملكت بأن كانت نفوسكم ... كفارك كرهت ثوبى وإلباسى
حتى اذا ما بدالى غيب أنفسكم ... ولم يكن لجراحى فيكم آسى
أزمعت يأساً مبينا من نوالكم ... ولن ترى طاردا للحر كالياس

ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلا ذا فاقة عاش فى مستوعر شاس؟
جاراً لقوم أطالوا هون منزله وغادروه مقيما بين أرماس
ملوا قراه وهرته كلابهم وجرحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
ما كان ذنبى أن فلت معا ولكم من آل لأى صفاة أصلها راسى
قد ناضلوك فسلوا من كنانتهم مجداً تليداً ونبلا غير انكاس

والجنب — بضم الجيم والنون — الغريب والبائس هنا الحطيئة وهو الذى لقى بؤساً و شدة من الفقر يقول: أصابت الناس سنة شديدة وكان الحطيئة فيمن انحدر مع الناس فلم يكن به من القوة أن يكون فى أول الناس. وقوله لقد مريتكم الخ أى طلبت ما عندكم وأصله من مريت الناقة هو أن تمسح ضرعها لتدر، والدرة بالكسر اللبن. والابساس صوت تسكن به الناقة عند الحلب يقول بس بس وقوله فما ملكت بأن كانت الخ يقول لم أملك بغضكم فأجعله حباً. والفارك المرأة المبغضة لزوجها. وقوله كرهت ثوبى أى كرهت أن تدخل معى فى ثوبى. وأن تدخلى فى ثوبى، وقوله حتى إذا مابدا لى الخ أى بدا لى ما كان غائباً فى أنفسكم من البغضة ولم يكن فيكم مصلح لما بى من الفساد وسوء الحال والآسى المداوى. وقوله وأزمعت يأسا الخ، هو من أبيات مغني اللبيب أورده على أن بعضهم قال من متعلقة بيأساً والصواب أن تعلقها بيئست محذوفة لأن المصدر لا يوصف قبل أن يأتى معموله. والأزماع تصميم العزم. والمستوعر المكان الوعر، والشاس المكان المرتفع الغليظ. والهون بالضم المذلة. وغادروه أى تركوه كالميت بين أموات القبور، وقوله ما كان ذنبى الخ فلت بالفاء ثلمت والفلول الثلم. والصفاة بالفتح الصخرة الملساء، أى اردتموهم بسوء فلم تعمل فيه معا ولكم. يقول: ما كان ذنبى فانى مدحت هؤلاء لأنهم أشرف منكم ولهم مجد راس لا تطيقون إزالته، وقوله قد ناضلوك الخ النكس بالكسر السهم يقلب فيجعل أسفله أعلاه إذا انكسر طرفه. والمناضلة المفاخرة وأراد بالمجد القديم النواصى وكانت العرب إذا أنعمت على الرجل الشريف المأسور جزوا ناصيته وأطلقوه فتكون الناصية عند الرجل يفخر بها، وقوله دع المكارم الخ أورده الفراء فى

معانى القرآن فى سورة هود على أن الكاسى بمعنى المسكو كما أن العاصم فى قوله تعالى: «لا عاصم اليوم» بمعنى المعصوم، قال: ولا تنكرن أن يخرج المفعول على فاعله ألا ترى ان قوله «من ماء دافق» بمعنى مدفوق «وعيشة راضية» بمعنى مرضية يستدل على ذلك بأنك تقول رضيت هذه المعيشة ودفق الماء وكسى العريان بالبناء للمفعول ولا تقول ذلك بالبناء للفاعل.

ولما بلغ الزبرقان هذا البيت استعدى عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: ما أراه هجاك ولكنه مدحك فقال: سل حسان بن ثابت فسأله فقال حسان: هجاه وسلح عليه. فحبسه عمر فقال وهو فى الحبس:

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيتَ كاسبهم فى قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

ذو مرخ اسم مكان، وأراد بالأفراخ أطفاله الصغار، وحمر الحواصل يعنى لا ريش لها

وتكلم فيه عمرو بن العاص فأخرجه عمر فقال: إياك وهجاء الناس قال: إذا يموت عيالى جوعا. هذا مكسبى ومنه معاشى. وعن يزيد بن أسلم عن أبيه قال: أرسل عمر إلى الحطيئة وأنا عنده وقد كلمه عمرو بن العاص وغيره فأخرجه من السجن فأنشده:

مَاذَا تَقُولُ لأَفْرَاخٍ بذى مَرَخٍ

فبكى عمر ثم قال: علىّ بالكرسى، فجلس عليه وقال: أشيروا علىّ فى الشاعر فانه يقول الهجو ويشبب بالنساء وينسب بما ليس فيهم ويذمهم ما أرانى إلا قاطعا لسانه، ثم قال: على بطست، ثم قال: علىّ بالمخصف، علىّ بالسكين، بل علىّ بالموسى، فقالوا: لا يعود يا أمير المؤمنين، وأشاروا عليه أن قل: لا أعود فقال: لا أعود يا أمير المؤمنين

وروى عبد الله بن المبارك أن عمر لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكد عليه الحجة فاشترى منه أعراض المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم فقال الحطيئة فى ذلك:

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع شتما يضر، ولا مديحا ينفع
وحميتنى عرض اللئيم: فلم يخف منى، وأصبح آمنا لا يفزع.

وقد ترجمنا الحطيئة فى الشاهد التاسع والاربعين بعد المائة

وأنشد بعده

(وهو الشاهد الخامس عشر بعد المائتين)

(٢١٥) فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة   وابشر بذاك وقر منه عيونا

على أنه يجوز جمع المثنى فى التمييز إذا لم يلبس إذ كان الظاهر أن يقال وقر منه عينين أو عينا لكنه جمع لعدم اللبس ولأن أقل الجمع اثنان على رأى

وهذا البيت أحد أبيات خمسة لأبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم   حتى أُوَسَّدَ فى التُّراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة   وابشر بذاك وقَرَّ منه عيونا
ودعوتنى وزعمت أنك ناصح   ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة أنه   من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة   لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

قال السيوطى فى شرح شواهد المغنى : أخرج ابن إسحاق والبيهقى فى الدلائل عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أن قريشا أتت أباطالب فكلمته فى النبى صلى الله عليه وسلم فبعث إليه فقال : ياابن أخى إن قومك قد جاءونى فقالوا كذا وكذا فأبق على وعلى نفسك ولا تحملنى من الامر ما لا أطيق أنا ولا أنت فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه وأنه خاذله فقال : ياعم لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ماتركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فى طلبه ، ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى فلما ولى قال له حين رأى مابلغ من الامر برسول الله صلى الله عليه وسلم : ياابن أخى امض على أمرك ، وافعل ما أحببت . فوالله لا أسلمك لشىء أبدا ، وقال أبو طالب فى ذلك هذه الأبيات انتهى

وقد أنشد الزمخشرى هذه الأبيات عند قوله تعالى : « وهم ينهون عنه و ينأون عنه » من سورة الأنعام بناء على القول بأنها نزلت فى أبى طالب

وقوله « والله لن يصلوا إليك الخ » أنشد هذا البيت ابن هشام فى المغنى على أن القسم قد يلقى بلن نادراً ونازعه الدمامينى فى الحاشية الهندية بأنه يحتمل أن يكون مما حذف فيه الجواب لدلالة مابعده عليه. تقديره والله انك لآمن على نفسك فيكون قوله

« لن يصلوا اليك الخ » جملة مستأنفة لاجواب القسم ، وأوسد — بالبناء للمفعول — من وسدته الشيء إذا جعلته تحت رأسه وسادة . ودفينا حال من ضمير أوسد بمعنى مدفون وقوله « فاصدع بأمرك الخ » يقال صدعت بالحق إذا تكلمت به جهاراً وقيل فى قوله تعالى « فاصدع بما تؤمر » أى شق جماعاتهم بالتوحيد ، وقيل افرق بذلك بين الحق والباطل ، وقيل أظهر ذلك وهو مأخوذ من قولهم صدعت القوم صدعا فتصدعوا أى فرقتهم فتفرقوا وأصل الصدع الشق وروى « فانفذ بأمرك » ، والغضاضة قال فى الصحاح : يقال ليس عليك فى هذا الأمر غضاضة أى ذلة ومنقصة ، وفى المصباح : غض الرجل صوته و طرفه ومن طرفه وصوته غضا — من باب قتل — خفض ومنه يقال غض من فلان غضا وغضاضة إذا تنقصه وقوله « وابشر بذاك » أى بعدم وصولهم إليك أو بظهور أمرك أو بانتفاء الغضاضة عنك أو بالمجموع ويكون ذاك إشارة إلى ما ذكر ، وابشر — بفتح الشين — لأنه يقال بشر بكذا يبشر — مثل فرح يفرح وزنا ومعنى — وهو الاستبشار أيضا والمصدر البشور ، و يتعدى بالحركة فيقال بشرته أبشره — من باب قتل فى لغة تهامة وما والاها — والاسم منه البشر بضم الباء و التعدية بالتثقيل لغة عامة العرب كذا فى المصباح ، وقوله « وقر منه عيونا » أي من أجله قال الطيبي : وإنما جمع العين لأن المراد عيون المسلمين لأن قرة عينه عليه الصلاة والسلام قرة لأعينهم ، وهذا المعنى صحيح إلا أن اللفظ لا يساعد ، وهو تمييز محول عن الفاعل قال ثعلب فى فصيحه وقررت به عينا أقر بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المستقبل وقررت فى المكان أقر بفتحها فى الماضى وكسرها فى المستقبل ومصدر الأول القر والقرور بضم أولهما ومصدر الثانى القرار والقر بفتحهما ، قال شارحه أبو سهل الهروى : قولهم أقر الله عينك معناه لا أبكاك الله فتسخن بالدمع عينك فكأنه قال : سرك الله ، ويجوز أن يكون صادفت ما يرضيك لتقر عينك من النظر إلى غيره ، وأما قول بعضهم معناه برد الله دمعتها لأن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة فأنه خطأ لأن الدمع كله حار ، وقوله « ودعوتنى » أى إلى الايمان « وزعمت » أى قلت فأن الزعم أحد معانيه القول وروى بدله « وعلمت » فهو بضم التاء وثم — بفتح الثاء — إشارة إلى مقام القول والنصح أو الدعوة وروى بدله « قبل » بضم اللام أى قبل هذا ، وقوله « وعرضت الخ » من زائدة على رأى من يقول بزيادتها فى الاثبات أو تبعيضية .

أى من بعض الأديان الفاضلة ، ودينا الثانى إما تمييز وإما تأكيد للأول ، وقوله « لولا الملامة » أى لولا ملامة الكفار لى ، والحذار — بالكسر — المحاذرة ، وسمحا منقادا ومبينا مظهرا من الإبانة وهى ضد الإخفاء

وترجمة أبى طالب تقدمت فى الشاهد الحادى والتسعين

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد السادس عشر بعد المائتين، وهو من شواهد سيبويه)

(٢١٦) ثلاثونَ للهَجْرِ حَوْلاً كَمِيلاً

وهذا عجز وصدره :

على أنَّنى بعْـدَ ما قدْ مضى

على أنه فصل بالمجرور ضرورة بين التمييز وهو « حولا » وبين المميز وهو « ثلاثون » وأنشده سيبويه فى باب كم مع بيت بعده وهو :

يُذَكِّرُنيكِ حَنينُ العجول ونَوْحُ الحمامةِ تدْعو هَـديلاَ

قال الأعلم فى شرح أبياته : الشاهد فى فصله بين الثلاثين والحول بالمجرور ضرورة فجعل سيبويه هذا تقوية لما يجوز فى كم من الفصل عوضا لما منعته من التصرف فى الكلام بالتقديم والتأخير لتضمنها معنى الاستفهام والتصدر بها لذلك ، والثلاثون ونحوها من العدد لا تمتنع من التقديم والتأخير ، لأنها لم تتضمن معنى يجب لها به التصدر فعملت فى المميز متصلا بها على ما يجب فى التمييز انتهى

وقوله « على أننى » متعلق بما قبله من الأبيات لا بقوله « يذكرنيك » كما زعمه شارح شواهد المغنى فأن « يذكرنيك » خبر أننى ، والحول العام ، وقال صاحب المصباح حال حولا — من باب قال — إذا مضى ومنه قيل للعام حول وإن لم يمض لأنه سيكون تسمية بالمصدر ، والجمع أحوال ، والكميل الكامل ، وثلاثون فاعل مضى ، والذكر متعد لمفعول واحد يقال ذكرته بلسانى وبقلبى والاسم ذكر — بالضم والكسر — نص عليه جماعة منهم أبو عبيدة وابن قتيبة وأنكر الفراء الكسر فى القلب ، وقال : اجعلنى على ذكر منك بالضم لا غير ويتعدى إلى مفعولين بالألف والتضعيف كما هنا فأن الياء مفعول أول والكاف مفعول ثان ، وحنين فاعله ، ونوح معطوف عليه ، والحنين

ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها ، هذا أصله ومنه معنى الاشتياق . والعجول من الابل الواله التى فقدت ولدها بذبح أو موت أو هبة ، وقيل الناقة التى ألقت ولدها قبل أن يتم بشهر أو بشهرين ، ونوح الحمامة صوت تستقبل به صاحبها لأن أصل النوح التقابل ، وجملة تدعو حال من الحمامة ، والهديل قال ابن قتيبة فى ادب الكاتب :العرب تجعله مرة فرخا تزعم الأعراب أنه كان على عهد نوح عليه السلام فصاده جارح من جوارح الطير قالوا فليس من حمامة إلا وهى تبكى عليه ، ومرة يجعلونه الطائر نفسه ، ومرة يجعلونه الصوت . انتهى . فعلى الأول هو مفعول تدعو بمعنى تبكيه وترثيه وكذلك على الثانى بمعنى تطلبه ليساندها لأنه بمعنى الذكر ، قال فى العباب : الهديل الذكر من الحمام ، وقيل الحمام الوحشى كالقمارى والدباسى ، وعلى الثالث مفعول مطلق وناصبه إما تدعو بمعنى تهدل وإما فعل مقدر من لفظه أى تهدل هديلا ، قال فى العباب : والهديل صوت الحمام يقال : هدل الحمام يهدل هديلا مثل هدر يهدر هديرا ، وقال الجاحظ : يقال فى الحمام الوحشى من القمارى والفواخت والدباسى وما أشبه ذلك هدل يهدل هديلا ويقال هدر الحمام يهدر وقال أبو زيد : الجمل يهدر ولا يقال باللام ولا يجوز على هذا أن ينتصب هديلا على الحال من ضمير تدعو لأن مجيء المصدر حالا سماعى ولا ضرورة هنا تدعو إليه

ومعنى البيتين لم أنس عهدك على بعده وكلما حنت عجول أو صاحت حمامة رقت نفسى فذكرتك

وهما من أبيات سيبويه الخمسين التى لم يعرف لها قائل ونقل العينى عن الموعب أنهما للعباس بن مرداس الصحابى والله أعلم

وتقدمت ترجمة العباس فى الشاهد السابع عشر

وكذا رأيته أنا فى شرح ابن يسعون على شواهد الايضاح لأبى على الفارسى منسوبا إلى العباس بن مرداس

وأنشد بعده

وهو الشاهد السابع عشر بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه

(٢١٧) تقول ابنتى حين جد الرحيل: أبرحت ربا وأبرحت جارا

على أن ربا و جارا تمييزان قال ابن السراج فى الأصول : وأما الذى ينتصب انتصاب الاسم بعد المقادير فقوله : « ويحه رجلا ، ولله دره رجلا . وحسبك به رجلا » قال عباس ابن مرداس :

ومرة يحميهم إذا ماتبددوا   ويطعنهم شزرا فأبرحت فارسا

قال سيبويه : كأنه قال فكفى بك فارساً وإنما يريد كفيت فارساً ودخلت هذه الباء توكيدا و منه قول الأعشى :

فأَبْرَحْتَ رَبًّا وأَبرَحْتَ جاراً   اهـ

وهذا البيت من قصيدة للأعشى مدح بها قيس بن معديكرب الكندى وكان الأعشى مدحه بقصيدة دالية فقال له قيس : انك تسرق الشعر فقال له الأعشى : قيدنى فى بيت حتى أقول لك شعرا ، فحبسه وقيده فقال عند ذلك هذه القصيدة و زعم ابن قتيبة أن القائل له إنما هو النعمان بن المنذر وهذا غير صحيح بدليل قوله فيها

إلى المرء قَيْسٍ نطيل السرى   ونطوى من الأرض تيها قفارا

ومطلع هذه القصيدة :

أأزمعت من آل ليلى ابتكاراً ؟   وشطت على ذى هوى أن تزارا

إلى أن قال بعد ثلاثة أبيات :

وشوق علوق تناسيته   بزيَّافة تستخف الضفارا
بقية خمس من الراسما   ت بيض تشبههن الصوارا
دفعن إلى اثنين عند الخصوص   وقد حبسا بينهن الأصارا
فهذا يعدلهن الخلا   وينقل ذا بينهن الحضارا
فكانت بقيتهن التى   تروق العيون و تقضي السفارا
فأبقى رواحى وسير الغدوّ   منها ذؤاب جداء صفارا
أقول لها حين جد الرحيل   أبرحت جدا وأبرحت جارا
إلى المرء قيس نطيل السرى   ونطوى من الأرض تيها قفارا

فلا تشتكن إلى السفار وطول العنا واجمليه اصطبارا
رواح العشيّ وسير الغدوّ يد الدهر حتى تلاقى الخيارا
تلاقين قيسا وأشياعه يسعر للحرب نارا فنارا

قوله «وشوق علوق» أى رب شوق وهو مضاف إلى علوق والعلوق — بفتح المهملة — الناقة التى تعطف على غير ولدها فلا ترأمه وإنما تشمه بأنفها وتمنع لبنها ، والعلوق أيضا من النساء التى لاتحب غير زوجها ومن النوق التى لا تألف الفحل ولا ترأم الولد ، والزيافة الناقة المسرعة وقيل المتبخترة من زاف يزيف زيفاً إذا تبختر فى مشيته ، والضفار جمع ضفرة وضفيرة — بالضاد المعجمة والفاء — وهى البطان المعرض والبطان — بالكسر — هو للقتب الحزام الذى جعل تحت بطن البعير وهو بمنزلة التصدير للرحل وقوله «بقية خمس» أى تلك الزيافة بقية نوق خمس ، والراسمات من الرسيم وهو ضرب من سير الابل السريع وقد رسم يرسم رسيما . وبيض جمع بيضاء أى كريمة والصوار بضم الصاد وكسرها القطيع من بقر الوحش والجمع صيران وقوله «دفعن إلى اثنين الخ» أى دفع قريبه تلك النوق الخمس إلى رجلين عند الخصوص وهو موضع قرب الكوفة والأثار — بكسر الهمزة — قال الصغانى فى العباب : والأصار والأيصر حبل قصير يشد به فى أسفل الخباء إلى وتد وكل حبس يحبس به شىء أو يشد به فهو إصار قال الأعشى يصف النوق وأنشد هذا البيت وقوله «فهذا يعد» أى يهيء ، والخلا بفتح الخاء المعجمة الحشيش الرطب والحضار بفتح المهملة وكسرها وبعدها ضاد معجمة الكرائم من الابل كالهجان واحده وجمعه سواء وقوله «فكانت» أى تلك الزيافة والسفار — بالكسر — المسافرة والسفر وهما قطع المسافة وقوله «فأبقى رواحى الخ» الرواح مصدر راح يروح وهو نقيض غدا يغدو غدوا ، والذؤاب جمع ذؤابة — بذال مضمومة بعدها همزة فوحدة — وهى الجلدة التى تعلق على آخرة الرحل ، والجداء جمع جدية — بالجيم — وهى شىء يحشى تحت دفتى السرج والرحل ، أراد أنها لم يبق من ظهرها شىء من كثرة السير ثم بعد وصف ضمرها ببيتين آخرين قال : «أقول لها حين جد الرحيل ... البيت» أى أقول لتلك الزيافة ، وجد بمعنى اشتد ، وأبرحت — بكسر التاء — خطاب للزيافة قال أبو عبيد فى الغريب المصنف: ما أبرح هذا الأمر ما أعجبه وأنشد هذا البيت قال شارح أبياته ابن السيرافى : المعنى اخترت ربا

وهو الملك وجارا عظيم القدر ، وقيل أبرحت قال صاحب الصحاح وتبعه صاحب العباب : وأبرحه أي أعجبه وأنشد هذا البيت وقال: أي أعجبت و بالغت ، وأبرحه أيضا بمعنى أكرمه وعظمه وعلى هذا فربا مفعول به وهو بمعنى المالك والسيد والمراد به نفس الشاعر أو ممدوحه وهذا هو الظاهر المتبادر من سوق الكلام وقال صاحب العباب: ويروى :

تقولُ له حينَ حانَ الرحيـــلُ أبرَحْتَ الخ

أي تقول للأعشى الناقة أبرحت بي في طلب ربك هذا الذي طلبته وعذبتني وحسرتني انتهى ، وعلى هذا فأبرحت معناه أصبتني بالبرح وهو الشدة والعذاب ، ويكون ربا أصله في طلب ربك ولا يخفى هذا التعسف مع أن هذه الرواية غير ثابتة وغير منسجمة مع ضمير الغائب ، وقال ابن حبيب : يريد تقول له ناقته أعظمت وأكرمت أي اخترت ربا كريماً وجاراً عظيم القدر يبرح بمن طلب شأوه ، وروى أيضاً كما في الشرح:

تقولُ ابنتي حين جدّ الرحيلُ «البيت»

وإنما روى في كتاب سيبويه وفي نوادر أبي زيد العجز مقرونا بالفاء هكذا:

فأبرحْت ربا وأبرحْتَ جاراً

وتممه شراح شواهده بما ذكره الشارح وهذه الرواية لا ارتباط لها بما بعدها كما هو الظاهر ، قال أبو عبيدة كما في النوادر: أبرحت في معنى صادفت كريما وقال غيره أبرحت بمن أراد اللحاق بك تبرح به فيلقي دون ذلك شدة ، والبرح العذاب والشدة ومن ذلك برحت بفلان انتهى ، فالرب على الأول الممدوح وعلى الثاني الصاحب ، وقال النحاس : قال الأصمعي : أبرحت ربا أي أبلغت ، وقال الأسعدى : أبرح فلان رجلا إذا فضله وهذا كله على أن ربا مفعول به لا تمييز ، وقال الأعلم: قوله «فأبرحت ربا الخ» الشاهد فيه نصب رب وجار على التمييز والمعنى أبرحت من رب ومن جار أي اي بلغت غاية الفضل في هذا النوع وصدر البيت:

تقولُ ابنَتي حينَ جدّ الرَّحيلُ ابرَحْتَ رَبًّا الخ

والمعني على هذا أبرح ربك وأبرح جارك ، ثم جعل الفعل لغير الرب والجار كما

تقول طبت نفسا أى طابت نفسك ، وهذا أبين من التفسير الأول وعليه يدل صدر البيت وأراد بالرب الملك الممدوح وكل من ملك شيئا فهو ربه انتهى

وقال الشارح المحقق : أبرحت أى جئت بالبرح وصرت ذا برح والبرح الشدة فمعنى أبرحت صرت ذا شدة وكمال أى بالغت وكملت ربا فهو نحو كفى زيد رجلا أى أبرح جار هو أنت . فالرب على قول الأعلم الممدوح وعلى قول الشارح نفس الشاعر ، ومعنى البيت على هذا إنما هو بقطع النظر عما بعده وقبله وإلا فلا يناسب السياق والمقدار الذى أورده سيبويه عجز للصدر الذى هو :

أَقُولُ لَهَا حِينَ جَدَّ الرَّحِيلُ

والفاء من تصرف النساخ فتكون التاء مكسورة والمعنى على ماذكره الأعلم والله أعلم

وأورد قبله قول العباس بن مرداس السلمي :

ومرة يحميهم إذا ماتبددوا ويطعنهم شزرا فأبرحت فارساً

قال الأعلم : المعنى فأبرحت من فارس أى بالغت وتناهيت فى الفروسية ، وأصل أبرحت من البراح وهو المتسع من الأرض المنكشف أى تبين فضلك تبين البراح من الأرض

وترجمة أعشى ميمون تقدمت فى الشاهد الثالث والعشرين

وترجمة قيس أيضا تقدمت فى الشاهد الثانى بعد المائتين

(وأنشد بعده)

(وهو الشاهد الثامن عشر بعد المائتين)

(٢١٨) يَا جارتا ما أنتِ جارَهْ

على أن جارة تمييز لأن ما الاستفهامية تفيد التفخيم أى كملت جارة

وهذا المصراع عجز وصدره :

بانت لتحزُنَنا عفارَهْ

والبيت مطلع قصيدة لأعشى ميمون قال الشاطبي فى شرح الألفية : أجاز الفارسى أن يكون « جارة » فى هذا البيت تمييزا لجواز دخول من عليها لأن ما استفهام على معنى التعجب فجارة يصح أن يقال فيها ما أنت من جارة كما قال الآخر :

يَا سَيِّداً ما أنت من سَيِّدٍ موطأ الأكناف رحب الذراع

انتهى . . . وروى أوله أبو على فى إيضاح الشعر :

بانت لطيتهـا عراره　　يا جارة ما أنت جاره

والطية — بالكسر وتشديد الياء التحتية — النية والقصد ، وعرارة امرأة . . .

وقال: قبله فى قول الشاعر :

وأَنت ما أَنت فى غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ

الظرف حال والعامل ما فى قوله « ما أنت » من معنى المدح والتعظيم ، كأنه قال عظمت حالا فى غبراء وليس فى الكلام ما يصح أن يكون عاملا فى الظرف غير ما ذكرنا وإذا ، صح معنى الفعل وذلك من حيث ذكرنا كان قول الاعشى جارة فى موضع نصب بما فى ما أنت كما ذكرنا انتهى

ولا يصح أن تكون ما نافية كما زعمه العينى لأن نصب جارة على التمييز إنما هو من الاستفهام التعجبي ، وهذه عبارته :ما نافية، وأنت مبتدأ ، وجارة خبره ويروى «ما كنت جاره» فهذا يؤكد معنى النفى ، ويجوز أن تكون ما استفهامية فى موضع الرفع على الابتداء وأنت خبره وجارة تكون تمييزا والمعني عظمت من جارة انتهى : : ولا يخفى ان المعنى ليس على النفي وإنما هو على التعجب كما ذكره الجماعة . . وبانت من البين وهو الفراق وقوله «لتحزننا» يجوز فتح التاء وضمها فأنه يقال حزنه يحزنه وهى لغة قريش وأحزنه يحزنه وهى لغة تميم وقد قرىء بهما . وحزن يأتى لازما أيضا يقال حزن الرجل فهو حزن وحزين من باب فرح يفرح ، وعفارة ـ بفتح العين المهملة ـ اسم امرأة وهي فاعل لأحد الفعلين على سبيل التنازع . وقوله «ياجارتا الخ» هو التفات من الغيبة إلى الخطاب وجارة الرجل امرأته التى تجاوره فى المنزل. وما اسم استفهام مبتدأ عند سيبويه، وأنت الخبر وعنـد الأخفش بالعكس، وقال العيني : عفارة امرأة يحتمل أن تكون هى الجارة أو غيرها فان كانت عينها فقد انتقل من الأخبار إلى الخطاب والجارة هنا زوجته انتهى والظاهر أن الجارة هى عفارة وأنها عشيقته فتأمل، ثم رأيت فى شرح شواهد الأيضاح لأبى على الفارسى لابن برى قال : وأنشد :

يا جارتا ما أنتَ جارَهْ

وقبله :

بانَتْ لتحْزِننا عُـفَارَهْ

ويروى :

بَانَتْ لِطِيَّتِهَا عُفَارَهْ

هو لأعشى بني قيس ، والجارة هنا زوجه قاله ابن دريد : والطية المنزل الذى تنويه وعفارة اسم امرأة ويحتمل أن تكون هي الجارة وغيرها فان كانت الجارة فقد انتقل من الاخبار إلى الخطاب ، وقوله «ياجار تا» يريد ياجارتى فأبدل من الكسرة فتحة فانقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ويجوز أن تكون ألف الندبة لما وصلها حذف الهاء كأنه لما فقدها ندبها ، وقوله «ماأنت جاره» ما نافية وأنت مبتدأ أو اسم ما «وجاره» إما فى موضع نصب خبر لما ، وإما فى موضع رفع خبر لأنت ويروى «ما كنت» فهذا يؤكد معنى النفي ، كما قال تعالى «ماهذا بشرا» ويجوز أن تكون ما استفهاما فى موضع رفع بانها خبر انت وجارة فى موضع نصب على التمييز أى ماأنت من جارة ويجوز أن تكون حالا والعامل فيها معنى الكلام أى كرمت جارة أو نبلت جارة ، ويجوز أن تكون ما مبتدأ وإن كانت نكرة لما فيها من معني التفخيم والتعجب ولأنها تقع صدراً غير أنه أوقعها على من يعقل فكان الوجه مابدأنا به . هذا كلامه برمته وتعسفه ظاهر ، وقال شارح آخر لأبيات الأيضاح : جلبه أبو على شاهدا على أن جارة الموقوف عليها يحتمل أن تكون تمييزاً لامكان من عليها ويحتمل أن تكون حالا ثم انه أخذ جميع الكلام الذى نقلناه من ابن برى .

وترجمة الأعشى تقدمت الحوالة عليها فى البيت الذى قبل هذا ..... وبعدهذا البيت:

أَرْضَتْكَ مِنْ حُسْنٍ ومِنْ ... دَلٍّ يُخَالِطُه غَرَارَهْ
وسَبَتْكَ حِينَ تبسَّمَتْ ... بَيْنَ الأَرِيكَةِ والستاره

والغرارة ـ بفتح المعجمة ـ الغفلة كالغرة ـ بالكسر ـ والأريكة السرير المزين والجمع أرائك .

قد تم بعون الله وحسن توفيقه طبع الجزء الثانى من كتاب : (خزانة الأدب ، ولب لباب لسان العرب) ويليه ـ إن شاء الله ـ الجزء الثالث ويبتدئ بشرح شواهد المستثنى « الشاهد التاسع عشر بعد المائتين »

نسأل الله أن يمدنا بمعونته ، إنه نعم العون ، وعليه التكلان

فهارس الجزء الثانى

من

خزانة الادب للبغدادى

وضعها

محمد محيي الدين عبد الحميد

المدرس بالقسم الثانوى بالازهر

الفهرس الاول

للموضوعات



الفهرس الثانى للشواهد

الهمزة

الباء الموحدة

التاء المثناة

الحاء المهملة

الدال المهملة

الراء المهملة

ص	ترتيب الشاهد		
٨٥	١٢٥	كلفة من أبى رياح	(يسمعها لاهه الكبار)
١٠٢	١٢٩	فيا الغلامان اللذان فرا	إياكما أن تكسبانا شرا
١٠٥	١٣٢	ياتيم تيم عدى لا أبالكم	لا يلقينكم فى سوءة عمر
١٢٥	١٣٨	خذوا حظكم يا آل عكرم واذكروا	أواصرنا . والرحم بالغيب تذكر
١٥٤	١٤٤	أطرق كرا أطرق كرا	إن النعام فى القرى
١٧٩	١٥١	إنا بنى ضبة لا نفر	... ...
١٨٠	١٥٢	لنا يوم وللكروان يوم	تطير البائسات ولا نطير
٢٣٢	١٦٠	إذا ابن أبى موسى بلالا بلغته	فقام بفأس بين وصليك جازر
٢٨٠	١٧٤	يا سارق الليلة أهل الدار	... ...
٢٨٤	١٧٧	يركب كل عاقر جمهور	مخافة وزعل المحبور
		والهول من تهول الهبور	
٣٠٠	١٨٢	وأنت امرؤ من أهل نجد، وأهلنا	تهام (وما النجدى والمتغور؟)
٣٥٩	٢٠٢	(نصف النهار الماء غامره)	ورفيقه بالغيب ما يدرى
٣٧٢	٢٠٥	وإنى لتعرونى لذكراك هزة	(كما انتفض العصفور بلله القطر)
٣٧٩	٢٠٧	أنا ابن دارة معروفا بها نسبى	وهل بدارة يا للناس من عار
٤٠٣	٢١٧	تقول ابنتى حين جد الرحيل :	أبرحت ربا وأبرحت جارا
٤٠٧	٢١٨	بانت لتحزننا عفاره	(يا جارتا ما أنت جاره)

السين

٦٢	١٢٠	(يا صاح يا ذا الضامر العنس)	والرحل والأقتاب والحلس

العين المهملة

٢٩	١١١	أيا شاعرا لا شاعر اليوم مثله	جرير ولكن فى كليب تواضع
١٤٩	١٤٣	قفى قبل التفرق يا ضباعا	ولا يك موقف منك الوداعا
١٧٣	١٤٩	أطوف ما أطوف ثم آوى	إلى بيت قعيدته لكاع

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم




